

321

المجلة

١٣٢٥

مجلة علمية أدبية تهذيبية مليّة اخبارية

« تصدر في غرة كل شهر عربي وفي السادس عشر منه »

لمنشأ

« السيد محمد رشيد رضا »

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المآل) والتأريفي « المآل بمصر »

العدد ١٠٠

(المجلد الخامس)

حجرت

قيمة الاشتراك فيها خمسون غرضاً أميراً في السنة وفي الخارج ١٦ فرنكاً

وفي الهند عشر روميات

« حقوق اعادة الطبع محفوظة لمنشأ المجلة »

مطبعة الموسوعات بساراع باب الخلق بمصر

(المجلد الخامس من المنار)

صحيفة

» » ٨ الجمع بين مصالح الدنيا

والآخرة ٤٥٩

» » نتائج هذه الاصول في أهله ٤٨١

الاسلام اليوم والاحتجاج بالمسلمين على الاسلام ٤٩٦

» » رأي رنان الفيلسوف فيه ٥٠٠

» » والانكليز ١٠١ و٥٠٨ و٥٤٥ و٧١٨

» » زوال طلة اليهود عن أهله ٥٣٨

» » والعلوم الاوربية ٥٦١

» » سماحته وتساهله ٥٦٦

» » دعاته ٥٧٣

» » الاصلاح والمصلحون فيه ٥٧٤

» » رأي هانوتو فيه ٥٧٧

» » مستقبله ٦٠١ و٦٥٦ و٦٨١

» » أسباب انتشاره ٦٠٩

» » في الصين ٦١٥

» » اعتقاد الاوربيين فيه ٦٨٨

» » والنصرانية (مقدمة الكتاب) ١

» » دين العقل ٧

» » دين وشريعة ٩

» » معنى كونه آخر الاديان ٩

» » إحياءه مدينة الامم السابقة ١٠٩

» » مزاياه وخصائصه ٤

» » في عصر العلم (كتاب) ٧٨٤ و٣

» » اشهر مشاهير الاسلام (كتاب) ١٠

» » الاصلاح الاسلامي ٥٧٤ و٦٢٦ و١١

» » أطوار البشر ٩

» » اعجاز احدي (كتاب) ١٩

» » الاعطار الافرنجية -- طهارتها ٠٧

» » القاب التعظيم ١٧

» » الامم -- أسباب انحطاطها ٩

» » وحدتها وتكافلها ١٤

» » ام القرى -- فائمة سجل جمعيتها واعضاؤها ١

» » خطبة الرئيس ١

» » موضوعاتها ١٣٢ و١

صحيفة

(١)

آثار السلف ١٦ و١٣١ و١٧٢ و٥٧٠

» » الآخرة -- أحوالها ٩١١

آداب اليونان والرومان ٨٦٥

آدم -- معصيته ٢٢٢ و٢٠٦ و٨٧

» » تعليمه الاسماء ١٢١

» » السجود له ١٦١

» » جنته ٢٠٣

ابن رشد وفلسفته ٧٩٧ و٣٦١

» » عقيدته ٨١٢

ابن رشد وابن سعود في نجد ٩٥٤ و٤٤٠

أحسن الكلام (رسالة) ٩٥١

احمد الجيتيكر (وفاته) ١٩٩

الاذان السلطاني ٥٩٨

إزالة وهم ٨٨٠

الازهر والازهريون ٥٨٥ و٣٨٦

الاسباب -- اثباتها ٧٦١

الاسراء -- ماروى فيها ٩٤٦

أسرار القصور (قصة) ٥٥٣

أسرار البلاغة -- مقدمته ٠٧٤

» » -- شهادة المفتي له ١٥٤

الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة ٤٤١ و٤٠١

» » ٤٨١ و٥٢١ و٥٦١

الاسلام والنصرانية التساهل والتعصب فيهما ٤٠١

» » ٤٧٠ و

الاسلام -- دعواته ٤٤١

» » الاصل الاول له النظر العقلي ٤٤٦

» » ٢ اتفاق العقل والنقل » » ٤٤٦

» » ٣ البعد عن التكفير ٤٤٧

» » ٤ سنن الله في الخلق » » ٤٤٩

» » ٥ قلب السلطة الدينية ٤٤٩

» » ٦ حماية الدعوة ٤٥٣

» » ٧ مودة المخالفين ٤٥٧

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٣٤٦	الخلاف في المسلمين وأسبابه	٦٣١	جمعية مستقبل الاسلام (اقتراح)
٠٥٧	» — رفته بحكم الحاكم	٥١٠	» مكارم الاخلاق
٦٧٧	» طريقة رفته في المعاملات	٢٧٣	الجمعية الخيرية الاسلامية
٤٩١	الخلفاء — مساعدتهم للعلم	٠٥٨	الجن وتسلطهم على الناس
٠٨٢	الخلقة وأوهام الالام في مبدأها	١٦٩	» والملائكة
٣٦٠	الخمارة الاسلامية	٢٠٣	جنة آدم
٤١٣	الحواري في النصرانية	٩٣١	الجهاد في الاسلام والنصرانية [مقابلة]
٩٤٠	الحواري عند الوثنيين	٩١٤	الجواهر الكلامية (عقيدة)
١٦٣	خواطر الخير والشر		(ح)
٣٩٣	خير الكلام في القراءة خلف الامام	٣١٢	حاضر المصريين (كتاب)
٠٣٤	وقرة العين برفع اليدين (رسالتان)	٧٨٦	الحال بين العامة (رسالة)
	الجيل — وصف عربي	٣٩٥	» والمآل (قصة)
	(د)	١٤٦	حب الزوجة والولد والوطن
١٤١ و ١٠٥ و ١٤١	داء المسلمين او قوتورهم	١٩٦	الحجاز — مستقبله
٠٨٩	داود عليه السلام — قصته	٧٠٩	الحج — ترك الملوك والامراء اياه
٢٩٠	الدعاء والقضاء	٨٧٦ و ٧٩١	» في هذا العام
٨٠٩	الدليل العقلي مع السمع	٥٩٤	حجج القرآن (كتاب)
٤١٥	الدنيا — حكم النصرانية بتركها	٣٥٦	الحجاج بن يوسف [قصة]
٢٩٨ و ٢٥٦ و ١٥٦	دلائل الاعجاز (كتاب)	٥٨١	حدوث العالم
١١٧	الدنيا في باريس (كتاب)	٣١٥	حرب فرنسا للسوسى
٢٨٩	الدهر والزمن	٩٥٦	حروف المطابع (اصلاحها)
٣٤٥ و ٣٠ و ٢٣	الدين — اخذ من الكتاب والسنة	١٢٠ و ١١٤	حريق ميت غمر
٨١٩ و ٢٤٩	» — ارتقاؤه	٥٦١	حرية العلم باوربا
٨٢٤	» — تشييه تعدده بدرجات المدارس	٠٦٩	الحرية
١٠٦	» — تشويشه على العامة	٦٠٠	الحسود المغم
٣٠٤	» التشديد والتشويش فيه	٩١٣	الحشيش والافيون
٢٤٣	» حريته	٤٠٨	الحكماء والعلماء عند الخلفاء
٨١٩	» ختمه بالاسلام	٢٠٥	حواء ام البشر
٠٦٦	» كونه فطريا وتقسيمه	٥٩٥	حياتنا التناسلية (كتاب)
٢٢٣	» الفطري والاسلام		(خ)
٤٦٢	» النهي عن القلو فيه	٤٣٥	خرافة المشاهدة
٥٦٨	» الاسلامي مع العلم	٨٠٠	خزان أسوان
٥٧٠	» وطلاب علومه	٩١٢	خطبة الجمعة والعيد
٥٦١	» المسيحي والضغط	٢٣٢	» مصطفى كامل في محمد علي
٥٦٥	» — ترك اوربا له	٥٠٧	الخطباء وأحاديثهم الموضوعة
٦٢١	» والحكمة (اتفاقهما)	٢٦٩	الخط الديواني
	(ر)	٦٧٤	خلاف الائمة كيف يكون رحمة
٩١٦	الراوي (جريدة)	٠٨٢	خلافة آدم
٠٥١	الربا في ورق (البنوك)	٩٠٤	الخلافة الاسلامية (رأى)

صحيفة	صحيفة	الرجال — وصف خيارهم وشرارهم
١٣١	٠٣٣	رحلة صادق باشا
٥٢١	٧٨٤	الرخص في الاسلام
٠٣٥	٤٦٠	رسالة الشيرازي
	٠٧٩	رسالة الكسائي في لحن العوام
(ش)	٥٩١	لرشوة — تحريمها
٣٠٦	١٢٩	ضائع الزوج من الزوجة
٣٣٨	٢٩٢	الرماح — وصف عربي
شبهات المسيحيين وحجج المسلمين ٩٨ و ٤٣٦ و ٥١٧	٠٣٦	مضان والمنكرات والجرائد
٨٨٩ و ٨٤١ و ٨٠٧ و ٧٥٩	٦٧٨	رؤيا مناميه في مملكة خياليه
٢٦٤ و ٢٢٧	٣٤٩	روايات الحداد
٥٢٩	٥٩٦	الروضة الانيقه (كتاب)
٧٠٢	٣٩٤	لروح — مستقرها بعد الموت
٨٤٩	٩٤٦	لرياسة الدينه عند المسلمين والصاري
٦٤٩	٦٨٣	(ز)
٢٩٨ و ٢٥٦		زكاة في الاوراق الماليه
٣٨	٠٥١	زهد — اضعافه المسلمين
٣٦٠ و ٣٢٥	٠٦٧	رواج عند المصريين
٦٥٥	٣٣٨	» في الاسلام
١٨٧ و ١٧٢	٤٦٠	زوجات النبي عليه السلام — حكمة تعددهن
٩٥٥	٦٩٩	لزوجات — فائدة تعددهن
(ص)	٦١٥	الزينة — اباختها في الاسلام
٩١١	٤٦٠	(س)
٥٩٣		الساعة (قصيدة)
٨٣٧	٠٨٠	السعادة (مجلة)
٢٥٢	٥٥٢	سفينة النجاة (كتاب)
٩١٢	٦٣٥	سكة حديد الحجاز
٦٤٨	٥٩٨	السلام على غير المسلم
٦٤٥	٥٨٣	سلطان زنجبار — حجه
١٤٠	٨٤٠	السلطان المسلم الجائر والعاقل الكافر
٤٣٤	١٠٦	» — تحريم احتجابها
٥٠٣	١٢٨	» في الاسلام
٦١١	٤٥١	سلطة رؤساء النصرانية
١١٢	٤١٤	السلطان الدينية والمدنية
٢١	٨٤١ و ٤٣١	سلم الارتقاء (كتاب)
(ض)	٠٣٦	سليمان عليه السلام — شبهتا نبوته
ضعف المسلمين بسبب الاعتقاد	٠٩٠	السنة والبدعة
ضعف المسلمين بسبب السياسة	٩٥١	سنن الله في الخلق
ضعف المسلمين بسبب فقد الحرية	٧٦١	السوسي (نفيه وترجمته)
ضعف المسلمين بسبب افعال الاء	٥٥٦ و ٤٧٩	

مصحفه

- ٩٣٠ و ٤٨٧ علوم العرب واكتشافاتهم
٩ » الكون — حث القرآن عليها
٤٨٢ العلوم الادبية عند المسلمين
٩٣٤ و ٤٨٣ » الكونية
٩٤٦ المين وتأثيرها

(غ)

- ٧٧١ غرارة المسلمين وانواعها
٧٦١ الغرالي — اثباته الاسباب والسبب
٨٦٨ » وفاق باكون له
٠٢٤ الغيب — دعوى علم
٥٠٥ » — مقانحه

(ف)

- ٧٨ فتح القدير (كتاب)
٥١٩ و ٢٩٣ فرنسا والاسلام
٥٠١ الفقهاء — تشديدهم
٧٣٢ الفلسفه الالهية عند الاقدمين
٧٣٨ » » عند المسلمين
٨١٦ و ٧٩٧ » القديعة وابن رشد
١١٥ الفوز الاصغر (كتاب)

(ق)

- ٧٨٥ قاموس الماني عربي
٨٢٦ قانون جمعية تعليم الموحدين
٩٤٦ القبر — عذابه
٨٧١ و ٨٣٧ القبور — تمظيها
٠٦١ القرآن — تأثيره في التهذيب
٢٢٢ القرآن — جعله مهراً للذمية
٠٢١ القرآن — دعوى اللحن فيه
٠٢٤ القرآن — تأثير حفظه في البلاغة
٢٢٠ القرآن — مس المحدث له
٠٥٩ انقرآن والكتب المنزلة
٥٠٨ و ١٣٩ القراءة على الموتى
٣٩٧ قصص مجلة الهلال
٣٩٢ قصيدة
١٦٦ و ١٢٥ و ١١١ القضاء في الاسلام
١٧٣ » كتاب عمر فيه
٠٠٠ القطب عند الصوفية
٧٩٧ القوى الادبية في الشرق

مصحفه

- ١٠٦ ضعف المسلمين بسبب انحلال رابطة الدين
١٠٨ ضعف المسلمين بسبب التدليس والدجل
١٤١ ضعف المسلمين بسبب العلماء الرسميين
١٤٣ ضعف المسلمين بسبب اقبال العلوم الكونية
١٤٥ ضعف المسلمين بسبب فقد السراة والهداة والمال
١٨٤ ضعف المسلمين بسبب عدم الجمعيات
١٨٨ ضعف المسلمين بسبب شكل الدين الحاضر
٥٢٢ ضعف المسلمين بسبب الجود
٦١٩ ضعف المسلمين بسبب الجهل
٧٧١ ضعف المسلمين بسبب الغرارة
٧٠٤ ضعف المسلمين بسبب جهل النساء
٧٠٤ ضعف المسلمين — سرد اسبابه الدينية
٧٠٥ ضعف المسلمين — سرد اسبابه السياسية والاخلاقية
٧٠٦ ضعف المسلمين — سرد اسبابه العثمانية
٧٠٩ ضعف المسلمين — سرد اسبابه المختلفة

(ط)

- ٩٣٥ الطب عند العرب
٣٨١ طبقات العلماء والناس في اليمن
٥٠٢ الطريقة — النقشبندية
٢٩١ طول العمر بعمل البر
٤٦٠ الطيبات — اباحتها في الاسلام

(ع)

- ٩٤٥ عبد الله بن سلام — مسائله
٤٧٨ عبرة وتنبية بموت وجيه
١٣١ و ١٦ عدل عمر
٣٥٧ العدوى وتأثيرها
٩١٦ و ٨٧٥ عربي كريم
٨٦٢ العرب — خصائصهم
٠٣٣ » — علم تلامذتهم وبلاغتهم
٩٣٠ » — مدنياتهم
٨٧ و ٤٧ و ٤٨ و ٨٧ عصمة الانبياء —
٨٠٧ العقل والاسلام
٤١٦ » والنصرانية
٥٤٣ » والقلب
٦٢٣ العلم — أنواعه
٤٦٦ » — تجليه في العمل
٦٢٦ » — والاسلاح الاسلامي
٧٨٨
٧٢٦

صحيحة

- ٥٣٧ المدارس الرسمية والاهلية والجمود
٦٢٨ المدارس - رأي فيها
٥٥٤ مدرسة بني مزار
٦٣٨ مدرسة الشريجي
٩٥٦ مدرسة ماهر
٩٣٠ مدينة العرب
٠٣٠ المذاهب - اختلافها
٩٥٤ مذهب تولستوي [كتاب]
٤١٥ و٣١ مذهب السلف
٨٣٨ مراکش - ثورتها
٣٧ مرشد الضبطية القضائية [كتاب]
٥٥٢ المروءة والوفاء [قصة]
٩٤٧ المسألة المأمونية
٣٥٧ مسامرات الشعب [قصص]
١٢٦ المساواة في الاحكام الاسلاميه
١٣٥ المسيح - نزوله
٤٣٢ المسيح والمسيحية في اعتقاد المسلمين
٧٨٩ و٣٩٨ و٣١٧ مسيح الهند
٦٨١ مسير الانام ومصير الاسلام
٧٨٦ مشاهير الشرق (كتاب)
٥٥٣ المصري [جريدة]
٥٠٥ المطر - اجتلابه والعلم به
٦١ المعجزات الكونية - عدم الاعتماد عليها في
٦٣٥ اثبات نبوة خاتم الانبياء
٦٠٠ المعتقدات السبع
٨٨٩ و٨٨٠ مفكرة الموسوعات
٤٨٤ المقتطف (مناظرته)
٢٥٥ و١٦٢ و٨٣ و٤٤ المكاتب الاسلاميه
٩٢٠ الملائكة
٩٤٥ ملجأ الايتام واللقطاء
٨٧٩ و٦٣٦ و١٥٩ الملكان الكاتبان
٩٥٧ المنار - قريظ وشهادة
٥٦٧ المنار - خاتمة السنة
٨٧٩ المنار - طلاب النسخ المفقودة
١٠٥ المنار - في البلاد الاسلاميه
المنار - في السودان
المنار - ومسيح الهند
الموالد - ابطالها
المولد بالتركيه
المؤتمر الاسلامي بالهند
المؤتمر الطبي بمصر

صحيحة

(ك)

- ٩٥٤ كتاب نجدي الى نجدي
٧٨٣ كتاب الاسلام والنصرانية [قريظه]
٦٦٨ و٣٨١ و٩٤٥ الكتاب والسنة - الاستهداء بهما
٨٩٨ و٤٢٩ الكتب - إحراق النصارى لها
٧٨٢ الكتب المفيدة للناشئين
٤١٧ الكتب المقدسة - الاكتفاء بها في علوم الدنيا
٧٠٣ الحصول - طهارته
٠٢٤ الكرامات - دعوى الدجالين لها
٩٣٨ الكرامات والحوارق
٦٥٤ الكفارات عند اليهود
٣١٣ كنز الجواهر [كتاب]
٥٠٥ الكهربائية في الاستمطار
٢٧٦ و٢٣٧ الكواكب ترجمته
٩٣٤ الكيبياء الصحيحة عند العرب

(ل)

- ٩١٨ و٨٧٧ لبنان - رأي في اصلاحه
٩١٥ لسان الصدق [كتاب]
٩٥٤ لغة يجد لهذا العهد
٥٢٦ اللغة - جناية الجمود عليها
٦٣٤ اللؤلؤ النظيم [كتاب]

(م)

- ٨٤٠ مأثرة حميدية
٣٧٠ المادة وخلق العالم
٦٣٠ المال للاصلاح
٠٤١ المتشابهات - مذهب السلف والخلف
١٠٧ المتصوفة وشعائر النصارى
١١٩ مجلة الاحكام الشرعية
٣٥٦ مجلة المجلات المرية
٧٨٨ المجلة المدرسية
١١٨ مجموعة حقوقية طبية هندسية
٤٢٣ محكمة التفتيش البابوية
٠٣٨ محمد عبده - احترام الناس له
٥٥٤ و٢٧٣ محمد عبده - خطبه
٩١٦ و٨٧٥٠ محمد عبد الوهاب باشا
٢٣٢ و٢٠٠ و١٧٥ و١٥٧ محمد علي باشا الكبير
٤٨٥ المدارس الاسلاميه الاولى
٥٣٦ المدارس الاجنبية والجمود

صحيفة

صحيفة

(و)

(ن)

- ١٧٥ الوباء - دفعه بالبخاري
٣٥٧ الوباء - الوقاية منه
٠٩٣ الوثنية - محوها بالاسلام
٣٦٥ الوجود عند المتكلمين
٩١٩ و ٦٠٧ الوحدة الاسلامية والوطن
٧٥١ الوحي - طريقة في اثباته
٩٤٧ وصية بطرس الأكبر
٩١٩ الوطنية الحق والباطلة
٥٤٥ الوفاق الاسلامي الاسكليزي
١٩٩ وفاة عقيتين
٩١٥ وفاة الشبان (كتاب)
٢١٠ الوقف - شروط الواقفين
٤٢٨ الولادة - منع النصارى بالتسميها

(ي)

- ٩١ يوسف (قصة المراودة)
٩٢ يوسف واخوته
٧٥٧ اليوم الآخر

- ٧٣٦ و ٦١ نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
٣٢٩ نبوة محمد - الحاجة اليها والاستعداد لها
٦٢ نبوة محمد - دليلها من كتب اليهود والنصارى
٧٨٧ النخبة [ديوان شعر]
٧٧٣ النساء - جهلن وسلطن على الرجال
٨٨١ النساء - مضار تزيين الاستقلالية
٠٣٤ النساء - وصف حسانهن وشرارهن
٤١٢ النصرانية - طاعتها وأصولها
٤١٨ النصرانية - نتائج اصولها
٤٢١ النصرانية - مقاومتها العلم
٤٢٣ النصرانية - مراقبتها المطبوعات
٤٢٨ النصرانية - مقاومتها السلطة والاعتقاد
٤٥٥ النصرانية - إلزام الناس بها
٨٩٧ النصرانية - تأثيرها في مدينة اليونان والرومان
٥٢٨ النظام والجمود
٧٧٢ في كل شيء
٠٦٣ النعيم الروحاني
٣٥٦ نهضة الاسد (قصة)
٥٩٥ نيل الارب - في موسيقى الامرنج والعرب

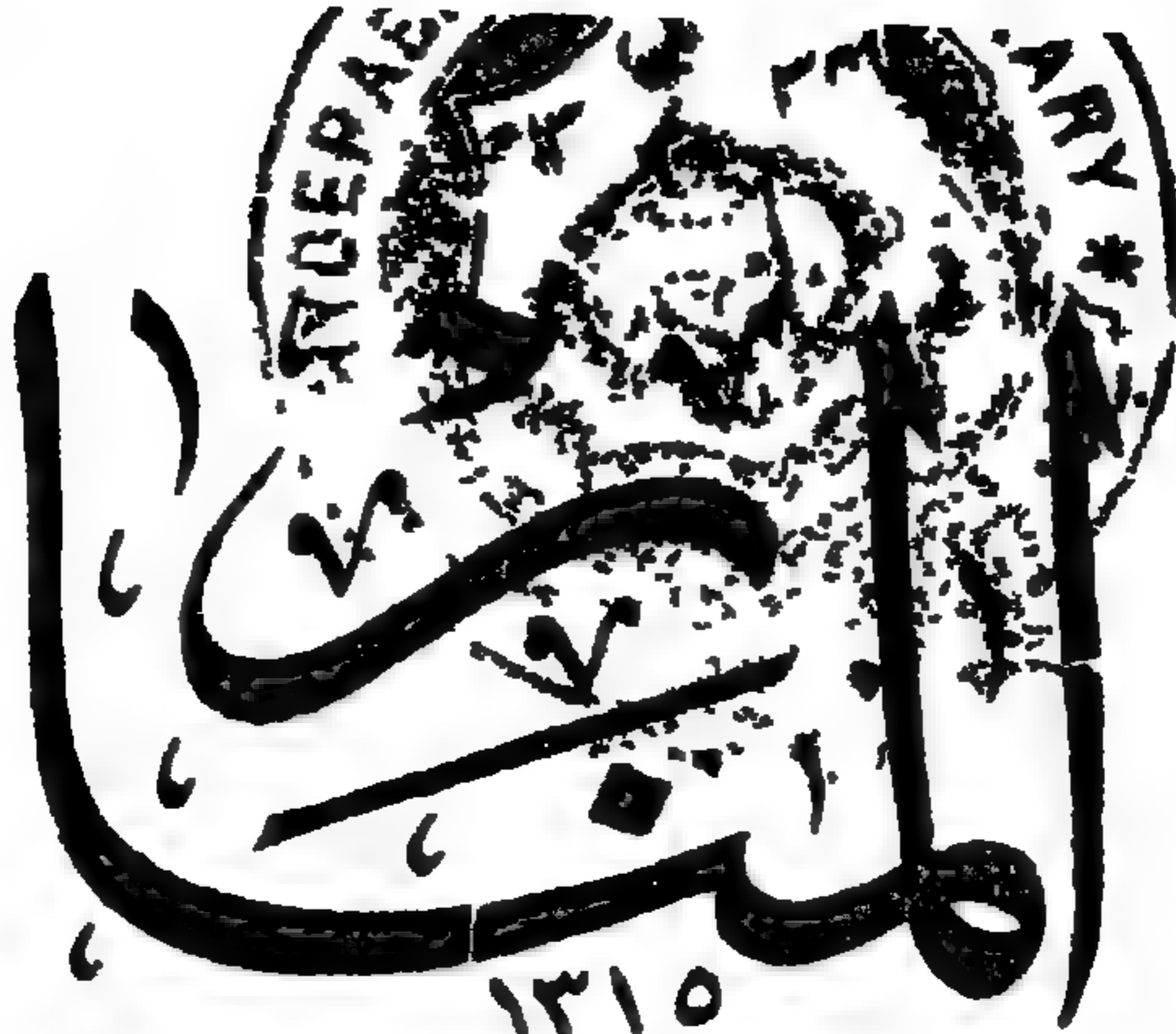
(هـ)

- ٥٩٤ الهداية الى الصراط المستقيم (كتاب)
هبة عليه

٨٨٥	اليونان والرومان مساويهم
٨٨٥	واحد من
٨٨٥	فرن من
٨٨٥	كتاب من

انا اعتمدنا في بعض المسائل المهمة التي في أثناء المقالات عناوين فن كشف عن شيء ولم ير له عنوانا فليقرأ في الصفحة يجد مطلوبه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصرفي يوم الخميس غرة محرم الحرام سنة ١٣٢٠ — ١٠ اربل (نيسان) سنة ١٩٠٢)

﴿ فاتحة السنة الخامسة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ،

وبعد فقد تم للمنار أربع سنين ودخل بهذا الجزء في السنة الخامسة ولم ينس القراء ان فوائح السنين الخالية وخواتمها كانت تكتب بمداد الصبر والتبرم ، على صحائف الامل والتعلل ، لما لقيناه من معارضة أنصار الجهل ، ومناهضة الذين ألوا الذل ، وما تحملناه من مناصبة الظالمين ، ومغاضبة المقلدين ، مع العناء الكبير ، وقلة الدون والنصير ، ولو كان هذا المنار منشأ لاجل الكسب ، وابتغاء الرزق ، لقوضته أنواء المذاوأة والمناكدة ، ودكته رياح الماكرة والمكايدة ، ولو قصد به التوصل الى الوظائف والمناصب ، والتوصل الى الرتب والرواتب ، لنال منها ما أراد ، او نالت

منه ما تريد ، ولو كان الغرض منه الرياء والفخر ، وحسن السمعة والذكر ، لتلاعبت به الالهواء ، وعبثت به أيدي الزعماء والرؤساء ، فأمالته عن الطريقة ، وصرفته عن طلب الحقيقة ، كلا والله ما كان شيء من ذلك ولن يكون . « إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ »

صرحت في فاتحة السنة الاولى بأنني كنت في هذا العمل بين يأس ورجاء يحركني الباعثان ، ويتنازعني العاملان ، وفي خاتمتها بان غوغا الناس سلقونا بالسنة حداد ، وروونا بسهام الانتقاد ، ولم تكن السنة الثانية بأمثل من الأولى ، ولا بأقل بلاء وأكثر قبولا ، وقلت في فاتحة السنة الثالثة إن المنار قد انتشرت تماثيله ولم أقل انه زاد هو انتشاراً ، وقلت ان الكتاب والخطباء قد تداولوا مسائله ولم أقل انهم كانوا أتعواناً له وأنصاراً ، بل صرحت بانهم كانوا « بين مخطئ ومصيب ، ومنتقد ومجيب ، وهكذا يكون الأمر في أوله وستتجلى الحقيقة للناس ان شاء الله عن قريب » . وكتبت في فاتحة السنة الرابعة انه « قد نما النمو الطبيعي المقدّر له من أول نشأته (أي التدريجي البطيء) ولقي صاحبه من الألاقي بعض مالتى الذين تصدوا للإصلاح من قبله وصبر كما صبروا والله مع الصابرين » نعم اننا كنا نمزج هذه الشكوى بشكر العلماء ، والاعتراف بفضل الفضلاء ، الذين قبلوا المنار بأحسن القبول ، ورأوه من بواعث إحياء الأمل وحصول المأمول ، مع الإيماء الى قلتهم ، والتبرم من عدم نجدتهم ،

هذا مجمل تاريخ المنار من أول نشأته الى سنته الرابعة التي كان آخرها خيراً من أولها ، وخاتمتها أفضل من فاتحتها ، ولم ينس القراء اننا اعترفنا

فيها بتضاعف قراء المنار ، وكونه صار موضع الثقة في جميع الاقطار ، ونريد
 تحدثاً بالنعمة فنقول : لقد خشيت بفضل الله تعالى أصوات المشاغبين ،
 وأعرض الناس عن جهل الممارضين ، فخنست شياطين الوسوس ،
 وطاشت سهام أرباب الدسائس ، وصار لنا من مستحسني العمل في السر ،
 من يدعو اليه في الجهر ، ومن المتبرمين منه ، من يناضل دونه ويدافع عنه ،
 فلنا ان نقول الآن تحدثاً بالنعمة : اننا انتقلنا من مقام الصبر الى
 مقام الشكر . فأما الصبر فلا بد للداعي الى الحق من الاعتصام به ولذلك
 قرن الله تعالى التواصي بالحق بالتواصي بالصبر . ومن فوائد الصبر الظفر
 وحسن الجزاء قال تعالى « وَلَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ » وقال عز وجل « وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لما صَبَرُوا وَكَانُوا
 بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ » بل وعد سبحانه أهل الصبر ، بمضاعفة الجزاء والاجر ،
 فقال « أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بما صَبَرُوا » . وأما الشكر فقد وعد
 الله تعالى صاحبه بالمزيد من النعمة والأمن من العذاب فقال عز شأنه
 « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ »
 وقال جل ثناؤه « مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ
 شَاكِرًا عَلِيمًا » فנסأله تعالى ان يوفقنا للشكر على الآلاء ، كما وفقنا للصبر على
 البلاء ، فأن الشكر مقام عزيز لا يزول من شأن الإنسان ان تبطره النعمة ويشغله
 الغرور بها عن الشكر عليها ولذلك قال تعالى « وَقَالُوا مِنْ عِبَادِي الشَّاكِرُونَ »
 الشكر هو معرفة النعمة للمنعم تعالى والثناء عليها وصرفها في اقامة
 سننه وموافقة حكمته وموجب محبته . ومن شكر الله شكر من أحسن

العمل من عباده فقد روى احمد وأبو داود وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » لهذا نشكر لأولئك الافاضل الذين انتدبوا للدعوة الى المنار والسعي في نشره عملهم ، ونعرف لهم فضلهم ، ونشكر أيضاً للمشاركين الكرام الذين يؤدون الحقوق في أوقاتها وفاءهم . ونعترف بالسبق بالفضل ، لقوم سبقوا بالبذل ، فأدوا قيمة الاشتراك عن السنة الخامسة قبل دخولها حتى إننا لم نقبل ذلك من بعضهم الا بعد الإلحاح منهم والاصرار . ونرجو من سائر المشاركين الفضلاء ، ان يبادروا الى حسن الاداء ؛ فان من يُشكّرُ له ، خير ممن يصبر عليه ، ونحمد الله تعالى ان أكثر قراء المنار ، من المصطنعين الاخيار ، ففهم العلماء الفضلاء ، والامراء والوزراء ، والقضاة المقسطون ، والمحامون البارعون ، ونظار المدارس وأساتذتها ، والاذكياء النابغون من تلامذتها ، والتجار الامناء ، والزراع الوجهاء ، وأهل الاستقامة من الموظفين ، وذوو الشهامة من الضباط المصريين ، ونعد الجميع باننا سنبذل الجهد في زيادة القوائد ، وتحرير المسائل ، والبحث عن أقرب الوسائل لهضة المسلمين ، ومنفعة جميع الشرقيين ، بل نرجو أن يكون عملنا خدمة للناس أجمعين

ونسأل الله أن يحفظنا من عشرة القلم ، وزلة القدم ، وان يلبسنا السداد ، ويوفقنا للصواب ، وان ينصر سلطاننا ، وينير برهاتنا ، ويحقق آمالنا ، ويحسن مآلنا ، فهو نعم المولى ونعم النصير ، بيده الخير وهو على

كل شيء قدير

صاحب المنار ومحرمه

محمد رشيد رضا

القسم الديني

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية)

« كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »

الكلام متصل بما قبله ومرتببط به ارتباطاً محكماً والخطاب للفاسقين الذين يضلون بالمثل فانه وصفهم أولاً بنقض العهد الالهي الموثق ، وقطع ما أمر به سبحانه أن يوصل ، سواء كان الأمر أمر تكوين وهو السنن الكونية ، أو أمر تشريع وهو الديانة السماوية ، ثم بعدهذا البيان جاء بهذا الاستفهام التعجبي عن كيفية كفرهم . مقترناً بالبرهان الناصع على انه لا وجه له ولا شبهة تسوغ الاقامة عليه . أي بأي كيفية من كيفية الكفر بالله تعالى تأخذون مع أنكم كنتم أمواتاً فأحياكم الخ والحال هو مجموع جملة « وكنتم أمواتاً » وما عطف عليها وهو المبين لشأن الانسان في موته وحياته . أي « كيف تكفرون بالله و » هذا حالكم - « كنتم أمواتاً » . نبته أجزاءكم في الارض بعضها في طبقتها الجامدة وبعضها في طبقتها السائلة وبعضها في طبقتها الغازية (الهوائية) لا فرق في ذلك بينها وبين أجزاء سائر الحيوان والنبات خلقكم في أحسن تقويم وصوركم فأحسن صوركم وفضلكم على غيركم بما وهبكم من العقل والادراك وسخر لكم من الكائنات « ثم يميتكم » بقبض الروح الحي الذي به نظام حياتكم هذه فتدخل أبدانكم بمفارقة إياها

وتعود الى أصلها الميت وتثبت في طبقات الأرض وتدغم في عوالمها حتى ينعدم هذا الوجود الخاص بها « ثم يحييكم » حياة ثانية كما أحياكم بعد الموتة الأولى بلا فرق إلا ما تكون به الحياة الثانية أرقى في مرتبة الوجود لأن من سنته تعالى في خلقه الترقى (وخلقناكم أطواراً) كل طور أرقى مما قبله « ثم اليه ترجعون » فينبشكم بما عملتم ، ويحاسبكم على ما قدمتم

فاذا كان هذا شأنكم معه وهذا فضله عليكم ؛ وهذا مبدأكم وذلك منتهاكم ، فكيف تكفرون به وتشكرون عليه ان يضرب لكم مثلاً تهتدون به ويبعث فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياته ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة وبعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من مصالحكم في حياتكم الأولى وسعادكم في حياتكم الثانية ،

لا يقال كيف يحتج عليهم بالحياة الثالثة قبل الايمان بالوحي الذي هو دليلاً ومثبتاً ، لانه احتجاج على مجموع الناس بما عليه الا كثرون منهم ولا عبرة بالنساذ المنكرين للبعث في هذا المقام لأن الاحتجاج بالحياة الأولى بعد الموتة الأولى كاف للتعجب من كفرهم بالله وانكارهم عليه أن يضرب مثلاً ما لهداية الناس زعماء ان هذا لا يليق بهظمه فان من يوجد هذا الانسان الكريم ، ويجعله في أحسن تقويم ، من تلك الذرات الصغيرة ، والطفة المينة الحقيرة ، والعلقة الدموية ، والمضغة اللحمية ، « لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » والكلام مسوق لابطال شبه منكري المثل والقرآن الذي جاء به ، لا لابطال شبه منكري البعث بلوامع شبهه ، نعم ان تمثيل احدى الحيايين بعد الموت بالأخرى داحض لحجة من يزعم عدم إمكان الثانية لأن ما جاز في احدى المثليين جاز في الآخر

والكلامُ في إثبات الوحي الالهي للرسول من البشر والايمانُ بالبعث تابع له
ثم بدأ بيان بعض آياته في أنفسهم بذكر المبدأ والمنتهى ذكرهم بآياته
في الآفاق فقال : « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً » فالكلام
على اتصاله وترتيبه . وانتظام جواهره في سلك أسلوبه . فليس في قوله
كيف تكفرون الخ انتقال لا ثبات البعث كما قال بعض المفسرين . غفلة
عن هذا الاتصال المتين ؛ ولعمري ان وجوه الاتصال بين الآيات ؛ وما
فيها من دقائق المناسبات ؛ لهي ضرب من ضروب البلاغة ؛ وفن من
فنون الاعجاز ؛ اذا امكن للبشر الاشراف عليه ؛ فلا يمكنهم البلوغ اليه ؛
والكلام في البعث في القرآن كثير جداً فلا حاجة الى الاسراع اليه هنا
يصور لنا قوله تعالى « خلق لكم » قدرته الكاملة ؛ ونعمه الشاملة ؛
وأى قدرة أكبر من قدرة الخالق وأى نعمة أشمل من جمل كل ما في
الأرض مهيناً لنا ومعداً لنا ؛ وللانتفاع بالأرض طريقان أحدهما
الانتفاع بأعيانها في الحياة الجسدية ؛ وثانيها النظر والاعتبار في الحياة
العقلية ؛ والارض هي ما في الجهة السفلى كما ان المراد بالسماء كل ما
في الجهة العليا وانما تنفع بكل ما في الأرض برها وبحرها من حيوان
ونبات وجماد وما لا تصل اليه أيدينا تنفع فيه بعقولنا بالاستدلال
على قدرة مبدعه وحكمته . والتعبير بني يتناول ما في جوف الارض
من المعادن بالنص الصريح

قال تعالى « ثم استوى الى السماء » أى قصد اليها قصداً مستوياً
وهذا يوافق ما كان معروفاً عند اليهود عن سيدنا موسى عليه السلام
من أن الله تعالى خلق الارض أولاً ثم خلق السموات والنور . ولا

مانع من الأخذ بظاهر الآية فإن الخلق غير التسوية ألا ترى ان
الانسان في طور النطفة والعلقة يكون مخلوقا ولكنه لا يكون بشراً
سويا في أحسن تقويم كما يكون عند انشائه خلقاً آخر . وسنين ان شاء الله
تعالى عند تفسير قوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض
كانتا رتقاً ففنفناهما) ان العالم كان شيئاً واحداً ثم فصله الله تعالى بالخلق
تفصيلاً وفدّره تقديرًا . فلا مانع إذن من أن يكون خلق الارض وما فيها
سابقاً على تسوية السماء سبباً . نعم ان هذا من أسرار الحلقة التي لا نعرفها
وربما يتوهم ان هذه الآية تنافض أو تخالف قوله تعالى بعد ذكر خلق
السماء وأنوارها « والارض بعد ذاك دحّاها » والجواب عنه من وجهين
(أحدهما) ان البعدية ليست بعديّة الزمان ولكنها البعدية في الذكر وهي
معروفة في كلام العرب وغيرهم فلا بعد في أن تقول فعلت كذا لفلات
وأحسنات عليه بكذا وبعد ذلك ساعدته في عمل كذا كما تقول وزيادة على
ذلك ساعدته في عمله تريد نوعاً آخر من أنواع الاحسان ؛ من غير ملاحظة
التأخر في الزمن : (ثانيهما) أن الذي كان بعد خالق السماء هو دحّو
الأرض أي جعلها ممهدة مدحوة قابلة للسكنى والاستثمار لا مجرد خلقها
وتقدير أهوائها فيها وخلق الله وتقديره لم ينقطع من الارض ولا ينقطع
منها ما دامت وكذلك يقال في غيرها .

وحاصل القول ان الله تعالى خالق هذه الأرض وهذه السموات
التي فوقنا بل درج وما أشهدنا خلقهن وإنما ذكر لنا ما ذكره للاستدلال
على قدرته وحكمته : والامتنان بنعمته ؛ لا لبيان تاريخ تكوينهما بالترتيب
لأن هذا ليس من مقاصد الدين . فابتداء الخلق غير معروف ولا ترتيبه

الا أن تسوية السماء سبع سموات يظهر أنه كان بعد تكوين الأرض ويظهر أن السماء كانت موجودة إلا أنها لم تكن سبعة ولذلك ذكر الاستواء إليها وقال « فسواهن سبع سموات » فتؤمن بأنه فعل ذلك لحكم يعلمها وقد عرض علينا ذلك لتدبر وتفكر فمن أراد أن يزداد علماً فليطلبه من البحث في الكون وحسبه أن الكتاب أرشده إلى ذلك وأباحه له

هذه الأباحة للنظر والبحث في الكون بل هذا الارشاد إليها بالصيغ التي تبيث الهمم وتشوق النفوس ككوت كل ما في الأرض مخلوقا لنا - محبوساً على منافعنا هو مما امتاز به الاسلام في ترقية الانسان فقد خاطبنا القرآن بهذا على حين أن أهل الكتاب كانوا متفقين في تقاليدهم وسيرتهم العملية على أن العقل والدين ضدان لا يجتمعان ، والعلم والدين خصمان لا يتفقان ؛ وان جميع ما يستنتجه العقل خارجاً عن نص الكتب فهو باطل ولذلك جاء القرآن يلحّ أشدّ اللحاح بالنظر العتليّ والتفكر والتدبر والتذكر فلا تقرأ ، منه قلباً الا وتراه يعرض عليك الأكوان ويأمرك بالنظر فيها واستخراج أسرارها واكتشاف حكم اتفاقها واختلافها - « قل انظروا ماذا في السموات والأرض ... - قل سيروا في الأرض فانظروا ... - أفلم يسبروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها الخ - أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ... » الى غير ذلك من الآيات الكثيرة جداً . وإكثار القرآن من شيء دليل على تعظيم شأنه ووجوب الاهتمام به . ومن فوائد الحث على النظر في الخليقة للوقوف على أسرارها بقدر الطاقة واستخراج علومها لترقية النوع الانساني الذي خلقت هي لأجله مقاومة تلك التقاليد الفاسدة التي كان عليها أهل الكتاب فأودت

بهم وحرمتهم من الانتفاع بما أمر الله الناس أن ينتفعوا به
كانت اوربا المسيحية في غمرة من الجهل وظلمات من الفتن تسيل
الدماء فيها أنهاراً لأجل الدين وباسم الدين وللا كراه على الدين ثم فاض
طوفان تمصها على المشرق ورجعت بعد الحروب الصليبية تحمل قبساً من
دين الاسلام وعلوم أهله فظهر فيهم بعد ذلك قوم قالوا ان لنا الحق في ان
نتفكر وان نعلم ون نستدل فحاربهم الدين ورجاله حرباً عواناً انتهت بظفر
العلم ورجاله بالدين ورجاله . وبعد غسل الدماء المسفوكه قام منذ مائتي سنة
الى اليوم رجال منهم يسمون هذه المدينة القائمة على دعائم العلم المدنية
المسيحية ويقولون بوجوب تلاشي سائر الأديان بعد انهزامها من امام الدين
المسيحي لأنها لا تتفق مع العلم وفي مقدمتها الدين الاسلامي وحجتهم على
ذلك حال المسامين نعم ان المسلمين أمسوا وراء الأمم كلها في العلم حتى
سقطوا في جاهلية أشد جهلاً من الجاهلية الأولى فجهلوا الارض الى هم
عليها وضعفوا عن استخراج منافعها فجاء الاجنبي يتخطفها من بين أيديهم
وهم ينظرون وكتابهم قائم على صراطه يصيح بهم « هو الذي خلق لكم
ما في الارض جميعاً - وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه
- قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » قل هي
للذين آمنوا في حياة الدنيا ، وأمثال ذلك ولكنهم « صم بكم عمي فهم
لا يعقلون » لا من رحمته ولو عقلوا لعادوا ؛ ولو عادوا لاستفادوا ،
ولغو ما ردوا : و نحن أولاء نذكرهم بكلام الله لعلمهم يرجعون ؛ ولا
نيأس من روح الله نه لا يأس من روح الله الا التوم الكافرون ؛
ثم ختم الآية سبحانه وتعالى بقوله « وهو بكل شئ عليم » أي فهو

المحيط بكيفية التكوين وحكمته وبما ينفع الناس بيانه . واذا كان العاقل يدرك ان هذا النظام المحكم لا يكون الا من عليم حكيم فكيف يصح له ان ينكر عليه ان يرسل من يشاء من خلقه لهداية من شاء من عباده فهذا الآخر يتصل باول الآيات في تقرير رسالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابطال شبه الذين أنكروا أن يكون البشر رسولا والذين أنكروا أن يكون من العرب رسول لأن قصارى ذلك كله اعتراض الجاهلين على من هو بكل شئ عليم.

باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح

ندبر في هذا الباب ما عرف به المسلمون أصل مدينتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهب ببركة

القضاء في الاسلام - النبذة الثانية

وجوب نصب القاضي (الحديث^(٨)) قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الارض الا أمروا عليهم أحدهم » وفي رواية : « اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم » استدلل العلماء بهذا الحديث على ان نصب الامير الذي يسوس الناس والقاضي الذي يحكم بينهم واجب شرعا لأن هذا أولى بالوجوب من أمير المسافرين وان كانوا أقل الجمع واحداً منهم عليهم والعلة ظاهرة والعمل عليها من أول الاسلام . وفي الحديث إرشاد الى ان الامة هي التي تولى الامراء والحكام كما تقدم شرحه في باب الاحاديث الواردة في الامراء من المجلد الرابع

٨٥ رواه احمد عن عبد الله بن عمرو . و اريابة الباقية شرحها أبو داود عن أبي سعيد . واخرج نحوها الرار بسند صحيح عن عمر بن الخطاب

موانع القضاء او شروطه تقدم في الاحاديث السبعة التي أوردناها في النبذة الاولى ما يدل على ان الضعيف لا يكون قاضياً وبيننا أنواع الضعف وأن الجاهل لا يكون قاضياً كما يؤخذ من حديث قاضي الجنة وقاضي النار وغيره وان الجائر لا يكون قاضياً وأن المراه لا تكون قاضية وخالف في هذا الشرط الحنفية ولو كان المخالف من علماء هذا المصالح لحكم بكفره أكثر المسلمين ، ورواه بمصانعة الاجانب وتقليد الأوربيين، وكذلك الصبي لا يكون قاضياً ونقل بعضهم الاجماع على هذا ويستدل له بما استدل به على منع قضاء المرأة وفي هذه الموانع احاديث أخرى نورد بعضها

(٩) قال صلى الله تعالى عليه وسلم « استعينوا بالله من رأس السبعين وإمارة الصبيان » والقضاء ضرب من الامارة ولا تعرف في الناس من يولي الصبيان القضاء ولكنهم يولونهم الامارة والسلطنة بالوراثة وقد قلد المسلمون الأوربيين في هذه الوراثة . فاما أولئك فانهم آمنون من مضره ولاية الصبي لأن حكوماتهم مقيدة بقوانين ووزراء مسؤولين ومنفذين ؛ وانما الحاكم العام : (كالمملك ورئيس الجمهورية) لأجل الوحدة في مصدر الاحكام ، وهو لا يستبد دونهم بنقض ولا إبرام . واما بلاد الشرق فلقد تأصل فيها الاستبداد ورسخت عروقه واعتادت أممها عليه وضعفت عن مقاومته فلو قضت شؤون السياسة وتقلب الحوادث على بعضها بوضع قانون يجعل احكامها مقيدة بالقوانين التي تغل أيدي الأمراء والسلاطين ؛ لما وجد من لأمة كافل يضمن تنفيذ القانون ولاستبد الحاكم الا كبر كيف شاء او يجد قوة اجنبية تأخذ على يده . وتوقفه عند حده . ولهذا المعنى كانت

تولية الصبي الملك خطراً في الشرق ومثله المرأة . واما رأس السبعين في الحديث فقالوا انه انباء بما وقع في عشر السبعين من الفتن كقتل سيدنا الحسين عليه السلام والرضوان ووقعة الحرة وغير ذلك

(١٠) عن ابي بكرة قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . والنظر في هذا الحديث الشريف من وجهين أحدهما كونه خبراً وثانيهما كونه حكماً شرعياً لأنه يتضمن بمعناه النهي عن تولية النساء الأمور العامة كالخلافة والقضاء . اما الاول فهو مبني على العادة التي كانت متبعة في الشرق بل في العالم كله وهي ان الامر والنهي والتصرف السياسي والقضائي بأيدي الملوك والامراء ولا شك ان هذه الوظائف لا يصح ان تسند الى النساء لأنهن أضعف رأياً لاسيما في محافل الرجال وما يتعلق بأعمالهم وأقل جلدًا وثباتاً وأميل مع الهوى لركة فلوبهن وسرعة انفعالهن ولأنهن إن يشتغلن بذلك يضعفن عن وظائفهن الطبيعية وهي تربية الاولاد وتدبير المنزل فاذا كان في المرأة استعداد لان تجاري الرجل وتكون مثله في كل شيء كما يزعم بعض الاوربيين فهذا الاستعداد لما يتحقق فعلاً مع العناية بتربية النساء في أوروبا فلا يعترض به على حديث قيل في شأن لفرس من ثلاثة عشر قرناً ولا ينبغي السعي في تحقيقه بتربية المرأة كما يتربى الرجل تماماً لان هذا يضر النوع الانساني من وجوه اهمها تربية الاولاد فان المرابي يجب ان يكون بينه وبين المرابي تقارب وتناسب في السجايا والاخلاق والافكار والرغائب ليسهل الائتلاف والامتزاج معه والنقل يد له والأخذ

عنه بالطبع لا بالكلف والمرأة وسط بين الاطفال وبين الرجال فهي التي تربي البنات كل التربية وتربي الصبية النربية الاولى التي تعدنهم للاخذ عن الرجال والاقتداء بهم . واذا اشتغل الرجل بتربية الاطفال ، فانه يعامل الذكور والاثاث معاملة الرجال ، وفي ذلك خروج بالبنات عن سنة الفطرة ؛ وذهب بالصبيان مع الفطرة ؛

وأما الثاني - وهو كون الحديث حكما شرعيا بمنع ولاية النساء -

فهو من جهة مناسب لاستعداد النساء ولوظيفتهن الفطرية ومن جهة أخرى مناسب لما كانت عليه حالة الأمم في ذلك العصر ولا حاجة لاباحته في عصر آخر بل فيه الضرر المذكور في الوجه الأول وهو التعدي على وظيفة النساء الطبيعية . ولا يعترض بحال أوروبا وكون الدولة الانكليزية أفلحت في عهد الملكة فيكتوريا فلاحاً ما رأت هي ولا غيرها من الدول مثله لان فرقا بين أمم أوروبا والامة الاسلاميه وهو أن الملك فيهم ليس له من لوظائف مثل مال للخليفة عند المسلمين فان الخليفة هو الامام لديني الذي يصلي بالناس ويخطبهم في صلاتهم وحجهم عند حضوره الميخ وكل لائمة وخطباء في البلاد الاسلاميه نوابه ووكلاؤه وهو القاضي لا كبر لدي يحكم فيهم حيث يكون وكل القضاة والمفتين نوابه ووكلاؤه فهو لذي يقدم هذا المنصب بشرط الكفاءة واليه يرجعون في مسائل خلاف انفصل فيها ومن شروط الكفاءة أن يكون القاضي والمفتي في مرتبة لائمة مجتهدين في لدين ومعرفة مصلحة المسلمين ولا يعرف هذا الا من هو لله . وإن فرضنا أن في استعداد المرأة الوصول الى هذه المرتبة وانه لا ضرر في هذا على النوع الانساني فهناك مانع آخر من امامتها

وهو انها تكون في طور لا تصح فيه صلاتها بنفسها فكيف تكون إماماً لغيرها. ولا يقال تستيب لأن من ليس له الحق بشي لا يصح أن يستيب فيه إذ النائب يؤدي وظيفة المنيب ولا وظيفة له هنا - هذا بعض ما يقال في المنع من الجهة الدينية المحضة وثم موانع أخرى من الجهة الدنيوية وهي كون الخليفة مديبر السياسة والحروب ومتولي النظر في المصالح الداخلية والخارجية ولذلك اشترطوا أن يكون شجاعاً. فان قيل ان الاسلام شرع المشاورة في الأمر وجعلها فرضاً لازماً ومنع الخليفة أن يستبد في أمر بنفسه وهذا عين ما عليه الأوربيون في تقييد الملوك بالمجالس النيابية. قلنا نعم هذا صحيح ولكن الاسلام أوجب على الخليفة أن يكون عاملاً بالمشاورة لا ان يكون آله تجري الامور باسمه بدون شعور. والكلام في هذا المقام كثير وفيما ذكرناه غناء للبصير.

ومن موانع القضاء عند الجماهير الرق وحكي عن العنزة انه يصح أن يكون العبد فاضياً وكأنهم أخذوا بظاهر الحديث وهو

(١١) قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «اسمعوا وأطيعوا وإني استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» وفي رواية «اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله» قال القسطلاني في شرح البخاري: «معناه ان استعمله الامام الاعظم على القوم لا ان العبد الحبشي هو الامام الاعظم فان الأئمة من قريش. أو المراد به الامام الاعظم على سبيل الفرض والتقدير وهو بالغة في الامر بطاعته والنهي عن شقاقه ومخالفته. اهـ أي ليس المراد به ظاهره فان العبد اذا ولي اخلافة لا يطاع بل يخلع ويوزل.

قال الخطابي قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود، وقال الحافظ في الفتح:
ونقل ابن بطال عن المهلب قال قوله «اسمعوا وأطيعوا» لا يوجب أن يكون
المستعمل للعبد الا إمام قرشي لما تقدم من ان الامامة لا تكون الا في
قربش وقد أجمع الامة على أنها لا تكون في العبد ويحتمل ان يكون
سماه عبداً باعتبار ما كان قبل المتق اه

ولحاصل ان شروط القضاء في الشرع سبعة كما قال في الاحكام
السلطانية لرجولية والحرية والاسلام والعدالة والاجتهاد في العلم والعقل
وسلامة الخواص وجوز مالك قضاء الاجمعي كما جوز شهادته

آثار السلف عبرة للخلف

عن عمر روى ابن عبد الحكم عن أنس ان رجلاً من أهل مصر
أتى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين: عاثر بك من الظلم، قال: عدت
معاذا، قال: سأقتل ابن عمرو بن العاص فسبته فجعل يضربني بالسوط
ويقول: أنا بن لا أكرمين، فكتب عمر الى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم
ابنه معه فتقدم فقال عمر: اين المصري، خذ السوط فاضرب، فجعل
يضربه بالسوط وعمر يقول «اضرب ابن الأكرمين» قال أنس فضرب
فولته لقد ضربه ونحن نحب ضربه فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه،
ثم قال للمصري ضع السوط على صلعة عمرو، فقال يا أمير المؤمنين
يئس منه لاني ضربني ~~وقد~~ استقدت منه، فقال عمر لعمر: منذ كم تعبدتم
من وقد ولدتهم، يا أكرم احرار، قال يا أمير المؤمنين لم اعلم ولم يأتي.
وروى عبد الرزاق في الجامع والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر قال:

شرب اخي عبد الرحمن وشرب معه ابو سروعة عتبة بن الحارث وهما بمصر في خلافة عمر فسكرا فلما اصبحا انطلقا الى عمرو بن العاص وهو امير مصر فقالا طهرنا فانا قد سكرنا من شراب شربناه (يظهر من هذه الكلمة انهما لم يكونا يقصدان السكر ولم يعرفا ما هو الشراب) قال عبد الله فذكر لي اخي انه سكر فقلت ادخل الدار اطهرك ولم اشعر انهما قد اتيا عمروا فأخبرني اخي انه اخبر الامير بذلك فقلت لا تحلق اليوم على رؤس الناس ادخل الدار احلقك وكانوا اذ ذاك يحلقون مع الحد فدخلا الدار قال عبد الله فحقت اخي بيدي ثم جلدهم عمرو فسمع بذلك عمر وكتب الى عمرو ان ابعث اليّ بعبد الرحمن على قتب ففعل ذلك فلما قدم على عمر جلده وعاقبه لمكانه منه ثم ارسله فلبث شهراً صحيحاً ثم اصابه قدره فمات فيحسب عامة الناس انما مات من جلد عمر ولم يمت من جلد عمر . وروى هذا الاثر ابن سعد في الطبقات مطولاً ذكر فيه مجيء عبد الرحمن الى مصر ونزوله في اقصاها وان عمرواً خشي ان يزوره او يهدي اليه شيئاً فيعلم ابوه عمر بذلك فيماقيه لانه كان كتب اليه : « إياك ان يقدم عليك احد من اهل بيتي فتحبوه بأمر لا تصنعه بنيره » حتى جاءه هو ورفيقه ابو سرعة منكسرين يطلبان إقامة الحد عليهما . وفيه ان عمر لما علم ان عمرواً اقام الحد على ولده في بيته وحلقه في بيته ظن انها خصوصية اختص بها ولده فكتب اليه يوبخه ويهدده بالالعزل وبطلب عبد الرحمن . وان عمرواً اعتذر له بأنه يحسد كل مسلم وذمي في بيته . اهـ . لمخصاً من (كتاب كنز العمال . في سنن الاقوال والافعال)

(باب المقائد من الامالي الدينية)

« الدرس ٣١ — عصمة الانبياء عليهم السلام »

(المسئلة ٧٩) حقيقة العصمة هي في اللغة المنع . وقال الجرجاني في التعريفات « العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها » أي ان المصوم من الشيء يجدي في نفسه قدرة عليه ويشعر بزاجر منها يحول دون الوقوع فيه فالعصمة وازع نفسي راسخ في النفس وهي في الانبياء فطرية وقد يكون لغيرهم بحسن التربية من ملكة الفضيلة ما يربأ بنفوسهم عن واقعة الفجور والدنبا ويسمي علماؤنا هذا المعنى حفظاً للتفرقة وإنما يكون هذا بالتربية العاضلة بين الفضلاء مع مساعدة الورثة واعتدال المزاج . وقد ينكر الذين ابتلوا باقتراف الكبائر هذا المعنى أن يكون لغير الانبياء ويسلمون به الانبياء تقليداً ولهم المذرفانه أمر لا يعرفه الا من ذاقه وقليل ما هم

(٨٠) عصمة في اسابيع جاء في المواقف ان أهل الملل والشرائع قد أجمعوا على عصمة الانبياء عن تعدد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما ينفونه عن الله تعالى . وإن عاقلاً لا يجمع بين لايمان ولوحى والنبوة وبين تجويز كذب النبي على الله تعالى فيما يباغ عنه . فان كان هذا جائزاً فاي ثقة بالوحي وكيف يميز المكلف بين ما هو عن الله وما عن غيره من النبوة وان ينفخ غير موثوق بصدقه !! ولقد أبعد القاضي أحد ثمة لاشعرية في فوه بجوز صدور الكذب منهم سهواً وهو قول مردود لا مؤيد عليه أحد . ولديين على هذا النوع من العصمة هو عين الدليل

على النبوة من الآيات العلمية أو الكونية

(م ٨١) العصمة من الكفر أجمع المسلمون من جميع الفرق على عصمتهم من الكفر قبل النبوة وبعدها وليس هنا شبهة لأحد فتوسع فيه (م ٨٢) العصمة من كبار الذنوب قال في المواقف وشرحه: «أما الكبائر» أي صدورها عنهم عمداً «فمنه الجمهور» من المحققين والأئمة ولم يخالف فيه إلا الحشوية «والأكثر» من المانعين «على امتناعه سماعاً» قال القاضي والمحققون من الأشاعرة إن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلاً إذ لا دلالة للمعجزة عليه فامتناع الكبائر عنهم سماعاً مستفاد من السمع وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين في ذلك «وقالت المتزلة بناء على أصولهم» الفاسدة في التحسين والتقييح العقليين ووجوب رعاية الصلاح والأصلح «يمتنع ذلك عقلاً» لأن صدور الكبائر عنهم عمداً يوجب سقوط هيبته من القلوب وانحطاط رتبته في أعين الناس فيؤدي إلى النفرة عنهم وعدم الانقياد لهم ويلزم منه إفساد الخلائق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة . «وأما» صدورها عنهم «سهواً» وعلى سبيل الخطأ في التأويل «فجوزه الأكثرون» والمختار خلافه اهـ ولم يذكر تأويل الإجماع ولا كيف وقع هذا الإجماع وما أراه إلا الإجماع السكوتي وعجيب من سادتنا الأشاعرة كيف ينقضون الأدلة العقلية على عصمة الانبياء لا جمل مخالفة المعتزلة ولو بالتكاف إذا استلزام دليلهم للتحسين والتقييح بالمعنى النافي لاختيار الله تعالى ممنوع كما سنبينه . ثم إنهم جوزوا وقوع الكبائر منهم سهواً وتأويلاً كما ترى وذكر السيد أن المختار خلاف ما عليه الأكثرون وقد جزم المتأخرون بهذا في عقائدهم ولا شك

ان المتأخرين أشد تعظيماً بالقول للانبياء والصلحاء وكذلك في الاعتقاد التخيلي دون البرهاني على أنهم في هذه المسئلة أقرب الى الصواب من المتقدمين (م ٨٣) العصمة من الصغائر قال المواقف : « وأما الصغائر عمداً فجوزها الجمهور الا الجبائي وأما سهواً فهو جائز اتفاقاً الا الصغائر الحسية كسرقة حبة أو لقمة وقال الجاحظ يجوز بشرط أن ينبهوا عليه فينتهوا عنه وقد تبمه فيه كثير من المتأخرين وبه نقول » قال الشارح : (أي نحن الاشاعرة)

(م ٨٤) العصمة قبل النبوة قال المواقف بعد ايراد ما ذكر كله : « هذا كله بعد الوحي وأما قبله فقال الجمهور : لا يمتنع أن يصدر عنهم كبيرة اذ لا دلالة للمعجزة عليه ولا حكم للعقل . وقال أكثر المعتزلة تمتنع الكبيرة وان تاب منها لانه يوجب النفرة وهي تمنع عن اتباعه فتفوت مصلحة البعثة ومنهم من منع عما ينفر مطلقاً كعهر الامهات والفجور في الآباء والصغائر الحسية دون غيرها . وقالت الروافض : لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة قبل الوحي فكيف بعد الوحي » اهـ وقول الروافض هذا هو الذي اعتمده المتأخرون من أهل السنة بل منع بعضهم وقوع المكروه منهم الا على سبيل التشريع

(م ٨٥) رأيتنا^(١) انما ذكرنا هذا الاختلاف في العصمة ليعرف من يطلع عليه من دعاة النصارى ومجادليهم ان المسلمين لم يتكافوا القول بعصمة الانبياء تكافؤاً لا ثبات قدرتهم على إنجاء الناس من العذاب في

١٥ راجع نبذة ١١ من شبهات المسيحيين وحجج المسلمين في عصمة الانبياء

والخاصة ص ٨١٦ . ٤ »

اليوم الآخر كما يزعمون وإنما يتبعون في ذلك كثيره ما يظهر لهم من الأدلة العقلية والسمعية أي أدلة الوحي . وإنما نقلنا عبارة كتاب المواقف الذي هو أعظم كتب الكلام عندنا لثلا يظن قليل الاطلاع من المسلمين ان الاقوال التي أوردناها في الخلاف هي أقوال شاذة أو مسندة لغير أصحابها سهواً أو جهلاً لا سيما اعتماد متأخري أهل السنة قول الرافضة . والذي نراه انه يصح الاستدلال بالعقل على عصمة الانبياء عليهم السلام ولا يستلزم ذلك القول بقاعدة التحسين والتقيح العقليين ولا سلب الاختيار عن الله تعالى . وكذلك يستنبط من كثير من الآيات القرآنية ما يدل على نزاهتهم وكونهم قدوة في الخير والفضائل ولكن ليس فيها نص صريح على العصمة من الذنوب مطلقاً ولذلك قال صاحب المواقف بعد ايراد تلك الآيات انها ليست بالقوية فيما هو محل النزاع وهو الكبيرة سهواً والصغيرة عمداً . وفي الكتاب والسنة أسناد الذنوب الى بعض الانبياء عليهم السلام وما جاز على بعضهم جاز على الآخرين والعلماء يأولون ذلك . وقصارى هذا كله وجوب الاعتماد على الدلائل العقلية والتوفيق بينه وبين ما ورد من أسناد الذنوب اليهم فاطلب ذلك من الدرس الآتي

باب الاستدلال بأدلة الوحي

(س ١) محمد توفيق افندي حمزه بالمشن (المنيا) : هل يوجد حديث صحيح بأن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بأسندتها وأن منه قوله تعالى « والمقيم الصلاة والمؤتون الزكاة » نرجو الرد على ذلك لازالة الشبهة

(ج) لم يرد في هذا المعنى حديث صحيح ولا ضعيف ولا موضوع ولكن الزنادقة الذين حاولوا العبث بدين الاسلام كما كان يفعل أمثالهم في الاديان الاخرى لما عجزوا عن زيادة حرف في القرآن أو نقص حرف منه لحفظه في الصدور والصحف أرادوا أن يشككوا بعض المسلمين فيه بتبني بعضهم من لسان الصحابة الكرام فزعم بعضهم ان عكرمة قال لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال « لا تغيروها فان العرب ستغيرها أو قال ستقرؤها بالسنتها لو كان الكاتب من ثقيف والملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف »

وفي لفظ آخر « أحسنتم وأجلمت أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب بالسنتها ولو كان الملي من هذيل والكاتب من فريش لم يوجد هذا » ولما تصدى المحدثون رضي الله عنهم لنقد الحديث والاثار من جهة الرواية الى راج في سوقها الطيب والخبيث تبين لهم في هذا الاثر ثلاث علل - الانقطاع والضعف والاضطراب فهو لا يمول عليه لو كان في الحث على فضائل الاعمال فكيف يلفت اليه في موضوع هو أصل الدين الاصيل وركنه لركس ومن يدرى ان كان الساطع من سنده مجوسى أو دهرى وسرايى على ان الحكمة الى نسبت الى عثمان تدل على ان اللحن في الرسم وأنه لا يمكن ما يشبهه في مرثته لانه لا يحتمل في النطق وجهاً آخر كرسم الصلاة وركاء واخياه ما و مثلاً (الصلاة الحيوه) ولكن الموسوسين حمو ذلك على نكت قديمه جاءت في المصحف على خلاف القواعد النحوية التي وضعها الناس كلام العرب وتحكموا بها عليهم ومن ذاك الآلهة في راي السائل وهي قوله تعالى « لکن الراسخون فی العلم »

والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمِينَ الصلاة
والمؤتُونَ الزكاة» وأتني لأعجب من دخیل فی لغة قوم یتحكم علیهم فی
شیء یتخرعه هو ویجمله أصلاً لها . وأعجب من هذا أن یتكون هذا
التحكم علی أصح شیء فی اللسان فان الذین یؤولون ما ورد عن بعض سفهاء
الاعراب من الشعر المخالف للقواعد أو یکتفون بأنه صحیح لأنه هكذا
سمِع یتوقفون فی بعض الکلم من القرآن إذا رأوا أنها علی خلاف القیاس .
علی ان علماء العربیة خرجوا تلك الكلمات علی ما یوافق قواعدهم من
وجوه مذكورة فی كتب التفسیر وكتب النحو لا محل لها هنا .
وسن فصل القول فی مسئلة جمع القرآن فی دروس الأمالی الدینیة بما
یشفی الصدور ان شاء الله تعالی

(س ٢) أحمد افندی الالانی فی أبی کبیر (شرقیة) : ما أقرب الطرق
لمعرفة أحكام العبادات من الكتاب والسنة ؛

(ج) الكتاب العزیز لم یفصل القول فی صور العبادات وإنما بین
روح العبادات والمقصود منها وفیه کیفیة الوضوء ، وذكر الركوع والسجود
من أعمال الصلاة والسنة بینت صورها وأذکارها . وأصحاب الكتب
السنة الی هی أصح كتب الحدیث انما اتوا كتبهم لمعرفة الدین منها فجامع
البخاری هو مذهبہ الذی یعتمد علیہ فی فهم الدین وقد قال بعض العلماء
ان منن أبی داود کافیة فیما یسیرط للاجتهاد من علم السنة . ویوجد کتاب
یسمى متقی الاخبار جمع فیہ صاحبه أحادیث الأحكام من الكتب الستة
ومن مسند الامام احمد وقد شرحه الامام الشوکانی وأورد فی شرحه
خلاف جمیع أئمة المسلمین المهورین من الصحابة والتابعین مع بان

الترجيح في الاستدلال واسم الشرح (نيل الاوطار) فهو أجمع كتاب في أحكام لدين من السنة وهدى سلف الأمة لمن هو أهل للفهم والاحاديث الشريفة أسهل فهماً من كلام العلماء ولكن لا يستغنى عن هدايتهم في معرفة ما يحتاج به وما يختلف مع غيره

(س ٣) ومنه : هل يفيد حفظ القرآن في اكتساب ملكة البلاغة كغيره من الكلام البليغ ؟

(ج) لعل سبب السؤال توهم ان القرآن في علو أسلوبه واعجازه لا يمكن أن يحتذي بلاغته ، من لا يطمع أن يبلغ غايته ، والصواب أن لحفظ القرآن مع فهمه أبلغ التأثير في ارتقاء ملكة البلاغة العربية ولقد ارتقى به كلام العرب أنفسهم فكان كلامهم في المنظوم والمنثور بعد الاسلام اعلى منه قبله . فالقرآن أنفع الكلام في ارتقاء اللغة كما انه أنفع في اصلاح لأرواح وتهذيب النفوس وإكمال العقول ولا يستلزم نفعه في ارتقاء البلاغة . كان التساق الى درجته ، والجري الى غايته ، وان لنا اعادة في هذه لمسئله ان شاء الله تعالى

(س ٤) اع . . ر . في لاسكندرية : لا يخفى مارسخ في أوهام العوام من مسئلة كرمات لا ولاء وخروج في فهم حقيقتها عن الحد الذي نهت عليه شريعة سمحة . وبغرضنا واحد من هؤلاء الدجالين الجهلاء المنتحلين لأنفسهم غير اعيان ولا سبحة خويله ينظر فيها عند رؤاه من العامة فيخبرهم بان يحصل لهم في خلد من خود فيصدقونه والمتبهون منهم ان سألوا من . . عن ذلك جوزوه بدعوى انه كرامة من غير توضيح ماهي كرامته . ومن كرم لله بها من عباده المتقين غير الدجالين الذين هم عن

صلاتهم ساهون . ولما كان للإسلام والمسلمين صوى « ومنار » كمنار الطريق يتخذونه
نبراساً لهم ودليلاً إن هم تاهوا في بقاء الحيرة وتيهور الضلال فقد أرسلت بهذه
السطور اليكم متمسكاً من بحر علمكم وواسع حكمتكم ان توضحوا بعدد المنار المقبل
(وان كان سبق توضيح) هل ورد في النسخ ما يجيز لاحد من الناس التهميم على
غيب علم الله الذي ستره عن عباده وإخبار الناس بما يصيهم من خير أو شر . فان
ضل او استشعر منه الخطأ والخطأ قال : « السبحة تابهة السبحة تابهة » فالمرجوان
بوضحوا لنا ذلك بمناركم المنير وتزيلوا هذه العيوم المتلبدة على العقول

(ح) لم يرد في كتاب الله ولا سنة نبيه عليه الصلاة والسلام ما يدل على جواز
هذه الدعوى لأحد بل ورد ما يدل على ان الانبياء عليهم السلام قد أمروا بأن
يتصلوا منها « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم
إني مَلَكٌ إِن أَنِيعُ الْإِمَامُ يُوْحِي إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ »
« قل لا أملك لنفسي شئاً ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مَسَّنِي السوء إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » — « قل لا يعلم
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ » والآيات في هذا المعنى كثيرة . واستشكى
بعضهم في علم الغيب عن النبي مع انه أخبر بكثير منه وأحسن جواب أحابوه ما تؤيده
الآيات كقوله تعالى « إِنْ أَنِيعُ الْإِمَامُ يُوْحِي إِلَيَّ » فنقول فيها أحسن . من ذلك كما
قال الله تعالى « وما ينطق عن الهوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى » وأما الذي فهو ما يتعاقب
بمصالح الدنيا وما يكون من أمر الناس فيها واستشهدوا له بالحديث الصحيح الوارد
في تأييد النحل وقوله لما خرج خلاف ما قاله عليه السلام : (أنتم أعلم بأمر دنياكم)
وفي رواية لمسلم : (ان كان شئ من أمر دنياكم فمناكم وان كان من أمر دينكم
فإلي) فالحديث يدل على ان الله تعالى لم يعط الانبياء معرفة الغيب في مصالح الناس في
ديارهم وإنما جعل علم الدنيا كسباً يعلمه الناس بالبحث والحد . أما هؤلاء الدخانون من
أصحاب الشبه ونحوهم فلا تزال تصاعدهم تروح مادام هذا الجهل فاشياً في جميع
طبقات الامة ولا يصح في الحامل التقليد الاعمي دليل ولا برهان . وراجعوا مقالات
(كرامات الاولياء) في ص ٤٠١ و ٤١٧ و ٤٤٩ و ٤٨١ و ٥٤٥ من مجلد المنار الثاني

القسم العمومي

الكتاب الموعود بنشره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المخلوقين وعلى آله وأصحابه أنصار دينه الأولين وعلى أتباعهم في مسالكهم الى يوم الدين .
أما بعد فاقول لما كان عهدنا هذا وهو أوائل القرن الرابع عشر عهداً عمّ فيه الخلل والضعف جميع المسلمين وكان من سنة الله في خلقه ان جعل لكل شئ سبباً فلا بد لهذا الخلل الطارئ والضعف النازل من أسباب ظاهرة غير سرّ القدر الخفي عن البشر . فدعت الحمية بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب السياسيين للبحث عن أسباب ذلك والتقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الإسلامية فأخذوا ينشرون آراءهم في ذلك في بعض الجرائد الإسلامية الهندية والمصرية والسورية والتاتارية . وقد اطلعت على كثير من مقالاتهم الغراء في هذا الموضوع الجليل واتبعت أثرهم بنشر ما لاح لي في حل هذا المشكل العظيم .

ثم بدا لي ان أسعى في توسيع هذا المسعى بعقد جمعية من سراة الأسلام في مهاد الهداية أعني (مكة) المكرمة فعقدت العزيمة متوكلاً على الله تعالى على اجراء سياحة مباركة بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع الافكار وتهيئة الاجتماع في موسم أداء فريضة الحج فخرجت من وطني أحد مدن الفرات في أوائل محرم سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف وكلي الألسن تنشد .

دَرَا نِيْ فَمَنْ يَدْفَعُ اَعْمَرِي يَدْفَنُ	وما نافع نوح متى قيل قد فني
دَرَا نِيْ قَدْ اِن الدِّينَ قَدْ زَالَ عِزُّهُ	وكان عزيزاً قبل ذا غير هين
فِيْكَانَ لَهُ اَهْلٌ يَوْقُونَ حَقَّهُ	بهذي وتلقين وحسن تلقن
يَا لَمْ وَأَهْلُ الْعَالَمِ اَحْلَاسَ يَتَهَمُ	اما صار فرضاً رأب هذا التوهن
هَامُوا نِيْ (اء القري) وَتَأْمَرُوا	ولا تقنطوا من رّوح رب مهين
قَدْ اَلَّذِي شَادَتْهُ الْاَسْيَافُ قَبْلَكُمْ	هو اليوم لا يحتاج الا الألسن

فساكت "ضريق البحري من اسكندرون معرجا على بيروت فدهشق ثم يافا
ثم جئت الإسكندرية فمهرتهم من السويس بمعت الحديد فصنعاء فصعدا الى

البصرة ومنها رجعت الى حائل الى المدينة على منورها أفضل الصلاة والسلام الى مكة المكرمة فوصلتها في أوائل ذي القعدة فوجدت أكثر الذين أجابوا الدعوة ممن كنت اجتمعت بهم من أفاضل البلاد الكبيرة المذكورة وسراتها قد سبقوني بموافاتها وما انتصف الشهر وهو موعد التلاقى الا وقدّم الباقون ماعدا الأديب البيروتي الذي حرّما القدر ملاقاته لسبب انبأنا عنه فعذرناه .

وفي أثناء انتظارنا منتصف الشهر سمعت مع بعض الاخوان الواقدين في تحري وتخيراتي عشر عضواً أيضاً لاجل اضافتهم للجمعية وهم من مراکش وتونس والقسطنطينية وبغجه سراي وتقليس وتبريز وكابل وكشغر وقازان وبكين ودهلي وكلاكته وايفربول . واذ كنت المباشرة لهذه الدعوة بادرت واتخذت لي داراً في حيّ متطرف في مكة لعقد الاجتماعات بصورة خفية ومع ذلك استأجرتها باسم بواب داغستاني روسي لتكون مصونة من التعرض رعاية للاحتياط . وقد انعقد من منتصف الشهر الى سايله اثنا عشر اجتماعاً غير اجتماع الوداع جرت فيها مذاكرات مهمة صار ضبطها وتسجيلها بكمال الدقة كما سيعلم من مطالعة هذا السجل المتضمن كيفية الاجتماعات مع جميع المفاوضات والمقررات غير ما آثرت الجمعية كتمه كما سيشار اليه .

﴿ الاجتماع الاول ﴾

يوم الاثنين خامس عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في اليوم المذكور انتظمت الجمعية للمرة الاولى واعضاؤها اثنان وعشرون فاصلا كلهم يحسنون العربية فبعد ان عرفت كلا منهم بياقي اخوانه وتعارفوا بالوجوه بادرتهم بتوزيع اثنان وعشرين قائمة كن مهيئات قبلا مطبوعات بمطبعة (الجلاتين) التي استعرتها من تاجر هندي في مكة لأجل طبع هذه القائمة وأمثالها من أوراق الجمعية محرراً في نسخ القائمة مختصر تراجم اخوان الجمعية جميعهم ببيان الاسم والنسبة والمذهب والمزبة لمخصوصة وموضحاً فيها أيضاً مفتاح الرموز التي يحتاج الاخوان لاستعمالها وأعضاء الجمعية هم السيد القراني ، الفاضل الشامي . البليغ القدسي . الكامل الاسكندري ، العلامة المصري ، المحدث اليميني ، الحافظ البصري ، العام النجدي . المحقق المدني ، الاسناذ المكي ، الحكيم التونسي . المرشد القاسي ، السعيد الانكليزي ، المولي الرومي ، الرياضي الكردي ، المجتهد التبريزي . العارف التاتاري ، الخطيب القازاني ، المدقق التركي ، الفقيه الافغاني . المصاحب الهندي . الشيخ السندي ،

الإمام الصوفي . ثم بادرت الاخوان جاهراً بكلمة شعار الأخوة التي يعرفونها من قبل وهي (لا نعبد الا الله) مسترعياً سمعهم وخاطبتهم بقولي : من كان منكم يعاهد الله تعالى على الجهاد في اعلاء كلمة الله والأمانة لاخون التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر بقوله (على عهد الله بالجهاد والامانة) ومن كان لا يطيق العهد فليعتزلنا وما جال نظري فيهم الا وسارع الذي عن يميني الى عقد العهد ثم الذي يليه ثم الذي يايه الى آخرهم . ثم التفت منهم ان ينتخبوا أحدهم رئيساً يدير الجمعية ومذاكراتها وآخر كاتباً يضبط المفاوضات ويسجل المقررات فاجابني العلامة المصري ان معرفة الاخوان بعضهم بعضاً جديدة العهد وانك أشملهم معرفة بهم فانا أنرك الانتخاب لك وما أتم رأيه هذا الا وأجمع الكل على ذلك فحينئذ اعلنت لهم اني أنخير للرئاسة الاستاذ المكي وأنخير نفسي لخدمة الكتابة تفادياً من اتعاب غيري في الخدمة التي يمكنني القيام بها واستأذنت الافاضل الاعجم منهم بنوع من التصرف في تحرير بعض الفاظهم فاطهر الجميع الرضاء والتصويب وصرح الاستاذ بالقبول مع الامتنان من حسن ظنهم به واستولى على الجمعية السكوت ترقباً لما يقول الرئيس .

أما (الاستاذ الرئيس) فقطب جبينه مستجمعاً فكره ثم استهل فقال : الحمد لله عالم السر والتجوى ، الذي جمعنا على توحيد دينه وأمرنا بالتعاون على التقوى . والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله انتصاراً لدينه لم يشغلهم عن اعزاز الدين شاغل وكان أمرهم شورى بينهم يسعي بذمتهم أدناهم اللهم اياك نعبد ، لا نخضع لغيرك ، واياك نستعين ، لا نتنظر نفعاً من سواك ولا نخشى ضرراً ، اهدنا الصراط المستقيم ، الذي لا خفيات ولا ثنيات فيه ، صراط الذين أنعمت عليهم ، بنعمة الهداية الى التوحيد غير المغضوب عليهم بما أشركوا ، ولا الضالين ، بعد ما اعتدوا سبحانه ربنا آتانا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً .

وبعد فيا أيها السادة الكرام كل منا يعلم سبب اجتماعنا هذا من مفاوضات أخينا السيد انقراي الذي أجبنا دعوته لهذه الجمعية شاكرين سعيه . ولذلك لا أرى لزوماً تابحث عن السبب كما لا أجد حاجة لتنشيط هممكم ، وتأجيح نار حميتكم ، لأننا كلنا في هذا الغناء سواء ولكن أذكركم بمخالصة تاريخ هذه المسئلة فاقول :

ان مسألة تقهقر الاسلام بذت الف عام أو أكثر وما حفظ عز هذا الدين المين كل هذه تقرون المنوالية الامانة الأساس مع انحطاط سائر الأمم عن المسلمين في

كل الشؤون الى ان فاقنا بعض الأمم في العلوم والفنون المنورة للمدارك فربت قوتها فتشترت نفوذها على أكثر البلاد والعباد من المسلمين وغيرهم ولم يزل المسلمون في سباتهم الى أن استولى الشلل على كل أطراف جسم الممالك الإسلامية وقرب الخطر من القلب أعنى (جزيرة العرب) فتذهت افكار من رزقهم الله بصيرة بالعواقب ووقفهم لنيل أجر المجاعدين فهبوا يذثرون المواقط والندكرة والمباحث المنذرة فكثرت المنذرون وتحركت الحواطر لكنها حركة متجيرة الوجهة ضائعة القوة فعسى الله أن يرشد جمعيتنا للتوصل الى توحيد هذه الوجهة وجمع هذه القوة .

وبتدقيق النظر في النشريات والمقالات التي جادت بها أقلام الفضلاء في هذا الموضوع نرى كلها دائرة على أربعة مقاصد ابتدائية

(الاول) منها بيان الحالة الحاضرة ووصف أعراضها بوجه عام وصفاً بديعاً يفيد التأثير ويدعو الى التدبير على ان ذلك لا يلبث الا عشية أو فحاهاء (والثاني) بيان ان سبب الخلل النازل، هو الجهل الشامل، بيان اجمال وتلميح، مع أن المقام يقتضي عدم الاحتشام من التفصيل والتشريح، (والثالث) انذار الأمة بسوء العاقبة المحدقة بها انذاراً هائلاً تطير منه النفوس مع أن الحال الواقع لا تغني فيه النذر . (والرابع) توجيه اللوم والتبعة على الأمراء أو العلماء أو على الأمة كلها لتقاعدهم عن استعمال قوة الاتفاق على النهضة مع ان الاتفاق وهم متشاكون متعذر لا متعسر .

فهذه المقاصد القولية قد استوفت حقها من أنواع بدائع الأساليب وآن أوان استثمارها وذلك لا يتم اذا لم يشخص المرض أو الأمراض المشتركة تشخيصاً دقيقاً سياسياً بالبحث أولاً عن مراکز المرض ثم عن جرائمه ليتعين بعد ذلك الدواء الشافي الأسهل وجوداً والأضمن نتيجة وبالتقريب نانيا عن تدبير إدخاله في جسم الأمة بحكمة تصرع العناد والوهم، وتتغلب على مقاومة أعضاء الذوق والشم .

ثم أظنكم أيها السادة تستحسنون الاكتنام الذي اختاره أكثر هؤلاء الكتاب الأفاضل لان لذلك محسنات بل موجبات شتى ينبغي ان تستعملها جمعيتنا أيضاً فلتحرص كلنا على الاكتنام لان من موجباته التزام كل منا المشرب العمري أعنى القول الصريح في النصيحة للدين بدون رياء ولا استحياء ولا مراعاة ذوق عامة أو عتاة لأن حياة المريض مهلكة وكنتم الامر المستفيض سخافة والدين النصيحة ولا حياة في الدين . ومن موجبات الاكتنام أيضاً ان كل ما يحتاج الفكر في موضوع، سألنا معروف عند الاكثريين ولكن بصورة مشددة والناس فيه على أقسام فصنف العلماء اما جبناء يهابون

الخوض فيه واما مراؤن مداجون يأتون أن تخالف أقوالهم أحوالهم وباقي الناس يأنفون أن يذعنوا لتصح ناصح صادق غير معصوم ولذلك كان القول من غير معرفة القائل ارعى لاسمع وأقرب للقبول والقناعة وأدعى للاجماع . .

ثم أظنكم أيها الاخوان تستصوبون أن تترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن متبعوها تقاييداً فلا نعرف ما أخذ كثير من أحكامها وان نعتمد مانعلم من الكتاب وصحيح السنة وثابت الاجماع وذلك لكبلا نتفرق في الآراء وإيكون ما نقرره مقبولا عند جميع أهل القبلة اذ أن مذهب السلف هو الاصل الذي لا يرد ولا تستكف الامة أن ترجع اليه وتجتمع عليه في بعض أمهات المسائل لان في ذلك التساوي بين المذاهب فلا يثقل على أحد نبذ تقليد أحد الائمة في مسألة تخالف المتبادر من نص الكتاب العزيز أو تباين صريح السنة الثابتة في مدونات الصدر الأول .

ولا يكبرن هذا الرأي على البعض منكم فما هو رأي حدث بين المسلمين بل جميع أهل جزيرة العرب ما عدا اخلاط الحرمين على هذا الرأي ولا ينبغي عليكم أن أهل الجزيرة وهم من سبعة ملايين الى ثمانية كلهم من المسلمين السلفيين عقيدة الخبالة أو الزيدية أو الشافعية مذهباً وقد نشأ الدين فيهم وبلغتهم فهم أهل وحامته وحافظوه وحماه وقاموا خالطوا الاغيار أو وجدت فيهم دواعي الغرباء والتفنن في الدين لاجل الفخار ولا يعظمون على البعض منكم أيضاً انه كيف يسوغ لأحدنا أن يشق بفهمه وتحقيقه مع بعد العهد ويترك تقايد من يعرف انه أفضل منه وأجمع علماً وأكثر احاطة واحتياطاً .

ولا أظن أن فينا من ليس في نفسه إشكال عظيم في تحري من هو الاعظم من بين الائمة والعلماء والأحرى بالاعتماد على تحقيقه لوجود اختلافات واضطرابات مهمة بينهم ما بين نفي وإثبات حتى في كثير من الامور التعبدية الفعلية التي مأخذها المشاهدة المتكررة الوف مرات مثل هل كان النبي عليه الصلاة والسلام ثم جمهور أصحابه عليهم الرضوان يصلون وتر العشاء بتسليمية أم بتسليمتين وهل كانوا يقتنون في اوتر أم في الصبح وهل كان المؤمنون يقرأون أم ينصتون وهل كانوا يرفعون الأيدي عند تكبيرات الانتقام أم لا يرفعون وهل يعقدون الأيدي أم يرسلونها . فاذا كان الائمة والعلماء الأقدمون هذا شأنهم من التباين والتخالف في تحقيق كيفية عبادة فعلية هي عماد الدين "عني" صلاة "التي هي من المشهودات المتكررات وتؤدي بالجووع والجهد فكيف يكون شأنهم في الاحكام التي تستند الى قول أو فعل أو سكوت صدر عن نبي صلى الله عليه وسلم مرة أو مرات فقط ورواها فرد أو افراد .

فعلى هذا لا أرى من مانع ان تترك النقول المتخالفة خصوصاً منها المتعلق
بالبعض القليل من الأصول ونجتمع على الرجوع الى ما تفهمه من النصوص أو ما
يحقق عندنا حسب طاقتنا انه جرى عليه السلف وبذلك نتحد وجهتها ويتسنى لنا
الاتفاق على تقرير ما نقرره ويقوى الامل فى قبول الأمة هذا ما ندعوها اليه .
وانى أسألكم أيها السادات انه ينبغي ان لا يهولنا ما ينبسط فى جمعيتنا من تفاقم
اسباب الضعف والفتور كيلا نبأس من روح الله وان لا نتوهم الإصابة فى قول من
قال اننا أمة ميتة فلا ترجى حياتنا كما لا إصابة فى قول من قال اذا نزل الضعف فى
دولة أو أمة لا يرتفع فهذه الرومان واليونان والأمريكان والطيالان واليابان وغيرها
كلها أم أمثالنا استرجعت نشأتها بعد تمام الضعف وفقد كل الوازم الادبية للحياة
السياسية بل ليس يتنا ولا سيما عرب الجزيرة منا وبين أعظم الأمم الحية المعاصرة
فرق سوى فى العلم والاخلاق العالية على ان مدة حضارة العلم عشرون عاماً فقط ومدة
حضارة الاخلاق أربعون سنة . فعلى ان نشق بعنايه الله الذي لا يعبد سواه وبهذا
الدين المدين الذي نشر لواء عزه على العالمين ولم يزل بالنظر لوضعه الالهى ديناً خيفاً
متيناً محكماً مكيناً لا يفضله ولا يقاربه دين من الاديان فى الحكمة والنظام ورسوخ البنيان
ثم أيقنوا أيها الاخوان ان الامر ميسور وان ظواهر الاسباب ودلائل الاقدار
مبشرة بأن الزمان قد استدار ونشأ فى الاسلام أنجاب أحرار وحكماء أبرار يعدّ
واحدتهم بألف وجمعهم بألف ألف فقوة جمعية منتظمة من هؤلاء النبلاء كافية لأن
تخرق طبل حزب الشيطان وتستعري سمع الأمة مهما كانت فى رقاد عميق وتقودها
الى النشاط وان كانت فى قنور مستحكم عتيق على ان محض انعقاد جمعيتنا هذه
لمن أعظم تلك المبشرات خصوصاً اذا وفقها الله تعالى بعنايته لتأسيس جمعية قانونية
منتظمة لأن الجمعيات المنتظمة يتسنى لها الثبات على مشروعاتها عمراً طويلاً يفي بما
لا يفي به عمر الواحد الفرد وتأتي باعمالها كلها بعزائم صادقة لا يفسدها التردد وهذا
هو سر ما ورد فى الأثر من أن يد الله مع الجماعة وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم
بالعظام وتأتي بالعجائب وهذا هو سر نشأة الأمم الغربية وهذا هو سر النجاح فى كل
كل الاعمال المهمة لان سنة الله فى خلقه ان كل امر كلياً كان أو جزئياً لا يحصل
الا بقوة وزمان متناسين مع أهميته وان كل امر يحصل بقوة قليلة فى زمان طويل
يكون أحكم وأرسخ وأطول عمراً مما اذا حصل بمزيد قوة فى زمان قصير . وكلنا .

عصية حضرية حمقاء تفور سريعاً وتفور سريعاً
واذا تفكرنا ان مبدأ اعظم الأعداد اثنان فكذلك مبدأ الجمعيات شخصان ثم
تزايد حتى تكمل وتقلب اشكالا حتى ترسخ فلي هذا لايبعد ان يتم لنا انعقاد جمعية
منتظمة نتقده الآمال بناصيتها . ولا ينبغي الاسترسال مع الوهم الى ان الجمعيات معرضة
في شرقنا لتيار السياسة فلا تعيش طويلا ولا سيما اذا كانت فقيرة ولم تكن كغالب
(الأكاديميات) أي الجامع العلمية تحت حماية رسمية بل الالىق بالحكمة والحزم
الاقدام والثبات وتوقع الخير الى أن يتم المطلوب .

هذا وان شرقنا مشرق العظام والزمان أبو المعجائب وما على الله بعزير ان يتم
لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهوري اذا نادى مؤذنها حتى على الفلاح في رأس
الرجاء يبلغ أقصى الصين صدام . ؟

ومن المأمول أن تكون الحكومات الاسلامية راضية بهذه الجمعية حامية لها ولو
بعد حين لأن وظيفتها الأساسية أن تنهض الأمة من وهدة الجهالة وترقي بها في
معارح المعارف متباعدة عن كل صبغة سياسية وسنعود لبحث الجمعية فيما بعد .
ولنبداً الآن بتشخيص داء الفتور المستولي على الامة تشخيصاً سياسياً مدققاً
فارجوكم أيها السادات أن يعمل كل منكم فكره الناقد فيما هو سبب الفتور ليسين رأيه
وما يفتح الله به عليه في اجتماعات التي نوالها كل يوم ماعدا يومي الثلاثاء والجمعة من
بعد طلوع الشمس بساعة الى قبيل الظهر أعني الى ما بعد مثل هذا الوقت بساعة
ففتتح كل اجتماع بقراءة ضبط المذاكرات التي جرت في الاجتماع السابق ثم شرع بالمفاوضات
واني أختم اجتماعنا اليوم ببرناج المسائل الأساسية التي تدور عليها جمعيتنا وينبغي
لكل منا ان يفكر فيها ويدرسها وهي عشر مسائل

(١) موضع الداء (٢) اعراض الداء (٣) جراثيم الداء (٤) ماهو الداء (٥) ماهي
وسائل استعمال الدواء (٦) ماهي الاسلامية (٧) كيف يكون الدين بالاسلامية (٨)
ما هو الشرك الخفي (٩) كيف تقاوم البدع (١٠) تحرير قانون لتأسيس جمعية تعاليمية
ولما انتهى خطاب الرئيس وانتهت الجلسة قال السيد الفراتي : أرى أن يقيد كل منا هذه
المسائل العشر في جانب من ورقة التراجع لاجل التذكرة ففعلوا . ثم دعاهم الى الطعام
فاجابوا وكان حديثهم على المائدة استقصاء أخبار المهتدين في ليفربول من السعيد الانكليزي .
وبعد ان طعموا عرض عليهم الشاي والقهوة والسراب المثلوج فاختار كل ما ألف وأحب
ثم انصرفوا أزواجاً وفرادى مجبيين دعوة خير الدعاة . اذ كان قد دنا وقت الصلاة :

أثر علي بن أبي طالب عليه السلام

علم تلامذة العرب وبلاغتهم

جاء في أمالي أبي علي القالي مانصه : حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن هارون الأشناندي عن النوزي عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان لرجل من مَقَاوِل حمير ابنان يقال لاحدهما عمرو وللآخر ربيعة وكانا قد برعا في الأدب والعلم فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفى على الفناء دعاها ليلا عقولهما ويعرف مبالغ علمهما فلما حضرا قال لعمرو وكان الأكبر : أخبرني عن أحب الرجال إليك ، واكرمهم إليك ، قال : السيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الباسل الذوؤاد ، الصادر الورؤاد ، قال ماتقول ياربعة ؟ قال ما أحسن ما وصف وغيره أحب الي منه قال ومن يكون بعد هذا ؟ قال : السيد الكريم ، المانع للحريم . المفصال الحليم ، القمقام (١) الزعيم ، الذي ان هم فعل ، وان سئل بذل ، .

قال أخبرني يا عمرو بأبغض الرجال إليك ، قال . البرمُ اللثيم ، (٢) المستخذي الحصيم ، (٣) المبطان النهم . (٤) العيُّ البكم ، (٥) الذي ان سئل منع . وان هدد خضع ، وان طلب جشع ، (٦) . قال ماتقول ياربعة ؟ قال غيره أبغض الي منه . قال ومن هو ؟ قال . النمومُ الكذوب ، الفاحش الغضوب ، الرغيب عند الطعام ، (٧) الحيان عند الصدام ، قال أخبرني يا عمر أي النساء أحب إليك ؟ قال الهر كَوَاةُ اللِّفَاء ، (٨)

(١) القمقام من أسماء البحر ويطلق على السيد الكريم . ويطلق أيضاً على الدنيء أخذاً من قَمَمَ فلان ما على المائدة كتقممه وأقمته اذا تابعه وأتى عليه (٢) البرم بالتحريك ثمر العضاء وهو لا ينتفع به فيطلقونه على الرجل لاخير فيه والبرم أيضاً من لا يدخل مع القوم في الميسر وهو جدير بالاستعمال (٣) استخذي — خضع وذل وأقبح بالمستخذي كثير الحصومة (٤) المبطان كير البطن من كثرة الاكل والنهم والنهم الشره (٥) العي العاجز عن الافصاح بالقول والبكم الا بكم (٦) الشجع الحرص على الاكل وغيره (٧) في الاساس : رجل رغيب واسع الجوف أ كول (٨) الهر كَوَاة الحسنه الجسم والحق والمشية والجارية الضخمة الاوراك . والاماء مؤنث الالف وهي الضخمة الفخذين

المذكورة الحيداء ، (٩) التي يشفى السقيم كلامها ، ويرى الوصب إلامها ، (١٠) التي ان احسنت اليها شكرت ، وان أسأت اليها صبرت ، وان استعبتا أعتبت ، (١١) الفاترة الطرف . الطفلة الكف ، (١٢) العميمة الردف ، قال ما تقول ياربعة ؟ قال نعم فأحسن وغيرها أحب الي منها قال ومن هي ؟ قال . الفتاة العنين ، الاسيلة الحدين ، الكاعب الثدين ، الرذاح الوركين ، (١٣) الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرخيمة الكلام . الجماء العظام ، الكريمة الاخوال والأعمام ، العذبة اللثام .

قال فأي النساء أبغض اليك يا عمرو ؟ قال القاتاة (١٤) الكذوب ، الظاهرة العيوب ، الطوافة الهبوب ، (١٥) العابسة القطوب ، السبابة الوثوب ، التي إن اتنمها زوجها خانت ، وإن لان لها اهانت ، وان أرضاها اغضبت ، وان أطاعها عصته ، قال ما تقول ياربعة ؟ قال بئس والله المرأة ذكر وغيرها أبغض الي منها قال : وأين التي هي أبغض اليك من هذه ؟ قال . السليطة اللسان ، المؤذية لاجيران ، الناطقة بالبهتان . التي وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التي ان عاتبها زوجها وترته ، (١٦) وان ناطقها انهرته ، قال ربيعة وغيرها أبغض الي منها . قال ومن هي ؟ قال التي شقي صاحبها ، وخزي خاطبها ، واقضح أقاربها ، قال ومن صاحبها ؟ قال صاحبها . ثامها في خصامها كلها . لاتصاح إلا له ولا يصاح إلا لها ، قال فصفه لي . قال الكفور غير الشكور ، الشيم الفخور ، العبوس الكالج ، الحرون الجاهج ، الراضي بالهوان ، المختال المنان ، الضيف الجنان . الجعد البنان ، (١٧) القؤول غير الفعول ، الملول غير الوصول ، الذي لا يرع عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .

قال فأخبرني يا عمرو أي الخيل أحب اليك عند الشدائد ، اذا التقى الأقران لاجالده . ؟ قال . الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفيت العريق ، (١٨) الشديد الوثيق . الذي يفوت اذا هرب ، ويأحق اذا طاب . قال نعم الفرس والله نعم فما

(٩) المذكورة — المطوية الخاق . والحيداء الطويلة الحيد الحسنة (١٠) الوصب

المريض والالام الزيارة (١١) اي ان استرضيتها أرضت (١٢) الطفلة الناعمة (١٣) النقياتهما (١٤) التامة (١٥) يصفها بكثرة الطواف كالريح ويحسن من المرأة أن تقر في بيتها ١٦ « الوتر الثار ووتره أصابه بالوتر أو ظلم فيه ووتره عمله أوحقه نقصه اياه ١٧ « البخيل المتقبض الكف ١٨ « الكفيت السريع والعريق ماله عرق في الكرم أو اللؤم

تقول ياربعة؟ قال غيره أحب اليّ منه، قال وما هو؟ قال الحصان الجواد، السليس القياد، الشهم الفؤاد، الصبور اذا سرى، السابق اذا جرى، قال فأيّ الخيل أبغض اليك يا عمرو؟ قال الجموح الطمّوح، التّكول الأ نوح، (١٩) الصّؤول الضعيف، الملول العفيف، الذي ان جاريته سبقته، وان طالبتة أدركته، قال فما تقول ياربعة؟ قال غيره أبغض اليّ منه. قال وما هو؟ قال، البطي الثّقل، الحرون الكليل، الذي ان ضربته قمص. (٢٠) وان دنوت منه شمس، يدركه الطالب، ويقطع بالصاحب، قال ربيعة: وغيره أبغض اليّ منه. قال وما هو؟ قال الجموح الخبوط، (٢١) الركوض الخروط، (٢٢) الشمسوس الضروط، المقطوف (٢٣) في الصعود والهبوط، الذي لا يسلم الصاحب لعابها بالصاحب، ولا ينجو من الطالب

قال أخبرني يا عمرو أيّ العيش الذّ؟ قال عيش في كرامة، ونعيم وسلامة، واغتياب مدامة، قال ما تقول ياربعة؟ قال نعم العيش والله وصف وغيره أحب اليّ منه. قال وما هو؟ قال، عيش في أمن ونعيم، وعز وغنى عميم، في ظل نجاح، وسلامة مساء وصباح، وغيره أحب اليّ منه قال وما هو؟ قال غنى دائم، وعيش سالم، وظل ناعم،

قال فما أحب السيوف اليك يا عمرو؟ قال الصّقيل الحسام، النائر المجذام. الماضي السّطام. (٢٤) المرهف الصمصام. الذي اذا هزّزته لم يكب. واذا ضربت به لم ينب، قال ما تقول ياربعة؟ قال نعم السيف نعت وغيره أحب اليّ منه. قال وما هو؟ قال. الحسام القاطع، ذو الرونق اللامع، الظمان الجائع، الذي اذا هزّزته هتك، واذا ضربت به بتك، (٢٥) قال فما أبغض السيوف اليك يا عمرو؟ قال الفطار الكهام (٢٦) الذي اذا ضرب به لم يقطع، وإن ذبح به لم ينخ (٢٧) قال ما تقول ياربعة؟ قال بئس السيف والله ذكر وغيره أبغض اليّ منه. قال وما هو؟ قال الطبع الدّدان، (٢٨)

١٩. نكل عن الشئ نكص ولم يقدم أو هم بالشئ وهاب آتيانه. وأنح أنحاً وأنوحاً زحر من نقل مرض أو بهر نفس. والأ نوح أيضاً البخيل يتنحج اذا سئل (٢٠) قص الفرس ونحوه استن اي رفع يديه ممأ ووضعها ممأ (٢١) الذي ينبط الارض برجله (٢٢) الجموح يجتذب الرسن من ممسكه (٢٣) الذي يسى السير ويبطى (٢٤) الحد (٢٥) قطع (٢٦) الفطار مافيه تشقق فلا يقطع والكهام الكليل لا يمضي (٢٧) نخم الذبيحة جاز بالذبح الى النخاع وذلك أقصاه (٢٨) الطبع الصدي

المعضد (٢٩) المهان .

قال فأخبرني يا عمرو أي الرماح أحب إليك عند المراس ، اذا اعتكر الباس ،
واشتجر الدعاس ، (٣٠) قال أحبها الى المارن المثقف ، (٣١) المقوم المخطط ، (٣٢) الذي
اذا همزته لم يعطف ، واذا طعنت به لم يتقصف . قال ما تقول ياربعة ؟ قال نعم الرمح
نعت وغيره أحب الي منه . قال وما هو ؟ قال الذابل العسال ، المقوم النسال ، (٣٣)
الماضي اذا همزته . التافذ اذا همزته ، [٣٤] قال فأخبرني يا عمرو عن أبغض الرماح
إليك . قال الأ عصل [٣٥] عند الطعان ، المثام السنان . الذي اذا همزته انعطف . واذا
طعنت به اتقصف . قال ما تقول ياربعة ؟ قال بئس الرمح ذكر وغيره أبغض الي منه . قال
ما هو ؟ قل الضعيف المهز ، اليبس الكز ، [٣٦] الذي اذا اكرهته انحطم ، واذا
طعنت به اتقصم ، قال انصرفا الآن طاب لي الموت اه فهل نجد في تلامذتنا أو شيوخنا
من يلم بمثل هذه المعاني أو يحسن مثل هذا الوصف ؟ أنى ولالغة لنا ولا علم الا بلغة حية
مرتقية فليرجع القاري الى ما جاء في نبذة التفسير من الحكم بأننا أجهل الجاهلية الاولى

الهدايا والتفاريظ

(سلم الارتقاء . لمعرفة دروس الاشياء) مجموعة كتب علمية في التاريخ الطبيعي
وحفظ الصحة والتدبير المنزلي والاشياء الطبيعية ، شرع في تأليفها الفاضل
محمد أقدي أمين من موظفي الادارة بنظارة الاشغال العمومية وقد صدر الجزء
الاول منها وفيه ٣٦ درساً في مباحث التاريخ الطبيعي العمومية مع شئ من التفصيل
في الانسان . والغرض الاول من هذا الكتاب تسهيل فهم هذه العلوم على تلامذة
المدارس فانهم يتعلمونها باللغة الاجنية في أثناء تعلم اللغة فيعسر عليهم فهمها كما يعسر
عليهم فهم الكتب العربية المؤلفة فيها لانها لم توضع للمبتدئين . وقد تكرم المؤلف
الفاضل باهداء باكورة عمله الينا ورغب الينا أن ندله على غلظه ليصاحبه في طبعة ثانية

والددان الكهام « ٢٩ » الذي يهان بعضد الشجر أي قطعه « ٣٠ » الدعاس الطعان واشتجروا
احتافروا وتشاجروا بالرمح طاعنوا « ٣١ » اللين المقوم « ٣٢ » لا أعرف وصفاً لارمح
من حرف خطف ومن معانيه المناسبة استابه بسرعة « ٣٣ » السريع والعسال اللين المتحرك
« ٣٤ » دفعته طاعناً « ٣٥ » الاعوج المتلوي « ٣٦ » اليبس

ولكن بعض الاصدقاء أخذ الكتاب منا ليطلع عليه ويعيده بعد يوم أو يومين فعرض ما اوجب تأخير ارجاعه زمناً طويلاً ولذلك لم تمكن من مطالعته ولكتنا تصفحنا قليلاً منه فالفينا في غاية السهولة فتعنى ان يقبل عليه مع التلامذة نهاء المجاورين في الازهر الذين سألونا عن كتاب في هذا الفن يسهل عليهم فهمه من غير استاذ . وأسلوب كتابة الكتاب أسلوب الجرائد السيارة وفيها من الانتقاد مانود ان نذكر المؤلف فيه مشافهة . وفي آخر الكتاب عدة رسوم وثمنه خمسة قروش فقط

(الاحاطة في أخبار غرناطة) تاريخ عظيم لاديب الاندلس الشهير الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب عثرت عليه شركة طبع الكتب العربية فاختارت طبعه وقد صدر الجزء الاول منه مطبوعاً طبعاً متقناً . وهو مبتدأ بكلام عام في تلك العاصمة كوضعها وفتحها ونزول العرب الشاميين بها وما آل اليه حال سكانها الاولين معهم وحال ما يتصل بها وينسب الى كورتها ووصف سورها ونحو ذلك وسائر الكتاب في تراجم من نشأ فيها من رجال السيف والقلم من الرجال والنساء . ولا شك ان كل قارئ بالعربية يتشوق الى معرفة تاريخ الاندلس التي كانت أكبر نخر للعرب في العلم والمدنية وكل محب للأدب يتلذذ بقراءة كتابة لسان الدين بن الخطيب البليغة وكفى بهذين تشويقاً وترغيباً ولكتنا أسفنا لما رأينا في الكتاب من الغلط والتحريف كأكثر المطبوعات الجديدة وانما نهنا على هذا لأن هذه الشركة أقدر على ضبط كتبها من الأفراد الذين يجرون بطبع الكتب ولعل عذرهما في هذا الجزء انه لم يوجد منه الا نسخة واحدة وثمنه ١٥ قرشاً وصفحاته ٣٧٥

(الانصاف في التنبيه على الاسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم) تصنيف العلامة عبدالله بن محمد بن السيد البطلاني الأندلسي الشهير واسم الكتاب يدل على سمو موضوعه وهو على اختصاره قد جمع من الفوائد في بابه ما لم يجمعه الأسفار الكبيرة ولا شك انه من أنفع الكتب التي ألفها سلفنا . وقد طبعه واءتى بضبطه وتصحيحه وشرح أبياته وتفسير غريبه أخونا الفاضل الشيخ احمد عمر الحمصاني الأزهرى بمراجعة امام اللغة في هذا العصر الاستاذ الشيخ محمد محمود الشنقيطي الشهير فنحت جميع الذين يعولون على رأينا في اختيار الكتب النافعة على قراءته وثمنه ثلاثة قروش ولولم أظفر به الا بثلاثة دنائير لبذاتها مرتاحاً وسنعود الى الاقتباس منه بعد مرشد مأموري الضبطية القضائية . في ضبط الوقائع الجنائية .

لقد أحسن صنفاً الفاضل محمد بك صبري عضو النيابة بمحكمة الزقازيق بتأليف

رسالة سهلة العبارة في كيفية ضبط الوقائع الجنائية ليستعين بها العمد ومأمورو الضبطية فيما يعهد اليهم من هذا العمل العظيم الذي يتعلق بحفظ الدماء والاعراض وأكثر العمد والمأمورين جهلاء بالطرق التي تتبع في ذلك ويصعب عليهم الاستمداد من كتب القوانين فسهل لهم هذا المؤلف ذلك فمضى ان يقبلوا عابه ويحيطوا بما فيه . وهو مطبوع طبعاً حسناً بمطبعة الشعب ويطلب من مكتبة الشعب ومن حضرة مؤلفه (المصوّر) جريدة أسبوعية سياسية أدبية مصورة بالالوان أنشأها حديثاً أحد الكتاب المشهورين بأنارهم القلمية في المؤلفات العصرية والجرائد اليومية الفاخر خليل اقدى زينية وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً أميرياً في السنة وهي جريدة بالرواج « الرأي العام » جريدة مشهورة في مصر يمتاز صاحبها البارع اسكندر اقدى شلهوب بأسلوب في كتابة الجرائد يجذب القارئ الي المطالعة فاذا أخذ جريدته قرأها كلها بلذة وان كان ممن لا يقرأون من الجرائد الا ما يحبون موضوعه . وقد كانت احتجبت ثم أسفرت فمضى ان تظل مسفرة دائماً

باب الاخبار والاراء

﴿ حرية الجرائد والشعور العام بالفضيلة في مصر ﴾

أكبر النعم التي منحتها مصر في عهد الاحتلال الأجنبي من العام وحرية المطبوعات . ومن العجائب ان المتمتعين بهذه الحرية يشكون في هذه الأيام منها ويطلب بعضهم ان تقيد الحكومة هذه الحرية المطلقة كمن يطلب احتكار الهواء الذي يحيا به الناس ليعطوا منه بقدر ما يراه المحتكر لازماً لحياتهم . هذا ما يظهر بادي الرأي من الذين يردون على طالبي التقييد على انه لم يطلبه أحد ونحن نذكر الحقيقة مع بيان السبب ، كثرت الجرائد الأسبوعية في مصر وأكثر أهلها ليسوا من اهل الصحافة فلا استعداد عندهم لجعلها حاجة من حاجات البلاد ولذلك أشرعوا لهم طريقاً جديداً وهو التثديد او التعريض بمساوي الاشخاص وقد وجدوا في هذا الطريق لما جا وعوارض يرضون بها قرومهم فمن الناس من يقتدي عرضهم منهم بقليل من المال أو العروض ومنهم من يغريهم بدم عدوله بأجر معلوم وقد أطمعهم معاملة هؤلاء السفهاء بعضهم بالفضلاء فلم يسلم منهم صنف من الاصناف وقد اكثروا في هاتين السنتين من الخوض « بالعية السنية ... » والارجاف بأعمالها

هذا كله — والرأي العام ساكت عنهم فما الذي اقام عليهم القيامة في هذه الأيام، وافاض التبرم والشكوى على جميع اللسان والاقلام؟ الجواب عن هذا السؤال يعرفه كل من يقرأ الجرائد المصرية وانما نذكره صريحاً لانه من المبشرات بدخولنا في الحياة الاجتماعية بعد ان كانت حياتنا فردية آحادية وليكون مسجلاً في تاريخ مصر الأدبي وهو: ان جريدة (حمارة منيتي) الهزلية التي تكتب غالباً باللغة العامية المصرية قد طغنت من عهد قريب بفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فهاج الرأي العام في مصر للطعن بهذا الامام العظيم وذهب الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر بنفسه الى محكمة مصر الكبرى وطلب من رئيس النيابة فيها محاكمة صاحب جريدة الحمارة بعد أن طلب مقابلة النائب العمومي فقبل له انه مسافر وتقدمت المحاضر العمومية من العلماء وطلاب الأزهر ومن الاهالي في القاهرة ومن بعض البلاد في خارجها يطلبون محاكمته وانطلقت أقلام الكتاب والشعراء في ذم صاحب الحمارة وأجمعت الجرائد على ذمه وانبرى بعض الكتاب لإحصاء عيوب جريدته منذ أن نشئت وذكر وامنّا هانة القرآن وافساد الآداب وافساد اللغة والطعن بالسلطان والامير وغير ذلك . وقد قال بعض الأدباء ان بعض هذه الذنوب أكبر عقوبة من الطعن بمفتي الديار المصرية فلماذا سكّت الناس عنها الى الآن وقد ذكر صاحب الحمارة نفسه هذا المعنى في مقدمة العدد الاول من السنة الخامسة ونصه: « قل لي بحقك ما الذي جناه صاحب الحمارة اليوم حتى قامت عليه هذه القيامة وما هي بالله تلك الخطيئة التي ارتكبتها واستحق عليها الملام ، حتى اتجهت اليه أسنة الاقلام . وانصبت عليه كل هذه السهام ، فلم يبق في أرض مصر جريدة ولا مجلة ولا قصيدة الا وقد حملت عليه ، يعد أن كانت في العادة تحمل منه لا عليه ، ولم يبق شاعر ، ولا كاتب واعر ، الا وحرك في ذكرا مشقته ، كأنهم يريدون ابتلاعه بكل ماله ، » الخ هذا هو السبب في تألم الرأي العام من اطلاق المطبوعات ، وما من شيء في هذا الوجود الا وله سيئات وحسنات ، وهو دأبل على ان الأمة المصرية قد دب فيها الشعور بشؤون الحياة الاجتماعية وصار الرأي العام يعرف لذى الفضل فضله ولذا طلب بعض أعضاء الجمعية العمومية الرغبة الى الحكومة بالاتفاق مع وكلاء الدول لوضع قانون عام عادل لفوضوية المطبوعات ليأمن كل انسان على عرضه واستحسن رأيه هذا بعض أصحاب الصحف الكبيرة وعده الآخرون وسيلة لتقييد حرية الصحافة والمطبوعات فانكروه ولا يزالون يتناقشون فيه وهم متفقون على ان حرية الطباعة والصحافة حسناتها أكثر من سيئاتها بأضعاف مضاعفة . واذا رجعنا الى مثلنا الأول نقول ان هذه الحرية كالهواء

الذى هو شرط للحياة فاذا مرّ في بعض الأيام على حيفة فحمل إلينا ريحها أو هبّ شديداً فأثار الغبار في وجوهنا فلا شك أننا نبادر الى ذمه والشكوى منه ولكننا لا نطالب انقطاعه وإنما نطالب منع الحيف من طريقه وإزالة الغبار برش الأرض بالماء فلا خلاف إذن بين الناس في وجوب بقاء هذه الحرية

أما إزالة هذه الحيف فأمثل طرقها تصدي النيابة العمومية لمحاكمة أصحابها فيجب عليها أن تحاكم كل من ينتهك حرمة الآداب وينال من أعراض الناس وإن لم يطلب ذلك ممن يطعن فيه فإن لم تقم النيابة بهذه الخدمة الامة فيجب على الناس أن يحاكموا من يطعن فيهم الا عثرة الكريم فانها تقال شرعاً وأدباً . والامتناع عن محاكمتهم توهم ان ذلك يعلي شأنهم أو يخفض شأن من يحاكمهم خطأ كبير فإن الحدود والعقوبات لم تسن في الشرائع الألهية ولم توضع في القوانين البشرية الا لهؤلاء المعتدين « أم حسب الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محباهم ومحباهم ساء ما يحكمون »

وأما صاحب الحمارة فقد حاكمته النيابة العمومية فحكم عليه بالسجن مدة ثلاثة أشهر وبالنفقات ولم يدخل المفق في الدعوى مطلقاً ولا طلب حقاً مديناً . وكان في الجرائد التي حملت على صاحب الحمارة جريدة طابت من المفقى العفو عنه ولو كان هو الذى طالب ذلك ثانياً لأجيب طلبه قطعاً فإن الاستاذ سليم القاب واسع الحلم لا يحب أن ينتقم لنفسه على أن ما كتبه الحمارة كان أكبر خدمة له لأنه أظهر أن له مكانة عالية في نفوس خواص الأمة وعوامها لا يدانيه فيها أحد مع العلم القطعي لكل أحد بأنه بريء من سبب نهاق الحمارة براءة عائشة من أفك المتأقين وصاحب الحمارة نفسه يعتقد ذلك أيضاً لأن هذيانه لم يكن مبدأ الا على الاستنباط من صورة اخترعها بعض المفسدين أما العبرة التي نقصدها من ايراد هذه المسئلة فهي إزالة شبهة عاقت في أفهام أكثر الناس فكانت أضرا اعتقاد تقليدوه وهي أن من يشتغل بالعلوم الحقيقية ويتحاقق بالأخلاق الفاضلة والسجيا الكاملة كالصدق والمروءة وعملو الهمة وبذل المعروف والسعي في خير الناس ومنفعتهم لا ينجح في عمله ولا يعرف له أحد فضله ويستدلون به مثال يضر بونها قد اشتبه عليهم حقها بباطلها وهذا المثل الحق الذى يدحضها وهو أن الشيخ محمدا عبده سلك هذه الطريقة فحل من نفوس الامة محملاً عالياً ونال فيها اسم سميّ مازاحه فيه عالم ولا أمير ، ولا شاركة فيه غني ولا وزير ، والعاقبة كما قال الله تعالى للمتقين .

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المَشَايَا

١٣١٥

فيشرح عبادي الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصرفى يوم الجمعة ١٦ محرم الحرام سنة ١٣٢٠ — ٢٥ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢)

القسم الدينى

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ
فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . — الآيات

(تمهيد للقصة ومذهب السلف والخلف في التشابهات)

ان أمر الخلقة وكيفية التكوين من الشؤون الالهية التي يعز الوقوف
عليها كما هي وقد قص الله تعالى علينا في هذه الآيات خبر النشأة الانسانية
على نحو مايؤثر عن أهل الكتاب من قبلنا ومثل لنا المعاني في صور
محسوسة وأبرز لنا الحكم والاسرار، بأسلوب المناظرة والحوار، كما هي
سننته في مخاطبة الخلق، وبيان الحق، وقد ذهب الاستاذ الى أن الآيات
من التشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها لأنها بحسب قانون

التخاطب إما استشارة وذلك محال على الله تعالى وإما إخبار منه سبحانه للملائكة واعتراض منهم ومحااجة وجدال وذلك لا يليق بالله تعالى أيضاً ولا بملائكته ولا يجامع ما جاء به الدين من وصف الملائكة المقربين ككونهم « لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » ثم أورد الاستاذ مقدمة تمهيدية لفهم القصة فقال مأمثاله :

أجمعت الأمة الاسلامية على ان الله تعالى ليس بجسم ولا يشبه الاجسام وشذت فرقة من الحشوية لا يقيم لها الدين وزناً فنعتد بها وقد قام البرهان العقلي والبرهان النقلى على هذه العقيدة فكانت هي الأصل المحكم في الاعتقاد الذي يجب ان يرد اليه غيره وهو التنزيه . فاذا جاء في نصوص الكتاب أو السنة شيء يناهى ظاهره التنزيه فللمسلمين فيه طريقتان (احدهما) طريقة السلف وهي التنزيه الذي أيد العقل فيه النقل كقوله تعالى « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » وقوله عز وجل « سبحانه ربك رب العزة عما يصفون » وتفويض الأمر الى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك مع العلم بأن الله يعلمنا بمضون كلامه مانستفيد به في أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا و (الثانية) طريقة الخلف وهي التأويل . يقولون ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على اساس العقل فلا يخرج شيء منها عن المعقول فاذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ولا بدله من معنى موافق يحمل عليه فينبغي طلبة بالتأويل (قال الاستاذ) وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وعالم الغيب وأنا نسير في فهم الآيات على كلا الطريقتين لأنه لا بد للكلام من فائدة يحمل عليها

لأن الله عز وجل لم يخاطبنا بما لانستفيد منه معنى
أما الملائكة فيقول السلف فيهم أنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم
وببعض عملهم فيجب علينا الايمان بهم ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم
فنفوض علمها الى الله تعالى فاذا ورد ان لهم أجنحة نؤمن بذلك ولكننا
نقول انها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيور إذ لو كانت
كذلك لرأيناها . واذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار
فاننا نستدل بذلك على ان في الكون عالماً آخر الطف من هذا العالم
المحسوس وان له علاقة بنظامه وأحكامه والعقل لا يحكم باستحالة هذا
ولكنه يحكم بإمكانه لذاته ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به (قال الاستاذ)
وقد بحث أناس في جوهر الملائكة وحاولوا معرفتهم ولكن من
أوقفهم الله تعالى على هذا السر قليلون والدين انما شرع للناس كافة فكان
الصواب الاكتفاء بالايمان بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته لان
مشروعية البحث والتكليف به مما لا يطاق ومن خصه الله تعالى بزيادة في
العلم فذلك فضله يؤتيه من يشاء فقد ورد في معرض الكلام على ختم
النبوة في الحديث « إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن »
وأما ذلك الحوار في الآيات فهو شأن من شؤون الله تعالى مع ملائكته
صوره لنا في هذه القصة بالقول والمراجعة والسؤال والجواب . ونحن
لانعرف حقيقة ذلك القول ولكننا نعلم انه ليس كما يكون منا وان هناك
معاني قصدت إفادتها بهذه العبارات وهي عبارة عن شأن من شؤونه تعالى
قبل خلق آدم وانه كان يُعدُّ له الكون وشأن مع الملائكة يتعلق بخلق نوع
الانسان وشأن آخر في بيان كرامة هذا النوع وفضله

وأما المائدة فيما وراء البحث في حقيقة الملائكة وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى فهي من وجوه . (أحدها) ان الله تعالى في عظمته وجلاله يرضى لعبيده ان يسألوه عن حكمته في صنعه وما يخفى عليهم من أسرارهِ في خلقه لاسيما عند الحيرة . والسؤال يكون بالمقال ويكون بالحال والتوجه الى الله تعالى في استفاضة العلم بالمطلوب من يتابعه التي جرت سنته تعالى بأن يفيض منها (كالبحث العملي والاستدلال العقلي والالهام الالهي وربما كان للملائكة طريق آخر لاستفاضة العلم غير مروفة لاحد من البشر) فيمكننا ان نحمل سؤال الملائكة على ذلك

(ثانيها) اذا كان من اسرار الله تعالى وحكمه ما يخفى على الملائكة فنحن أولى بأن يخفى علينا فلما طمع للانسان في معرفة جميع اسرار الخليفة وحكمها لأنه لم يؤت من العلم الا قليلا .

(ثالثها) ان الله تعالى هدى الملائكة في حيرتهم وأجابهم عن سؤالهم بإقامة الدليل بعد الارشاد الى الخضوع والتسليم . وذلك أنه بعد أن أخبرهم بأنه يعلم ما لا يعلمون علم آدم الاسماء ثم عرضهم على الملائكة كما سيأتي بيانه (رابعها) تسليّة النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب الناس ومحاجتهم في النبوة بغير برهان على إنكار ما أنكروا وبطلان ما جحدوا فاذا كان الملائكة الأعلی قد متلوا على انهم يخصصون ، ويطلبون البيان والبرهان فيما لا يعلمون . فاجدر بالناس أن يكونوا مذكورين ، وبالانبياء أن يعلموا كما عام الله الملائكة المقربين . أي فعليك يا محمد أن تصبر على هؤلاء المكذبين . وترشد المسترشدين ، وتأثي أهل الدعوة بسلطان مبین . وهذا الوجه هو الذي يبين اتصال هذه الآيات بما قبلها وكون الكلام

لا يزال في موضوع الكتاب وكونه لا ريب فيه والرسول وكونه يبلغ وحي الله تعالى ويهدي به عباده واختلاف الناس فيهما . ومن خواص القرآن الحكيم الانتقال من مسألة الى أخرى مباينة لها أو قريبة منها مع كون الجميع في سياق موضوع واحد

وأما الخلف فمنهم من تكلم في حقيقة الملائكة ووضع لهم تعريفاً ومنهم من أمسك عن ذلك وقد اتفقوا على أنهم يدركون ويعلمون والقصة على مذهبهم وردت . ورد التمثيل لتقرب من افهام الخلق ما تفيدهم معرفته من حال النشأة الآدمية ، وما لها من المسكنة والخصوصية ، أخبر الله الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة قههموا من ذلك أن الله يودع في فطرة هذا النوع الذي يجعله خليفة أنه يكون ذا إرادة مطلقة واختيار في عمله وأن الترجيح يكون بحسب علمه وإن العلم إذا لم يكن محيطاً بوجوه المصالح والمنافع فإنه يوجه الإرادة الى خلاف المصلحة والحكمة وذلك هو الفساد وهو . تتعين لازم الوقوع لأن العلم المحيط لا يكون إلا لله تعالى فعجبوا كيف يخلق الله هذا النوع من الخلق وسألوا الله تعالى بلسان المقال ان كانوا ينطقون أو بلسان الحال والتوجه اليه لاستفاضة المعرفة بذلك وطلب البيان والحكمة وعبر الله عن ذلك بالقول لانه هو المعهود بالاستعلام والاستفهام عند البشر الذين أنزل القرآن لهدايتهم فأول ما ألقى اليهم من الإلهام ، أو غيره من طرق الإلهام ، هو وجوب الخضوع والنسليم ، لمن هو بكل شيء عليم ، لأن ما بضيق عنه علم أحد ويحار في كيفية يتسع له علم من هو أعلم منه . ومن شأن الإنسان ان يسلم لمن يعتقد انه فوقه في العلم ما يتصدى له . هما كان بعيد الوقوع في اعتقاده ومثل الاستاذ لذلك بمناسخ الصوفية مع

مريديهم ومن ذلك اعتقادنا بإمكان ما يتصدى لعمله أهل العلم الطبيعي فان الذين يصنعون سلكا لنقل الاخبار بالكهرباء الى الاماكن البعيدة يصدقون بأنهم يوصلون تلك الاخبار من غير سلك وقد كان ، ويصدقون بإمكان إيجاد آلة تجمع بين نقل الصوت ورؤيه المتكلم وهو ما يحاولون الآن ، والملائكة أعلم منا بشأن الله في افعاله وانه العالم الحكيم فهم وان فاجأهم العجب من خلق الخليفة يردم الى اليقين أدنى التنبيه ولذلك كان قوله تعالى « اني أعلم ما لا تعملون » جوابا مقتضا أي اقناع

على أن هذا النوع من التسليم للعالم القادر ربما لا يذهب بالحيرة ولا يزيل الاضطراب من نفس المتعجب وإنما تسكن النفس ببروز ذلك الأمر الذي كانت تعجب من بروزه الى عالم الوجود ووقوفها على أسرارته وحكمته بالفعل ولذلك تفضل الله تعالى على الملائكة باكمال علمهم بحكمته في خلق هذا الخليفة الانساني وسره ، عند طلوع فجره ، فعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة كما سيأتي بيانه فعلموا ان في فطرة هذا الخليفة واستعداده علم عالم يعلموا وتبين لهم وجه استحقاقه لمقام الخلافة في الارض وان كل ما يتوقع من الفساد وسفك الدماء لا يذهب بحكمة الاستخلاف وفائدته ومقامه وناهيك بمقام العلم وفائدته ، وسر العالم وحكمته ،

فعلمنا ان السلف والخلف منفقون على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به من شؤون المخلوقين وأحوالهم وعصمة ملائكته عما لا يليق بهم من الاعتراض أو الانكار فلا فرق في هذه النتيجة بين تفويض وتسليم . و«ويل وتفهيم» والله بكل شيء عليم ، وسيأتي تفسير الآيات بالتفصيل

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٣ — عصمة الانبياء عليهم السلام)

(المسئلة ٨٦) الدليل العقلي على عصمة الانبياء يؤخذ الدليل على عصمة

الانبياء من وجه الحاجة اليهم في الكمال الانساني ومن وظائفهم المنطبقة على وجه الحاجة اليهم وقد تقدم الكلام في ذلك ومنه ان الوظائف خمس وهي نوعان - نوع في بيان الاعتقادات التي ترقى العقل وتعنقه من رق العبودية لمظاهر الطبيعة التي خلق مستعداً لتسخيرها والتصرف فيها فحنت عليه الوثنية فسخرته لعبادة كل مظهر منها لا يعرف علته ولا يحيط بحكمته ونوع في تهذيب النفس وتركيتها بالاخلاق الفاضلة والاعمال النافعة . ولا يرتقي النوع الانساني الا بمجموع ما يندرج في هذين النوعين من التكليف وبارتقائه يكون خليفة الله تعالى في الارض وتلك غاية سعاده في هذه الحياة الدنيا الي تستتبع سعاده في الحياة الآخرة الباقية التي جعلت هذه الحياة مزرعة لها كما ورد

وبديهي ان العدة في بيان النوع الأول صدق الخبر بحيث لا يحوم حوله الشك والرب والعدة في الثاني صدق الخبر كذلك مع حسن الاسوة وصحة القدوة بالخبر لانه تربية وانما التربية بالقدوة والتعليم القولي مساعد للتأسي وأثره دون أثره . ولا تحصل الثقة القطعية بصدق الخبر الا اذا كان المخبر معصوماً من الكذب والخطأ في التبليغ ولا تتم القدوة وتحسن الاسوة الا اذا كان الامام المقتدى به بريئاً من النقائص منهيّاً عما ينهى عنه مؤتمراً بما يأمر به متخلقاً بما يرغب في التخلق به . اذاً لا تتم

حكمة الله تعالى في إرسال الرسل الا اذا كانوا بحيث ذكرنا من الصدق والنزاهة . والحكمة واجبة لله تعالى فوجب أن يكون الانبياء المبلغون عنه سبحانه صادقين معصومين « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ولا يلزم من هذا إيجاب شيء على الله تعالى فيكون حجة للمعتزلة وإنما هو إيجاب الحكمة له كإيجاب العلم والقدرة

(م ٨٧) الدليل الثاني على عصمتهم ان الله تعالى ما أرسل المرسلين الا ليتبعوا ويقتدى بهم وقد أمر باتباعهم كقوله في خاتمهم عليه السلام « فامنوا بالله ورسوله الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » فلو كانوا يخالفون ما يحيون به من الهدى لكان الله تعالى آمراً بالشيء ناهياً عنه في آن واحد وهو محال على الله تعالى . ولو فلو الفاحشة لكان الله آمراً بها من حيث أمر باتباعهم أمر تشريع وأمر بالنهي بالعطاء أمر تكوين بأن أودع ذلك في فطرة الانسان وقد قال تعالى « ان الله لا يأمر بالفحشاء » على ان الطاعة هي ما أمر الله تعالى به فلو فرض ان المرسلين يرتكبون المعاصي لكان معنى ذلك ان الطاعات هي من المعاصي كما قال السنوسي في الكبرى وذلك تناقض لا يقول به عاقل . وهذا الاستدلال لا يصح على أصول أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويجب أن يكون أصلاً يرجع اليه جميع ماورد في الوحي مما يظهر انه يخالفه والا كان الوحي غير منطبق على الأدلة التي ثبت هو بها فيكون ناقضاً لنفسه

(م ٨٨) اشبه على العصمة يقولون ورد في القرآن اثبات الذنوب للانبياء والمرسلين إجمالاً وتفصيلاً . أما الإجمال فكقوله تعالى « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » وقوله « واستغفر لذنوبك » وقوله

عن وجل « فسبح بحمد ربك واستغفره » وأما التفصيل فكقوله « وعصى آدمُ ربه فغوى » وكقصة داود وسليمان عليهما السلام وكقصة اخوة يوسف ونحن نجيب عن ذلك بالتفصيل :

(م ٨٩) مغفرة الذنوب علمنا مما تقدم ان معنى عصمة الانبياء في النوع

الثاني (العلي) هو نزاهتهم وبعدهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي بعثوا لتزكية الناس منها لئلا يكونوا قدوة سيئة مفسدين للأخلاق والآداب وحجة للسفهاء على انتهاك حرمت الشرائع وليس معناها أنهم آلهة منزهون عن جميع ما يقتضيه الضعف البشري من التقصير في القيام بحقوق الله تعالى على الوجه الأكمل ومن الخطأ في الاجتهاد ببعض المصالح والمنافع ودرء المضار . كلا ان الانسان خلق ضعيفاً وما أوتي من العلم الا قليلا ولا يمكن أن يحيط بوجوده المصالح والمنافع ودرء المضار والمفاسد الا من هو بكل شيء عليم ومن ليس له هذه الإحاطة قد يخطئ في اجتهاده فيعمل العمل وهو يعتقد انه الصواب والخير فيجئ بخلاف ذلك ومثل هذا يسمى ذنباً من الكمال والمقرب لان الانسان مستعد لادراك الصواب في تلك المسئلة التي أخطأ فيها فاذا وقع هذا من الانبياء يعاتبهم الله تعالى عليه ويغفره لهم ويأمرهم بتبليغ ذلك لأمتهم ليعرفوا الفرق بين الرب والعبد فلا يفتني بهم الغلو بتعظيم أنبيائهم والايعجاب بفضائلهم ونزاهتهم الى عبادتهم مع الله تعالى ومن أمثلة ذلك اجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في استمالة رؤساء قومه وأغنيائهم الى الايمان الذي أذاه الى الاعراض عن ابن أم مكتوم لما جاءه يسأله أن يعلمه مما علمه الله وكان يدعو صناید قريش فانه كره أن يشتغل به عنهم لئلا ينفرهم ولا يخفى ان أولئك النفر من كبارهم هم الذين كانوا

يحاذرون النبي ويناصبونه ولو آمنوا أولاً لتبعهم سائر قريش فهذا هو وجه اجتهاده صلى الله عليه وسلم في العناية بهم والاعراض عن الأعمى اذ جاء يشغله عنهم . فعاتبه الله تعالى على ذلك وردعه عنه بالقول الشديد كقوله « وما يُدِيرُكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي » فلتل الآيات في أول سورة (عبس) وذلك ان سنة الله تعالى مضت في أن الأديان تقوم بالدعوة والاقتناع والرؤساء والمترفون أبعد الناس عن معرفة الحق وعن الخضوع له اذا عرفوه وقد جاء في هذا المعنى آيات

ومن الامثلة أيضاً عتابه في مسألة زيدوزينب (فلترجع في ص ٦٣٠ و ٧١٤ من المجلد الثالث) . ومنها إذنه صلى الله تعالى عليه وسلم للذين استأذنوه في التخلف يوم الخروج الى تبوك وقد عاتبه الله تعالى على ذلك اللطف عتاب بقوله « عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ » الآية . فكان الأولى ان لا يأذن ليعلم الكاذب المنافق ، من المؤمن الصادق ، ومنها مسألة أخذ الفداء من أسرى بدر اجتهد صلى الله عليه وسلم وشاور فاختلف أصحابه فوافق رأيه رأي أبي بكر بأخذ الفداء فعاتبه الله تعالى عتاباً شديداً حتى بكى وبكى أبو بكر وذلك قوله تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ، قال البيضاوي في تفسيره : والآية دليل على أن الانبياء يجتهدون وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرؤون عليه .

فهذه هي ذنوب الانبياء وهم يستغفرون منها وهي مغفورة لهم بفضل الله تعالى لانهم لم يريدوا الا الخير والنفع وليس فيها قدوة سيئة

وإنما فيها فائدة معرفة الناس أن النبي وإن جلّ قدره وعلت نفسه فهو بشر مثلهم ميزه الله تعالى بالوحي وجعله إماماً في الخير وأنه على هذه الخصوصية يعاتب وينسب إليه الذنب والتقصير ويمنحه الله المغفرة دلالة على أن له أن يغفر له وله أن يعاقبه « قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعاً » وعلى أن توقع نزول العقوبة بأصحاب المعاصي التي تنتهك فيها الشرائع وبمخالف الدين عمداً وهو ما لا يقع من الأنبياء أقرب وإنهم أولى بالخوف من وأجدر بالتوبة . وأن الكمال المطلق لله تعالى وحده فلا رب غيره ولا معبود سواه .

﴿ باب الاسئد والاهويه ﴾

(س ١) من الشيخ مقبل عبد الرحمن الذكير في البحرين : ما قول منار الاسلام وهداة الانام سادتنا العلماء الاعلام في الاوراق المسماة بالأنواط التي وضعها بعض الدول للتعامل عوضاً عن بعض المسكوكات الفضية كالروبيات مثلاً والتزمت تلك الدولة التمييز عنها بالاثمان المقدرة بها هل تجري مجرى العروض كما هو واقع من كثير من التجار يتعاطونها بيعاً وشراءً رواجاً وبخساً أو تجري مجرى العين ؟ فان قلمم بالثاني فهل تقولون به من كل وجه وفي كل باب أو من بعض الوجوه وفي بعض الأبواب ؟ فان قلمم بالأول فيقتضي أن لا يجوز صرف تلك الاوراق بباقي أية سكة من السكك الفضية الا وزناً بوزن يدأ بيد وهو في الظاهر بعيد كما أن ذلك يقتضي أن لا يجوز الزيادة على الثمن الذي قدرت به بشي مما الى غير ذلك

مما يتعلق بهذه المسئلة ويتفرع عنها في باب الزكاة وباب الصرف وباب الدين والحوالة والبيع نقداً ونسيئة وما تقولون في الحديث الوارد اذ يختلف الجنس فيبيعوا كيف شئتم وبالضرورة ان الورق المذكور بل وجنس الورق كيف كان ليس هو من جنس أحد النقود الذهبية والفضية والنحاسية لانه لغةً وهي معتبرة هنا في الشرع ولا عقلاً وشرعاً ولا عرفاً عاماً والمأول ان يكون التقرير في غاية الوضوح والبيان والمثانة على منهج القواعد الشرعية والادلة المرعية والطرق الاصولية بالسيرة المرضية لان المسئلة بعموم البلوى والضرورة العامة صار لها في البحث أهمية ولكم الأجر والثواب من الملك الوهاب

(ج) الورق ليس مالا ربوياً في عرف فقهاءنا ولذلك أفتى بعض علماء الشافعية بأن هذه الأوراق المالية المسماة بالأنواط (مفرد نوط) لا يجري فيها الربا ويفتي غيرهم من علماء المذاهب بذلك لان الربا مخصوص بالنقدين والأقوات عند الشافعية ومن وافقهم . والعلة عند الحنفية الكيل مع الجنس أو الوزن . فكل مكيل أو موزون اذا بيع بجنسه متفاضلاً فهو ربا محرم ولكن هذا لا يأتي في هذه الأنواط وإن وردت فيها يتساويان في الوزن وقيمة احدهما مائة روية والأخرى الف روية مثلاً . فلا بد من النظر في مقاصد الشريعة وحكمها وجعلها مدار معرفة الاحكام وإننا نأخذ بكلام الفقهاء ما لم يخل بهذه المقاصد فاذا أخل بشيء منها كمنع الزكاة أو إباحة الربا الضار الذي حرّمه الله تعالى رحمة بالناس فاننا لا نقبله إذ لا يصح أن يكون الاجتهاد مبطلاً للنص بل لا يصح مع النص والمعبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني . ولا يخفى على أحد ان هذه الأوراق

المالية لقيمة لها من حيث هي ورق وإنما هي سند بمبلغ من النقود فقيمتها بحسب الرقم الذي يعين المبلغ . ولا يضر المتدين الأخذ بقول أي فقيه ما لم يمنع الزكاة أو يستبح الربا

فاما الزكاة فلا تضيع اذا اعتبرنا هذه الأنواط من عروض التجارة لأنها تقوم في كل حول بقيمتها وتؤدي زكاتها . وأما الربا فالذي أجمع المسلمون على تحريمه منه هو ربا النسيئة والجاهير من الأئمة الأربعة وغيرهم على تحريم ربا الفضل أي الزيادة في أحد الموضين مع التقابض فيما هو ربوي كالنقود والتمر والحنطة ونحوهما وفيه خلاف بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين كابن عمر وابن عباس وأسامة بن زيد وابن الزبير وزيد بن أرقم وكسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير من التابعين واستدلوا بما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أسامة « إنما الربا في النسيئة » في رواية مسلم عن ابن عباس « لا ربا فيما كان يدأبسد » ومثل ذلك الأحاديث الصحيحة في جواز الصرف يدأبسد . والعلة أو الحكمة في منع الربا لا محل لتفصيلها في هذا الجواب وإنما نقول بالاجمال إن من أكل شيئاً من مال أخيه بغير مقابل من عين أو عمل فقد أكله بالباطل وإن أخذ زيادة عما يعطي الإنسان لآخيه بمجرد التأخير في الوفاء من دواعي قسوة القلوب ومحو عاطفة التراحم وقطع طريق الصنعة وعمل المروءة فلا يليق بالدين أن يبيعه ومن بليغ الكلام ما قاله الاستاذ الامام ، وهو ان الربا عبارة عن استغلالك حاجة أخيك . وإن مشروعية التعامل بالنقود خاصة تفضي الى الجنائية على التجارة — وسنفصل القول في الربا ومضاره في فرصة أخرى

أما حقيقة الربا فليس بعد بيان الله تعالى فيها بيان قال تعالى « ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا » فعملنا ان الربا قسم البيع ومقابله فالجامع بينهما المعاوضة والفارق هو ان أحد الموضين في البيع وهو الثمن يقابل جميع عوض الآخر وهو المثلث بخلاف الربا فان أحد المتعاضدين فيه يأخذ جزءاً من مال الآخر بدون عوض ولا مقابل وهذه التفرقة معتبرة في التسمية الى الآن فالربا لا يستنى بيعاً ولكن من البيع ما تدخله شبهة الربا بحسب ما توسع فيه الفقهاء من أحكامه وجزئياته ولكن من فهم حكمة الشارع المبينة على درء المفسدة وجلب المنفعة لمجموع الأمة يقدر أن يميز بتفقه في الدين بين المعاوضة المقصود بها البيع ونفع أخيه بمثل ما ينتفع به منه بالمعروف وبين انتظار الفرص لضرورته واستغلال حاجته وأكل ماله بالباطل

وأني أنصح للأخ السائل وغيره من تجار المسلمين الذين يهمهم أمر الدين أن يلاحظوا هذا الفقه الحقيقي ويجملوه الاصل في ماملتهم لأنه هو روح الدين وسرّه الذي يتعلق بإصلاح القلب وتركيب النفس فاذا افتاهم علماء الرسوم بفتوى تؤدي الى منع الزكاة بحيلة من الحيل ، أو أكل أموال الناس بلا بدل ، أو تجعل البيع ربا فليحتاطوا لأنفسهم فان الله تعالى ما تعبدنا بظواهر الألفاظ ومدلولات كلم الناس وما يضعون من الأقيسة والقواعد التي لا تصلح بها القلوب . وقد قال عليه السلام لو ابصرت نفسك البر ما اطمأن اليه القلب واطمأنت اليه النفس والائتم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك ، رواه أحمد والبخاري في التاريخ وغيرهما . ومن فقه ما ذكرنا لا يحار سواء عليه أعد تلك الانواط

عروضاً أم عدّها نقوداً والذي يميل إليه القلب هو اعتبارها نقوداً
واما الحديث الذي ذكره فهو جزء من حديث صحيح أخرجه أحمد
وابن أبي شيبة في مسنديهما ومسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في
سننهما عن عبادة بن الصامت ولعله : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة
والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً مثل سواء بسواء
يداً بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ان كان يداً بيد »
وهـ معلوم انه اذا اختلف الصنف بطل الربا ولا معنى لبيع شيء بمثله من صنفه
الا اذا كان منه جيد وردي وفي هذه الحالة أجاز النبي صلى الله عليه وسلم
المعاوضة بالتفاضل بشرط أن يكون بيعاً يقدر بالثمن كما في حديث البخاري
وغيره وليس هذا من الحيلة التي تضع بها حكمة التشريع وانما هي سد
لذريعة الربا وبيان لماعدة نافعة وهي ان الربا ينتهي بقصد البيع فكل ما تحقق
فيه معنى البيع فليس من الربا في شيء . هذا ما يتسع له المجال الآن وسنعود
الى الموضوع ونطلب من العلماء الكرام بيان رأيهم لنشره والله الموفق للصواب
(س ٢) السيد احمد منصور الباز بنى صالح : يعترى بعض الناس حال
تسميها العامة (جذبا) فيغيب عن وجوده حتى يصير كالجنون لا يدري
ما يقول ويفعل ويظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة تعتقد العامّة بل والعلماء
وكتب الصوفية طائفة بأخبارهم وأخبار القطب والانجباب والأتاد والابدال
ويسمون مجموع هؤلاء الدائرة القطبية ورئيسها القطب الملقب بالغوث
ويقال انه يتلقى الأوامر الالهية وتفيض منه الى الدائرة القطبية بترتيب
معروف عندهم فما رأيكم فيهم ؟ نرجو الافادة بالمنار ليظهر الحق للناس كافة .
(ج) أما الحال التي يسوونها جذبا فهي فن من فنون الجنون وانما

يسمى صاحبها مجذوباً أو بهلولاً إذا كان سبب الحال هو الإفراط في الرياضة والمجاهدة النفسية والانتقطاع للذكر والعبادة إكراماً لمن كان كذلك أن يساوى بسائر المجانين والاعتقاد بهؤلاء البهاليل قديم العهد عندنا وسيبه أن منهم من كان يظهر على لسانه بعض الحكم لأن من يذهب عقله لا يعدم كل ما كان أدركه وعلمه وإنما يعدم النظام بين الأفكار والمعلومات ومنهم من ظهر على يديه بعض الغرائب أو أسنده اليهم بعض المغرورين الذين يضيفون الأشياء الغريبة إلى ما يقارنها من الحوادث وإن لم يكن علها لها كأن يؤذي إنسان آخر فيصاب عقيب ذلك بمصيبة تقع بوقوع سببها وأما القطب وسائر الموظفين الروحانيين في دائرة تصرفه الذين يسمونهم رجال الغيب كالامامين والأوتاد والأبدال فلم يرد فيه شيء صحيح في السنة إلا ما رووه في الأبدال وهي روايات ضعيفة مضطربة في بعضها بعدون ثلاثين وبعضها أربعين الخ. ومن عجيب تمحلهم في الاستدلال على القطب ما نقله ابن حجر عن بعض المحدثين من جملة خبر أبي نعيم في الحلية على القطب وهو: «أن الله في كل بدعة كيدبها الإسلام وأهله ولياً صالحاً يذب عنه» الخ وأعجب من هذا أن المسلمين في الغالب لا يحفلون بمن يدافع عن البدع بالفعل ولا يسمونه ولياً ولا قطباً بل ربما عادوه ولكن يسهل عليهم أن يقولوا إن الذي يدافع عن البدع رجل خفي من رجال الغيب يدافع في الغيب عن الإسلام فلا يعرف ولا تعرف مدافعتة. والحاصل أن الشرع لا يطالب أحداً بتصديق ما لم يقم عليه دليل ولا يكلفه بالإيمان بهؤلاء الرجال المجهولين بل يحرم عليه أن يقول: «ألا يعلم». وهذا لا يمنع أن تصطحب طائفة الصوفية على ألقاب طائفة على أهل الخصوصيات وليس لهم أن يفضوا بذلك إلى من لا يعرف

تلك الخصوصية لئلا يكلفوه بالقول بغير علم وللمبحث ذبول سنفصلها تفصيلاً
(س ٣) محمد افندي مأمون كرشه بسنديون (غربية): هل حكم
الحاكم يرفع الخلاف أم لا ومن هو هذا الحاكم فإن كان رافعاً فهل يبقى
كذلك بعد موته؟ فانه اذا لم يبق يلزم أن لا يعمل بحكم قاضي مصر
السابق الا اذا تجاوزه من يخلفه

(ج) حكم الحاكم الشرعي الذي رأيت شروطه في الجزء الماضي
يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية فيجب تنفيذه ولو عزل أو مات .
ونعني بالمسائل الاجتهادية ما لا يخالف الكتاب والسنة والإجماع . قال
في الجامع الصغير « وما اختلف فيه الفقهاء فمضى به القاضي ثم جاء قاض
آخر يرى غير ذلك أمضاه » وعلة الكمال في الفتح بأن اجتهاد الثاني كاجتهاد
الأول ويرجع هذا باتصال القضاء به فلا ينقض بما دونه .

(س ٤) ومنه : هل يصح ما يقول الوعاظ وعصابة الزار من ان
الجنّ مسيطرون على الانسان وهل الزار على هذا منكر يجب التهي عنه
شرعاً أم لا؟ وان أجبت بالسلب فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « اتخذوا
الحمام المقاصيص فانها تلهم الجن عن صيانتكم » ومعنى ما ورد في الآثار ان الجن
يجري في جسم الانسان مجرى الدم في الشرايين

(ج) لفظ الجن يطلق على المخلوقات الخفية ويقال ان منها ما هو
مادي وما هو روحاني وأجدر بهذه الاحياء التي يسمونها الميكروبات ان
تكون من المادي وهي سبب الامراض والأوبئة كالطاعون والهيضة وعليها
يحمل ما ورد من ان الطاعون من وخز الجن فهي مسطرة على الانسان
وهو مسطر عليها بالعلم الصحيح وإن كان لما يقدر على كثير منها بعد تمكنها

في الجسم . وأما الروحانية فلا سلطة لها على الاجساد وانما هي منشأ
الوساوس والخواطر القبيحة الضارة فمن العلماء من يقول انها القوى المعنوية
الباعثة على الشر والا كثرون على انها عالم مستقل من جنس عالم الروح
يلابس افراده النفوس المستعدة للشر بسوء التربية فيقوي فيها الرغبة فيه .
وعليه يحمل حديث الصحيحين وغيرهما « ان الشيطان ليجري من ابن آدم
مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع »

وهو كناية عن تمكنه من الوسوسة . وأما الزارفه ومنكر فيصح يجب
اطاله بالفعل فان لم يستطع فبالقول وأما حديث اتخاذ الحمام المقاصيص فقير صحيح
وبطلق لفظ الشياطين والجن على الاشرار من الناس وعلى الحيات
والثعابين وعلى الاول يحمل الحديث لو ثبت وكذا غيره مما ورد في النهي عن
خروج الصبيان في الليل لانه وقت انتشار الشياطين . وانما نرى شياطين
الازبكية وجنها ينتشرون اذا جنّ الليل ونحت من يهيم تربية أولادهم على
منهم من الخروج لئلا يفسدهم هؤلاء الشياطين .

(س هـ) ومنه : هل التسييح في قوله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح
بحمده » بلسان المقال أم بلسان الحال أم المقصود انه سبب في تسييح الراي
(ج) المتبادر الذي اختاره المفسرون ان التسييح من غير العقلاء
هو بلسان الحال أي ان إمكان الاشياء وحدوثها يدلان على تنزيه واجب
الوجود . وذهب بعض الى انه بلسان المقال لقوله « ولكن لا تفقهون
تسييحهم » وأجابوا عنه بأن الخطاب للمشركين لا للناس أجمعين . أي
لا تفقهون هذه دلالة لاها لكم النظر الصحيح والاستدلال العقلي

القسم العمومي

﴿القرآن والكتب المنزلة﴾

المقالة الثالثة للقس اسحاق طيلر نشرت في جريدة سنت جيمس في ١٣ مايو سنة ١٨٨٨

ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح وصدقوا ببعثته وهو عندهم محدود في
اولى العزم من رسل الله الى خلقه فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم
أحد ونسأل الله أن يهديهم وإيانا الى الحق وطريق مستقيم ولا منافاة
عندهم بين الاعتقاد بالقرآن وانه كلام الله وتنزيل من عنده وبين الاعتقاد
بسائر الكتب السماوية وانها بوحى من الله والهام بل يعرف من صريح
كلام المسلمين ان اعتقادهم بالكتب السماوية انما ساقه الى قلوبهم الاعتقاد
بالقرآن فهم في اعتقادهم بها يمثلون أمراً من أوامره ويمجيبون داعياً من
دواعيه وليس في المسلمين من يدعي ان القرآن يكذب شيئاً من الكتب
الالهية ولا في امكان مسلم أن يدعي ذلك لما يشهده القرآن من انه مهيم
على ما بين يديه من الكذب يقص على بنى اسرائيل أكثر الذي هم
فيه يختلفون مصدق لما معهم من الحق ولكنهم يقولون ان القرآن خاتمة الكتب
كما ان من أنزل عليه (صلى الله عليه وسلم) خاتمة الانبياء ولا تجد مسلماً الا
دؤمناً بالتوراة والانجيل والزبور والقرآن فكل صحيفة من الكتب
الالهية ثبت مجيئها على لسان نبي صادق فهي عندهم كلام الله المنزه عن
الخطأ والزوال وما صح نقله عن عيسى عليه السلام فهو حق واجب التصديق
وكثيراً ما ينقلون عن نبيهم صلى الله عليه وسلم فيما يعرف بالاحاديث شيئاً

من أقوال المسيح ونصائحه وأحواله ويتلقونها بالقبول غير ان المعروف عندنا ان الانجيل المشهورة لم تكتب في عهد المسيح عليه السلام كما كتب القرآن وغيره في حياة من أنزل عليهم فلا لوم على المسلم اذا طلب التثبت وتحقيق السند لصحة النقل كما يكون منه ذلك فيما ينقل عن نبيه (صلى الله عليه وسلم) من الاحاديث لان عروض الشبهة في نقل من تحقق عصمته أمر طبيعي عند عموم البشر

قال لي أحد المسلمين ان القرآن يشهد بان الله آتى عيسى عليه السلام الانجيل وجعل في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة وما نعرفه من الكتب الآتية قبله ولا ننكر شيئاً منه وان كنا قد نختلف معكم على تفسيره وتأويله كما اختلف الاحزاب من بينكم وعندنا ان كتابنا ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بشر بهما أنبياءكم من قبل كما تقولون في المسيح عليه السلام وكما لم يقدح إنكار اليهود لعيسى في اصطفاء الله له كذلك لا يقدح إنكار من أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في ثبوت رسالته . ولقد أرشدني الاطلاع على مذاهب المسلمين في التعليم الى انهم لا يأبون عن تسليم أدلة القسيس بالي التي ذكرها في كتابه المسمى براهين دين المسيح غير انهم يتخذون منها حججاً قوية على ان دينهم الحق . مثلاً يمدون من بينات دينهم ودلائل انه الحق سرعة انتشاره واستقبال القلوب وجهته على نحو غريب عزيز المثال ثم اشراق نور الاخلاص من عقائد الذين اتبعوه كما يرشد اليه أدنى الفكر في أحوالهم من ثباتهم معه في ساعات العسرة ومصائبهم في الشدائد وازدياد ايمانهم في الضراء واستقامة سيرهم في السراء . ومنها ما يهر العقول من الحكم الدقيقة التي برعت بها أحكام القرآن وانطباقها

العجيب على ما تقتضيه طبيعة الانسان الدينية (أي من حيث يطلب ديناً) وتأثيرها الغريب في قلوب الآخذين بها والقائمين على سبيلها واحتباسها لنفوسهم على الكمالات الانسانية واجتذابها لهممهم عن الانبعاث الى ما تدعو اليه الرعونة البدنية فهي تلبسهم ثوب الوقار والحشمة في النماء وتشعرهم شعار التسليم والاصطبار في البأساء . وفي الحق أن لهم أن يسألونا هل يمكن لأي مثل محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي بمحقق زكية نقية عليه وأحكام تسطو بسلطانها على النفوس كالتي جاء بها القرآن بدون أن يكون ذلك بوحى من الله وامداد منه

أما ما يقال من ان القرآن لم يذكر فيه معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم سوى القرآن نفسه فعلى فرض ان لا يصح شيء مما نقل في كتب الاحاديث من المعجزات مع انها أشبه بالاناجيل عندنا يجاب عنه بأن هذا لا يقدح في رسالته بل هو أوضح دليل على صدقه في دعواه اذ لو كان ملبساً أو مفترياً (والياذ بالله) لما أعوزه التمويه ببعض الغرائب المخترعة ليشبه على اصحابه ويحمل الناس على الإعجاب بغرائب وفدراينا ان المسيح عليه السلام كان يوبخ اليهود على مطالبتهم له بالمعجزات والذي يظهر لنا انه لولا قساوة قلوبهم وعنادهم لما عول في دعواه عليها . على ان الاعاجيب التي رويت عن المسيح عليه السلام اصبحت في هذه الايام مما يعد عقبة في طريق الاعتقاد بدينه فكثير من الناس يحسبون الدين سهل القبول لولاها فعدول محمد (صلى الله عليه وسلم) في اثبات نبوته عن سبيل الغرائب واكتفاؤه من المعجزة بكتابه وصدق أنبائه والبراهين العقلية التي تتحقق اليها البصائر السامية كل ذاك آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم على

صدقه ولا اشكال فيه بل هو عين ما يطلبه المسلمون
ثم ان المسلمين لا يقفون في اثبات دينهم عند نهاية هذا الحد ولكنهم
يذهبون أن لهم في الكتب السابقة أدلة بينة على صدق كتابهم ودينهم
(صلى الله عليه وسلم) وهم على يقين أن الانبياء السابقين (عليهم الصلاة
والسلام) قد توالى أنباؤهم على التبشير بنبيهم كما نقول في عيسى عليه السلام
وما يذهب اليه المسيحيون في تأويل بعض الاخبار المأثورة عن الانبياء
أو الاصفياء الاولين يخالفهم فيه المسلمون الى تأويل أفضل لهم وقد نجد
التأويل الثاني الصق بعبارة النبا فان لم يكن فانا نرى التأويلين في كفتين
متعادلتين وانما يرجح كلا الف صاحبه وميله ولذلك أمثال كثيرة يطول
سردها ويسهل على الطالب إيجادها

أذكر ما نهني اليه أحد أصدقائي المسلمين من معنى المحدثين
المذكورين في آخر كتاب دانيال النبي عليه السلام وهما عدد ١٢٩٠٥ وعدد ١٣٣٥٥
فبعد ان بين بتاريخ انقطاع الذبيحة اليومية من يوم بنى منسه ملك اليهود مذابح
للاصنام في هيكل القدس وفسر الصنم المصوغ الذي نصبه الملك في القدس
بالرجس المخرب وعبر عن الخراب بتسخير الاثوديين لاورشليم فأراني
كيف أن احد العديدين المذكورين يأتي بنا الى زمان الهجرة النبوية وان
الثاني ينتهي بنا الى خلافة معاوية بن أبي سفيان عند ما أتم المسلمون
فتوحاتهم في سورية ومصر وفارس وافريقيا وكيف قطعت مصالحة الحسن
ابن علي دابر الشقاق بين الأمة وسكن المسلمون الارض آمنين مطمئنين
لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ولست أحكم بصحة التأويل ولا عدمها
ولكن أقول انه ليس بأقل جودة من بعض ما أول به قوم آخرون

وأهم ما نقصد الآن أن يعرف النصارى عندنا في انكلترا كيف يستدل
المحمديون بأنباء كتب اليهود والنصارى على إثبات دينهم وتحقيق يقينهم
بشيء يشهد الانكار فيه منا على المسلمين وهو اعتقادهم بجنة
جسمانية فيها من الحور العين ما تشتهي نفوس المؤمنين على أنى أقول وما
انكارنا ونحن نرى في كتاب نشيد الاناشيد المنسوب الى سليمان بن داود
(عليه السلام) عبارات ان حملت على ظاهرها كانت أدخل في الجسمانية
وعالم المادة من كل ما ينسب الى القرآن غير اننا لمنا من درس فصول
ذلك الكتاب في ترجمته المشهورة ان تلك كنيات عن محبة المسيح لأئمة
ثم اننا نرى ذكراً صريحاً للجنة الجسمانية في مكاشفات يوحنا المعدودة
عندنا خاتمة الاناجيل فانه يذكر وصف أورشليم الجديدة وهي الجنة
ومساحتها لدقيقة وحدودها وما فيها من أبواب من لؤلؤ وأزقة من
ذئب وجدران من جوهر ويفيض فيما رواه ذلك مما لم يأت القرآن عليه
وان لنا عبارة تألفها نفوسنا وترنم بها في عبادتنا مع الافتخار اذ نقول
«أورشليم المذهبة المباركة بالابن والعسل» وايس يخطئ قائل لنا ان نعمات
المظفرين وأغاني المخلقين التي نمجدها في مكاشفات يوحنا تذكرنا بأن غاية
المسيحي من ايمانه وأمله المطلوب من عبادته ان يصل الى جنة نعيمه فيها
ان يأكل ويشرب ويسكر ويبنى كما نرى من عمله في هذه الدنيا أيام
الاعياد المشهورة على اننا نأول ذلك كله ونصرفه عن ظاهره ونحمل كل
لفظ وجد لمعنى محسوس على سر معقول

وان العرفاء من المسلمين يعتقدون بأن لهم نعيماً روحانياً يتعالى الى
غير النهاية عن النعيم الجسداني ولسنا نكابركما يكابر القسيس (مكول)

ونحكم بأن المسلم لا مطمح له في أخراة الا الاكل والشرب وقضاء شهوات
أخر وقد ذكر في القرآن في سورة القيامة من جزاء المؤمنين ان تكون
وجوههم يوم القيامة ناضرة الى ربها ناظرة وفي الاحاديث عندهم ما يدل
على ذلك قهيها عن نبهم (صلى الله عليه وسلم) ما معناه . ان أعظم فوز يفوز
به العبد في الآخرة هو لقاء ربه في الغدوة والآصال وهو نعيم يفوق كل
نعيم كما يفوق البحر قطرات العرق وفي حديث آخر ان المؤمنين يرون
ربهم كما يرون القمر ليلة البدر وفي آخر ما يشبه المعروف عندنا « ان الله
قد أعد للمؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »
وان في عقائد المحدثين ان رضوان الله أكبر من كل نعيم فان وافقنا
المسلم على ان جنة جسدانية لا يليق أن تكون جزاء المؤمن في الآخرة
أفلا يجوز له أن يأول ما ورد في كتابه من ذلك كما أولنا عبارة النشيد
وعبارات المكاشفات والتأويل عليه أسهل منه علينا فان عنده في كتابه
ما يشير الى أن بعض ما قص الله عليهم من التشابه لا يؤخذ على ظاهره
وله في السنة ما معناه ليس في الجنة شيء مما في الدنيا الا الاسماء أما نحن
فلم يذكر لنا في المكاشفات ما يسوغ التأويل ويشير الى أن ما جاء فيها من
الاصاف ضرب من التمثيل لأن صاحب الكتاب يصرح لنا بأن ما فيه
من الأقوال حق لا ريبه فيه كما هو مذكور فله محمد بن حق ان طالبوا
الجنة الروحانية والذائد السامية العقلية وهم مؤمنون بكتابهم ويرون ان
هذا المطلب عليهم أيسر منه على كثير من غيرهم واني أحسب من الظلم
القاحش أن لا نسوغ للمسلمين سلوك طريق من التفسير لم نزل نسلكه
في ايضاح غوامض كتابنا المقدس (اسحق طيلر)

الاجتماع الثاني — الداء او الفتور العام

في مكة المكرمة يوم الاربعاء سابع عشر ذى القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انعقد الاجتماع وبعد قراءة ضبط الجلسة الاولى افتتح الكلام (الاستاذ الرئيس) فقال : انا نجد الباحثين في الحالة النازلة بالمسلمين يشبهونها بالمرض فيطلقون عليها اسم الداء مجرداً أو مع وصفه بالدفين او المزمن أو العضال وامل مأخذ ذلك ماورد في الاثر وألفته الاسماع من تشبيه المسلمين بالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر بالسر والحمى . ويلوح لي ان إطلاق الفتور العام أليق بان يكون عنواناً لهذا البحث لتعلق الحالة النازلة بالأدييات أكثر منها بالماديات ولأن آخر ما فيها ضعف الحس فيناسبه التعبير عنه بالفتور .

ان هذا الفتور في الحقيقة شامل لجميع أعضاء الجسم الاسلامي فيناسب ان يوصف بالعام وربما يتوقف الفكر في الوهلة الاولى عن الحكم بان الفتور عام يشمل المسلمين كافة ولكن بعد التدقيق والاستقراء نجده شاملاً للجميع في مشارق الارض ومغاربها لا يسلم منه الا افراد شاذة .

فيا أيها السادة ما هو سبب ملازمة هذا الفتور منذ قرون للمسلمين من أي قوم كانوا وأينما وجدوا وكيفما كانت شؤونهم الدينية أو السياسية أو الافرادية أو المعاشية حتى اننا لانكاد نجد اقليمين متجاورين او ناحيتين في إقليم او قرنتين في ناحية او بيتين في قرية أهل أحدهما مسلمون وأهل الآخر غير مسلمين الا ونجد المسلمين أقل من جيرانهم نشاطاً وانتظاماً في جميع شؤونهم الحيوية الذاتية والعمومية وكذلك نجدهم أقل ائقانا من نظرائهم في كل فن وصنعة مع اننا نرى أكثر المسلمين في الحواضر وجميعهم في البوادي محافظين على تميزهم عن غيرهم من جيرانهم ومخالطينهم في أمهات المزايا الاخلاقية مثل الامانة والشجاعة والسخاء .

فما هو والحالة هذه سبب شمول هذا الفتور وملازمته لجامعة هذا الدين كملازمة العلة للمعلول بحيث يقال اينما وجدت الاسلام والنظام لا يجتمعان . هذا هو المشكل العظيم الذي يجب على جمعيتنا البحث فيه اولاً بحث تدقيق واستقراء عسى ان نهتدي الى جرثومة الداء عن يقين فنسعى في مقاومتها حتى اذا ارتفعت العلة برى العليل ان شاء الله تعالى .

(قال الفاضل الشامي) أتني أوافق الاستاذ الرئيس على تعريفه ووصفه الحالة النازلة بالفتور ولا أعلم مايعارض كون هذا الفتور عاماً محيطاً بجميع المسلمين .
قال (صاحب الهندي) اني وان كنت أقل الاخوان فضيلة ولكنني جوال وقد خبرت البلاد وأحوال العباد ولا شك عندي في ان هذا الفتور عام وان كان لا يظهر في بعض المواقع التي ليس فيها غير المسلمين كقلب جزيرة العرب وبعض جهات افريقيا ولا يظهر أيضاً في بعض مواقع اخرى مجاورو المسلمين فيها ومخالطوهم من أهل النحل الوثنية الغربية الوضع المتناهية في الشدة كبقايا الصابئة حول دجلة الذين يضيعون كثيراً من أوقاتهم منغمسين في الماء تعبداً وكالكونغو من الزوج وكالبودية من الهنود المعتقدين ان كل مصائبهم حتى الموت الطبيعي من تأثيرات أعمال السحرة عندهم فان أمثال هؤلاء أكثر فتوراً من المسلمين على ان ذلك لا يرفع صفة الفتور وعموميته عن المسلمين .

فقال (الاستاذ الرئيس) ان صاحب الهندي مصيب في تفصيله وتحريره ولذلك رجعت عن قولي بان المسلمين أحط من غيرهم مطلقاً الى الحكم بأنهم أحط من غيرهم ماعدا أهل النحل المتشددة في الدين .

قال (الحافظ البصري) يلوح لي انه يلزم استثناء الدهريين والطبيين وأمثالهم ممن لا دين لهم لانهم لا بد ان يكونوا على غير نظام ولا ناهوس في أخلاقهم معذبين منغمسين في حياتهم منحطين عن أهل الأديان كما يعترف بذلك الطبيعيون أنفسهم فيقولون عن أنفسهم انهم أشقى الناس في الحياة الدنيا .

فاجابه (صاحب الهندي) اتني كنت أيضاً أظن انه يوجد في البشر أفراد ممن لا دين لهم وان من كانوا كذلك لا خلاق لهم ثم ان اختباري الطويل قد برهن لي على ان الدين بمعناه العام وهو ادراك النفس وجود قوة غالبية تتصرف بالكائنات والخضوع لهذه القوة على وجه يقوم في الفكر هو أمر فطري في البشر وان قولهم فلان دهرى أو طبيعي هو صفة لمن يتوهم ان تلك القوة هي الدهر أو الطبيعة فيدين لما يتوهم .
فثبت عندي ما يقرره الاخلاقيون من أنه لا يصح وصف صنف من الناس بأنهم لا دين لهم مطلقاً بل كل انسان يدين بدين اما صحيح او فاسد عن أصل صحيح واما باطل او فاسد عن أصل باطل والفاسدان يكون فسادهما اما بتقصان او بزيادة او بتخليط فهذه أقسام ثمانية .

فالدين الصحيح كافل بالنظام والنجاح في الحال والسعادة والفلاح في المآل والباطل

والفاسدان بنقصان قد يكون أحبابهما على نظام ونجاح في الحياة على مراتب مختلفة وأما الفاسدان بزيادة أو تخليط فمهلكة محضة ثم أقول ربما كان تقريرى هذا غريباً في يابه فالتمس ان لا يقبل ولا يرد الا بعد التدقيق والتطبيق لانه أصل مهم لمسألة الفتور العام المستولي على المسلمين .

(قال الرئيس الاستاذ) انى اجلكم أيها السادة الافاضل عن لزوم تعريفكم آداب البحث والمناظرة غير انى أنبه فكركم لامر لا بد ان يكون في نفوسكم جميعاً او تحبوا ان يصرح به الا وهو عدم الاصرار على الرأي الذاتى وعدم الانتصار له واعتبار ان مايقوله ويبيديه كل منا ان هو الا خاطر سنع له فربما كان صواباً أو خطأ وربما كان مغيراً لما هو نفسه عليه اعتقاداً وعملاً وهو انما يورده في الظاهر معتمداً عليه وفي الحقيقة مستشكلاً او مستتبهاً او مستطلماً رأي غيره فلا أحد منا ملزم برأي يبيديه ولا هو بعلوم عليه وله أن يعدل او يرجع عنه الى ضده لاننا انما نحن باحثون لامتناظرون فاذا أعجبنا رأي المتكلم منا أثناء خطابه اعجاباً قوياً فلا بأس ان نجهر بلفظ (مرحى) (١) تأييداً لاصابة حكمه واشعاراً باستحسانه فانمض في بحثنا عن أسباب الفتور العام على هذا النسق

قال (الفاضل الشامي) انى أرى ان منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية والاخلاقية مثل العقيدة الجبرية التى من بعد كل تعديل فيها جعلت الامة جبرية باطناً قدرية ظاهراً (مرحى) ومثل الحث على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق وامانة المطالب النفسية كحب المجد والرياسة والتباعد عن الزينة والمفاخر والاقدام على عظام الامور وكالتغيب في أن يعيش المسلم كيت قبل ان يموت وكفى بهذه الاصول مفترات مخدرات مشبطات معطلات لا يرتضيها عقل ولم يأت بها شرع ولماها نفي عثمان بن عفان رضي الله عنه ابا ذر الغفاري الى الربرة .

فاجابه (البليغ القدسي) ان هذه الاصول الجبرية والتزهيدية الممتزجة بعقائد الامة وما هو أشد منها تعطيلاً الاخذ بالاسباب ولنشأة الحياة موجودة في جميع الديانات لتعدل من جهة شره الطبيعة البشرية في طلب الغايات وتدفعها الى التوسط في الامور ولتكون من جهة اخرى تسلياً للعاجزين وتفتيساً عن المقهورين البائسين وتوسلاً الى حصول التساوي بين الاغنياء والفقراء في مظاهر التعميم .

الا يرى اجماع كل الاديان على اعتقاد القدر خيره وشره من الله تعالى او خيره

(١) مرحى — كلمة تعجب يقولها العرب عند اصابة الراي المرمي

منه وشره من النفس أو من الشيطان ومع ذلك ليس في البشر من يلب أوصاً إلى القدر إلا عند اجتهاد يبيح سراً لجهه أو عند السحر من نيل الخير أو دفع الشر سراً لسحره. وحيث غالب الجبر على المسلمين جهل اسباب السبب الكوبة والسحر من كل عمل التجاو إلى القدر والزهد تحويلاً لا دينياً ، وهذا التبتل والخروج عن السبل من أعظم القرب في التصرية فهو كان قصد شرع الرهبانية أن يفر من الناس كافة بعد جيل واحد لم كان قصد أن يشرعها على أن لا يلبس بها إلا القليل القليل ولا يلبس في هذا المقام الاكتسبهم ويخرج من ذلك أنه لا يصح اعتبار هذه الأصول الجبرية والقرعية سبباً للتقوى بل هي سبب لاعتدال التقاط وسبب سبب انتظام ورسوخ . وفي النظر إلى المفسر والمفسر التي اقتضتها الصحابة والخلفاء الراشدون وصي لفة هم ليل الفنى والرياسة والفساد مع الأجر والثواب أقوى برهان مع أن الامتداد ذلك كانت واحدة صلا لا كارد الذي بدعيه الآن كذباً ورياء (مرسى)

وأما تمسك كل ما ورد في الاسلاميات حاكماً على الزهد مجرد موجهاً إلى التزهد في الدنيا والتمسك بما هو في الدين المسلم ثمرة سببه المنفعة الدنيوية دون خصوص قصد حق أو كل مورد في الحث على الجهاد في سبيل الله مراد به سبي المؤمنين بكل الوسائل حتى يصل حياته لا يمتد إلا الله وأقلمة ديه لا في خصوصية محله الكفر كما تنوم الباطنة كما أن للرد من محاربة الكفار هو من جهة اعمار سامية الاسلاميات ومن أخرى خدمة الجاهلية الاسلامية من حيث الجلاء الكفار إلى مشاركة المسلمين في سعادة الحارين لأن للائم للترقية علماً ولاية طبيعة من الاثم المتحطة فيجب على المسلمين ان يهديا إلى الخير ولو كرهوا بلهم الدين أو السياسة .

ثم قال أملاً فيجب إلى أن سبب التقوى هو تحول نوع السياسة الاسلامية حيث كانت سياسة اشتراكية أي (عجراكية) غاملاً فصدرت بعد الراشد بسبب تمسك الحركات الداخلية مدكية مقيدة بقواعد الشرح الاساسية ثم سارت أشه بالملقته . وقد نشأ هذا التحول من أن قواعد الشرح كانت في الأول غير مدونة ولا محررة بسبب اشتغال الصحابة للمؤسسين رضي الله عنهم بالصناعات وتفرغهم في البلاد فظهر في أمر صلبها خلافاً وسامت بين السلف وتحدثت لهم آراء الاختلاف رجحوا الأخذ بما يلائم غيا رطبهم القومية (وهم لم يدنسوا الاسلام بال دخول فيه) فتمدد السلف الباسيون ولا سيما للفرغون منهم هذا التحالف في الاستقام وسبب الإقسام والاستقلال السبلي فنشأ عن ذلك أن تعرفت للملكة الاسلامية

الى طوائف متباينة مذهباً متعادية سياسة متكافئة على الدوام وهكذا خرج الدين من حضنة أهله وتفرقت كلمة الامة فطمع بها أعداؤها وصارت معرضة للمحاربات الداخلية والخارجية معاً لا تصادف سوى فترات قليلة تترقى فيها في العلوم والحضارة على حسبها . وقد أثر استمرار الامة في هذه الحروب ان صارت باعتبار الاكثية أمة جنديّة صنعة وأخلاقاً بعيدة عن القنون والصنائع والكسب بالوجوه الطبيعية . ثم بسبب فقدان القواد والمعدات لم يبق مجال للحروب الرابحة فاقصرت الامة على المدافعات خصوصاً منذ قرنين الى الآن أي منذ صارت الجنديّة عند غيرنا صنعة علمية مفقودة عندنا فصرنا نستعمل بأسنا بيتنا فنعيش بالتغالب والاحتبال لا بالتعاون والتبادل وهذا شأن يميت الانتباه والنشاط ويولد الخمول والفتور (مرحي)

فابتدر (الحكيم التونسي) وأجابه ان غيرنا من الاقوام كجرمانيا مثلاً وجدوا في حكومات مطلقة وفي اختلافات مذهبية وفي اتقسامات الى طوائف سياسية وفي حروب مستمرة ولم يشملهم الفتور بوجه عام فلا بد للفتور في المساميين من سبب آخر . ثم قال وفيما أتصور ان بلاءنا من تأصل الجهل في غالب أمرنا المترفين الأخرين أعمالا الذين ضلوا وأضلونا سواء السبيل وهم يحسبون انهم يُحسنون صنعا حتى باغ جهل هؤلاء دركة أسفل من جهل العجماوات التي لها طبائع ونواميس فمنها التي تحمي ذمارها وتمنع عن حدودها وتدافع عما استحفظت عليه وهؤلاء ليس لهم طبائع ونواميس فيخربون بيوتهم بأيديهم وهم لا يشعرون . ومنهم الذين ضلوا على علم وهم الذين يشكون ويبكون حتى يظن انهم مغلوبون على أمرهم ويتشدقون بالاصلاح السياسي مع انهم وأيم الحق يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون الرغبة في الاصلاح ويبطنون الاصرار والعناد على ما هم عاكبه من إفساد دينهم وديارهم وهدم مباني مجدهم واذلال أنفسهم والمسلمين وهذا داء عياء لا يرجي منه الشفاء ، لانه داء الغرور لا يقر صاحبه لفاضل بفضيلة ولا يجاري حازماً في مضمار وقد سرى من الأمراء الى العلماء ثم الى سائر الطبقات

فأجاب (المولى الرومي) ان لقاء التبعة على الأمراء خاصة غير شديد خصوصاً لان أمراءنا ان هم الا لفيف منا فهم أمثالنا من كل وجه وقد قبل كما تكونوا . يواي عليكم قلوبكم لم تكن نحن مرضى لم يكن أمراؤنا مدققين

وعندي ان البلية هي فقدان الحرية وما أدراك ما الحرية ؟ هي ما حرمتنا معناه حتى نسپناه ، وحرمت غايها لفظه حتى استوحشناه ، وقد صرف الحرية من عرفها بأن

يكون الإنسان مختاراً في قوله وفعله لا يعترضه مانع ظالم ومن فروع الحرية تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار أنهم وكلاء وعدم الرهبة في المطالبة بالحقوق وبذل النصيحة . ومنها حرية التعليم وحرية الخطابة والمطبوعات وحرية المباحثات العلمية . ومنها العدالة بأسرها حتى لا يخشى إنسان من ظالم أو قاصب أو غدار . قتال . ومنها الأمن على الدين والأرواح والأمن على الشرف والأعراض والأمن على العلم واستثماره فالحرية هي روح الدين وينسب إلى حسان بن ثابت الشاعر الصحابي رضي الله عنه وما الدين إلا أن تقوم شرائع وتؤمن سبل بيتنا وهضاب

فلينظر كيف حصر هذا الصحابي الدين في إقامة الشرع والأمن . هذا ولا شك أن الحرية أعز شيء على الإنسان بعد حياته وإن بفقدانها تفقد الآمال وتبطل الأعمال وتموت النفوس وتعطل الشرائع وتختل القوانين . وقد كان فينا راعي الحرفان حرّاً لا يعرف للملك شيئاً يخاطب أمير المؤمنين بيا عمر وياعثمان فصرنا ربما تقتل الطفل في حجر أمه ونلزمها السكوت فتسكت ولا تجسر أن تزجج سمنا ببكائها عليه . وكان الجندي الفرد يؤمن جيش العدو فلا يخفر له عهد فصرنا نمنع الجيش العظيم من صلاة الجمعة والعيدين وتسعين بدينه لا حاجة غير الفخفة الباطلة (مريحى)

فلمثل هذا الحال لا غرو أن تسأم الأمة حياتها فيستولى عليها الفتور وقد كرت القرون وتوالت البطون ونحن على ذلك عاكفون فتأصل فينا فقد الآمال . وترك الأعمال ، والبعد عن الجهد والارتياح إلى الكسل والهزل والانغماس في اللهو تسكيناً لآلام أسير النفس والاخلاد إلى الحمول والتسفل طلباً لراحة الفكر المضغوط عليه من كل جانب إلى أن صرنا ننفر من كل الماديات والجديات حتى لا نطبق ، طاعة الكتب النافعة ، ولا الاصغاء إلى النصيحة الواضحة ، لأن ذلك يذكّرنا بمفقودنا العزيز فتألم أرواحنا وتكاد تزهرق إذا لم نأجأ إلى التناهي بالملهيّات ، والخرافات المروّجات ، وهكذا ضعف احساسنا وماتت غيرتنا وصرنا نقضب ونحقد على من يذكرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطيبة لعجزنا عن القيام بها عجزاً واقعياً لا طبعياً هذا ونعترف بأن فينا بعض أقوام قد ألفوا من ألوف سنين الاستعباد والاستبداد والذل والهوان فصار الانحطاط طبعاً لهم تؤلمهم مفارقتة وهذا هو السبب في أن السواد الأعظم من الهنود والمصريين والتونسيين صاروا بعد أن نالوا رغم أنوفهم الأمن على النفس والأموال ، والحرية في الآراء والأعمال . لا يرتؤون ولا يتوجعون لحالة المسلمين في غير بلادهم بل ينظرون للتأقنين على امراضهم المسلمين شراً أو ربما يعتبرون

طالبي الإصلاح من المارقين من الدين كأن مجرد كون الأمير مسلماً يعني عن كل شيء حتى عن العدل وكأن طاعته واجبة على المسلمين وان كان يخرب بلادهم ، ويقتل اولادهم ، ويقودهم ليسلمهم لحكومات أجنبية كما جرى ذلك قبلاً معهم والحاصل ان فقدان الحرية هو سبب الفتور والتقاعس عن كل صعب وميسور .

أجاب (المجتهد التبريزي) ان هذا الحال ليس بعام مع ان الفتور لم يزل في ازدياد واستحكام فلا بد لذلك من سبب آخر

ثم قال : ويلوح لي ان انحطاطنا من أنفسنا اذ اننا كنا خير أمة أخرجت للناس لعباد الله وحده أي نخضع ونتذل له فقط ونطيع من أطاعه مادام مطيعاً له نأمر بالمعروف ونهي عن المنكر أمرنا شورى بيتنا نتعاون على البر والتقوى ولا نتعاون على الإثم والعدوان ، فتركنا ذلك كله ماصعب منه وماهان . وقد يظن أن أصعب هذه الأمور النهي عن المنكر مع أن إزالة المنكر في شرعنا تكون بالفعل فان لم يمكن فبالقول فان لم يمكن فبالقلب وهذه الدرجة الثالثة هي الاعراض عن الحائن والفاسق والفتور منه وابطان بغضه في الله

ومن علام ذلك تجنب مجاملته ومعاملته . ولا شك ان اقامة هذا الواجب الديني كافي للردع ولا يتصور العجز عنه قط قال تعالى (ولولا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) فهذا هو سبب استرسال الامة في عبادة الامراء والاهواء والاوهام وفي طاعة العصاة اختياراً وترك التناصح والركون الى الفساق والاذعان للاستبداد والتخاذل في الخير والشر قال تعالى (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وعنه صلى الله عليه وسلم (٠) « لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ » فليسومونكم سوء العذاب ، الى غير ذلك من الآيات الينات والاحاديث المنذرات القاضيات بالخذلان على تاركي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا هو السبب الناشئ عنه الفتور .

(٠) النار — لفظ الحديث « او ليساطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » رواه البزار عن عمر والطبراني عن أبي هريرة وسندهما ضعيف . وللترمذي من حديث حذيفة نحوه الا انه قال « أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » وقال حديث حسن

باب التربية والتعليم

هو التعليم الذي ترتقى به الامة

أكثر الناس في بلاد الشرق — بلاد البطالة والكسل — يفتنون أزمئتهم بالعبث واللغو من القول فلا تسمع منهم في أئديتهم وسئارهم الا الخوض بفلان والازراء بعلان وما أشبه ذلك ، مما هنا وهناك ، ورب فئة قليلة تحب الجد وتختار للبحث والحوار المسائل النافعة وقد كتبنا مقالة في الجزء الرابع والعشرين من السنة الماضية في موضوع حديثهم في سامر من سمارهم وهو اصلاح الدولة العلية . ونذكر ههنا أنهم رأوا أن يترحوا على كل واحد منهم كلما ضمهم نادي أو سامر أن يتكلم في مسئلة من المسائل النافعة وابتدأوا بالاقتراح على كاتب هذه السطور أن يتكلم في التعليم النافع للمسلمين فأجاب واتي أذكر بعض ماقلته هناك ماخصاً وقد ابتدأت بذكر عيوب التعليم عندنا وهي

العيب الأول عدم اللغة احياء العلم لا يكون الا باغة حية ولغة الاسلام والمسلمين العربية ولكنهم أهملوا تعلمها وتعليمها حتى أتى أقول ماقلته من قبل اتى لأعرف مدرسة في الدنيا تعلم فيها اللغة العربية الصحيحة ومن عنده حظ من هذه اللغة قائما تعلمه بنفسه لاهتدائه الى طريقة التعلم بذكائه أو بارشاد مرشد آخر وستأتي الإشارة الى كيفية هذا التعلم وان كان النار قد فصله من قبل تفصيلا .

العيب الثاني في اختلاف مابيع التعليم التعليم النافع هو ما يكون به قوام الامة وتربيتها والترقي انما يكون بالرجال المتعلمين العلم النافع لها لأن زمامها يكون في أيديهم وقواد الامة يجب أن يكونوا متفقين في مقاصدهم الاصلاحية وانما يكون هذا الاتفاق والاتحاد اذا كانت تربية عقولهم وافكارهم متحدة وان تكون متحدة الا اذا كان التعليم من منبع واحد . والتعليم في بلادنا بعضه في مدارس الحكومة وبعضه في المدارس الاجنبية من فرنسوية وأميركانية وانكليزية واسرائيلية وليس منه شيء موافق لحاجة الامة ومنطبق على مصاعحتها فان لكل صنف من هذه الاصناف مقصد من التعليم اما سياسي واما ديني غير اسلامي والتعليم في المدارس الاهلية الاسلامية ناقص بحيث يصح ان نقول انه دون كل تعليم . ولا استثنى المدرسة الدينية الاسلامية الكبرى وهي

الجامع الازهر فكلنا نعرف أنها ليس فيها غناء وأنها مقصرة كل التقصير في وظيفتها الأولى وهي احياء اللغة العربية وعلوم الدين . على ان علم الدين لا يكاد يوجد في غير الازهر وما يتبعه من المساجد فهو على نقصه خير من غيره من هذه الجهة « ومن للعُمى بالعمور » العيب ٣ عدم التربية والتعليم لا يقيد النجاح المطلوب للامة الا اذا كان مقارناً للتربية المالية القومية وهذه التربية مفقودة عندنا لان القائمين على أمر التعليم لا يهتمون أمرها بل هو مبين لمقصدتهم السياسي والديني . على انهم لو حاولوها لما أحسنوها لانه لا يحسن الشيء الا من يتوجه اليه بباعث الشعور بحاجته وحاجة أمتة اليه مع العلم بطريقه الطبيعي . وقد علمنا ان اكثر المسلمين المشتغين بالتعليم جاهلون بطرقه وعادموها الاحساس والشعور بالحاجة المالية القومية . وعلمنا حال مدارس الاجانب ومدارس الحكومة في مصر ~~حسبها~~ لان روح التعليم فيها انكليزي استعماري لا انكليزي سكسوني . ولا يحسن أحد ان مدارس الحكومة في بلاد الدولة العلية أمثل وأنفع من مدارس الحكومة في مصر بل الصواب أنها دونها في كل البلاد لاسيما العربية منها الا مدارس دار السلطنة فانها أرقى من مدارس مصر لان فيها روحاً وطنياً حقيقياً عجزت السياسة عن ازهاقه

هذه هي العيوب الأساسية للتعليم في البلاد الاسلامية . اما ازالة هذه العيوب من مواطنها فلا سبيل اليه ولا طاقة لنا به ولكن من الممكن السعي في ايجاد تعليم نافع وتربية قوية والطريق اليه واحد وهو انشاء المدارس الكلية التي تربي الناشئين وتعلمهم التعليم الابتدائي والتجهيزي والعالي ولكنه طريق يعسر تطبيقه وإشراعه لاننا فقراء في المال وفي العلوم والعقول وهذا الفقر المعنوي أشد فناء فتكا ولكنه لا يعوزنا ~~جزنا~~ في طريقنا هذا كما يعجزنا ويعوزنا الفقر المادي فان من اوتي نصيباً من العلم والعقل والأدب يجود بما عنده مرتاحاً اليه اذا رجا الانتفاع به ولكن الذين أوتوا المال منا قد أوتوا معه البخل والسفه معاً فهم يبذلون المال في طرق الفساد بغير حساب ولا يخرج من ايديهم درهم في طريق الخير الا نكداً . وليس المقام مقام بيان طريق الطريق لانشاء مدرسة كلية في مصر ولكنني أقول ان هذه الفئة تحب خدمة أمتها اذا لم تجهد في انشاء هذه المدرسة فلنا ان نحكم بأنها لم تعمل شيئاً يذكر واذا هي لم تعمل فلا ندري متى تلد أرض مصر خيراً منها ليعمل خيراً من عمالها

أما التعليم والتربية في الكلية فلانبحث فيهما لان الحاضرين يعرفون هذا الفن (اليدا جوجيا) وانما ننبه على وجوب احياء اللغة العربية بالعمل بان يكون الكلام

العربي الصحيح هو اللسان الرسمي فيها ويعلم كما تعلم اللغات الأخرى في المدارس لا كما يعلم هو فيها . وأما تعاليم الدين فيجب أن يكون أساسه القرآن والسنة الصحيحة ومعرفة الاجماع وان يعدّ كل ما وراء هذا من الخلاف بين أئمة المسلمين وعلمائهم كالخلاف في المسائل العلمية ، لا ينكت من قتل الأخوة الإسلامية ، وكل ما هو من أعمال الجوارح يكون تعليمه بالعمل كالصلاة مثلاً وما عدا ذلك يعلم بالقول . وأما التربية فما يجب التنبيه عليه تربية الإرادة والعزيمة التي هي منشأ الاستقلال الشخصي والتنوع تبع للشخصي وتربية الاخلاق بملاحظة السيرة والسلوك وتربية الخيال التي تعدّ للاخطابة والشعريات المؤثرة في النفوس . هذا ما أراه نافعا من التعاليم الإسلامية وفق الله المسلمين لتحقيقه ، والسير طريقه ، آمين

أشار علي بن أبي طالب

مقدمتنا لكتاب أسرار البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن ، خالق الانسان علمه البيان ، فله الحمد أن علم ، والشكر على ما أنعم ، ومنه الصلاة والتسليم ، على نبيه الرؤف الرحيم ، الذي جاء بتوحيد اللغة والدين ، وجعل الكتاب والحكمة في الاميين ، فكانوا بذلك أئمة وكانوا هم الوارثين الانسان يمتاز بالعلم وانما العلم بالتعلم والتعلم باللغة . واللغات تفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب الى القبول وأدعى الى التأثير وفي صورتها وأجرام كلماتها بعدوثة النطق وسهولة اللفظ والالقاء والخفة على السمع . وان للغة العربية من هذه المميزات الميزان الراجح ، والجواد القارح ، يعرف ذلك من اخذها بحق ، وجرى فيها على عرق ، فكان من مفرداتها على علم ، وضرب في أساليبها بسهم ، ومن آية ذلك لغير العارف ان اولئك الشراذم والأوزاع من أهلها قد حملوها الى الأثم ، التي كان لغاتها في العلوم قدم ، ولم يحملوها عليها بالإلزام ، ولا بالتعاليم العام ، وكان من أمرها مع هذا أن نسخت

بطبيعتها لغة المصريين من مصرهم والرومانيين من شامهم واستقلت على الفارسية العذبة في مهدها وموطنها وامتد شعاعها الى الاندلس في غربي أوربا بعد ما طاف ساحل أفريقيا الشمالي والى جدار الصين من الشرق — كل ذلك في زمن قريب لم يعرف في التاريخ مثله للغة اخرى من لغات الفاتحين الذين يتخذون كل الوسائل لنشر لغاتهم وتعميمها بالتعليم العام وضروب الترغيب والترهيب

كانت لغة أميين وثنيين جاهليين فظهر فيها أكمل الأديان فكانت له أكمل مظهر، وتجلت لها العلم فكانت له خير مجلّى، وصارت بذلك لغة الدين والشريعة، وعلوم العقل والطبيعة، ولكن عدّت على أهلها عواد كونية، وطرأت عليهم أمراض اجتماعية، فضعف فيهم كل مقوم من مقومات الأمم الحية، ومن تلك المقومات الحقيقية اللغة فقد فسدت ملكتها في اللسنة والتوى طريق تعليمها في المدارس، حتى كادت تكون من اللغات الدوارس

ظهر ضعف اللغة في القرن الخامس وكانت في ريعان شبابها وأوج عزها وشرفها وكان أول مرض ألم بها الوقوف عند ظواهر قوانين النحو ومدلول الالفاظ المفردة والجلل المركبة والانصراف عن معاني الاساليب، ومغازي التركيب، وعدم الاحتفال بتصريف القول ومناحيه، وضروب التجوز والكناية فيه، وهذا ما بعث عزيزة الشيخ عبد القاهر الجرجاني امام علوم اللغة في عصره الى تدوين علم البلاغة ووضع قوانين للمعاني والبيان كما وضعت قوانين النحو عند ظهور الخطأ في الاعراب فوضع هذا الكتاب في البيان ومن فاتحته يتنسم القارئ ان دولة الالفاظ كانت قد تحكمت في عصره واستبدت على المعاني وأنه يحاول بكتابه تأييد المعاني ونصرها، وتعزيز جانبها وشد أسرها

كتب قبل عبد القاهر في مسائل من البيان بعض البلغاء كالجاحظ وابن دريد وقدامة الكاتب ولكنهم لم يبلغوا فيما بنوه أن جعلوه فناً مرفوع القواعد مفتوح الابواب كما فعل عبد القاهر من بعدهم فهو واضح علم البلاغة كما صرح به بعض علمائها وان لم يذكر له هذه المنقبة المؤرخون الذين رأينا ترجمته في كتبهم حتى ان ابن خلدون الذي تصدى دون القوم للإمام بتاريخ الفنون اهل ذكره وزعم ان الذي هذب الفن بعد أولئك الذين كتبوا في مسائل متفرقة منه هو السكاكي . وما كان السكاكي إلا عيالا على عبد القاهر تلاتلوه وأخذ عنه مع المخالفة في شئ من الترتيب والتبويب ولكنه لم يسلم من التكلف في بعض عبارته، والتعقيد في بعض منازعه، فاذا جاز لنا

ان تقول أنه فاق لتأخره بالترتيب المعلوم ، وبما حرره من الحدود والرسوم ، فأننا لانتسى من فضل المتقدم سلامة عبارته ، وصفاء ديباجته ، وغوصه على أسرار الكلام ، ووضع دررها في أبدع نظام ،

كان السكاكي وسطاً بين عبد القاهر الذي جمع في البلاغة بين العلم والعمل وأضرابه من البغاء العاملين وبين المتكلفين من المتأخرين الذين سلكوا بالبيان مسلك العلوم النظرية ، وفسروا اصطلاحاته كما يفسرون المفردات اللغوية ، ثم تنافسوا في الاختصار والايجاز ، حتى صارت كتب البيان أشبه بالمعميات والالغاز ، فضاعت حدوده بتلك الحدود ، ودَرسَت رسومه بهائيك الرسوم ، وكان من أثر فساد ذوق اللغة اختيار هذه الكتب التي ملكت العجمة عليها أمرها على الكتب التي تهديك الى العلم الصحيح بمعانيها ، وتهدي اليك الذوق السليم بأساليبها ومناحيها ، فكادت كتب عبد القاهر تمحي وتنسخ ، وصارت حواشي السعد تطبع وتنسخ ، وهذا هو حظ العلم النافع اذا أُلقي الى الامة في طور التدلي والضعف ، فمثل عبد القاهر في أسرار بلاغته ودلائل اعجازه كمثل ابن خلدون في مقدمته والسلطان سليمان العثماني في قوائمه

رب غذاء طيب نافع عاقته النفس لمرض ألم بها حتى اذا فقئت أو ابلت اشتته وطلبتة وهذا هو مثلنا أمس واليوم فقد كنا متفقين على أخذ العلم من كتب علمائنا المتأخرين كما يختار المريض الغذاء الضار فظهر فينا هداة مرشدون يسعون في احياء مآثاته الجهل من آثار سلفنا ومصنفات أئمتنا ويدلوننا على العلم الحي الذي تفجر من ينابيع النفوس الحية لنتفرق بينه وبين الرسوم الميتة التي سماها الجهل علما

ولما هاجرت الى مصر في سنة ١٣١٥ لانشاء (المنار) الاسلامي ألفت إمام النهضة الاسلامية الحديثة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتي الديار المصرية اليوم مشغولا في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني وقد استحضر نسخه من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده فسأله عن كتاب (أسرار البلاغة) للامام المذكور فقال انه لا يوجد في هذه الديار فأخبرته بان في أحد بيوت العلم في طرابلس الشام نسخة منه فحثني على استحضارها وطبعها فطلبها من صديقي الحميم العالم الأديب عبد القادر افندي المغربي وهي مما تركه له والده فابي الطلب . وعامنا ان نسخة أخرى من الكتاب في احدي دور المكتب السلطانية في دار الساطنة السنية فندبنا بعض

طلاب العلم الاذكياء لمقابلة نسختنا بتلك النسخة فخرج لنا من مجموعهما نسخة صحيحة شرعنا في طبعتها ووضعنا في ذيل المطبوع شرحاً لطيفاً ضبطنا فيه الكلمات الغريبة وفسرنا منها ومن جمل الكتاب ما رأيناه يستحق التفسير وأشرنا الى الخلاف بين النسختين ، فيما يحتمل صحة الاثنتين ،

أما كون عبد القاهر هو واضع الفن ومؤسسه فقد صرح به غير واحد من العلماء الاعلام أجايم قدراً ، وأرفعهم ذكراً ، أمير المؤمنين ، محي علوم اللغة والدين ، السيد محي بن حمزة الحسيني صاحب كتاب (الطراز ، في علوم حقائق الاعجاز ،) فقد قال في فاتحة كتابه هذا وهو من أحسن ما كتب في البلاغة بعد عبد القاهر مانصه : « وأول من أسس من هذا الفن قواعده وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ورتب أفاينه ، الشيخ العالم التحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني فلقد فك قيد الغرائب بالثقيد ، وهد من سور المشكلات بالتسوير المشيد ، وفتح أزاهره من اكمامها ، وفق أزواره بعد استغلاقتها واستبهاها ، فجزاه الله عن الاسلام أفضل الجزاء ، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والجزاء ، وله من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الاعجاز ، والآخر لقبه بأسرار البلاغة ، ولم أقف على شيء منهما ، مع شغفي بمحبتهما وشدة إعجابي بهما ، الا ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما ، »

وأما مكانة هذا الكتاب وبيان ما يمتاز به على كتب البيان فحسبي عرضه على الانظار مع التنبيه على مسألتين نافعتين (احدهما) ان العلم هو صورة المعلوم مأخوذة عنه بواسطة الادراك كما تؤخذ الصورة الشمسية بالآلة المعروفة فان كان المعنى المنتزع من الجزئيات قانوناً كلياً يرشد اليها فهو القاعدة وان كان صورة تناسبها وتقربها من الفهم فهو المثل . (والثانية) ان القاعدة الكلية هي صورة اجمالية للمعلومات الجزئية والامثلة والشواهد صور تفضيلية لها . والتعليم النافع انما يكون بقرن الصور المفصلة بالصورة المجملة اذ بالتفصيل تعرف المسائل وبالأجمال تحفظ في العقل وبهذه الطريقة يجمع بين العلم والعمل الذي يثبت به العلم وهي طريقة عبد القاهر في كتابه هذا وكتاب دلائل الاعجاز على ان كلام الشيخ رحمه الله تعالى كله من آيات البلاغة فهو يعطيك علمها بمعانيه ، وعمليها بمبانيه ، وبهذه المميزات يفضل هذا الكتاب جميع ما بين أيدينا من كتب الفن لانها انما تقتصر على سرد القواعد والاحكام بعبارات اصطلاحية ، تنكرها بلاغة الاساليب العربية ، ولا تذكر من الشواهد والامثلة الا القليل النادر ، الذي أدلى به السابق الى اللاحق والاول الى الآخر ،

لهذا بادر الاستاذ الامام ، مفتي الديار المصرية في هذه الاعوام ، الى تدريس الكتاب في الازهر الشريف عقيب شروعا في طبعه فأقبل على حضور درسه مع اذكاء الطلاب كثيرون من العلماء والمدرسين وأساتذة المدارس الاميرية . وقد قال أحد فضلاء هؤلاء الاستاذين بعد حضور الدرس الاول : انما قد اكتشفنا في هذه الالية معنى علم البيان .

وقد ظهر للاستاذ في غضون التدريس والمطالعة اغلاط في الكتاب بعضها من الطبع وبعضها من تحريف النساخ في الاصل واغلاط أخرى في الهوامش فأحصيناها كلها من نسخته ووضعنا لها جدولاً في آخر الكتاب انعاماً للفائدة . وبما يجب التنبيه عليه ان بعض تراجم فصول الكتاب هي من وضعنا فان المصنف رحمه الله تعالى كان يكتفي في كثير منها بكلمة (فصل) اه ويلي هذا ترجمة المصنف

﴿ الهدايا والتقاويظ ﴾

(فتح القدير شرح الهداية لمجتهد الحنفية في القرن السابع الكمال بن الهمام)
يتبع طلاب فقه الحنفية عشرين سنة أو أكثر ليكونوا فقهاء في هذا المذهب فيضيع تعب الاكثرين سدى لا اشتغالهم بكتب المتأخرين المحشوة بالفروع الشاذة وغير الشاذة والاضطراب في التصحيح والترجيح ولا يكون الانسان بهذه الطريقة فقيهاً ولو أفنى عمره في المدارس . وقد كان لهؤلاء بعض العذر قبل أن يطبع هذا الكتاب (فتح القدير) الذي هو أحسن كتب المذهب في تحرير المسائل وبسط أدلتها وارجاعها الى أصولها . وقد كان العلماء يتنافسون في الاطلاع عليه حتى ان ابن عابدين المشهور ظفر بنسخة منه فاشتراها بوزنها ذهباً . وقد كان طبع في الهند فطلب نسخاً منه أكبر فقهاء الحنفية فأفقوه كما كان يقول أحدهم (الشيخ عبد الغنى الرافعي رحمه الله تعالى) : توراة مبدلة . أي انه كثير الغلط والتحريف . وقد طبعه أخير السيد عبد الواحد بك الطوبجي وأحوه في المطبعة الاميرية واعتنى بتصحيحه وأضيف اليه تكلماته المهمة (نتائج الافكار) لأمولى شمس الدين أحمد المعروف بقاضي زاده . ووضع في هامشه (شرح العناية على الهداية) لأكمل الدين الباري وحاشية سعدي جابي المفتي الشهير فبلغ الجميع ثمانية مجلدات وجمل ثمنه ١٦٠ قرشاً و ١٦٥ من الورق النباتي ويطلب من مكتبة طابعه في مصر فتوجه اليه أئثار الحنفية عامة وأهل الهند خاصة

(جواهر الانشاء) أنشأ أخونا الاستاذ الفاضل الشيخ طنطاوي جوهري مدرس العربية في المدرسة الخديوية نبذا وفصولا في موضوعات مختلفة لتكون تمريناً للتلامذة على الكتابة والانشاء . ثم ضم اليها بعض الاحاديث النبوية في الفضائل ومحاسن الاعمال وشيئاً من الحكم المتشورة ومن الاشعار المختارة في الآداب ومنها نظم ما يخص من كتاب أدب الدنيا والدين وسمى هذه المجموعة [جواهر الانشاء] وقد طبعت في مطبعة الترقى الشهيرة بالاتقان وثمانها قرشان وهي ٩٠ صفحة ونطلب من مكتبة الترقى ومن حضرة ملتزم طبعتها توفيق افندي كاشف بشارع ركة الفيل

(رسالة الشيرازي في علم الاخلاق) هي رسالة مختصرة مفيدة في الأخلاق والآداب سهلة العبارة اعتنى بطبعها المحامي الفاضل الأديب عبد العليم افندي صالح ولا يعرف مؤلفها وربما يتبادر الى الذهن انها للشيخ أبي اسحق وما هي له فيما يظهر من اهدائها في فاتحتها . على ان العبرة بالقول لا بالمقابل والرسالة نافعة في بابها وهي ثلاثة أقسام أحدها في الاصول الكلية لعلم الاخلاق وثانيها فيما يجري مجرى الأمثال السائرة ، من الكلمات البادرة ، وثالثها في محاسن أخلاق الملوك وآداب اتباعهم وحواشيهم وهذا القسم يدلنا على استبداد الملوك في ذلك العصر واقرار العلماء على ذلك . فشكر لطابعها فضله في احياء هذه الآثار الاخلاقية التي نحن أشد حاجة اليها من سائر العلوم ونحث الناس على قراءة هذه الرسالة وثمانها قرشان

(تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان) كما يجب على الانسان أن يعرف نفسه من حيث هو شخص يجب عليه أن يعرفها من حيث هو أمة أي عضو من أمة شرفه بشرفها ومهانتها بمهانتها والأثم الحية تعنى بتاريخها فعلمه أولادها بالتفصيل وتاريخ سائر الأمم والدول بالاجمال ولكتنا نرى أكثر المسلمين يجهلون تاريخ الاسلام وأكثر العثمانيين يجهلون تاريخ الدولة العلية ولآل العظم فصل على المريقين بالعناية بالتأليف في التاريخين فاذا كان رفيق بك العظم مشغولا بتأليف تاريخ (أشهر مشاهير الاسلام) فحقى بك العظم الفاضل مشغول بتاريخ الدولة العلية فبعد أن ألف كتاب (دفاع باقنا) وطبعه ألف كتاب تاريخ الحرب العثمانية اليونانية بالتفصيل وطبعه نجاء كتاباً حافلاً بصفحاته ٢٢٥ وفيه مباحث تاريخية واجتماعية نافعة منها بحث « اللغة تحفظ كيان الشعب » ومنها التعريف بمقدمات الحرب وأسبابها والجمعية الوطنية اليونانية ومنها تحليل الحوادث والوقائع ونسائجها وختمه بظرة سياسية في موقف الدولة العلية قبل الحروب وبعدها وأحوال البانيا ومكدونيا واحتياج الدولة للرجال الأكفاء

وسبب سكوت الدولة عنها الآن . والكتاب مطبوع في مطبعة الترقى على ورق جيد ويطلب منها ومن ادارة المنار وثمنه عشرة قروش أميرية

(البيان) مجلة أخبارية تاريخية تصدر مرة في الشهر باللغتين العربية والاوردية لمنشئها الفاضل الشيخ عبد الله العمادي وصاحب امتيازها المولوي عبد الولي بن الفاضل الراسي عبد العلي المدراسي . والغرض منها جمع كلمة الامة الهندية ، واحياء الفضائل العربية ، ومن المباحث النافعة فيها نبذة (الحضارة والهند) شكا فيها الكاتب من فقر الامة وقلة الكسب وكثرة الاتاوات والصرائب وهي نحو ٥٠٠ مليون روبية . منها ١٦٠ مليوناً من الخراج و ٨٥ مليوناً من المالح و ٣٥ مليوناً من المراطيس القضائية و ٥٥ مليوناً من الخمر و ٣٥ مليوناً من الزيادات الخراجية و ٥ ملايين من التسجيل (السيكورتاه) . ومنها نبذة في مقاصد ندوة العلماء لم تتم واملنا ملخصها بعد تمامها ونرجو لهذه المجلة الرواج فقيمة الاشتراك فيها ٨ روبيات في الهند و ٣٠ غرشاً او ٦ شلينات في الخارج (تابه) صاق هذا الجزء من باب الاخبار البوية وآثار السلف وعن الاخبار والآراء والدع والخرافات

لشاعر المجيد . مصطفى اقدى صادق الراجحي (في الساعة)

تضرب كالقلب شفه السقم	كأن فيها الهموم تضطرم
ذات محبا أطل اقرأ من	خطوطه ما يخطه القلم
• الفتها لا أذم صحتها	وعني بي في اصطحابها السام
وما أراها سوى الزمان أما	يدور فيها النعيم والنقم
تذكرني ما يمر من عمري	فكل يوم يجد لي ندم
ما إن تراعي لأهلها ذمها	ان رعت عند أهلها الذم
وايس أما سمعت عقاربها	يدب لي غير مهجتي الألم
ولا اذا اعجبت فجائعها	في غير ضيق القلوب تزدحم
ياأخت ذات البروج هل حجبت	طوال السعد هذه الظلم
كانها والخطوب تكتمها	سر بقاب الرمان منكم
وهل تعود الجدود ثانية	من بعد هذا العبوس تبسم
ما أثبت الهم في الصدور اذا	أمست ليالي الحياة تهزم
وهذه الدار صكاها تعب	سيان فيها الوجود والمدم
والناس كالنائمين ما لبثوا	فكل ما يشهدونه حلم
أبدع ذات العماد مبدعها	فأين راحت بأهلها ارم

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
نذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه وأولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة غرة صفر سنة ١٣٢٠ — ٩ مايو (أيار) سنة ١٩٠٢)

القسم الديني

(باب تفسير القرآن الحكيم)

(مفسر مما يلقيه في الارهره ولا بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية)
« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ
لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

تقدم في التمهيد الذي نشرناه في الجزء الماضي ان الآيات متصلة بما قبلها
من الكلام في الكتاب ومن جاء به ومن دُعي اليه فهي من جهة تجلي حجة
الرسول ودعوته لأن الملائكة اذا كانوا محتاجين الى العلم ويستفيدونه
بالتعلم من الله تعالى بالطريقة التي تناسب حالهم فالبشر أولى بالحاجة الى ذلك
منهم لأن طبيعة البشر جبات على أن يكتسبوا كل شيء اكتساباً . ومن
جهة أخرى تسلي النبي صلى الله عليه وسلم بيان ان البشر أولى من الملائكة
بانكار ما لم يحيطوا بعلمه حتى يعلموا وانهم جيلوا على أن يتوبوا ويرجعوا

بعد ان يخطؤا ويذنبوا وأن الإفساد في الأرض وجحود الحق ومناصبه الداعي اليه ليس بدعاً من قومه وإنما هو من جبلة الأولين وطبيعة النوع ثم الكلام في تفسير الآيات بالتفصيل : للمفسرين في (الخليفة) مذهبان — ذهب بعضهم الى أن هذا اللفظ يشير بأنه كان في الأرض صنف أو أكثر من نوع الحيوان الناطق وأنه انقرض وان هذا الصنف الذي أخبر الله الملائكة بأن سيجعله خليفة في الأرض سيحل محله ويخلفه كما قال بعد ذكر اهلاك القرون « ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم » . وقالوا ان ذلك الصنف البائد قد أفسد في الأرض وسفك الدماء وان الملائكة استنبطوا سؤالهم بالقياس عليه لأن الخليفة لا بد أن يناسب من يخلفه ويكون من قبيله كما يتبادر الى الفهم . ولكن لا دليل على أنه يكون مثله من كل وجه وليس ذلك من مقتضى الخلافة ولذلك أجاب الله الملائكة بأنه يعلم ما لا يعلمون مما يمتاز به هذا الخليفة على من قبله وما له سبحانه في ذلك من الحكمة البالغة . (قال الاستاذ) واذا صح هذا القول فليس آدم أول الصنف العاقل من الحيوان على هذه الأرض وإنما كان أول طائفة جديدة من الحيوان الناطق تماثل الطائفة أو الطوائف البائدة منه في الذات والمادة وتخالفها في بعض الاخلاق والسجايا

هذا أحسن ما يجلي فيه هذا المذهب وأكثر ما قالوه فيه قد سرى الى المسلمين من أساطير الفرس وخرافاتهم ومنه انه كان في الأرض قبل آدم خلق يسمون بالحن والبن أو الطيم والريم . والا كثرون على ان الخلق الذين كانوا في الارض قبل آدم مباشرة كانوا يسمون الجن والقائلين منهم بالحن (بالهمله) والبن قالوا انهم كانوا قبل الجن . وقالوا ان هؤلاء

عاثوا في الارض فساداً فأبادهم الله (كما تقدم آنفاً) وقالوا ان الله تعالى أرسل اليهم ابليس في جند من الملائكة فخارب الجن فدمرهم وفرقهم في الجزائر والبحار . وليس لهم سند يحتاج به على هذه القصص ولكن تقاليد الامم الموروثة في هذه المسئلة تنبئ بامر ذي بال وهي متفقة فيه بالاجمال الا وهو ما قلناه من ان آدم ليس أول الاحياء العاقلة التي سكنت الأرض هذا هو المذهب الأول في تفسير الخليفة . وذهب الآخرون الى أن المراد إني جاعل في الأرض خليفة عني ولهذا شاع ان الانسان خليفة لله في أرضه . وقال تعالى « ياداوود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ » والظاهر — والله أعلم — أن المراد بالخليفة آدم ومجموع ذريته ولكن مامعنى هذه الخلافة ؟ وما المراد من هذا الاستخلاف هل هو استخلاف بعض الانسان على بعض أم استخلاف النوع على غيره ؟

جرت سنة الله في خلقه بأن تعلم أحكامه للناس وتنفذ فيهم على السنة أناس منهم يصطفيهم ليكونوا خلفاء عنه في ذلك . وكما ان الانسان أظهر أحكام الله وسننه الوضعية (أي الشرعية لأن الشرع وضع الهي) كذلك أظهر حكمه وسننه الخلقية الطبيعية فيصح أن يكون معنى الخلافة عاماً في كل ما ميز الله تعالى به الانسان على سائر المخلوقات

نطق الوحي ودل العيان والاختبار على ان الله تعالى خلق العالم أنواعاً مختلفة وخص كل نوع غير نوع الانسان بشيء محدود معين لا يتعداه . فأما ما لانمرنه الا من طريق الوحي كالملائكة فقد ورد في الآيات والاحاديث ما يدل على ان وظائفه محدودة قال تعالى : « يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ — وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ — وَالصَّافَاتِ طَهَّاتًا

فالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا — وَالتَّارِغَاتِ غَرْقًا وَالتَّاسِطَاتِ نَشْطًا
وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ، الى غير ذلك مما يدل
على انهم طوائف لكل طائفة وظيفه محدودة . وورد في الأحاديث ان
منهم الساجد دائماً والراكع دائماً الى يوم القيامة

وأما ما نعرفه بالنظر والاختبار فهو حال المعدن والجماد ولا علم له
ولا عمل وحال النبات وإنما تأثير حياته في نفسه فلو فرض ان له علماً وإرادة
فهما لا أثر لهما في جعل عمل النبات مبيناً لحكم الله وسننه في الخلق ولا
وسيلة لبيان أحكامه وتنفيذها . فكل حي من الأحياء المحسوسة والنبية فإن
له استعداداً محدوداً وعلماً إلهامياً محدوداً وعملاً محدوداً وما كان كذلك
لا يصلح ان يكون خليفة عن الذي لاحد لعلومه وإرادته ولا حصر لأحكامه
وسننه ولا نهاية لأعماله وتصرفه

أما الإنسان فقد خلقه الله ضعيفاً كما قال في كتابه وخلقناه جاهلاً
كما قال « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا » ولكنه
على ضعفه وجهله عبرة لمن يعتبر وموضع لعجب المتعجب لأنه يتصرف
بالأقوياء ، ويعلم جميع الاسماء ، يولد الحيوان عالماً بالالهام ما ينفعه وما يضره
وتكمل له قواه في زمن قليل ويولد الإنسان وليس له من الالهام الا
الصراخ بالبكاء ثم يحس ويشعر بالتدريج البطيء بالنسبة الى غيره من الحيوان
ويعطى قوة أخرى تتصرف بمدركات شعوره وإحساسه تصرفاً يكون
له به السلطان على هذه الكائنات فيسخرها ويذلها بعد ذلك كما يشاء . تلك
القوة الغريبة هي التي يسمونها العقل ولا يعقلون سرها ، ولا يدركون
حقيقتها وكنهها ، فهي التي تغني الانسان عن كل ما وهب للحيوان في أصل

الفطرة من الكساء الذي يقيه البرد والحر والاعضاء التي يتناول بها قوته والتي يدافع بها عن نفسه ويسطو بها على عدوه وغير ذلك من المواهب التي يعطاها الحيوان بلا كسب حتى كان له بها من الاختراعات العجيبة ما كان، وسيكون له من ذلك ما لا يصل اليه التقدير والحسبان

فالانسان بهذه القوة غير محدود الاستعداد ولا محدود الرغائب ولا محدود العلم ولا محدود العمل فهو على ضعف أفراد يتصرف بمجموعه في الكون تصرفاً لا حد له باذن الله وتصريفه . وكما أعطاه الله تعالى هذه المواهب والاحكام الطبيعية ليظهر بها أسرار خليفته ومملكه الأرض وسخر له عوالمها أعطاه أحكاماً وشرائع حد فيها لاطلاقه حدًا يحول دون بني أفراد وطوائفه بعضهم على بعض فهي تساعده على بلوغ كماله لانها مرشد ومرتب للعقل الذي له كل تلك المزايا . لهذا كله جعله خليفته في الأرض وهو أخلق المخلوقات بهذه الخلافة

ظهرت آثار الانسان في هذه الخلافة على الأرض ونحن نشاهد عجائب صنعه في المعدن والنبات وفي البر والبحر فهو يتفنن ويتبدع، ويكتشف ويخترع، ويمجد ويعمل حتى غير شكل الأرض فجعل الحزن سهلاً، والماحل خصباً، والحراب عمراناً، والبراري بحاراً أو خلجاناً، ووآد بالتلقيح أزواجاً من النباتات لم تكن كالإيوان المسمى يوسف افندي) فان الله تعالى خلقه بيد الانسان وأنشأه بكسبه . وقد تصرف في أبناء جنسه من أنواع الحيوان كما يشاء بضروب التربية والتغذية والتوايد حتى ظهر التغير في خلقها وخلاتها واصنافها فصار منها الكبير والصغير ومنها الأهلي والوحشي وهو ينتفع بكل نوع منها ويسخره لخدمته كما سخر القوي

الطبيعية وسائر المخلوقات

أليس من حكمة الله الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ان جعل الانسان بهذه المواهب خليفته في الأرض يقيم سنته ويظهر عجائب صنعه وأسرار خليفته وبدائع حكمه ومنافع أحكامه؟ وهل وجدت آية على كمال الله تعالى وسعة علمه أظهر من هذا الانسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم؟ وإذا كان الانسان خليفة بهذا المعنى فكيف تعجب الملائكة منه « وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » بادروا الى السؤال واستفهام الاستغراب و« قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » فيغفل بذلك عن تسيحك وتقديسك « ونحن نسبح بحمدك ونقدسك » لك « بلا غفلة ولا فتور؟ لا شك ان هذا السؤال نشأ من فهم المعنى المراد من الخليفة وما يقضيه من العلم غير المحدود والارادة المطلقة وكون هذا العلم المصروف للارادة لا يحصل الا بالتدريج وكون عدم الاحاطة مدعاة للفساد والتنازع المفضي الى سفك الدماء (كما تقدم في التمهيد في الجزء الماضي) نعم إن هذا العلم الواسع لا يعطاه فرد من أفراد الانسان ولا مجموع النوع دفعة واحدة فيشابه علم الله تعالى وكلما أوتي نصيباً منه ظهر له من جهله ما لم يكن يعلم فهو على سعة علمه لم يؤت من العلم الالهي الا قليلا وهو مع ذلك أكمل مظاهر العلم الالهي ولذلك اجاب الله الملائكة بالعلم « قال إني أعلم ما لا تعلمون » فأثبت لذاته العلم بحكمة هذه الخلافة ونفاه عنهم ثم أظهر لهم ان الانسان يكون خليفة بالعلم وما يتبعه فقال « وعلم آدم الاسماء كلها » وسيأتي تفسير ذلك في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ باب العقائد من الأُمالي الدينية ﴾

(الدرس ٤٣ — الاجوبة عن شبهات العصمة)

(المسئلة ٩٠) معصية آدم عليه السلام علمنا ان مذهب جمهور أهل السنة ان الانبياء معصومون بعد النبوة لاقبلها فلا ترد . معصية آدم على هذا المذهب لأنه لم يكن نبيا حين عصى ربه بل لم يكن في طور التكليف الا بالنسبة الى النهي عن الأكل من الشجرة . ولا ترد أيضا على ما اختاره المتأخرون من عصمتهم قبل النبوة (وان كان يلزم منه ان هناك أحكاما قبل التشريع والوحي) لأن الدليل العقلي الذي يمكن أن تثبت به هذه العصمة لا يأتي في مسئلة آدم وهو ان يكون من اختاره الله للنبوة معروفا في قومه بمكارم الاخلاق وأحسن الافعال لان سيئ السيرة ممقوت منبوذ تحفظ مساويه وجرائمه فتحول دون قبول دعوته وكون هذا لا يجيء في مسئلة آدم بديهي لا يحتاج الى بيان . فان قيل ان الدليل يرشد الى ان فطرة الانبياء زاكية ونفوسهم عالية فهم ينفرون من المعاصي والجرائم بوازع نفسي راسخ فيهم كما علم من إثبات النبوة والوحي فكيف يقترب آدم تلك المعصية مع كونه خلق في أحسن تقويم وأكمل صفة؟ والجواب ان صاحب النفس الزاكية تربأ به نفسه عن تعمد إتيان المنكر وارتكاب الفاحشة التي يعرف مضرتها وسوء عاقبتها وآدم لم يتعمد المخالفة بدليل قوله تعالى « وَاَقْبَدَ عَهْدَنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ » ولم يكن عالما بوجوده مضرتها لتفريطه منها بل كان يعتقد صدق الشيطان الذي وسوس اليه بأنها شجرة الخلد وملاك لا يبلى فهذا الاعتقاد دفعه عند نسيان النهي الى الأكل

ليكون مظهرًا لهذا النوع الذي هو أبوه وليعلم من بعده من ولده غير المعصومين ما يجب على من عصى ربه من التوبة والالتوبة إلى الله تعالى على أن في قصة آدم وجهًا في التأويل، بأنها وردت، ورد التمثيل، لاظهار طبيعة النشأة البشرية، في اطوارها التدريجية، فالجنة والعيش الرغد فيها مثل لما كان عليه النوع البشري في طور السذاجة الأولى وعصيان آدم وهبوطه هو وزوجه من الجنة مثل لدخول البشر في طور المخالفات التي تجر عليهم الشقاء والبلاء. والتوبة والمنفرة مثل لطور الكمال الكسبي والارتقاء العلمي والعلمي. (سيأتي إيضاح ذلك في باب التفسير المقتبس من مفتي الديار المصرية)

(م ٩١) قصة داود عليه السلام واع بالاسرائيليات بعض الذين اشتغلوا بتفسير القرآن بالمأثور فالتصقوا بالقرآن ما تلقفوه من أهل الكتاب لأدنى مناسبة ولولا ذلك لما كنا محتاجين إلى الجواب عن هذه الشبهة بعد ما قررنا في الدرس الماضي الفرق بين ذنوب الأنبياء وبين المعاصي الحقيقية التي عصهم الله تعالى منها

القرآن مهيمن على الكتب السماوية لأنه ثابت بالتواتر دونها فما أثبتته فهو الثابت وما نفاه فهو المنفي وقصة داود مع الخصم ليس فيها بحسب نص القرآن إلا أن اجتهاد داود اختلف في قضيتين متشابهتين فعرفه الله خطأ الاجتهاد الأول بما هداه اليه في الثاني لأن خطأ الأنبياء في اجتهادهم لا يقرؤون عليه كما تقدم في الدرس الماضي عن البيضاوي. هذا اذا كان لقصة المرأة أصل وإلا فان قضية الخصمين اللذين تحاكما الى داود عليه السلام ليست نصاً في انه أخطأ في قضية أو تزوج امرأة بعد ما عرض زوجها

للقتل او غير ذلك مما يزعمون . القضية ان احد الخصمين له تسع وتسعون
 نعمة والآخر نعمة واحدة فطلب الأول أن يضمها الى نعاجه وحاج
 صاحبها في بيان ان ذلك هو الصواب والأولى فزّه وغلبه في الخطاب
 والكلام فحكم داود بأن صاحب التسع والتسعين ظالم وان من شأن
 الخطاء البغي . ولكن ختم النبا بقوله تعالى « وظنّ داود أنّما فتناه
 فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً واناب . فتقرّنا له ذلك وإنّ له عندنا لزلفى وحسن
 مآب » يدل على أن وراء القضية او فيها هفوة لداود . ولقائل ان يقول :
 يحتمل ان تلك الهفوة في نفس الحكم فانه لا يبعد أن يكون الصواب ضم
 النعمة الى القطيع لتحفظ وثأتي بالنسل وأن بقاءها عند صاحبها مضيعة
 لها فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية كما ورد في الحديث الشريف .
 واعتراف المدعي بأن خصمه عزّه في الخطاب دليل على انه لم يطلبها الا
 بحق وبعبوض كشن المثل او منفعة أخرى من الابن او النسل

وفي البيضاوي وغيره احتمال آخر في التأويل مروى وهو ان الذين
 تسوروا المحراب كانوا يقصدون اغتيال داود في يوم انفراده فوجدوا عتده
 قوماً فتصنّعوا بالتحاكم فلم غرضهم وقصد أن ينتقم منهم ثم لم يجد مسوغاً
 شرعياً فعاتب نفسه وظن أن الله تعالى أراد ابتلاءه واختباره بذلك فاستغفر
 ربه مما همّ به لأن ذلك ذنب بالنسبة الى مقامه

واذا كان لقصة امرأة أوريا أصل فيجب أن يكون مطابقاً لقضية
 الخصمين بأن يكون داود اعتقد أن امرأة جميلة في بيت جندي فقير
 حانت أسفار لا تسلم من تطلع السفهاء وتعرض الفجار وأن الطريقة
 المثلى لصيانتها هي ان تكون في بيت النبوة والملك وأنه كلم زوجها في أن

يكفلها فأقنعه وعزّه في الخطاب، لأن هذا هو الصواب، وإنما استغفر داود من ذلك لأنه ظن أن اجتهاده في أمر المرأة مشوبٌ بشيء من ميل النفس الى كفالتها وان هذا الميل هو الذي رجّح في نفسه الرأي الأول بدليل أنه ظهر له خلافه في قضية تشابه الأولى ومثل هذا يعده هؤلاء الكلمة ذنباً وإن لم يكن فيه مخالفة لأمر الله تعالى وحيد عن شريعته . ومن تأمل ما تقدم القصة وما تأخر عنها من الثناء على داود عليه السلام علم ان القرآن يتنزه في حكمته وبلاغته أن يكون ذكر الفاحشة فيه محتقاً بهذا الثناء والاطراء . ويقال ان تنازل الرجل عن امرأته لا خير ليتزوج بها كان مشروعاً عندهم . وقد آثر الانصار المهاجرين (رضي الله عنهم أجمعين) بزوجاتهم فكان من عنده امرأتان يطلق احدهما ليتزوج بها أخوه المهاجر . وفي القصة روايات كثيرة في كل فرع من فروعها لا يباها أهل العقل ولا أهل النقل . فان قبلنا منها شيئاً فلنقبل ما يوافق قواعدنا الثابتة كرواية ان أوريا لم يكن متزوجاً بالمرأة وإنما كان خاطباً ورواية نهى الأمام علي كرم الله وجهه عن التحديث بالقصة على ما يرويه القصاص ووعيده من خالف بمجد مائة وستين جلدة وذلك حد القرية على الأنبياء عليهم السلام

(م ٩٢) الشبهة الاولى على سليمان عليه السلام حاسب الله القصاص فلقد

شوهوا كتب التفسير بقصصهم . استعرض سليمان نبي الله وملك بني اسرائيل الخليل وهو نعم العبد « إذ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَافِرَاتُ الْجِيَادُ . فقال أَنِّي أُحِبُّتُ حَبَّ الْخَيْرِ » المعقود بنواصي الخليل لا عن هوى نفسي ولكن « عَنْ ذِكْرِ رَبِّي » ووحيه الذي أمر برباط الخليل للدفاع عن الحق . فما زالت تعرض « حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ » فقال « رَدُّوْنَهَا عَلَيَّ » لأراها

متبلة ومدبرة أو لاختبر حالها فقد قيل إنه كان عالماً بها وبأمر اضها أولاً تتمتع بمسح سوقها وأعناقها فردوها عليه « فَطَقَّ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ » كما هو شأن محبي الخيل في كل جيل وزمان . فأي دليل أم أية شبهة في هذه الآيات على أن سليمان عليه السلام ترك صلاة العصر شغلاً بالخيل حتى غربت الشمس وأنه انتقم منها بقطع سوقها وأعناقها - ولو كان المسح هو القطع لكان قوله تعالى « فامسحوا برؤوسكم وأرجلكم » بمعنى اقطعوها - وأن قوله ردوها علي خطاب للملائكة الموكلين بالشمس يأمرهم بردها بعد غروبها ليصلي العصر وأي حاجة لتطويل الفقهاء البحث في هذه الصلاة هل هي أداء أم قضاء؟؟ ولكن هذا قضاء الله في قوم اشتغلوا عن لباب العلم بلوك القشور، ألا إلى الله تصير الأمور

(م ٩٣) الشبهة الثانية على سليمان عليه السلام روي في تفسير قوله تعالى « وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ » روايات مضطربة متعارضة فاذا حكمنا علم الرواية فأننا نقبل رواية البخاري ومن وافقه وملخصها أن سليمان قال لا طوفن الليلة على أربعين امرأة (من نسائه) تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فلم تحمل منهن الا واحدة جاءت بشق رجل فآتي على كرسيه عرضاً عليه وسمي جسداً لانه ليس إنساناً كاملاً فكان ذلك فتوناً واختباراً من الله تعالى له فأناب اليه وتاب ان يجزم بشيء دون الاستثناء بمشيئته فأن التماثيل وعبادة الاصنام ووثبان الشياطين على كرسى الملك وما أشبه هذا الهذيان الذي روي؟؟

(م ٩٤) الشبهة على عصمة يوسف عليه السلام ان ماجرى ليوسف مع امرأة العزيز كان قبل نبوته وليس فيما قصه الله تعالى علينا الا أنه « هم بها

لولا أن رأى برهان ربه فيجوز أن يكون جواب لولا محذوفاً دل عليه ما قبله فتكون الآية ناطقة بأنه لم يهّمّ وبعض النحاة جوز تقديم جوابها أي أنه لولا رؤية برهان ربه لهم بها لتوفر الدواعي ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء فلم يهّمّ . ولو فرضنا أن الجواب «لغشياً» وأنّ لهم وقع منه لكان لنا أن نقول أن الأنبياء ليسوا معصومين من حديث النفس ومراودة الشهوة البشرية ولكنهم معصومون من طاعتها والانقياد إليها ولو لم توجد عندهم داعية إلى خطأ لما كانوا مجبورين على ترك المنكرات والمعاصي لأنهم يكونون مجبورين على تركها طبعاً والعين لا يؤجر ويثاب على ترك الزنا لأن الأجر لا يكون إلا على عمل والترك بغير داعية ليس عملاً وأما الترك مع الداعية فهو كف النفس عما تشوّف إليه فهو عمل نفسي

(م ٩٥) الشبهة على أخوة يوسف لا شك أن أخوة يوسف قد ارتكبوا

المعصية المشتملة على عدة معاصي ولكنهم لم يكونوا أنبياء . وأما ذكر الاسباط فيمن أوحى الله تعالى إليهم من الأنبياء فالمراد به (والله أعلم) أنبياء الاسباط وهم فرق بني إسرائيل الـ١٢ي عشر قال تعالى « وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً » وقد بعث الله في كل أمة من هؤلاء الاسباط أنبياء وأوحى إليهم فعل الخيرات وهداية بني إسرائيل . وما رواه ابن جرير الطبري من استغفار يعقوب لهم في وقت السحر وتأمين يوسف عليها السلام وإن الله استجاب له على رأس العشرين سنة من دعائه وأوحى إليه أنه غفر لهم « وعقد موآتيهم على النبوة » فهو غير صحيح

هذا هو الحق في هذه القصص وقد انكشفت به شبهة فينبغي أن يلحق للمسلمين في الدروس ويعلم للأطفال لكيلا يغتر أحد بما في كتب العهد

العتيق التي يسمونها التوراة وبما حشي في كتب قصص الأنبياء وبعض التفاسير من الاسرائيليات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿ لا دثية في الاسلام ﴾

(نبذة من الجزء الثاني من كتاب أشهر مشاهير الاسلام الذي يطبع الآن)

« رأيت ماقاله عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار وهو قول لانهب ان يفوتنا البحث فيه لهذا رأينا أن نفرد له هذا الفصل فنقول ^(١)

أولع الانسان بالافراط كما أولع بالتفريط في كل شؤونه الروحية والجسمانية ولو أنصف واعتدل ولم يطلق لنفسه العنان ليلغ مقام الملائكة في أعلى عليين أو يهبط بها الى مقر الشرور في أسفل سافلين لكانت السعادة الدائمة به ألزم وطريق النعيم الحيوي لديه أوسع ولما احتاج الى كثير من هذه القوانين وقوانينها وزعماء السيطرة وجنودهم والحكام وأعوانهم والسجون وحراسها بل ولكان اكتفى بدين واحد قويم وشرع آلهي مستقيم ولم يشوّه وجه الشرائع ولم يدع لتمدد الاديان وارسال الرسل في آن وأن أجل أولع الانسان بالشطط حتى في العقائد فينا يكون هذا في طرف التفريط مارقاً من كل دين منكرّاً لكل نخلة هائماً في المادة التي يتناولها حسه وينكر ما فوقها عقله يكون الآخر مسلماً لمقيدته بما لا يبعد طبعه عن طبيعته طالباً بخياله ما يظن له قدرة فوق قدرته وسلطة أعلى من سلطته وأول ما يلاقيه في طلبه يعلق بقلبه ويظنه منتجع عقله والغاية التي

(١) يريد قول عمر لكعب « ضاعيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعتك

لعايك » وذلك حين استشاره في أمر قبلة المسجد فأشار بجعل المصلّى الى الصخرة

يطلبها في سيره فتوابع به نفسه ويقوى فيه أمله ويختص به عمله فيغلو في عبادته غلو المادي في مادته حتى يساويه من طرف الافراط بالتوجه تارة للأقمار وأخرى للأشجار وآونة للأحجار ووقتاً للارواح وآخر للأشباح الى غير ذلك مما هو داخل في المادة قريب من مشاغل الحس . فكان العقل الانساني في حال الايمان والكفر أسير المادة لايفلت من شرك الحس ولا يذعن الى ما فوق المادة ويصعد الى أفق الكمال الا هنيهة ريثما يتلقى برهان ربه بواسطة الانبياء ويطمئن الى التسليم بقوة آلهية تفوق قوى المادة وتعلو عن العقل وتحكم على الكائنات بحكم الصانع المختار ثم لا يلبث أن ينحط عن هذه المرتبة فيعود الى نحيزته الاولى للهبوط الى هوة النقص والتوجه الى مظاهر المادة ولو تدريجاً حتى يلتصق بالحضيض ويعود الى الشرك وهو يظنه الايمان ويخاله متبهي العبادة وإن من دين الا أصيب أهله بهذا المصاب وأشركوا مع الله الارواح تارة وأخرى الانصاب توسلا اليه على زعمهم بالحس وارتياحاً الى ماتحت النظر والعقل والله سبحانه وتعالى فوق ما يتصورون ليس من المادة ولا المادة منه بل هي مخلوقة له مفقرة اليه وليس بينه وبين خلقه سبب منها يتوصل به اليه بل هو كما قال في كتابه الكريم (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) الآية . ومن الثابت أن العرب كانوا على دين ابراهيم الذي هو كباقي الاديان الالهية دين التوحيد بالله والايمان بأنه تعالى خالق الكون وما فيه وإنكار ما دون ذلك من الاعتقاد بشئ من المادة ومن التمسك في العمل بأهداب الشرك ولكن لم يلبثوا أن تدرجوا في مدارج المادة وهبطوا الى حضيض

الشرك وتدرجوا من الاعتقاد بالارواح الى الاعتقاد بالاشخاص ثم الى الاعتقاد بالانصاب والاحجار وغير ذلك مما هو داخل في المادة واقع تحت الحس وهم مع ذلك كانوا يزعمون انهم مؤمنون لا مشركون وانهم بعبادة المادة يعبدون الله ويتقربون بها اليه كما أخبر عن ذلك القرآن بقوله تعالى « ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زُلْفى » وهذا من الاغراق في الجهل والانحطاط في العقيدة والافساد لاصل التوحيد ولم يكن هذا الافساد قاصراً على العرب فقط بل عم سائر ارباب الاديان مما لا محل لبسطه الآن

اذا تمهد هذا علمنا ان الاسلام بما جاء به من آيات التوحيد الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك انما جاء لاستئصال شأفة الوثنية من نفوس الرب وغيرهم من ارباب الاديان بمحو شائبة الاعتقاد بأي أثر من آثار المادة وصرف النفوس عن التوجه الى تلك الآثار بالحس لتوجه الى واجب الوجود بالضمائر والاكتفاء باستحضار هبة جلاله في القلب وتمكين الاعتقاد بأن الآثار الواقعة تحت الحس انما يقوم قوامه بالموثر المستحضر في الضمير الخارج عن الحس اذ بغير هذا لا يقوم للتوحيد أثر متين في النفس ينجي من منزلة القدم الى الوثنية المفضية الى الشرك المؤدي الى الجحود وانما الانسان مادة وهذه أعراض منها تنمو وتعم في النفس ما دامت النفس مستشعرة بشئ من وجوب التعظيم لغير الله تعالى والتوجه لأي أثر من آثار المادة وساء منقلب الظالمين

هذا هو التوحيد الذي جاء به الاسلام ودعا اليه النبي محمد عليه الصلاة والسلام وانما اضطربت العقول وساءت الاوهام لتفاوت الافهام وتباين مراتب المسلمين في العلم بحقيقة الدين والاحاطة بأسراره والوقوف

على جميع مقاصده حتى على عهد الرسالة واليك الدليل
أخرج الامام أبو الفرج ابن الجوزي في سيرة العنبرية عن المغرورين
سويد قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب في حجة حجبها قال فقرأ بنا في
الفجر « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » « ولثلاف قريش » فلما
انصرف رأى الناس مسجداً فبادروه فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مسجد
صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هكذا أهلك أهل الكتاب
قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيماً . من عرضت له فيه صلاة فليصل ومن
لم تعرض له صلاة فليعض :

فلو كان أولئك المصلون يومئذ في مرتبة عمر في العلم واستشعروا
من إقبالهم على ذلك المسجد للصلاة فيه تعظيماً له كما استشعر به عمر رضي
الله عنه وعنهم أجمعين لما بادروا للصلاة فيه الا اذا عرضت لهم صلاة ولا
جرم أن أعظم الناس فهماً للاسلام وعلماً بنواميس الدين ووقوفاً على مقاصد
النبوة المحمدية وما كانت تدعو اليه من التوحيد البحت الخالي عن كل
شائبة من الشوائب التي مر ذكرها هم أهل السابقة من المهاجرين الاولين
الذين تلقوا الدين آنحفاً كان ينزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لدن البعثة ولازموا الرسول ملازمة الظل فاكتسبوا سر شريعته
وأدركوا مرامي غرضه وقلدوه في أعماله وأقواله وانتهجوا منهجه واهتدوا
بسيرته فتفوقوا على غيرهم في العلم بالدين وعرفوا حقيقة التوحيد ومن
هؤلاء من هم في المرتبة الأولى في فهم مقاصد الاسلام ومنهم عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه ومن تتبع سيرته وأنعم النظر في أقواله وأفعاله
وانطبأها على الكتاب الكريم ونهج السنة القويم علم ما هو التوحيد

الذي أرشد اليه الاسلام وعرفه أولئك الصحابة الكرام فأرادوا أن يحووا به كل أثر من آثار الوثنية عن صفحات الضمائر والقلوب وحسب العاقل دليلاً على هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الاحبار لما أشار عليه بجعل المصلى الى الصخرة : لقد ضاهيت اليهودية يا كعب الى قوله اذهب اليك ^(١) فاننا لم نؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة : وقد مر الخبر في الفصل السابق نقلاً عن الطبري ولأجله عقدنا هذا الفصل ليكون به عبرة وذكرى لقوم يعقلون

تقدم معنا كيف تدرج الرب الى الوثنية حتى أنسوا بلبس الاحجار وعكفوا على عبادة الاصنام وأن أصول التوحيد عند أرباب الاديان كلها أفسدت تدريجاً كما حصل في دين الرب وانما كان مبدأ هذا التدرج الاستسلام للشعور بوجوب تعظيم مظهر من مظاهر المادة يظن ان له صلة بما فوق المادة كالمعابد مثلاً ثم يأخذ هذا الشعور ينمو ويتعدى المظهر الأول الى غيره ويتدرج في أطوار التعبد له حتى تنقلب صورة التوحيد المرتسمة على صفحات الضمائر الى صورة من صور المادة متجسمة للحس ويستحيل الايمان بآله واحد فوق المادة الى آلهة شتى كلها من المادة أولها صلة بها وهذا هو الشرك التام الجلي ومبدؤه ذلك الشرك الخفي ولم تكن دعوة الاسلام قاصرة على استئصال الوثنية فقط بل كان من مقاصدها الاولى والغايات التي ترمي اليها بل من أولها بالاهتمام وأجدرها بالعناية تطهير النفوس من كل أثر من آثار ذلك الشعور الفاسد ولو أشبه بدقته دقة الجرثومة الحية التي لا ترى الا بالنظارة المكبرة الا انها اذا وجدت

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في تاريخ الطبري بهذا اللفظ ولعلها بالك عن ا.هـ ٧١٠ - ١

منبتاً صالحاً لها تولد عنها ما لا يحصى من الجرائم في بضع ثوان فمن قال بخلاف ذلك أو ظن ان الاسلام يتسامح في تلك الجزئيات أو يبيع تهظيم أي مظهر من مظاهر المادة تعظيماً دينياً فقد أخطأ ونسب العبث الى دين الله لهذا ولما أشرب قلب عمر (رض) من التوحيد الحق الصادق لم يتسامح مع كعب الاحبار حتى في خلقه نعليه عند دخوله المسجد الاقصى وآخذه على عمله ذلك كما آخذه على رأيه في جعل المصلى الى الصخرة كما رأيت وسترى من أخباره بهذا الصدد ان شاء الله

هكذا كان فهم كبار الصحابة للدين ومن آمنه من النظر في قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه في إحدى خطبه التي مر ايرادها في هذا الكتاب وهو « ان الله لا شريك له وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سواً الا بطاعته واتباع أمره » يعلم كيف كان أولئك الصحابة الكرام يلمنون الناس التوحيد ويقتلون من أعماق نفوسهم اصول الشرك ورحم الله امرءاً أحاسب نفسه وعرف دينه ونأدب بأدب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ونبذ بدع النفوس واهواءها وتنكب مواضع الزلل وواقف الخطل وسؤالهم والله ولي الرحمة وهو القاهر فوق عباده » اهـ

باب شبهات المسيحيين وحجج المسلمين

نشرت مجلة بشار السلام الانجيلية في الجزء الرابع منها نبذة في الطعن بالمسلمين عامة وبأكابر الصحابة الكرام خاصة وذلك أن عابتهم وعابت دينهم بالرجاء لفضل الله والخوف من الله وهذا مبلغ القوم من

العلم بالله وبدين الله - أثبتت « ان كثيرين من المسلمين يموتون على بساط الرجاء بدخول الجنة والتعم بنعيمها بناء على ما لهم من المواعيد الكريمة في قرآنهم » الى ان قالت: « وما علة ذلك سوى جهلهم حقيقة أنفسهم وكالات الباري تعالى » ثم قالت مستدركة ان أولي العلم والذكاء من المسلمين غالوا في النسك والتعبد والصلاة والابتغال الى الله تعالى وجعلت علة هذه العبادة انهم لم يجدوا ما يريح نفوسهم من الشعور بثقل حمل خطاياهم . واستشهدت على المعلول دون العلة بكلام في الخوف من الله عن أبي بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب وسفيان اثوري وعدت سفيان من الصحابة وما هو من الصحابة ولكن العلم ليس شرطاً للقول عند هؤلاء المشاغين وفي العبارة أيضاً تحريف وليست الامانة من شروط النقل عند هؤلاء المبشرين وما لنا وللبحث في الروايات التي نقلها وبيان التحريف ، وضعف الضعيف ، نضرب عن ذلك صفحاً وعن العبارات التي أساء بها الكتاب الادب مع هؤلاء الائمة الذين يفتخرون بهم النرع الانساني ولو صدق المسلمون هذه الكتب التي تسمى التوراة وسمع لهم دينهم بتفضيل أحد على الانبياء لكان لهم من التاريخ ما يفضلون به هؤلاء الائمة على انبياء التوراة إذ لم ينقل عن واحد منهم مثلاً نقل القوم عن انبياءهم من القسوة والظلم والسكر والزنا وسفك الدماء برأهم الله مما قالوا . ننض الطرف عن هذا ونبين للقراء ان الغرض من ذم الخوف والرجاء اللذين هما الركنان لكل دين صحيح هو تقرير قاعدة إباحة المعاصي والشرور التي هي العنوان لبشارتهم ، والجاذبة الى ديانتهم ، وهي ان النجاة في الآخرة من المذاب والحياة الأبدية في الملكوت إنما يحصلان باعتقاد ان الاله لم يجد وسيلة لنجاة البشر .

من ذنب ايهم آدم الا بحلوله في جسم إنسان وتسليط طائفة كانت أفضل الشعوب عليه وصلبها إياه وصيرورته ملوناً بحكم الناموس والشرعة!! فمن أطفأ سراج عقله وأفسد فطرة نفسه وسلم بهذه القاعدة فهو الناجي الذي يرث الملكوت الأعلى وان قتل وزنا وسكر وأكل أموال الناس بالباطل وظلم العباد وكان آفة العمران . ولذلك صرح الكاتب الذي لا أقدر ان أضفه الا بكونه مبشراً داعياً الى هذه العقيدة بأن سبب خوف أبي بكر وعليّ وسفيان من الله هو جهلهم بقاعدة القداء يعني انهم لو عرفوها وصدقوا بها لكانوا عاشوا آمنين من مكر الله وعذابه يسرحون ويمرحون في أهوائهم وحظوظهم . والحاصل ان المسلم الذي يغلب عليه الرجاء بفضل الله ووعده للمحسنين بالنعيم جاهل ضال والذي يخاف الله هيبه وتمظيماً أو لاتهم نفسه بالتقصير في الأعمال الصالحة النافعة للناس وفي المعارف والكمالات المزكية للنفس فهو جاهل ضال . وأن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله من غير تفرقة بينهم وتهذيب الاخلاق وإصلاح الأعمال كل ذلك لا ينفع المسلم الصادق ولا يغني عنه شيئاً . فما حيلة المسلم المسكين اذا ابتلاه الله تعالى بسلامة الفطرة ونور العقل فلم يقبل تلك القاعدة التي تفصّي منها الذين تربوا عليها تقليداً لما عقلوا وميزوا . على ان كتب التوم لا تخلو من نصوص تدل على ان رسالهم ومقدسيمهم كانوا يخافون من الله تعالى ويرجون رحمته لانهم لم يكونوا إباحيين بل كانوا قوماً صالحين

ان القرآن الحكيم علمنا بأن دين الله تعالى واحد في جوهره وان جميع الانبياء وصالحى المؤمنين بهم كانوا عليه وهو توحيد الله تعالى ونزبه عن صفات الحوادث وإفراده بالعبادة والخوف الزاجر عن المعاصي والشرور

والرجاء الباعث على الخير والصالح واننا نرى جميع عقلاء المسيحيين يوافقونا على هذه القاعدة ويودون ان يهتدي اليها دعاة كل دين ورؤساؤه ليكون الدين كما شرع الله سعادة للبشر لا وبالا وشقاء عليهم ومشاراً للخلاف والشحناء والبغضاء بينهم

وقد ذكر الامام الغزالي أنواعاً للخوف نخوف الموت قبل التوبة وخوف تقض التوبة ونكث العهد وخوف ضعف القوة عن الوفاء بالحقوق وخوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة وخوف الميل عن الاستقامة وخوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة وخوف الغرور بالحسنات وخوف البطر بكثرة النعم وخوف الاشتغال عن الله بغير الله وخوف الاستدراج بتواتر النعم وخوف انكشاف غوائل الطاعات بأن يبدو للدرء ما لم يكن محتسب وخوف تبعات الناس عنده في نحو غيبة أو خيانة أو غش أو إضرار سوء وخوف ما عساه يطرأ عليه في مستقبله وخوف نزول البلاء وخوف الاغترار بزخرف الدنيا وخوف اطلاع الله على السريرة في حال الغفلة وخوف سوء الخاتمة. ويمكن استنباط أنواع أخرى. وأعلى الخوف خوف المهابة والجلال لله عز وجل. وكل ذلك من الذنوب عنده ولا المبشرين

القسم العمومي

الاسلام في انكلترا

رأينا في كراسة سياسية تسمى (دبلوماسيك فلي شينس) أى المنشورات السياسية لشهرى نوفمبر وديسمبر سنة ١٨٨٧ مقالة بامضاء المستر جورج كرواشى أحد أعضاء البرلمانت الانكليزى أخذنا منه ما يأتى تعريبه وهو

الاسلام دين لا يتدع أحكاماً ولا يخترع لالوحي أساساً

جديداً ولا يوصى بغير معهود ليس له كهنوت خاص ولا رئاسة كنسية ولكنه يسن للملة شرعاً والدولة قانوناً يكون تنفيذها باسم الدين هذا ما قاله (داود ارقوهارت) في المجلد الاول من كتابه المسمى بروح الشرق في الصفحة الخامسة والعشرين من مقدمة طبعته الثانية سنة ١٨٣٩

ان حقيقة الاسلام التي أباط الحجاب عنها أولاً من اشتهر بروح الشرق وأبرزها للمرتابين من الغربيين لم تزل تزداد وضوحاً منذ كشفها حتى تجلت اليوم بنفسها على وجه لم يبق معه للاكاذيب المفتراة على الاسلام سبيل لسلطتها على النفوس فيما بعد . ذلك التجلي الباهر كان فيما ألقاه التيسيس (اسحق طيلر) من خطابته في المحفل الديني . صدق ارقوهارت في دعواه أن حقيقة الاسلام أمر مسلم عند كثيرين فالتبلاء الكرام (بالكراد) و . . ميري . و . راولنسون . و . لا يارد . و . رولاند . و . ستالي اوف الدرلي . و . ديشانسكي . وقوم آخرون من قبيلهم شاركوه في البصيرة وصدقوه فيما قرره وكل مسافر عاشر الاقوام الحمديّة وانس اليهم فله عنهم خبر محمود ومع ذلك كله نرى الجمهور في انكلترا لم تزل اراؤهم في مواقفها الأولى . كانت الحقيقة في احتجاب عن انظار العامة لان أكثر أهالي انكلترا مصروفون الى النصرانية عن النظر فيما سواها وتوارثوا فيها عصبية انظر لهم في شعار الدين أما الآن وقد قام قسيس محترم من البيعة الانكليزية يصدع بهذا الحق فلا بد أن يصنخ الى قوله ويدعن له ملايين ممن كانوا يجهلون أصابهم في آذانهم ويعرضون عن مقالات قوم يعدونهم سياحين أو متفلسفين

هذه الحقائق مما لا يقبل الانكار وانما كان الاشكال في طريق

اجتلاب الخواطر إليها حتى تجتليها وحيث زال هذا الاشكال بهمة احد القسيسين المحترمين فالغاية المطلوبة أصبحت مما لا يشك فيه معشر الذين قبلوا نصيحة داود ارقوه هارت. ليس السعي لبيان ان الاسلام مما يمكن احتماله فقط بل لم نزل نطلب أن يكون من النفوس في مكانة الاحترام وقد استيقنا الآن ان رجاءنا المُرَجَّأ قد تحقق ومدَّ عانا الحق قد سلم به - لا ينبغي أن يظن اننا نحسب دين الاسلام مخالفاً للدين المسيحي فذلك مما لم يخطر لنا ببال قط وقصارى ما نقول ان الغاية من كل دين انما هو العمل الصالح والمسلك المستقيم ولسنا نحكم على أبناء جنسنا الا كما قال المسيح عليه السلام « بثمراتهم تعرفونهم » وحيث استمسكنا بهذا الاصل فلنا أن نجهز بأن المعتقدين بالدين المسيحي في هذه الاوقات ليسوا بمنزلة يفضلون بها على المسلمين . هذا الحق نؤدي به ونحن على يقين منه ونحث الذين يقولون انا نصارى على أن يضعوا الاسلام في منزلة تنطبق على الواقع ونفس الأمر فان استطاعوا ان يدحضوا حجتنا بالبراهين الساطعة فليعملوا على مكانتهم وان لم يفعلوا ولن يفعلوا فليكن نظرهم الى الاسلام على حد ما يتنااسباً للحقيقة الواقعية ولينصفوا الاسلام ذلك الدين القيم الذي هو نظام لمعيشة قسم عظيم من امم كريمة كثيرة العدد من النوع البشرى مما يهيم الشعب الانكليزي خاصة أن يتخلصوا من اطوار التعصب التي لا تنحصر آثارها في الحاق المار بهم فقط بل تتعدى الى جلب المضرة عليهم ايضاً لان حضرة الملكة ملايين من رعاياها كلهم مسلمون ونحن في مقام على احد جانبيه دولة الروسية وعلى الجانب الآخر الدولة العثمانية ولا يمكننا ان نزعم عدم المبالاة بعقاييل الحروب التي قامت على سوقها

بين هاتين الدولتين من أمد بعيد والى الآن لم تضع اوزارها وضعا حقيقيا . ان الدولة الروس لا يمكنها أن تكون فى حرب مستترة لكنها لاتراعى ما تكلف به من شروط السلام ولا يزال وكلاؤها الخفيون مشغولين بالعمل (كذ) وبما من زمان الا والحذرفيه من الروسية ضروري للباب العالى وهذا مجموع أحوال توجب على دولة الانكليز أن تسأل نفسها آنا بعد آن هل لنا ان تقاوم الروسية او ندعها وشأنها

كل وجه من وجوه السياسة يتعلق بسلامة الدولة الانكليزية وبقائها يرشدنا الى الاعتراف بلزوم عقد معاهدة مع الدولة التى لم تضرنا قط وفتحت فريضها لتجارتنا وابواب بلادها لاشغالنا اما الصيعة الفارغة بأن الروسية دولة نصرانية والدولة العثمانية دولة محمدية فقد كان لها الى الآن اسوأ الاثر فى إعماء عقولنا وخطلنا فى سياستنا فلنأخذ من الآن بأصل صحيح وهو ان نعلق الحكم بالاعمال لا بالمقائد فانه ليس خاصا بالافراد بل كما يكون بها يكون بالاقوام والدول أيضا فان قابلنا بين روسيتنا النصرانية وبين العثمانية المحمدية لم نشك فى ان المعاهدة مع العثمانية هي التى تظهر افضليتها عند الحاكمين بالحق اجمعين واذا ذكرنا المعاهدة العثمانية فلا نستعمل اللفظ فيها بمعناه السياسي أو تركيبيه الدبلوماسى ولا ينبغي ان يفهم ذلك من كلامنا انما المعاهدة التى كنا نجتهد فى إعدادها لسنين طويلة كانت معاهدة مبنية على شروط مساواة مؤسسه على الاحترام من الجانبين وظهر لنا فى الازمان الماضية ان اكمال مثل تلك المعاهدة من المحال اما الآن فلا نقول انها من قبيل الممكن الذاتى فقط بل صارت من قبيل ما بالقوة القريبة من الفعل

﴿ تمة الاجتماع ٢ لجمعية أم القرى — الداء أو الفتور العام ﴾

أجابه (المرشد الفاسي) اننا كنا على عهد السلف الصالح وشريعتنا سمحة واضحة المسالك معروفة الواجبات والمناهي فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة لكل مسلم ومسلمة وكنا في بساطة من العيش متفرغين لذلك ثم شغلنا شأن التوسع فخصنا لذلك محتسبين ثم دخل في ديننا أقوام ذوو بأس وتفاسق أقاموا الاكتساب مكان الاحتساب وحصروا اهتمامهم في الحياة وآتاهم التي هي الجندية فقط فبطل الاحتساب وبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبعاً فهذا يصاح أن يكون سبباً من جملة الاسباب ولكنه لا يكفي وحده لإبراث ما نحن فيه من الفتور .

على أن انحصار مهمة الامراء الدخلاء في الحياة والجندية أدّى بهم الى اهمال الدين كلياً ولو لا أن في القرآن آيتين اثنتين لهجروه ظهرياً أحدهما قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) مع الغفلة عن المراد بكلمة (أولي) وما تقتضيه صيغة الجمع وما يقتضيه قيد منكم . والثانية قوله تعالى (وجاهدوا في سبيل الله) مع اغفال بيان الجهاد المأمور به هل هو ما يكون به اعزاز كلمة الله أم ما تؤدي به ساطة الامراء العاميين على الاطلاق ؟ فاهمال الاهتمام بالدين قد جرّ المسلمين الى ما هم عليه حتى خلت قلوبهم من الدين بالكلية ولم يبق له عندهم أثر الا على رأس الألسن لاسيما عند بعض الامراء الأعاجم الذين ظواهر أحوالهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم لا يتراءون بالدين الا لقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الامة . كما أن ظواهر عقائدهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم مشركون ولو شر كاخفياً من حيث لا يشعرون فاذا أضيف الى شركهم هذا ما هم عليه من الظلم والجور يحكم عليهم الشرع والعقل بأن ملوك الاجانب أفضل منهم وأولى بحكم المسلمين لانهم أقرب الى العدل واقامة المصالح العامة وأقدر على عمارة البلاد وترقية العباد وهذه هي حكمة الله في نزع الملك من أكثرهم كما يقتضيه مفهوم « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » (١) وقد اقتصر النبي عليه السلام بأنه ولد في زمن كسرى انوشروان عابد الكواكب (٢) فقال : « ولدت في زمن الملك العادل » (٣)

وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدول الاسلامية انه لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسي) بغداد سنة (٦٥٦) امر أن يستفق علماءها أي الرجلين أفضل السلطان الكافر العادل ام السلطان المسلم الجائر؟ فاجتمع العلماء في المستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب حيث كان رضى الدين علي بن طاووس حاضراً وكان مقدماً محترماً فتناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الظالم فوضع العلماء خطوطهم بعده .

ثم قال : اني أظن ان السبب الاعظم لمختنا هو انحلال الرابطة الدينية لان مبنى ديننا على ار الولاء فيه لعامة المسلمين فلا يختص بحفظ الرابطة والسيطرة على الشؤون العمومية رؤساء دين سوى الامام ان وجد والأقالمر يبقى فوضى بين الجميع واذا صار الامر فوضى بين الكل فالطبع تختل الجامعة الدينية وتختل الرابطة السياسية كما هو الواقع . ومن أين لنا حكيم (كبسمرك) او ملزم (كغاريبالدي) يوفق بين امرائنا او يلزمهم بجمع كلتنا . وقد زاد على ذلك فقدنا الرابطة الجنسية أيضاً فان المسلمين في غير جزيرة العرب ليف اخلاط دخلاء وبهايا أقوام شتى لا تجمعهم جامعة غير التوجه الى هذه الكعبة المعظمة .

ومن المقرر المعروف انه لولا رؤساء الدين في سائر المال وروابطهم المنتظمة المطردة أو من يقوم مقام الرؤساء من الدعاة او مديري ومعلمي المدارس الجامعة المتحدة المبادئ لضاعت الأديان ونشبت أخلاق الأمم ونالهم ما نالنا من كون كل فرد منا أصبح أمة في ذاته .

اجابه (المحقق المدني) ان فقد الرابطة الدينية والوحدة الخاقية لا يكفيان ان يكونا سبباً للفتور العام بل لابد لذلك من سبب أعم وأهم . ثم قال أما أنا فالذي يجول في فكري أن الطامة هي من تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المداسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله . وذلك ان الدين انما يعرف بالعلم والعلم يعرف بالعلماء العاملين وأعمال العلماء قيامهم في الأمة مقام الانبياء في الهداية الى خير الدنيا والآخرة . ولا شك ان مثل هذا المقام في الأمة شرفاً باذخاً يتعاضد على نسبة المهمل في تحمل عنائه والقيام باعبائه . فبعض ضعيفي العلم وفاقد العزم تطلعوا الى هذه المنزلة التي هي فوق طاقتهم وحسدوا أهلها المتعالمين عنهم فتحيّلوا تمازجة والظهور في مظهر العلماء العظماء بالإغراب في الدين ، وسنوك مسلك الزاهدين ، ومن العادة ان يابجاء ضعيف العلم الى التصوف كما يابجاء

فاقد المجد الى الكبر وكما يلجأ قليل المال الى زينة اللباس والاثاث (مرحى) .
 فصار هؤلاء المتعالون يدأسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا يحتمله محكم
 النظم الكريم فيفسرون البسطة أو الباء منها مثلاً بسفر كبير تفسيراً مملوءاً بلفظ لا معنى
 له أو محكم لا برهان عليه . ثم جاؤا الامة بوراة اسرار ادعوها وعلوم لدنيات ابتدعوها
 وتسّم مقامات اخترعوها ووضع أحكام لفقوها وترتيب قربات زخرفوها . وبالامعان
 نجدهم قد جاؤا مصداقاً لما ورد في الحديث الصحيح « كَتَبْنِي سَنَنْ مَنْ قَبْلَكُمْ
 شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ » وفي رواية حذو القذة بالقذة « حتى لو دخلوا جحر
 ضب تبعتموهم » قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال هو فمن ؟ . وذلك ان
 هؤلاء المدلسين اقتبسوا ما هنالك كله أو جله عن أصحاب التلمود وتفاسيرهم ومن
 المجامع المسكونية ومقرراتها ومن البابوية ووراة السر ومن مضاهاة مقامات البطارقة
 والكردينالية والشهداء واسقفية كل بلد ومظاهر القديسين وعجائبهم والدعاة المبشرين
 وصبرهم والرهبنات ورؤسائها وحالة الاديرة وبادريتها والرهبنة أي التظاهر بالفقر
 ورسومها والحمة وتوفيها ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم في البسهم وشعورهم
 ومن مراسم الكنائس وزيتها والبيع واحتفالاتها والترنحات ووزنها والترنمات
 واصولها وإقامة الكنائس على القبور وشد الرحال لزيارتها والاسراج عليها والخضوع
 لديها وتعليق الآمال بسكانها . وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة والدستار من
 احترام الذخيرة وقدسية العكاز وكذلك إمرار اليد على الصدر عند ذكر بعض
 الصالحين من امرارها على الصدر لاشارة التصليب . وانتزعوا الحقيقة من السر
 ووحدة الوجود من الحلول والخلافة من الرسم والسقيا من تناول القربان والمولد
 من الميلاد وحفلته من الاعياد ورفع الاعلام من حمل الصابان وتعليق ألواح الاسماء
 المصدرة بالنداء على الجدران من تعليق الصور والتماثيل والاستفاضة والمراقبة من
 التوجه بالقلوب انحناء امام الأصنام ومنع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة
 من حظر الكهنة الكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم وسد اليهود باب الأخذ من
 التوراة وتمسكهم بالتلمود الى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليداً لهؤلاء شبراً شبراً
 واقتفاء لأثرهم بالدخول حيث دخلوا جحراً جحراً وهكذا اذا تتبعنا البدع الطارئة
 نجد اكثرها مقبساً وقليلها مخترعاً .

وقد فعل المدلسون ذلك سحراً لعقول الجهلاء واختلاباً لقلوب الضعفاء كالنساء

وذوى الاهواء والامراض القلية او العصية من العامة والأمرء السلسي القياد طبياً الى الشرك لان التعبد رغبة أو رهبة لما بين أيديهم وتحت أنظارهم أقرب الى مداركهم من عبادة الله ليس بجوهر ولا عرض وليس كمثل شئ ولأن التعبد باللهو واللعب أهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع كما وصف الله تعالى عبادة مشركي العرب فقال « وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً » أي صغيراً وتصفيقاً وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقاً وشهيقاً وخلاعة ونعيقاً (مرحى) . والحاصل انه بذلك وامثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ولا سيما بدعوى فئة منهم الكرامة على الله والتصرف بالمقادير وباستمالهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتكشف الشيطاني وبترينهم لهم رسوما تميل اليها النفوس الضعيفة الحاملة سموها آداب السلوك ما أنزل بها من سلطان ولا عمل بها صحابي ولا تابعي ظاهرها أدب وباطنها تشريع وشرك ويجذبهم البُله الجاهلين بتصعيب الدين من طريق العلم والعمل بظاهر الشرع وتهوينه كل التهوين من طريق الاعتقاد بهم وباصحاب القبور . وقد نجاسروا على وضع أحاديث مكذوبة أشاعوها في مؤلفاتهم حتى التبس أمرها على كثير من العلماء المخاضين من المتقدمين والمتأخرين مع انها لا أصل لها في كتب الحديث المعتمدة . وجابوا الناس بالترهيب والترغيب أما الترغيب فبالاستفادة من الدخول في الرابطات والعصيات المنعقدة بين أشياعهم وأما الترهيب فبتهديدهم مناوئتهم أو مسيئي الظن بهم باضرارهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم ضرراً يتمجأهم في دنياهم قبل آخرتهم . (مرحى)

وقد قام هؤلاء المدلسين اسواق في بغداد ومصر والشام وتلمسان قديماً ولكن لا كسوقها القائم في القسطنطينية منذ أربعة قرون الى الآن حتى صارت فيها هذه الاوهام السحرية والخزعبلات كأنها هي دين معظم اهلها لا الاسلام وكأنهم لماورثوا عن الروم الملك حرصوا على ان يرثوا طبائعهم أيضاً حتى التوسع في هذه المصارع السيئة فاقبس لهم المدلسون كثيراً مما يناء وطبقوه على الدين وان كان الدين ياباه وزينه لهم الشيطان بأنه من دقائق الدين وآدابه ومن هذه العواصم سرى ذلك الى الآفاق بالعدوى من الأمرء الى العلماء الاغبياء الى العوام .

فمؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم (١) نفوذاً عظيماً به أفسدوا كثيراً في الدين وبه

(١) السحر لغة اخراج الباطل في صورة الحق بالتمويه والخداع . والسحر =

جعلوا كثيراً من المدارس تكايا للبطالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة وبه حولوا كثيراً من الجوامع مجامع للطبائين الذين ترج من دوى طبولهم قلوب المتوهمين وتكفهر أعصابهم فيتأبسون نوع من الخبل يظنون حالة من الخشوع . وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقاً لهم وبه جعلوا ريع أوقاف الملوك والامراء عطايا لأتباعهم مما يسمى في البلاد العثمانية (دعاكو وطعامية) (مرعى) . وبذلك ضاق على العلماء الخناق لا رزق ولا حرمة وكفى بذلك مضيقاً للعلم والمدىن لأنه قد التبس على العامة علماء الدين بالفقراء الاذلاء من هؤلاء المدلسين الاغنياء الاعزاء فتشوش عقائدهم وضعف يقينهم فضيع الاكثر من حدود الله وتجاوزوها وفقدوا قوة قوانين الله ففسدت أيضاً دنياهم واعتراهم هذا الفتور .

أجاب (المولى الرومى) ان كل الديانات معرضة بالتأدي لانواع من التشويش والفساد ولكن لا تفقد من أهلها حكماء ذوي نشاط وعزم ينبهون الناس ويرفعون الالتباس أو يعوضون قواعد الدين اذا كان أصلها واهياً (لامتينا كقواعد الاسلام) بقوانين موضوعة تقوم بنظام دنياهم ويتحملون في سبيل ذلك ما يتحملون من المشاق خدمة لأفكارهم السامية ويبذلون ماعزاً وهان حفظاً لشرفهم القائم بشرف قومهم بل حفظاً لحياتهم وحياة قومهم من أن يصبحوا أمواتاً متحركين في أيدي أقوام آخرين . ولقد أثبت الحكماء المدققون بعد البحث الطويل العميق ان المنشأ الاصلى لكل فساد في أخلاق العباد والمنبت الاول لكل شقاء في بنى حواء هو أمر واحد لا ثاني له الا وهو وجود السلطة القانونية منحلة ولو قليلاً لفسادها أو انهابة سلطة شخصية عايتها من فرد أو أكثر فما بال الزمان يضن علينا برجال ينبهون الناس ، ويرفعون الالتباس ، يفكرون بحزم ، ويعملون بعزم ، ولا ينفكون ، حتى ينالوا ما يقصدون ، فينالوا حمداً كثيراً ، ونخراً كبيراً ، وأجرأ عظيماً ؟ وعندى ان ان داءنا الدفين دخول دينتنا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعتمدين .

وهنا نبه السيد الفراقى الاستاذ الرئيس الى قرب وقت الانصراف عندئذ جهر

== الذى جاء فى الشرع ليس غير هذا بدليل وصفه تعالى لاعدل سحرة فرعون فى قوله جات حكمته « فاما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ، وقوله « فاذا حباهم وعصيم يُخيل اليه من سحرهم أنها تسى »

(الاستاذ الرئيس) بشعار (لا نعبد الا الله) تنبهاً للاخوان وقال لهم ان اخانا المولى الرومي لفارس مغوار نحب ما عودنا من التفصيل والاشباع والآن قد آن وقت الظهر وحان أن نتفرق لتدرك الصلاة وموعداً غداً ان شاء الله تعالى .

باب التعليم

﴿ قانون التعليم الرسمي والجمعية العمومية ﴾

كان كل مصري يسي الظن بكل عمل يجري على أيدي المحتلين فما زالت الاعمال تنقض وتبرم وتمحو وتثبت حتى اعترف الاكثرون بأكثر نتائج الاعمال الاصلاحية النافعة في الري والمالية والادارة والسياسة ولولا ان أكثر الناس أو كل الناس غير راضين عن سير نظارة المعارف لاعترفوا أجمعين بحسن نية المحتلين وأرادتهم الخير للبلاد وأهلها وليس هذا مقام بسط هذه المسئلة ولكن هذه الكلمة تمهيد لما يأتي وهو ان سيخط الناس من سير نظارة المعارف في التعليم جعل شأناً عظيماً لاقتراح الوجه الفاضل أمين بك الشمسي على الجمعية العمومية أن تطلب من الحكومة عرض قوانين التعليم (بروجرامات) ومنشورات المعارف على مجلس شورى القوانين ومجلس النظارة . وتوقع الناس أن تقبل الحكومة هذا الاقتراح بمقدار ما لهم من حسن الظن فيها وما كانوا ينتظرون أن يدافع صاحب السعادة ناظر المعارف الجمعية العمومية ويناضاها نضال بني ثعل ليدفع عن نظارته هذا الاقتراح لأنهم يعتقدون أنه مستريح من أعمال المعارف لثقته بأمين أسرارها العامل الدائب المسترد دلوب وسائر الموظفين تحت يده ولأن من شأن الواثق بحسن عمل ينسب اليه حقيقة أو عرفاً بالذات أو بالواسطة أن يحب عرضه على الناس ويسعى في توجيه أنظاهم اليه لا سيما اذا كان الغرض من العمل المنفعة العامة وكان قد الناظرين فيه من أسباب ترقيه وأتقانه كنظام التعليم ولكن الناظر جاء بما لم يكن في الحساب ولا نخوض في تعليل ذلك مع الخائضين ولكتناجث في دفاعه وتعليله في مناقشة الجمعية العمومية في جلسة ٦ ذي الحجة سنة ١٣١٩ ونختصر ما نورده من المناقشات غالباً ونحذف الألقاب الرسمية فنقول :

عند ما عرض اقتراح الشمسي بين الناظر للجمعية كيفية وضع قوانين التعليم

(البروجرامات) وهو ان نظار المدارس ومفتشيها يقدمون في آخر كل سنة مكتبية تقارير بما يرونه في نظام التعليم فتبحث فيه اللجنة العلمية المؤلفة من كبارهم وتقدم ما تقر عليه منه الى مجلس المعارف الأعلى فيبحث فيه ويقدم ما يراه منه الى مجلس النظار (قال) : « والذي يتقرر يصدر الأمر بإجرائه »

فقال مفتي الديار المصرية : الذي يلاحظه الناس هو ان القوانين تعرض بمقتضى العادة على مجلس النظار ثم ترسل الى مجلس شورى القوانين ومن ذلك ما يكون متعلقاً بوضع مائة قرش غرامة ونحوه . فالقوانين المتعلقة بالاصول العامة للتربية والتعليم اولى بهذا وهي لا تخص نظارة المعارف وحدها بل القطر كله فيصح للجمعية العمومية ان تطلب ضماناً زائداً بالنسبة الى حالة الاشخاص فان الكثيرين يعتقدون ان تلامذة السنة الثانية في المدارس الابتدائية يُعلّمون بعض العلوم باللغات الاجنبية فلا يفهمونها طبعاً . ثم ان طرق التهذيب وتربية النفوس هي التي عاينها مدار مستقبل الناشئين ومعرفتهم ما يجب عليهم لمصاحبة انفسهم فمن الضروري الاعطاء بامثال هذه المسائل فلو درس قانون التعليم بمجلس النظار ويؤجل الى مجلس الشورى لكان ذلك اكثر ضماناً فان المشتغل بعمل يحكم ذلك العمل عليه فيضيع منه كثير من الاشياء المتعلقة بالحالة العمومية

(الناظر) : « البروجرامات جار نشرها قبل دخول السنة المكتبية وما يفهمه البعض من ان السنة الثانية تدرس باللغة الاجنبية فهو خطأ لأن التلميذ يبتدىء في هذه السنة في تعلم مبادي اللغة الاجنبية فقط ولم يكن المعلمون وحدهم منفردين في ابداء رأيهم في سير التعليم بل المشتغل بذلك هم ونظار المدارس والمفتشون الذين هم من خيار الناس فعندنا تقارير نظار المدارس وتقارير المفتشين وتقارير اللجنة العامة وقرار مجلس المعارف وقرار مجلس النظار فهذه خمس ضمانات »

اوردنا جواب ناظر المعارف بلفظه كما نشر على ما فيه من ضعف العبارة لتظهر مغالطته بأنهم ايضاح وهي من وجهين احدهما قوله ان التلميذ يبتدىء في السنة الثانية بتعلم اللغة الاجنبية اي فلا يتعلم بها شيئاً من العلوم والصواب انه يبتدىء بتعلمها في السنة الاولى كما ترى في الصفحة ١٠ من قانون التعليم الابتدائي الصادر بامضاء الناظر نفسه في جمادى الثانية سنة ١٣١٩ اي قبل هذا المناقشة بنحو نصف سنة وكون التلميذ يتعلم في السنة الاولى وكذا الثانية لغة اجنبية خطأ ظاهراً وانما نعرف كثيرين من المعلمين ونظار المدارس يتبرمون منه ولكنهم يعتقدون انه امر مبرم هبط من سماء

القوة على أرض الضعف والاستكانة ولو علموا ان ابداء رأيهم يصل الى مجلس الشورى فيطالب به باسم الامة لأبدوه آمنين من مغيبته لان كل ما يتوقعونه حيثئذ من المؤاخذة على نكث شيء من قتل ذلك الامر المبرم يكون معلوما للناس اذا وقع بعض اطلاق مجلس الشورى ومجلس النظار وسائر الناس على اقتراح المقترح .

ثم ان تعليم التاريخ الطبيعي (الاشياء) وتقويم البلدان يكون باللغة الانكليزية في السنة الثالثة الابتدائية والفرق بينها وبين السنة الثانية ليس بكبير وانهم ليعلمون انه لا يمكن ان يحصل التلميذ من اللغة الاجنبية في سنتين ما يمكن به من فهم العلوم الطبيعية فيها ولذلك يعيدون عليه في السنة الثالثة من دروس تقويم البلدان بالانكليزية ما كان تعلمه بالعربية فان كان الغرض العلم فلا معنى لهذا الرجوع القهقري وان كان المراد اللغة فالأوقات المخصصة لها ليست بقليلة كما سنبينه في نبذة اخرى

والوجه الثاني « الضمانات الخمس » وهي لاتصاح دفعا لقول المفتي لأنه قال ان عرض نظام التعليم على مجلس الشورى اكثر ضمانا أي ان الخمس تكون به ستا فإذا كان الناظر واثقا من اتقان نظام نظارته ويود ان تزداد اتقاننا وارتقاء فساد يضره لو عرض ذلك على كل من له رأي من الناس وعلم رأيه فيه ؟ ثم هو يعلم ان الحكومة أنشأت مجلس الشورى والجمعية العمومية لتعلم الامة كيف يحكم ولتجعل لها رأيا في قوانينها ونظاماتها لتكون أمة حية كام أوروبا حتى اذا ما استعدت لذلك يكون كل شيء برأي مجالسها النائب عنها فاما اذا نخل عليها ناظر المعارف بالبحث في قوانين نظارته ونظام التعليم في مدارسها بواسطة أعضاء مجلس الشورى الذين هم من خيارها كما ان نظار المدارس ومفتشيها من الخيار كما قال وزيادة الخيار خير . ولا يخفى عليه ان الامة تتق بمجالس الشورى أكثر من ثقها بأي مجلس من مجالس الحكومة لأنها تعتقد ان أعضاءه لاساطان عليهم للسياسة لان الحكومة وضعهم للانتقاد على قوانينها ولانهم لا يتوقعون ضرا من مخالفة رغائبها

أما « الضمانات الخمس » فهي في المعنى شيء واحد وان شئت قلت لاشيء لأن العامل الذي تطالب الامة الضمان على اتقان عمله هو نظارة المعارف فلا يصح ان تكون هي الضامنة لنفسها بأن عمالها برأي الموظفين فيها . وذلك التعدد في « الضمانات » لاثاثير له لأن آراء المعلمين والناظرين والمفتشين يدغم بعضها في بعض ولا يعرض على مجلس النظار الا ما يراه مجالس المعارف الاعلى وحده فمجلس النظار لا يبحث في آراء أصحاب « تضمينات » اثلاث ولا يعرفها . ذلك ان المعلمين يبدون آراءهم لنظار

مدارسهم فيختار منها هؤلاء ما يرضونه أو ما يرضون به ويقدمونه للجنة العلمية فتصح منه ما تشاء وتثبت ما تشاء وترفعه الى اللجنة العليا فتسح منه ما تشاء وتقدم الباقي الى مجلس النظار فيصدق عليه . وانما يحقق الضمان من معلمي المدارس ونظارها ومفتشيها اذا أعطوا حرية بأن يقولوا ما يرونه وكان يعمل بما يقولون أو يبين المانع من العمل به وأعطوا مع ذلك ضماناً بأن من رأت اللجنة العلمية أو العالية خطأ رأيه فإنه لا يؤاخذ سراً ولا جهرأ

ثم ان المفتي احتج على كون تلك « الضمانات » غير كافية بأمرين أحدهما استمرار التغيير في قانون التعليم (البروجرام) حتى في المسائل الكلية . قال : وهذا يدل على أن معلومات واضعي التقارير غير كافية . وأجاب الناظر عنه بأن التغيير يدل على دقة البحث . وظاهر ان هذا الجواب غير سديد لان دقة البحث اذا سلمت وكان من المسلم أيضاً ان التغيير مستمر حتى المسائل الكلية فذلك دليل على في ان هذه الدقة لم تأت بالفائدة المطلوبة وما ذلك الا لانها غير مبنية على علم كاف فهي محتاج الى الامداد والمساعدة وللحكومة مجلس أنشئ للبحث في القوانين خاصة فيجب أن يكون هو المساعد والممد لنظارة المعارف في تنقيح قوانينها

والامر الثاني الذي احتج به المفتي هو أن لكمال ثقة الناس بسير التعليم أكبر شأن وأهمه وان ذلك يكون باطلاع مجلس النظار ومجلس الشورى على قوانينه . وأجاب الناظر بإعادة ذكر « الضمانات الخمس » وزاد ضامناً آخر سماه « الضمانة » الكبرى وهو طبع تلك القوانين ونشرها قال : وقلمارى واحداً من الناس يقرأها فيعرف سير التعليم . وظاهر أن هذا الجواب في غير موضوع الدعوى لان الدعوى هي ان ثقة الامة بالتعليم مطلوبة وانها تكون بكذا بدليل طلب نوابها له . فكان ينبغي ان يكون الجواب اما بالتسليم واما بمنع الحاجة الى ثقة الامة بالتعليم أو بمنع ان ثقها تكون بعرض قوانين التعليم على مجلس النظار ومجلس الشورى فاما المنع الاول فيستحيل ان يصدر من ناظر المعارف وأما الثاني فالفصل فيه للجمعية العمومية وقد وافقت أخيراً عند أخذ الاراء على وجوب عرض قوانين التعليم ومنشورات المعارف على مجلس الشورى فثبت رأي مفتي الديار المصرية وأما الجواب عن « الضمانة » الكبرى فهو ان عدم رؤية الناظر لقراء قوانين التعليم لا يدل على عدم القارئ لها فاذا قال : كان يجب ان ينتقدوها ان لم يرتضوها نقول ان العاقل لا يتوجه الى عمل الا اذا رجا فائدته ولا يطوف في ذهن أحد أن انتقاده قانون التعليم يكون

سبباً لرجوع نظارة المعارف عن خطأها فيه . وإذا كان قد ظهر ان ناظر المعارف يدافع الجمعية العمومية الناطقة باسم الأمة المصرية كلها ويمنعها بالمغالطات عن طلب النظر في قوانين التعليم فهل كان ينتظر ان يلتفت الى قول واحد من الناس أو اثنين أو أكثر اذا هم انتقدوا على قوانينه ؟ على ان الجرائد كثيراً ما تنتقد المعارف في سير التعليم وسائر نظامها فيه ولم يغن ذلك شيئاً

ثم تكلم بعد المفتي الشيخ على يوسف فذكر بعض ما ينتقد على نظام التعليم وقوانينه مما يصح ان يذكر في مجلس رسمي وسند ذكر ذلك الجزء الثاني مع جواب الناظر عنه وبيان الصواب ونزيد من الاستقاد على تلك القوانين ماشاء الله ان نزيد

آثار علي بن أبي طالب عليه السلام

الى الأغنياء

قال الاديب الشهير حافظ افندي ابراهيم في حريق نيت غمر الذي يذكر في باب الاخبار

سائلوا الليل عنهم والنهارا	كيف باتت نساؤهم والعذارى
كيف أمسى رضيعهم فقد الا	م وكيف اصطلى مع القوم ناراً
كيف طاح العجوز تحت جدار	يتداعى وأسقف تجارى
رب ان القضاء اتحنى عليهم	فاكشف الكرب واحجب الاقداراً
ومر النار أن تكف اذاها	ومر الغيث أن يسيل انهاراً
ابن طوفان صاحب الفلك يروي	هذه النار فهي تشكو الأواراً
أشعلت فحمة الدياجي فباتت	تملاً الارض والسماء شراراً
غشيتهم والنحس يجري يمينا	ورمتهم والبؤس يجري يساراً
فاغارت وأوجه القوم بيض	ثم غارت وقد كسهن قاراً
اكلت دورهم فلما استقلت	لم تغادر صغارهم والكباراً
أخرجتهم من الديار عراء	حذر الموت يطلبون الفراراً
يايسون الظلام حتي اذا ما	أشرق الصبح يايسون النهار
حالة لا تقيهم البرد والحرر ولا عنهم ترد الغبار	

أيهما الرافلون في حلل الوشي يجرّون للذيول افتخارا
 أن تحت العراء قوماً حياها يتوارون ذلة وانكسارا
 أهبذا السجين لا يمنع السج — من كريماً من أن يقل العثارا
 مرّ بألف لهم وان شئت زدها وأجرهم كما أجرت النصارى
 قد شهدنا بالأس في مصر عرسا ملأ العين والفؤاد انهارا
 سال فيه النضار حتى حسبنا أن ذاك القناء يجري نضارا
 بات فيه المتعمون بلبل أخجل الصبح حسنه فتواري
 يكتسون السرور طوراً وطوراً في يد الكأس يخلعون الوقارا
 وسمعنا في (ميت غمر) صياحا ملأ البر فجة والبحارا
 جل من قم الحظوظ فهذا يتغنى وذاك يبكي الديارا
 ربّ ليل في الدهر قد ضمّ نحساً وسعودا وعسرة ويسارا

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(كتاب الفوز الأصغر) هو للفيلسوف الاسلامي الشيخ أحمد بن مسكويه الرازي صاحب كتاب (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق) المتوفى سنة ٤٢١ هـ وضعه لتحقيق البحث النظري في ثلاث مسائل (١) اثبات الصانع و (٢) النفس وأحوالها و (٣) النبوات وقد نزع فيه منازع دقيقة في الوراق بين الفلسفة والدين وجعل لكل مسألة عشرة فصول فمن فصول المسئلة الاولى فصل في بيان ان وجود الاشياء كلها إنما هي بالله عز وجل وفصل في ان الله تعالى ابدع الاشياء من لا شيء ومعلوم ان الفلاسفة يقولون يستحيل ايجاد شيء من لا شيء . وفي فصول المسئلة الثانية اثبات النفس وكونها ليست جسماً ولا عرضاً واثبات انها جوهر حي باق وانها ليست الحياة بعينها بل انها تعطى الحياة وبيان ماهية النفس والحياة وبيان كمال النفس والكلام في السعادة وفي حال النفس بعد البدن . وفي فصول المسئلة الثالثة بيان مراتب الموجودات واتصال بعضها ببعض وبيان ان الانسان عالم صغير وقواء متصلة ذلك الاتصال والكلام في كيفية الوحي وفي العقل وكونه ملكاً مطاعاً وفي المنام الصادق وفي الفرق بين النبوة والكهانة وفي النبي المرسل وغيره وفي أصناف الوحي وفي الفرق بين النبي والمتنبي . وقد طبع الكتاب طبعاً جميلاً في بيروت ويباع في مكتبة أمين افندي هندية بمصر

فتح جميع المشتغلين بالعلم على مطالعته

(كتاب تفصيل النشأتين . وتحصيل السعادتين) هو للامام أبي القاسم الحسين بن محمد ابن المفضل الرابع الاصفهاني المتوفى في رأس المائة الخامسة ومباحث الكتاب فلسفية اخلاقية اسلامية وقد قرن جميع مسائله بالآيات القرآنية فجعلها شواهد وادلة وبعضها لا يصلح لما وضعه له ولكن له منازع دقيقة فيها . وابواب الكتاب على اختصاره ٣٣ وهي في معرفة الانسان نفسه وفي أجناس الموجودات وموضع الانسان منها وفي العناصر التي اوجد منها الانسان والقوى التي جمعت فيه وفي تدرج الانسان حتى يصير كاملاً وفي كونه مستصاحباً للدارين وفي كونه هو المقصود من العالم وكون ماعداء خلق لاجله وفي تفاوت الناس وسيه وفي الشجرة النبوية وفضائلها وفي الشرع والعقل والعبادة وغير ذلك وهو كالذي قبله جدير بالمطالعة وطبع حيث طبع ويباع حيث يباع

﴿ إقامة البراهين العظام . على نفي التعصب الديني في الاسلام ﴾

رسالة من تأليف الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري المدرس بجامع سفير في الجزائر الغرض منها اقناع مسلمي الجزائر بوجوب الخضوع لفرنسا وعدم الخروج عليها وقد جاء فيها بمسائل نافعة ثبت ان دين الاسلام يأمر بمعاملة المخالفين في الدين بالعدل ويحرم ايذاءهم والاعتداء عليهم وانه شرع فيه ما يقتضي التآلف مع أهل الكتاب كحل مؤاكلتهم وتزوج المسلم منهم وغير ذلك من الفوائد المسماة . وفي الرسالة ما ينتقد . فنه انه اخطأ في بعض ما أسنده الى الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عند الاحتجاج بكلامه واصفا اياه بكونه « خاتمة الائمة وعلامة الآفاق على الاطلاق » فقد قال عن الاستاذ الامام انه قال في درس التفسير بالأزهر : ان قوله تعالى « وقتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله » خاص بالواقعة التي كانت متوقعة للمسلمين في رواحهم الى مكة الح . والاستاذ الامام لم يقل بهذا التخصيص وانما قال ان معنى « حتى لا تكون فتنة » هو أن يؤمن شر المعتدين ويؤمن الدعاة الى الدين على أنفسهم وعلى من يحببهم الي ما دعوا اليه . ومعنى « ويكون الدين لله » أن يكون دين كل شخص خالصا لربه لاتدخله محاربة ولا مداواة ولا يهدده مهدد ، ولا ينقضه خوف من معتد ، فلا يكون لغير خشية الله أثر في نفوس المؤمنين . وانظر بهم يكون هذا . ومما ينتقد عليه أشد الانتقاد قوله في نصيحته للمسلمين بعد اطراء فرنسا وذهمهم ووصف سوء حالهم « فلا ينبغي لهم الاهتمام الا بشؤونهم المعاشية » الح كأنه يريد ان

يجعلهم بهائم . وهل يرى ذلك الاستاذ أن فرنسا التي وصف عدلها وحريتها وفضلها ومدنيتها لا ترضى من المسلمين في الخضوع لها الا ان يكونوا كالانعام ، لا يهتمون الا بالأكل والشرب والمتام ، وهل يباقي خضوعهم لها اشتغالهم بالعلوم والآداب التي يرتقون بها ارتقاء معنويا ويساوون الافرنج في الصفات البشرية ؟ ان كان يقول هذا فهو ناقض به كل مدح مدح به فرنسا ! فينبغي لهذا الشيخ المدرس وامثاله اذا كلفوا بالكتابة في مثل هذا المقام ان يقتصدوا ويتقنوا عند حد معلوم وكان المجال واسعاً لاقناع المسلمين بعدم الخروج على فرنسا وتعريض انفسهم للهلكة من غير عبث بالاحكام ، ولا تكليف للمسلمين بان يكونوا كالانعام ، وبهذا القدر كفاية وسلام ،

(الحضرة الأنسية . في الرحلة القدسية) للشيخ عبد الغني النابلسي الفقيه الصوفي الشهير رحلتان او ثلاث وهذه منها وهي أخصرها وقد طبعت في مطبعة جريدة الاخلاص الغراء على نفقتها ووقف على طبعها احد محرري الجريدة ديمتري افندي نقولا المحترم صاحب مجلة الفكاهة . أما المؤلف فانه يذكر في هذه الرحلة كيفية سفره من الشام الى القدس ونواحيه ومارآه وجرى له فيه وأهمه زيارة قبور الانبياء والصالحين بحسب تعريف المعرفين الذين يصحبون الزائرين في تلك البلاد وما في الكتاب المؤلفة في تاريخها . وقد ختم الكتاب ماتزم طبعه باحصاء ما ذكر في الرحلة من المدن والقرى والامكنة ومقامات الانبياء والحوامع والمساجد والمدارس والمكنائس والاديرة والانهر والعيون والآبار وقبور الصحابة والأولياء والصالحين وذلك احسن ما في الرحلة . وربما نقل بعد في باب البدع شيئاً مما في الرحلة . وصفحاتها ٨٤ وهي تطلب من ادارة جريدة الاخلاص الغراء وثمنها ٥ قروش صاغ

(الدنيا في باريس) هي الرسائل التي وصف بها شاهد معرض باريس الأخير صديقنا الفاضل الشهير احمد زكي بك الكاتب الثاني لأسرار مجلس النظار وقد اشتهر أمر هذه الرسائل وانتشرت في البلاد لأن رصيفنا البار دكتور عيد افندي كان يطبعها ويوزعها مع مجلة « طيب العائلة » وقد سبق للمناظر تقريرها وبيان بعض فوائدها والآن نخبر قراء الماربان هذه الرسائل قد جمعت كلها في كتاب واحد مزين بالرسوم صديقاته ٢٧٢ وثمنها ١٥ قرشاً وستنقل بعض فوائدها عند سئوح الفرصة ان شاء الله تعالى

(قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي) اهدى الينا صديقنا مؤلف رسائل (الدنيا في باريس) مع هذه الرسائل نسخة من هذا القاموس المختصر المفيد

الذى يعرف الكتاب حاجتهم اليه من اسمه . قال المؤلف في مقدمته « هذا معجم صغير اوردت فيه كثيرا من الاعلام الجغرافية التى لها ذكر في تواريخ الاقدمين من مصريين واشوريين وروم وعجم وغيرهم من الامم جمعت بعد أبحاث شتى ومطالعات عديدة فكابدت فيه عناء ليس باليسير يعرفه من اطلع عليه أو اشتغل بشئ من هذا القليل » ثم قال « واذا نال هذا الكتاب الصغير من الاقبال ما هو خليق به تشددت عزيمتي لإبراز المعجم الكبير الوافى الذى جمعته في هذا الموضوع المفيد » فعسى أن تحقق الآمال ، وينال فوق ما يطلبه مؤلفه الفاضل من الاقبال ، والكتاب مطبوع في المطبعة الاميرية وثمنه ٨ قروش وهو يطلب من مؤلفه ومن ادارة مجلة طيب العائلة

(مجموعة حقوقية طبية هندسية . لجمعية متخرجي المدرسة الخديوية لسنة ١٩٠١)
اذا وجب أن نذكر ماينتقد على نظارة المعارف في نظام التعليم وقوانينه فمن الواجب أيضاً أن نذكر ما لها من الحسنات لان الله تعالى يحب العدل في كل شئ ولأن فائدة استحسان الحسن لا تنقص عن فائدة انتقاد المنقذ فكل واحد من الامرين جعله الله سبباً لا تقان الاعمال واختيار النافع منها وتجنب الضار . ومن حسنات المعارف المصرية الاذن للتلامذة المتخرجين في المدرسة الخديوية بإنشاء جمعية علمية أدبية في نفس المدرسة يعدون فيها المقالات الضافية في مسائل العلوم التي يتعلمونها في المدرسة وفي المدارس العالية التي ينتقلون منها اليها ويعرضونها للانتقاد والبحث والتمحيص وقد حضرت اجتماعاً لهم في المدرسة فسررت سروراً عظيماً ورغبوا الي في انتقاد ما تكلّموا فيه وهو حقيقة الجنون وتاريخه وأنواعه فانتقدته علناً فتلقوا انتقادي بالقبول والشكر كما هو شأن الباحث المستفيد

وقد طبعوا في هذه الأيام الجزء الأول من مقالاتهم التي تليت في السنة الماضية وسموه بما ذكر في صدر الكلام . وفضل وكيل الجمعية الفاضل النيل على بك ماهر نجل صاحب السعادة ماهر باشا محافظ مصر بتقديم نسخة إلينا بنفسه فشكرنا له ذلك . وفي المجموعة ست مقالات « ١ » في التربية والتاريخ لعل بك ماهر بمدرسة الحقوق و « ٢ » في أشعة رنتجن لعبد الرحمن افندي عمر بمدرسة الطب و « ٣ » في التكافل و « ٤ » في التثويم المغناطيسى و « ٥ » في لوازم الحياة الاصابة و « ٦ » في شهران بسويسرا لعل بك ماهر . وفي

المقالات فوائد كثيرة . وعدد صفحات المجموعة ٦١٢ فنحت جميع المصريين على اجتناء هذه الثمرة الشبية ، التي انتجتها فروعهم الزكية

(مجلة الاحكام الشرعية) كثرت الجرائد والمجلات في مصر حتى تناولت كل موضوع يمكن ان تنشأ له الاموضوع القضاء الشرعي كأن المحاكم الشرعية وأعمالها ليست من حاجات العمران التي يجب ان تخدمها الصحافة . وقد انبرى في أول هذا العام للقيام بهذه الخدمة الجليلة المحامي الشرعي الشهير حسن بك حماده المتخرج في مدرسة الحقوق السلطانية في الاستانة العلية فانشأ هذه المجلة الشهرية وقد صدر الجزء الاول منها مفتوحاً بمقدمة بايعة في حالة القضاء الشرعي والمحاكم الشرعية وسبرها والحاجة الى الاصلاح فيها على الوجه الذي حرره الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية في تقريره المشهور . وقد كادت هذه المقدمة ان تكون تاريخاً للمحاكم الشرعية بصورة مجمل . ويلى ذلك مقالة في القضاء الشرعي بمصر ماضيه وحاضره وهي تاريخية مفصلة ومقالات اخرى في المحاماة والقضاء وفي المجالس الحسبية وتاريخها بمصر وفي المحاكم الشرعية وتنازع الاختصاص . وقد فتح فيها باباً لنشر تراجم المشهورين من علماء الشرع وبدأ بترجمة الامام ابي حنيفة وباباً لأشهر القضايا الشرعية التي لها فائدة عامة . وفي المجلة غير ذلك من الفوائد العلمية والادبية وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً في القطر المصري وعشرون فرنكاً في خارجه فتمنى لها النجاح الذي تستحقه

(تقويم المؤيد) صدر تقويم المؤيد لسنة ١٣٢٠ على ما يعهد الناس وفوق ما يعهدون من الاثقان وكثرة الفوائد العلمية والفلكية والطبية والتاريخية والادبية وغير ذلك وقد جلد في هذه السنة نجيداً جليلاً مزخرفاً اجتلب له جلده من أوروبا منقوشاً عليه اسمه واسم مؤلفه فهنيئاً صديقنا الفاضل محمد اقدى مسعود بما صادفه عمله المتقن من النجاح الذي هو جدير به

(النتيجة الوحيدة) اهدتنا مطبعة الموسوعات نسخة من هذه النتيجة التي تطبع فيها بالدقة والاتقان فنشكر لها اثنان طبعها ومؤلف النتيجة الحاسب المدقق السيد مصطفى محمد الفلكي المحامي تلك الفوائد التي فيها

(التقويم الازهرى) يسر المسلمين ان يروا جميع الآثار العلمية منسوبة الى الازهر الشريف وصادرة من أهله . وهذا الشاب الفاضل الشيخ محمد محمد عمر الاسطهاوى الفلكي قد أنشأ تقويميا يصدره في كل سنة هجرية وقد أذن له الاستاذ

الاكبر شيخ الجامع الازهر بأن يسميه التقويم الازهري فحسب ان يقبل عليه الناس ليزيدوا مؤلفه تنشيطاً على اتقان عمله

(باب الاغيار)

﴿الحريق في ميت غمر﴾

« ميت غمر » بلدة في مديرية الدقهلية أصابها في آخر الشهر الماضي حريق دمر الدور ، وقوض القصور ، واهتم الآلات والرياش ، ولم يبق على الناس ، الا من لجأ الى الفرار . قبل أن تحيط به النار ، فيأخذهم لسانها ، أو يخنقه دخانها ، ويقال ان ان عدد البيوت التي احترقت بأهلها الا من أنجاه الله تقارب ٥٠٠ وان الخسائر تقدر بمئات الالوف من الجنيهات . وقد كان الهول عظيماً ، والخطب جسيماً ، وقد كاد يكون حال الذين نجوا شرّاً من حال الذين فقدوا فان عذاب ساعة وان كان شديداً دون العذاب المستمر الذي يتلون ألواناً كثيرة وكيف حال من أمسى واجداً فأصبح معدماً وكان كاسياً فصار عارياً وكان ذا مكان أهل فعاد ولا مكان ولا أهل . صار الزوج أيماً والمرأة أرملة والولد يتيماً كما صار الغني فقيراً والعزيز ذليلاً . وما من هؤلاء احد الا وقد افجته النار أو لذعته أو احرقت له عضواً وحاصل القول ان هؤلاء الذين ساءوا من هذا الحريق قد صبت عليهم جميع المصائب التي تفرقت في العالمين فكان كل واحد منها باعثاً للرحمة والشفقة وسبباً للاغاة والاعانة . وقد توجهت النفوس لجمع الاعانات لهم ولا شك ان الباخل في هذا الموضع هو أبخل الناس بل هو من جنس الجهاد لان نوع الانسان ولا من جنس الحيوان . لا عذر لاحد من خالق الله في البخل على هؤلاء . ومن يبخل قائماً يبخل عن نفسه ، فمن وجد في قلبه قساوة وفي نفسه شحاً طاعاً وفي يده اتقباضاً وامساكاً فيبخل في نفسه هذا المصاب واقعابه وباهله والناس معرضين عنهم لا يجودون عليهم بشئ وينظر كيف يكون حكمه عليهم ثم ينظر هل يرضى بأن يكون محكوماً عليه عند الله والناس بمثل ما يحكم به عليهم . لينزل كل انسان مما يستطيع ولو لا الاعتماد على التعاون لوجب عليه ان يبذل كل ما يملك ان كانت وقاية اخوانه متوقعة على ذلك « لِيُنْفِقْ ذَوْ سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ (أَيُّ ضَيْقٍ) فَإِنْفَقْ » ما آناه الله لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً »

يوتق الحكمة من يشاء ومن يوثق
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المشكاة

١٣١٥

الله وأولئك هم أولو الألباب
فينبغون أحسنه وأولئك الذين هدىهم
فبشر عبادي الذين يستمعون القول

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت ١٦ صفر سنة ١٣٢٠ — ٢٤ مايو (أيار) سنة ١٩٠٢)

القسم الديني

(باب تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية)
« وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ بِي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ »

تقدم في بيان معنى الخليفة ان علم الملائكة وعملهم محدودان وان علم الانسان وعمله غير محدودين وبهذه الخاصة التي فطر الله الناس عليها كانوا أجدر بالخلافة من الملائكة وهذه هي حجة الله البالغة على الملائكة التي بينها لهم بعد ما نبههم الى علمه المحيط بما لا يعلمون فقال « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » أي أودع في نفسه علم جميع الاشياء من غير تحديد ولا

تعيين فالمراد بالاسماء المسمياتُ عبر عن المدلول بالدليل لشدة الصلة بين المعنى واللفظ الموضوع له وسرعة الانتقال من أحدهما الى الآخر والعلم الحقيقي إنما هو ادراك المعلومات أنفسها والألفاظ الدالة عليها تختلف باختلاف اللغات التي تجري بالمواضعة والاصطلاح فهي تتغير وتختلف والمعنى لا تغير فيه ولا اختلاف

قال الاستاذ : ثم ان الاسم قد يراد منه ما يصل الى الذهن من المعلوم أي صورة المعلوم في الذهن وبعبارة أخرى ما به يعلم الشيء عند العالم . فاسم الله مثلا هو ما به عرفناه في أذهاننا بحيث يقال اننا نعتقد بوجوده ونسند اليه صفاته فالاسماء هي ما به تعلم الاشياء وهي العلوم المطابقة للحقائق . والاسم بهذا الاطلاق هو الذي جرى الخلاف في أنه عين المسمى أو غيره وقد كان اليونانيون يطالبون على مافى الذهن من المعلوم لفظ الاسم والخلاف في أن مافى الذهن من الحقائق هو عينها أو صورتها مشهور كالخلاف في أن العلم عين المعلوم أو غير المعلوم . أما الخلاف في ان الاسم الذي هو اللفظ عين المسمى أو غيره فهو مأخوذ فيه الناظرون لعدم الدقة في التمييز بين الاطلاقات ابتداءً أن اللفظ غير معناه بالضرورة . والاسم بذلك الاطلاق الذي ذكرناه هو الذي يتقدس ويتبارك ويتعالى « سبح اسم ربك الاعلى » تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام « فاسمه جل شأنه ما يمكننا ان نعلم منه من صفاته وما يشرق في أنفسنا من بهائه وجلاله

ولامانع من أن نريد من الاسماء هذا المعنى وهو لا يختلف في التأويل عما قالوه من ارادة المسميات واسكنه على ما نقول أظهروا بين

علم الله آدم كل شيء ولا فرق في ذلك بين أن يكون له هذا العلم في آن واحد أو في آنات متعددة ^(١) والله قادر على كل شيء . ثم ان هذه القوة العلمية عامة للنوع الآدمي كانه لا يلزم من ذلك ان يعرف ابناءؤه الاسماء من أول يوم فيكفي في ثبوت هذه القوة لهم معرفة الاشياء بالبحث والاستدلال .

علم الله آدم الاسماء على نحو ما بينا « ثم عرضهم على الملائكة ، أي اطلعهم إطلاعاً إجمالياً بالالهام الذي يليق بحالهم على مجموع تلك الأشياء ولو عرضت على نفوسهم عرضاً تفصيلياً لعلومها ولم يكن علمهم محدوداً والحال انه عرضها عليهم وسألهم عنها سؤال تعجيز « فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء » المسميات والفرض من الانباء بأسمائها الابانة عن معرفتها ومعنى « إن كنتم صادقين » ان كان هناك موقع للدهشة والاستغراب من جعل الخليفة في الارض من البشر وكان ما طرق نفوسكم وطراً على أذهانكم أولاً حال محله ومصيبا غرضه ولما تعرفوا حقيقة ما يمتاز به الخليفة فأنبؤني بأسماء ما عرضته عليكم ؟ » قالوا سبحانك « تقدسك ونزهك أن يكون علمك قاصراً تخلق الخليفة عبثاً أو تسألنا شيئاً نفيده وأنت تعلم اننا لا نحيط بعلمه ولا نقدر على الانباء به . وكلمة س سبحانك تهدي الى هذا فكأنها جملة وحدها . وهذه هي البلاغة مضروب سرادقها ، ثمرة حداثتها ، متجلية حقائقها ، على ان الاتصاف

(١) الذي يتبادر الى الفهم من صيغة التعليم هو التدرج . قال تعالى « ويعلمكم

ما لم تكونوا تعلمون » وما كان ذلك الا تدريجاً . وهذا ظاهر في جميع الآيات التي فيها لفظ التعليم كقوله « وعاملك ما لم تكن تعلم » وقوله « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » الى غير ذلك

وردت مورد التمثيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وبعد تنزيه
الباري تبرؤا من علمهم الى علمه تعالى وحكمته فقالوا « لا علم لنا الا ما علمتنا »
وهو محدود لا يتناول جميع الاسماء ولا يحيط بكل المسميات « إنك أنت
العليم » بخلقك ، « الحكيم » في صنعك

قال الاستاذ : ان هذه التأكيديات ^(١) تشعر بأن سؤال الاستغراب
الأول كان يُتَنَبَّهُ منه شيء وكذلك الجواب عن « أنبؤني » بقولهم :
لا علم لنا . ولذلك ختموا الجواب بالتبرؤ من كل شيء والثناء على الله تعالى
بالعلم الثابت الواجب لذاته العلية والحكمة البالغة اللازمة له فقد تقدم في
تفسير الفاتحة ان صيغة (فعيل) تدل غالباً على الصفات الراسخة اللازمة
فكان جواب الملائكة بهذا مؤذناً بأنهم رجعوا الى ما كان يجب ان لا يغفل
عنه وهو التسليم لسعة علم الله وحكمته حتى يبلغ الكتاب أجله

« قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم » مكان الانبياء كما أراد الله تعالى وذكره
عند ترتيب الحكم عليه بقوله « فلما أنبأهم بأسمائهم قال « الله تعالى للملائكة
« أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » ومن كان هذا
شأنه فلا يخلق شيئاً سدى ولا يجعل الخليفة في الأرض عبثاً » وأعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون » والذي يبدو أنه هو ما يظهر أثره في نفوسهم
وأما ما يكتنون فهو ما يوجد في غرائزهم وتنطوي عليه طبائعهم

وقد علم مما تقدم ان كل هذه الأقوال والمراجعات والمناظرات

(١) في التنزيه تأكيد معنوي وكذلك في نفي العلم عن أنفسهم لذاتها وإثبات

ما اعطاها الله فقط ثم الى ذلك التأكيد اللفظي بالجزء والجملة الاسمية وضمير الفصل والمعنوي
بصينتي المبالغة في العلم والحكمة

يفوض السلف الأمر الى الله تعالى في معرفة حقيقتها ويكتنون بمعرفة فائدتها وحكمتها وقد تقدم بيان ذلك . وأما الخلف فيلجؤون الى التأويل ، وأمثل طرقة في هذا المقام التمثيل ، وقد مضت سنة الله في كتابه بأن يبرز لنا الاشياء المعنوية ، في قوالب العبارة اللفظية ، ويجلي لنا المعارف المعقولة ، بالصور المحسوسة ، تقريباً للأفهام ، وتسهيلاً للإعلام ، ومن ذلك انه عرفنا بهذه القصة قيمة أنفسنا ، وما أودعته فطرتنا ، مما نمتاز به على غيرنا من المخلوقات فعلمنا ان نجتهد في تكميل أنفسنا بالعلوم التي خلقنا مستعدين لها من دون الملائكة وسائر الخلق لتظهر حكمة الله فينا ولعلنا نشرف على معنى إعلام الله الملائكة بفضلنا ، ومعنى سجودهم لاصلنا ، « ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون » .



باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح

« نشرف في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدينتهم ومنشأ سمادتهم التي ذهبت بتركه ،

﴿ القضاء في الإسلام - النبذة الثانية في آداب ﴾

السكون وعدم الغضب ^(١٢) عن أبي بكرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان » وروى عن غير أبي بكرة أيضاً وهذا أدب عظيم لا بد من مراعاته فان الغضب يذهب بالروية والفطنة ويحكم الهوى فلا يتيسر معه استيفاء النظر والاحاطة بأسباب الحكم العادل . وقد ذهب بعض علماء المسلمين الى أن الحكم في حال الغضب لا ينفذ اثبت النهي عنه والنهي

يقتضي الفساد . وقال الا كثرون انه صحيح وان كان آتيانه مكروها
وينفذ اذا وافق الحق وذلك لان النهي الذي يفيد الفساد عند هؤلاء هو
ما كان لذات المهي عنه أو لجزئه أو لوصفه اللازم له والغضب وصف
مفارق لا لازم وفي القاعدة خلاف لا محل للبحث فيه هنا

المساواة بين الخصمين ^(١٢) عن عبد الله بن الزبير (رض) قال : قضي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخصمين يقيمان بين يدي الحاكم .
وهذا من المساواة التي جاء بها الاسلام . وقال بعض العلماء : ان هذه الهيئة
مشروعة لذاتها لا مجرد المساواة

^(١١) عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
له : « يا علي اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من
الآخر كما سمعت من الأول فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء »

^(١٥) عن أم سلمة (رض) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
: « قال من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه واشارته
ومقعده ومجلسه ولا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفع على الآخر »
وهذا هو العدل الاكمل الذي مابده غاية . وذكر المسلمين فيه لان
الكلام في دينهم وشرعهم وحكومتهم وان كان المتقاضون من غيرهم
كذلك اذ لافرق في حكمهم العادل بين مسلم وذمي ومعاهد . وما روي

(١٣) رواد أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم وقد طعن بمصعب بن ثابت من رجاله
بانه كان يغاط كثيراً على صدقه ولا يضربنا هذا في مثل هذا الحديث (١٤) رواه أحمد
وأبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه وله طرق أخرى (١٥) رواه
ندار قطني والطبراني والبيهقي . وفي أسناده عبادة ابن كثير وقد ضعف ولكن الحديث

صحيح المتن

عن علي كرم الله وجهه انه جلس بجانب شريح القاضي في خصومة له مع يهودي أو نصراني وقال لو كان خصمي مسلماً جلست معه بين يديك ولكني سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول : « لا تساوهم في المجالس » فقد قال المحدثون انه منكر وأورده ابن الجوزي في العلل وقال لا يصح تفرد به أبو سمية . هذا ما قالوه في رواية ان الخصم كان يهودياً . ورواية البيهقي التي ذكر فيها ان الخصم كان نصرانياً في إسناده عمر بن سمرة عن جابر الجعفي وهما ضعيفان وقال ابن الصلاح لم أجده اسناداً فهو منكر وباطل ومضطرب والعله في سنده ومتمه معاً وكأن مروجه من الجهلاء الذين يرون تعظيم شأن المسلمين بظلم غيرهم ولو كانوا كذلك لما قامت لهم دولة .

ومما تجب ملاحظته هنا ان ملوك عصرنا وأمرائه لو فعلوا مثل له ذلك ورضي أحدهم بأن يخضع للقضاء ويتحاكم مع بعض رعيته الموافقين او المخالفين في الدين وجاس مع ذلك بجانب القاضي أو على رأسه أو صف بأنه أعدل العادلين ، وفضل على الخلفاء الراشدين ، وانهم ليصفونهم بالعدل وينتحلون لهم ماشاء الهوى من الفضل ، على حين أنهم رفعوا أنفسهم فوق الشريعة الالهية ، بل نسخوا أكثر أحكامها بقوانينهم الوضعية ، فلا يمكن ان يتحاكم سلطان أو أمير ، مع كبير من رعيته ولا صغير ، فاضاعوا بكبريائهم الدين والدنيا والى الله المصير ،

(١٦) عن ابن أبي حنبل (رض) انه كان ليهودي عليه أربعة دراهم فاستعدى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) فقال : يا محمد

ان لي على هذا أربعة دراهم وقر غلبي عليها . فقال « أعطه حقه » قال والذي بعثك بالحق ما أقدر عليها . قال « أعطه حقه » قال والذي بعثك بالحق ما أقدر عليها قد أخبرته انك تبئنا الى خير فأرجوا أن تغنمنا شيئاً فأرجع فاقضيه قال « أعطه حقه » قال (الراوي) وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قال ثلاثاً لا يراجع . فخرج به ابن أبي حدرد الى السوق وعلى رأسه عصاية وهو متزر بردة فنزع الهمامة عن رأسه فأنزرها ونزع البردة وقال اشترمني هذه البردة فباعها منه بأربعة دراهم فمرت عجوز فقالت مالك يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرها فقالت : هادونك هذا - ابزِدِ عليها طرخته عليه . وقد أوردت هذا في أدب المساواة وان كان من باب آخر لمناسبة له . وانظر الى شدة الاسلام في أداء الحقوق والى فساوة اليهود في أخذ دينهم فقد ترك اليهودي صاحب النبي (ص) عريانا لاساتر امورته الاعمامته لأجل أربعة دراهم لم ينظره بها

الاحتجاب عن المتظلمين ^(١٧) عن عمر بن مرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مامن امام أو والٍ يغلق باباً دون ذوي الحاجة والخلة الا أغلق الله دونه أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته » استدلووا بالحديث على منع الحاكم من اتخاذ حاجب لبابه في مجلس حكمه . والحديث ناطق بان المراد منع المظلومين من التقاضي والشكوى اشتغالا عنهم بشؤون النفس أوحيا بالراحة أو ترفعا عن الناس ونحو ذلك ولا يدخل في النهي الحجاب الذين يقفون على أبواب الحاكم لحفظ النظام ومنع الفوضى والحلل وهو الذي قال بعض علمائنا بجوازه وبعضهم باستحبابه

(١٧) رواه أحمد وانه مذي والحاكم والبزار وتقدم غيره في الكلام على الامراء في المجلد الرابع

وإنما يدخل فيه حُجَاب الامراء والسلاطين الذين يزودون الناس عن مجالسهم لأنهم لا يقابلون الا أشخاصا معلومين لهم صفة رسمية عندهم ويجهلون سائر أصناف رعيتهم بدون عذر . ونقل ابن التين عن الداودي انه قال : الذي أحدثه القضاة من شدة الاحتجاب وإدخال بطائق من الخصوم لم يكن من فعل السلف . ثم قال متقبلا له : ان كان مراده البطائق التي فيها الاخبار بما جرى فصحيح وان كان مراده البطائق التي يكتب فيها للسبق ليبدأ بالنظر في خصومة . من سبق فهو من العدل في الحكم . وقال الشوكاني لو لم يحتجب الحاكم لدخل عليه الخصوم وقت طعامه وشرابه وخلوه بأهله وصلاته الواجبة وجميع أوقات ايله ونهاره . وهذا ظاهر لانزاع فيه

منع الرشوة ^(١٨) عن عبد الله بن عمرو (رض) قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم « لمن الله الراشي والمرثي » والرشوة هي السحت في قوله تعالى « سماعون للكذب أكاون للسحت »

^(١٩) عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

: « لعنة الله على الراشي والمرثي في الحكم » وفي هذا زيادة بيان .

^(٢٠) عن ثوبان (رض) قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي

والمرثي والرائش يعني الذي يمشي بينهما . وفي هذا زيادة فائدة . ولا حاجة لبيان . فساد الرشوة وتدميرها للمالك وثلها لعروش الامراء والسلاطين فان هذا يكاد يكون معلوما للناس أجمعين

(١٨) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الا النسائي . وابن حبان والطبراني والدارقطني

(١٩) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه (٢٠) رواه أحمد

منع الحاكم من الهدية ^(٢١) عن أبي حميد الساعدي قال : استعمل النبي صلى

الله عليه وسلم رجلا من بني أسد يقال له ابن اللثية على صدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي اليّ فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر (قال سفيان أيضا) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما بال العامل نبعثه نياتي يقول هذا لكم وهذا لي فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدي له أم لا . والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء الا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر » ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه « الا هل بلغت » ثلاثا . وتيعر الشاة بمعنى تصيح ^(٢٢) عن أبي حميد الساعدي (رض) ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : « هدايا العمال غلول » وفي رواية هدايا الامراء . الغلول في الاصل الخيانة في الغنime وهي المال الذي كان يأتي الى أيدي الامراء والعمال في الاكثر وورد في الكتاب العزيز التشديد فيه والهدية للحاكم مثله أو منه بحكم السنة . قال الحافظ ابن حجر اسناده ضعيف . ولكن له شواهد وطرقا متعددة تقويه . والهدية مستحبة لغيرهالة الحكم وما بمعناه ^(٢٣) عن بريدة (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول »

^(٢٤) عن علي (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم « أخذ الامير الهدية سحت وقبول القاضي الرشوة كفر » واثني لاتسم من تشديده الوضع

^(٢١) رواه البخاري بل هو متفق عليه . ^(٢٢) رواه احمد والبيهقي وابن عدي وكذا أبو سعيد النقاش زاد في كثر العمال بعد ذكر أبي حميد الساعدي في الأولى « عن عرباض » وفي الثانية « وعن أبي سعيد عن أبي هريرة » . وابن جرير وابن عساكر وغيرهم ^(٢٣) أخرجه أبو داود ^(٢٤) رواه أحمد في الزهد عن علي

عدل عمر وسياسته (٢) روى سعيد ابن أبي منصور في سننه وأبو بكر ابن أبي شيبة في مسنده والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اشترت ابلا وارجمتها الى الحمى فلما سمعت قدمت بها فدخل عمر السوق فرأى إبلا سهاما فتال : لمن هذه الابل ؟ قيل لعبد الله بن عمر فجعل يقول : يا عبد الله بن عمر بن أمية بن أمية : يا أمير المؤمنين : ! فجئت أسعى فقلت مالك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما هذه الابل ؟ قلت إبل اشتريتها وجمتها بها الحمى ابتغي ما يبتغي المسلمون . فقال : ادعوا إبل ابن أمير المؤمنين . اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين . يا عبد الله بن عمر اغد على رأس مالك واجعل الفضل في بيت مال المسلمين . اه قوله « ادعوا إبل ابن أمير المؤمنين » الخ حكاية قول الناس .

فماذا يقول أمراؤنا الذين يستعبدون رعاياهم ما استطاعوا . ويمتصون دماءهم ان استطاعوا . ويسخرونها في خدمة أرضهم ومواشيهم . ما لم يأخذ الاجنبي الذي يسمونه كافرا على أيديهم . فما هذا الزمان الذي يعلمنا فيه « الكفار » العدل بل يلزموننا به الزاما حتى يطعن الرعية على أوالهم ويأمنوا على أنفسهم من أمرائهم وانتمهم الذين اتحلوا أنفسهم إمامة الدين .

(٣) روى ابن سعد في الطبقات وابن راهويه عن عطاء قال : كان عمر ابن الخطاب يأمر عماله ان يوافوه بالموسم فاذا اجتمعوا قال : يا أيها الناس اني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أوالكم ولا من اعراضكم إنما بعثهم ليحجزوا بينكم وليقسوا فيكم بينكم فمن فعل

به غير ذلك فليقم . فما قام أحد الارجل قام فقال أمير المؤمنين إن عاملك
فلانا ضربني مائة سوط . قال فيم ضربته ؟ قم فاقص منه . فقام عمرو بن
العاص فقال يا أمير المؤمنين إنك ان فعلت هذا يكثر عليك وتكون
سنة يأخذ بها من بعدك . قال أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يُقَيِّدُ من نفسه^(١) . قال فدعنا لترضيه . قال دونكم فأرضوه .
فاقتدى منها بمائتي دينار عن كل سوط بدينارين .

فإذا يقول الناس هنا في أمرائهم الذين كانوا يضربونهم السياط
بغير حساب لتحصيل الاموال الاميرية ويضربونهم بغير حساب لتحصيل
الضرائب والمكوس الظالمة ويضربونهم بغير حساب لتحصيل ديون
الخواجات ويضربونهم بغير حساب لتسخيرهم في الاعمال العامة والخاصة .
ومع هذا كله يمتنون على البلاد انهم أنقذوها من ظلم الظالمين السابقين أي
انهم حصروه في أنفسهم واحتكروه لها ولا فرق عند المظلوم بين
ان يسمى ظالمه مالكا أو مملوكا . وانه ليفرح بانقاذه سواء سمي منقذه
مسلماً أم سمي كافرا . فالحقائق لا تبدل بتبدل الاسماء والالقاب وبالعدل
قامت ممالك الاسلام وبالظلم سقطت ممالك المسلمين « عسى ربكم أن
يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »

(٤) روى ابن عساكر من مسند عمر عن الاحنف بن قيس
قال : ما كذبت الا مرة قالوا وكيف يا أبا بحر ؟ قال وفدنا على عمر بفتح
عظيم فلما دنونا من المدينة قال بعضنا لبعض لو ألقينا ثياب سفرنا وابسنا ثياب

(١) القودُ القصاص وأقاد الأمير القاتل بالقتيل اذا قتله به المراد هنا التمكين

صونا فدخلنا على أمير المؤمنين والمسلمين في هيئة حسنة وشارة حسنة
كان أمثل . فلبسنا ثياب صونا وألقينا ثياب سفرنا حتى اذا طلعنا في
أوائل المدينة لقينا رجلا فقال انظروا الى هؤلاء أصحاب دينا ورب الكعبة .
قال فكنت رجلا ينفعني رأيي فملت ان ذلك ليس بموافق للقوم فعدت
فلبستها (وفي نسخة فلبست ثياب سفري) وادخلت ثياب صوني العيبة
وأخرجتها ^(١) وأغفلت طرف الرداء ثم ركبت ولحقت بأصحابي فلما دفعنا
الى عمر نبت عيناه عنهم ووقفت عيناه علي فأشار الي بيده فقال : أين
نزلتم ؟ قلت في مكان كذا وكذا فقال أرني يدك فقام معنا الى مناخ ركابنا
فجعل يتخللها ببصره ثم قال : الا اتقيتم الله في ركابكم هذه ؟ اما علم ان
لها عليكم حقا ؟ الا قصدتم بها في المسير ؟ (وفي رواية قصدتم وهما بمعنى
التوسط) الا حلتم عنها فأكلت من نبت الارض ؟ فقلنا يا أمير المؤمنين
إنا قدمنا بفتح عظيم فأحبينا ان نسرع الى أمير المؤمنين والى المسلمين
بالذي يسرهم فحانت منه التهمة فرأى عيبي فقال : لمن هذه العيبة ؟ قلت
لي يا أمير المؤمنين . قال فما هذا الثوب ؟ قلت ردائي . قال بكم تدبته ؟
فألقيت ثلثي ثمنه فقال : إن ردائك هذا لحسن لولا كثرة ثمنه

ثم انطلق راجعا ونحن معه فلقيه رجل فقال : يا أمير المؤمنين انطلق معي
فأعذني على فلان فانه قد ظلمني . فرفع الدرة فخفق بها رأسه ^(٢) وقال
تدعون أمير المؤمنين وهو ممرض لكم حتى اذا أشغل في أمر من أمر
المسلمين أتيتوه : أعذني أعذني . فانصرف الرجل وهو يتذمر فقال : علي

(١) العيبة وعاء توضع فيه الثياب وأخرجها ضمها (٢) خفقه ضربه ضربا خفيفا

بشيء عريض كالخفقة وهي الدرة أو خشبة عريضة

الرجل فالتقى المحققة فقال امثل . فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك قال :
ليس هكذا إما تدعها لله إرادة ماعنده أو تدعها لي فأعلم ذلك . قال ادعها
لله . قال فأنصرف ثم مضى حتى دخل منزله ونحن معه فافتتح الصلاة
فصلى ركعتين وجلس فقال : يا ابن الخطاب كنت وضيعا فرفعك الله
وكنت ضالاً فهداك الله وكنت ذليلاً فاعزك الله ثم حملك على رقاب
المسلمين فجاءك رجل يستعديك فضربته . ما تقول لربك غداً إذا أتته ؟ قال
بجعل يعاتب نفسه في ذلك معاتبه ظننا انه خير أهل الارض اهـ

فاين أمراؤنا اليوم وما مبلغ معرفتهم بالله وخوفهم منه وتعظيمهم
له . أعرف ان بعض من يتراءى بالدين ويفتخر بأنه يصلي قال له قائل
مرة : ورد في الحديث الصحيح « الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة
المسلمين وعامتهم » ومولاي من أئمتهم فأنا عملا بالحديث أقدم له نصيحة
في شأن كذا . فغضب عليه غضبا شديداً لأنه وجه اليه النصيحة ومثله
أعلى في اعتقاده من ان يُنصح وان كان الحديث ناطقا بأن النصيحة لله
ولرسوله . ومثل هذا من أمرهم لا يحصى

(٥) روى الدينوري في المجالسة عن مالك بن أوس بن الحدثان قال :
قدم بريد ملك الروم على عمر بن الخطاب فاستقرضت امرأة عمر بن
الخطاب دينارا فاشتريت به عطرا فجعلته في قوارير وبعثت به مع البريد الى
امرأة ملك الروم فلما أتتها فرغتهن وملأتهن جواهر وقالت اذهب الى
امرأة عمر بن الخطاب . فلما أتتها فرغتهن على البساط فدخل عمر فقال
ما هذا فاخبرته بالخبر فأخذ عمر الجواهر فباعها ودفع الى امرأته دينارا
وجعل ما بقي من ذلك في بيت . ل المسلمين . اهـ

وفى الأثر من الفقه ان الهدية وان كانت مكافأة على هدية أخرى فهي لأجل ان امرأة عمر امرأة أمير المؤمنين لالذاتها فيجب ان يكون مأخذ بجاه أمير المؤمنين للمؤمنين . ولكن الملوك والامراء على المؤمنين فى هذه المصور قد ملأوا قصورهم جواهر من بيت مال المؤمنين وهم يهدون منها ويهبون بلا . عارض ولا منازع . وفيه أيضا المودة والتحاب بالهدايا بين المسلمين وغيرهم وان كانوا حربيين ولكن فى غير وقت الحرب وغير ما يتعلق بالحرب كالأعانة عليها فان عمر لم ينكر على امرأته إهداء العطر الى ملكة الروم . وهو يدل ان النساء أسرع الى الائتلاف والمودة بعضهن مع بعض من الرجال وهو مشاهد معروف

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(س ١) نزول المسيح من أحمد أفندي عبد الحليم بشين الكوم: هل يوجد دليل شرعي على أن المسيح سينزل ويحكم وهل يكون بنزوله نيامع أن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين كما هو معلوم فى الشرع ولماذا حيثئذ ينزل المسيح وهل يكون قبل نزوله فترة؟

(ج) ليس فى الكتاب والسنة نص قطعي الثبوت والدلالة على نزول المسيح توجب على المسلمين الاعتقاد بذلك وانما ورد فى نزوله أحاديث آحاد اشتهرت لغرابة موضوعها وتخرج الشيخين لها وأكثرها عن أبى هريرة . وهذه المسئلة من المسائل الاعتقادية التي يطلب فيها النص القطعي المتواتر . وقد استدلل بعضهم عليها بآيتين من القرآن ليستا نصاً فيها بل ربما كان الظاهر منهما خلاف ما حملتا عليه عند من ذكر (احدهما)

قوله تعالى « وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » جاءت الآية في سياق الكلام على المسيح ومزاعم أهل الكتاب فيه ومعناها الظاهر أنه لا احد من أهل الكتاب الا ويؤمن بالمسيح الايمان الصحيح قبل أن يموت أي قبل خروج روحه لانه وقت تشرف فيه النفس على العالم الآخر فيظهر لها الحق ولكن اذا جاء هذا الوقت « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » فالضمير في (موته) للمني في قوله (وان من أهل الكتاب) الذي معناه لا أحد من أهل الكتاب وعاليه الا كثرون . وذهب المستدل بالاية على نزول المسيح الى ان الضمير للمسيح وانهم يؤمنون به قبل ان يموت عند ما ينزل ويقيم دين الاسلام ويحكم به ولكن النفي العام في الاية لا يصح على هذا الوجه لانه لا يشمل أهل الكتاب الذين يموتون قبل نزوله ولا يؤمنون به كاليهود في عصر التنزيل وما بعده الى عصر النزول المدعى . على ان القرآن مصرح بأن المسيح قد توفي قبل رفعه كما هو المتبادر من قوله عز وجل (يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي) ولا يصار الى التأويل ، ما لم يقم على خلاف الظاهر الدليل ، وهذا ما يقال في الاية لذاتها فهي من حيث انها متواترة ليست نصاً ولا ظاهراً في المطلوب وان وردت شاهداً في بعض الروايات المرفوعة وللرواية حكمها ومن ثبتت عنده وجب عليه الايمان بها والاية الثانية قوله تعالى بعد ذكر عيسى عليه السلام ومقارنة المشركين بينه وبين آلهتهم (واِنَّهٗ لَعَلِمُ السَّاعَةَ فَلَا تَمُوتُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) فذهب بعضهم الى أن الضمير (إنه) لعيسى واختلقوا في وجه كونه علماً للساعة فقل انه حدوثه وقيل احيائه الموتى وقيل نزوله في

آخر الزمان والاية لاتدل على هذا وإنما هو احتمال . وذهب بعضهم الى ان الكلام في القرآن لأن فيه الاعلام بالساعة والاستدلال عليها بالادلة التي تقرب الاعتقاد بها من العقول وهذا مما امتاز به على سائر الكتب السماوية التي سكنت عن ذلك أو أشارت اليه من طرف خفي ولاغروفتي القرآن هو بني الساعة وقد عرفنا من أسلوب القرآن الانتقال من محاجة الزائعين في عقائدهم وتقايلدهم الى الدعوة الى القرآن واتباع من جاء به وتمة الآية تؤيد هذا القول الأخير . فظهر ان لادليل في القرآن على نزول المسيح وأما الاخبار فقد ورد فيها ذلك فلتقاء الناس بالقبول لاسيما بعد اشتهار كتابي الشيخين ولكنهم لم يذكروه في العقائد الاسلامية لانه ليس قطعيا

ومما يستحق الذكر ان القول بظهور المسيح في آخر الزمان قد اتفق فيه المسلمون مع اليهود والنصارى في الجملة ولكنهم اختلفوا في التفصيل فاليهود ينتظرون مسيحاً جديداً يجدد ملك اسرائيل ولذلك يسمون لتحقيق هذه الامنية سعياً مادياً يناسب الملك . والنصارى ينتظرون مجيء المسيح في ملكوته وصليبه ليدين العالمين ويحاسبهم على نحو ما يعتقد المسلمون في الآخرة . والمسلمون يعتقدون ان المسيح ينزل في آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقيم الشريعة الاسلامية ويصلي مأموما وراء أحد أئمة المسلمين ليظهر ان الدين عند الله الاسلام

وقد بذت فرقة البهائية دينها على أساس هذا الاتفاق الاجمالي بين أهل الاديان السماوية وزعموا ان زعيمهم (بهاء الله) دفين عكا هو المسيح المنتظر وان الباب هو المهدي الذي يقول المسلمون ان ظهوره يتقدم

ظهور المسيح ولهم سبوح طويل في تأويل الاحاديث وأقوال الصوفية الواردة في المهدي والمسيح وتطبيقها على الباب والبهاء وعند ما يدعون النصارى الى دينهم يعترفون بأن المسيح كان الهاً كاملاً ويقولون انه لم يكن الهاً بجسمه بل بروحه وهذه الروح الالهية نفسها هي التي حلت في البهاء فهو اله كامل « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »

وفي الهند قائم يدعي الآن انه المسيح عيسى ابن مريم وكان من مشايخ الطريق وأهل العلم الاسلامي وقد رددنا عليه في مجلد المنار اثالث ورددنا على البهائية أيضاً وان لنا لعودة ان شاء الله تعالى

وان من النصارى من يحمل ظهور المسيح أو نزوله في آخر الزمان على ان الصفات التي امتاز بها والتاليم التي كان يرشد اليها هي التي تكون سائدة في الناس وهي المحبة والمسالة والوفاة والاخذ بمقاصد الدين والشريعة دون الوقوف عند الرسوم الظاهرة التي قالوا إنه طمسها من اليهودية ثم عاد المنتسبون اليه فوضعوا لهم رسوماً غيرها ربما تزيد عليها من بعض الوجوه، وهذا التأويل على حدة ظهر في المسلمين عمر، اذا قام فيهم ملك عادل وهذا الجيش يقوده نابليون، اذا كان قائده شجاعاً مدرباً. ولا حاجة للمسلمين بالتأويل الا اذا ثبت ان الاخبار الواردة متواترة ويعارضها قطعي آخر ككون محمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين. فلم من هذا انه لا يكون زمن فترة يضع فيها الاسلام فيجده المسيح وإنما يبقى الاسلام معمولاً به الى قيام الساعة كما ورد في الحديث الصحيح. هذا وان لفظ النزول يستعمل بمعنى الخروج كقوله تعالى « وانزلنا الحديد » فاذا احتجنا للتأويل نقول ان معنى حديث نزول عيسى هو

ظهور حقيقته بظهور الاسلام واستعلاء برهانه فيعلم النصارى ان المسيح بشر لا آله وان دين الله واحد لا فرق فيه بين عيسى ومحمد وغيرهما من الرسل وهو توحيد الله والايمان بلاقائه في الآخرة ووجوب عمل الخير وترك الشر وما يتفرع عن هذه الأصول ولا شك ان النراقي في علم النفس وعلوم الكون سيرتقي بالناس الى هذه المعرفة « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » (س ٢) انتفاع الموتى بالقراءة من الشيخ أحمد حسن يوسف معمر بالازهر : هل ورد دليل من الكتاب أو السنة أو الاجماع بانتفاع الموتى بقراءة القرآن عليهم أم لا ؟ فان كان ورد شيء يؤيد ذلك فما معنى قوله تعالى « وأن ليس للانسان إلا ماسعى » الرجاء كشف النقاب عن هذه المسئلة ولكم الفضل

(ج) لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في الاجماع شيء يثبت انتفاع الاموات بقراءة غيرهم القرآن عليهم والآية ناطقة بأن الانسان لا ينتفع الا بعمله وكسبه ومنه ما يبق أثره أو عينه بعد موته كالصدقة الجارية والعلم النافع والذرية الصالحة ولذلك ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم وأصحاب السنن من حديث أبي هريرة . فهذه الثلاث ملحقة بعمل الانسان ومعتبرة منه فلا حاجة الى ما قاله بعضهم من تخصيص عموم قوله تعالى « وان ليس للانسان الا ما سعى » بالحديث إذ لا منافاة . ومثل ذلك يقال في من سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يتصدق عن أبيه ومن سأل هل يتصدق عن أمه وإجابته

أيام بنعم ومنهم سعد بن عبادة الذي سأله أي الصدقة أفضل؟ فقال: سقي الماء . ولم يرد مثل ذلك الا في صدقة الابناء عن الوالدين . وقد ألحقوا بهم غيرهم في الصدقة ولا دلائل على ذلك الا اذا صح القياس في الأمور التعبدية . وخصوا الآية بالعبادات البدنية كالصلاة والقراءة . وقد استدل الامام الشافعي رحمه الله تعالى بالآية على ان ثواب القراءة لا يلحق الأموات وهو مذهب مالك أيضاً . ولا نخوض هنا في خلاف العلماء وتأويلهم لأن السائل لم يسأل عن ذلك

وأما حديث « افراوايس على موتاكم » فقد رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي وابن حبان وصححه واحد بلفظ آخر . ولكن ابن القطان أعلاه بالاضطراب وبالوقف وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه من رجال سنده وقال الدارقطني هذا حديث ضعيف الاسناد مجهول المتن . وتصحيح ابن حبان لا يعول عليه مع هذا الجرح لانه كان يتساهل بالجرح فيعتمد جرحه دون تعديله اذا انفرد به كما صرح به الذهبي في ميزان الاعتدال . على انه فسر في صحيحه بقراءتها عند المحتضر فقال « أراد به من حضرته المنية لأن الميت يُقرأ عليه » وخالف المنتصرون للقراءة على الأموات . ولوان في الباب حديثاً صحيحاً لما احتاجوا للاستدلال بحديث ضعيف الجريدين على القبر ولا دلالة فيه كما هو ظاهر

(س ٣) اتخاذ الصور احمد افندي صادق الدباغ بالاسكندرية : ما حكم

اتخاذ الصور وهل يحرم تزوين المنازل بها ؟

(ج) اختلف العلماء في اتخاذ الصور فقل إنه محرم مطلقاً وقيل ان

المحرم منها ما لا ظل وأما ما لا ظل له فلا بأس باتخاذها وقيل ان المحرم هو ما اتخذ

بهية تعظيم وهذا أقوى الأقوال عندي لوجهين أحدهما حديث عائشة عند أحمد والبخاري ومسلم وهو « أنها نصبت ستراً وفيه تصاوير فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزعه . قالت : فقطعته وسادتين فكان يرتفق عليهما » وفي لفظ أحمد « فقطعته مرفقتين فلقد رأيته متكراً على أحدهما وفيها صورة » المرفقة المتكراً والمخذة ولو كانت الصورة ممنوعة لذاتها لأزالها من المرفقة وإنما هتك الست لأنه كان منصوباً كالصور المعبودة فهو يذكر بها وفيه تشبه بعبادتها . ثانيهما العلة الحقيقية في النهي عن التصوير والصور المعظمة وهي محاكاة عباد الاصنام لما قالوه من ان فيها محاكاة خلق الله فان هذه العلة تقضي تحريم تصوير الشجر والجماد وقد نقل بعضهم الاجماع على حله . فاذا انتفت العلة انتفى المعلول والله تعالى أعلم

القسم العمومي

الاجتماع الثالث - الداء أو الفتور العام

في مكة المكرمة يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦
في الوقت المعين وهو بعد طلوع الشمس بساعة تم توارد الاخوان لمحل الجمعية غير ان الاستاذ الرئيس تأخر نحو نصف ساعة ثم حضر واعتذر بأنه عاقه عن الحضور ان حضرة الشريف الأمير قد طابه لزيارته فما وسعه الا الاجابة بأكراً وما كان يظن أن يترسل بينهما الحديث فيتأخر عن الميعاد ولكن اتفق ان الحديث كان طويلاً .
ثم قال (الاستاذ الرئيس) اننا متشوقون لتمام بحث المولى الرومي وأمر السيد الفراتي كاتب الجمعية فقرأ ضبط مذكرات الاجتماع السابق حتى بلغ آخره من عبارة المولى الرومي وهي قوله وعندى ان داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعممين

فحينئذ أفاض (المولى الرومي) في الكلام فقال وهم المقربون من الامراء على انهم علماء وارتباط القضاء والامضاء بهم فان بعض هؤلاء المتعممين في البلاد الاسلامية

كانوا اتخذوا لانفسهم قانوناً جعلوا فيه من الاصول ما انتج منذ قرنين الى الآن ان يصير العلم منحة رسمية تعطى للجهال حتى للاميين بل وللاطفال .
ويترقى صاحبها في مراتب العلم والفضل والكمال بمجرد تقادم السنين أو ترادف العناية لاسيما اذا كان من زمرة الاصلاء . فانه يكون طفلاً في المهد وينعت رسماً بانه « أعلم العلماء المحققين » ثم يكون فطياً فيخطب بانه « أفضل الفضلاء المدققين » ثم يصير مراقباً فيعطى لقب « أقضى قضاة المسلمين » معدن الفضل واليقين ، رافع اعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الانبياء والمرسلين ، ثم وثم حتى يبلغ الوصف (بأعلم العلماء المتبحرين ، وأفضل الفضلاء المتورعين ، ينبوع الفضل واليقين ،)
ولا يظن ظاناً ان هذا الاطراء من الامراء للمتعممين هو بقصد ان يقابلوهم بالمثل باللقاب « المولى ، المقدس ، ذي القدرة ، صاحب العظمة والجلال ، المنزه عن النظير والمثال ، واهب الحياة ، ظل الله ، مهبط الالهامات ، سلطان السلاطين ، مالك رقاب العالمين ، ولي نعمة الثقلين ، ملجأ أهل الخافقين ، » الى غير ذلك من مصارع الكبرياء والمهاالك .

هذا ولا ريب ان كثيراً من هؤلاء العلماء المتبحرين لا يحسنون قراءة نعوتهم المزورة كما ان بعض اولئك المتورعين رافعي اعلام الشريعة والدين يحاربون الله جهاراً ويستحقون ما يستحقون من الله وملائكته والمؤمنين .

ويكفي حجة عليهم بذلك تميزهم جميعاً بلباس عروسي مزركش بكثير من الفضة والذهب مما هو حرام في الاسلام وقد اقتبسوا هذا اللباس من كهنة الروم الذين يلبسون القباء والفلنسوات المذهبة عند اقامة شعائرهم وفي احتفالاتهم الرسمية وكم من خطيب يستوي على المنبر ويقول اتقوا الله وعلى رأسه وصدره ومنكيه هذا اللباس المنكر (مرحى) .
ثم ان هؤلاء المتعممين ما كفاهم هذا القانون فالحقوه بقانون آخر جعلوا فيه التدريس والارشاد والوعظ والخطابة والامامة وسائر الخدم الدينية كالعروض تباع وتشتري وتوهب وتورث وما يخل منها نادراً عن غير وارث يبيعها القضاة لمن يزيد في ثمنها او ينكرمون بها على المتماقين وهذا القانون انحصرت الخدم الدينية في الجهلاء والمنافقين .
ثم لما شكلت بعض الحكومات مجالس ادارية لم يرض المتعممون حتى جعلوا فيها قاضي المسلمين وكذلك مفتي المؤمنين فهما في كل بلد عضوان في مجالس الادارة يحكمان بأشياء كثيرة مما يصادم الشرع كالربا والضريبة على الخمر والرسوم العرفية وغيرها مما كان الأليق والأنسب بالاسلامية ان يترك العلماء يعيدون عنه كما ان القسوس بل

الشماس لا يحضر مجلساً يعقد فيه زواج أو تفريق مدنيان ولا يشهد في صك دين داخله ربا فضلاً عن ان يقضي أو يمضي بصفة رسمية كهنوتية امثال ذلك من الاعمال التي تصادم دين النصرانية .

وكذلك لما وضعت المحاكم العرفية (الاهلية) تهافت المتعممون على جعل قاضي المسلمين رئيساً للحكمة العرفية التي تحكم بما لم ينزل الله وبما يتبرأ الدين الحنيف منه من نحو رباً صريح ومن ابطال حد الله التي صرح بها القرآن أو باستبدال عقوبات سياسية أو تغريمات مالية بها . ومن نحو معاقبة العباد بمجرد الظن والرأي وشهادة الواحد وشهادة الفاسق وشهادة العامة المجاهرة بما لا يلائم الشرع قطعاً ومن نحو تنفيذ كل حكم عرفي حق أو باطل بدون نظرقه ومن محصيل ضرائب وغرامات ومن توقيف الاحكام الشرعية على استيفاء الرسوم من الاخصام وأموال الايتام ومن أهم دسائس المتعممين انهم ينقشون في صدور الامراء لزوم الاستمرار على الاستقلال في الرأي وان كان مضرأ ومعاداة الشورى وان كانت سنة متبعة والمحافظة على الحالة الجارية وان كانت سيئة ويلقون عليهم بأن مشاركة الامة في تدبير شؤونها واطلاق حرية الانتقاد لها يخل بنفوذ الامراء ويخالف السياسة الشرعية ويلقنونهم حججاً واهنة لولا ان امامها جهل الامة ووراءها سطوة الامارة لما تحركت بها شفتان ولا تردد في ردها انسان

والامر الامر أن اولئك الامراء يقتبسون من هذه الحجة مايتسلحون به في
مقابلة من يعترض على سياستهم من الدول الاجنبية بقولهم ان قواعد الدين الاسلامي
لا تلائم اصول الشورى ولا تقبل النظام والترقيات المدنية وانهم مغلوبون على أمرهم
ومضطرون لرعاية دين رعاياهم ومجاراة ميل الفكر العام

وبهذه القوانين استأثر الجهلاء الفاسقون بمزايا العلماء العاملين واغتصبوا أرزاقهم من بيت المال ومن أوقف الأسلاف في الضرورة قلت الرغبات في تحصيل العلوم وتبطلت الهمة وصار طالب العلم يضطر للاكتفاء بباغة منه ويشغل بالاحتراف للارتزاق وهكذا فسد العلم وقل أهله فاحتلت التربية الدينية في الأمة فوقعت في الفتور وعمت فيها الشرور •

أجاب (الرياضي الكردي) ان هذا الداء خاص ببعض الشعوب الاسلامية فلا يصلح سبباً للفتور العام الذي نبحث فيه ونساءل عنه . وعندي ان السبب العام هو ان علماءنا كانوا اقتصروا على العلوم الدينية وبعض الرياضيات واهملوا باقي العلوم الرياضية

والطبيعية التي كانت اذ ذك ليست بذات بال ولا تفيد سوى الجمال والكمال فقصد أهلها من بين المسلمين واندست كتبها وانقطعت علاقتها فصارت منفوراً منها على حكم « المرء عدو ما جهل » بل صار المتطلع اليها منهم يفسق ويرمى بالزيف والزندقة على حين اخذت هذه العلوم تنمو في الغرب وعلى كثر القرون ترفت وظهر لها ثمرات عظيمة في جميع الشؤون المادية والادبية حتى صارت كالشمس لا حياة لذي حياة الا بنورها فاصبح المسلمون مع شاسع بعدهم عنها محتاجين اليها لمجاراة جيرانهم احتياجاً يعجز الجزئيات والكليات من تربية الطفل الى سياسة الممالك ومن استتبات الارض الى استمطار السماء ومن عمل الاءبرة والقوارير الى عمل المدافع والبوارج ومن استخدام اليد والحمار الى استخدام البرق والبخار .

ولاشك ان المسلمين أصبحوا بعد الاكتشافات الجديدة يستفيدون من العلوم الطبيعية والحكمة فوائد عظيمة جداً بانتظر الى كشفها بعض اسرار كتاب الله وبائع الحكمة التطوية فيه مما كان مستوراً الى الآن وقد خبط فيه المفسرون خبط عشواء بل اضحى المسلمون محتاجين للحكمة العاقية التي كادت تجعل الغربيين ادري منا حتى بمباني ديننا كاستدلالهم بالمقايسة على ان نبينا عليه افضل الصلاة والسلام افضل العالمين عقلاً وأخلاقاً وكتاباتهم بالمقابلة ان ديننا أسمى الديانات حكمة ومرتبة .

وعندي انه لولا هذا القصور ، لما وقع المسلمون في هذا الفتور ، والامل بعناية الله انهم بعد زمان قصيراً وطويل لا بد أن ياتفتوا الى هذه العلوم النافعة فيستعيدوا نشأتهم بل يجلبوا الى دينهم العالم المتمدن لان نور المعارف على قدر ابعاده العقلاء عن التصراية وامثالها يقربهم من الاسلام لان الدين المملوء بالخرافات والعقل المستير لا يجتمعان في دماغ واحد . (مرعى)

ثم ان تبعة هذا التقصير وان كانت تلحق علماء الأمة المتقدمين الا ان علماءنا المتأخرين اكثر قصوراً لانهم في زمان ظهرت فيه فوائد هذه العلوم ولم يحصل فيهم ميل لاقتباسها بل نراهم مقتصرين على تدريس قنون اللغة والفقه فقط أو بعلاوة شيء من المنطق اتماماً للعقائد وثنى من الحساب اكمالاً للفرائض والمواريث قلما يفيد .

وكذلك نرى وعاطنا مقتصرين على البحث في التوافل والقربات المزيدة في الدين ورواية الحكايات الاسرائيليات ومثلهم المرشدون أهل الطرائق فهم مقتصرون على حكايات نوادر الزهاد من صحيح وموضوع ورواية كرامات الانجباب والنقباء والابدال وعنى ضبط وزن نظم ايل واصول الانشاد ولا تنسى خطباءنا واقتصارهم على تكرار

عبارات في النعت والدعاء للغزاة والمجاهدين وتعداد فضائل العبادات والشهور والمواسم .
والحاصل ان تقصيرات العلماء الاقدمين واقتصارات المتأخرين وتباعد المسلمين
الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية جعلتهم أحط من كثير من الأمم ولا شك انه اذا
تمادى تباعدهم هذا خمسين عاماً أخرى تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم كبعدها
ما بين الانسان وباقي أنواع الحيوان فبناء عليه يكون ناموس الارتقاء هو المسبب لهذا
الفتور كما قال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

فاجابه (الكامل الاسكندري) ان هذا سبب من الاسباب ولا يكفي وحده
لحل الاشكال لان فقد العلوم الحكيمية والطبيعية لا يصاح سبباً لفقد الاحساس الملي
والاخلاق العالية لانها توجد في اعرق الأمم جهالة وانما سبب فتور حياتنا الادبية
هو يأسنا من المباراة وذلك اننا كنا علماء راشدين وكان جيراننا متأخرين عنا فغرنا
البقاء فقمنا واجتهدوا فلهحقونا ، ولبتنا بما فاجتازوا وسبقونا . وتركونا وراءنا ، وطال
نومنا فبعد الشوط حتى صار ما بعد ورأنا وراءنا ، فصغرت نفوسنا وفترت هممتنا وضعف
احساسنا فيئسنا من اللاحاق والمجاراة وخرجنا من ميدان المنافسة والمباراة وأستقنا
تفيض بقوله تعالى « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » فعدنا الى كهف النوم
مستسلمين للقضاء ، نطلب الفرج بمجرد التني والدعاء ، ذاهلين على ان الله تعالى جلت
حكيمته رتب هذه الحياة لدنيا على أسباب ظاهريه ولم يشأ ان يجعلها كالأخرة عالم أقدار
فهذا اليأس هو سبب الفتور فنسأل الله تعالى اللطيف في المقدور

اجابه (العارف التتاري) ان هذه شكايه حال ولا تنفي بالجواب لانه ما السبب في
أن هذا النوم غشي المسلمين ولم يزل يغشاهم دون كثير غيرهم من الأمم التي انتهت
وسارت ولحقت ظمن الاحياء وما المسلمون بالابعدين المتقطعين كأهل الصين ولاهم
بالمتوحشين العريقين كأهل امريكا الاصليين .

ثم قال : انا ارى ان عارضنا فقدان السراة والهداة فلا أمير عام حازم مطاع ليسوق الأمة
طوعاً أو كرهاً الى الرشاد ولا حكيم معترف له بالزينة والاخلاص لتفاد اليه الامراء
والناس ولا تربية متحدة المقصد ينتج منها رأي عام ، لا بطرقه تخاذل واتقسام ، ولا جمعيات
متظمة تسعى بالخير ، وتتابع السير ، ولذلك حل فينا الفتور ، والى الله ترجع الامور .
أجابه (الفقيه الافغاني) ان ما وصفته من أمير وحكيم لا يوجدان في الأمم المنحطة
الاتفاقاً وأما الرأي العام والجمعيات فلا يفقدان الا بسبب فقد الاحساس وهذا
ما تساءل عنه . وذكر ان الداء العام فيما يراه هو الفقر الآخذ بالزمام لأن الفقر قائد

كل شر ورائد كل نحس فتنه جهلنا ومنه فساد أخلاقنا بل منه تشتت أرائنا حتى في ديننا ومنه فقد احساسنا ومنه كل ما نحن فيه ، أو نتوقع اننا سنوافيه ، فهذه فطرتنا لاتقص فيها عن غيرنا وعددنا كثير وبلادنا متواصلة وأرضنا خصبة ومعادنا غنية وشرعنا قويم ونفارتنا قديم فلا ينقصنا عن الامم الحية غير القوة المالية التي أصبحت لا تحصل الا بالعلوم والفنون العالية وهذه لا تحصل الا بالمال الطائل فوقنا في شكل الدور وعسى أن نهتدي لفك سيدلا والا فيحقيق بنا ناموس قناء الضعيف في القوى وقناء الجاهل في العالم

ومن أعظم أسباب فقر الامة ان شريعتنا مبنيّة على ان في أموال الاغنياء حقاً معلوماً للبائس والمحروم فيؤخذ من الاغنياء ويوزع على الفقراء وهذه الحكومات الاسلامية قد قلبت الموضوع فصارت تحبي الاموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للاغنياء وتحابي بها المسرفين والسفهاء .
(الاجتماع بقية)

بَابُ الثَّانِي فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ

﴿ الكتاب الثالث «من أميل القرن التاسع عشر» في اليافع ﴾

شذرات مقتطفة من جريدة ار اسم . تحرير أبحر ازيون في سنة ١٨ الداخلة في سنة ١٨٦

الشذرة الاولى

حب الزوجة والولد والوطن

منذ سنة تغيرت شؤون حياتي كلها

واقعد وجدتها هي بعينها (١) ولما تلاقينا كنا كأنا لم نفترق في حياتنا فان النوى لم تغير شيئاً من ضروب وجداتنا ولا من عاداتنا لبقاء قلوبنا على ما كنا عليه من الارتباط والاتحاد وغاية ما حدث اني أراني الآن آنس مني في جميع أيامي الساقطة بحسن معاشرتها وجمال معاشاتها نعم انها لم تبق طفلة كما عهدتها ولكنها لم تأخذ من مرور

(*) الباب الأول من هذا الكتاب في الأم والباب الثاني في الولد وقد قدما وهذا

باب الثالث في تربية الغلام اليافع (١) يريد زوجته أم أميل

الاعوام وكروور الايام الا ما يزيد المرأة في القلوب محبة وفي النفوس تأثيراً فكان روحها وملاح وجهها تكلمات وتطهرت بادائها فروض الامومة المقدسة

كنت أوشكت ان أقنط من معرفتي لولدي ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام ان الذين هم اكثر الناس اشتةً لا بالتربية لم يرزقوا أولاداً أو رزقوهم وحرموا من رؤيتهم وربما كان هذا هو الباعث لهم على الاهتمام بالتربية وجعل البحث في شؤونها غايتهم ليؤدوا بذلك ما فرضه الله عليهم منها بنوع آخر من الاداء

فليت شعري بماذا استحققت أن اكون أسعد من هؤلاء مع كونهم أجدر مني بالسعادة ما أشدني حُناً وتأثراً عند تفكير ولدي اياي وما أعظم زهوى وإعجابي به عند ما آخذ يده وأتنزه معه في المزارع وان الدنيا لترى في عيني جديدة وهو مني كأن لم أرها منذ سبع سنين • ولا جرم ان الانسان لا يبصر وهو رهين السجن محروم من الحرية فكل ما كنت أراه من أشجار وصخور عمرت عمر الدنيا القديمة كان يخيّل الي انه لم يخلق الا بالامس

خطر في ذهني ساعة خاطر العود الى فرانسا ولكن الف مانع — وان شئت فقل الف وهم — قد تحول بين المرء وبين مدينته في وطنه وما أدراك ان من هذه الموانع ما يعتريني من الألم المعض الذي لا أستطيع التعبير عنه اذا رأيت أمة عظيمة عهدتها حرة قد أصبحت في قبضة حاكم وجميع ما يحصل في هذا الوطن لا يقل عن ذلك ايلاً ما للقلب ولا ازهاقاً للنفس

يوجد في جميع عصور التاريخ رجال بررة صالحون رأوا من الواجب عليهم لا أنفسهم ولا وطنهم أن يخدموا هذه الاوطان وهم بمعزل عنها فتل هؤلاء هم فيما أرى أشد حُباً لها لأنهم سواء قربوا منها أم بعدوا عنها يحبون بنفحاتها ويتعشون بمجاهداتها في سبيل الخير وبما لها من الآمال في الوصول اليه • جرحهم في صميم أقدتهم ما من أمهم من القروح وان كان يبدو من حال الامة عدم شعورها بألمها كأن في مرور الزمن عليها والاعتماد على احتمالها من قوة التأثير ما يكفي لاندمالها جميعاً • مثل هؤلاء المتطوعين بالاغتراب والفي يلومون الناس وحوادث الدهر ولكن اذا حاول مجادل امامهم أن ينقص من كرامة فرانسا ويحط من شأنها استشاطوا غضباً وتبيخ الدم في عروقهم • ذلك أن هذه القطعة من الارض التي تنازلوا عن سكناها مختارين قد تغافل عنها في أحشائهم وأخذت بمجامع قلوبهم فتراهم يبذلون الوطن نفسه في اعزاز شأن المعنى الذي قام في أذهانهم منه ويفضلون الحكم على أنفسهم بالبعد عنه على رؤيتهم اياه مهيناً ذليلاً •

كأني بسائل يقول : لماذا اتخذت هذه العادة وهي تقييد أفكارك ومذكراتك كل يوم بحسب المصادقة والاتفاق فأجيبه ان هذا مطوي ايام معيشتي في السجن أنشره للناس لأنني لما لم يكن لي فيه أنيس أطارحه الحديث كنت اكتب كأني أراسل نفسي . اه
الشذرة الثانية.

(تعليم المسميات قبل الاسماء)

لم تخاف طريقها في تربية « أميل » أملا من آمالي فلتبق على ما هي بسيله من تهذيبه وثقيفه بما تقدمه له من الأتي وبما توجهه الى نفسه . من الثقة بها . على أننا من عهد أن انعم الله علينا باللقاء رأينا من المفيد أن نقسم العمل بيتنا لان التعليم — ان لم اكن غالياً في حكمي — هو من وظائف الوالد غالباً واما التربية فانها من أعمال الوالدة وان أردت ان تعلم اين نحن من قيام كل منا بعمله فاقول :

لما يدرس « أميل » شيئاً درساً منتظماً فهو انما لقف دروسه الاولى في علم التاريخ الطبيعي متفرقة على نحو من الاتفاق وذلك بمعاينة ما كان يجده كل يوم على شاطئ البحر من أنواع المحار والصدف . ثم انني أمكنه من النظر بالمنظار المعظم (الميكروسكوب) وهو آلة شائعة الاستعمال جداً عندنا محركاً أجزاءه بنفسه فيكبره بعض عجائب المخلوقات غير المتناهية في الصغر واريه بالمرقب (التليسكوب) وهو آلة أرصدها النجوم ليلا عجائب المخلوقات غير المتناهية في الكبر . وقد ملأنا انا من الزجاج بالماء المالح ووضعنا فيه حيوانات هلامية وحيوانات قشرية وأسمها كما وكنا نجد ماء كل ثمانية ايام ومنه نلقى « أميل » كل ما عرفه فيما أرى من علم حياة الحيوانات التي تعيش في جوف البحر . وفي بعض الاحيان أكرر بمشهد منه بعض تجارب سهلة جداً في الكيمياء والطبيعة وهو على جهله باسمي هذين العامين يدرك بعض الادراك تأثير بعض الاجسام الفطرية في بعض . ورأني يوماً أضع مقاييس للحرارة والهواء ومع كونها لم تكن من الاتقان في شيء بدالي منه انه ادرك استعمالها في الجملة لأنني رأيتهم يريد محادثتها . جميع ما تقدم هو كتب تعليمنا حتى الآن

لا بد ان أكون انا و « أميل » تابعين في التعليم لمذهب ارسطاليس لان اغاب درسنا يحصل في وقت التزه فاني أدع لامور الكون وحوادثه تأتية ذهنه غير متعرض لها بسرح ولا تفسير لان يكون اجبة عما يوجه الي من الاسئلة مجتهداً في أن يكون « تسرح وفتحاً وابين وافيّاً » وقد عرفت من محاورته ان الوسيلة الى اصغائه الي هي

تتبع سلسلة افكاره عند محادثته وان كثيراً ممن يأخذون على أنفسهم تعليم الاطفال ليبالغون لهم في البيان ويفرطون في الشرح كما لو كانوا في حاجة الى ان يثبتوا بذلك لانفسهم انهم على معارف واسعة وعلوم جمة . انا لا اعلم « اميل » شيئاً بل اني اتعلم معه فموضاً عن كوني أعلمه طريقتي في النظر أجهل في معرفة طريقته وتميزها وما لا يميل الى معرفته بحال أجهله مثله أو أتجاهله . نعم ان هذه الطريقة ليس من شأنها ان تعلي قدر الاستاذ في نظر تلميذه وانه لا بد في اتباعها من تنزه العقل عن الغرض وتنازله عن بعض شهواته ولكن ما هو متبع الآن من نقش صيغ العلوم وقوانينها وقضاياها في أذهان الاطفال ليس هو لا كرقم الالفاظ على الرمل

ملكة البحث عند الطفل هي كغيرها من الملكات تنمو بالاعتیاد والمراس فان الشوق الى معرفة الاشياء يتولد في الانسان ولا يولد معه وانما يكتسب ذوق الملاحظة الاستقلالية بالملاحظة نفسها . ان لي أن اعين تبه « اميل » والتفاته بأن أريه ما لا يراه في الاشياء لاول نظره اليها غير انه في هذه الحالة يجب ان يكون هو مصدر الميل الى ذلك أيضاً وان يكون صدور هذا الميل منه فطرياً . ثم ان الاطفال في الجملة مدفوعون جداً بسائق الطبع الى الاكثار من السؤال فرأني أن التمجيل لهم بالجواب قبل السؤال وتجاوز حدود ما يطلبون معرفته مما تخجبه نار هذا الاستعداد المبارك لان ذلك يفضي بكثير منهم الى التزام السكوت ليكفوا أنفسهم مؤنة سامة الدرس وطوله . اهـ

﴿ قوانين التعليم الرسمي والجمعية العمومية ﴾

« البند الثانية »

تقدم في الجزء الماضي ما يخص ما دار بين مفتي الديار المصرية وناظر المعارف من المناقشة والمراجعة في اقتراح عرض قوانين التعليم في مدارس الحكومة على مجلس شورى القوانين كسائر قوانين الحكومة ونذكر في هذا الجزء ما دار في الجمعية بين الناظر والشيخ علي يوسف في ذلك مع بيان رأينا فيه ثم نتقد القانون فنقول (الشيخ علي) : « الضمانات » (١) التي ذكرها سعادة ناظر المعارف اما هي كافية في التغييرات الادارية كتحديد اوقات الدروس وحصص المدرسين وأما القواعد

(١) رأى القراء في البند الأول أننا كنا نضع كلمة « الضمانة » و « الضمانات »

بين علامات مميزة كما هنا اشارة الى معناها الذي يخلف ما استعمات فيه وهو المرض فكان ناظر المعارف يقول ان اقوانين التعليم في نظارته خمسة أمراض ونحن نقول انها أكثر

الكلية المتعاقبة بالعلوم من حيث ترتيبها في التعليم واللغة التي تعلم بها فربما لا يصح تغيير قوانينها في أقل من عشرين سنة مثلاً لذلك يجب الضمان • والتعليم باللغة الأجنبية معناه نقل أشخاص إلى العلم وأما التعليم باللغة الأمّة فهو نقل العلم إلى الأمّة فيسهل على الطالب معه أن ينفع بيته بعلمه وبما يحى به من كتب التعليم • وقد نشأ عن التعليم باللغة الأجنبية قلة التأليف بالعربية وعدم وجود الأساتذة الأكفاء في المدارس الحرة ولم تق من ذلك « ضمانات » ناظر المعارف • فالقوانين العمومية يجب عرضها على مجلس شورى القوانين إذ لا يكفي فيها نظر الحكومة وحدها

(الناظر) ان الطرق المتبعة في التعليم ما وضعت الا بعد تجارب شتى بمعنى ان هذا العلم الذي تبن ان تعليمه بالعربية أنفع يكون تعليمه بها والعكس بالعكس إذ المدار في ذلك على الكتب والمدرسين والاقرب للترقي • وما يئته من « الضمانات » وغيرها يتضح ان وضع « البروجرامات » يتبع فيه أحسن الطرق وأفضلها اه كما كتب (الشيخ) ذلك يراد به الاسهل في التعليم والذي يزيد هو نفع الأمّة وقد كان منذ عشر سنين تؤلف كتب في الطب والطبيعة وغيرها من العلوم فيأتي بها التلميذ فيستفيد منها أبوه وأهله ولا شيء من ذلك الآن لأن التعليم والتأليف باللغة الأجنبية فيجب أن يكون التعليم الوسط بلغة البلاد ويصح أن يكون في المدارس العالية باللغة الأجنبية

(الناظر) يترتب على هذا جعل التعليم ناقصاً • وانتشار العلم في البيوت لا يكون بوجود الكتب في أيدي أفرادها إذ لا يفهم الكتاب الا من كانت عنده مبادي العلوم وعند ما رأى أعضاء الجمعية ان الناظر يعيد كلامه ويحتج « بضماناته » كلما ايجت الجمعية بوجوب اطلاع مجلس الشورى على قوانين التعليم قال حسن بك مذكور ان أحسن ضمان هو ارسال قوانين التعليم لمجلس الشورى وأمر الرئيس بأخذ الآراء « فنقرر بأغلب الآراء » طلب ذلك من الحكومة • ولا أدري هل كان في المخالفين أحد غير ناظر المعارف ؟ ان كان قلعه من بعض الموظفين الذين يرون موافقة الناظر تأييداً لحزب الحكومة وان كانت المصاحبة واحدة والشورى من الحكومة أما الجواب الأول للناظر فقد أحسن الشيخ علي في نقضه بقدر ما يسمح له المجلس الرسمي وزيده ايضاحاً بأن هذا التعليم الذي وصفه الناظر بأنه أنفع وأحسن وأفضل قد خالفت النظارة فيه ما اتفقت عليه الأمم الأوربية كلها وفي مقدمتهم الانكليز • ذلت أن التعليم الابتدائي في أوربا لا يكون الا باللغة البلاد لأن حياة الامّة بلغتها

وتعلم لغة أخرى لاجل المزيد في العلم كتعلم الانكليزية لغة الألمان هو من الكماليات التي يجب أن تكون بعد الضروريات . فهل وصل نظار مدارس معارفنا ومفتشوها — ان كان قانون التعليم برأيهم — الى ما لم يصل اليه فلاسفة اوربا وأساتذتها في علم التربية والتعليم ؟؟

فان قال الناظر اذا ثبت ان تعلم الطبيعيات مثلاً أسهل باللغة الانكليزية منه باللغة العربية فكيف نتكبد الطريق السهل ونسير في الحزون الوعرة ؟ تقول له بعد التسليم : وهل تعدل عن الانكليزية الى التركية او اليابانية اذا ثبت عندك ان التعليم بها أسهل والتحصيل أقرب ؟ وانما قلنا أسهل وأقرب ولم نقل « أسفع » كما قال الناظر لأن الاتقعية لاشبهة عليها الا اذا فسرت بالسهولة وقرب التحصيل اذ لا يمكن ان يقول طائل اني أسعى بمحو لغة أمي واستبدال لغة أخرى بها لمنفعة من المنافع وأي نفع في الدنيا يوازي ضرر اهمال لغة الأمة التي هي من أقوى مقوماتها أو هي اقواها في نظر الاكثرين

وأما الجواب الثاني من أجوبة الناظر فأمثل ناقض له ما فعلته الجمعية من ترك المناقشة بالمكابرة والاصرار على ان الضمان على التعليم لا يكون للأمة الا بعرض قوانينه على مجلس الشورى والحزم بطاب ذلك من الحكومة . وماذا عسى أن يقال لمن يقول ان التعليم الابتدائي باللغة الأمة يكون ناقصاً وجميع الأمم الحية عليه كأن الكمال لم يوجد الا في معارف مصر التي لا أثر لمعارفها يذكر بالنسبة الى سائر الأمم . وماذا عسى أن يقال لمن يدعي أن انتشار الكتب العلمية في الأمة لا تأثير له في منفعة البيوت وترقي أفرادها ؟ أليس يحدث التلامذة في بيوتهم ومذاكراتهم في المسائل العلمية بلغتهم مما يجعل الاصطلاحات العلمية مألوقة في البيوت لكثرة طروقها للمسامع ؟ أليس الآباء والأمهات الذين تلقوا شيئاً من مبادئ العلوم وقضت عليهم شؤون المعيشة بعدم اتمام تعليمهم يتفجعون بالكتب المؤلفة اذا كانت بلغتهم ؟ بلى وانما نعود الى الكلام في قانون التعليم فنقول : ان في هذا القانون (البروجرام) عيوباً وتقصيراً نسردها ما يظهر لنا منها بالاختصار على ترتيب القانون وهو

(١) كون القرآن لا يدرس الا في السنتين الأولى والثانية وكون الذي يقرأ منه جزأين فقط . والأمة ترغب في اقراء أولادها القرآن كله لما في قراءته من تقويم اللسان وتعويده على الفصاحة في النطق والاستعانة على الكتابة والخطابة ولكونه أصل لدين والوسيلة العظمى لكمال من يفهمه . ولم تغن « الضمانات الخمس » عن

هذا النقص شيئاً »

(٢) كون تعليم الدين والتهذيب في أثناء سنتين فقط مع أنه يجب أن يكون ذلك موزعاً على جميع السنين لأن الدين والتهذيب هما المقصود الأهم من التعليم ومن لم يتمكن منهما يكون خاسراً في حياته وإن تعلم جميع الفنون الأخرى . ولم تغن الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٣) كون الوقت المخصص لتعليم الدين والتهذيب معاً ساعة واحدة في الاسبوع مع ان اللغة الاجنبية التي تعلم من السنة الاولى الابتدائية الى آخر يوم من أيام التعليم العالي لها سبع ساعات في الاسبوع من السنتين الاوليين ، فالساعات المقررة في القانون لتعليم علوم الدين وعلم التهذيب ٣٦ ساعة في السنة و٧٢ ساعة في مدة الدراسة كلها وتقتال منها أيام الاعياد والمواسم ما تقتال . فالمدة نحو ثلاثة أيام وهي لا تكفي لتعليم الاكل . فهل تكفي ببركة » الضمانات الخمس » لمعرفة الله وما اوجبه على عباده من أصول الايمان وتتقيف الاخلاق وكيفية العبادات مع التهذيب المدني الدنيوي الذي نوه به ذلك القانون . هذا اكبر عيب ونقص في نظام المعارف ولم تغن » الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٤) كون علم الدين لا شأن له في درجات ترقى انتلامذة في الامتحان المعبر عنها بالنمر . فلو فرضنا ان تلميذاً بلغ في فهم الدين ومعرفة احكامه مبلغ الأئمة وكان مساوياً لآخر في سائر العلوم فان هذه المعرفة لا ترفعه عنه درجة واحدة فان زاد ذلك الآخر درجة واحدة في الخط الافرنجي مثلاً فانه يرتفع بذلك ويتقدم على ذلك الامام الديني الجليل . ومن لاحظ ان انتلامذة لا يجتهدون الا لأجل السبق في الامتحان وعلم ان الدين لا مجال فيه للسبق لأنه لا درجة له علم ان النظارة متعمدة اهل الدين أو جاهلة منزلته ومكانته وهذا نقص فاحش في قانون التعليم ولم تغن » الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٥) كون المسائل التي يتبدأ بها في تعليم الدين تعلو على عقول المبتدئين وهي كما في الصفحة ١٢ من القانون » احتياج الانسان الى الدين — بيان الفوائد المترتبة على التمسك به — بيان أنه ليس قاصراً على انواع العبادات بل هو مشتمل على ما يلزم الانسان من المعاملات وغيرها ويرشده الى طريق المجد والشرف في الدنيا والآخرة — أول ما اوجبه الدين — ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز — انكسار في رسال رسول — ما يجب في حقهم عليهم الصلاة والسلام وما يستحيل وما يجوز —

نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه »

ولاشك ان هذه المسائل يتوقف فهمها على معرفة الاحكام العقلية والالمام بعلم الاجتماع فابتداء التعليم بها نقص . واذا فرضنا ان تلامذة السنة الثالثة الذين لم يكونوا تعلموا من الدين شيئاً مستعدون لفهم مقدمات هذه المسائل ثم لفهمها ثم فرضنا أنهم يعلمون المقدمات فعلا فهل يقدر المعلمون على تعاليم ذلك كله مع علم التهذيب في ست وثلاثين ساعة وهو الوقت المعين لدرس هذه الاشياء كما تقدم ؟ اللهم ان هذا مالا يستطيع أن يتصوره عاقل وانه لنقص فاحش وخلل فاضح في قانون تعاليم المعارف ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٦) كون هذه المسائل غير محيطة بالعقائد الدينية فهناك مسائل أخرى نجب معرفتها وليس بعد هذه السنة تعليم للعقائد وهذا نقص ضار متقد ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً آخر

(٧) كون الكتاب الذي تعلم به هذه العقائد وما معها ليس مؤلفاً على الوجه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قانون التعاليم قبل تلك المسائل التي ذكرناها ثم ان أثر تلك الغاية لم يظهر في تلامذة مدرسة من المدارس كلهم أوجاههم فقول ان المدار على المعلمين في الوصول اليها وهذا اهمال عظيم ونقص محسوس ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٨) كون قسم الاخلاق الدينية لا وجود له في تعليم مدارس الحكومة وهذا نقص عظيم ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٩) كون علم الحلال والحرام مهمل لا وجود له في التعليم الديني وهذا نقص قبيح والغاية من تعليم الدين لا تتم الا به ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(١٠) كون مسائل العبادات التي تدرس في السنة الرابعة غير كافية وغير مؤدية الى الغاية المطلوبة وكون الوقت المخصص لتعلم العبادة غير كاف وهذه أنواع من النقص والتحلل جعلناها واحدة لأنه تقدم في قسم العقائد نظيرها . ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً . وقد طال الكلام في انتقاد تعليم القسم الديني ومن بين لنا خطأ في شيء منه فالتنازج عنه لان قصدنا الاصلاح لا اظهار العيوب . وسنتكلم عن النقص في سائر الاقسام فيما يأتي ان شاء الله تعالى

أشار على البرسي

﴿ شهادة مفتي الديار المصرية لكتاب اسرار البلاغة ﴾

طلبنا من مولانا الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية أن يكتب لنا رأيه في كتاب أسرار البلاغة الذي طبعناه بارشاده فكتب حفظه الله ما يأتي :

اطاعت على كتاب أسرار البلاغة من تأليف الامام الجليل الشيخ عبد القاهر الجرجاني وسعيت في طبعه وقرأته درساً في الجامع الازهر . وقد وضعه مؤلفه في علم البيان والاستعارة والمجاز وسلك المسلك الذي يوافق العقل البشري سلوكه في تصوير المعاني وتشخيصها على وجه تتأثر منه العقول بالآثر المطلوب من ابرازها لها . ولم ار كتاباً في هذا الفن لا يقلم متأخر ولا يقلم متقدم يقرب من هذا الكتاب في حسن الاسلوب وحياء المعنى ورواقه . ولقد كان كنزاً مخفياً لاتصل اليه يد الباحث حتى يسر الله لنا نسخة بمث بها اليها أحد أهل العلم من طرابلس الشام وكان فيها نقص ونحريف فأرسلت أحد طلبة العلم الى الاستاذة العلية ليقابها على نسخة هناك ثم كمل تصحيحها أثناء التدريس فكان ظهور هذا الكتاب من نعم الله على المشتغلين بهذا الفن الجليل . وهو جدير بأن ينتفع به الاستاذ ويقتطف منه التلميذ وتزين به كل مكتبة في مشارق الارض ومغاربها

مفتي الديار المصرية

محمد عبده

﴿ دلائل الاعجاز ﴾

يعلم قراء المنار ان الامام عبد القاهر الجرجاني قد أسس علمي البلاغة بكتابه المشهورين (أسرار البلاغة) الذي طبعناه وهو في فن البيان و (دلائل الاعجاز) الذي نطبعه وهو في فن المعاني . وانما ساهم دلائل الاعجاز لأنه لا طريق الى معرفة كون القرآن الآن معجزاً ببلاغته (كما انه معجز بهديته) الا بالقوانين التي وضعها في هذا الكتاب . وقد كتب رحمه الله تعالى مقالة أورسالة سهاها (المدخل في دلائل الاعجاز) وجعلها مقدمة له مينة لمنزله . ودالة على مكانته ، ومصرحة بأنه هو الواضع للفن . وهي على اختصارها قد أشارت الى أصول قواعد النحو وقال بعد ذلك ان جميع

كلام العرب كان موافقاً لهذه القواعد فإذا قال معترض ما هذا الذي امتاز به القرآن حتى كان معجزاً؟ نقول ان الجواب عن هذا السؤال هو كتاب دلائل الإعجاز لا جواب غيره . واني اذكر خاتمة كلامه في المدخل بنصه وقصيدة ختم بها وهو

«وإذا كان ذلك كذلك فما جوابنا لخصم يقول لنا : اذا كانت هذه الامور وهذه الوجوه من التعلق التي هي محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحة وكما ينبغي في منشور كلام العرب ومنظومه وزايناهم قد استعملوها وتصرفوا فيها واكلوا بمعرفتها وكانت حقائق لا تبدل ولا يختلف بها الحال اذ لا يكون للاسم بكونه خبراً مبتدأ أو صفة لموصوف أو حالاً لذي حال أو فاعلاً أو مفعولاً لفعل في كلام حقيقة هي خلاف حقيقته في كلام آخر . فما هذا الذي تجدد بالقرآن من عظيم المزية وباهر الفضل والعجيب من الرصف حتى أعجز الخلق قاطبة وحتى قهر من الباطل والفصحاء القوي والقدر ، وقيد الحواطر والفكر ، حتى خرس الشقاشق . (١) وعدم نطق الناطق ، وحتى لم يجز لسان ، ولم يُبين بيان ، ولم يساعد امكان ، ولم ينقذح لأحد منهم زنده ، ولم يمض له حد ، وحتى أسال الوادي عليهم عجرا ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاء ؟ أيلزما أن نحيب هذا الخصم عن سؤاله ، وزده عن ضلاله ، وأن نطب لدائه ، ونزبل الفساد عن رائه ؟ ، (٢) فان كان ذلك يلزما فينبغي لكل ذي دين وعقل ان ينظر في الكتاب الذي وضعناه ، (٣) ويستقصي التأمل لما أودعناه ، فان علم انه الطريق الى البيان ، والكشف عن الحجة والبرهان ، تبع الحق وأخذ به وأن رأى أن له طريقاً غيره أو مائلاً اليه ، ودائماً عليه ، وهيئات ذلك ، وهذه آيات في مثل ذلك ، اني أقول مقالاً لست أخفيه ولست أرهب خصماً ان بدا فيه مامن سبيل الى اثبات معجزة في النظم الا بما أصبحت أبدية (٤)

(١) الشقائق ج شقشقة بكسر الشين وهي لهة البعير أو شيء كالرثة يخرج به البعير من فيه اذا هاج . ويقال للفصيح : هدرت شقاشقه . يريدون الانطلاق في القول وقوة البيان ويقال في مقابل ذاك . خرس الشقائق (٢) الراء هنا بمعنى الرأي كما قال ابن نباتة السعدي

يا أيها الملك الذي أخلاقه من خلقه ورواؤه من رائه

(٣) يريد كتاب (دلائل الإعجاز) وهو صريح في كونه هو الواضع اعلم المعاني

(٤) يريد نظم القرآن وأسلوبه وفي هذا البيت تصريح أيضاً بأنه هو الواضع للفن

فالنظم كلام أنت ناظمه
اسم يرى وهو أصل للكلام فما
وآخر هو يعطيك الزيادة في
تفسير ذلك ان الأصل مبتدأ
وفاعل مسند فعل تقدمه
هذان أصلان لا تأتيك فائدة
وما يزيدك من بعد التمام فما
هذي قوانين يكفي من تتبعها
فلست تأتي الى باب لتعلمه
هذا كذاك وان كان الذين ترى
ثم الذي هو قصدي ان يقال لهم
تقول من أين أن لا نظم يشبهه
وقد علمنا بأن النظم ليس سوى
لو نقب الارض باغ غير ذاك له
ما عاد الا بخسر في طلبه
ونحن ما إن بثنا الفكر ننظر في
كانت حقائق يافى العلم مشتركا
فليس معرفة من دون معرفة
ترى نصرفهم في الكل مطردا
فما الذي زاد في هذا الذي عرفوا
قولوا والا فاصغوا لايان روا

معنى سوى حكم اعراب تزجيه (١)
تم من دونه قصد لمنشيه
ما أنت تثبه أو أنت تنفيه
تلقى له خيرا من بعد تثبه
اليه يكسبه وصفاً ويعطيه (٢)
من منطق لم يكونا من مبانيه
سلطت فعلا عليه في تعديه
ما يشبه البحر فيضاً من نواحيه
الا انصرفت بعجز عن قصبه (٣)
يرون ان المدى داني لباغيه (٤)
بما يجيب الفتى خصما يجاريه
وليس من منطق في ذاك يحكيه
حكم من النحو نمضي في توخيه (٥)
معنى وصعد يعلو في ترقيه (٦)
ولا رأى غير غي في تبغيه (٧)
أحكامه وزوي في معانيه
بها وكلاً تراه نافذاً فيه
في كل ما أنت من باب تسميه
يجرونه باقتدار في مجاريه
حتى غدا العجز بهمي سيل واديه
كالصبح مناجاً في عين رائيه

(١) تزجيه بالتشديد تدفعه برفق وتسوقه ومثله التخفيف (٢) يكسبه من الثلاثي
ومنه الحديث « تكسب العدوم » (٣) التقصي التبع (٤) باغيه طالبه (٥) توخي
الشيء تحريه وتعهد طلبه (٦) صعد بالتشديد رقي كالثلاثي وهو هنا مقابل التقيب في الارض
الذي فيه معنى التسفل • ويقال صوب النظر وصعده اذا نظر في أسفل الشيء
واعلاه • وعدى نقب بنفسه حاذقاً الخافض ولعله كان يراه قياساً والمسعود تعديه بني
« فقبوا في البلاد » (٧) تبغاه كابتغاه طالبه

وقد كان هذا الكتاب كالذي قبله كنزاً مخفياً فظفر الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية بنسخة منه وكان عند الأستاذ العلامة اللغوي الشيخ محمد محمود الشنقيطي نسخة أخرى وكلاهما كان محرفاً ومبدلاً فلم الأستاذ الامام ان في المدينة المنورة نسخة منه وفي بغداد أخرى فعمل على استنساخهما وصحح الكتاب هو والأستاذ الشنقيطي بمقابلة النسخ الأربع فكان الكتاب الوحيد الذي اجتمع على تصحيحه أعلم علماء العصر في المعقول والمنقول

هذا وان هذا الكتاب أكبر من أسرار البلاغة حجماً ، وأغزر علماً ، فهو يزيد عليه بنحو عشر ملازم وقد شرعنا بطبعه على ورق جيد وجعلنا قيمة الاشتراك فيه مع ذلك كقيمة الاشتراك في أسرار البلاغة رفقا بمجاوري الأزهر الذين سيكونون أكثر الناس اشتراكا فيه لأن الأستاذ الامام سيقراء درساً في الأزهر الشريف . وستكون قيمته بعد تمام الطبع عشرين قرشاً أميرياً فمن أراد الاشتراك فليدفع إلينا القيمة ويأخذ بها وصلاً بامضائنا

بإسعاد الأئمة

الاحتفال بتذكار محمد علي باشا

في يوم الأربعاء الماضي تم لتأسيس محمد علي باشا هذه الامارة في مصر مائة عام هجري فاحتفل ديوان الاوقاف بذلك في جامع القلعة وكذلك احتفلت به مشيخة الأزهر في الجامع الأزهر ومن بدع الزمان وغرائب الأيام أن يحتفل في بيوت الله تعالى بذكر الأمراء والسلطين والظلمة من الحاكين وهي البيوت التي اذن الله ان ترفع عن الحظوظ الدنيوية ويذكر فيها اسمه وحده تقرباً اليه وابتغاء مرضاته لا لذكر أمير ميت ولا لمرضاة أمير حي . فلماذا تنفق اوقاف المسلمين على احياء البدعة ومخالفة السنة ولماذا لا تكون أمثال هذه الاحتفالات في قصور المتعدين كعابدين ورأس التين ؟ فمحمد علي لم يؤسس دياراً ولم يكن امام مذهب في دين وانما أسس ملكاً عضوضاً بسفك الدماء والقوة والجبروت — هذا هو محمد علي في نظر الدين والحكمة في الاحتفال بذكره والإشادة بحمده في بيوت الله تعالى دون بيوت الحكومة يعرفها جميع الناس

أما محمد علي في نظر التاريخ فهو من الرجال العاملين الذين يحفظ التاريخ ذكرهم لان التاريخ سياسي أكثر مما هو ديني أو علمي وقد جرت العادة ان يخلق الناس للامراء بمدحهم ومدح سلفهم وجعل سيئاتهم حسنات فالتك ترى العالم الديني الذي يحكم بكفر من يحكم بالقانون وظلمه وفسقه يقدر من وضع القانون باسمه وحكم فيه بأمره فمدح الامراء والسلاطين وأصحاب الجاه أكثره كذب والمادح محل التهمة والمنتقد لهؤلاء أقرب الى العدل والانصاف وان احتمل ان يكون له هوى في بعض الاحوال واننا نقول في تاريخ محمد علي كلمة عادلة نرجو ان يتلقاها كل عاقل بالقبول وهي اذا ذكر الرجل باعماله فله محمد علي ثلاثة أعمال كبيرة وهي (١) تأسيس حكومة في بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الاجانب فيها واحتلالهم اياها . و (٢) محاربة الدولة العثمانية واطهار ضعفها للبرية . و (٣) محاربة الوهابية وخضد شوكتهم وابطال امتداد دعوتهم . وكل عمل من هذه الاعمال محل نظر فمن الناس من يعده له ومنهم من يعده عليه وهم الا كثرون أو المحققون

أما الاول فالكثيرون لاعماله يتوسعون فيه ماشاءوا لأن المجال واسع أمامهم فيذكرون ازالة دولة المماليك الظلمة الغاشمة وهو عمل جليل ولكنهم يستدلون بذلك على ان دولته كانت عادلة وهذا غير صحيح فان حكومته كانت ظالمة منذ أسست الى ان تولى الاوربيون السيطرة عاها فكان الظلم يقل كلما كثروا والبغي يضاف كلما قوى نفوذهم ولكن الحسن في ازالة دولة المماليك من وجهين احدهما ان الظلم كان مشوشاً وحكومة محمد علي وابناؤه نظمته وكان متفرقا فوحده وكان غير محصور فخصرته وتأنسهما ان نتيجة هذا الظلم وهذه الوحدة هي تمهيد السيل لدخول مدينة اوربا في مصر والاعمال انما تدرج وتذم بذاتها وغاياتها والعاملون انما يمدحون بحسن القصد والنية وبتقان العمل فاما محمد علي فقد اتقن عمله ولكن قصده لا يحمده في نظر الدين ولا في نظر الفضيلة وانما يحمده في نظر متاع الحياة الدنيا وزينتها لأن سيرته الملاحظة بالدماء المحترمة تدل على انه لم يكن يقصد غير الملك وعظمته له ولذريته من بعده . وأما نتيجة عمله فهي كما قلنا دخول الأوربيين هذه البلاد ونشر مدينتهم فيها وإلقاء سيظرتهم عاها بـ"احتلال الانكليزي" فمن يرى ان هذا خير وسيلة لتجاح البلاد وسعادتها فعليه أن يحمده عمل محمد علي وأن يتهمه بما ظلموا في الاموال والاعراض لأن الاصلاح الكبير ،

لا يأتي الا ببذل الثمن الكثير ، ومن يقول ، ان مدينة أوروبا شر على البلاد ، وان
الاصلاح الانكليزي بلاء عليها ووبال ، فايحكم على عمل محمد علي وذريته بالافساد
وليحفظ له سوء الذكرا الى يوم التناد ،

وأما العمل الثاني وهو الخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها واظهار
ضعفها فلو سألت عنه أي مسلم في أي قطر لأجابه بأنه كان أضر عمل عمله انسان
على الاسلام والمسلمين لأنه في ذاته خروج ولي على موليه وساطانه وتلك اكبر
الحيانات ، وأفبح الجنايات ، في الشرائع الالهية ، وفي القوانين البشرية . وفي نتيجته
إضعاف وقهر لأقوى دولة اسلامية . في عصر قويت فيه الدول الأجنبية . فضعف
بذلك الاسلام ، ولم تقم لأهله قائمة بعد ذلك الى الآن ، ولكنك لا تعدم ثلاثة نفر او
ثلاثين من الثلاثمائة المليون المسلمين يتذرع عن عمله أو يعده فضيلة ومحمدة . فاشد
هؤلاء المدافعين أقفا في الرأي وصغاراً في النفس من يقول ان الدولة العلية لم تكن
مرتاحة لاستقلاله ، فكانت تدس الدسائس لزلزله ، أي انه انتقم لنفسه من دولته ،
وحاربها لتمكين سلطته ، ومن الناس من يقول ان تلك الحرب كانت بمواطاة بين
محمد علي ورجال الدولة العلية في الاستانة وأنهم هم الذين مكّنوا له في أرض مصر
ليخرج على الدولة وانه كان غرضهم الأخذ على يد الساطان محمود وتخفيف ساطته
الاستبدادية ومنعه من سفك الدماء . وعزل العمال والوزراء ، بمجرد الهوى

وأما العمل الثالث وهو محاربة الوهابية فأكثر العامة أو كلهم يعتقدون انه كان
خدمة للاسلام ، كفرت عن محمد علي جميع الذنوب والآثام ، أما الخواص فانهم
يعلمون ان الوهابية كانوا قائمين باصلاح اسلامي لو تم امداد الاسلام بمجده الأول وأن
الذين وسوسوا لمحمد علي بمحاربتهم هم الأوربيون الذين ينظرون الى غايات الأمور
وعواقبها كما هو مصرح به في بعض تواريتهم . وأما ما شاع في بلاد الشام والحجاز
من ان الوهابية خارجون عن السنة وما يحقون باهل البدعة فسيبه بعض المصنفات
التي لفقها العلماء الرسميون المصانعون للحكام وهي مملوءة بالكاذيب وانما مذهب القوم
مذهب السلف في العقائد ومذهب الامام أحمد في الفروع ولهم تشديد عظيم على مخالف السنة .
هذا هو اعتقاد الخواص وهم يقولون ان هذا العمل الثالث هو اكبر سيئات محمد علي
وانه به وبما سبقه كان اكبر بلاء على الاسلام والمسلمين في القرن الماضي

﴿ مكتوب عالم هندي من أركان النهضة الاسلامية ﴾

كتبه النا العلامة العامل . والسري الكامل . محسن الملك بهادر سسد

مهدي علي خان ناظم مدرسة العلوم (في علي كده) وكان انقطع المنار عنه لأن جزءاً رَدَّ إلينا مما أرسل إليه خطأً في عنوانه فَيُوهَمُنا أنَّه هو الذي رَدَّه فنحنه فكتب إلينا يقول بعد رسوم المحاطبة ما نصه :

« كانت ترد علينا في الاعوام الحالية مجلتكم الغراء وكنا نقرأها بشنف وفرحة لا مزيد عليهما ونستفيد من مقالاتها الضافية العلمية الدينية الاسلامية في الرد على المنكرات والبدع والتعاليم الفاسدة التي انتشرت بين المسلمين انتشاراً عاماً . ويسرنا ملاح لنا من تألف الاذواق وتوارد الخواطر يتناوب بينكم فاننا أيضاً تد بذلتا جهدنا منذ عشرين عاماً في ايقاظ المسلمين من نوم الغفلة التي غرقوا فيها حتى أضاعوا كل ما كان في أيديهم من العلوم والفنون والحكم والصنائع واتخذوا دينهم هزواً ولعباً فأصبحوا كأنهم قوم لا يعقلون . فأخذنا ندعوهم الى الانتباه من مناهم الذي سبب اثماتهم لأجل تأخرهم عن الأقوام الذين كانوا شركاءهم في الوطنية بالمقالات المشهورة في الجرائد والمجلات ، والمحطات والتصنيفات والتأليفات ، لتنبيههم واستنهاض هممهم على الأعمال النافعة كتحصيل العلم حسب مقتضيات الزمان وتعلم اللغة الانكليزية (في الاصل اللسان) التي هي لغة حكامنا العاديين مع الاقبال على تحصيل العلوم الجديدة الغربية ، والنظر في شؤون حياتهم الاجتماعية ، وأبهرهم الدينية : والالفات الى اصلاحهم من كل الوجوه .

« ولكتنا تقول بأسف زائد ان جميع مؤلفاتنا ومصنفاتنا ورشحات أقلامنا كلها في لغتنا الأوردية ، (وفي الاصل لساننا) التي لا تكاد تفهم في البلاد الاجنبية ، والا كان بودي أن نرسل اليكم بعض مؤلفاتنا . أما الآن فالمرجو من حضرتكم أن تفضلوا وتواصلوا بارسال مجلتكم الغراء ولا تقطعوا عنا ارسالها

« وتثني ثناء جميلاً على غيرتكم الدينية وشغفكم بالاجتهاد في اصلاح حال المسلمين وارجاع مجدهم وحثهم على أسباب التقدم الملية والقومية . وقد سرني ما شاهدت في مجلتكم من المقالات البديعة البالغة حد الاعجاز المطابقة لذوقي تماماً وكلاماً . فهذا تعرفون ما يناسب ذوقي من الكتب لأن ما وجدتم انه تلاذكم مطالعته فلا بد من انه يلذني أيضاً . فالرجاء أن ترسلوا إلينا من أمثال تلك الكتب منها مصنفات حضرتكم ومصنفات حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبده المعري صاحب رسالة التوحيد وغير ذلك من الكتب النفيسة ، نحق فنشكر لهذا الاستاذ حسن ظنه ونسأل الله ان يوفقنا جميعاً لما يرضاه

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أول الألباب

المسحاة

١٣١٥

الله وأولئك هم أولو الألباب
فينبغون أحسنه أولئك الذين هداهم
فبشر عبادي الذين يستمعون القول

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٠ - ٧ يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٢)

القسم الدينى

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية)

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ

وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ

بعد ما عرف الله تعالى الملائكة بمكانة آدم ووجه جعله خليفة في
الارض أمرهم بالخضوع له وعبر عن ذلك بالسجود فقال « وإذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا » وهو سجد لا تعرف كيفيته ولكن أصول
الدين تعلمنا أنه ليس سجد عبادة إذ لا يعبد إلا الله تعالى وقد جاء في
اللغة استعمال هذا الحرف (السجود) في غير معنى العبادة كقوله تعالى
« والنجم والشجر يسجدان » ولم يكن هذا السجود عاماً واقعاً من كل
من أمر به فقد سجدوا اجمعون « إلا إبليس » وهو فرد من أفراد الملائكة

كما يفهم من الآية وأمثالها في القصة الآية الكهف فانها ناطقة بأنه كان من الجن . وليس عندنا دليل على أن بين الملائكة والجن فصلا جوهريا يميز أحدهما عن الآخر فالظاهر ان الجن صنف من الملائكة (وقد أطلق في القرآن لفظ الجنة على الملائكة في قوله تعالى « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا » وعلى الشياطين في آخر سورة الناس) ووصف الله تعالى إبليس بأنه « أبى » السجود « واستكبر » فلم يمتثل أمر الحق ترفعا عنه وزعما بأنه خير من الخليفة عنصرا وأزكى جوهرا كما حكى الله تعالى عنه في غير هذه السورة « قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » والاستكبار بمعنى التكبر وهو الظهور بصفة الكبرياء التي من آثارها الترفع عن الحق وكأن السين والتاء الاشارة بأن الكبر ليس من طبيعة إبليس . ثم قال تعالى بعد وصفه بالاباء والاستكبار « وكان من الكافرين » وقال بعض المفسرين : كان من حق الترتيب ان يقال كان من الكافرين واستكبر وأبى . لأن الكفر عنده سبب الاستكبار والاستكبار سبب الإباء ومثل هذا المفسر يعلل مخالفة الترتيب الطبيعي في النظم برعاية الفاصلة (قال الاستاذ) ولكن نظم الآية جاء على مقتضى الطبيعة في الذكر فإنه يفيد ان الله تعالى أراد ان يبين القبل أولا لأنه المقصود بالذات وهو الاباء ثم يذكر سببه وعلة وهو الاستكبار ثم يأتي بالأصل في العلة والمعلول والسبب والمسبب وهو الكفر

ثم ان الاستاذ المفسر اعاد هنا ملخص ما تقدم بيانه في وجه اتصال الآيات بما قبلها وكون الكلام في القرآن والرسول الذي جاء به وتسليته بهذه القصة ثم توسع في الكلام عن الملائكة فقال ما مثاله ملخصا : تقدم

ان الملائكة خلق غيبي لا نعرف حقيقته وإنما نؤمن به بإخبار الله تعالى الذي نقف عنده ولا نزيد عليه . وتقدم ان القرآن ناطق بأن الملائكة أصناف لكل صنف وظيفة وعمل . ونقول الآن ان إلهام الخير والوسوسة بالشر مما نطق به الوحي وقد اسندنا الى هذه العوالم الغيبية^(١) وخواطر الخير التي تسمى إلهاماً وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محله الروح فالملائكة والشياطين إذن ارواح تسري في أرواح الناس فلا يصح ان نمثل الملائكة بالتمثيل الجثمانية المعروفة لنا والواجب على المسلم في الآية الإيمان بمضمونها مع التفويض أو الحمل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سيقَّت لها القصة

وذهب بعض المفسرين مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة وهو ان مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات وخلق حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة

(١) النار - إسناد الوسوسة الى الشياطين معروف في الكتاب والسنة وأما اسناد إلهام الحق والخير الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام . ومن حديث الشيخين في المُحدثين وكون عمر منهم والمحدثون الملهمون وحديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو « ان للشيطان لمةً بابن آدم وللملك لمةً فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمةُ الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فايحمد الله على ذلك ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان . ثم قرأ « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعاً الا من حديث ابي الاحوص . والرواية إيعاد في الموضعين كما ان الآية من الثلاثي في الموضعين فما قالوه في التفرقة بين الوعد والإيعاد أغلبي فيما يظهر والافهرو غير صحيح . واللمة بالفتح الإلزام والاصابة .

وهو ان هذا النمو في النبات لم يكن الا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الالهية في ايجاده فانما قوامه بروح الهي سمي في لسان الشرع ملكاً^(١) ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية. والأمر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها وبه قوامها ونظامها لا يمكن لما قل ان ينكره وإن انكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكاً وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة وانكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً لأن هذه الاسماء لم ترد في الشرع فالحقيقة واحدة والمائل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات

يشعر كل من افكر في نفسه ووازن بين خواطره عند ما يهيم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ووجه للباطل أو للشر بأن في نفسه تنازعا كأن

(١) بمناسبة ذكر التسمية أقول ان الإمام العزالي سبق الى بيان هذا المعنى وعبر عنه بالسبب وقال انه سمي ملكاً فانه بعد ما قسم الخواطر الى محمود ومذموم قال : ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اخلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب . هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه بالدخان عامة ان سبب السواد غير سبب الاستنارة . وكذلك لانوار القاب وظلمته سيان محتاجان فسبب الحاطر الداعي الى الخير يسمى ملكاً وسبب الحاطر الداعي الى الشر يسمى شيطاناً واللطف الذي يهيا به القاب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً والذي تهيا به لقبول الشر يسمى إغواء وخذلاناً فان المعاني المختلفة تحتاج الى اسامي مختلفة . اهـ ان شاء الله فليراجع في كتاب شرح عجائب القاب من الاحياء

الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع وواحد يقول افعِلْ وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ويترجح أحد الخاطرين فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسبته قوة وفكراً وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكنته حقيقتها لا يبعد ان يسميه الله تعالى ملكاً (أو يسمى أسبابه ملائكة) أو ما شاء من الاسماء فان التسمية لا حجب فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع؟ فاذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الآية الى ان الله تعالى لما خلق الارض وأودع فيها ما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها وجعل كل صنف من القوى مخصوصاً بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعداً للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الارض وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير وجعله بهذا الاستعداد الذي لا حد له والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في أرضه لأنه أكمل الموجودات في هذه الأرض واستثنى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بإبليس وهي القوة التي تعارض في اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافته فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعداً للوصول اليها

قال الاستاذ: ولو ان نفساً مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعه من ذلك والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما أبصرت من الحق . ونقول ان ترتيب النظم يلتئم معه فان هذه المعاني التي

وردت بصيغة الحكاية وبرزت في صورة التمثيل جاءت عقيب قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً » . وبقي شيء واحد يفهم مما قاله الاستاذ ولا أتذكر انه صرح به ولعله تركه لوضوحه وهو أن كل قوة من قوى هذه الارض وكل ناعوس من نواعيس الطبيعة فيها خلق خاضعاً للانسان وخلق الانسان مستعداً لتسخيره لمنهته الا قوة الاغراء بالشر وناموس الوسوسة بالإغواء الذي يجذب الانسان دائماً الى شر طباع الحيوان ويعيقه عن بلوغ كماله الانساني فالظاهر من الآيات ان الانسان لا يغالِب هذه القوة ويخضعها معها ارتقى وكل وقصارى ما يصل اليه الكاملون الحذر من دسائس الوسوسة والسلامة من بهيمه عاقبتها بأن لا يكون لها سلطان على نفس الكامل تجلبه مسخرات لها وتستعمله بالشرور كما قال تعالى « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » وقال عز وجل « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » ففسأل الله تعالى ان يجعلنا من أهل التقوى والبصيرة وان يعيذنا من من الشيطان الرجيم

﴿ باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

نشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدينتهم وانشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه

﴿ القضاء في الاسلام — النبذة الرابعة ماب القضاء ﴾

(تمهيد) أركان القضاء وأصول الحكم في الاسلام أربعة الكتاب العزيز والسنة المتبعة والاجتهاد في الرأي والمشاورة في الأمر وإنها لأركان عظيمة ، وأصول قوية ، والأساس الذي بنيت عليه هذه الأركان « درء

المفاسد وجلب المصالح والمنافع » ولهذا كان الاجتهاد شرطاً في القاضي لوجوب تطبيق الاحكام على المنفعة في كل زمان ومكان بحسبه . فمن يدعي انه وجد في أمة من الأمم أساس أثبت من هذا الأساس وأركان أقوى من هذه الاركان فليد لنا على ذلك والا فليدعن لنا الناس بأن شريعتنا خير الشرائع وأساس العمران ولا يحتاج علينا بسوء حال قومنا الذين ما رعوها حق رعايتها في زمان ولا مكان . أما الاخبار والآثار الدالة على ما ادعيناه فهذا بعضها

(الحديث ٢٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لما بعثه الى اليمن : « كيف تقضي ؟ » قال أقضي بكتاب الله قال « فإن لم تجد في كتاب الله » قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فإن لم تجد في سنة رسول الله » قال أجتهد رأيي ولا آلو (أي لا أقصر) قال فضرب رسول الله صلى الله عليه على صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى به رسول الله » . فهذا دليل على ان القاضي مفوض اليه تحري الحق في الأفضية والاجتهاد لاستبانة العدل المطلوب في الكتاب والسنة وذلك بعد اختياره من أهل الكفاءة الذين استوفوا الشروط التي نوهنا بها من قبل وقد اتبع هذه الطريقة الانكاي في هذا العصر فالعمدة عندهم في الاحكام اجتهاد القاضي العادل (ح ٢٦) عن عمرو بن العاص وأبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « اذا اجتهد الحاكم فاخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران »

(٢٥) رواه ابو داود والترمذي والدارمي (٢٦) رواه البخاري ومسلم . وكذا

الحاكم والدارقطني واحمد بالفاظ اخرى

والذي يصيبه الحاكم أو ينقضه هو الحق وإصابة الحق هي العدل ومتى تحرى الحاكم العدل ولم يعتمد الميل الى أحد الخصمين يظهر له الحق في الغالب فاذا تعدد الجور اختلط عليه الامر وكان مخذولا في الدنيا والآخرة . يدل على ذلك الحديث الآتي وهو

(ح ٢٧) عن وثالة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن . مسلم ولي من أمر المسلمين شيئا الا بعث الله اليه ملكين يستدانه مانوى الحق فاذا نوي الجور على عمد وكلاه الى نفسه » . ويظهر من النصوص الواردة في الحق والعدل أن مراد الشرع منها هو ما يعرفه الناس بالفطرة السليمة والعقل وإنما شرعت الأحكام ووضعت القواعد لتهدي الحاكم الى طريق الوصول الى الحق الذي يعتمد الظالمون اخفاه

(ح ٢٨) عن علي كرم الله وجهه قال قلت يا رسول الله اذا بعثتني في شيء أكون كالسكة المحماه أم الشاهد يرى ما لا يراه الغائب ؟ قال « بل الشاهد يرى ما لا يراه الغائب » وهذا دليل على ان مراعاة المصالح والمنافع هي الأصل في القضاء لأن الأحكام القضائية ليست من الأمور التعبدية وإنما هي وسائل لمعرفة الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه ولذلك لا يحل لمن حكم له بشيء يعلم انه ليس له أن يأخذه وان كان القاضي هو الرسول عليه الصلاة والسلام كما يعلم من الحديث الآتي وهو

(٢٧) رواد الطبراني ورواه البيهقي بلفظ آخر بمعناه من حديث ابن عباس وضعفوه ورواه البزار بلفظ آخر وفي سنده متهم (٢٨) رواد احمد والبخاري في التاريخ والدورقي وابو نعيم في الحاية وابن عساكر وابن منصور

(ح ٢٩) عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار » والألحن بالحجة هو الأبلغ قولاً والأفصح عبارة . وبقي من أركان الحكم المشاورة ولا أعرف فيها حديثاً مرفوعاً يتعلق بالقضاء وحسبنا الامر العام بها في القرآن وستأتي شواهدا في آثار السلف

(ح ٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو يطل الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه » قال النووي في شرح مسلم : وفي رواية البيهقي باسناد حسن أو صحيح زيادة عن ابن عباس مرفوعاً « لكن الينة على المدعي واليمين على من أنكر »

(ح ٣١) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الينة على المدعي واليمين على المدعى عليه »

(ح ٣٢) عن وائل بن حجرة قال : جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى النبي (ص) فقال الحضرمي : يا رسول الله ان هذا قد غلبني على أرض كانت لأبي . قال الكندي هي أرض في يدي أزرعها ليس له فيها حق فقال النبي (ص) للحضرمي « ألك بينة ؟ » قال لا . قال « فلك يمينه » . فقال يا رسول الله الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه فقال رسول الله (ص) لما أدبر الرجل « أما لئن حلف على مال لياأكله ظلاماً »

(٢٩) رواه احمد والشيخان واصحاب السنن الأربعة (٣٠) رواه أحمد ومسلم

(٣١) رواه الترمذي (٣٢) رواه مسلم والترمذي وصححه

ليلقين الله وهو عنه معرض »

قال الامام الحافظ الفقيه ابن القيم الجوزية في كتابه (إعلام الموقعين)
 مانصه : البينة في كلام الله ورسوله وكلام الصحابة اسم لكل ما يبين الحق
 فهي أعم من البينة في اصطلاح الفقهاء حيث خصوها بالشاهدين أو الشاهد
 واليمين . ولا حبر في الاصطلاح ما لم يتضمن حمل كلام الله ورسوله عليه
 فيقع بذلك الغلط في فهم النصوص . ونذكر من ذلك مثالا واحداً وهو ما نحن
 فيه - لفظ البينة - فانها في كتاب الله اسم لكل ما يبين الحق كما قال تعالى
 « اقدأرسلنا رسلنا بالبينات » وقال « وما أرسلنا قبلك الا رجال يوحى اليهم
 فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات » وقال « وما تفرق الذين
 أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة » وقال « قل اني على بينة من
 ربي » وقال « أفمن كان على بينة من ربه » وقال « أم أتيناكم كتاباً فهم على
 بينات منه »^(١) وقال : « أولم تأتوهم بينة ما في الصحف الأولى » وهذا
 كثير لم يختص به لفظ البينة بالشاهدين بل ولا استعمل في الكتاب فيها البتة
 اذا عرف هذا فقول النبي صلى الله عليه وسلم للمدعي « ألك بينة »
 وقول عمر : البينة على المدعي . - وان كان هذا قد روي مرفوعاً -
 المراد به ألك ما يبين الحق من شهود أو دلالة ؛ فان الشارع في
 جميع المواضع يقصد ظهور الحق بما يمكن ظهوره به من البينات التي هي
 أدلة عليه وشواهد له ولا يرد حقاً قد ظهر بدليله أبداً فيضيع حقوق
 الله وعباده ويعطلها . ولا يقف ظهور الحق على أمر معين لا فائدة في
 تخصيصه به مع مساواة غيره في ظهور الحق أو رجحانه عليه ترجيحاً

(١) قرأ نفع وابن عامر ويعقوب وابو بكر (بينات) والباقون (بينة)

لا يمكن جرده ودفعه كترجيح شاهد الحال على مجرد اليد في صورة من على رأسه عمامة وبيده عمامة وآخر مكشوف الرأس يمدو أثره ولا عادة له بكشف رأسه . فينة الحال ودلالته هنا تفيد من ظهور صدق المدعي أضعاف ما يفيد مجرد اليد عند كل أحد فالشارع لا يهمل مثل هذه البيئة والدلالة ويضع حقا يعلم كل أحد ظهوره وحجته . بل لما ظن هذا من ظنه ضيعوا طريق الحكم فضاع كثير من الحقوق لتوقف ثبوتها عندهم على طريق معين وصار الظالم الفاجر ممكناً من ظلمه وفجوره فيفعل ما يريد ويقول لا يقوم عليّ بذلك شامدان اثنان . فضاعت حقوق كثيرة لله ولعباده وحيث أن الله أمر الحكم العام عن أيديهم وأدخل فيه من أمر الامارة والسياسة ما يحفظ به الخلق تارة ويضيع به أخرى ويحصل به العدوان تارة والعدل أخرى ولو عرف ما جاء به الرسول على وجهه لكان فيه تمام المصلحة المغنية عن التفريط والعدوان

« وقد ذكر الله سبحانه نصاب الشهادة في القرآن في خمسة مواضع فذكر نصاب شهادة الزنا أربعة في سورة النساء وسورة النور . وأما في غير الزنا فذكر شهادة الرجلين والرجل والمرأتين في الاموال فقال في آية الدين « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » فهذا في الحمل والوثيقة التي يحفظ بها صاحب المال حقه لا في طريق الحكم وما يحكم به الحاكم فان هذا شيء وهذا شيء . وأمر في الرجعة بشاهدين عدلين وأمر في الشهادة على الوصية في السفر باستشهاد عدلين من المسلمين أو آخرين من غيرهم وغير المؤمنين هم الكفار والآية صريحة في قبول شهادة الكافرين على وصية (المسلم) في السفر عند عدم

الشاهدين المسلمين وقد حكم به النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده ولم يجبي بعدها ما ينسخها فان المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ وليس لهذه الآية معارض البتة ولا يصح أن يكون المراد بقوله «من غيركم» من غير قبيلتكم فان الله سبحانه خاطب بها المؤمنين كافة بقوله «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم» ولم يخاطب بذلك قبيلة معينة حتى يكون قوله «من غيركم» أيها القبيلة . والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم هذا من الآية بل إنما فهم منها ما هي صريحة فيه وكذلك أصحابه من بعده «وهو سبحانه ذكر ما يحفظ به الحقوق من الشهود ولم يذكر ان الحكم لا يحكمون الا بذلك . فليس في القرآن نفي الحكم بشاهد وعين ولا بالنكول ولا باليمين الردودة ولا بأيمان القسامة ولا بأيمان اللعان وغير ذلك مما بين الحق ويظهره ويدل عليه . اه المراد منه وذكر بعده ما اتفقوا عليه من الشهادات وما اختلفوا فيه

آثار السلف . عبرة للخلف

قضاء الخلفيتين (١) روى الدارمي والبيهقي عن ميعون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم وان لم يجد في كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله عليه وسلم فيه سنة فان علمها قضى بها فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال اتاني كذا وكذا فظننت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجده في ذلك شيئا فهل تعلمون ان النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء

فربما قام اليه الرهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا وان أعياء ذلك دعا رؤس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به . وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك فان أعياء ان يجدي القرآن أو السنة شيئاً دعا رؤس المسلمين وعلماءهم واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى بينهم . وإنما كان يرجع الى أقضية أبي بكر لأنها مبنية على ما ذكر فربما ذكرته بدليل كان عنه ذاهلاً . ولينظر في سؤال مثل أبي بكر رضي الله عنه عن قضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكون الصحابة كانوا يخبرونه بما لا يعرفه منها فانه حجة على الجاهلين الذين كانوا يزعمون أن مقلديهم كانوا محيطين بالسنة لا يغيب عنهم منها شيء . وقد ورد بمعنى هذا الأثر آثار أخرى . وفي المحاكم لأن ضرب عن المشاركة (٢) روي البيهقي عن ابن سيرين انه قال : إن كان عمر بن الخطاب يستشير في الأمر حتى إن كان يستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذه . وفي هذا الأثر من الفقه تكريم النساء ومشاركتهم للرجال في الرأي حتى في الأمور العامة وهذا مما يرفع نفوسهن التي كانت قبل الاسلام مضمومة . وما روى عنه من انه قال : خالفوا النساء فان في خلافهن البركة فعناه لا تتبعوا أهواءهن على ان سندده ضيف

كتاب عمر في القضاء (٣) روي الدارقطني والبيهقي وابن عساكر عن أبي

العوام البصري قال كتب عمر الى أبي موسى الاشعري : « أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا دلي اليك ^(١) فانه لا ينفع تكلم

(١) أدلي اليك أي تخصم اليك وقال ابن القيم أي متوصل به اليك من الكلام

بحق لا نفاذ له . آس^(٢) بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يئس ضعيف من عدلك . البينة على المدعي واليمين على من أنكر . والصلاح جائز بين المسلمين الا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً . ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينهي اليه فان بینه (٣) أعطيته بحقه وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية فان ذلك أبلغ في العذر وأجلى للعمى^(٤) ولا يمنعك قضاء قضيت فيه^(٥) اليوم فراجعت فيه رأيك^(٦) وهديت فيه لرشدك ان تراجع فيه الحق^(٧) فان الحق قديم لا يبطله^(٨) شيء ومراجعة الحق خير من التماس في الباطل^(٩) والمسلمون عدول بعضهم على بعض^(١٠) الا مجرباً عليه شهادة زور او مجلوداً في حد أو ظنيماً في ولاء أو قرابة^(١١) فان الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود الا بالبيئات والأيمان . ثم القهم القهم فيما أدلي اليك مما ورد عليك^(١٢) مما ليس في قرآن ولا سنة . ثم قاييس الأمور عند ذلك وأعرف الامثال^(١٣) ثم أعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق . وإياك والنضب والقلاق

الذي تحكم به بين الخصوم . وفي نسخة كنز العمال (اذا أدتي اليك) ولعلها تحريف (٢) في نسخة كنز العمال (وآس) والمعنى ساو بينهم (٣) في نسخة كنز العمال « فان جاء بينة » (٤) في الكنز (وأحلى) وذكرت نسخة في هامش اعلام الموقعين وهي تحريف كما حرف فيه لفظ للعمى فكتب (للعلماء) (٥) في الكنز (قضيته) (٦) في الكنز (لرأيك) (٧) في الكنز (ان تراجع الحق) (٨) في الكنز (لا يبطل الحق) (٩) الجملة في الكنز بدون عطف (١٠) في الكنز زيادة (في الشهادة) (١١) المستثنيات في نسخة الكنز مرفوعة . والظنين المتهم في شهادته لاقرابة أو الولاء (١٢) في الكنز (أدتي اليك) (١٣) في الكنز زيادة لفظ (والاشياء) وليس المراد انه يقيس على كلام غيره وانما ميزان القياس ما ذكره بعد

والضجر والتأذي بالناس والتشكر عند الخصومة أو الخدم (شك أبو عبيد)
فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر^(١٤)
فمن خلصت نيته^(١٥) في الحق ولو على نفسه كرهه الله ما بينه وبين الناس .
ومن تزين لهم بما ليس في نفسه شأنه الله^(١٦) فإن الله تعالى لا يقبل من
من العباد إلا من كان خالصاً . فما ظنك بثواب عند الله^(١٧) في عاجل رزقه
وخزائن رحمته . والسلام عليك ورحمة الله^(١٨) .

قال ابن القيم بعدما أورد هذا الكتاب في اعلام الموقعين : « وهذا
كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة والحاكم
والملتقى أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه » ثم شرحه شرحاً مطولاً .
وقد اعتمدنا في نصه هنا على نسخة إعلام الموقعين لأننا رأيناها أصح
وذكرنا ما وجدناه من الاختلاف بينها وبين نسخة « كنز العمال » في
الهامش وليس فيه شيء جوهري .

القسم العمومي

آثار محمد علي في مصر

لفظ الناس هذه الأيام في محمد علي وماله من الآثار في مصر
وأهلها وأكثر الجرائد من الخوض في ذلك والله أعلم ماذا بعث المادح
على الاطراء ، وماذا حمل القادح على الهجاء ، غير أنه لم يبحث باحث في
حالة مصر التي وجدها عليها محمد علي وما كانت تصير بالبلاد إليه لو بقيت

(١٤) في الكنز (ويحسن له الذخر) (١٥) في الكنز (نفسه) (١٦) سقط لفظ الجلالة من

نسخة الكنز (١٧) في الكنز (وما ظنك بثواب الله) (١٨) آخر الرواية في الكنز (والسلام)

وما نشأ عن محوها واستبدال غيرها بها على يد محمد علي . اذكر الآن شيئاً في ذلك ينتفع به من عساه ينتفع ، ويندفع به من الوهم ما ربما يندفع ، كانت حكومة البلاد المصرية قبل دخول الجيش الفرنسي فيها من أنواع الحكومات التي كانت تسمى في اصطلاح الغربيين حكومات الاشراف وتسمى في عرف المصريين حكومات الالتزام وتعرف عند الخاصة بحكومات الأقطاع . وأساس هذا النوع من الحكومة تقسيم البلاد بين جماعة من الامراء يملك كل أمير منهم قسماً يتصرف في أرضه وقوى ساكنيها وأبدانهم وأموالهم كما يريد فهو حاكمهم السياسي والاداري والقضائي وسيدهم المالك لرقابهم . ومن طبيعة هذا النوع من الحكومة أن تموفيه الأثرة وتغلظ فيه أصول الاستبداد وفروعه وتزعم نفس كل أمير الى توسيع دائرة ملكه بالاستيلاء على ما في يد جاره من الامراء . فكان من مقتضى الطبيعة ان كل أمير لا ينفك عن التدبير والتفكر فيما تعظم فيه شوكته ، وما يدفع به عن حوزته ، وان يكون الجميع دائماً في استعداد إما للوثوب وإما للدفاع . وإلكن الامراء في مجموعهم كانوا يقاومون سلطة الملوك فيضطر الملك لاستماتهم ومحاباة بعضهم للاستعانة به على البعض الآخر فضعف بذلك استبداد الملوك فيهم حاجة الامراء الى المال كانت تدفعهم الى ظلم رعاياهم وكانت شدة الظلم تميل برعاياهم الى خذلانهم عند هجوم العدو عليهم . ظهر ذلك في خصوماتهم المرة بعد المرة فاضطر الامراء أن يخففوا من ظلمهم وان يتخذوا لهم من الاهلين أنصاراً يضبطونهم عند قيام الحرب بينهم وبين خصومهم . أحسن الاهلون بحاجة الامراء اليهم فزادوا في الدالة على

الامراء واضطروهم الى قبول مطالبهم فعظمت قوة الارادة عند أولئك الذين كانوا عبيداً بمقتضى الحكومة وانتهى بهم الأمر ان قيدوا الامراء والملوك معاً ولم يكن ذلك في يوم أو عام ولكنه كان في عدة قرون كما هو معروف عند أهل المعرفة

نعم كانت الحكومة في مصر على نوع تخالف به جميع الحكومات المشرقية وكانت البلاد متوزعة بين عدة أمراء كل منهم يستغل قسماً منها ويتصرف فيه كما يهوى وكان كل يطلب من القوة ما يسمح له بمد يده الى ما في يد الآخر أو يدفع به صولته فالخصام كان دأبهم والحرب كانت أهم عملهم . لذلك كان كل منهم يستكثر من الممالك ما استطاع ليعدّ منهم جنده ولكن كانت تُعوزُهُ مؤثنتهم اذا كثروا فاضطروا الى اتخاذ اعوان من أهالي البلاد فوجدوا من العرب أحزاباً كما وجدوا منهم خصوماً . ثم رجعوا الى سكان القرى فوجدوا فيهم ما يحتاجون اليه فاتخذوا بيوتاً منها أنصاراً لهم عند الحاجة وعرف هؤلاء حاجة الامراء اليهم فارتفعوا في أعينهم وصار لهم من الامر مثل مالهم أو ما يقرب من ذلك . لهذا كنت ترى في البلاد المصرية بيوتاً كبيرة لها رؤساء يعظم نفوذهم ويعلمو جاههم ذلك كان يقضي على كل أمير من أولئك الامراء أن يصرف زمنه في التدبير : واستجلاب النصير ، وإعداد ما يستطيع من قوة لحفظ ما في يده والتمسك من إخضاع غيره . أنصاره من الأهالي كانوا يجارونه في ذلك خوفاً من تعدي أعوان خصمه عليهم فوقعت القسمة بين الأهالي ولا تزال أسماء الأقسام معروفة الى اليوم — سعد وحرام . هذا يحدث بطبعه في النفوس شتماً وفي العزائم قوة ويكسب القوى البدنية والمعنوية

حياة حقيقية مها احتقرت نوعها . فكانت العناصر جميعها في استمداد لأن يتكون منها جسم حيّ واحد يحفظ كونه ويعرف العالم بمكانته

جاء الجيش الفرنسي والبلاد في هذه الحالة . دخل البلاد بسهولة لم يكن ينتظرها . احتل عاصمتها واستقر له السلطان فيها . لم تكن الا أيام قلائل ، حتى ظهر فيه القلق وعظمت حوله القلاقل ، أخذت القوى الحيوية الكامنة في البلاد تظهر فكثرت الفتن ولم تنقطع الحروب والمناوشات ولم يهدأ لرؤساء العساكر بال . يدلك على ذلك شكوى نابليون نفسه في تقاريره الى كان يرسلها الى حكومة الجمهورية من اصطيد العربان لعساكره من كل طريق ، وسلبهم أرواحهم بكل سبيل ، واضطر نابليون أن يسير في حكومة البلاد بمشورة أهلها وانتخب من أعيانها من يشركه في الرأي لتديرها طوعاً لحكم الطائفة التي وجدها

قتل بعض رؤساء الجيش واضطربت عليه البلاد وجاء الجيش العثماني وعاونته الجيش الانكليزي وخرجت عساكر الفرنسيين من مصر ولا أطيل الكلام فقد ظهر محمد علي بالوسائل التي هيأها له القدر

ما الذي كانت تنظره البلاد من نوع حكومتها؟ كانت تنظر ان يشرق نور . مدنية يضيئ لرؤساء الاحزاب طرفهم في سيرهم لبلوغ آمالهم وقد كان ذلك يكون لو أمهلهم الزمان حتى يعرف كل منهم ما بلغ به غيره الغاية التي كان يقصدها في بلاد غير بلاده . وما كان بينهم وبين ذلك الا أن يختلطوا بأهل البلاد الغربية ويرتفع الحجاب الذي أسد له الجهل دونهم . أو كانت تنظر ان يأتي أمير عالم بصير فيضم تلك العناصر الحية بعضها الى بعض ويؤلف منها أمة تحكمها حكومة منها ويأخذ في تقوية مصباح

العلم بينها حتى ترتقى بحكم التدريج الطبيعي وتبلغ ما أعدته لها تلك الحياة الأولى
 ما الذي صنع محمد علي؟ لم يستطع ان يحى ولكن استطاع ان يميت.
 كان معظم قوة الجيش معه وكانت صاحب حيلة بمقتضى الفطرة فأخذ
 يستعين بالجيش وبمن يستميله من الاحزاب على إعدام كل رأس من
 خصومه ثم يعود بقوة الجيش وبمحبز آخر على من كان معه أولاً وأعانه
 على الخضم الزائل فيمحقه وهكذا حتى اذا سحقت الأحزاب القوية وجهه
 عنايته الى رؤساء البيوت الرفيعة فلم يدع منها رأساً يستتر فيه ضمير (أنا)
 واتخذ من المحافظة على الأمن سبيلاً لجمع السلاح من الأهلين وتكرر
 ذلك منه مراراً حتى فسد بأس الاهالى وزالت ملكة الشجاعة منهم وأجهز
 على ما بقي في البلاد من حياة في أنفس بعض أفرادها فلم يبق في البلاد رأساً
 يعرف نفسه حتى خلع من بدنه أو نفاذ مع بقية بلده الى السودان فهلك فيه
 أخذ يرفع الاسافل ويعليهم في البلاد والقرى كأنه كان يحن لشبهه
 فيه ورثه عن أصله الكريم حتى انحط الكرام وساد اللثام ولم يبق في
 البلاد الا آلات له يستعملها في جباية الاموال وجمع العساكر بآية طريقة
 وعلى أي وجه فحق بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة من رأي وعزيمة
 واستقلال نفس ليصير البلاد المصرية جميعها أقطاعاً واحداً له ولأولاده
 على أثر اقطاعات كثيرة كانت لامراء عدة

ماذا صنع بعد ذلك؟ اشرأبت نفسه لأن يكون ملكاً غير تابع
 للسلطان العثماني فجعل من العدة لذلك أن يستعين بالأجانب من الأوربيين
 فأوسع لهم في المجاملة وزاد لهم في الامتياز خارجاً عن حدود المعاهدات
 المنعقدة بينهم وبين الدولة العثمانية حتى صار كل صعلوك منهم لا يملك

قوت يومه ملكامن الملوك في بلادنا يفعل مايشاء ولا يُسأل عما يفعل .
وصغرت نفوس الأهالي بين أيدي الاجانب بقوة الحاكم وتمتع الأجني
بمقوق الوطني التي حرم منها وانقلب الوطني غريباً في داره، غير مطمئن
في قراره، فاجتمع على سكان البلاد المصرية ذلآن — ذل ضربته الحكومة
الاستبدادية المطلقة وذل سامهم الأجني إياه ليصل الى مايريده منهم
غير واقف عند حد أو مردود الى شريعة

قالوا : انه اطلع نجم العلم في سماء البلاد . نعم غني بالطب لاجل
الجيش والكشف على المجني عليهم في بعض الاحيان عند ما يراد ايقاع
الظلم بمتهم . وبالمهندسة لأجل الري حتى يدبر مياه النيل بعض التدبير ،
ليستغل أقطاعه الكبير،

هل تفكر يوماً في إصلاح اللغة عربية أو تركية أو أرثودية ؟ هل
تفكر في بناء التربية على قاعدة من الدين أو الأدب ؟ هل خطر في باله
أن يجعل للاهالي رأيا في الحكومة في عاصمة البلاد أو أمهات الاقاليم ؟
هل توجهت نفسه لوضع حكومة قانونية منظمة يقام بها الشرع ويستقر
العدل ؟ لم يكن شيء من ذلك بل كان رجال الحكومة إما من الارثود
أو الجرا كسة أو الأرمن المورلية أو ما أشبه هذه الاوشاب وهم الذين
يسحيمهم بعض الأحداث من أنصاره اليوم دخلاء، وكانوا يحكمون بما
يهوون لا يرجعون الى شريعة ولا قانون وإنما يبتغون مرضاة الامير،
صاحب الاقطاع الكبير

أين البيوت المصرية التي أقيمت في عهده على قواعد التربية الحسنة؛
أين البيوت المصرية التي كانت لها القدم السابقة في ادارة حكومته أو سياستها أو

سياسة جندها مع كثرة ما كان في مصر من البيوت الرفيعة المهاد، الثابتة الاوتاد، أرسل جماعة من طلاب العلم الى اوربا ليتعلموا فيها . فهل أطلق لهم الحرية أن يثوا في البلاد ما استفادوا ؟ كلا ولكنه استعملهم آلات تصنع له ما يريد وليس لها ارادة فيما تصنع . وجد بعض الأطباء الممتازين وهم قليل ، ووجد بعض المهندسين الماهرين وليسوا بكثير ، والسبب في ذلك ان محمد علي ومن معه لم يكن فيهم طبيب ولا مهندس فاحتاجوا الى بعض المصريين ولم يكن أحد من الأعوان مسلطاً على المهندس عند رسم ما يلزم له من الأعمال ولا على الطبيب عند تركيب أجزاء العلاج فظهر أثر استقلال الارادة في الصناعة عند أولئك النفر القليل من النابغين ، وكان ذلك مما لا تخشى عاقبته على المستبدين

هل كانت له مدرسة لتعليم الفنون الحربية ؟ أين هي وأين الذين نبغوا من طلابها ؟ فان وجد أحد نابغ فهل هو من المصريين ؟ عدوا ان شتم أحياء أو أمواتا وجد كثير من الكتب المترجمة في فنون شتى من التاريخ والفلسفة والأدب ولكن هذه الكتب أودعت في المخازن من يوم طبعت وغلقت عابها الأبواب الى أواخر عهد اسماعيل باشا فأرادت الحكومة تفريغ المخازن منها ، وتخفيف ثقلها عنها ، فثرتها بين الناس فتناول منها من تناول . وهذا يدنا على أنها ترجت برغبة بعض الرؤساء من الاوربيين الذين أرادوا نشر آدابهم في البلاد لكنهم لم ينجحوا لأن حكومة محمد علي لم توجد في البلاد قراء ولا متفيعين بتلك الكتب والفنون

كانوا يتخطفون تلامذة المدارس من الطرق واقفاء القرى (الأقفاء الناس المجهولون) كما يتخطفون عساكر الجيش فهل هذا مما يجب القوم في العلم ويرغبهم في ارسال أولادهم الى المدارس ؟ لا بل كان يخوفهم من المدرسة كما كان يخيفهم من الجيش حمل الأهالي على الزراعة ولكن ليأخذ الغلات ولذلك كانوا يهربون من ملك الأتبان كما يهرب غيرهم من الهواء الاصفر ، والموت الأحمر ، وقوانين الحكومة لذلك العهد تشهد بذلك

يقولون انه أنشأ المعامل والمصانع ؟ ولكن هل حبب الى المصريين العمل

والصناعة حتى يستبقوا تلك للمعامل من أنفسهم ؟ وهل أوجد أساتذة يحفظون علوم الصناعة وينشرونها في البلاد ؟ أين هم ؟ ومن كانوا ؟ وأين آثارهم ؟ لا بل بغض إلى المصريين العمل والصناعة بتسخيرهم في العمل والاستبداد بثمرته فكانوا يتربصون يوماً لا يعاقبون فيه على هجر العمل والمصنع لينصرفوا عنه ساخطين عليه ، لاغبين الساعة التي جاءت بهم إليه ،

يقولون انه أنشأ جيشاً كبيراً فتح به الممالك ودوخ به الملوك، وأنشأ الأسطولاً ضخماً ثقل به ظهور البحار ، وتفتخر به مصر على سائر الأمصار ، فهل علم المصريون حب التجند وأنشأ فيهم الرغبة في الفتح والقلب وحب إليهم الخدمة في الجندية وعلمهم الاقتحار بها ؟ لا بل علمهم الهروب منها وعلم آباء الشبان وأمهاتهم أن ينوحوا عليهم معتقدين انهم يساقون الى الموت بعد ان كانوا ينتظمون في أحزاب الأمراء ويحاربون ولا يبالون بالموت أيام حكم الممالك وكان من ينتظم في الجندية على عهد محرز مصر لا يخرج منها الا بالموت . هل شعر مصري بمظمة أسطوله أو بقوة جيشه ، وهل خطر ببال أحد منهم أن يضيف ذلك اليه بأن يقول هذا جيشي وأسطولي أو جيش بلدي أو أسطوله ؟ كلا لم يكن شيء من ذلك فقد كان المصري يعد ذلك الجيش وتلك القوة غوناً لظالمه فهي قوة خصمه . كذلك كان يعدها كل عثماني في مصر أو في غير مصر . ليقل لنا أنصار الاستبداد كم كان في الجيش من المصريين الذين بلغوا في رتب الجندية الى رتبة البكباشي على الأقل ؟ فما أثر ذلك في حياة مصر والمصريين الأسوأ الأثر . أثر كله سر في شر لذلك لم تلبث تلك القوة أن تهدمت واندثرت

ظهر الأثر العظيم عند ما جاء الانكليز لاحتداد ثورة عرابي . دخل الانكليز مصر بأسهل ما يدخل به دأمر على قوم ثم استقروا ولم توجد في البلاد نخوة في رأس ثبت لهم أن في البلاد من يحامي عن استقلالها وهو ضد ما رأينا عند دخول الفرنسيين الى مصر وبهذا رأينا الفرق بين الحياة الاولى والموت الاخير وجهله الاحداث فهم يسألون أنفسهم عنه ولا يهتدون اليه

لا يستحي بعض الأحداث من ان يقول ان محمد علي جعل من جدران سلطانه بنية من الدين . أي دين كان دعامة لسلطان محمد علي ؟ دين التحصيل . دين الكرباج .

دين من لادين له الا ما بهواه ويريده . والا فليقل لنا أحد من الناس أي عمل من أعماله ظهرت فيه رائحة للدين الاسلامي الجليل ؟ لا يذكرون الا مسألة الوهابية وأهل الدين يعلمون أن الاغارة فيها كانت على الدين لا للدين . نعم ان الوهابية غلوا في بعض المسائل غلوا أنكره عليهم سائر المسلمين وما كان محمد علي يفهم هذا ولا سفك دمائهم لارجاعهم الى الاعتدال وانما كانت مسألة سياسية محضة تبعها جراءة محمد علي على ساطانه العثماني وكان معه ما كان مما هو معروف

نعم أخذ ما كان للمساجد من الرزق وأبدلها بشيء من النقد يسمى قاض رزامة لا يساوي جزءاً من الالف من ايرادها . وأخذ من أوقاف الجامع الازهر ما لو بقي له اليوم لكانت غلته لاتقل عن نصف مليون جنيه في السنة وقرر له بدل ذلك ما يساوي نحو أربعة آلاف جنيه في السنة

وقصارى أمره في الدين انه كان يستميل بعض العلماء بالخلع أو اجلاسهم على الموائد لينفي من يريد منهم اذا اقتضت الحال ذلك وأفاضل العلماء كانوا عليه في سخط ماتوا عليه

ولا أظن أن أحداً يرتاب بعد عرض تاريخ محمد علي على بصيرته ان هذا الرجل كان تاجراً زارعاً وجندياً بأسلاً ومستبداً ماهراً لكنه كان لمصر قاهراً . ولحياتها الحقيقية معدماً، وكل ما نراه الآن فيها مما يسمى حياة فهو من أثر غيره متعنا الله بنجيره وحنانا من شره والسلام (مؤرخ)

(بقية الاجتماع الثالث لجمعية أم القرى)

(المتعقد في مكة المكرمة في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣١٦)

أجاب (السعيد الانكليزي) ان المسلمين من حيث مجموعهم أغنياء لا يعوزهم المال اللازم للتدرج في العلوم حتي للسياحات البحرية والقطية . لان فريضة الزكاة على مالكي النصاب والكفارات المالية جاعلة لفقراء الامة وبعض الشؤون العمومية نصيباً غير قليل في مال الاغنياء بحيث اذا عاش المسلمون مسلمين حقيقة أمنوا الفقر

وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنتظم التي تبقى ما هو من نوعها اغلب العالم المتمدن
الافرنجي الذين لم يهتدوا بعد لطريقة نيلها مع انه تسعى وراء ذلك منهم جمعيات
وعصيات مكونة من ملايين باسم (كومون وفتيان ونيهلست وسوسياлист) كلها
تطلب التساوي أو التقارب في الحقوق والحالة المعاشية ذلك التساوي والتقارب
المقررين في الاسلامية ديناً بوسيلة انواع الزكاة والكفارات ولكن تعطيل ابتاء الزكاة
وايقاء الكفارات سبب بعض الفتور المبحوث فيه كما سبب اهمال الزكاة فقد الثمرات
العظيمة من معرفة المسلم ميزانية ثروته سنوياً فيوفق تفقاهه على نسبة ثروته ودخله .
ولا شك ان الواحد من الاربعين يفي ان يبذل لاجل هذه الثمرة وحدها . والشرعية
الاسلامية هي أول شريعة سافت الناس والحكومات لاصول الميزانية المؤسس عليه
فن الاقتصاد المالي الافرادي والسياسي

وينحيل الي أن سبب هذا الفتور الذي أخل حتى بالدين هو فقد الاجتماعات
والمفاوضات وذلك ان المسلمين في القرون الاخيرة قد نسوا بالكلية حكمة تشريع
الجماعة والجمعة وجمعية الحج وترك خطباؤهم ووعاظهم خوفاً من الامراء التعرض
لاشئون العامة كما ان علماءهم صاروا يسترون جيبهم بجملهم التحدث في الأمور العامة
والخوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا يعني وعدمهم أتيان ذلك في الجوامع من
اللغو الذي لا يجوز وربما اعتبروه من الغيبة او التجسس أو السعي بالفساد فسرى
ذلك الى افراد الامة وصار كل شخص لا يهتم الا بخويصة نفسه وحفظ حياته في يومه
كانه يخلق امة وحده وسيموت غداً وهكذا صار المسلم جاهلاً ان له حقوقاً على الجماعة
الاسلامية والجماعة البشرية وان لها عليه مثاها ذاهلاً عن انه مدني بالطبع لا يعيش
الا بالاشتراك ناسياً او هاجراً أو امر الكتاب والسنة له بذلك (مرحي)

ثم بتوا الى القرون والبطون على هذه الحال تأصل في الامة فقد الاحساس الى درجة
انه لو خربت هذه الكعبة والعباد بالله تعالى لما تقطعت الحياه اكثر من لحظة ولا
اقول لما زاد تلاطم الناس على سبعة أيام كما ورد في الاثر لان المراد باؤلئك الناس
اهل ذاك الزمان

وإذا دققنا النظر في حالة الام الحية المعاصرة وهي ليس عندها ما عندنا من الوسائل الشريفة للاجتماع والمفاوضات نجدهم قد احتلوا للاجتماعات ولاسترعاء السمع وتوجيه النظر بوسائل شتى .

(١) منها تخصيصهم يوماً في الاسبوع للبطالة والتفرغ من الاشغال الخاصة لتحصل بين الناس الاجتماعات وتنقد التدوات فيقباثون ويتاجون

(٢) ومنها تخصيصهم أياماً يتفرغون فيها للمذاكرة في مهمات الاعمال لاعظم رجالهم الماضين تشويقاً لالتل بهم

(٣) ومنها إعدادهم في مدنهم ساحات ومنتديات تسهلاً للاجتماع والمذاكرات والقاء الخطب وابداء التظاهرات

(٤) ومنها ايجادهم المنزهات الزاهية العمومية واجراء الاحتفالات الرسمية والمهرجانات بقصد السوق الاجتماعات .

(٥) ومنها ايجادهم محلات التشخيص المعروف (بالكوميديا) و (اتياترو) بقصد اراءة العبر واسترعاء السمع للحكم والوقائع ولو ضمن أنواع من الخلاعة اتخذت شبكاً لمقاصد الجمع والاسماع ويعتبرون ان نفعها اكبر من ضرر الخلاعة

(٦) ومنها اعتاؤهم غاية الاعتناء بتعميم معرفة تواريخهم المالية المفصلة المدججة بالعلل والاسباب تمكيناً لحب الجنسية .

(٧) ومنها حرصهم على حفظ العاديات المنبهة وادخار الآثار القديمة المنوّهة واقتناء النفائس المشعرة بالمفاخر .

(٨) ومنها اقامتهم النصب المفكرة بما نصبت له من مهمات الوقائع القديمة .

(٩) ومنها نشرهم في الجرائد اليومية كل الوقائع والمطالبات الفكرية .

(١٠) ومنها بنهم في الاغاني والنشائد الحكم والحماسات الى غير ذلك من الوسائل التي تنشئ في القوم نشأة حياة اجتماعية وتولد في الرؤس حية وحماسة وفي النفوس سمواً ونشاطاً .

أما المسلمون فانهم كما سبق بيانه أهملوا استعمال تلك الوسائل الشريفة المؤسسة عندهم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعي اعني بذلك الجماعة والجمعة وجمعية الحج حتى كأن الشارع لم يقصد منها غير اداء الفريضة فقط بصورة تعسدية بسيطة والحال أن حكمة الشارع ابلغ من ذلك وعندي ان هذا أعظم اسباب الفتور . (مرحى) .

فاجابه (الامام الصيني) ان هذا أشبه بالعوارض منه بالاسباب فهو أليق بان يكون دواء للداء ونحن مهتمون ابتداء بمعرفة سبب الفتور .

ثم قال اني ارى ان السبب الاكبر للفتور هو تكبر الامراء وميلهم للعلماء المتعلقين المتناقضين الذين يتصاغرون لديهم ويتذللون لهم ويحرفون أحكام الدين ليوفقوا بينها وبين أهوائهم فهاذا يرجي من علماء يشترطون بدينهم دنياهم ويقبلون يد الامير لنقبل العامة أيديهم ويحرقون أنفسهم للعظماء ليتعاضدوا على ألوف من الضعفاء أكبر همهم التحاسد والتباغض والتخاذل والتفاضل لا يحسنون أمراً من الامور حتى الخصومة فتراهم لا يراغمون الا بتكفير بعضهم بعضاً عند الامراء والعامة .

وهذا داء عياء صعب المداواة جداً لان كبر الامراء يمنعهم من الميل الى العلماء العاميين الذين فيهم نوع غاظة لا بد منها ونعما هي مزية لولاها لفقد الدين بالكلية . (مرحى) فلا شك ان أفضل الجهاد في الله في هذا الزمان الحظ من قدر العلماء المتناقضين عند العامة وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العاميين حتى اذا رأى الامراء اتقياد الناس لهؤلاء اقبلوا هم أيضاً عليهم رغم أنوفهم واذعنوا لهم طوعاً أو كرهاً على انه يجب على حكماء الامة المجاهدين في الله ان يعتوا بالوسائل الالينة لتثقيت عقول العلماء العاميين لان العلم رافع لا يجهل فقط ولا يفيد عقلاً ولا كياسة فيلزم تعاليمهم وتعريفهم كيف تكون سياسة الدين وهكذا يفعل الحكماء عندنا معاشر اسلام الصين ولا تفقد أية بلدة كانت رجالا حكماء نبلاء يمتازون طبعاً على العامة لهم نوع من الولاء حتى على العلماء .

وهؤلاء الذين نسميهم عندنا بالحكماء هم الذين يطلق عليهم في الاسلامية اسم أهل الحل والعقد الذين لا تنعقد (الامامة) شرعاً الا ببيعهم وهم خواص الطبقة العليا في الامة الذين أمر الله عز شأنه نبيه بمشاورتهم في الامر الذين لهم شرعاً حق الاحتساب والسيطرة على الامام والعمال لانهم رؤساء الامة ووكلاء العامة والقائمون في الحكومة الاسلامية مقام مجالس التواب والاشراف في الحكومات المقيدة ومقام الأسرة الملوكية التي لها حق السيطرة على الملوك في الحكومات المطلقة كالصين وروسية ومقام شيوخ الانخاد في أزاء امراء العشائر العربية اولئك الامراء الذين ليس لهم من الامر غير تنفيذ مايرمه الشيوخ .

واذا دققنا النظر في أدوار الحكومات الاسلامية من عهد الرسالة الى الآن نجد

ترقيها وانحطاطها تابعين لقوة أو ضعف احتساب أهل الحل والعقد واشتراكهم في تدبير شؤون الأمة .

وإذا رجعنا البصر إلى التاريخ الإسلامي نجد أن النبي عليه السلام كان أطوع المخلوقات للشورى أمثالا لأمر ربه في قوله تعالى (وشاروهم في الأمر) حتى أنه ترك الخلافة لمجرد رأي الأمة .

ثم كان أول الخلفاء رضي الله عنه أشبه الناس به حتى أنه أخذ رأي سراة الصحابة فيمن استخلف . ثم إن الخليفة الثاني اتبع أثر الأول وإن استأثر في ترتيب الشورى فيمن يخافه ثم لما اجتهد الخليفة الثالث في مخالفة رؤساء الصحابة في بعض المهمات لم يستقم له الأمر وظهرت الفتن كما هو معلوم ثم إن معاوية رحمه الله كان قائل الاستقلال بالرأي فحسن أيامه عما كان قبلها . وهكذا كانت دولة الأمويين تحت سيطرة أهل الحل والعقد لاسيما من سراة بني أمية فانظمت على عهدهم الأحوال كما كان ذلك كذلك على عهد صدر العباسيين حيث كانوا مدعنين لسيطرة رؤساء بني هاشم ثم لما استبدوا في الرأي والتدبير خالفوا أمر الله واتباع طريقة رسول الله سأت الحال حتى فقدوا الملك . وهكذا عند التدقيق في كل فرع من الدول الإسلامية الماضية والحاضرة بل في ترجمة كل فرد من الملوك والأمراء بل في حال كل ذي عائلة أو كل انسان فرد نجد الصلاح والفساد دائرين مع سنة الاستشارة أو الاستقلال في الرأي .

فإذا تقرر هذا علمنا أن سبب الفتور العام المبحوث فيه هو استحكام الاستبداد في الأمراء عتواً وتكبراً وترك أهل الحل والعقد الاحتساب جهلاً وحيأة وهذا عند بعض الاقوام المسلمين وأما الأكثر فقد امسوا لأعلماء هداة ولا سراة اباة بل هم فوضى في الدين والدنيا ولا بدع فيمن يكونون على مثل هذه الحال ان لا يرجي لهم دواء الا بعناية بعض الحكماء الذين ينجيون من أية طبقة كانت من الأمة وقضت سنة الله في خلقه ان لا تخلو أمة من الحكماء .

فأجاب (العالم النجدي) ان شؤون السياسة في الصين تختلف كثيراً عنها في غيرها وليس في الصين ملوك كثيرة وأمراء جبابرة كما عند غيرهم فالحكام في الصين آمنون ومن جهة أخرى لم يزل الاسلام في الصين خفيفاً خفيفاً لم يفسده الثقل والتشديد ومع ذلك نرى الفتور شاملهم أيضاً ونحن الآن نبحث عن السبب العام لهذا الداء وليس كل السبب أحوال الأمراء والعلماء .

ثم قال اني اجزم ولا أقول أظن أو إخال ان سبب الفتور الطارىء الملازم لجامعة هذا الدين هو هذا الدين الحاضر ذاته ولا برهان أعظم من الملازمة وما جاء الخفاء إلا من شدة الوضوح فهل بقي من شك بعد هذه الابحاث التي سبقت في جمعيتنا ولا سيما مايدنه المحقق المدني في ان الدين الموجود الآن بالنظر الى مادين به لا بالنظر الى ماقرره وباعتبار مافعله لا باعتبار مايقوله ليس هو الدين الذي تميز به أسلافنا مشين من السنين على العالمين كلا بل طرأت على الدين طوارئ تغير غيرت نظامه .

وذلك ان الحلف تركوا أشياء من أحكامه كاعداد القوة بالعلم والمال والجهاد في الدين والامر بالمعروف وازالة المنكر واقامة الحدود وايتاء الزكاة وغير ذلك مما أوضحه الاخوان الكرام . وزاد فيه المتأخرون بدعاً وتقائيدات وخرافات ليست منه كشروع عبادة القبور والتسليم لمدعى علم الغيب والتصرف في المقدور .

وهذه الطوارئ من تغيرات أو متروكات أو مزيدات أكثرها يتعلق بأصول الدين وبعضها بأصل الاصول أعنى التوحيد وكفى بان يكون ذلك سبباً للفتور وقد قال الله تعالى (ان الله لا يغير مايقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) — مرحى

ولقائل ان يقول اذا سلمنا ان الدين تغير عما كان عليه فما تأثير ذلك في الفتور العام الذي هو من شأن الحياة الدنيا وما نحن أولاء نجد أكثر الامم الحية التي نضبطها قد طرأ على دينها التغير والتبديل في الاصول والفروع ولم يؤثر ذلك فيها الفتور بل زعم كثير من حكماء تلك الامم انهم ما اخذوا في الترقى الا بعد عزلهم شؤون الدين عن شؤون الحياة وجعلهم الدين امراً يتعاق بالنفس ولا علاقة له بشؤون الحياة الجارية على نواميس الطبيعة

فالجواب على ذلك أنه كما يطالب كل انسان بان يكون صاحب ناموس اى متبعاً على وجه الاطراد في اخلاقه واعماله قانوناً ما موافقاً ولو في الاصول فقط لقانون الهيئة الاجتماعية التي هو منها والافىكون لاناموس له منفوراً منه مضطهداً فكذلك كل قوم مكلفون بان يكون لهم ناموس عام بينهم ملائم في الجملة لقوانين الامم التي لها معهم علاقات جوارية او تجارية او مناسبات سياسية والا فيكونون قوماً متوحشين لاخلق لهم ولا نظام منفوراً منهم مضطهدين .

وذلك ان الناموس الطبيعي في البشر هو ناموس وحشي لاخير فيه لان . بانيه هي تنازع البقاء وحفظ النوع والتزام على الاسهل والاعتماد على القوة وطالب الغايات

وحب الرئاسة وحرص الادخار ومجاراة الظروف وعدم الثبات على حال الى غير ذلك وكلها قواعد شر ومجالب ضرر لا يلفظها غير ناموس شريف واحد مودوع في فطرة الانسان وهو ادعائه الفكري للقوة الغالبة اى معرفته الله بالالهام الفطري الذى هو الهام النفس رشدها فإلهما فجورها وتقواها ، (مرحى) ،

ولا ريب في ان لهذه الفطرة الدينية في الانسان علاقة عظمى في شؤون حياته لانها أقوى وأفضل وأزاع يعدل سائر نوااميسه المضرة ويخفف مرارة الحياة التي لا يسلم منها ابن انثى وذلك بما يؤمله المؤمن من المجازاة والمكافأة والانتقام منه وله (مرحى) وعند تدقيق النظر في حالة جميع الاديان والتحليل تدقيقاً تاريخياً توجد كلها ناشئة عن اصل صحيح بسيط سماوي لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً ويوجد ان كل دين كان في اوله باثا في أهله النظام والنشاط وراقياهم الى أوج السعادة في الحياة الى ان يطرأ عليه التأويل والتحريف والتفنن والزيادات رجوعاً الى اصاين ادين (الاشراك بالله . والتشديد في الدين) فيأخذ في الانحطاط بالامة ولا يزال نازلاً بها الى أن تباع حالة اقبح من الحالة الاصلية الهمجية فتنتهي بالانقراض أو الاندماج في أمة أخرى . أو يتدارك الله تلك الامة بعناية بانغة فيبعث لهم رسولا يجدد دينهم أو يخلق فهم أنبياء او حكماء يصاحون لهم ما فسد من دينهم كما حصل ذلك في الامم الماضية كعاد ونمود وكالسريان واسرائيل وكنعان واسماعيل وكما قال الله تعالى (وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتي يبين لهم ما يتقون)

وعند التأمل يوجد الشرك والتشديد كأنهما أمران طبيعيان في الانسان يسعى وراءهما جهده بسائق النفس وقائد الشيطان لان النفس تميل الى عبادة المشهود الحاضر اكثر من ميلها الى عبادة المعقول الغائب ومفطورة على التشديد رغبة في التميز والشيطان يسعف النفس بالتسويل والتأويل والتحويل والتخليل الى ان يفسد الدين (مرحى) ثم اذا دققنا النظر في حالة الاسلامية في القرون الاخيرة نجدها عندما كثر أهل القبلة قد أصابها بعض ما أصاب غيرها من الاديان قبلها كما أخبرنا الله تعالى فتصعبها في كتابه المين ووعدنا بوقوعنا فيه سيد المرسلين وارشدنا الى طرائق التخليص منه ان كنا راشرين أعنى بذلك ما طرأ على الاسلامية من التأويل والتحريف في بعض اصولها وكثير من فروعها حتي استولى عليها التشديد والتشويش وتطرق اليها الشرك الخفي والجلي عن يمينها وشمالها فاست محتاجة الى التجديد بتيين الرشد من النقي وعندي

ان هذه الحال اعم واعظم سبب للفتور المبحوث فيه قال الله تعالى (ومن أعرض عن
ذكرى فان له معيشة ضنكا) (مرحي)

وأتم ايها السادة الافاضل في غناء عن ايضاح ذلك لكم بوجه التفصيل
قال (الأستاذ الرئيس) اني أرى ان البحث في اعراض الداء واسبابه وجراثيمه
وما هو الدواء وكيف يستعمل قد نضج او كاد وقد قررنا في اجتماعنا الاول اننا سنبحث
في ما هي الاسلامية وما يتبع ذلك مما أدرجناه في برنامج المباحث واني اري ان تقرير
أخينا العالم التجدي نعم المدخل لنقل البحث ولا سيما اذا تكرم بتفصيل ما اجمله لان
مسائل منشأ الديانات وسنن الله في مسراها واسباب طوارئ التغير والتحريف
عليها كلها مسائل مهمة تقتضي تدقيق النظر واستقصاء التحقيق وتحسن فيها الاطالة
والاستيعاب بناء عليه نرجو من العالم التجدي ان يتكرم باعادة ما قرره صورة مفصلة
في اجتماعنا الآتي اذ قد أذن لنا الوقت بالانصراف اليوم اهـ

باب التربية والتعلم

السورة الثالثة منه جريدة الاسم

تربية الذكور مع الاناث وتعليقها معاً

اني لا أخشى مغبة أفراطي وافراط هيلانه في ميلنا الى تلك الصية التي القتها
العاصفة بين ايدينا لجواز ان يطالبها بعض ذويها يوماً ما وكيفما كانت نتيجة هذا الميل
فلا بد له هنا من اثبات امر يتعلق بعلم تركيب الانسان ووظائف اعضائه فأقول :
كانت دولوريس لما التقطناها و آوينها الى بيتنا محلاً لجميع العيوب التي توجد في
نظائرها اللاتي من قبلها وبلادها فانها كانت مع ظرافتها مكسلاً واناة قليلة العناية
بشأنها وان كان لا بد من التصريح قات انها كانت كثيرة الوساخة وكان هذا الاغفال
لأنها نفسها مع مقدار عظيم من التفتنج والتدلل من موجبات در هيلانه وحزنها
وأن ينجع في الكسر من زهوها والمطامنة من صافيتها ما اتخذته لذلك من العظات

وضروب التوبيخ وانوع الايلام الخفيفه ولما كان فيها من حدة المزاج والتهيج عند مخالفتها فيما تريد كانت لا تبدي ادنى اشتاء للتعلم . أفرغت هيلانه جهدها في ايقاظ عقل هذه الحسناء ناعسة الغابة (١) من سباته فاحقق مسعاها وبطل أثر ما استعملته من التعاويذ والطلاسم لرد هذا السحر الذى لا يدري اى جنية خيثة من جنيات البيرو رمها به على ما يظهر وان اردت ان تعلم من الذى أبطل هذا السحر فاعلم انه «أميل» ذلك لان ميل (لولا) الى ان تعجبه وأن تتحامي ضروب سخريته بها وانواع زرايته عليها كان أشد تأثيراً فى ارادتها من جميع عطايا ونصائحنا

كان هذا أول سلطان (لا ميل) على قلبها وهى لا خطر فيه فى سنها من ذلك الحين وقع التنافس بينهما أمام من جيته فاشدة زهوه ونخره بماله من التقدم عاها فى علومه القليلة وأما من جهتها فاغيرتها ورغبتها فى منازعة ذلك التقدم والمرجو من هذا التنافس أن يعود دائماً بالفائدة على كليهما فان درسهما مجتمعين أحسن وأقن منه منفردين لانه اذا اعتبر (أميل) نفسه أعلم من (لولا) اجتهدت فى التبريز عاها فى ميدان المطالعة

أرى ان هذه الصعبة تفيدها فى اخلاقهما أيضاً فائدة كبرى فان الاطفال على

(١) يامح المؤلف بقوله «هذه الحسناء ناعسة الغابة» الى اسطورة من اساطير الكاتب الفرنساوى شارل بيرولت المسماة حكايات الجن ماخصها ان احد الملوك وزوجته ابتليا بالعم مدة طويلة ثم رزقا فتاة حسناء فجعلوها فى كفالة سبع جنيات وأولما هن ولية أعداها لكل واحدة منهن صحيفة فاخرة لها كيس من الذهب الخالص فيه ملعقه وشوكة وسكين من الذهب أيضاً وفي أثناء جلوسهن على المائدة جاءت جنية عجوز ثامنة لم يكن حضورها فى الحساب فقدمت لها صحيفة بلا كيس فظنت ذلك احتقاراً لها فخافت احدى الجنيات ان تسمى هذه العجوز الى المولودة فخرجت ثم ان كلاً من الاخريات منع المولودة صفة جميلة ما عدا العجوز فانها قالت ان الفتاة ستحرق يدها بمغزل وتموت فجاءت الجنية التى كانت خرجت وقالت انها لن تموت ولكن يغشاها الناس مائة سنة ولا يوقظها الا ابن ملك من الملوك ثم اتفق ان الفتاة رأّت مغزلاً فى يد عجوز فتناولته فحرق يدها فسقطت نائمة ثم نقات الى قصر لوالدها فى غابة وبعد مائة سنة ايقظها ابن ملك وتزوجها

علم تام بما يشتركون فيه من العيوب ولا يبقى بعضهم على بعض في تشهيرها وتعييرها اياها لذلك نرى «أميل» قلما يوقر «لولا» فيما يراه فيها من النقائص وهي ايضاً لا تقصر في ان تكيل له الصاع بمثله بدون ان يكون في هذه المشاغبات الخفيفة ما يكدر صفو مودتهما الشريفة في شيء وكاني بقائل بقول ان هذه المزايا بعينها توجد في معاشره الأخ لاحتها ووجودها معاً فاحيه باني في شك من ذلك لعدم تمام الشبه في الجهتين .

زرت فيما مضى مدرسة للصم البكم كانت تنقسم في أول نشأتها الى قسمين أحدهما للذكور والآخر للاناث فلم تلبث التجربة ان كشفت عيوب هذا التقسيم فان الصبايا اللاتي كن مقصورات في قسمهن كان يبدو عليهن التأخر عن العلمان سنة أو سنتين ولم يكن العلمان أنفسهن بارعين في التقدم والنجاح فخطر في بال القائمين على المدرسة ان يجمعوا الفريقين في غرف واحدة فكانت نتيجة هذا التغيير محودة فانه لم يمض الا يسير من الزمن حتى زال تأخر أحد الفريقين وانحطاطه عن الآخر وتقدم الآخر تقدماً لا نزاع فيه ذلك لان العُجب الذي هو خالق فطري في الذكر والانثى والطمع الذي حاج في نفوس العلمان وجود منافسات زاهيات بأنفسهن بينهم واهتمامهم بأن يظهرُوا في أعينهم ممتازين عنهن كل ذلك ساعد من الجهتين على ازدياد درجة معارفهم في دروسهم مع انهم كانوا هم التلامذة الاواين لم يتغيروا وانما ظهر ان قواهم تضاعفت لماذا لا يصح في حق اللاطقين والناطقات ما صح في حق الصم البكم .

انما يعارض القائمون على تربية الناشئين في الجمع بين الذكور والاناث بحجة المحافظة على الاخلاق والآداب ولو كانت هذه المعارضة مبنية على سبب صحيح لكانت وجهة سديدة ولكن لا بد ان نحجب هؤلاء المعارضين بانه لم يفكر أحد مطلقاً في جمع هذين الصنفين في قاعات النوم العامة ولا شك ان تقسيم محال المدرسة واقفيها والرياضات المدرسية بالحكمة واتدبير يحجب كثيراً من المضار التي يخشى منها على الآداب والاخلاق

على ان العمل العقلي انما جعل لنذيل الغرائز والشهوات الحيثة وقعها لا لتنبيهها وتقويتها واني خلافاً لأولئك المعارضين ارى ان في التفريق الكلي بين الصنفين خطراً على الفضيلة فان قرط الاحتراس والاحتياط الصادر عن الرياء والتفاني لا يكون منه الا دعوة الفساد الى الاحتيال لتطرق الى الاخلاق من سبيل الشر فلا يثبت ان يظهر فيها . وان كثرة بث روح الحذر في أطهر المعاملات واعفها توقظ في اليافعين

ما هو نائم من شهواتهم وتظهر ما يكون كامناً من أشواقهم فبذبحي أن تزال هذه الحدود المادية ويعتاض منها بحدود الله التي قطرهم عليها وجعلها في نفوسهم سياجاً لما فرضه عليهم

لا أريد مما تقدم أن الذكر والانثى في التربية بيان يصاح لاحدهما كل ما يصاح للآخر كلا بل أن كلا منهما يقتضي تربية خاصة لاختلافهما في المواهب والقروض والغرض المخلوقين من أجله . على أننا نرى النابغين والتابغات من الصنفين يتكافؤون ويتناسبون في بعض ذرى العلوم والفنون الجميلة والشعر فالأجدر بنا أن نفكر بأعداد الأزواج بين ما أوتيته الانثى من رقة الوجدان وما أوتيته الذكر من حصافة الجنان فإن في ذلك لذة حياة الصنفين . وإن تربية شطري النوع الانساني منعزلين كأنهما لا يشتركان في شيء مما خلقا لأجله تعجيلاً بقطع الصلة الاجتماعية وأما تقديم الصية الى الصبي وتفهمه أنها ستكون له في مستقبله رفيقة في العدل والكدر في سبيل الخير والعدل والحق فهو أكثر انطباقاً على مقتضى الفطرة وعلم الاخلاق وعلى كل حال ستعلم « لولا » و « أميل » معاً الى أن يقضي الحال التفريق بينهما وإني لأرجو لكل منهما خيراً كثيراً من وراء هذا الاقتران العقلي . اهـ

قوانين التعليم الرسمي

النبة الثالثة في تعليم البنات

ان المغامر العشرة التي ذكرناها في النبة الثانية من انتقاد قوانين التعليم الرسمي كانت في موضوع تعليم الدين وقد فاتنا التنبيه على مغر آخر عظيم وهو (١١) لم يرد في قانون التعليم ما يدل على أن البنات يعلمن ما يختص بالنساء من الأحكام والآداب الدينية ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئاً من ذلك . ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف ان النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فإذا جاز أن يكتسب التلميذ بعض ما يفوته من الاحكام الدينية في المدرسة بمعاشرة أهل العلم الديني وحضور مجالسهم وسماع الخطب الدينية في يوم الجمعة وحضور دروس الوعظ في بعض المساجد فمثل هذا لا يأتى للبنات ولا للنساء لانه ليس فيهن علمات بأمور الدين فيقتبس بعضهن من بعض ولم تجر العادة بحضورهن الجمعة ومجالس العلم في المساجد

ثم ان البنات احوج من الصبيان الى الدين عقائده واعماله وآدابه لسبب آخر وهو ان صنفهن في الشرق لا يزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء في مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج فاذا قرأت جريدة أو كتاباً على رجل وامرأة من الأميين فان الرجل يفهم منك مالاتفهم المرأة وأكثر النساء لا يفهمن من المقروء شيئاً ما لذلك نشكر للحكومة ما نراه من الرغبة في تعليم البنات ولكن التعليم بغير تربية قليل الجدوى ولا يزال أكثر الناس عندنا يعتقد ضرر تعليم البنات وليس لنا من هؤلاء المتعاملات في المدارس حجة عابهم فان آداب هؤلاء البنات غير مرضية والسبب في ذلك عدم العناية بالتربية التي ملاكها الدين . فاذا كانت الحكومة توافقنا على ان الحاجة الى تعليمهن أشد لأنهن أضعف عقلاً فعليها أن توافقنا على ان الحاجة الى تربيتهن أشد أيضاً لأنهن أضعف نفساً

وهناك وجه ثالث لوجوب العناية بتربيتهن أكثر من تعليمهن وهو ان وظيفتهن الطبيعية هي التربية لا التعليم فيجب أن تكون التربية هي المقصودة لهن بالذات من المدارس وان يكون التعليم ممداً لها ومساعداً عليها . ونظارة المعارف لا تخالفنا في ان ملاك التربية الدين لا سيما عند المسلمين ولا تقدر أن تنكر قصيرها في تعليم الدين وإتمامها لتربيتها

وان تعجب فعجب أن موظفي النظارة من غير المسلمين كانوا ولا يزالون أشد محافظة على آداب البنات الاسلامية من كبار الموظفين المسلمين . فمن ذلك ان بعض الضباط من الانكليز كان يعلم البنات في المدرسة السنية الالعب الرياضية البدنية وهي ضروب شتى منها الانحناء والانتواء وتحريك بعض الاعضاء دون بعض وكان المعلم لا يستغني في تعليمه عن اللمس والجس وربما يبع ذلك الجس فراع الامر بعض المعلمين الذين لم يفقدوا نعمة الدين فاحتالوا في تبليغ ذلك بعض كبار الموظفين في المعارف من المسلمين وما كانوا جاهلين فلم يفسد ذلك حتى اتفق ان زار المدرسة يعقوب باشا وكيل النظارة ورأى بعينه ما رأى فعاد الى الديوان وأصدر أمراً بمنع ذلك

واذكر خبر (مسزجريفثس) الناظرة الاولى للمدرسة السنية التي كانت قبل (فوزيز) التي عزلت في السنة الماضية فلقد كانت من خير من انبتت أرض الانكليز تربية وحرية ونضيلة وانصافاً ولا أغلو في الاطراء ، اذا صعدت بها أفق الفلاسفة والحكماء . ومن مآثرها ان اقترحت على نظارة المعارف أن تلزم جميع البنات في

مدارسها بتعلم الديانة الاسلامية والتربية عليها عملاً . قالت : ان تعالماً بلا تربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضروري فلا يصح ان يكون في مدرسة واحدة دينان وان أولى الاديان بالترجيح في مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة وأكثراًها الى البلاد فالنتيجة أنه يجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية في مدرسة البنات وجعلها الزامية . ومن آثارها تقطيع البنات ، وكنّ قباهم في المدرسة حاسرات ، فأخبرها بعض المعلمين لما عرف فضلها بأن كشف رؤس البنات أمام المعلمين محرم في الديانة الاسلامية وان الصلاة لا تصح من مكشوفة الرأس فكشبت الى النظارة تطلب ان تجعل لكل بنت في المدرسة قناعين في السنة فاجيب طلبها . فطلب هذه النظارة الحكيمة الفاضلة تعميم التربية الدينية حجة على النظارة وقد كانت احدي « ضمانات » ناظر المعارف ولكنها لم تكن شيئاً بل لم يطل عايتها الامد في المدرسة حتى استبدلت بها النظارة فوربز

اعتقد المصريون العارفون بخبرها ان المستر دنلوب تهم عليها أنها غير متعصبة للديانة المسيحية فأخرجها وهو العامل المستقل في النظارة بدون « ضمانات » الناظر وزاد هذا الاعتقاد رسوخاً سوء سيرة النظارة التي خلفتها ولكن القوم لم يابشوا ان عزلوا النظارة الاخرى لما كثر الارجاف بها وانكروا عليها مخادعة المستر هوتن المفتش الانكليزي في المدارس واستبدادها في المدرسة . ويقال ان اللورد كرومر هو الذي أوعز الى النظارة والمفتش أن يستقيلاً معاً وايمازه حكم لا يرد . نعم كان من سوء سيرة هذه النظارة استقالة الاستاذين الفاضلين الشيخ حسن منصور والشيخ محمد عن العرب من المدرسة ومن خدمة معارف الحكومة وهما من خير الاساتذة تعالماً وتربية بل لا يوجد في مصر افضل منهما لتعليم البنات . فكانت استقالتهما من أسباب سوء الاعتقاد بالنظارة وان شئت فقل بالاحتاين وكانت الجرائد كالأهالي مجمعة على عدم الرضي بحالة المدرسة ولا يوجد فيما أعلم موظف في الحكومة اتفقت على الارتياح لعزله الجرائد الاسلامية والقبطية والسورية الا المستر هوتن ونظارة المدرسة السنية

عدّ هذا العقلاء محمداً للمحتلين ولم يشذ عن هذا الاحداث السياسة المشهور بالخطأ في كل ما يكتب فقد اتخذ عزل النظارة والمفتش دليلاً على سوء قصد المحتلين ولاك عرضهما لو كلاً خرج به عن محيط الادب وكتب كتابة لا يصح ان تكتب في الجرائد التي تعرض على جميع الانظار ولكن كلامه لا اثر له في الامة وقد مضى الزمن الذي

كان الناس يرون فيه كل عمل يعملونه المحتلون قبيحاً فقد زالت غشاوة السياسة الحرقاء عن عيون الأكثرين فهم يرون الحسن حسناً والقبيح قبيحاً وقد قلنا في النبذة الماضية انه لم تبق نظارة ولا مصاحبة للحكومة الا واعترف الاهالي بالاصلاح الذي حصل فيها الا نظارة المعارف فانها لاتزال مثاراً لسوء الظن لأن الاصلاح الحقيقي انما يكون في التربية والتعليم والناس يقولون ان التعليم تدلى في عهد الاحتلال وصار سيره دون ما كان عليه من قبل وان تحسن نظامه. واني أرى الواقفين على عناية المعارف الجديدة باعانة الكتابيب الاهلية وتنظيمها مع ابقائها على استقلالها يحمدون ذلك ويعدون من الاصلاح ولا ينكرون منه الا كون حفظ القرآن غير مكافئاً عليه وانها لغلطة من واضع القانون لم تغن عنها الضمانات الخمس، شيئاً بل لأراي في هذا القانون الضمانات، فعسى ان يصلحه المستردنلوب في سنة اخرى فيكون له ولقومه التناء الجميل.

هذا — وقد كدنا نخرج عن موضوع هذه النبذة وهو تعليم البنات وتربيتهن فالامة تطلب والعدالة تشفع ان تكون عناية المعارف بتربية البنات الدينية أشد ولكن قانون التعليم والعمل الذي في المدارس يدلان على ماقلناه من اهمال التربية والتقصير في التعليم فالى ذلك توجه انظار أهل الحل والعقد العاملين

بَابُ الْخَبَرِ الْكَلَامِ

﴿ مستقبل الحجاز . وأمير مكة المكرمة ﴾

نشر المؤيد الأغرم من أيام رسالة مطولة « لعثماني صادق » عنوانها (مستقبل الحجاز) تكلم فيها صاحبها عن حالة البلاد في هذه الأيام كلاماً تاريخياً ينبغي أن يعلم وحمل على أميرها الشريف (عون الرفيق باشا) حملة منكرة عدله فيها سيئات اذا صحت الرواية فهي اقبح السيئات ولكن الكاتب عد عليه أيضاً ما يعد له فكان بذلك متهماً بالغرض أو الجهل وقلما نجد كاتباً يقف عند حدود الاعتدال . اما السيئات الحقيقية فهي الظلم في أرض الحرم والاستبداد في الحكم وعدم العناية بحفظ الامن بل اتهمه باغراء الأعراب بالحجاج اسباب المال منهم وهذا شيء عظيم لانلوم الكاتب على التطويل بذمه ونقده وان كان أكثر كلاماً من قبيل الشعر لامن قبيل سرد الحقائق وبيان الاوصاف .

ويظهر أن الغرض من الكتابة حمل السلطان على عزل الشريف من اماره مكة المكرمة . ومن غلو الكاتب المتكر شراً مخاطبة السلطان والاستغانة به بكلام لا يقال الا في الله تبارك وتعالى كقوله « قاليك يتوسل المسلمون ، وبك يستغيث المؤمنون ، ياغيث المستغيثين ، وأمان الخائفين » . وانه لكلام تقشعر من توجيهه لغير الله تعالى قلوب المؤمنين . واذا كانت مبالغته في الذم على نسبة مبالغته في المدح فلا شك انه كاذب فيما كتب فالذي يجعل السلطان آلها أتباعاً لهواه لا يبعد ان يجعل الشريف شيطاناً أتباعاً لهواه . وعجيب من المؤيد كيف نشر هذا الاطراء وأقره .

ولولا ان الطاعنين في هذا الأمير كثيرون لما حفلنا بهذه الرسالة وقد كنا نوهنا في المنار (١٤ : ٢) الصادر في ٩ صفر سنة ١٣١٧ برسالة مطبوعة وردت علينا في بريد سنغافور اسمها « ضحيج الكون . من فظائع عون » وهي مملوءة بالشكوى من الشريف وقد كتب الينا يومئذ انها ترجمت ووزعت في الأقطار فكان لها تأثير عظيم « حتى ان بعض المساجد قطع الخطبة لمولانا الخليفة أيده الله تحاشياً من الكذب بأنه خادم الحرمين الشريفين » وقد ارسلت هذه الرسالة يومئذ الى الحضرة السلطانية ويظهر ان ذلك كان من عمل جمعية ولكن لم يظهر لها أثر لأن الشريف متفق مع السلطان والسلطان راضٍ عنه

وصاحب رسالة « مستقبل الحجاز » يؤكد القول بأن الشريف يجتهد في إقناع الناس بأنه لا يفعل فعلة الا باذن السلطان ومرضاه لينفرض منه فاذا ثبت هذا للسلطان فربما يعزل الشريف أو يرسل اليه والياً حازماً يغلب يده ويحفظ الأمن ويكون هذا حجة على الذين يقولون ان السلطان يحب أن يكون الشريف ظالماً غاشياً ليعلم المسلمون في جميع أقطار الارض بأن حكم الترك أفضل من حكم أشراف العرب .

ومما عده صاحب الرسالة (مستقبل الحجاز) من سيئات الشريف هدم بعض القبور والقبب والمساجد التي بنيت على بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وتقصد لزيارتهم وقال إنه أزعجهم في قبورهم وكذلك القبر المنسوب الى أمنا حواء عليها السلام . ومن أين لمثل هذا الكاتب الذي عده هذه الاعمال ذنباً لا يفقر أن يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بطمس القبور المشرقة ونهى عن بناء المساجد على القبور ولعن فاعليها ونهى عن شد الرحال الى مثاها

أخرج الامام أحمد ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم

عن أبي الهياج الاسدي عن علي رضي الله عنه انه قال « أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدع تمثالاً الا طمسته ولا قبراً مشرفاً الا سويته » قال الامام الشوكاني في شرح هذا الحديث بعد ما رجح أن رفع القبور زيادة عن القدر المأذون فيه حرام ما نصه :

« ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أولياً القبر والمشاهد المعمورة على القبور وأيضاً هو من اتخذ القبور مساجد وقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعل ذلك كما سيأتي وكما قد سري عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاصد يبيحها الاسلام . منها اعتقاد الجهمية لها كاعتقاد الكفار للأصنام . وعظم ذلك فظنوا انها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح الطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشدوا اليها الرحال وتمسكوا بها واستغاثوا . وبالجملة انهم لم يدعوا شيئاً مما كانت تفعله بالأصنام الا فعلوه فانا لله وانا اليه راجعون . ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع ، لا نجد من يغضب الله ويغتار حمة للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً . وقد توارد اليانا من الاخبار ما لا يشك معه ان كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم ذاتوجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً فإذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعنقدك الولي الفلاني تلغثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق . وهذا من أبين الأدلة الدالة على ان شركهم قد بلغ فوق شرك من قال انه تعالى ثاني اثنين او ثالث ثلاثة . فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أي رزء الاسلام أشد من هذا الكفر ؟ وأي بلاء لهذا الدين اضر عليه من عبادة غير الله ؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأي منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك الين واجباً ؟ » اهـ ثم تمثل الشوكاني بعد ما تقدم بقول الشاعر :

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى

ولو ناراً ففخت بها اضاءات ولكن أنت تنفخ في رماد

والسبب في موت العلماء والامراء الذي عناء بالتمثيل هو اختيار مرضاة العوام الذين فش فيهم هذا المنكر على مرضاة الله تعالى فاعوام بمقتضى طبيعة الكون تبع لهم ولكنهم لضعف ارادتهم وانحلال عزائمهم جعلوا أنفسهم تبعاً للعوام وسيتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا

واخرج احمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث جابر أنه قال : « نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وإن يكتب عليه وأن يبنى عليه » ولفظ الكتابة لم يذكره مسلم ولكنه على شرطه كما قال الحاكم والتجصيص الطلاء بالجص وهو الكلس والحير والنهي حقيقة في التحريم

واخرج احمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » زاد مسلم والنسائي وأخرج أحمد وأصحاب السنن إلا ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وقد عدّ العلماء اللعن من علامة كون المعصية من الكبائر وما كان كذلك يجب إزالته . فإذا تصدى مثل شريف مكة لازالة هذا المنكر عملاً بسنة جده عليه أفضل الصلاة والسلام لقدرة على ذلك لعدم عاصياً ومبتدعاً لقول كاتب جاهل ومجهول ونخاطب السلطان بما لا يخاطب به إلا الله عز وجل لأجل التكيل به ؟؟ لقد انقلب المعروف منكراً والمنكر معروفاً فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

أما مستقبل الحجاز فهو مما لا يصح لمثل هذا الكاتب أن يخوض فيه إلا إذا عرف ماورد من الأخبار النبوية فيه وأخذ حظاً من علم طبائع الأمم وسنم بشيء من ذلك أن شاء الله تعالى في مقالة نكتبها في مستقبل الاسلام . ولا يفهم من انتصارنا للحق في مسألة القبر ومساجد القبور أننا نتصر لأشريف على كل حال فأننا كنا اول من وجه أنظار مولانا السلطان أيّد الله دولته الى تحقيق ماينسب اليه في أمر الامن وعده والظلم في الحرم وفعل مايجب من ازالة ذلك وذلك من مدة سنتين كما أشرنا اليه في أوائل الكلام ونكرر ذلك الآن والله الموفق واليه ترجع الامور



(وفاة الشيخ أحمد الحيتبكي) نهي البنا بريد الهند في الشهر الماضي وفاة هذا العالم الفاضل والأديب الكامل الذي يعرف قراء المنار بعض فضله وغيرته الملية من قصائده التي نشرت في المنار مما كان ينشد في جمعية ندوة العلماء . وقد كانت وفاته في يوم بي في ١٩ محرم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وعزى آله واصدقاءه أحسن العزاء

(وفاة عقيلتين) في ١٧ صفر توفيت العقيلة عائشة عصمت كريمة المرحوم اسماعيل باشا تيمور وأخت الفاضل أحمد بك تيمور وكانت أديبة شاعرة في العربية والتركية والفارسية وقد لقبها المؤيد بشاعرة . مصر في هذا العصر . فتسأل الله أن يحسن عزاء أخيها وأنجاهها الكرام

وفي ١٩ منه توفيت والدته الفاضلة النبيلة أحمد بك تيمور فاجتمع على هذا الفاضل مصابان عظيمان في شهر واحد مصاب الأخت ومصاب الأم وله أكبر عزاء بما وفق له من اتباع السنة في تشييع الجنازة والمآثم إذ كان قدوة صالحة للناس الذين اعتادوا أن يراو في جناز الكبراء والأمراء ألوان البدع كحملة مجامر الفضة وصحافها المملأ بالرياحين وكطعمة الخدم المؤترة بأزر الحرير وكزعفة الصائحين بالاشمار والادعية والصلوات وغير ذلك . ولكن أحمد بك تيمور انفرد دون أولاد الباشوات في مصر بمزيد الاستقامة واتباع السنة والاشتغال بالعلم والأدب بل لا نكاد نرى في هذه البلاد شاباً مثله في استقامته وأدبه وإن كثيراً من أهل الفضل ليودون إبطال هذه العادات القبيحة ولكن إرادتهم ضعيفة لا تقوى على ما يتوهمون من الانتقاد ورميهم بالبخل على الموتى ومثل أحمد بك تيمور يصح أن يكون قدوة لهؤلاء إذا وفقهم الله تعالى

ولقد سمعت قفراً من العامة يتحدثون في الطريق ونحن مشاة في تشييع الجنازة يسأل بعضهم بعضاً عن السبب في خلو هذه الجنازة من الصياح والضجيج ونحوه مما أشرنا إليه آنفاً فاجابه آخر بأن هذا هو السنة فحمدت الله تعالى أن جعل في العامة من يفرق بين السنة والبدعة ويعرف أهاهما فكما نعزي صديقنا الكامل أحمد بك تيمور في مصابه نهته بما وفق له من إقامة السنة وخذل البدعة ونسأل الله أن يجعله قدوة حسنة لأمثاله من الوجهاء الذين هم قدوة لسائر الطبقات . في جميع التقاليد والعادات

(نصير محمد علي) استحسن الفضلاء ما كتبناه عن محمد علي وأعجبوا به وهنؤنا بخدمة الدين والأمة به الإحْدَث السياسة فانه شتمنا في جريدته وعيّرنا بلقب (الدخيل) يعني أننا لسنا من سلالة الفراعنة وقد أمرنا الله بالأعراض عن مثله . ونحمد الله أننا من ذرية أفضل أنبيائه فوالدنا حسين وأما حسنية ، وذلك أفضل عند كل مسلم من السلالة الفرعونية . وأما إرجاف الحدث بذكر الاستعدادات ثورة كالثورة العرابية فهو مما لا يفهم لأن الثورة لا تكون إلا لمقاومة قوة ولا قوة في مصر إلا للمحتلين فإن كنا نحن ومن « ينصروننا » نريد أن نشور عايهم فأننا نستحق من سعادة الحدث الثناء لا الذم وإن كان يعني أننا نشور على جانب آخر فذلك الجانب هو الذي يشكو الحدث دائماً من سلب حقوقه ونشكو نحن والعقلاء من الثورات المعنوية التي هاجها عليه هذا الحدث وأمثاله وكان من أثرها ما كان وما هو كائن مادام هؤلاء الأحداث متصايين به

(تصحيح) في السطر ٨ من الصفحة ١٧٠ كلمة رجال وصوابها (رجالاً) فلتصحح

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أول الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاحد ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٢٠ — ٢٢ يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٢)

القسم الدينى

(باب تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية)
وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا
فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ *

محمل الآيات السابقة ان هذا العالم لما استعد لوجود هذا النوع
الانساني واقنضت الحكمة الإلهية إيجاده واستخلافه في الأرض آذن
الله تعالى الأرواح المنبثة في الأشياء لتديرها ونظامها بذلك وأن تلك
الأرواح فهمت من معنى كون الانسان خليفة انه يفسد النظام ويسفك الدماء

حتى أعلمها الله تعالى بان علمها لم يحيط بمواقع حكمته ولا يصل الى حيث يصل علمه تعالى ثم اوجد آدم وفضله بتعليمه الاسماء كلها. على ان كل صنف من تلك الارواح لا يعلم الا طائفة منها ولذلك أخضع له تلك الأرواح الا روحاً واحداً هو مبعث الشر ومصدر الإغواء فقد أبى الخضوع واستكبر عن السجود لما كان في طبيعته من الاستعداد لذلك والاستعداد في الشيء إنما يظهر بظهور متعلقه فلا يقال : اذا كان لكل روح من هذه الأرواح والقوى الغيبية علماً محدوداً فكيف ظهر من الروح الإبليسي ما لم يسبق له وهو مخالفة الأمر بالسجود لآدم والتصدي لإغوائه ؛ لأنه كان مستعداً لهذا المصيان والإباء فلما أمر عصى ولما وجد خلقاً مستعداً للوسوسة اتصل به ووسوس اليه كما ان ألوان الورق أو الزهر موجودة كامنة في البزرة ولكنها لا تظهر الا عند الاستعداد ببلوغ الطور المحدود من النمو

ومجمل الآيات اللاحقة ان الله تعالى أمر آدم وزوجه بسكنى الجنة والتمتع بها ونهاهما عن الاكل من شجرة مخصوصة واخبرهما ان قريبا ظلم وان الشيطان ازلها عنها فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم ثم ان آدم تاب الى الله من معصيته فقبله ثم جعل سعادة هذا النوع باتباع هدى الله وشقاءه بتركه . وقد تقدم ان الآيات كلها قد سيقّت للاعتبار ببيان الفطرة الالهية التي فطر عليها الملائكة والبشر وتسليمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يلاقي من الانكار . وقد تقدم وجه ذلك في الايات السابقة وأما وجهه في هذه الآيات فظاهر وهو ان المعصية من شأن البشر كانه يقول فلا تأس يا محمد على القوم الكافرين ولا تبخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا

بهذا الحديث أسفا . وان المعصية أيضا مجلبة الشقاء وان أمر البشر استقر على ان سعادتهم في اتباع الهداية الالهية وضدها بالاخذ بضدها
أما تفسير هذه الآيات بالتفصيل فقد اختلف علماء المسلمين من أهل السنة وغيرهم في (الجنة) هل هي البستان أو المكان المحتف به الاشجار بحيث يستتر الداخل فيه كما يفهمه أهل اللغة ام هي الدار الموعود بها في الآخرة . والمحققون من أهل السنة على الاول . قال الامام أبو منصور الماتريدي في تفسيره المسمى بالتأويلات نعتقد ان هذه الجنة بستان من البساتين او غيضة من الغياض كان آدم وزوجه منعمين فيها وليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها . وهذا هو مذهب السلف ولا دليل لمن خاض في تعيين مكانها من أهل السنة وغيرهم

وبهذا التفسير تتحل اشكالات كثيرة وهي ^(١) ان الله خلق آدم في الارض ليكون هو ونسله خليفة فيها فالخلافة مقصودة منهم بالذات فلا يصح ان تكون عقوبة عارضة . و (٢) انه لم يذكر انه بعد خلقه في الأرض عرج به الى السماء ولو حصل لذكر لأنه أمر عظيم . و (٣) ان الجنة الموعود بها لا يدخلها الا المؤمنون المتقون فكيف دخلها الشيطان الكافر الملعون . و (٤) إنها ليست محلا للتكليف . و (٥) انه لا يمنع من فيها من التمتع بما يريد منها . و (٦) انه لا يقع فيها العصيان . وبالجملة انه لا تنطبق الاوصاف التي وصفت بها الجنة الموعود بها على ما كان في جنة آدم . ومنه كون عطاياها غير مجذوذ ولا مقطوع وغير ذلك . يقول كاتب هذه السطور : وقد ظهر لي الآن وجه آخر لم يذكره الاستاذ الامام ولم أراه في كتب التفسير وهو ان القول بأن آدم أسكن جنة الآخرة يقتضي أن

تكون الآخرة هي الدار الأولى والدنيا فتكون التسمية للدارين غير صحيحة وينافي أيضاً كون الجنة دار ثواب يدخلها المتقون جزاء بما كانوا يعملون كما ورد في الآيات الكثيرة وقد قال تعالى « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » ولم يقل (ادخل) ولو انتقل من الارض التي خلق فيها الى الجنة لقال هذا أو ما بمعناه مما يشير الى الانتقال فقوله « اسكن » يشير الى ان الخلقة كانت في تلك الجنة . وقوله « وكلامها رغداً حيث شئتما » إباحة للتمتع بتلك الجنة والنعيم بما فيها الا شيئاً واحداً نهاهما عنه بقوله « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » لانفسكما بالوقوع فيما يترتب على الأكل منها . ولم يعين الله تعالى لنا هذه الشجرة فلا نقول في تعيينها شيئاً وانما نعلم ان ذلك لحكمة اقتضت ذلك (ولعل في خاصية تلك الشجرة ما هو سبب خروجها من حال الى حال) وربما كان في الأكل منها ضرر لهما او كان النهي ابتلاء وامتحاناً منه تعالى ليظهر به مافي استعداد الانسان من الميل الى الإشراف على كل شيء واختباره وان كان في ذلك معصية يترتب عليها ضرر

قال تعالى « فازلهم الشيطان عنها » والشيطان ابليس الذي لم يسجد ولم يخضع وقد وسوس لهما حتى أوقعهما في الزلل وحملهما على الأكل من الشجرة فأكلتا « فأخرجهما مما كان فيه » من ذلك المكان أو النعيم الذي فيه فكان الذنب متصلاً بالعقوبة اتصال السبب بالمسبب . ثم بين الله تعالى كيفية الاخراج بقوله « وقلنا اهبطوا منها جميعا » يعني آدم وزوجه وابليس فلا حاجة لتقدير ارادة ذرية آدم بالجمع كما فعل مفسرنا (الجلال) فان العداوة في قوله عز وجل « بعضكم لبعض عدو » تنافي هذا التقدير فان العداوة بين الانسان

والشيطان لا بينه وبين ذريته ، والأصل في الهبوط ان يكون من مكان عال الى أسفل منه ولذلك احتج به من قال ان آدم كان في السماء وقد يستعمل في مطلق الانتقال أو مع اعتبار الملو والسفل في المعنى ولا يبعد ان تكون تلك الجنة في ربوة فسمى الخروج منها هبوطاً أو سمي بذلك لان ما انتقلوا اليه دوز ما كانوا فيه أو هو كما يقال هبط من بلد الى بلد وقوله تعالى « اهبطوا مصر » ثم قال تعالى « ولكم في الارض مستقرٌ ومتاع الى حين » أي ان استقر اركم في الارض وتمتعكم فيها ينهيان الى زمن محدود وليسا بدائمين . ففي الكلام فائدتان احدهما ان الارض مهيأة ومهيأة للمعيشة فيها والتمتع بها والثانية ان طبيعة الحياة فيها تنافي الخلود والدوام فليس الهبوط لأجل الإيابة ومحو الآثار وليس للخلود كما زعم ابليس بوسوسته إذ سعى الشجرة المنهي عنها « شجرة الخلد وملك لا يبلى » يعني أن الله أخرجهم من جنة الراحة الى أرض العمل لا ليفنيهم وعبر عن ذلك بالاستقرار في الارض ولا ليعاقبهم بالحرمان من التمتع بخيرات الارض وعبر عن ذلك بالمتاع ولا ليمتعهم بالخلود وعبر عن ذلك بكون الاستقرار والمتاع الى حين .

ثم قال « فلتقى آدم من ربه كلمات » أي ألهمه الله اياها فأجاب اليه بها وهي كما في سورة الاعراف « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » تاب آدم بذلك « فتاب » الله « عليه انه هو التواب الرحيم » . وبقى مما يتعاق بهذا التفسير مسألتان قدأكثر الناس الكلام فيهما وهما مسألة خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم ومسألة عصاة آدم . فاما الاولى فليس في القرآن نص فيها ولا يلزمنا حمل قوله تعالى « وخلق منها زوجها » على ذلك لأجل مطابقة سفر التكوين فان القصة لم ترد في القرآن

كما وردت في التوراة التي في أيدي أهل الكتاب حكاية تاريخية وإنما جاء القرآن بموضع العبرة في خلق آدم واستعداد الكون لأن يتكامل به وكونه قد أعطى استعدادا في العلم والعمل لانهاية لهما ليظهر حكم الله وقيم سنته في الارض فيكون خليفة له وكونه لا يسلم من داعية الشر والتأثر بالوسوسة التي تحمل على المعصية . ولكون التاريخ غير مقصود له لأن مسائله من حيث هي تاريخ ليست من مهمات الدين من حيث هو دين وإنما ينظر الدين من التاريخ الى وجه العبرة لا غير لذلك لم يبين الزمان والمكان كما جاء في سفر التكوين وكان سببا لرفض الباحثين في الكون وتاريخ الخليقة دين النصرانية لأن العلم المبني على الاختبار والمشاهدة أظهر خطأ ما جاء من التاريخ في التوراة ووجدت للانسان آثار في الارض تدل على انه أقدم مما حددته التوراة في تاريخ تكوينه . فقام فريق من أهل الكتاب يركب التعاسيف في التأويل ، وفريق يكفر بالكتاب والتنزيل ،

وأما مسألة عصمة آدم فالجري على طريقة السلف يذهب بنا الى ان العصيان والتوبة من التشابه كسائر ماورد في القصة مما لا يركن العقل الى ظاهره ولنا ان نقول ان تلك مخالفة صدرت منه قبل ان يدركه عزم النبوة كما قال جل شأنه (فنتسى ولم نجد له عزما) والاتفاق انما هو على العصمة عن مخالفة الاوامر بعد النبوة وقد يكون الذي وقع من آدم نسيانا فسمي تفخيما لامره عصيانا والنسيان والسهو مما لا ينافي بالعصمة فان جعلنا الكلام كله تمثيلا فحديث الاخلال بالعصمة مما لا يمر بذهن العاقل

وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف في التمثيل فيقال فيه : ان القرآن كثيرا ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو

باسلوب الحكاية لما في ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الاذهان ، الى ما وراءها من المعان ، كقوله تعالى « يومَ تقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » فليس المراد ان الله تعالى يستفهم منها وهي تجاوبه وانما هو تمثيل لسعتها وكونها لا تضيق بالمجرمين مهما كثروا . ونحوه قوله عز وجل بعد ذكر الاستواء الى خلق السماء « فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا اتينا طائعين » والمعنى في التمثيل ظاهر

وتقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب هكذا : ان إخبار الله الملائكة بجعل الانسان خليفة في الارض هو عبارة عن تهيئة الارض وقوى هذا العالم وأرواحه التي بها قوامه ونظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها فيكون به كمال الوجود في هذه الارض . وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الارض لانه يعمل باختياره ويعطى استعدادا في العلم والعلم لاحد لهما هو تصوير لما في استعداد الانسان لذلك وتمهيد لبيان انه لا ينافي خلافته في الارض . وتليم آدم الاسماء كلها بيان لاستعداد الانسان لعلم كل شئ في هذه الارض وانتفاعه به في استثمارها . وعرض الاسماء على الملائكة وسؤالهم عنها وتنصاتهم في الجواب تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الارواح المدبرة للموالم محدوداً لا يتعدى وظيفته . وسجود الملائكة لآدم عبارة عن تسخير هذه الارواح والقوى له ينتفع بها في ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك . وإياء ابليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الانسان عن إخضاع روح الشر وإبطال داعية خواطر السوء التي هي مشار التنازع والتخاصم والتعدي والافساد في الارض ولولا ذلك لجاء على الانسان زمن يكون فيه افراده كالملائكة أو

يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري
 هذا ملخص ما تقدم في سابق آيات القصة . وأما التمثيل فيما نحن فيه
 فيصح عليه ان يراد بالجنة الراحة والنعيم فان من شأن الانسان ان يجد في
 الجنة التي هي الحديقة ذات الشجر الملتف ما يلذ له من مرأى وما أكل
 ومشروب ومشعوم ومسموع كخفيف الريح بالاغصان وأصوات الطيور
 التي تأوي الى الاشجار . ويصح ان يعبر عن السعادة بالكون في الجنة .
 ويصح ان يراد بآدم نوع الانسان كما يطلق اسم أبي القبيلة الاكبر على القبيلة
 فيقال : كلب فعل كذا ويراد قبيلة كلب . وكان من قريش كذا يعني القبيلة
 التي أبوها قريش وفي كلام العرب كثير من هذا

ويصح ان يراد بالشجرة معنى الشر والمخالفة كما عبر الله تعالى في مقام
 التمثيل عن الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة وعن الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة
 وفي الحديث تشبيه المؤمن بشجرة النخل . ويصح ان يكون المراد بالامر
 بسكنى الجنة وبالهبوط منها أمر التكوين فقد تقدم ان الامر الالهي قسمان
 أمر تكوين وأمر تكليف والتكوين هو المراد بقوله تعالى « انما أمره
 اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون »

والمعنى على هذا ان الله تعالى كوّن النوع البشري على ما شاهد في
 الاطوار التدريجية التي قال فيها سبحانه « وخلقناكم اطواراً » فاولها طور
 الطفولية وهي لاهم فيها ولا كدر وإنما هي لعب ولهو كأن الطفل دائماً في
 جنة . ملتفة الاشجار ، يانعة الثمار ، جارية الانهار ، متناغية الاطيار ، وهذا
 معنى « أسكن أنت وزوجك الجنة » وذكر الزوجة مع ان المراد بآدم
 النوع الآدمي للتنبيه على الشمول وعلى ان استعداد المرأة كالاستعداد

الرجل في جميع الشؤون البشرية . فأمرُ آدم وحواء بالسكنى أمر تكوين أي أنه تعالى كَوَّنَ البشر ذكورا وإناثا هكذا . وأمرُهما بالأكل حيث شاءا عبارة عن اباحة الطيبات وإلهام معرفة الخير . والنهي عن الشجرة عبارة عن إلهام معرفة الشر وإن الفطرة تهدي الى قبحه ووجوب اجتنابه . وهذان الالهامان اللذان يكونان للانسان في الطور الثاني وهو طور التمييز هما المراد بقوله تعالى «وهديناه النجدين» . ووسوسة الشيطان وإزالته لهما عبارة عن وظيفة تلك الروح الخبيثة التي تلبس النفوس البشرية فتقوي فيها داعية الشر أي ان الهام التقوى والخير أقوى في فطرة الانسان أو هو الاصل ولذلك لا يفعل الشر الا بملاسة الشيطان له ووسوسته اليه . والخروج من الجنة مثال لما يلاقيه الانسان من البلاء والعناء بالخروج عن الاعتدال القطري . وأما تلقي آدم الكلمات وتوبته فهو بيان لما عرف في الفطرة السليمة من الاعتبار بالمعقوبات التي تعقب الافعال السيئة ورجوعه الى الله تعالى عند الضيق والتجأته اليه في الشدة . وتوبة الله تعالى عليه عبارة عن هدايته إياه الى المخرج من الضيق والتفتت من شرك البلاء ، بعد ذلك الاعتبار والاتجاء ، وذكرُ توبة الله على الانسان ترد ماعليه النصارى من اعتقاد ان الله تعالى قد سجل معصية آدم عليه وعلى بنيه الى ان يأتي عيسى ويخلصهم منها وهو اعتقاد تنبذه الفطرة ويرده الوحي المحكم المتواتر

فخاصل القول ان الاطوار القطرية للبشر ثلاثة - طور الطفولية وهو طور نعيم وراحة وطور التمييز الناقص وفيه يكون الانسان عرضة لاتباع الهوى بوسوسة الشيطان وطور الرشد والاستواء وهو الذي يعتبر فيه بنتائج الحوادث ويلتجأ فيه عند الشدة الى القوة الغيبية العليا التي

منها كل شيء واليه يرجع الأمر كله . فالإنسان في افراده مثل للإنسان في مجموعه . قال الأستاذ: فهكذا كان تدرج الإنسان في حياته الاجتماعية ابتداءً ساذجاً سليم الفطرة قويم الوجهة مقتصرًا في طلب حاجاته على القصد والعدل متعاونًا على دفع ماعساه يصيبه من منزعجات الكون وهذا هو العصر الذي يذكره جميع طوائف البشر ويسمونه بالذهبي

ثم لم يكفه هذا النعيم المرفه فمد بعض افراده أيديهم إلى تناول ما ليس لهم طاعة للشهوة وميلًا مع خيال اللذة وتنبه من ذلك ما كان نائمًا في نفوس سائرهم فتار النزاع وعظم الخلاف واستنزل الشقاء وهذا هو الطور الثاني وهو معروف في تاريخ الأمم

ثم جاء الطور الثالث طور العقل والتدبر ووزن الخير والشر بميزان النظر والفكر وتحديد حدود للأعمال تنتهي إليها نزعات الشهوات ويقف عندها سير الرغبات وهو طور التوبة والهداية إن شاء الله . وبقي طور آخر أعلى من هذه الأطوار ، وهو منتهى الكمال . وأئني به طور الدين الإلهي والوحي السماوي الذي به كمال الهداية الإنسانية وبيانها في الآية الآتية

(شروط الواقفين • وعدم التعبد بكلام غير المعصومين)

جرى على الألسنة واشتهر بين الناس قول بعض الفقهاء « إن شرط الواقف كنص الشارع » وهو ما عليه عمل المحاكم من عهد بعيد إلى اليوم فيتمسكون بكلمات كتبت في « الوقفيات » وربما لم يكن يفهمها الواقف وإنما كتبها الكاتب فيما يكتب من عباراته التقليدية ويتركون أحيانًا المقصود

من الوقف للشارع وللواقف وقوفا عند هذه الالفاظ . وقد رأيت بحثاً
نفسياً في هذا الموضوع الامام الحافظ الفقيه ابن القيم في كتابه (اعلام
الموقعين) أحببت ان أنشره في المنار ليعلم الناس ان ديننا دين مقاصد عالية
ومصالح تقوم بها المنفعة لا دين الفاظ تبتدع ثم تتبع قال رحمه الله تعالى
مناقشا فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية في مسائل خالفوا فيها النص أو
خرجوا عن القياس الصحيح مانصه بمقدمته :

« فصل : وقالت الحنفية والمالكية والشافعية اذا شرطت الزوجة

ان لا يخرج الزوج من بلدها أو دارها وان لا يتزوج عليها ولا يتسرى فهو
شرط باطل فتركوا محض القياس بل قياس الأولى فانهم قالوا لو شرطت
في المهر تأجيلاً أو غير نقد البلد أو زيادة على مهر المثل لزم الوفاء بالشرط
• فأين المقصود الذي لها في الشروط الاولى الى المقصود الذي لها في هذا
الشرط ؟ وأين فواته الى فواته ؟ وكذلك من قال منهم لو شرط ان
تكون جميلة شابة سوية فبانت عجوزا شمطاء قيحة المنظر انه لا فسخ لاحدها
بفوات شرطه حتى اذا فات درهم واحد من الصداق فلها الفسخ بفواته
قبل الدخول فان استوفى المعقود عليه ودخل بها وقضى وطره منها ثم
فات الصداق جميعه ولم تظفر منه بحبة واحدة فلا فسخ لها • وقستم
الشرط الذي دخلت عليه على شرط ان لا يودها ولا ينفق عليها ولا
يطأها ولا ينفق على أولاده منها ونحو ذلك مما هو من أفسد القياس
الذي فرقت الشريعة بين ما هو أحق بالوفاء منه وبين ما لا يجوز الوفاء به
وجعتم بين ما فرق القياس والشرع بينها وألحتم أحدها بالآخر • وقد
جعل النبي صلى الله عليه وسلم الوفاء بشروط النكاح التي يستحل بها الزوج

أمراته أولى من الوفاء بسائر الشروط على الإطلاق فجعلتموها أنتم دون سائر الشروط وأحقها بعدم الوفاء

« وجعلتم الوفاء بشرط الواقف المخالف لمقصود الشارع كترك التكاح (أي بأن وقف على أهل هذه التكية مالم يتزوجوا) وكشرط الصلاة في المكان الذي شرط الصلاة فيه وإن كان (المصلي) وحده وإلى جانبه المسجد الأعظم وجماعة المسلمين . وقد ألغى الشارع هذا الشرط في النذر الذي هو قرينة محضة وطاعة فلا تتمين عنده بقمة عينها الناذر للصلاة إلا بالمساجد الثلاثة (المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس) وقد شرط الناذر في نذره تعيينه فألغاه الشارع بفضيلة غيره أو مساواته له فكيف يكون شرط الواقف الذي غيره أفضل منه وأحب إلى الله ورسوله لازماً يجب الوفاء به ؟ وتعيين الصلاة في مكان معين لم يرغب الشارع فيه ليس بقربة وماليس بقربة لا يجب الوفاء به في النذر ولا يصح اشتراطه في الوقف

« فإن قلتم : الواقف لم يخرج ماله إلا على وجه معين فلزم اتباع ما عينه في الوقف من ذلك الوجه والناذر قصد القرينة والقرب متساوية في المساجد غير الثلاثة فتعين بعضها لغو . قيل فهذا الفرق بعينه يوجب عليكم إلغاء مالا قرينة فيه من شروط الواقفين واعتبار ما فيه قرينة فإن الواقف إنما مقصوده بالوقف التقرب إلى الله فتقربه بوقفه كتقربه بنذره فإن العاقل لا يبذل ماله إلا لما فيه مصلحة عاجلة أو آجلة والمرء في حياته قد يبذل ماله في أغراضه مباحة كانت أو غيرها وقد يبذله فيما يقربه إلى الله . وأما بعد مماته فأنما يبذله فيما يظن أنه تقرب إلى الله . ولو قيل

له ان هذا المصرف لا يقرب الى الله عز وجل أو ان غيره أفضل منه وأحب الى الله منه وأعظم أجراً لبادر اليه . ولا ريب ان العاقل اذا قيل له اذا بذلت مالك في مقابلة هذا الشرط حصل لك أجر واحد وان تركته حصل لك أجران فانه يختار ما فيه الاجر الزائد فكيف اذا قيل له ان هذا لأجر فيه البتة ؟ فكيف اذا قيل له انه مخالف لمقصود الشارع . مضاداً له يكرهه الله ورسوله . وهذا كشرط العزوبة مثلاً وترك النكاح فانه شرط لترك واجب أو سنة أفضل من صلاة النافلة وصومها أو سنة دون الصلاة والصوم . فكيف يلزم الوفاء بشرط ترك الواجب والسنن اتباعاً لشرط الواقف وترك شرط الله ورسوله الذي قضاؤه أحق ، وشرطه أوثق ، « يوضحه انه لو شرط في وقفه ان يكون على الاغنياء دون الفقراء ، و كان شرطاً باطلاً عند جمهور الفقهاء ، قال أبو المعالي الجويني - هو امام الحرمين رضي الله عنه - : ومعظم أصحابنا قطعوا بالبطلان . هذا مع ان وصف الغنى وصف مباح ونعمة من الله وصاحبه اذا كان شاكراً فهو أفضل من الفقير مع صبره عند طائفة كثيرة من الفقهاء والصوفية فكيف يلغى هذا الشرط ويصح التهرب في الاسلام الذي أبطله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله « لا رهبانية في الاسلام » . يوضحه ان من شرط التزب فاما قصد ان تركه ^(١) أفضل وأحب الى الله فقصد ان يتعبد الموقوف عليه بتركه وهذا هو الذي تبرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه بعينه فقال « من رغب عن سنتي فليس مني » وكان قصد اولئك الصحابة ^(٢)

(١) كذا في الاصل والمراد ترك النكاح ولم يذكر في الجملة ولعله سقط من النسخ

(٢) يريد الذين أرادوا ترك الزوج كعثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه

هو قصد هؤلاء الواقفين بعينه سواء فانهم قصدوا ترفية^(٣) انفسهم على العبادة وترك النكاح الذي يشغلهم تقريباً الى الله بتركه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ما قال واخبر ان من رغب عن سنته فليس منه . وهذا في غاية الظهور فكيف يحل الالتزام بترك شيء قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان من رغب عنه فليس منه ؟ هذا مما لا تخمله الشريعة بوجه^(٤)

فالصواب الذي لا تسوغ الشريعة غيره عرض شروط الواقفين على كتاب الله سبحانه وعلى شرطه فما وافق كتابه وشرطه فهو صحيح وما خالفه كان شرطاً باطلاً مردوداً ولو كان مائة شرط وليس ذلك بأعظم من رد حكم الحاكم اذا خالف حكم الله ورسوله ومن رد فتوى المفتي . وقد نص الله سبحانه على رد وصية الجانف (وفي نسخة الخائف وكلاهما بمعنى الجائر) في وصيته والآثم فيها مع ان الوصية تصح في غير قرينة وهي أوسع من الوقف وقد صرح صاحب الشرع : كل عمل ليس عليه أمره فهذا الشرط مردود بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحل لأحد ان يقبله ويعتبره ويصححه

ثم كيف يوجبون الوفاء بالشروط التي انما أخرج الواقف ماله لمن قام بها وان لم تكن قرينة ولا للواقفين فيها غرض صحيح مما يقربهم الى الله

(٣) فسر الترفية في هامش الاصل بالنسكين والاقامة على الشيء (٤) أبعد من هذا عن قصد الشارع الوقف على تشريف القبور وبناء القباب المساجد عايتها وعلى إيقاد السرج والشموع عايتها وذلك من المحرمات التي لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمها فيجب على القاضي ان ينصح من أراد الوقف على محرم او مكروه وان لا يقبل منه وان يدلّه على أفضل ما يتقرب به الى الله تعالى بوقفه كمساعدة الجمعيات الخيرية وبناء المدارس لتعليم الامة

ولا يوجبون الوفاء بالشروط اتى انما بذات المرأة بضعها للزوج بشرط وفاته لها بها ولها فيها أصح غرض ومقصود وهي أحق من كل شرط يجب الوفاء به بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهل هذا الا خروج عن محض القياس والسنة ؟

ثم من المعجب المعجاب قول من يقول : ان شروط الواقف كنصوص الشارع . ونحن نبرأ الى الله من هذا القول ونعتذر اليه سبحانه مما جاء به قائله ولا نعدل بنصوص الشارع غيرها أبدا . وإن أحسن الظن بقائل هذا القول حمل كلامه على انها كنصوص الشارع في الدلالة وتخصيص عامها بخاصها وحمل مطلقها على مقيدها واعتبار مفهومها كما يعتبر منطوقها وأما ان تكون كنصوصه في وجوب الاتباع وتأثير من أدخل بشئ منها فلا يظن ذلك بمن له نسبة ما الى العلم . فاذا كان حكم الحاكم ليس كنص الشارع بل يرد ماخالف حكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك . فشرط الواقف اذا كان كذلك كان أولى بالرد والإبطال . فقد ظهر تناقضهم في شروط الواقفين وشروط الزوجات وخروجهم عن موجب القياس الصحيح والسنة وبالله التوفيق

« يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قسم يعطي الاهل حظين والعرب حظاً وقال « ثلاثة حق على الله عونهم » وذكر منهم الناكح يريد العفاف . ومصححوا هذا الشرط عكسوا مقصوده فقالوا نعطيهم مادام عزبا فاذا تزوج لم يستحق شيئا ولا يحل لنا ان نعينه لأنه ترك القيام بشرط الواقف وان كان قد فعل ما هو أحب الى الله ورسوله فالوفاء بشرط الواقف المتضمن لترك الواجب أو السنة المقدمة على

فضل الصوم والصلاة لا تحمل مخالفته ومن خالفه كان عاصيا آثما حتى اذا خالف الأحب الى الله ورسوله والارضى له كان باراً مثاباً قائماً بالواجب عليه؟

د يوضح بطلان هذا الشرط وأمثاله من الشروط المخالفة لشرع الله ورسوله انكم قلتم كل شرط يخالف مقصود العقد فهو باطل حتى أبطلتم بذلك شرط دار الزوجة أو بلدها وأبطلتم اشتراط البائع الانتفاع بالمبيع مدة معلومة وأبطلتم اشتراط الخيار فوق ثلاثة وأبطلتم اشتراط نفع البائع في المبيع ونحو ذلك من الشروط التي صححها النص والآثار من الصحابة والقياس كما صحح عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وعمر بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان اشتراط المرأة دارها أو بلدها وان لا يتزوج عليها ودات السنة على ان الوفاء به أحق من الوفاء بكل شرط وكما صححت السنة اشتراط انتفاع البائع بالمبيع مدة معلومة فأبطلتم ذلك وقلتم يخالف مقتضى العقد وصحتم الشروط المخالفة بمقتضى عقد الوقف لعقد الوقف إذ هو عقد قرينة مقتضاه التقرب الى الله تعالى ولا ريب ان شرط ما يخالف القرينة يناقضه مناقضة صريحة فاذا شرط عليه الصلاة في مكان لا يصلي فيه الا هو وحده أو واحد بعد واحد أو اثنان فعدوله عن الصلاة في المسجد الاعظم الذي يجتمع فيه جماعة المسلمين مع قدمه وكثرة جماعته فيتمدها الى مكان أقل جماعة وانقص فضيلة وأقل أجراً اتباعاً لشرط الواقف المخالف لمقتضى عقد الوقف خروج من محض القياس وبالله التوفيق

د يوضحه ان المسلمين مجمعون على ان عبادة الله في المسجد من الذكر والصلاة وقراءة القرآن أفضل منها عند المقابر فاذا منعم فعلها في بيوت الله سبحانه وأوجبتم على الموقوف عليه فعلها بين المقابر إن أراد ان

يتناول الوقف والا كان تناوله حراما كنتم قد ألزمتوه بترك الاحب الى الله الا نفع للعبد والمدول الى بعض المفضول والمنهي عنه (أي كالصلاة الى القبور أو بقربها) مع مخالفته لتصد الشارع تفصيلا وقصد الوانف إجمالا فإنه إنما يقصد الارضى لله والأحب اليه ولما كان في ظنه أن هذا إرضاء لله اشترطه فنحن نظرنا الى مقصوده ومقصود الشارع وأنتم نظرتم الى مجرد لفظه سواء وافق رضى الله ورسوله ومقصوده في نفسه أولا

« ثم لا يمكنكم طرد ذلك أبدا فإنه لو شرط ان يعلي وحده حتى لا يخالط الناس بل يتوفر على الخلوة والذكر أو شرط ان لا يشتغل بالعلم والفقه ليتوفر على قراءة القرآن وصلاة الليل وصيام النهار أو شرط على الفقهاء ان لا يجاهدوا في سبيل الله ولا يصوموا تطوعا ولا يصلوا الزوافل وأمثال ذلك فهل يمكنكم تصحيح هذه الشروط . فان أبطلتموها ففعل النكاح افضل من بعضها أو مساو له في أصل القرية وفعل الصلاة في المسجد الاعظم البتة الاكثر جماعة افضل وذكر الله وقراءة القرآن في المسجد افضل منها بين القبور فكيف تلزمون بهذه الشروط المفضولة وتبطلون ذلك ؟ فما هو الفارق بين ما يصح من الشروط وما لا يصح ؟ ثم لو شرط المبيت في المكان الموقوف ولم يشترط التعزب فأبجتم له الزوج فطالبتة الزوجة بحقها من المبيت وطالبتوه بشرط الواقف منه فكيف تقسمونها بينهما أم ماذا تقدمون ، أأوجب الله ورسوله من المبيت والقسم للزوجة مع ما فيه من مصلحة الزوجين وصيانة المرأة وحفظها وحصول الايواء المطلوب من النكاح ؟ أم ما شرطه الواقف وتعاملت شرطه أحق والوفاء به ألزم ؟ أم تمنعونه من النكاح والشارع والواقف لم يمنعه منه ؟

فالحق ان ميته عند أهله ان كان أحب الى الله ورسوله جاز له بل استحب
فلا نص ولا قياس ولا مصلحة للاوقاف ولا للموقوف عليه ولا مرضاة
لله ورسوله والمقصود بيان مافى الرأي والقياس من التناقض والاختلاف
الذي يبين انه من عند غير الله لان ما كان من عنده فانه يصدق به بضمه بعضا
ولا يخالف بعضه بعضاً وبالله التوفيق »

(المنار) ان مسألة الاوقاف هي من المسائل الحيوية في شؤون المسلمين فلو
احسن المسلمون إدارة الاوقاف الخيرية وصرفوها في الوجوه الفضلى فانها
تكون اكبر الوسائل لتقدمهم وارتقايتهم ولكنهم يعتذرون بشروط الواقفين
التي تعيدنا بها بعض الفقهاء وانما يعتذرون عن صرف الاوقاف في الوجوه
الفضلى والمنافع العامة ولكنهم اذا لاح لهم شئ منها وثبوا عليه والتموه
التهاماً من غير نظر الى شرط الاوقاف ولا الى نص الشارع وكذلك شأن أهل
الطبقة العليا في علوم المسلمين في أعظم معهد للعلم الاسلامي . يأكل الاغنياء
حقوق الفقراء ويهضم الكبار ، ما وقف على الصغار ، فهم حجة على أنفسهم
وكلام هذا الامام المجتهد وبرهينه حجة على كتبهم ولا بد ان يجي يوم
تزل فيه سلطة الطامعين ، فتصرف أموال الاوقاف في مصلحة المسلمين ،
أو تقع في سلطة المتغلبين ، اذا دنا على هذا الجمود المين ، والعاقبة للمتقين

باب الأسئلة والأجوبة

قراءة المولد بالتركية (س ١) من الشيخ م . م في مصر : ما حكم الله في
قراءة قصة مولد النبي العربي صلى الله عليه وسلم باللغة التركية في بيت الله
تعالى على قوم من العرب وبمحضر العلماء الذين لا يعرفون اللغة نبيهم

كما يجري ذلك كل عام في مسجد الحسين (رض) وان تفضل السيد
 فذكر أصل ذلك في دين الله أو في السياسة الوضعية شكره الله والناس
 (ج) يشبه ان يكون هذا من اللغو الذي لا يعني ولا يفيد لانه لا يفهم
 وقد وصف الله المؤمنين بالإعراض عن اللغو في آيات من كتابه كقوله «واذا
 سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وقوله عز وجل «والذين هم عن اللغو معرضون»
 وقوله جل ذكره في وصف عباده «واذا مرؤوا باللغو مرؤوا كراما» .
 واخرج احمد وابو داود عن عثمان بن طلحة (رض) أن النبي صلى الله
 تعالى عليه وآله وسلم دعاه بعد دخوله الكعبة فقال : «إني كنت رأيت
 قرني الكعبش حين دخلت البيت فنسيت ان أمرك ان تخمرها فخمرها
 فانه لا ينبغي ان يكون في قبلة البيت شيء يلهي المصلي» ونهى رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الخلق (جمع حلقه) يوم الجمعة قبل الصلاة كما
 في حديث أحمد وأصحاب السنن الأربعة . وقراء قصة المولد يتحلقون في قبلة
 المسجد ويرطن خطيبهم بالقصة التركية ولا شك ان ذلك يلهي المصلي ولا
 فائدة فيه فهو داخل من منع الحديث من هذا الوجه أيضاً . وقد نهى النخباء
 عن رفع الصوت في المسجد بالقرآن الشريف والعلم النافع اذا كان يشغل
 المصلي . فما بالك بمن يرطن بالتركية على قوم لا يفهمون منها شيئاً ؟
 أما أصل ذلك في السياسة فهو ان أمراء السوء لما صعب عليهم إقامة
 الدين على وجهه جعلوا هذه المواسم المبتدعة من شعائر الاسلام ليوهموا
 عامة المساميين بأنهم قائمون بإقامة الدين واحياء شعائره وأن رياستهم الدينية
 هي بحق . ولم يحكم الترك هذه البلاد جعل بعضهم قراءة قصة المولد بالتركية
 لأن الأمير هو المقصود بالاحتفال وقراءة القصة لا الأمة وانما على هذه

ان تعتقد دينه وإحياء للشعائر الإسلامية . وأعجب من هذا ان نحو اللغة العربية وصرفها يعلمان في مدارس الدولة العثمانية (وفقها الله وأيدها) باللغة التركية لأبناء العرب في سوريا وغيرها وكذلك علم الدين . وقد عين أحد الأئمة معلماً للدين في بعض مدارس سوريا الأميرية كأنهم لم يجدوا مسلماً يحسن تعليم الديانة الإسلامية بالتركية . فالأصل في هذه السياسة إحياء لغة الأمة الحاكمة وإماتة ماعدائها وانتهى الخلل الى هذا الحد . ومن هذا القبيل ان سلطاننا المعظم (وفقه الله) كان أرسل بعض الوعاظ الأتراك ليعلموا العرب في معان والكرك دينهم وليس في المعلمين من يعرف العربية ولا من المراد تعليمهم من يعرف كلمة تركية لأنهم من صميم العرب الذين لا يزالون على بداوتهم

مس المحدث القرآن (س ٢) ومنه : ان كثيراً من المسلمين شعروا بحاجتهم الى حفظ القرآن الكريم وتدبره فلما هموا بذلك صدمهم تحريم الفقهاء مس المصحف لغير المتوضي وما رضوا حيلهم في ذلك من تقليب اوراقه بنحو عود ارمسه بنحو خرقة أو حمله مع متاع الخ لأنهم يعتبرونها الا عيب فهم الآن في حيرة والرجاء كشف الغمة في هذه المسألة ولكم من الله المثوبة ومن المؤمنين الدعاء والشكر اهـ

(ج) مسألة مس المحدث المصحف خلافة بين المسلمين وكذلك قراءة الجنب القرآن وينبغي للانسان ان يحكم الاحتياط في المسائل الخلافية المتعارضة الدلائل . والاحتياط ممن يريد قراءة القرآن بالمصحف للتدبر والتعبد ان يختار قول من قال بوجوب اليهارة من المحدث الا كبر للقراءة ومن الحديث لمس المصحف . وليس من الاحتياط ان يترك المسلم حفظ القرآن لانه يتعسر او يتعذر عليه الحفظ مالم يحمل القرآن ويمسه على غير

وضوء فحفظه حيثئذ هو الأحوط والأفضل . ونشير الى الخلاف في المسئلة وادلته بالايجاز فنقول

أما قوله تعالى « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون » فتدفسروا الكتاب المكنون باللوح المحفوظ والمطهرين بالملائكة . ومنهم من قال المطهرين من الاحداث وجعل الكتاب المكنون صنعة للقرآن . قال البيضاوي في تفسير الآية « لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمية وهم الملائكة . اولا يمسه القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي اولا يطلبه الا المطهرون من الكفر » اه وتفسير المطهرين بالملائكة مروى عن ابن عباس وقتادة . وأما حديث « لا يمسه القرآن الا طاهر » فهو ضعيف لا يحتج به وكذلك حديث « لا يمسه المصحف الا على طهارة » كما جزم بذلك فيها النووي وابن كثير . على ان بعضهم قال ان المراد بالطاهر المؤمن او الطاهر من النجاسة والمروى عن ابن عباس والشعبي والضحاك وداود جواز مس المصحف للمحدث حدثا اصغر . والخلاف كبير في الحدث الاكبر حتي قيل انه لم يخالف فيه من الائمة الا داود الظاهري ولكن لا يعرف للجماهير دليل وبقيت القراءة ولا نزاع في جوازها مع الحدث الاصغر وقد ضعفوا ما ورد في الحديث في منع القراءة مع الجنابة ولكن الجماهير على التحريم . وأخرج البخاري عن ابن عباس انه لم ير في القراءة للجنب بأساً . قال في نيل الاوطار : ويؤيده التمسك بعموم حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه وبالبراءة الأصلية حتي يصح ما يصاح لتخصيص هذا العموم والنقل عن هذه البراءة . اه ومع هذا لا أحب لحفظ القرآن القراءة مع الجنابة ولكن لا بأس بمحملهم المصحف مع الحدث الاصغر والقراءة كذلك وانصح لهم أن يتحروا الطهارة والوضوء ما أمكن ذلك والله الموفق

الظلم بالاكل من الشجرة (س ٤) الشيخ محمد محمد عياد الحنفي بالازهر : أرجو حضرة تكم
أن توضحوا معنى قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وأن
تينوا معنى ظلمه مع ملاحظة قوله تعالى « والكافرون هم الظالمون » وأن تينوا معنى
قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى » مع ملاحظة عصمة الأنبياء

(ج) ترون معنى الآية الأولى في نبذة التفسير من هذا الجزء وتقدم الكلام
في معصية آدم وعصمة الأنبياء في الدرس ٣٤ من العقائد في (ج ٣ : ٥)
والظلم أعم من الكفر فكل كفر ظلم وليس كل ظلم كفر فمن قصر في فضيلة
أو عمل نافع فقد ظلم نفسه بمقدار ما فاته من ثمرة الفضيلة وفائدة العمل فقوله تعالى
« والكافرون هم الظالمون » لا ينافي هذا لأن كون الظلم وصفاً راسخاً فيهم بافطع
أنواءه وهو الاعتماد في النجاة يوم القيامة على الشفاعة ونحوها لا يمنع أن يأم غير الكافرين
بنوع آخر من أنواعه الخفيفة . وقد فسر بعضهم الظلم في قوله تعالى « والذين إذا
فعلوا فاحشة أو ظالموا أنفسهم ذكروا فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله »
ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، بالصغيرة وأنت ترى أن هذا ذنب تنتظره المغفرة .
والشرك ظلم عظيم و « إن الله لا يغفر أن يشرك به »

إمهار الذميمة قرأنا (س ٥) عبد الفتاح أفندي البدن بالاسكندرية : إذا أراد المسلم أن
يتزوج ذميمة واتفقا على أن يجعل صداقها شيئاً من القرآن الكريم فهل يصح ذلك ؟
(ج) يصح جعل المنفعة مهراً وتعليم القرآن أعظم المنافع لأنه نور وهدى للناس
وقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد (رض) أن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم زوّج رجلاً فقيراً امرأة فوضت أمرها إليه بما معه من القرآن
واقطع العقد «زوجتكها بما ملك من القرآن » وكان سألها عنه فعين له السور التي يحفظها .
وفي روايات وأحاديث أخرى ذكر التعليم وتعيين السور وفي بعضها ذكر عشرين آية
والراجح أن ذلك في وقائع متعددة ثبتت بالسنة أن تعليم القرآن يصح أن يكون مهراً
وعليه الجماهير الاحنفية . ولم أر من استثنى الذميمة في هذا المقام ولا من ذكرها فيه
وأنت تعلم أن القرآن أفضل ما يدعى به إلى الدين وأكبر المنافع ولا شك أن رضا
هذه الذميمة بتعليم شيء من القرآن إنما هو لا اعتقادها أن فيه منفعة لها . ولكن الذي
منعوه هو تملك القرآن لغير المؤمنين حذرًا من إهانتهم . ومن أراد الاحتياط ووافق
جميع فليضف إلى التعليم قليلاً من المال . هذا ما ظهر لنا من الجواب والله أعلم بالصواب

(الاجتماع الرابع لجمعية أم القرى - الدين والاسلام والشرك والتصوف)

في مكة المكرمة يوم السبت العشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦
انتظم عقد الجمعية في هذا اليوم صباحاً وقرئ الضبط السابق حسب العادة
وأذن الاستاذ الرئيس بالشروع في البحث

فقال (العالم النجدي) : اني أطلب السماح من السادة الاخوان عن إملأهم
بمقدمات وتعريفات هم أعلم مني بها بل هي عندهم في رتبة البديهيات ولكن لا بد منها
للباحث رعاية لقاعدة التسلسل الفكري والترتيب القياسي فأقول :

ان النوع الانساني مفطور على الشعور بوجود قوة غالبة عاقلة لا تكيف تتصرف
في الكائنات بنواميس منتظمة فالعامة يعبرون عن هذه القوة بافظ الطبيعة والراشدون
من الناس مهتدون الى ان لهذه القوة من هو قائم بها يعبرون عنه بافظ (الله) ثم ان
هذا الشعور يختلف قوة وضعفاً حسب ضعف النفس وقوتها ويختلف الناس في تصور
ووصف ماهية هذه القوة حسب مراتب الادراك فيهم أو حسبها يصادفهم من التلقي
عن غيرهم وذلك هو الضلال والهداية . على ان الضلال غالب لأن موازين العقول
البشرية مهما كانت واسعة قوية لاتسع وتحمل وزن جبال الأزلية والأبدية والآمال
والآلزام والامكان ونحو ذلك مما يسمى العلم به لصعوبته علم ما وراء العقل ولهذا
لا يقال في الضالين انهم منحطون عقلاً عن المهتدين بل كثير منهم في الماضين
والحاضرين اسمى عقلاً بمراتب كبيرة من المهتدين ولكن صعوبة التصور والحكم
أوقعهم في بحار من الأوهام وظلمات من الضلال . على ان الباري تعالى قدر اللطف
ببعض عباده واراد اقامة الحجة على الآخرين فأوجد بعض أفراد من البشر تميزوا
في تصور ووصف ماهية هذه القوة تميزاً كبيراً فصاروا هداة للناس وهم (الأنبياء)
عليهم الصلاة والسلام . وقد قام بعض هؤلاء الانبياء الكرام فيمن حولهم من الناس
مقام المشرعين وأثبتوا ببراهين خرق العادات على يدهم عند التحدي أي عند طلب
ذلك منهم (١) أن مخاطبتهم مكلفون بإتباعهم وهم (المرسلون) فآمن بهم من آمن أي
شهدوا لهم بالرسالة وأتبعوهم في هديهم مستسلمين فأخرجوهم من بحار الأوهام
الى ساحل الحكمة ومن ظلمات الضلال الى نور الهداية وهؤلاء هم (المؤمنون)

(١) المنار - هكنا فسر التحدي هنا والمعروف في علم الكلام ان التحدي طلب

المعارضة للمعجزة بأن يقول الرسول هذه آية صدق فأثروا بمتابها أو فآمنوا

فهذه مقدمة اولى (مرحى)

ومن المؤمنين نحن معاشر (المسلمين) علمنا بما علمنا ان محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي اجل البشر حكمة وفضيلة وصدقناه بانه رسول الله الى العالمين كافة مصححاً ملة ابراهيم داعياً لعبادة الله وحده هادياً الى ما يكلف الله به عباده من امر ونهي كافرين لكل خير من الحياة وبعد الممات

ومن أمهات قواعد الدين عندنا ان نعتقد ان محمداً باًغ رسالة ربه لم يترك ولم يكتم منها شيئاً وانه أتم وظيفته بما جاء به من كتاب الله وبما قاله أو فعله أو أقره على سبيل التشريع اكماً لدين الله

ومن أهم قواعد ديننا أيضاً انه محذور علينا ان نزيد على ما باغنا اياه رسول الله أو ننقص منه أو نتصرف فيه بمقولنا بل يتحتم علينا أن نتبع ما جاء به الصريح المحكم من القرآن والواضح الثابت مما قاله الرسول أو فعله أو أقره وما اجمع عليه الصحابة ان أدركنا حكمة ذلك التشريع أو لم نقدر على ادراكها وان ترك ما يشابه علينا من القرآن (يريد نفوض فيه) فنقول «آمنّا به كل من عند ربنا: وما يعلم تأويله الا الله»

ومن قواعد ديننا كذلك ان نكون مختارين في باقي شؤوننا الحيوية نتصرف فيها كما نشاء مع رعاية القواعد العمومية التي شرعها أو نذب اليها الرسول وتقتضيها الحكمة أو الفضيلة كعدم الاضرار بالنفس أو الغير والرأفة بالضعيف والسعي وراء العلم النافع والكسب بتبادل الأعمال والاعتدال في الأمور والانصاف في المعاملات والعدل في الحكم والوفاء بالعهد الى غير ذلك من القواعد الشريفة العامة. وهذه مقدمة ثانية

ويتفرع عن هاتين المقدمتين مسائل مهمة ينبغي افرادها بالبحث تباعاً واشباعاً. منها ان أصل الايمان بوجود الصانع أمر فطري في البشر كما تقدم فلا يحتاجون فيه الى الرسل وانما حاجتهم اليهم في الاهتداء الى كيفية الايمان بالله كما يجب من التوحيد والتنزية. هؤلاء قوم نوح وقوم ابراهيم وجاهلية العرب واليهود والصارى ومجوس فارس ووثنيو الهند والصين ومتوحشو أفريقيا وأمريكا وسائر البشر كلهم كانوا ولا يزالون أهل فطرة دينية يعرفون الله وليس فيهم من ينكره كلياً كما قال عز من قائل «وان من شيء الا يسبح بحمده» بل يغلب على البشر الاشراك بالله فيخصصونه تعالى شأنه بتدبير الأمور الكلية والشؤون العظام كالحالقية وتقسيم الارزاق والآجال كأنهم يجاونه عن تدبير الأمور الجزئية ويتوهمون ان تحت أمره مقربين وأعواناً ووسطاء من ملائكة وجن وأرواح وبشر وحيوانات وشجر وحجر وانه جعل لهم والنواميس الكونية

من افلاك وطبائع والحالات النفسية من سحر وتوجه فكر دخلاً وتأثيراً في تدير الامور الجزئية ايقاعاً أو منعاً واعطاهم شيئاً من القوة القدسية وعلم الغيب وتوهمهم هذا ناشئ عن قياسهم ملكوت ذي الجبروت على ادارة الملوك في اختصاصهم بتدبير مهمات الامور وتفويضهم مادون ذلك الى العمال والأعوان واستعانهم بالبطانة والحاشية وربطهم بحرى الاعمال بالقوانين والنظمات (مرحى)

ومن تتبع تواريخ الأمم الغابرة وأفكار الأمم الحاضرة لا يرتاب فيما قرناه من ان آفة البشر الشرك الذي أوضحناه فقط وكفى بالقرآن بهاناً فقد قال الله تعالى «واثن سألهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله» وقال تعالى «بل اياه تدعون» وقال تعالى «فلا تدعوا مع الله أحداً» وقال تعالى «منذ الذي يشفع عنده الا باذنه» الى غير ذلك من الآيات الينات المثبتة ان زيغ البشر هو الاشراك من بعض الوجوه فقط لا الانكار ولا الاشراك المطلق لأن العقل البشري مهما تسفل لا ينزل الى درجة الشرك المطلق

بناءً عليه جرت عادة الله تعالى جأت حكمته أن يبعث الرسل بتقذون الناس من ضلالة الشرك ويتناشونهم من وهدة شره في الحياة الدنيا والآخرة ويهدونهم الى رأس الحكمة أي (معرفة الله) حق معرفته لكي يعبدوه وحده وبذلك تم حجته عليهم ويملكون حريتهم التي تحميمهم من أن يكونوا أرقاء أذلاء لأف شئ من أرواح وأجسام وأوهام • قنمرة الايمان بأن (لا اله الا الله) عتق العقول من الأسر وثمره الاذعان بأن «محمداً رسول الله» اتباعه حقاً في شريعته التي تحول بين المسلم وبين نزوعه الى الشرك وتنبئه سعادة الدارين

«قتل الانسان ما أكفره» أو قبح ما أجهله، لا يهتدى الى التوحيد الا بمجهود عظيم ويندفع أو ينقاد بشجرة الى الشرك فيتابس به على مراتب ودرجات في اعتقاد وجود قوة قدسية ترجى وتنتفى في غير الله أو تبعاً لله ذاهلاً عن انه لو كان في الارض والسماء آلهة غير الله — أي أصحاب تصرف في شئ ولو في تحريك ذرة رمل — لفسدنا فالتاس سريعوا الاعراض عن ذكر الله الى ذكر من يتوهمون فيهم أنهم شركاء وأنداد لله فيعبدونهم أي يعظمونهم ويخضعون لهم ويدعونهم ويستمدون منهم ويرفعون حاجاتهم اليهم ويرجون عند ذكر أسماهم الخير ويتوقعون من سخطهم الشر وقد قال الله تعالى «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا» والله صادق الوعد نافذ الحكم • وفي الواقع وبالضرورة والطبع لا معيشة أشد ضنكاً من معيشة المشركين

الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم لأنفسهم ظالمون فقال « ان الشرايط لمظلم عظيم »
وقال « ولا يظلم ربك أحدا » وهذا زيد بن عمرو بن قيل الحكيم الجاهلي ضجر
من الشرك فقال من آياته له :

أرباباً واحداً أم ألف ربٍّ أدين اذا تقسّمت الامور
تركت الآلات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل الخير

ومثل الحياة الأدبية في الموحدين والمشرّكين كبلد سلطانه حكيم قاهر بابه مفتوح
لكل مراجع وينفذ قانوناً واحداً ولا يصنع لساع ولا شفيع ولا يشاركه في حكمه
أحد . وبلد آخر ساطانه جبان مغلوب على أمره نال منه مقربوه المتعاكسون وأعوانه
المتشاكسون مراتب من الكرامة وقوذة الكلمة عنده وأحرزوا ساطة استقضائه
ما يشاؤون من حوائج خير لذويهم أو دفع شر عن أتباعهم فهل يستوي أهل البلدين ؟
كلا لا نستوي السعادة والشقاء والله المثل الأعلى فانه جلّت عظمته لا يرضى أن يشاركه
في ملكه أحد كما قال تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » ولا شك ان الشرك من أكبر الفجور
وعمل السوء وقد قال تعالى « ان الفجار لفي جحيم » وقال تعالى « من يعمل سوءاً
يُجزّيه » وما الجحيم والمجازاة خاصين بالآخرة بل يشملان الحياة الدنيا والآخرة
ثم أقول : اذا اراد المسلم ان يعلم ماهو الشرك المشؤم عند الله بمقتضى ماعرفه اياه في
كتابه المين يلزم ان يعرف ماهو مدلول الفاظ (ايمان واسلام وعبادة وتوحيد
وشرك) في اللغة العربية التي هي لغة القرآن اذ قال « انا جعلناه قرآناً عربياً » وقال
تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء » قد علم المسلم معنى هذه الالفاظ وأراد أن يمثل أمر ربه بأن
لا يتعدى حدود الله يتعين حينئذ عنده ماهو مراد الله بالشرك الذي لا يرضاه والذي
أشفق وخف علينا نيتاً عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيه فقال : « ان أخوف
ما أخوف عبيكم شركي » (١)

ومن بحث عم ذكر من " لا تظن يجد ان أهل اللغة يجمعون على أن المدلول للفظ
(لا بن) 'عبادة و تساميم بدون اعتراض (٢) واللفظ (العبادة) التذلل والخضوع

(١) - حديث رواه ابن منجه عن شداد بن اوس ولفظه « ان أخوف
ما أخوف عبي حتى لا يشرك بالله أم اني است أقول تعبدون شمساً ولا قرأ ولا وثناً
وكنتم لا تعرفون الله وشبهوه خفية » رواه أحمد والبيهقي بالفظ آخر . (٢) ما فسر

(١) واللفظ (التوحيد) العلم بان الشيء واحد واذا أضيف الى الله فيراد به نفي الأنداد والاشباه عنه . ومن هذه المادة الواحد والأحد صفتان لله تعالى معناها المنفرد الذي لا نظير له أو ليس معه غيره . وأصل معنى مادة الشرك لغة الخلط واستعمالا الاشراك بالله وفي اصطلاح المؤمنين الاشراك بالله في ذاته أو ملكه أو صفاته

ثم اذا وزعنا اعتقادات من وصفهم الله بالشرك في كتابه العزيز على هذه الانواع الثلاثة نجد مظنة (الاشراك في الذات) قائمة في اعتقاد الحلول وهو أنه تعالى شأنه عما يصفون أفنى أو يفنى بعض الاشخاص في ذاته كقول النصارى في عيسى ومريم عليهما السلام وقول غلاتنا في وحدة الوجود . وهذا النوع من الشرك عسر التصور والتعريف حتى عند اساطين أهله ولذلك يسميه النصارى حقيقة سرية ويسميه غلاتنا حقيقة ذوقية (مرحي)

أما مظنات (الاشراك في الملك) فيدخل تحتها اعتقاد اختصاص بعض المخلوقين بتدبير بعض الشؤون الكونية كاعتقاد اليهود في ملك الموت وكاعتقاد بعض الناس تصرف غير الله في شيء من شؤون الكون كقول من يقول : فلان عليه درك البر أو البحر ، أو الشام أو مصر ،

وأما مظنات (الاشراك في الصفات) فهي الاعتقاد في مخلوق انه متصف بشيء من صفات الكمال من المرتبة العليا التي لا تنبغي الا لواجب الوجود جلّت شأنه . وهذا النوع أكثر شيوعاً من النوعين الأولين لثلاثة أسباب :

(الاول) كون غير الاحدية والخالقية ونحوها من الصفات الخاصة بالله تعالى صفات مشتركة يعسر على غير العلماء الراشدين تمييز الحد الفارق بين مراتبها في المخلوقين وبين مراتبها المختصة به تعالى

(الثاني) ما نطقت به الشرائع من تفويض الله تعالى بعض الأمور الى الملائكة واستجابة

به الايمان هو معنى (الاسلام) وعدم ذكر هذا اللفظ يدل على انه سقط من الأصل تفسير الايمان وهو التصديق القطعي بلا تردد وسقط بعده لفظ الاسلام فصار تفسيره تفسيراً للايمان . (١) فسر العبادة بالمشهور في كتب اللغة وغيرها ولكن استعمال العرب يدل على انهم لا يسمون كل تذلل وخضوع عبادة وانما يخصون العبادة بالخضوع الناشئ عن الاعتقاد بسلطة غيبية وراء الاسباب العادية

دعاء المقربين وإكرامه تعالى بعض عباده الصالحين ووعد به قبول شفاعته من يأذن لهم بها يوم القيامة فالتبس على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف

(الثالث) هو كون التعظيم مدرجة طبيعية للإغراق والتغالي ومطية سريعة السير لا يلتوي عناتها عن تجاوز الحدود إلا برغم الطبع وتوفيق الله . ولذلك قاسى الرسل اولو العزم الشدائد في كبح جماح الناس عن اشراك مُعَظِّمِهِمْ مع الله تعالى في مرتبة بعض صفاته العليا وركبوا متون المصاعب والعزائم في إرجاع الناس الى حد الاعتدال وشددوا النكير على أطراء الناس إياهم وحذروا وأنذروا من مقارنة مظان الشرك حتى الحقي الذي يدب ديب النمل

ومن المعلوم عندنا ان نبينا عليه الصلاة والسلام لبث عشرة أعوام يقاسي الاهوال في دعوته الناس الى التوحيد فقط وسمى أمته الموحدين وأنزل الله القرآن وبعثه في التوحيد وتأسس دين الله على كلمة (لا اله الا الله) وجعلت أفضل الذكر لحكمة ان المسلم مهما رسخ في الإيمان يبقى محتاجاً الى نفي الشرك عن فكره احتياجاً مستمراً وذلك من شدة ميل الانسان الى الشرك ولشدة التباسه عليه واشدة قربه منه طبعاً فنسأل الله تعالى الحماية (مرحى) وما هذا خاص بالمسلمين بل مضت الأمم كلها لم يكذبها رسلها الكرام الا وقعت في الشرك كقوم موسى عليه السلام فارقهم أربعين ليلة فأتخذوا العجل (مرحى) (للاجتماع بقية)

باب التوبيخ والتعليم

(*) الشذرة الرابعة منه جريدة الاسم

(الجزيرتان - والتعليم بضرب الامثال)

يحسن أحياناً في حوار الاطفال أن يكون قهيمهم الحقائق على طريقة ضرب الامثال سألني « ميس » منذ أيام ماذا وجد في الناس فقراء وبدا لي من « لولا » كثرة نعمهم بمعرفة نعمة في أن فيها أغنياء

جرى حتى لأسئلة جواب مشهور لهذين السؤالين وهو « ذلك ما أراده الله »

« معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

وما كنت لاجيها بمثل هذا التعليل لانه فيما أرى ليس من شأنه أن يؤدي الى اذهان الاطفال معنى كبيراً لعدل الذات العلية وما كنت أيضاً لادخل معها في أعوص مسائل علم الاقتصاد السياسي وأصعبها . من أجل ذلك رأيت أن أحسن جواب أخرج به من هذه الحيرة أن أقص عليها قصة فقلت :

روي انه كان يوجد في مكان سحيق من بحرلست على يقين من معرفته جزيرة بنى فيها الاغنياء قصوراً من المرمر وزرعوا في أرضها بساتين وحدائق ذات بهجة ربوا فيها من الازهار ما يتندرو وجوده في غيرها واحتفروا بركاً توفيراً لأسباب اللذة ولم يكن في الدنيا ما يعادل زخرف مواثدهم فقد كان يطاف عليهم بصحاف من الذهب فيها أقشار ضخمة طبخت بمزقة سرطان البحر (وهو ألذ ألوان الطعام في ذوق « أميل ») وكانوا في لباسهم بالغين حد الافراط في التألق خصوصاً نساءهم وكان أولادهم يلعبون (١) الكعبة في الميادين العامة بكرات من الماس

وأما فقراء تلك الجزيرة فكانوا يمشون حفاة وكانت صباياهم تغدو كل يوم في أسمال من الثياب فتطوف بأبواب الأغنياء التماساً لما ألقاه خدمهم من قممات مواثد العشية . ولم يقتصر الاغنياء في سوء معاملتهم على استعمالهم في الاعمال الشاقة الممقوتة بل انهم كانوا يحتقرونهم وبلغوا من ذلك الى حد انهم كانوا يحظرون على ذوي الثياب الرثة منهم أن يوجدوا في المنزهات العامة ولم يكن لهذا الحظر من سبب سوى خوفهم على بسط هذه المنزهات السندسية أن تدنسها أقدامهم أو خشيتهم أن يكون منظر بؤسهم قذى في عيونهم وهذا هو الاقرب الى الحقيقة

من أجل ذلك كله غادر الفقراء المدينة ذات ليلة وآووا الى جيل لياً تمرروا بالاغنياء فكان رأي الشبان منهم أن يأخذوا أسلحتهم ويسطوا عليهم وهم نيام في مضاجعهم ويقتسموا أموالهم فقام من بينهم شيخ حكيم رتبص بهم حتى قرئت شقشقتهم ثم قال اياكم أن تفعلوا من ذلك شيئاً لأسباب ثلاثة أبدية لكم : أولها ان الاغنياء يقوم على حراستهم في صروحهم خدم هم شر منهم وكلاب أضرى من الحراس أنفسهم . ثانيها اني لا أعتقد ان سطوكم هذا عليهم وسابكم لأموالهم يكون من العدل لأنهم قد كسبوا هذه الأموال

(١) الكعبة بالضم والتشديد لعبة : يأخذ الصبي خزقة فيدورها ويجعلها كأنها

كرة ثم يتقامرون بها وتسمى هذه اللعبة في الحضر باسمين فاما الخزقة فيقال لها التون وأما الأجرة فيقال لها البكسة .

التي تحسدونهم عليها أو كسبها أسلافهم من وجوه شريفة أو خسيصة ثم ملكوها من بعدهم بمقتضى قوانين أرى مع كوني لا أدرك كنهها كمال الإدراك أنه لا بد لوجودها من سبب لأن جميع الناس محافظون عليها ارضخون لأحكامها حتى الآن. ثانياً انما يجوز أن تنزعوه اليوم من أعدائكم بغلبتكم عليهم يجوز ان يسلبه غداً منكم غيركم بقوته وضعفكم فعلى اذن أن تفكر جميعاً في اتخاذ وسيلة أخرى . لا بد انكم سمعتم بوجود جزر أخرى في البحر غير هذه الجزيرة التي قضى علينا نحس طالعنا بالولادة فيها فقد حكي لنا فقراء الملاحين اخواننا الذين يحضرون الى هنا بسفینتهم مشحونة بالأرزاق ومواد الزخرف التي يستعملها الاغنياء انهم رأوا غير مرة في أسفارهم ارضين تهد من الماء مكللة بالنباتات والاشجار الكيرة المثمرة ويستفاد من حكايتهم ان احدى هذه الجزر خالية من السكان ولا ينقصها الا ارادتكم حتى تصبح جنة جنة الثمار دانية الخبي فان لنا سواعد قوية تساعدنا على العمل وها انا ذا مع شيخوختي سأكون لكم قدوة فيه وامدكم بنصائحي عند الحاجة هذا هو رأيي قد أفضيت به اليكم فانظروا ماذا تفعلون .

فالتقى جميعهم نصيحته بالقبول وما عثموا ان هاجروا الى تلك الجزيرة متعاقبين على سفن واهنة صنعوها بأنفسهم من ألواح خصاصهم قمل الاغنياء فرحاً اسفر هؤلاء الغوثاء ولم يستهينوا كتمان فرحهم بل كانوا يصفقون ويجهرون بهولهم حبذا حبذا هذا الخلاص

قله: كانت تلك السفن تقل الأشخاص المهاجرين لانهم كانوا لا يملكون شيئاً استغفر الله بل انهم حملوا معهم فيها أدوات عملهم

مضى على سفرهم بضع سنين تقطعت فيها أخبارهم واختلفت أقوال أهل الجزيرة في شأنهم فمن قائل بان البحر ابتاعهم ومن وأهم بانهم أكل بعضهم بعضاً . وبينما هم في هذا الاختلاف ذروا ذات يوم سفينة مشحونة بالغلال وعروض التجارة رست على ميناء جزيرةهم فلم يابشوا ان عرفوا من لهجة ملاحها وبعض ملاح وجوههم انهم من سكان السفين وقد خبرهم هؤلاء الملاحون انهم آتون من جزيرة أخرى استقامت فيها أمورهم ونجحت نجاتهم لانهم ما حرثوا الارض وأحيوا مواتها حتى جللتها لحصاة وولدتهم المزراع والواشي فعتبر الاغنياء هذه الأخبار من الأساطير وقهقروا نسعهم قهقهة بخارين .

عنى ان الملاحين لم يكونوا مبشرين في شيء مما قالوا فانه كان يخرج من أرض تلك الجزيرة ثمرات على نحو من سحر حقول مكسوة بالزروع وقرى ومسدن وطرق

وترع فكان سكانها في معيشتهم على وفاق تام لانهم كانوا منها في غبطة وهناء وقد ضربت عليهم السكينة وواقعها فكانوا يعتبرون أبناءهم بذوراً لحلف أرقى وأكثر منهم ولذلك كانوا يبكرون بتعليمهم العمل وانشأهم على حبه

أصبح الامر على خلاف ذلك في جزيرة الاغنياء فكانت الثروة فيها تنقص من يوم الى يوم لان سكانها لما كانوا من فرط الكبر والكسل بحيث انهم يستكفون ان يتولوا بأنفسهم حرث الارض لم تلبث ان امتلأت عاقولاً وتعطلت جميع الحرف والصنائع لفقد عمالها وتبع ذلك زوال مواد الزخرف وتداعت الصروح والقصور فلم يوجد من الرجال من يقيم مُناً دها .

فرع الاغنياء في بدايا هذا الانحطاط الى صناع الجزائر المجاورة لهم فلم يحبوا دعوتهم لانهم كانوا على بينة مما كانوا يعاملون به اخوانهم فلم يرضوا لانفسهم ما قاساه هؤلاء من ضروب الاهانة .

نعم ان من بقي في الجزيرة من سكانها كانوا يملكون كثيراً من الذهب والفضة وانهم اشتروا من التجار الاجانب كل ما كانوا في حاجة اليه مدة من الزمن ولكن كل كنز لا بد من نفاذه بالغاً من الكثرة ما بالغ خصوصاً اذا كان أصله لا يتجدد ومن أجل ذلك لم يمض الا بضع سنين حتى غاضت أموالهم وأنشأوا يندمون ولات حين مندم على ما فرط منهم من القسوة والظلم في معاملة الفقراء .

صاروا الى حالة محزنة جداً فقد تخلى عنهم من كانوا يحوطونهم من الخدم والحشم لعجزهم عن دفع اجورهم وعجزت خيلهم عن جرع عجلاتهم لفقدتها من كانوا يقومون على تغذيتها واصلاح شأنها وكانت نساؤهم ترى في الشوارع متعلات نعلا من الديباج مشوهة الاعقاب ولا بسات جلايب من الحرير المذهب كاهها ممزق ومخرق لأنه ينجل اولئك السيدات الجليات ان يرفعن ثيابهن بايديهن فاذا نظر اليهن ناظر وهن في هذه الاهدام بهذا الصلف والعجرفة بعته خالهن الى الضحك والاستهزاء بهن لو لم يكن من القسوة واللوؤم الاستهزاء بالتعساء البائسين ولو كانوا من الاشرار .

وجملة القول ان جزيرة الاغنياء المترفين قد أصبحت جزيرة الفقراء المعدمين . كان القحط يزداد فيها من سنة الى أخرى فقد ضعفت الارض عن التحصيل لعدم ما كان يخدمها من الايدي وكاد الاغنياء يموتون جوعاً في صروحهم ولم يتداركهم اولئك الفقراء الذين اخرجوهم من ديارهم بالافراط في سوء معاملتهم ويساعدوهم بما فضل عن حاجتهم هلكوا عن بكرة أبيهم .

كان « اميل » كثير الاصفاء الي في حكايتي لهذه القصة وما فرغت منها حتى ابتدرني بقوله : « يستفاد من القصة اذن أن العمل هو سبب الغناء والثروة » فأجبت ان هذا ليس مطرداً ولكن أقل فائدة له انه يعني الأمم التي تعرف مناهج العدل وتسلكها . اهـ

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِثْلِ

﴿ أأحيّاها محمد علي وأماتها خلقه ﴾

نشرنا ما نشرناه في المنار من الخلاصة التاريخية لمحمد علي الكبير وحده وليس فيه تعرض لذكر بيت الإمارة (العائلة الخديوية) في مصر بمدح ولا قدح ولكنا لم نسلم من عقارب السعاية فقد قال المحالون إننا أنما هذا البيت الرقيق وهم كاذبون فأننا برأء من اهانة البيت أو اهانة أي فرد من أمرائه . ولكن خواص الناس الذين اتفق لهم الاطلاع على خطبة مصطفى بك كامل التي ألفها وطبعها وقرأها في الاسكندرية قد عجبوا لما فيها من المبالغة والغلو في مدح محمد علي وذكروا خلفه في الإمارة لاسيما اسماعيل باشا ومن بعده . وانما عجبوا — ولا عجب في خطل الأحداث — لعلمهم بأنه لا يراد بالخطبة خدمة لتاريخ ولا تأييداً لمعتقد ولا تنبيه الأمة الى عمل معين يمكن ان تعمله وانما المراد بها ارضاء الأمير الحاضر والتزلف اليه والشهرة بين الناس . ولهم ان يعجبوا بمن يحاول ارضاء انسان بقوله أن جدك الأعلى بنى وأنت وأبوك وجدك الأدنى هدمتم وجدكم الأعلى أحيّا وأنتم أنتم وجدكم الأعلى حفظ وأنتم أضعتم . فهذا هو المخلص الخطبة ونحن نزيدة تفصيلاً تبرئة للمنار من قول السعاة المحالين انه « هن بيت خديوي الآن وتوجيهنا لآفكار الى هذه المسئلة الحيوية التي هي أم المسائل الاجتماعية والسياسية في مصر

كلام الخطبة يؤيد بكلام صاحبها في جريدته وسائر قوله صريح في أن الأمة المصرية منهجية قوية عزيزة الجانب مستعدة لأن تبذل جميع الأمم وتعلوها في كل علم وكل عمل . وتظهر أثر هذا الاستعداد وهذه الحياة اذا كان أميرها ومدير شؤونها

كفؤا للامارة . قادر أعلى الارادة ، ولذلك جاءها محمد علي الكفؤ القادروهي على شر حال ، فعمل بأيديها أعظم الأعمال ، وصريح ايضاً في أن مصر الآن في ذل وصغار وضعف ومهانة ، حقوق منصوبة ، ووظائف مسلوقة ، وعزائم مقبورة ، وعزايا مستورة ، ولكنه سكت عن التصريح بالسبب للعلم به مما قبله مع عدم إمكان التصريح به لأن كل إنسان يفهم ان السيف الذي يقط الرقاب ويخلق الهام وهو صديّ مُفَال لا يعجز عن ذلك بعد السن والشحذ . وان العمل الذي يقدر عليه الانسان وهو ضعيف ومريض يكون أقدر عليه بعد عود الصحة وثوب العافية . فكيف دوخت الأمة المصرية الأمم القوية وظفرت بالدول الحربية المستمدة مع محمد علي واستسلمت وخعت للانكليز على عهد توفيق وعباس الثاني ، ان هذا لعجاف باسان . قال . مصطفى بك كامل . ولسان حاله بل مفهوم كلامه يقول

وعادة السيف أن يزهو بجوهره . وليس يعمل الا في يدي بطل

جاء في الصفحة الرابعة من الخطبة ان الأمة المصرية التي فتحت البلاد والامصار وكان عددها يومئذ لا يزيد عن ثلث عددها اليوم قادرة على بلوغ غاية العز ... وجاء فيها ان محمد علي ماضرب وغاب وساد ، وأخضع لسلطان مصر البحار والبلاد ، الا بعقل المصري وبأسه . وجاء في الصفحة الخامسة أنه أخذ مصر « وهي عايلة ضئيلة لا حراك بها » ... « فأها بعد عهد الشقاء وزمن البلاء وأيام الحن والفتن قادرة على القيام بأعظم الأعمال . فيها من روح الحياة وقوة الهوض ما يرحزح الحيال الراسيات ، ونخر أمامه الشم الثابتات . » ثم ذكر الجند الذي جنده وهو جند الغزاة الفاتحين وانه « أخرج من أولئك الفلاحين الذين طالما تصرف فيهم الكوارث كما شاءت أبطالا وشجعانا اهتزت الأرض تحت أقدامهم إجلالاً وإعظاماً وعجزت حيوش العالم عن مجاراتهم ومناظرتهم ، » . وفي الصفحة الخامسة كشف السر عن ظهور المصريين بعد ذلك الذل المهين بمظهر الفاتحين القادرين وهو ان (محمد علي) الذي أدرك بوسع عقله كنوز هذا الاستعداد في المصريين « لم يترك لليأس سلطاناً على نفسه » . كانه يقول ان الامير الموجود لم يدرك هذا الاستعداد بعد ظهوره في أكمل مظهر بعمل جده وكان جده رأسه وهو كنز مخفي وان هذا يئس من نفسه ومن أمته ولذلك لم يتصد للانتفاع بكنوز استعدادها الظاهرة . نعم انه لم يصرح بهذا ولكنه قال في أول الصفحة السابعة ان من يعرف جيش مصر وأسطولها في زمن

محمد علي يظن « ان حادثاً استثنائياً محأمة اليها تنهي القوة وأحل محلها أمة عاذاها الزمان فلم يترك لها ارادة ولم يلبسها غير لباس الوهن والاستسلام » . فهل يمكن أن تفسر هذا الحادث الاستثنائي على رأيه بغير ما تقدم من عدم معرفة الامير الحاضر بقوة الأمة المصرية ويثسه من نفسه ومنها ؟؟ كيف والامة في أعلى الدرجات...؟؟ وكأنه ذكر الاسطول تعريضاً ببيع البواخر الخديوية على عهد هذا الامير

بعد هذا نوهت الخطبة (ص ٧) بالمعامل والمصانع التي أنشأها محمد علي في المدائن والقرى وبالعمال الذين ازدحمت بهم البلاد ولم يذكر لنا من هدم تلك المعامل ومن غلّ أبدي هذه الأمة الحية عن الأعمال بعد ارتقاها فيها . ثم عادت الى التنويه بالقوة الحربية، والسياسية ففي الصفحة التاسعة ان (محمد علي) أحاط مصر بسور من القوة والرهبة وجمع شملها بعد ان كانت مفرقة فصارت وطناً واحداً لأمة واحدة . وانه « وهب مصر عقلاً مدبراً وقلباً شاعراً وساعداً شديداً ومجدداً تليداً (كذا) وانه وهب المصريين وطناً وأمة وحكومة ولساناً وطبع على قلوبهم وأثقتهم محبة الوطن والشهامة والإقدام وحبب اليهم الفتح والنصر ورفع الراية المصرية على كل صقع ومكان » . فآين ذهبت هذه المزايا كلها وكيف حل محلها « الوهن والاستسلام » ، كيف هبطت من أعلى مكانة تعرج اليها الأثم الى أسفل تيهور ؟ لا يفهم من الكلام الا أن أحفاد ذلك الواهب هم الذين استردوا الموهوب وفرقوا الشمل المجتمع وحولوا بسياستهم الشهامة والإقدام ، الى ذل ووهن واستسلام . يدل على هذا ما بعده في الخطبة

جاء في الصفحة التاسعة عقيب ما تقدم ان حكومة محمد علي كانت « قائمة على مبادئ ثلاثة لا تدوم دولة بغيرها ولا تحيائماكة بدون إحياءها وهي أولاً حماية الوطن من اعتداء الاجنبي وساططته ثانياً ترقية المصري الى أسمى الوظائف وترشيحه الى استلام مقاليد الامور.. ثالثاً الامتناع عن الدين واجتباؤه كل الاجتباب » وظاهر ان أحفاد محمد علي لم يتمسكوا بهذه المبادئ التي لا تدوم دولة بغيرها فاسماعيل باشا أخذ الدين بالملايين وهو أساس الاستعباد كما في (ص ١١) من الخطبة . وتوفيق باشا لم يسمع شكوى المصريين حتى ضباط العساكر من ترقية الجراكسة والأتراك (الدخلاء) في الوظائف السامية وحرمان أبناء الوطن العزيز منها ثم استعان عليهم بالانكليز عندما اجتمعت كلمتهم وناروا يطالبون أحد المبادئ « الثلاثة » التي زعم حدث السياسة ان (محمد علي) أقام عليها حكومته وأن اسماعيل باشا وتوفيق باشا هما اللذان أضاعا البلاد المصرية وأماناتها وهدما

دولة جسدها . وفي هذا بيان لحقيقة مطالب العرايين فلا ندري هل فهم الخطيب من خطبته ما فهمه كل قارئ أم لا ؟ ان كان قاله عن فهم فلم يامن العرايين في جريدته ؟ وان كان قاله من غير فهم فكيف يكون هو . مؤلف الخطبة ومنشئها ولا يفهمها !!!

وفي الصفحة العاشرة فصل الخطاب في مقابلة الخطبة بين الماضي والحاضر قال « مصر اليوم تمثل الاستسلام للانكليز والرضوخ لسلطته والامثال لارادته ، وهي هي التي ردت عن الديار تحت اماره محمد علي وفي ظل رايته » ثم أتى على الامة المصرية بغلب الانكليز ما أتى وذكر ان انكليزا « أرادت أن تقضي على هذا الملك الجديد وهذه الدولة الناشئة » فأراها يومئذ بنو مصر أي أمة هم وأراها محمد علي أي أميرها .

فتركت الثغور والبلاد أسفة على فشاها معجبة بهذا المجد الباهر والعزم القاهر والوطنية الحقة والهمة الحديدية » منطوق الكلام صريح في أن الذي أرى الانكليز ذلك العزم القاهر في نفسه وفي الامة المصرية هو محمد علي وانه هو الذي كان امام الامة في الاستقلال ومفهومه ان أميرها في عصر الاحتلال الحاضر لم يقدر أن يرى الانكليز أي أمير هو وأية أمة أمته فالنتيجة انه هو القائد والامام في هذا الاستسلام .

ولكن أكثر المصريين ان لم نقل كلهم قالوا ان الامير الحاضر (وفقه الله تعالى) قد جاء مصر بهمة محمد علي وعزمه ، وزاد عليه بدينه وعلمه ، ولكنه لم يجد في البلاد رجالا أصحاب عزائم يعمل بهم كما وجد محمد علي . والسبب في هذا هو ما تقدم في المنار الماضي من كون محمد علي وجد الشجاعة والعزيمة والنجدة في البلاد فخربها وحاربها حتى قويت بعد ولايته في زمن قريب . فمقالة (آثار محمد علي في مصر) التي نشرناها في الجزء الماضي يمكن ان يمتنع بها من يعتذر لأمرنا الحاضر (أيده الله) واذا سلمت هذه المدائح والمناقب التي ذكرت في الخطبة لمحمد علي فهي حجة علي كل أولاده وأحفاده ويجب ان تبعث في نفوس المصريين حب محمد علي وبغض جميع ذريته الحاكمين ومقتهم لأنهم هم الذين أضاعوا استقلال النفوس فضاع في أثره استقلال البلاد لاسيما بعد الدين واعطاء الوظائف « للدخلاء »

وان تعجب فعجب سعي بعض الذين يزعمون حب سمو الخديو الحاضر أو سعائهم اليه باسم النصيحة بأن يجتهد في مقاومة كل صاحب ارادة وعزيمة في مصر حتى قال أحدهم لسموه « اذا لم تقطع هذه الرؤس النسائية كما فعل جدك فلا يصفو لك الملك في مصر » فليتب الله هؤلاء الذين يقدحون من حيث يمدحون ، ويغشون في عين ما يمدحون .

ينصحون ، ويضرون الراعي والرعية اذا رأوا انهم يتفعون ،
وعما يصح ان يعد حجة صريحة في الخطبة على ما تقدم فيها بالمفهوم من ان
خاف محمد علي هدموا ما بناه ، وأمتوا ما أحياء . ما في الصفحة ١٣ من المقابلة بين الامة
المصرية ، والامة اليابانية . وتفضيل نشأة الاولى على الثانية والحكم بانها لو سلكت
السييل الذي وجهها اليه محمد علي بلغت من الشأن والشأ ما لا يكتسه كنهه . فاذا
وجه الحاكم المطلق الامة الى شئ هو في طبيعتها واستعدادها فمن الذي يحولها عنه
بعد ذلك الا الحاكم المطلق الذي هو مثله ؟؟ الكلام صريح ، ليس بتعريض ولا تلويح ،
هذه هي الخطبة من حيث المقابلة بين الماضي والحاضر ومدح محمد علي وهجو خائفه .
ولا نتعرض لما فيها من القلو والكذب على التاريخ كزعم ان محمد علي وفق بين المدنية
العصرية والدين والاسلامي وغير ذلك فمحمد علي لم يكن عالماً ولا فيلسوفاً وانما كان
أمياً لا يعرف من علوم الدين ولا من علوم الدنيا شيئاً . وفي الخطبة انه تعلم القراءة
بعد الاربعين . واكتنه لم يتعلم من العلم شيئاً وحسبنا ما تقدم في المنار من حقيقة أمره .
نعم اننا لم ننكر انه كان جندياً باسلاً وشجاعاً حازماً وبذلك تيسر له ان يكون قائداً
لأوائك الشجعان الذين آباد بهم ثم آبادهم

وتقي في الخطبة كلمتان لا بد من التنبه عليهما . احدها ما جاء في الصفحة ١٥ من
انه بقي في مصر من الاستقلال الذي أزاله الانكليز قوة كبرى اليها انتهت وتنتهي كل
قوة في مصر وهي الساطة العالية التي استمدت وتستمد البلاد منها كل نجاح وفلاح وهي
عرش الخديوية الذي يمثل قوة مصر في ماضيها وآتيها . فمذا الذي يستطيع ان يفهم
هذا الكلام . بعد كل ما تقدم من الايهام ، وهل يصح ان يسأل قائله عن رأيه في استعمال
صاحب هذا العرش المتولي على هذه الامة الحية لهذه القوة الكامنة أولاً ، وثانيهما
نصيحته في آخر الخطبة للمصريين ان يتركوا اليأس ويبنوا مجدهم المقبل على « التربية
الوطنية » ليخرج . هم رجال عظام يبدلون ليل الاوطان بالنهار . فهل يريد انه ليس
فيهم الآن رجال وهل يريد ان يعتمدوا على أنفسهم « لا على عرش الخديوية وقوته الكامنة ؟
وهل يمكن ان يعود اليهم مجدهم بدون أمير كمحمد علي الكبير ؟؟؟

كلالة ذكر التربية الوطنية التي يزعم انه المنفرد بالحث عليها وانها الحية للبلاد ليفهم
الناس انه هو محيي الوطن بعد محمد علي ولذلك ختم خطبته بكلمة لم تطبع وهي : انني خاليت
هنا سنة ١٨٩٦ خطبة كانت من أثرها هذا الانقلاب الكبير في التربية والتعليم وسيكون
أثر هذه الخطبة أكبر وأعم في تقدم الوطن العزيز نخرج القوم يضحكون من هذا الغرور

﴿مصائب عظيم . بوفاة عالم حكيم﴾

في يوم الجمعة ٦ ربيع الاول أصيب الشرق بفقد رجل عظيم من رجال الاصلاح الاسلامي وعالم عامل من علماء العمران وحكيم من حكماء الاجتماع البشري ألا وهو السائح الشهير ، والرحالة الخير ، السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الحلبي مؤلف كتاب طبائع الاستبداد وصاحب « سجل جمعية أم القرى » الملقب فيه بالسيد الفراتي . احتطفت المنية منابغة هذا المصديق الكريم ، والولي الحميم ، بل هدمت منا الركن الركين ، وقوضت أقوى الدعائم والاساطين ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لو كان الرثاء والتأبين من موضوع المزار لرثيته بما يليق بخطبه العظيم . وما كنت لاستعير المدامع ، لاستعير القاري والسامع ، ولا لاستمد الرثاء من خيال الشعراء ، ولا الحزن من فؤاد الحنساء ، وانما استلمي القلب ، بعض ما يجرد من الكرب ، فانه ما أحزني خطب نخطبه ، ولا أمضني كرب ككربه .

حزني عليه دوره مسلسل مهما انتهى الى النفاذ انقلبا

ولكنني أدع الرثاء والتأبين ، لأفاضل الشعراء المجيدين ، وأذكر في المنار ما يليق بموضوعه من خلاصة سيرة هذا الرجل ليعلم القراء منها كيف ينبت الشرق الرجال العظام ، وكيف تضيعهم الالم والحكام ، ولتكون ذكرى لمن يذكر ، وعظة لمن يعتبر ، وأبدأ بترجمة الفقيه الرسمية وهي مطبوعة في ورقتين رسميتين احدهما مصدق عليها من والي حاب المشير عثمان توري باشا ورؤساء حكومة حلب يومئذ والثانية مصدق عليها من الوزير رائف باشا والي حاب وهي الاخيرة . وانما أبدأ بالسيرة الرسمية لأنها من مواد استنباط سيرته الاجتماعية والسياسية والادبية وهذا تعريبها ما يخصاً :

(السيرة الرسمية) هو عبد الرحمن أقندي ووالده الشيخ أحمد أقندي من آل الكواكبي ومن المدرسين في الجامع الاموي الكبير والمدرسة السكواكية وآخر وظيفة كان فيها عضوية مجلس ادارة ولاية حلب وبيتهم من بيوتات المجد والشرف (خاندان) المشهورة في الاستانة العلية وحاب . ولد السيد عبد الرحمن أقندي الكواكبي في ٢٣ شوال سنة ١٢٦٥ وتعلم القراءة والكتابة في المدارس الاهلية الابتدائية ثم استحضر له أستاذ مخصوص علمه أصول اللسانين التركي والفارسي . وتلقى العلوم العربية والشرعية بمدرسة الكواكبية المنسوبة لأثرته وأخذ الإجازات من علمائها ودرس فيها . وهو يقرأ ويكتب بالعربية والتركية . وقد وقف على العلوم الرياضية والطبيعية

وبعض الفنون الجديدة بالمطالعة والمراجعة . ومن تأليفه تحرير الجريدة الرسمية (فرات) بقسميها التركي والعربي من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٢٩٧ . ومنه جريدة الشهاب التي أنشأها في حاب سنة ١٢٩٣ وكان هو المحرر لها

(خدمته ووظائفه) دخل في وظائف الدولة رسمياً في الثامنة والعشرين من عمره . وفي سنة ١٢٩٣ عين محرراً رسمياً للجريدة الرسمية بقسميها (كانه كان في سنة ١٢٩٢ يحمرها بصفة غير رسمية للاختبار) براتب قدره ثمانمائة قرش . وفي ٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٥ عين كاتباً فخرياً للجنة المعارف التي تأسست في ولاية حلب (ينون بالفخري ما كان بدون راتب) . وبعد ثلاث سنين اتسعت دائرة اللجنة وزيد فيها قسم للنافعة (الاشغال العمومية) وعين عضواً فخرياً فيها . وفي ٢ جمادى الاولى عين محرراً للمقاولات (مسجل المحكمة) وفي ١٦ ربيع الثاني سنة ١٢٩٨ صار مأموراً الاجراء (رئيس قلم المحضرين) في ولاية حاب . وفي ٧ رمضان سنة ١٢٩٨ عين عضواً فخرياً في لجنة امتحان المحامين . وفي ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ عين مديراً فخرياً لمطبعة الولاية الرسمية . وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٩ عين رئيساً فخرياً للجنة (قوميون) النافعة وفي ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ عين بامر نظارة العدلية (الحفانية) في الاستانة عضواً في محكمة التجارة بولاية حلب مع البقاء في وظيفته الاولى (محرر المقاولات) وفي سنة ١٣٠٣ انفصل من هذه الاخيرة وفي ٤ رجب سنة ٣٠٤ عاد الى وظيفة مأمور الاجراء وفي ٢٣ رجب سنة ١٣١٠ عين رئيساً للبلدية

الى هنا انتهت وظائف الترجمة الرسمية الاولى وجاء في الثانية بعد ذكر ما تقدم انه في ٢٩ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ عين رئيس كتاب المحكمة الشرعية في حاب (باشكاتب) بقرار من مجلس النواب في دار السعادة . وفي ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣١٢ عين ناظراً ومفتشاً لمصلحة انحصار الدخان (الريجي) المشتركة مع نظارة المسالية في ولاية حلب ومتصرفية الزور وفي أثناء ذلك اتفق مع ادارة المصاحبة وتعاقدا على أن يستلم من المصلحة جميع ما تقدمه من الدخان (التبغ) الى الولاية والمتصرفية بزيادة كثيرة عن القدر المعتاد وجميع ما يزرع فيه مامنه ويتولى بيعه وتعهده في ازاء ذلك بمبلغ من المال يزيد عما كانت تباع به المصاحبة دخانها زيادة كبيرة . وفي غضون ذلك استقال من رئاسة كتاب المحكمة الشرعية ثم في ٩ ذي الحجة سنة ١٣١٤ أعيد اليها وعين رئيساً للجنة البيع والافراغ (أي استبدال الاراضي الاميرية من أصحاب اليد بالمال) . وفي ٧ ربيع الاول عين رئيساً أولاً لغرفة التجارة في حلب ورئيساً لمجلس ادارة المصرف

(البنك) الزراعي . وفي ٢٢ رجب عين قاضياً شرعياً لراشيا التابعة لولاية سوريا (رتبه ووساماته) في ١٩ رجب سنة ١٢٩٧ وجهت اليه باية رؤس ادرنه العلمية . وفي ٢٥ ربيع الثاني وجه اليه تدريس هذه الرتبة . وفي ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣١٢ وجهت اليه مولوية أزمير المجردة وفي ٢٨ من جمادي الثانية أعطي الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة اهـ

ان من ينظر في هذه الترجمة الرسمية ولم يكن عارفاً بالترجم ولا بسيره في هذه الوظائف العلمية الادبية الإدارية القلمية الحقوقية التجارية الزراعية المالية يقول ان صاحبها من أوساط الناس لا من افراد الرجال الذين يعدون من علماء الاجتماع وأركان العمران ومهذبى الأمم كما وصف في فاتحة القول ولكن من يعلم انه في كل عمل منها آية بينة في إتقان العمل وحكمة التصرف يحار كيف يحسن رجل هذه الاعمال المتباينة . واذا وقف بعد ذلك على بعض سيرته في العزيمة وقوة الإرادة وعلم ما كانت تسمو اليه نفسه ويرمي اليه فكره وقرأ بعض ما جادت به قريحته الوقادة ، وفكرته النقدية ، علم أنه من أفراد الزمان ، وادراك ماذا كان يرجى منه لو ساعد الزمان والمكان ، واننا نلم بشئ مما وقفنا عليه من سيرته في مدة صحبته في هاتين السنتين اللتين أقامهما في مصر

(أدبه وأخلاقه) توفيت والدة الفقيد وهو في أول سن التميز فعهد والده بتربيته الى خالة له (من بيوتات انطاكية) من نوابغ النساء اللواتي قلما يعرف مثلهن الشرق لاسمها في هذا الزمان كانت تعرف بالعقل والكياسة والدهاء والأدب البارع فنشأته على أدب اللسان والنفس فكان من أخلاقه الراسخة الحلم والأناة والرفق والزاهة والعزة والشجاعة والتواضع والشفقة وحب الضعفاء . وقد كنت ككل من عرفه معجبا بآثاته حتى كنت أقول اتى أراه يتروى في رد السلام ويتمكث في جواب من يحية عدة ثوانٍ ولا اكاد أعرف أخلاقاً أعصى على الانتقاد من أخلاقه ولقد كان لسان الحال يصفه بقول بن دريد

يعتصم الحلم بجنبى حُبُونِي اذا رياح الطَّيْش طارت بالحبي
* لا يطبيني طمع مدنس اذا استمال طمع أو أطبى *
والحلم خير ما اتخذت حُبْنِي وأنفس الابراد من بعد التقى

(علمه ومعارفه) نزيد على ما جاء في السيرة الرسمية ان الفقيد درس قوانين الدولة درسا دقيقا وكان محيطا بها يكاد يكون حافظا لها وله انتقاد عايب يدل على دقة نظره في علم

الحقوق والشرائع ولهذا عينته الحكومة في لجنة امتحان المحامين . ولا أعلم انه برز في فن أو علم مخصوص فاق فيه الاقران ولكنه تلقى ماتلقاه من كل فن فهم وعقل بحيث اذا أراد الاشتغال به عملاً أو تأليفاً أو تعالماً يتسنى له ان ينفع نفسه لا ينتظر من الذين صرفوا فيه أعمارهم . الا تراه كيف ألف كتاباً في طبائع الاستبداد لم يكتب مثله فياسوف في الشرق ولا في الغرب فيما نعلم وكما سمعنا من كثيرين لهم اطلاع واسع في مؤلفات فلاسفة الغرب وكتابه . . على ان الفقيه لم يتعلم شيئاً من علوم النفس والاحلاق والسياسة وطبائع المال والفلسفة في مدرسة وإنما عمدته في هذه العلوم ما طامعه فيها من المؤلفات والجرائد التركية والعربية . رأيت عقلاً يتصرف هذا التصرف الذي يفوق فيه الحكماء والفلاسفة في علم لم يأخذه بالتأني وهو أصعب العلوم البشرية وأعلاها كيف يكون أثره لو تربى وتعلم في مدارس منتظمة كمدارس أوروبا الجامعة وكان عنده من مواد العلم ومعرفة الأمة والحكومة بقيمة صاحبه مثلما في أوروبا . وبالجملة انك لم تكن تذكره في شيء ولا علم الا ويشاركك فيه على بصيرة

(عمله ووجهته) كانت وجهة الفقيه في كل عمل عمله أو حاوله هي المنفعة العامة فأول شيء ولاه وجهه هو انشاء جريدة في بلاده لم تكن تعرف الجرائد الاهلية ولم تكن بضاعة الكتاب رائجة فيها ولو كان في بلاده حرية للجرائد لكان له في (الشهراء) الأثر المحمود ولكن البلاد التي تحكم بالاستبداد كالارض الموبوءة لا تحيا فيها الجرائد ولذلك لم تنجح جريدة من الجريدتين اللتين انشأها لأن نفسه الابية لم تستطع ارضاء الحكام فيما يكتب . وهكذا كان شأنه في وظائفه — ولي رياسة البلدية فكان أول عمل عمله للبلد ان وضع على طرق المدينة من خارجها سلاسل من الحديد تمنع الجمال التي كانت تسد الطرقات وتمنع المارين من التردد في حوائجهم وجعل لهذه الجمال التي تحمل الى البلد ومنه مكاناً أو أمكة مخصوصة . وكانت ماصحة (القبان) قد حصرت في واحد من الاغنياء يأخذها من البلدية بالالتزام ولا يتجاسر على الزيادة عليه أحد لتقريبه من الرؤساء فلما علم ان الرئيس الجديد لا يصده التقرب اليه عن خدمة المصاحبة عرض عليه أربعين ألف قرش أو أكثر يعطيه اياها (رشوة) كل عام في مقابلة سكوته عنه فلم يقبل الفقيه أن يأخذ لنفسه شيئاً ولكنه قبل أن يكون المبلغ اعانة لصندوق البلدية فعلم الوالي بهذه الزيادة في الصندوق وسعى في أن يكون له سهم منها فأبى عليه الفقيه ذلك فعزله . وهكذا كانت سيرته مع الحكام في كل وظائفه أو جلها — يتصدى للإصلاح فيصدونه عنه لأجل منفعة مالية أو لتقليل نفوذه فلا يتم له عمل

(لها بقية)

بوتنى الحكمة من يشاء ومن يوت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المحكمة

١٣١٥

فبشر عبادى الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمار الطريق)

(مصر في يوم الاثنين غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ — : يوليو (حزيران) سنة ١٩٠٢)

القسم الدينى

(باب تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية)

« قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »

أمرهم الله تعالى بالهبوط مرتين فالأولى بيان لحالهم في أنفسهم بعد
الهبوط من تلك الجنة أو الخروج من ذلك الطور وهو أن حالهم تقتضي
العداوة والاستقرار في الأرض والتمتع بها وعدم الخلود فيها . والثانية بيان
لحالهم من حيث الطاعة والمعصية وآثارها وهي أن حالة الإنسان في هذا
الطور لا تكون عصيانياً مستمراً شاملاً ولا تكون هدى واجتباء عاماً
كما كان يفهم لو اقتصر على ذكر توبة الله على آدم وهدايته واجتباؤه

وانما الأمر موكول الى اجتهاد الانسان وسعيه . ومن رحمة الله تعالى به ان يجعل في بعض افراده الوحي ويعلمهم طرق الهداية فمن سلكها فاز وسعد ومن تنكبها خسر وشقي - هذا هو السر في إعادة ذكر الهبوط لا انه أعيد للتأكيدهما زعموا

قال تعالى : « قلنا اهبطوا منها جميعاً » اي فقد انتهى طور النعيم الخالص والراحة العامة وادخلوا في طور لكم فيه طريقان - هدى وضلال ، إيمان وكفران ، فلاح وخسران ، « فإيا ما يأتينكم مني هدى » من رسول مرشد وكتاب مبين « فمن تبع هداي » الذي اشرعه وسلك صراطي المستقيم الذي أحده « فلا خوف عليهم » من وسوسة الشيطان ، ولا مما يعقبها من الشقاء والخسران ، « ولا هم يحزنون » على فوت مطلوب ، أو فقد محبوب ، لانهم يعلمون بهذه الهداية ان الصبر والتسليم مما يرضي الله تعالى ويوجب ثوابه ، ويفتح للانسان باب الاعتبار بالحوادث ، ويقويه على مصارعة الكوارث ، فيكون له من ذلك خير عوض عما فات ، وأفضل تعزية عما فقد

قال الاستاذ الامام ما مثاله : الخوف عبارة عن تألم الانسان من توقع مكروه يصيبه او حرمان مطلوب يتوقعه . والحزن ألم يُلْمُ بالانسان إذا فقد ما يحب وقد أعطانا الله جل ثناؤه الطمأنينة التامة في مقابلة ما تحدثه كلمة (اهبطوا) من الخوف في القلب ، وما تثيره من كوامن الرعب ، فلم يهتدون بهداية الله تعالى لا يخافون مما هو آت ، ولا يحزنون على ما فات ، لأن اتباع الهدى يسهل عليهم طريق اكتساب الخيرات ويسد لهم لسعادة الدنيا والآخرة . ومن كانت هذه وجهته يسهل عليه كل ما يستقبله ويهون عليه

كل ما أصابه أو فقدته لأنه موقن بأن الله يخلفه فيكون كالتعب في الكسب لا يلبث أن يزول بلذة الربح الذي يقع أو يتوقع وإذا قال قائل أن الدين يقيد حرية الإنسان ويمنعه بعض اللذات التي يقدر على التمتع بها ويحزنه الحرمان منها فكيف يكون هو المأمّن من الأحزان ، ويكون باتباعه النور وبتركة الخسران ؛ فجوابه أن الدين لا يمنع من لذة إلا إذا كان في إصابتها ضرر على مصيبتها أو على أحد إخوانه من أبناء جنسه الذين يفوته من منافع تعاونهم إذا آذاهم أكثر مما يناله بالتلذذ بايذئهم ولو تمثلت المستحل اللذة المحرمة مضارها التي تعقبها في نفسه وفي الناس وتصور مالها من التأثير في فساد العمران لو كانت عامة وكان صحيح العقل معتدل الفطرة لرجع عنها متمثلاً بقول الشاعر « لا خير في لذة من بعدها كدر » فكيف إذا كان مع ذلك يؤمن باليوم الآخر ويعلم أن هذه المحرمات تدنس الروح فلا تكون أهلاً لدار الكرامة في يوم القيامة قال الأستاذ: وليست سعادة الإنسان في حرية البهائم بل في الحرية التي تكون في دائرة الشرع ومحيطه فمن اتبع هداية الله لا شك أنه يتمتع تمتعاً حسناً ويتلقى بالصبر كل ما أصابه وبالطمأنينة ما يتوقع أن يصيبه فلا يخاف ولا يحزن . يريدان رجاء الإنسان فيما وراء الطبيعة هو الذي يقيه من تحكم عوادي الطبيعة فيه أشد مما تحكم في البهائم التي هي أقوى منه طبيعة « وخلق الإنسان ضعيفاً » فالتماس السعادة بحرية البهائم ، هو الشقاء اللازم ، وقد صرح بلفظ (التمتع الحسن) أخذاً من قوله تعالى « ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجلٍ مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله » الآية . فالآيات الدالة على أن سعادة الدنيا معلولة للاهتمام بالدين

كثيرة جداً وقد حجبها عن كثير من المسلمين قولهم في الكافرين « لهم فيها ولنا الآخرة » يغالطون أنفسهم بحجة القرآن عليهم . وآيات سورة طه قصة آدم أوضح في المراد من آيات البقرة وهي قوله عز وجل « قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدوٌ فأما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى » الآيات

قال تعالى « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا » التى نجعلها دلائل الهداية وحجج الارشاد بأن جحدوا بها أو أنكروها ولم يذعنوا لصدقها اتباعاً لخطوات الشيطان وعملاً بوسوسته وذهاباً مع اغوائه « أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » تقدم تفسيره . أي وهما في خوف قاهر ، وحزن مساور ، وقد فسر الجلال الآيات بالكتب المنزلة وهو يصح في القرآن فانه آية على نفسه وعلى صدق من جاء به وسائر الكتب تحتاج الى آية تدل على انها من عند الله تعالى . قال الاستاذ بعد تفسير الكفر بالحجود والتكذيب بالانكار : وكل منهما يأتي في فرق من الناس فمنهم من لا تقوى له ولا إيمان وهم الذين لا يؤمنون بالغيب لانه ليس عندهم أصل للنظر فيما جاءهم . والتكذيب عدم الاعتقاد بصدق الدعوى التى جاء بها الرسول . والحجود قد يأتي من المعتقد قال تعالى « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين »

فهذا هو الطور الاخير للانسان بعد ما وكل الى كسبه وجعل فلاحه وخسرانه بامله فمن لطف الله به ان أيده بهداية الدين بعد هداية الحس والوجدان والعقل فهذه الهدايات يرتقي بالتدريج الى ما شاء الله تعالى

﴿ باب العقائد من الأُمالي الدينية ﴾

الدرس ٣٥ — عدد الانبياء ومواطنهم وتعددتهم

(المسئلة ٩٦) عدد الانبياء والمرسلين رَوَوْا في عِدَّةٍ أَحَادِيثٍ لَا يَحْتَجُ بِشَيْءٍ مِنْهَا وَمِنْهَا الضَّعِيفُ وَالْمَوْضُوعُ وَأَمَثَلُهَا مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ حَبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ مَرْدُودِيهِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ ؟ قَالَ « مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةٌ وَخَمْسَةٌ عَشَرَ جَمَاعَةً » وَفِي رِوَايَةٍ لِلْحَاكِمِ وَالْبَيْهَقِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ « وَالْمُرْسَلُونَ ثَلَاثُمِائَةٌ وَثَلَاثَةٌ عَشَرَ وَآدَمُ بْنُ مَكْلَمٍ » . وَمِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ الْحَاكِمِ وَابْنِ سَعْدٍ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ثَمَانِيَةَ أَلْفٍ وَيَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمُ الْمُرْسَلُونَ . وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَأَبِي سَعِيدٍ عَنِ الْحَاكِمِ « إِنِّي خَاتَمُ أَلْفِ نَبِيٍّ أَوْ أَكْثَرَ » وَلَعَدِمَ الثَّقَةُ بِهَذِهِ الرِّوَايَاتِ قَالَ الْعُلَمَاءُ بِالْوَقْفِ فِي مَسْئَلَةِ عِدَّةِ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّ الْقَائِلَ بِعَدَدٍ يَكُونُ نَافِيًا لِمَا زَادَ عَنْهُ فَهُوَ كَالْمَكْذُوبِ بِالزَّائِدِ وَمَا يَدْرِيهِ لِمَلْ هَذَاكَ زِيَادَةً . هَكَذَا قَالُوا وَأَقْوَى مِنْهُ أَنَّهُ قَوْلُ عَلَى اللَّهِ بَغِيرُ عِلْمٍ فَهُوَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَيْهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَمِنْ اتِّبَاعِ الظَّنِّ فِي الْأُمُورِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ « وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَنْفِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لَنَبِيِّهِ « مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » فَحَسْبُنَا مِنَ الْعَدَدِ مَا قَصَصَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ . أَنَّ الرُّسُلَ الَّذِينَ ذَكَرُوا فِي الْقُرْآنِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِمْ تَفْصِيلًا قَالَ تَعَالَى « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » فهذا هو تفضيل النبوة والرسالة يفضلون به سائر الناس . وقد وردت هذه الاسماء متصلة على هذا الوجه . وقال تعالى : « واذكر في الكتاب اذريس انه كان صديقا نبيا » وقال جل جلاله في ذكر قصص المرسلين « والى عاد اخاهم هودا » وقال « والى ثمود اخاهم صالحا » وقال « والى مدين اخاهم شعيبا » أي وأرسلنا الى عاد اخاهم هودا ومثلهما بعده . وقال تعالى « واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخبار » فذكر ذا الكفل بين الانبياء . ولم يبق الا ذكر الفاتح وهو آدم والخاتم وهو محمد عليهم الصلاة والسلام وذكرهما في القرآن مستفيض

(م ٩٧) معاهد الانبياء ومواطنهم : ان المعروف من تاريخ هؤلاء

الانبياء الكرام يدل على انهم كانوا كلهم أو جلهم من بلاد العرب وما يتصل بها من الشام وفلسطين والعراق كأن هذه القطعة الصغيرة من الارض التي يكون منها القاموس الهندي والبحر الاحمر والبحر المتوسط شبه جزيرة هي منبت الانبياء والمرسلين من بعد آدم أي من عهد نوح الى عهد محمد عليهما الصلاة والسلام . وكأن الله تعالى اختص أهلها بالهداية دون سائر خلقه . وان القول بحصر النبوة والرسالة في هذه البقعة لمن أقوى شبه الملاحدة على الدين وهوينا في ما تقدم في بيان وجه الحاجة الى ارسال الرسل فيمكن ان يبطلوا ذلك بهذا ان صح وقد حملهم مارأوا في كتب اليهود والنصارى من حصر الانبياء في بلاد فلسطين والشام وما

جاورها على البحث في أخلاق أهل هذه البلاد وطبائعهم وعاداتهم فزعموا
 ان عند خواصهم استعداد خاصا للقيام بالدعوات الدينية والمذاهب والرياسة
 الروحية وان عند عوامهم استعدادا لا جابة كل داع واتباع كل ناعق قالوا
 ولاجل هذا حدثت الاديان والمذاهب والفرق في هذه البلاد دون غيرها
 هذه الوسوس لا منفذ لها الى قلب من يفهم القرآن فقد قال جل
 حكمته « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا
 نَذِيرٌ » فهذا نص قاطع صريح في ان هذه الرحمة الالهية والهداية السماوية
 كانت منحة عامة لجميع الامم في كل بقعة من بقاع الأرض . وانه أقول
 فصل ، تصانح فيه العقل مع النقل ، فان قيل لِمَ لَمْ يذكر في بيان هذا
 الاجمال بذكر الانبياء والمرسلين نبيا أرسل في الهند أو الصين أو أوروبا
 أو أميركا ؟ نقول ان ذكر الانبياء لم يأت بياناً لاجمال في هذه الآية وانما
 أتى لبيان سنن الله تعالى في الامم مع أنبيائهم لأجل العبرة للمندثرين .
 ونثبت المرسلين ، قال تعالى « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ »
 وقال « وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيْنَا مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ » وكل من
 العبرة والتثيت انما يكون بما هو معروف ولو بوجه ما ولذلك تكرر
 ذكر الانبياء الذين تعرف أقوامهم أو بلادهم بالتفصيل أكثر مما لا يعرف
 الا بالاجمال . ويكفي ذكر آية واحدة لبيان ان رحمته تعالى لعماده
 بإرسال الرسل لهدايتهم عامة لأن جميع الخلق عيال الله تعالى وهو بهم
 رؤوف رحيم . أرأيت لو جاء هذا النبي العربي قومه بذكر نبي كان أرسل
 في أميركا منذ مائة ألف سنة مثلاً وذكر لهم بعض شأنه معهم أكان يحصل لهم
 من العبرة بعض ما حصل من أخبار أمة اليهود ، وخبر صالح في ثمود ،

كلا ان ذكر المجهول المطلق يحمل على التخيل والاختراع ، ويقول الناس في أمثالهم : اذا أردت ان تكذب فأبعد الشهود . ولذلك كان يأمرهم أحيانا بسؤال اليهود ، ونزل في قصة ثمود ، « وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون »

وما يدرينا ان كونفشيوس كان نبيا مرسلا الى أهل الصين فان آثار هدايته وحكمته لم تمتح بالمرّة وكذلك يقال في بوذه فان قيل يوجد في عقائد القوم ما يحكم الاسلام بأنه لا يمكن ان يكون من دين الله لاسيما ما في الديانة البوذية من الشرك بالله تعالى . نقول أليس يوجد في عقائد من صرح القرآن الحكيم بان كتبهم سماوية ، وديانتهم الهية ، أمثال هذه العقائد التي يعدها الاسلام وثنية ؟ فما يدرينا ان هذا دخل على القوم بالتأويل والتحريف كما دخل على من بعدهم الى يومنا هذا « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » إذن ان طول الامد على البعثة مظنة الفسوق عن أمر الله تعالى والعبر بين أيدينا وعن أيماننا وشمائلنا فالهمننا اللهم رشدنا

فان قيل : اذا جوزتم ان تكون الامم التي سبقت لها آداب سامية و مدنية زاهية ، قد استمدت ذلك من الديانة السماوية ، كما قلت في الامة الصينية ، فما هو الحكم في الامم الهمجية التي لا يكاد يفصلها عن الحيوان الاعجم الا بدو البشرة والضحك بالطبع ك بعض زنوج افريقيا وسكان بعض جزائر القاموس المحيط الاعظم ؟ إن قلتم أنه بعث فيهم أنبياء فإين آثار هدايتهم في الامة ؟ وإن قلتم لما يُرسل اليهم رسول فإين العموم في قوله

تعالى « وان من أمة الا خلا فيها نذير » فالجواب ان الله جلت حكمته خلق هذا الانسان وجعل كماله الوجودي بالارتقاء التدريجي في عمله بالكون وعمل الكون به فكلما استعد لمرتبة من مراتب ذلك الكمال أعطاه اياها فهو يأخذ دائماً بقدر استعدادة . واطلاق القول في العموم والخصوص يراعى فيه قيد ما عرف في نظام الوجود انه شرط له فاذا قلنا ان الأتني تلد او كل اتني تلد فالمراد انها تلد في سن الولادة وبشرطها الوجودي فلا ينقضه كون الصغيرة لا تلد . فاذا فرضنا ان المسؤول عنهم لم يظهر فيهم مرشد ينذر قومه بما يعطيه الالهام الالهي من المعرفة سوء ما هم فيه من افساد ويدلهم على الحق وطرق الاصلاح فلا شك ان ذلك لعدم استعدادهم لفهم الحق ومعرفة الخير من الشر

على ان عدم ارتقاءهم في المدنية لا يدل على انه لم يظهر فيهم نذير ولا مرشد لان الناس في كل عصر لا يستفيدون من هداية الأنبياء الا بقدر استعدادهم فكم من نبي لم يؤمن به الا النفر القليل كما ورد في نوح عليه السلام . وكم من نبي لم يؤمن به أحد كما قال تعالى بعد ذكر قصة نوح « ثم بعثنا من بعده رسلاً الى قومهم فجاءهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » واكثر الانبياء قد درست آثارهم في الشرق حتى ان صحف ابراهيم لم يحفظ منها شيء وهو أبو الانبياء و خليل الرحمن والذي حفظت له الذكر الحسن جميع الأمم المؤمنة لانها كانت قد ارتقت وصار فيها من يعرف قدر العظماء ويحفظه ولأن النبوة تسلسلت في ذريته باتصال فهل ينكر مع هذا ان لا يحفظ للانبياء الذين يظهرون في الامم الجاهلة الهمجية أثر؟

(م ٩٩) ارتقاء الدين جرى الدين في سنة الارتقاء وكان كماله في الشرق

وذلك من عهد ابراهيم الى عهد محمد خاتم النبيين فالانبياء ليسوا سواء في اصلاح الامم في عقائدها وأعمالها وآدابها وروابطها الاجتماعية لأن الحاجة الى الاصلاح تختلف باختلاف الامم والاقوام فالبدو أقل من الحضرة ضلالا في الفكر وأقل علما لأنهم أهل فطرة لم تحكم فيها المذاهب الوضعية والآراء النظرية وأقل فسادا في الاخلاق والآداب لسذاجتهم وبعدهم عن الترف وليس في البداوة من الشؤون الاجتماعية مثل ما في الحضارة فتحتاج الى ما تحتاج اليه من الشرائع المدنية والقضائية والسياسية.

كان الناس على بساطتهم وسلامة فطرتهم فلما دب فيهم الفساد لم يفش الا بالتدريج فكان يظهر فيهم الشرك في العبادة وهو التوجه الى شيء من المخلوقات يكون صلة بينهم وبين الخالق الذي تشرب به فطرتهم ، ولا يحيط به علمهم ولا تحده مخيلتهم ، ويفشو فيهم بعض الشرور فيظهر الله فيهم واحداً منهم كبير العقل زكي النفس يلهم قلبه ويوحى اليه ان يندرهم العقوبة على ظلمهم وينهاهم عن الشرك والرديلة ويأمرهم بضدها وبذلك تستقيم حال من أطاعه لأن هذا الذي طرأ عليهم هو الذي يطغى نور الفطرة بالتمادي فيكون الانسان به شيطانا مريداً . الا ترى ان من الانبياء من لم يذكر له القرآن الا الدعوة الى التوحيد فقط . ومنهم من ذكر له النهي عن معصية كانت فاشية فكان يدعو الى التوحيد وينهى عنها دائماً كما جاء في قصة لوط من النهي عن الفاحشة دائماً . وكقوله تعالى في رسالة شعيب عليه السلام « والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ ولا تنقصوا المكيالَ والميزانَ » ثم حكى عنه « ويا قوم أوفوا المكيالَ والميزانَ » . فيفهم من تكرار ذلك ان المقصود الاعظم من رسالة شعيب عبادة الله تعالى وحده

وايفاء المكيال والميزان لان قومه كانوا مُطَفِّقِينَ (كما كثر الباعة في مصر لهذا العهد) اذا اُكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَاِذَا كَالُوهُمْ او وُزَنُوا يَخْسِرُونَ . ولم تكن رسالة موسى بهذا الاختصار فقد كانت لها شريعة واسعة وفيها هجرة وحرب لان معيشة الحضارة وحكم الاستبداد اثرا في بني اسرائيل تأثيراً أفسد طباعهم من جهة وجعلهم مستعدين لحياة مدنية فاضلة من جهة أخرى فكانت هدايتهم أصعب .

(م ١٠٠) تعدد الرسل ومراتبهم : كان الناس أمة واحدة على فطرة الله التي فطر الناس عليها وذلك عند ما كانوا على البداوة التي هي أقرب الى الحياة الفردية منها الى الحياة الاجتماعية فقضت سنة الارتقاء ان يزيدوا اجتماعا بالتدرج فكانت بعد البيوت والاسر العشائر والقبائل والقبائل والشعوب والأمم . وكانوا كلما ارتقوا درجة في الاجتماع تقوى فيهم الاطماع التي يقتضيها النزاع في الحظوظ ويكونون في حاجة الى علم واسع بالمصالح والمنافع المشتركة . وكان يظهر فيهم عند الدخول في كل طور من هذه الاطوار هداة يرشدونهم الى ترك الضار بأنفسهم منفردة ومجتمعة ويدلونهم على مابه تسلم ارواحهم من الفساد في الاعتقاد والاخلاق وفي ذلك سعادة الدنيا والآخرة . وبهذا وما قبله يعلم ان المقصود من بعثة الانبياء والمرسلين واحد في الجملة وانه يختلف في تفصيله باختلاف أحوال الاقوام وان اولئك الهداة المصلحين لم يكتسبوا علم اصلاح الامم اكتسابا بالتعليم وانما كانوا ممتازين بفطرتهم السلية عن قومهم امتيازاً كانوا به على علم بالاصلاح ضروري عندهم سعي لحقاء منشأه وسرعة حدوثه في النفس وحيا (راجع الكلام على الوحي في المسئلة ٦١ من الدرس العشرين - ٢٥٢ : ٤)

وكان عليهم مؤثرا في النفس باعثارها على العمل به لانه وجداني
الهي لامن استنباط التصور والفكر الذي يصحبه الشك والتردد أي
انه كان يقع في قلب صاحبه ومعه علم آخر وجداني وهو أنه من الله تعالى
سواء نزل على القلب في اليقظة أم في المنام .

ونتيجة هذا وذاك ان علوم الرسل وأعمالهم متفاوتة بحسب أحوال
أمتهم وبذلك فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وسمى بعضهم
أولى العزم . ومنه ومن اختلاف اللغات في الاقوام يعلم انه الرسل قد
يتعددون في زمان واحد بين أقوام ولو متجاشرين وقد يتعددون في
أمة واحدة للتماون كموسى وهرون في بني اسرائيل . واذا كان فضل بعض
الرسل على بعض يكون بحسب حال الامم التي بعثوا اليها وما يستلزمه
اصلاحها من العلم والعمل فموسى جدير بأن يكون أفضل من صالح وشعيب
والمرسل الى الخلق كافة أفضل من المرسل الى أمة معدودة . وبهذه المناسبة
ومناسبة كون ارسال الرسل كان على حسب حاجة البشر الى الاصلاح
الروحي والاجتماعي نتكلم في الدرس الآتي عن ختم النبوة وخاتم النبيين
عليه أفضل الصلاة والتسليم

(ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

بقلم الشيخ أمين أفندي عن الدين من أهل العلم والادب في طرابلس الشام ونزيل مصر الآن
صدق الله العظيم وكذب هوس الناس : نقوم امام المحراب تماثيل
بشرية يحرك حكم العادة أيدينا بالتكبير والستنا بالتلاوة والتسبيح ويحني
ظهورنا للركوع ويثني عظامنا للسجود من غير ان يلم بنا شعور بهذه

الامور أو يفعل في أنفسنا تأثير من تلك الاعمال فضلاً عن نظري في مقاصدها وتوجه الى غاياتها ونحسبها من الصلاة التي قال فيها رب محمد صلى الله عليه وسلم «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» ونحن مشغولون للفواحش عن ذراع سبحان الله نحن ما نحن مصلون

الصلاة ما جعلها الله افعالاً ميةً واوضاعاً جامدةً تقصد لذاتها ولكن جعلها مظاهر سكية ومواقف خضوع تؤذن الناس انها شعار مناجاة بين العبد وبين ربه كل يوم ليكون هذا الانسان على نوع من ذكر الله تعالى في معارك معاشه ومعامع حياته وفي الآخرة اعد الله له أجراً عظيماً تعالى الله أن يكلف قلوباً غلفاً ونفوساً جلفاً باختلاجات عضوية فارغة الاناء ثم يعد لفاعلها حسن الجزاء

الصلاة أفعال مخصوصة ذات أركان معلومة جعلها دين الله الاسلامي مراقبة للمعبود انزلت من السماء مائدة تحمل للارواح غذاءها من العالم النوراني كيلا تضل في الغربة ويتغلب عليها سلطان الشهوة الذي يأتيه رزقه من مطاهي هذه الطبيعة كل يوم . خلق هذا الانسان عالمين متباينين لكل منهما مطالب تناسب طبيعته وتلائم درجته في الوجود احدهما مادي كثيف حكم الله عليه ان يتكفف هذه الطبيعة في وجوده وبقائه والثاني أثري لطيف يستمد وجوده من النور القدسي ويستفيض بقاءه من النفحات الالهية فالاول جسم والثاني روح

تناول الجسد وجوده من هذه البسائط الارضية فجرت عليه قوانين الطبيعة واعتورته احكام المادة من قوة وضعف وزيادة ونقص وتحلل وتركب وأصبح من أجل ذلك في حاجة شديدة لتعويض ما تستلبه

منه فليس التحليل مثلاً بمثل وجنساً بجنس وذلك غذاؤه واما الروح فهو وان كان آمناً على وجوده من غارة الفناء وانجلال الاجزاء الا انه هبط من السماء وله مع العالم المادي شؤن يريد كل من المتجاورين ان يكون هو المتغلب ليتمكن من امتلاك هذا الهيكل الانساني فيستسيه في أمياله ويتصرف فيه كيف يشاء ومن ثمة كان الروح مضطراً ان يستمد من عالمه العلوي ما يقوى به على التغلب او يحفظ به مركز استقلاله وهذا هو غذاؤه . متى تمت الغلبة للروح رفرت بهذا الانسان الى معاهدها الاولى في مظاهر الملكوت ومصاف الملكية واذنت له ان يتصرف بما في آفاقه من الكونيات المادية الى حيث يجعلها من خدم شؤنه الحيوية على عكس من الجسد اذا تسنم صهوة القلب واقعد سرير السلطة فانه يهبط بالانسان الى عالمه في الدركات السفلية وبرزخ العجم من الحيوانات الى حيث تترفع الطبيعة ان يمسها بكفه تصرف او تمكنه من وطرفي الفريقين خير ؟

أراد الاسلام بهذا الانسان خيراً فحتم عليه في سائر أحواله ان يجيب مطالب عالمه الروحي ويتقاعس عن مشتهيات عالمه المادي ما استطاع ودعاه ان يقف بين يدي ربه سبحانه وتعالى خمس وقفات في اليوم يناجيه بهيئة الذل وشعار الخضوع بحيث ينبذ ما سواه في العراء ليتأهل لقبول الفيض الالهي الذي هو لروحه غذاء تقوت به وتعتمد عليه في مناوراتها مع الجسم والمادة وتلك هي الصلاة التي تنهى عما تنهى وتقرب الى الله زلنى تلك التي كففت جبروت أولئك القوم الجاهلية في رده من الزمن وهي التي كان مؤمن القلب في القرون الغابرة يتغيب فيها عن

مشاعره بحيث لم يكن يشعر بالواجب الخطرة والمؤلمات الجسدية ولو كان في هذه نشر عظمه أو عرق لحمه وها هو تاريخ حياة القوم كانوا يعلمون ان الصلاة ماهية دعائها الخشوع . كانوا يعلمون ان ما فيها من الاعمال انما هو ركن ثانوي يقصد به تمثيل الخضوع القلبي على الجوارح ليشارك السر والعلائية في التذلل والسكينة فطفقوا يصلون متجردين عن المشاغل الفكرية وهو السبب فيما يبلغنا عنهم من الغيبة عن مشاهد الكون في خلال الصلاة أما نحن فانا ذهبنا الى ان الصلاة انما هي تلك الاعمال الظاهرية لا دخل فيها لخشوع ولا يغنى فيها خضوع واقبالنا نجتزئ بتلك الوقفات الجمادية والاختلاجات اللسانية وهي لا تصدقنا عن فحش نأثيه ولا تنهانا عن منكر نفعله فهل تخلف قول القرآن أم نحن لم نكن مصلين ؟ نزعم اننا لم نخاطب خطاب التكليف بتلك الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر حيث فهمنا انها هي الكاملة وينكأ القوم لا يعقلون !! هل أمر الله إذ أمر باقامة الصلاة ان تكون ناقصة أم دلت الاقامة في قوله تعالى اقيموا الصلاة على ذلك المعنى الناقص ؟

استغفر الله قال صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . اللهم ما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ﴿الملائكة والنواميس الطبيعية﴾

سأل سائل : اذا كانت الملائكة هي عبارة عن القوى المعنوية ، والنواميس التي بها نظام العوالم الحية ، فما معنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » وأمثاله ؟ والجواب : ان الذي تقدم في التفسير هو ان الملائكة عالم مستقل مستتر عنا وادكار القوى والنواميس الطبيعية جذاباً لمكري الملائكة الى التصديق لأربعض ما ورد في ما يعتقدون فكيف يكفرون لاختلاف الامااط لا أن الكلام كان ارجاعاً لمصوص الدين الى أقوالهم

﴿ القسم العمومي ﴾

نموذج من كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني وهو يطبع الآن

فصل

(في الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه . و ذم الاشتغال بعلمه وتبعه)
لا يخلو من كان هذا رأيه من أمور (أحدها) ان يكون رفضه له
و ذمه إياه من أجل ما يجده فيه من هزل أو سُخْفٍ وهجاء وسب وكذب
وباطل على الجملة (والثاني) ان يذمه لانه موزون مقفى ويرى هذا بمجرد
عييا يقتضي الزهد فيه والتنزه عنه (والثالث) ان يتعلق بأحوال الشعراء
وانها غير جميلة في الأكثر ويقول قد ذموا في التنزيل ، وأي كان من
هذه رأيا له فهو في ذلك على خطأ ظاهر ، وغلط فاحش ، وعلى خلاف
ما يوجب القياس والنظر ، وبالعكس مما جاء به الأثر ، وصح به الخبر ،
أما من زعم ان ذمه له من أجل ما يجد فيه من هزل وسُخْفٍ وكذب
وباطل فينبغي ان يذم الكلام كله . وان يفضل الخرس على النطق والحي
على البيان . فثور كلام الناس على كل حال أكثر من منظومه والذي
زعم انه ذم الشعر بسببه وعاداه بنسبته اليه أكثر لأن الشعراء في كل
عصر وزمان معدودون . والعامة ومن لا يقول الشعر من الخاصة عديد
الرمل . ونحن نعلم ان لو كان متثور الكلام يُجمع كما يُجمع المنظوم . ثم
عمد عامد فجمع ما قيل من جنس الهزل والسُخْفِ ثرا في عصر واحد
لأربى على جميع ما قاله الشعراء نظما في الازمان الكثيرة ولعمره حتى لا
يظهر فيه . ثم انك لو لم ترو من هذا الضرب شيئا قط ولم تحفظ
الا الجذ المحض والا مالا معاب عليك في روايته وفي المحاضرة به وفي

نسخه وتدوينه لكان في ذلك غنى ومندوحة ولو وجدت طلبتك ونلت مرادك وحصل لك ما نحن ندعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك ودع إِمَاتَكَرِهِ إِلَى مَا تَحِبُّ (هذا) وراوي الشعر حاك وليس على الحاك عيب، ولا عليه تبعه، اذا هو لم يقصد بحكايته ان ينصر باطلاً، أو يسو مسلماناً، وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر الى الغرض الذي له روي الشعر ومن أجله أريدَ وله دَوْنٌ تعلم انك قد زغت عن المنهج وانك مسيءٌ في هذه المداوة وهي المصيبة منك على الشعر . وقد استشهد العلماء لغريب القرآن واعرابه بالآيات فيها الفحش وفيها ذكر الفعل القبيح ثم لم يعيهم ذلك اذ كانوا لم يقصدوا الى ذلك الفحش ولم يريدوه ولم يرووا الشعر من أجله . قالوا وكان الحسن البصري رحمه الله يتمثل في مواعظه وكان من أوجعها عنده:

﴿اليوم عندك دَلُّهَا وحديثها وغداً لغيرك كَفُّهَا والمعصم﴾

وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكره العَرَزُبَانِي فِي كِتَابِهِ بِإِسْنَادٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَمِيرٍ أَنَّهُ قَالَ أَتَى عُمَرَ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِحُلٍّ مِنَ الْيَمَنِ فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَمُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَؤُلَاءِ الْمُحَمَّدَوْنَ بِالْبَابِ يَطْلُبُونَ الْكِسْوَةَ فَقَالَ أَئِذْنَ لَهُمْ يَا غَلَامُ فِدَعَا بِحُلٍّ فَأَخَذَ زَيْدٌ أَجُودَهَا وَقَالَ هَذِهِ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ وَكَانَتْ أُمُّهُ عِنْدَهُ وَهُوَ مِنْ بَنِي لُؤَيٍّ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيَّهَاتِ أَيَّهَاتٍ وَتَمَثَّلَ بِشَعْرِ عُمَاةِ بْنِ الْوَلِيدِ :

اسرك لما صرع القوم نشوة خروجي منها سالماً غير غارم^(١)
 بريئاً كأنني قبل لم أك منهم وليس الخداع مرتضى في التنادم
 رُدّها . ثم قال اثنتي بثوب فألقه على هذه الحلل وقال أدخل يدك
 نخذ حلة وأنت لا تراها فأعطهم . قال عبد الملك فلم أر قسمة أعدل منها .
 وعُمارة هذا هو عُمارة بن الوليد بن المغيرة خطب امرأة من قومه
 فقالت لا أتزوجك أو تترك الشراب فأبى ثم اشتد وجده بها فحلف لها
 ان لا يشرب ثم مر بنحوهم عنده شرب يشربون^(٢) فدعوه فدخل عليهم
 وقد أنفدوا ما عندهم فنحرو لهم ناقته وسقاهاهم يرديه ومكثوا أياماً ثم خرج
 فأتى أهله فلما رآته امرأته قالت ألم تحلف ان لا تشرب فقال :

واسنابشرب أم عمرو اذا انتشوا • ثياب الندامى عندهم كالغنائم
 ولكننا يأم عمرو نديمنا بمنزلة الريان ليس بعمائم^(٣)
 أمرك - اليتيم * فاذن رب هزل صار أداة في جد ، وكلام جرى
 في باطل ثم استعين به على حق ؛ كما انه رب شي خسيس ، توصل به الى شريف ،
 بان ضرب مثلاً فيه ؛ وجعل مثلاً له ؛ كما قال أبو تمام :

والله قد ضرب الاقل لنوره مثلاً من المشكوة والنبراس
 وعلى العكس قرب كلمة حق أريد بها باطل فاستحق عليها الذم
 كما عرفت من خبر الخارجي مع علي رضوان الله عليه ؛ ورب قول حسن

(١) صرع بالتشديد كصرع بالتخفيف . والضمير في منها النشوة السكر . ومن شأن
 المنتشي ان يتلف ماله فيخرج غارماً . وان للامارة نشوة أدعى الى الغرم ، وسكرة أبعد
 على الظلم ، ومثل عمر من يخرج منها وهو سالم ، لا ظالم ولا غارم ، (٢) الشرب بالفتح
 جماعة الشاربين (٣) العائم ذوالعيمة ، نخيصة ، وهي شهوة اللبن مع فقده

لم يحسن من قائله حين تسبب به الى قبيح كالذي حكى الجاحظ قال: رجع طاوس يوماً عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والي اليمن فقال: ما ظننت أن قول سبحان الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلاً أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاماً فقال رجل من أهل المجلس سبحان الله كالمستعظم لذلك الكلام ليغضب ابن يوسف ، فهذا ونحوه فاعتبروا جعله حكماً بينك وبين الشعر .

(وبعد) فكيف وضع من الشعر عندك وكسبه المقت منك انك وجدت فيه الباطل والكذب وبعض ما لا يحسن ولم يرفعه في نفسك ولم يوجب له المحبة من قلبك أن كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب . وأن كان مجنى ثمر العقول والالباب ، ومجتمع فرق الآداب ، والذي قيد على الناس المعاني الشريفة ، وأفادهم الفوائد الجليلة ، وترسل بين الماضي والغابر ، ينقل مكارم الاخلاق الى الولد عن الوالد ، ويؤدي ودائع الشرف عن الغائب الى الشاهد ، حتى ترى به آثار الماضين ، مخلدة في الباقيين ، وعقول الاولين ، مردودة في الآخرين ، وترى لكل من رام الأدب ، وابتغى الشرف ، وطلب محاسن القول والفعل ، منارا مرفوعا ، وعلماً منصوبا ، وهاديا مرشداً ، ومعلماً مسدداً ، وتجد فيه للنائي عن طلب المآثر ، والزاهد في اكتساب المحامد ، داعياً ومحرضاً ، وباعثاً ومحضضاً ، ومذكراً ومعرفاً . وواعظاً ومثقفاً ، فلو كنت ممن ينصف كان في بعض ذلك ما يغير هذا الرأي منك ، وما يحدوك على رواية الشعر وطلبه ، ويمنعك ان تمليه أو تعيب به ، ولكنك أبيت إلا ظناً سبق اليك ، والا بادى رأي عن لك ، فأقلت عليه قلبك ،

وسددت عما سواه سمك ، ففي الناصح بك ، (١) وعسر على الصديق الخليط تنبيهك ، نعم وكيف رويت « لأن يمتلي جوف أحدكم قبحاً فيريه »^(٢) خير له من أن يمتلي شعراً « ولهجت به وتركت قوله صلى الله عليه وسلم : « ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا »^(٣) وكيف نسيت أمره صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ووعدده عليه الجنة . وقوله لحسان « قل وروح القدس معك » وسماعه له ، واستنشاده إياه ، وعلمه صلى الله عليه وسلم به ، واستحسانه له ، وارتياحه عند سماعه ، ؟

(أما) أمره به فمن المعلوم ضرورة . وكذلك سماعه إياه . فقد كان حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير يمدحونه ويسمع منهم ويصغى إليهم ويأمرهم بالرد على المشركين^(٤) فيقولون في ذلك ويعرضون عليه . وكان عليه السلام يذكر لهم بعض ذلك كالذي روى من أنه صلى الله عليه وسلم قال لكعب

(١) عني عجز أصله عني فادغم (٢) حديث رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن أبي هريرة وعن غيره والرواية المشهورة فيه « حتى يريه » أي يفسده وفي رواية بحذف حتى يريه وفي أخرى حذف حتى وقرأها بعضهم حينئذ يريه بالفتح وبعضهم بالضم ولم أر من رواه بالفاء « فيريه » كما في نسخة المصنف . وفي رواية ابن عدي عن جابر « لأن يمتلي جوف الرجل قبحاً أو دماً خير له من أن يمتلي شعراً مما هجيت به » (٣) الحديث مشهور رواه أصحاب الصحاح وغيرهم ورواية المصنف مافقة من روايتين فقد وردت كل جملة من طريق . وأما الجملتان معاً فقد جاءتا في حديث ابن عباس عند أحمد وابن ماجه هكذا (ان من البيان سحراً وان من الشعر حكماً) وعند ابن عساكر من حديث علي باللام وله تمة وهي « وان من العلم لجهلا وان من القول عيالا » (٤) روى الخطيب وابن عساكر عن حسان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له : اهج المشركين وجبرائيل معك اذا حارب أصحابي بالسلاح فحارب أنت باللسان . وفي حديث جابر عند ابن جرير انه قال يوم الاخراب (من يحمي أعراض المؤمنين) قال

« مانسى ربك وما كان ربك نسيا شعراً قلته » . (١) قال وما هو يا رسول الله قال : « أنشده يا أبا بكر » فأنشد أبو بكر رضوان الله عليه :

زعمت سَخِينَةً ان ستغلب ربها وليُغلبَنَّ مغالبُ الغلابِ (٢)
(وأما) استنشاده اياه فكثير . من ذلك الخبر المعروف في استنشاده حين استسقى فسقي قول أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمةً للارامل
يُطيف به الملاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وقواضل
الايات . وعن الشعبي رضي الله عنه عن مسروق عن عبد الله قال

كعب أنا يا رسول الله فقال (انك محسن الشعر) فقال حسان بن ثابت أنا يا رسول الله قال (نعم اجهم أنت فسنيعينك روح القدس) وكتب الاستاذ الامام في هامش النسخة الاصلية بإزاء اسم كعب : (لعله كعب بن مالك لأن ابن زهير وان مدح لكنه لم يؤمر بالشعر للمناضلة عن الاسلام فقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع) ويؤيد قول الاستاذ مارواه ابن جرير عن ابن سيرين وملخصه ان المهاجرين رغبوا الى النبي عليه الصلاة والسلام أن يأمر علياً بهجاء الرهط الذين هجوه (وهم عمرو ابن العاص وعبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث) فقال ليس عليٌّ هنالك وعرض بالانصار فانتدب لذلك حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة . وفيه انه استشد كعباً وهو راكب ناقه فأنشد الايات التي أولها

قضينا من تهامة كل ريث وخير ثم أجمحنا السيوف
لحيرها ولو نطقت لقلت قواطعهن دوساً أو ثقيفا

قال : فأنشد الكلمة كلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لهي اشد عليهم من رشق النبل) قال ابن سيرين : فثبت ان دوساً انما اسلمت بكلمة كعب هذه (١) . قال الاستاذ الامام (هذا هو كعب بن مالك) (٢) كتب في هامش الاصل : سخينة لقب تنز به قريش لأنها كانت تأكل السخينة وهي طعام من دقيق الشعير واللحم وتسخن وذلك في ايام المجاعات . والحديث رواه ابن منبده وابن عساكر عن جابر

لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القنلى يوم بدر مصرعين فقال
صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه «لو ان أبا طالب حي لعلم ان
أسيافنا قد أخذت بالانامل» قال وذلك لقول أبي طالب (١)

كذبتهم وبيت الله ان جد ما أرى لتلبسن أسيافنا بالانامل
وينهض قوم في الدروع اليهم نهوض الروايا في طريق حلال

(١) البيت الذي فيه لفظ الانامل في قصيدة أبي طالب هو قوله

وقد حالفوا قوماً علينا أظنةً يعضون غيظاً خلفنا بالانامل

والبيت الذي فيه كذبتهم هو قوله

كذبتهم وبيت الله نترك مكة ونظمن الامركم في بلابل
وقوله: كذبتهم وبيت الله نبري محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل
والبيت الذي فيه لتلبسن الخ هو قوله

وانا لعمر الله ان جدماً أدوى لتلتبسن أسيافنا بالامائل

والذي فيه ينهض الخ هو قوله

وينهض قوم في الحديد اليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وبهذا تعلم ما في بيتي الشيخ . اه من هامش الاستاذ الامام

(تفسيره) قوله أظنة جمع ظنين وهو المتهم . والظنة بالكسر التهمة وجمعها ظنين .
وجمع فعيل على أفعله غير قياسي ولكنه ورد ومنه قوله تعالى «أشحة عليكم» . وقوله نترك
مكة أي لا نتركها . ومثله قوله نبري محمداً أي لا نبراه ولفظ (محمداً) منصوب بنزع
الخافض . يقال أبرى فلان بفلان اذا غلبه وقهره أي لا تغلب بمحمد ولا تقهر عليه
والحال اننا لم نطاعن دونه بالرماح ونناضل عنه بالسهم فالجملة المنفية بلمّا حال من نائب
الفاعل . وقوله (لتلتبسن أسيافنا بالامائل) أي لتختاطن بالاشراف بما تقتك بهم في الحرب ،
والروايا جمع راوية وهو ما يستقى عليه من بعير وغيره ، والصلاصل القرب فيها بقايا الماء
واحدها صلاصلة بضم الصادين وهي بقية الماء في الادواة والقربة . يريد أن قومه ينهضون
مقلبين بالحديد تسمع له قعقة كصلصلة الماء في المزادات

ومن المحفوظ في ذلك حديث بن مسامة الانصاري (٢) جمعه وابن أبي حدرود الاسلمي الطريق قال فتذاكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد كنا يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لحسان ابن ثابت: «انشدني قصيدة من شعر الجاهلية فان الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته»: فأنشده قصيدة للاعشى هجاءها علقمة بن علاثة

علقمَ ماأنت الي عامرٍ الناقض الاوتار والوتر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ياحسان لاتعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا» فقال يارسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ياحسان أشكر الناس للناس اشكرهم الله تعالى ، وان قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عني فتناول مني . وفي خبر آخر فشعث مني وانه سأل هذا عني فأحسن القول» فشكره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك . وروي من وجه آخر ان حسان قال يارسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره . ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضوان الله عليها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول : «أبياتك» فأقول

ارفع ضعيفك لا يحزبك ضعفه يوما فتدركه العواقب قد نسي
يجزيك أو يثني عليك وإن من أتى عليك بما فعلت فقد جزي

(٢) الحديث رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج وابن عساكر عن محمد بن مسامة بلفظ (ياحسان انشدني من شعر الجاهلية فان الله قد وضع عنك آثامها في شعرها وروايتها) وفيه أنه قال له بعد انشاد القصيدة (ياحسان لاتعد تنشدني هذه القصيدة اني ذكرت عند قيصر وعنده أبو سفيان وعلقمة بن علاثة فاما أبو سفيان فتناول مني وأما علقمة فحسن القول وانه لا يشكر الله من لا يشكر الناس)

﴿ تمة الاجتماع الرابع لجمعية ام القرى ﴾

ثم اذا اتقلبنا في البحث الى ماهو الشرك في نظر القرآن وأهله لتتقيه نجد ان الله تعالى قال في اليهود والنصارى « اتَّخَذُوا آخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ » مع انه لم يوجد من قبل ولا من بعد من الاخبار والرهبان من ادعى المماثلة وتنازع الله الخالقية أو الإحياء أو الإيماءة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبية عند العامة من الاسلام ، حسبما تلقوه من مروجي الشرك بالتأويل والابهام ، بل الاخبار والرهبان انما شاكوا الله تعالى في التشريع للمقدس فقط فقالوا هذا حلال وهذا حرام فقبل منهم اتباعهم ذلك فوصفهم الله بأنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله

ونجد أيضاً ان الله تعالى سمي قريشاً مشركين مع انه وصفهم بقوله « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » أي يخصون الخالقية بالله • ووصف توسلهم بالاصنام الى الله بالعبادة فحكي عنهم قولهم « ما لعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » والمعظمة من المسلمين يظنون ان هذه الدرجة التي هي التوسل ليست من العبادة ولا الشرك ويسمون المتوسل بهم وسائط ويقولون انه لا بد من الوسطة بين العبد والرب « وان الوسطة لا تنكر »

ويعلم من ذلك ان مشركي قريش ما عبدوا أصنامهم لذاتها ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير بل اتخذوها قبلة يعظمونها بنداؤها والسجود أمامها أو ذبح القرابين عندها أو النذر لها على أنها تماثيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعة عنده فيجبون هذه الاعمال الاحترامية منهم فينفعونهم بشفاء مريض أو اغناء فقير وغير ذلك واذا حافوا بأسماهم كذباً أو اخلوا في احترام تماثيلهم يغيضون فيضرونهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم

ونجد ان الله تعالى قال « فلا تدعوا مع الله أحداً » وأصل معنى الدعاء النداء ودعا الله ابتهل اليه بالسؤال واستعان به والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله تعالى « بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون » وكذلك أنزل الاستعانة به مقرونة بعبادته في قوله جلّت كلمته « اياك نعبد واياك نستعين »

وبما ذكر وغيره من الآيات الينيات جعل الله هذه الاعمال لقريش شركاً به حتى صرح النبي صلى الله عليه وسلم في الحلف بغير الله انه شرك فقال « من حلف بغير

الله فقد كفر وأشرك « (١) وجعل الله القربان لغيره والاهلال والذبح على الانصاب شركاً وحرم تسبيب السوائب والبحار ما فيها من ذلك المعنى وكان المشركون يحجون لغير بيت الله بقصد زيارة محلات لأصنامهم يتوهمون ان الحلول فيها يكون تقريباً من الأصنام فنهى النبي عليه الصلاة والسلام أمته عن مثل ذلك فقال « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » (٢) فلا ريب اذن ان هذه الاعمال وأمثالها شرك أو مدرجة للشرك (مرحي)

فلينظر الآن هل فشا في الاسلام شيء من هذه الاعمال وأشباهها في الصورة أو الحكم ؟ ومن لا تأخذه في الله لومة لأثم لا يرى بداً من التصريح بان حالة السواد الأعظم من أهل القبلة في غير جزيرة العرب تشبه حالة المشركين من كل الوجوه وان الدين عندهم عاد غريباً كما بدا كشأن غيرهم من الأمم . فمنهم الذين استبدلوا بالاصنام القبور فبنوا عليها المساجد والمشاهد وأسرجوا لها السرج وأرخوا عليها الستور يطوفون حولها مقبلين مستلمين أركانها ويهتفون بأسماء سكانها في الشدائد ويذبحون عندها القرابين يُهلُّ بها عمداً لغير الله وينذرون لها النذور ويشدون للحج إليها الرحال ويلقون بسكانها الآمال يستزلون الرحمة بذكرهم وعند قبورهم ويرجونهم بالحاح وخضوع ومراقبة وخشوع ان يتوسطوا لهم في قضاء الحاجات وقبول الدعوات وكل ذلك من الحب والتعظيم لغير الله (٣) والحواف والرجاء من سواء ومنهم من استعاضوا عن ألواح التماثيل عند النصارى والمشركين بألواح فيها أسماء معظيهم مصدرة بالتداء تبركاً وذكرأ ودعاء يعلقونها على الجدران في بيوتهم بل في مساجدهم أيضاً (٤) ويتوجون بها الاعلام من نحو « يا علي ، يا شاذلي ، يادسوقي ، يارقاعي ، يا بهاء الدين النقشي ، يا جلال الدين الرومي ، يابكتاش ولي »

ومنهم ناس يجتمعون لأجل العبادة بذكر الله ذكرأ مشوباً بانشاد المدائح لغلاة شعراء المتأخرين التي أهون ما فيها الاطراء الذي نهانا عنه النبي عليه الصلاة والسلام

(١) المنار — الحديث رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه واخاكم وقال صحيح على شرطهما (٢) رواه أحمد والشيخان عن أبي هريرة وروياه عن أبي سعيد ورواه أصحاب السنن وغيرهم (٣) أي من عبادة غيره (٤) كجوامع القسطنطينية وبلاد الترك . كذا في هامش الاصل ومثل بلاد الترك كثير من بلاد المسلمين

حتى لنفسه الشريفة فقال « لا تطروني كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم » (١) وبانشادهم مقامات شيوخية تغالوا فيها في الاستغانة بشيوخهم والاستمداد منهم بصيغ لو سمعها مشركو قريش لكفروهم لأن أبلغ صيغة تالية كانت لمشركي قريش قولهم « لييك اللهم لييك . لييك لاشريك لك غير شريك واحد تملكه وما ملك » (٢) وهذه أخف شركاً من المقامات الشيوخية التي يهدرون بها انشاداً بأصوات عالية مجمعة وقلوب محترقة خاشعة كقولهم

عبد القادر يا حيلائي يا ذا الفضل والاحسان
صرت في خطب شديد من احسانك لانساني

وقولهم

الآهم يارفاي لي أنا المحسوب أنا المنسوب
رفاعي لاتضييعني أنا المحسوب أنا المنسوب

الى غير ذلك مما لا يشك فيه شك انه من صريح الاشراك الذي ياباه الدين الحنيف ومنهم جماعة لم يرضو بالشرع المين فابتدعوا أحكاماً في الدين سموها علم الباطن أو علم الحقيقة أو علم التصوف ، عاماً لم يعرف شيئاً منه الصحابة والتابعون وأهل القرون الاولى المشهود لهم بالفضل في الدين ، عاماً انتزعوا مسائله من تأويلات المتشابه من القرآن مع ان الله تعالى أمرنا ان نقول في المتشابه منه (آمنا به كل من عند ربنا) وقال تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) وقال عز شأنه في حقهم (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وقال تعالى (فاستقم كما أمرت) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) وانتزع هؤلاء المداحون أيضاً بعض تلك المزيادات من مشكلات الأحاديث والآثار . ومما جاء عن النبي عليه السلام من قول على سبيل الحكاية أو عمل على سبيل العادة أي لم يكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التشريع . أو من الأحاديث التي وضعها أساطينهم اغراباً في الدين لاجل جذب القلوب كهذا الحديث الذي نقله بالمعنى وهو (يفتح القرآن على الناس حتى يقرأه المرأة والصبي والرجل فيقول الرجل

(١) لفظ الحديث « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم انما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله » رواه البخاري والترمذي في الشمائل ولا أذكر غيرها الآن (٢) ينقل عنهم « الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك »

قد قرأت القرآن فلم أتبع لأقوم بهم فيه لعلني أتبع فيقوم به فيهم فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقت به فلم أتبع لأحتظرن من يتي مسجداً لعلني أتبع فيحتظر من يتي مسجداً فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقت به واحتظرت من يتي مسجداً فلم أتبع والله لا آتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله ولم يسمعه عن رسول الله لعلني أتبع ، ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقربات لم يأت بها الاسلام ولا عهد له بها الى اواخر القرن الرابع فكان الله تعالى ترك لنا ديننا ناقصاً فهم أكملوه ، أو كأن الله جل شأنه لم ينزل يوم حجة الوداع واليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ، أو كأن النبي عليه السلام لم يتم كما يزعمون تبليغ رسالته فهم أتموها لنا أو كتم شيئاً من الدين وأسروا به الى بعض أصحابه وهم أبو بكر وعلي وبلال رضي الله عنهم وهؤلاء أسروا به الى غيرهم وهكذا تسلسل حتى وصل اليهم فأفشوه لمن أرادوا من المؤمنين تعالى الله ورسوله عما يافكون . أليس من الكفر باجماع الامة اعتقاد أن النبي عايه السلام نقص التبليغ أو كتم أو أسر شيئاً من الدين «مرحى» ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهواً واهياً فجعلوا منه التفتي والرقص ونقر الدفوف ودق الطبول ولبس الأخضر والأحمر واللعب بالنار والسلاح والمقارب والحيات يخذعون بذلك البسطاء ويستترهبون الحمقى

ومنهم قوم يعتبرون البلادة صلاحاً والحبل خشوعاً والصرع وصولاً والهديان

عرفانا والجنون منتهى المراتب السبع للكمال

ومنهم خائفاء كهنة العرب يدعون علم الغيب بالاستخراج من الجفر والرمل أو أحكام النجوم أو الروحاني أو الزايرجه أو الابجديات أو بالنظر في الماء أو السماء أو الودع أو باستخدام الجن والمردة الى غير ذلك من صنائع التدليس والإيهام والحزعبلات وليس العجب انتشار ذلك بين العامة الذين هم كالأغنام في كل الأمم والأقوام بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواص وقايل من العلماء كأنه من عزيز الكمالات في دين الاسلام «مرحى»

فهذه حالات السواد الاعظم من الأمة وكلها إما شرك صراح أو مطنات إشراك حكمها في الحكمة الدينية حكم الشرك بلا إشكال وماجر الأمة الى هذه الحالات

الجاهلية وبالتعير الأصح رجع بها إلى الشرك الأول إلا الميل الطبيعي للشرك كما سبق بيانه مع قلة علماء الدين وتهاون الموجودين في الهدى والارشاد

نعم إن رد العامة عن ميلها أمر غير هين وقد شبه النبي عليه السلام معاناته للناس فيه بقوله « مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقص فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمهن فيها فانا آخذ في حُجْزِكُم عن النار وأنتم تَقَحَّمُون فيها » (١) وقد قال الله تعالى في العلماء المتهاونين عن الارشاد كيلا يقابلوا الناس بما لا يهتوون « إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْمَعَاصِي نَهْتَمُّ عَلَيْهِمْ عِلْمًا وَهُمْ فَلَمْ يَنْهَوْا خِجَالَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَكَأَنَّهُمْ وَشَارِبُوهُمْ فَضْرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ » (٢) فالتبعة كل التبعة على العلماء الراشدين ولم يزل والحمد لله في القوس منزع ولم يستغرقنا بعد انتزاع العلماء بالكلية كما أنذرنا به النبي عليه السلام في قوله « إِنْ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتَزَاعًا مِّنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالَمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَلَاءَ فَسُئِلُوا فَأَنُفَتْحُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » (٣) ولا حول ولا قوة الا بالله

ثم قال : ولنتقل من بحث الشرك والإعراض عن ذكر الله إلى بيان أسباب التشديد في الدين وحالة التشويش الواقع فيه المسلمون فأقول

(١) الحديث رواه أحمد ومسلم عن جابر بلفظ « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقص فيها وهو يذبحن عنها . وأنا آخذٌ يحجزكم من النار وأنتم تهاشون من يدي » (٢) رواه الترمذي وقال حسن غريب (٣) رواه الشيخان وأصحاب السنن ما عدا إمام داود عن عبد الله بن عمرو واهظه مسلم « إِنْ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِرَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالَمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَلَاءَ فَسُئِلُوا فَأَنُفَتْحُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » وفي البحاري « من العباد » بدل « من الناس » وقال « حتى إذا ببق عالم » كما هنا

باب الترتيب في الخط الديواني

(*) الشذرة الخامسة منه جريدة الاسم

الخط الديواني

ان شاء أميل ، يخط بالقلم خطأً مناسباً لحاله ولكي في شك من جريه على قواعد الخط في شيء مما يكتب

كان الخط فيما مضى كأنه من صفات الكاتب الذاتية وكان يدل على حالة من أحواله سواء فيه الحسن والقبح ولذلك وجد متوسطون يعتقدون أنهم يقرأون في خط من لا يعرفونه من الناس ضروب استعداده النفسي ولا بدع في هذا فان كل أعمال الانسان منبعثة عن أخلاقه وسجاياه فلا شيء من الاستحالة ولا من البعد عن الحقيقة على ما أرى في أن يكون الخط وهو الأثر الدقيق المثبت لصنوف الوجدان وأنواع المعاني على الورق سمة من سمات النفس وأمانة من أمارات الطبع . يشهد لذلك ان كثيراً من الذين خطوطهم بين أيدينا قد غيروا في حياتهم طريقهم في صوغ حروفهم عدة مرات فلا يمكن أن يكون هذا التغير الذي يحق لنا المراهنة على حصوله بغير شعور منهم أجنبياً عن بعض استحيالات حصلت في عقولهم . ومن الامور التي اعتقد الباحثون في هذه المسألة أنهم تنبهوا اليها ولا حظوها ان أقرب أطوار الكاتب الى الفطرة هو ذلك الطور الذي يكون فيه خطه موسوماً بأقرب السمات اليها أيضاً

اخترع الناس في هذه الايام للخط طرقاً لا شك ان لها مزية في تهذيبه وتكوين يد الكاتب ولكنها متى انتشرت وعم استعمالها اتحدت الخطوط وتشابهت فلم يبق بينها فروق تميز بعضها من بعض فتحن في هذا القرن قرن السكك الحديدية والاقلام الحديدية سارع كلنا الى تحقيق الوحدة في كل شيء

لو ان هذا الميل الى الصناعة اقتصر على أمارات الفكر وقوالب المعاني لكان الخطب هيناً ولكنه لم يقف عندها بل تعداها الى الفكر نفسه

أنا على يقين من وفرة علومنا ومعارفنا فليست هي التي تعوزنا اذ قد وجدت

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر

طرق سهلة صيرت مبادئ العلم وآداب اللغة والفنون الجميلة قريبة المتناول لجميع الناس وكل يوم يتحدث الناس بانتشار أنوار العرفان ويتنا وهو أمرٌ أنا بعيد عن المنازعة في جلالة خطره وعظم شأنه ولكني لا أرى عليّ حرجاً أن سألت نفسي هذه الاسئلة وهي : هل ارتفع عقل الانسان في هذا القرن الى مدارك اسمى مما بلغه في القرن الثامن عشر ؟ هل حصل له من قوة النفس والانبعاث الذاتي الى العمل والاخلاق الممتازة التي تجلّى في صورة مجتمعه المظلمة والاعمال البديعة أكثر مما كان له في ذلك القرن ؟ هل ارتفعت قوة الادراك مع انتشار تساوي الناس فيها كل يوم ؟

والأسفي اني التفت حولي فيعروني الدهول ويملكني الدهش لما أراه من غلبة الاوساط في العقل وكثرتهم وأسمع الناس يرددون القول بأن العقل والاستعداد قد شاعا في هذه الايام حتى عمّا السابلة والغوغاء ولو انهم قالوا ان كل واحد أصبح فيه عقل غيره واستعداده لكان هذا القول أصح وأقرب الله الصواب . نعم ان قرننا قد وصل الى طريقة بديعة في الاكتار من الدواليب والآلات المحاكية للفكر وقامت المهارة في الفنون مقام الاستعداد الفطري والعزيمة وأزهق التكلف في آداب اللغة روح الإلهام والسابقة واستزلت الدسيسة والخداع في مجرى الحياة وشوئها الفضل والجدارة عن عرشهما وحلا محلهما فترانا الآن منحدرين على طريق مستقيم عام الى محو ضروب الفضل والرجحان في العقل والخلق محواً تاماً فعليك أيها الانسان من الآن أن تقع بان تكون كجميع الناس .

ولا شك ان هذه الحالة التي عليها العقول الآن ترجع الى أسباب كثيرة ليس من عرضي استقصاؤها عنا منها نظام معيشتنا وفقدان الحرية السياسية عندنا واهتمامنا المتزايد بالمصالح المادية ومنها امر لا يسعني اغفاله والا استحققت اللوم وهو ان التربية بالحالة التي هي عليها اليوم اقرب الى ستر عيوب الاطفال واخفاء مواضع الضعف فيهم ببعض طرق التعاليم السريعة التي تكاد تكون آلة محضة . اقول انها اقرب الى ذلك منها الى قصد اكتشاف ماكانهم وقواهم النفسية وتتميتها فترى القائمين على التعليم عوضاً عن تفهيمهم ان الغرض من مجاهداتهم وكدهم في التعلم انما هو نيل الفخر بان يكونوا عمالاً نافعين - يجعلون غايتهم الارتقاء الى المناصب ونيل الغنى ويقتضون منهم أن يبلغوا اليها وهم بذلك يبكرون بحمل الاحداث على أن يتبينوا ان المواضعة والصنعة هما اقرب طرق النجاح وأحسن وسائل الفلاح . اهـ

السُّرَّة السادسة

(مذهب تشغيل المتعلمين بالأعمال المادية الشاقة)

توجد في بعض المدارس بانكلترا عادة قديمة يدهش منها الاجانب كثيراً ذلك ان التلامذة - فيما يوجد منها بمدينتي راتون و هارو وهي التي يدخلها أبناء السراة غالباً - يخدم بعضهم بعضاً وليس أمر الخادمية والمخدومية فيها متعلقاً بمكانة التلميذ في قومه ولا بغنى أهله أو فقرهم بل بالاقدمية وبعض الدرجات المدرسية فيجوز أن يلزم الطفل الغني السري بتفويض ثياب الطفل الفقير الوضع وتأدية مطالبه وتنظيف غرفته وإيقاد ناره وتسوية طعامه وحمل كتبه اليه في قاعة الدرس فيقع الإلزام بالخدمة على من يجعلهم المدرسة في الدرجات الدنيا من أقسامها .

والذي استهجنه من هذه العادة هو ما يكون بين التلميذين الخادم والمخدوم من رابطة التبعية الذاتية فان الاقدمين من التلامذة يسيرون أحياناً مع من يعتبرونهم خدماً لهم من اخواتهم سيرة في غاية القسوة حتى انه يقع منهم في حقهم ماقرأه في قصص مولير (١) المضحكة من الشتائم وضربات الأكف وجميع ضروب سوء المعاملة التي كانت تقع من صغار الموالى على خدعهم بارجاعهم وأيديهم الخفيفة الحركة ، اولئك الخدم الصغار الذين كانوا بالامس أرقاء صُبراً على الذل مستسلمين للعجز يصيرون في الغد سادة قساة متجبرين وهكذا شأن الدنيا وبمثل هذا تتقل جميع أنواع العتو والطغيان من سلف الى خلف .

لأرى فيما عدا هذا العيب شيئاً في هذه الطريقة فانه لا ضرر مطلقاً في أن يقوم بخدمة المدرسة التلامذة أنفسهم . ولقد عرفت فيما مضى مدرسة كان يديرها رجل وافر العقل عالي الفكر اختار هذا المذهب وتيسر له أن يجني منه فوائد كبرى في تربية الناشئين ذلك انه عهد بمعظم اعمال مدرسته الى جماعات من الغلمان والياقين منقسمين الى طوائف على حسب مقتضيات أذواقهم وضروب ميلهم الفطري لانهم كانوا في هذه الاعمال مختارين متطوعين فكان الواحد منهم اما لباداً او كناساً أو وقاداً للمصباح أو موقظاً لآخوانه في الصباح أو منظماً لقاعة الدرس وكانو يتناوبون خدمة

(١) مولير هو أكبر واحد شاعر قصصي فرنساوي ولد في باريس سنة ١٦٢٢

المائدة وكانت الاعمال المسخرة التي تقتضي أكثر من غيرها اخلاصاً أجلاً من غيرها أيضاً في نظر التلامذة لان رئيس المدرسة كان يتظاهر بتميزها عن غيرها بما كان يوزعه من شارات الشرف على من كان يدعوهم إقدامهم الى مباشرتها . وليتك زرت هذا المكان حتي كنت تشاهد مقدار التحمس المفرح الذي يبديه كل تلميذ في القيام بعمله الذي كأنه فرض اختياري أوجبه على نفسه . كان من مزايا هذه الخدمة البيتية للتلامذة انها كانت تسلية لهم من عناء الدروس لانه كان من رأي رئيسهم أن في المراوحة بين الاعمال استراحة من مشقتها وكان من غرضه فوق ذلك ان يلقي في نفوسهم معنى احترام جميع الوظائف وكل فروع العمل اليدوي فان الانسان لا يحتقر من غيره ما يباشره هو بنفسه .

اني لتعرض لي في بعض الاحيان أحوال تحماني على اعتقاد أن مآذعيه من حب المساواة ليس الا رياء ونفاقاً لأنني أرى من لا تفر السنتهم عن الالهج بهذه الدعوى لا يجرون على مقتضاها في أعمالهم فالطفل الذي يرى في المدارس أو البيوت اناساً استؤجروا لخدمته يستتج من ذلك طبعاً ان الاعمال الشاقة أو الكريهة هي من حظ الطبقة السفلى من قومه ولا يفيد في محو هذا الاعتقاد من نفسه أن تحدثه في المستقبل عن ضرورة تقسيم العمل بين الناس او عن غير ذلك من المسائل النظرية الكثيرة فانه يعلم كمال العلم ان ليس للخدم أن يأكلوا على موائد سادتهم ولما كان يتوسم في والديه انهما يعدانه لان يكون من العلماء ويكفيانه بذلك مؤنة الاشتغال ببعض الاعمال التي من شأنها أن توسخ يديه أو تقدر وجهه . كان رأيه في هذه الاعمال لابد أن ينتقل الى من يقارفونها من الناس فيحكم عليهم بحكمه عايباً وبذلك لا يكون الا كثير الانسياق الى احتقار جميع الصنائع والزراية عليهم .

صممت أنا وهيلانة على تكليف « أميل » بعمل كل ما يلزم لفراشه وهجرته وثيابه ولا أكره مطلقاً أن أراه يمسح نعليه ويسوي عند الحاجة طعامه فان الفائدة التي تعود عليه من ذلك ليست قاصرة على كونه يتعلم عدم امتنان من يكسبون قوتهم بمثل هذه الاعمال بل ان فيه أيضاً تنمية لحرية الشخصية بتعويده على الاستغناء عن مساعدة غيره فالاسير يسكن من يعجز عن خدمة نفسه . اهـ

الاحتفال السنوي بمدرسة الجمعية الخيرية وخطبة المفتي

في أصل يوم الجمعة ٢١ ربيع الأول احتفل في قبة الغوري الاحتفال السنوي المعتاد بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية في القاهرة وقد أجاب دعوة رئيس الجمعية الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية المزمع الفغير من الفضلاء والوجهاء فحضروا الاحتفال : ابتداءً أحد التلامذة بترتيل آيات من سورة الفتح ثم ارتقى أحد التلامذة الدكة التي يختبر عليها التلامذة قاعطي كتاباً ففتح وقرأ فيه جملة صالحة قراءة صحيحة فسأله الرئيس بيان معناها فينه : ثم احتبر آخرون بالأعراب وبالحساب وبرسم خريطة أفريقيا والتاريخ الطبيعي ككيفية الدورة الدموية وقرأ بعضهم مقالات محفوظة في فوائد الصوم وفوائد التربية وغير ذلك فأحسنوا جميعاً وصفق لهم النادي مرات متعددة . وأنكر الأستاذ الشنقيطي التصفيق على القوم أنه بدعة فتركه بعضهم وأصر عليه الأكثرون لأن بعضهم يراه من العادات المباحة التي اقترن بها تنشيط التلامذة وادخال السرور على قلوبهم وبعضهم لم يصل إليه الإنكار . وكان لرئيس كعادته يناقش كل تلميذ فيما يقول ويطلب منه التعبير عما قاله حفظاً بعبارة أصرفية . ثم وزع الجوائز وهي على ما ذكرنا في السنة الماضية فمان أحدها ربيع المال الذي جمع لاقامة تذكاري لعللي باشا مبارك لخدمته المعارف في مصر والثانية تبرع الأستاذ الشيخ عبد الرحيم الدمرداش فهذا وزع على نفر من الناجحين في المدرسة . وأما الأول فاستقر الرأي على أن يشتري به كل عام كتب نافعة تعطى للتلاميذ الذين يفوقان سائر التلامذة ممن أتموا المدة بشرط أن يشتغلا بعد المدرسة بتعلم صنعة من الصنائع وكذلك كان . وبعد ختم الاحتفال بترتيل أحد التلامذة آيات من الكتاب العزيز وقف رئيس الجمعية فشكر الحاضرين سعيهم في الخير لمشاهدة اولاد الفقراء المتعلمين ثم قال ما معناه ماخصاً : لا بد أن يكون بعض الحاضرين ممن يشتغلون بعلم التربية ينتقد عاينا شيئاً أنا أوافقهم على انتقاده قبل أن أذكره وأجيب عنه وهو أن يحفظ التلامذة مقالات في الدين والآداب كالذي سمع منهم الآن فيها من الحكم والمعاني العالية ما لا ترتقي عقولهم الى الاحاطة به . وما تعجز ألسنتهم عن بيانه بغير العبارة المحفوظة . أعيد القول بأن هذا الانتقاد صحيح وأن حشو الأذهان بحفظ ما لا يفهم يفسدها ويذهب باستعداد العلم منها . ومدارس الجمعية تهتم

بهذا الامر فنحن نؤكد دائماً على المعلمين أن لا يعلّموا التلامذة كلاماً لا يفهمونه والعمل على هذا والتفتيش من ورائه لتحقيقه

وأما ما سمعتم فقد جاء من باب الاستثناء لغرض صحيح يوافقنا عليه المتقنون بإدي الرأي . ذلك ان التلميذ يخرج من مدارسنا الى العمل غالباً ولا ثقة لنا بأنه يسمع في خطب المساجد ولا في دروسها شيئاً من حكم الدين وأسراره التي تبث النفوس على العمل بأحكامه كالذي سمعتم من حكم الصوم . وكذلك لا نرجو أن يجد معهداً من معاهد العلم يسمع فيه شيئاً من مباحث التربية وعلم الاجتماع والآداب العالية بالأولى فرأينا أن يحفظ كل تلميذ بعض مقالات في هذه المقاصد يجتهد في إيفاء معانيها بالجملة كما يقتضيه سنه ويوكل الفهم التفصيلي الى حوادث الزمان وارتقاء الفكر فيها فهذه المحفوظات القليلة المفيدة ذخراً للتلميذ في مستقبله وهي كبذرة وضعت في أرض صالحة يتعاهدها الزمان بالسقي والتغذية حتىثمر الثمرة الصالحة ان شاء الله تعالى اذا أجاتم النظر في أحوال المسلمين ترون ان ترك تعليم الدين على هذا الوجه من بيان فوائده وحكمه وغرسها في النفوس (وهو الفقه الحقيقي في الدين) قد أدى الى تركه من بعض المسلمين والاثيان به على غير وجهه من بعض آخره . ولنضرب المثل بفريضة الزكاة التي حفظ تلامذتنا مقالة في فوائدها في العام الماضي كما يذكر من حضراحتفاله وفريضة الصوم التي سمعتم فوائدها وهي التي تلي الزكاة في الترتيب الزكاة ركن من أركان الاسلام وبذل المال في اقامة هذا الركن يفضل غيره من أنواع البذل ولذلك قرنت الزكاة بالصلاة في القرآن في أكثر المواضع وقد جعل الله اتفاق المال في سبيله آية الايمان ، وجعل تركه علامة النفاق والكفران ، وقاتل الخليفة الأول بموافقة الصحابة كلهم رضي الله عنهم مانعي الزكاة . ومع هذا كله نرى المسلمين قد هدموا هذا الركن ونسوه حتى كأنه ليس من الدين بالمرّة . وأطال الاستاذ الكلام في الزكاة وفي مضرّة تركها ثم انتقل الى الصوم وبين أن بعض المسلمين تركوه وان الذين يصومون لا يؤدّون هذه الفريضة على الوجه الذي أراده تعالى بقوله « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وأوضح هذا بذكر ما عليه الناس . ثم انتقل الى الكلام في تعليم مدارس الجمعية فقال ان مدارس الجمعية وضعت لتعليم أول الفقراء مما لا بد منه لكل انسان وهو أن يحسن القراءة بآلة أمته ويعرف ما يجب عليه من أحكام دينه ويتربى عليه عملاً والحساب

والتاريخ وتكوين البلدان وطرفا من مبادئ التاريخ الطبيعي وحفظ الصحة وأدب المعاشرة .
ولا بد عندنا من تعليم هذه الاشياء على وجه مفهوم في مدة أربع سنين وسن التلميذ
لا يتجاوز الخمس عشرة سنة . وليس عندنا لغة أجنبية لاتا لا نعد التلامذة للوظائف
والشهادات وإنما نعدهم للعمل بالحرف والصنائع وما ذكرنا من التعليم لا يستغنى
عنه صانع ولا زارع

قال : كنت أحب أن يكون هذا التعليم عاماً في البلاد ومنبثاً في جميع الطبقات
ثم يتسنى بعده لكل طبقة أن تتناول من العلوم والفنون واللغات في المدارس الثانوية
والعالية ما هي مستعدة له . ولكن المانع للمشتغلين بالتعليم والتعلم من التوجه الى سلوك
هذه الطريقة أمران — أحدهما ان رغبة الناس منصرفه الى جعل التعليم ذريعة لاخذ
الشهادة لأنها شرط للاستخدام في الحكومة والسبب في رغبة الناس في خدمة الحكومة
هو ان الناس لعدم ثقتهم بأنفسهم ولجهلهم بطرق الكسب الواسعة وضعف همهم عن
سلوكها يود كل واحد منهم أن يكون له مورد من الرزق مضمون يعتمد عليه وان
كان وشلاً آسناً فاذا استخدم بمائة وخمسين قرشاً ولو في أعلى الصعيد أو السودان
ينام آمناً مطمئناً ويلقي هم الدنيا وراء ظهره الا اذا تيسر له السعي في شفاعه تزيد
في راتبه أو ينتقل بها الى مكان غير مكانه . ولو استعمل مواهبه التي منحه الله اياها
وكدح في طاب الرزق من طرقه الواسعة لاسيا التجارة لجاز أن يكون من أهل
النزاهة الواسع وشنع الخطيب ما شاء على أصحاب هذه النفوس الخاملة الصغيرة ثم انتقل
الى بيان السبب الآخر في عدم التوجه الى التعليم النافع فقال :

أما ثاني السببين فداؤه اقل . وعلاجه أعسر ، أندرون ماهو ؟ هو قلة المعلمين
والمربين فأننا نحتاج في التعام الابتدائي الى من يبدئ التلميذ في السنة الاولى بألف
بافلا تنتهي السنة الرابعة ألا وهو يقرأ ويكتب ويعرف ما ذكرناه آنفاً وضرر
عليكم نموذج . والذين يحسنون هذا النوع من التعام قليلون . وقد عزمنا على تجديد
مدرسة للجمعية ولكننا عند المذاكرة فيها كنا نشكو من قلة المعلمين . إننا نحتاج
معاماً لأحدى مدارسنا فنعان ذلك في الجرائد فيجئنا الراغبون بالعشرات
فنتحهم ونختار من نراه الأمثل وان لم يكن على حسب الرغبة تماماً ثم يترن
على طريقنا في المدرسة مع طول اثنييه والتفتيش ومثل هؤلاء يجدر بنا أن نسميهم
معلمي الضرورة

قال : ذكرت هذا لأوجه نفوس العلماء والوجهاء الى تلافي هذا الخطب ومداواة هذه العلة التي هي أم العلل وذلك بإنشاء مدرسة لتخريج المعلمين ولا بد في هذا من سعي العلماء ومساعدة الأغنياء . ثم شكر للحاضرين سعيهم فأنصرفوا شاكرين . أقول كتبت بعد أيام من الاحتفال في إثر انحراف في الصحة فان نقصت من فوائد الخطاب ففي غير الفوائد الأصلية وان زدت فربما كان كلمة في معنى الكلام تزيد في إيضاحه

باب الاخبار والآراء

تمة سيرة السكاكبي

وكان أول عمل عمله في إدارة مجلس البلدية هو قطع عرق الرشوة من العمال الذين يباشرون الأعمال والمصالح ويسمون (الجاويشية) ولكنه زاد في راتبهم لعلهم بأن الذي يضطراً كثر العمال الى الرشوة هو قلة الراتب . وكان من ظلم الوالي بعد عزل الفقيد من رئاسة البلدية ان أرجع راتب الجاويشية كما كان وألزم صاحب الترجمة بدفع ما كان زاده لهم في مدته الى صندوق البلدية كما ألزمه بدفع ما أنفق على سلاسل الحديد التي منع بها الجمال من طرق المدينة لأن الوالي أمر بإزالتها عقيب عزله ثم عاد فأمر بإعادتها بعد زمن قريب ولكنه لم يعد الى الفقيد الغرامة التي ظلمه بها ولما عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية كانت المحكمة في أسوأ الأحوال في الصورة والمعنى فكان ينفق على إصلاحها من جيبه حتى انه استعاض لها السجوف والاسطار من بيته ومنع اختلاط النساء بالرجال اذ جعل لكل مكاناً ينتظر فيه دوره للتقاضي ورتب الاوقات ونظم الدفاتر . . .

وكان صاحب عزيمته قوية لايهاب حاكماً ولا يخاف ظالماً وعزيمته هي التي جنث عليه فقد كان نجح في عمله عند ما عين مديراً ومفتشاً لمصلحة حصر الدخان كما تقدم في السيرة الرسمية حتى وقع النزاع بينه وبين عارف باشا والي حلب يومئذ فبطل العمل . عمل الفقيد في ضبط هذه المصلحة ما عجزت عنه ادارتها العمومية والحكومة جميعاً حتى كانت تخسر في ولاية حلب دون سائر بلاد الدولة . وكان المشتغلون بهرب الدخان البلدي وبيعه في حلب سبعمائة رجل فعين لهم رواتب شهرية ومنعهم من التهريب بحكمة عجيبه . وسيأتي بمحل خبره في عدااء الوالي عند الكلام على بعض الصعوبات التي لقيها في طريقه

كانت مدة الاتفاق الاول مع مصلحة حصر الدخان ثلاث سنين فاتفصل من ادارة العمل والتفتيش بعد سنتين بالسبب الذي ألمعنا اليه ولتقة الفقيد بنفسه واقتداره على العمل ذهب الى الاستانة بعد عزل عارف باشا من ولاية حلب فمقد اتفاقاً آخر مع المصلحة والحكومة مدته عشر سنين وكان أراد أن يضم الي ولاية حلب ومتصرفية الزور ولايتي بيروت وسورية فلم يرض له ذلك من استشاره من الاقربين فرجع عنه . وقد نجح أيضاً في المرة الثانية ولكن حدثت بعد أربع سنين الفتنة الارمنية فهب الارمن الدخان من عدة بلاد وقتلوا موظفي المصلحة فكان الفقيد يخسر في الشهر بضعة عشر ألفاً من الليرات فتوسل بذلك الى الاستانة بحل العقد وابطال الاتفاق فم له ذلك بعد عناء وخسارة عظيمة وإخلاصه بحب المصاحبة العامة كانت أكثر وظائفه نخبة أي بغير راتب كما عرف من الترجمة الرسمية ونزید على هذا انه كان يبذل شيئاً من ماله فوق ما يأخذه من راتب بعض الوظائف لأجل ترقية العمل وإتقانه وهذا خلق لم يعرفه الشرق في هذا العصر مشروعاته طلب من الحكومة عدة امتيازات بأعمال عظيمة لم تكن تخطر لأهل بلاده على بال . (منها) إنشاء مرفأ في السويدية وطريق حديدي منها الى حلب . و (منها) جلب نهر الساجور الى حلب لأن ماء المدينة قليل ولو تم هذا العمل لأحييت به أرض واسعة فكانت جنات وحدائق . (ومنها) ان عينا خوارة في سفح جبل بين أرمناز وأدلب قد أغرقت أمواها تلك الأرض فجعلتها مستنقعات تضر الناس ولا يأوى الى غاباتها الا الخنزير البري فذهب الفقيد اليها واختبر حال الأرض والعين اختباراً هندسياً زراعياً فعلم انه يمكن جر مائها الى ادلب القليلة الماء وتجهيف تلك المستنقعات فتصير نافعة ونجياً أرض ادلب ويجيا أهلها فطلب بذلك امتيازاً . و (منها) إنارة حلب وبيرجك ومرعش واورفه بالكهربائية بواسطة شلال يحدته من نهر العاصي في محل اسمه المضيق بالقرب من دركوش تابع لجسر الشجر وكان اختبر المكان اختباراً هندسياً فعلم أن احداث الشلال فيه ممكن . (ومنها) استخراج معدن نحاس من ارغنه التابعة لولاية حلب . وقد حال دون اعطاء بعض هذه الامتيازات ما يحول دون كل مصاحبة عامة يطالبها الوطنيون كالرشوة ونحوها . وقد كان أعطي امتياز استخراج النحاس واشتغل به ثلاث سنين ونيف وبعد ذلك ارادت حكومة الولاية ابطاله لأمر ما فادخلت مع الفقيد في العمل بعض الأجانب وتوسلت بذلك الى ابطاله

خدمته للناس وللحكومة : كان اتخذ له مكاناً بين داره ودار الحكومة سماه المركز

يأوي اليه فيه وكلاء الدعاوى البارعون فكان يؤمه أصحاب الحاجات والقضايا يستشيرون صاحب الترجمة في حل عقد المشكلات ، ويستضيئون برأيه في دياجير المهمات ، وكان في الغالب يفصل بينهم بالتراضي ، ويتغلبون عن المحاكمة والتقاضى ، فان احتيج في قضية الى الحكومة يتدب لها من يراه أهلاً لها من الوكلاء المحامين وان كانت عظمة الشأن يتدب نفسه ويحاكم المبطال حتى يحق الحق لصاحبه . وقد كان قصاد ذلك المركز يكادون يزيدون على قصاد دار الحكومة . وكانت الحكومة نفسها تستشير في الشؤون الفامضة وتعتمد على رأيه مقاومة الحكام له : ورث الفقيه عن سلفه السادة الامراء علو الهمة وقوة العزيمة

وعدم المبالاة بالأخطار فهو من سلالة السيد ابراهيم الصفوي الأردبيلي المهاجر الى حلب وما حديث الصفوية في الامارة بمجهول . بهذا كان رحمه الله تعالى لايهاب الحكام ولا يداريهم مع أن حكومتهم في الحقيقة استبدادية . وهذا هو الذي أحبط أعماله في بلده وذهب بثروته . غاضب عارف باشا أحد ولاة حلب فاغرى بعض الناس بأن يكتب الى الاستانة شاكياً من سيئات الوالي شارحاً لها فلم الوالي بذلك فعمل مكيدة لحبس الفقيه وضبط أوراقه وزور عاياه ورقة بماتها (لائحة تسليم ولاية حلب الى دولة أجنبية) وطلب محاكمته عليها وحكم القانون في هذه الجريمة الاعدام ولكنهم غاطوا في معاماته بالحبس وطلب الاستتطاق غلطاً قانونياً ما كان ليخفى على الفقيه فكتب الى الاستانة كتابة مطولة يظهر فيها أن خروج حكومة الولاية عن حدود القانون هو من دلائل تحملها عليه وتحريها ظلمه وطلب أن يحاكم في ولاية أخرى فاجيب طلبه وحوكم في بيروت فحكم ببراءته وما زال يتبع الوالي حتى عزل بعد عودته الى حلب وكان هو أول من بشره بالعزل بواسطة قاضي الولاية ثم انه أخرجه من حلب باهانة عظيمة لأنه أوعز الى اصناف الفقراء الذين كانوا يسمون الفقيد أباهم لنصرته اياهم فاجتمعوا عند داره بهيئات غريبة فترك أهله وخرج كالهارب وسافر الى الاستانة وتبعه الفقيه ليحاكمه ولكنه لم يكد يصل اليها حتى مات قهراً

وكان الشيخ أبو الهدى أفندي الشهير من اعدائه ويقال ان السبب الأول في ذلك إباء الفقيه ان يصدق على نسب الشيخ أبي الهدى هذا وان الشيخ أبا الهدى صار نقيب أشراف حلب وكانت هذه النقابة من قبل في آل الكواكبي . ومن آداب الفقيه العالية انه كان هنا يثني على صفات الشيخ أبي الهدى الحسنة كالمروءة والكرم والذكاء والثبات وقلما كان يخوض بانتقاده الا مع الخواص الذين يعرفون الحقائق فكانت عداوتهما عداوة العقلاء

خسر الفقيد بتلك المحاكاة ألوفاً من الجنيهاً وخسر أضعافها بإدارة شركة انحصار الدخان للمرة الثانية أيضاً لأن الحكومة مكلفة بحفظ أما كن الشركة فلما حدثت فتنة الأرمن امتنع الوالي عن ارسال العساكر لمنع نهب الأرمن مال الشركة . وخسر بعدم مدارة المحاكم غير ذاك من المزارع والارض (منها) مزرعة (جفتلك) جميل باشا الوالي التي اشتراها منه الفقيد فاعتدى عليها زعماء التركان بأغراء خفي حتى أخذوها و (منها) مزرعة (جفتلك) كانت مستقعات تابعة للاراضي الأميرية فالف لها شركة وأخذها من الحكومة وجففها فأغرى المغرورين بعض عشائر الأكراد بالتعدي على حصته خاصة فخا كمهم فحكم لهم عليه بالمساعدة الخفية . وفي أثر ذلك سافر مهاجراً الى مصر سياسة ورأيه في الإصلاح لم يكن الفقيد في اشتغاله بخدمة بيته وبلده وحكومته غافلاً عن شؤون المسلمين العامة فقد كان يقرأ الجرائد التركية والمصرية حتى الممنوعة التي كانت تدخل الى حلب كغيرها بوسائل خفية . ولما هاجر الى مصر كان أول أثر له فيها طبع سجل جمعية أم القرى وكان يقول ان لهذه الجمعية أصلاً وانه هو توسع في السجل ونقحه ست مرات آخرها عند طبعه منذ سنتين ونيف أي عقيب قدومه الى مصر . وقد قال لنا مرة ان الانسان يتجراً أن يقول ويكتب في بلاد الحرية مالا يتجرأ عليه في بلاد الاستبداد بل ان بلاد الحرية تولد في الذهن من الأفكار والآراء مالا يتولد في غيرها . ومن يقرأ الكتاب يظن ان صاحبه صرف معظم عمره في البحث عن أحوال المسلمين وتاريخهم في عقائدهم وعلومهم وآدابهم وتقاليدهم وماداتهم ومنه يعلم رأي الفقيد في الإصلاح وقد كنا معه على وفاق في أكثر مسائل الإصلاح حتى ان صاحب الدولة مختار باشا الغازي اتهمنا بتأليف الكتاب عندما اطلع عليه وربما نشير الى المسائل التي خالفنا الفقيد فيها في هامش الكتاب عند طبعه وأهمها الفصل بين الساططين الدينية والسياسية .

أما آراؤه ومعارفه السياسية فحسبنا منها كتاب طبائع الاستبداد الذي يكاد يكون معجزة للكتاب السياسيين . وقد زعم زاعمون ان معظم ما في هذا الكتاب مقتبس من كتاب لفياسوف ايطالي في الظلم . ومن كان له عقل يميز بين أحوال الأفرنج الاجتماعية وأحوالنا وذوقهم في العلم وذوقنا يعلم ان هذا الوضع وضع حكيم شرقي يقتبس علم الاجتماع والسياسة من حالة بلاده حتى كأنه يصورها تصويراً . واذا لاحظنا مع ذلك ان هذا الكتاب كان مقالات مختصرة نشرت في التوحيد ثم مداها صاحبها مدتها الأديم العكاظي وزاد فيها فكانت كتاباً حافلاً يتجلى له علمه الأول بصورة أوضح وأجلى .

واذا علم بعد هذا كله انه تقحه بعد الطبع فحذف منه قليلا وزاد فيه كثيراً بعلم علم اليقين ان ينبوع علم هذا الرجل صدره وأنه كان يزداد في كل يوم فيضاً وتفجيراً . نعم انه قال في مقدمته ان بعضه مما درسه ، وبعضه مما اقتبسه ، واننا نعلم انه لم يولد انسان عالماً ولكن فرقاً عظيماً بين من يحكي كلام غيره كآلة (الفونوغراف) وبين من يحكم عقله في علوم الناس فيأخذ ماصح عنده وينبذ مالا يصح . من كان له مثل هذا العقل الحاكم في كليات العلوم فهو الفيلسوف ان كان اجتهاده هذا في العلوم العقلية ~~والكونية~~ وهو الامام ان كان اجتهاده في العلوم الدينية .

وجهته الاخيرة : وجه همة أخيراً الى التوسع في معرفة حال المسلمين ليسعى في الإصلاح على بصيرة فبعد اختباره التام لبلاد الدولة العلية تركها وعصرها وأكرادها وأرمها ثم اختباره لمصر ومعرفة حال السودان منها ساح منذ سنتين في سواحل افريقية الشرقية وسواحل آسيا الغربية ثم أتم سياحته في العام الماضي فاختبر بلاد العرب التي كانت موضع أمله أتم الاختبار فانه دخلها من سواحل المحيط الهندي وما زال يوغل فيها حتى دخل في بلاد سوريا واجتمع بالامراء وشيوخ القبائل وعرف استعدادهم الحربي والأدبي وعرف حاله البلاد الزراعية وعرف كثيراً من معادنها حتى انه استحضر نموذجاً منها . وقد انتهى في رحلته الاخيرة الى كراچی من موالي الهند ، وسخر الله له في عودته سفينة حربية ايطالية حماته بتوصية من وكيل ايطاليا السياسي في مسقط فطافت به سواحل بلاد العرب وسواحل افريقيا الشرقية فتيسر له بذلك اختبار هذه البلاد اختباراً سبق به الافرنج . وكان في نفسه رحلة أخرى يتم بها اختباره للمسلمين وهي الرحلة الى بلاد الغرب ولكن حالت دونه المنيّة التي تحول دون كل الاماني والعزائم

أرايت رجلاً كريم الاصل ، كبير العقل ، تربي أحسن تربية وتعلم أحسن تعليم ودخل في الأعمال المختلفة وتصدى للمشروعات المتعددة وكتب في أدق المسائل أحسن الكتابة وساح في البلاد ، واختبر أحوال الامم ، حتى بلغ أشده واستوى كيف يكون حاله وما هي درجة استعداده ؟؟ هذا هو صديقنا الذي فقدناه بالامس ، فكأنما فقدنا به الشمس ، ومثل تلك الآمال الكبيرة ، لا تباع الا بمساعدة الحكومة أو سعة المال أو الجمعيات وقد كان له أمل في مصر وأميرها أراه الاختبار خلافه . ولقد كان لموته تأثير كبير في الفضلاء والعقلاء وقد نعى الى الجناب الخديوي في صبيحة اليلة التي مات فيها فأمر بأن يجهز على نفقة سمويه وان يسجل بدفنه فكان ذلك . فرحم الله فقيدنا وأحسن عزاء الاسلام والشرق فيه

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
ينبغي إلا أن يقر الباب

المعراج

١٣١٥

فيشرح عبادي الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصري في يوم الثلاثاء ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ - ٢٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢)

القسم الديني

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية)
يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ إِذْ كُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَآزْهَبُونَ . وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا
مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ
فَاتَّقُونَ . وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ .
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ

لا يزال الكلام في الكتاب وكونه لا ريب فيه وبيان أحوال
الناس وأصنافهم في أمره وقد قلنا ان التفنن في مسائل مختلفة منتظمة في
سلك موضوع واحد هو من أنواع بلاغة القرآن وخصائصه المدهشة التي
لم تسبق لبلوغ ولن يبلغ شأوه فيها يبلغ - ذكر الكتاب وانه لا ريب

فيه . ثم ذكر اختلاف الناس فيه فابتدأ بالمؤمنين وثى بالكافرين وثالث بالمنافقين . ثم ضرب الأمثال لفرق الصنف الثالث . ثم طالب الناس كلهم بعبادته . ثم أقام البرهان على كون الكتاب منزلاً من الله على عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتحدى المرتابين بما اعجزهم ثم حذر وانذر وبشر ووعد . ثم ذكر المثل والقدوة وهو الرسول وذكر اختلاف الناس فيه كما ذكر اختلافهم في الكتاب . ثم حاج الكافرين ، وجاءهم بانصع البراهين ، وهو احيائهم مرتين وإماتهم مرتين وخلق السموات والارض لمنافعهم . ثم ذكر خلق الانسان وبين أطواره - ثم طفق يخاطب الامم والشعوب الموجودة في البلاد التي ظهرت فيها النبوة تفصيلاً فبدأ في هذه الآيات بذكر اليهود للمعنى الذي نذكره . والكلام لم يخرج بهذا التنويع عن انتظامه في سلكه ، وأحسن اتساقه في سبكه ، فهو دائر على محور واحد وهو الكتاب والمرسل به وحاله مع المرسل اليهم

قال تعالى : « يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ » ، اختص بني اسرائيل بالخطاب اهتماماً بهم لأنهم أقدم الشعوب الحاملة للكتب السماوية والمؤمنة بالانبياء المعروفين ولأنهم كانوا اشد الناس على المؤمنين ولأن في دخولهم في الاسلام من الحجة على النصارى وغيرهم أقوى مما في دخول النصارى من الحجة عليهم . وهذه النعمة التي اطلقها في التذكير لعظم شأنها هي نعمة جعل النبوة فيهم زمناً طويلاً (او أعم) ولذلك كانوا يسمون شعب الله كما في كتبهم وفي القرآن ان الله اصطفاهم وفضلهم . ولا شك ان هذه المنة نعمة من الله تعالى كبرى منحهم اياها بفضله ورحمته فكانوا بها مفضلين على العالمين من الامم والشعوب وكان الواجب عليهم ان

يكونوا أكثر الناس لله شكراً، وأشدّهم لنعمة ذكره، وذلك بأن يؤمنوا بكل نبي يرسله لهدايتهم ولكنهم جعلوا النعمة حجة الاعراض عن الايمان وسبب ايداء النبي عليه السلام لأنهم زعموا ان فضل الله تعالى محصور فيهم وأنه لا يبعث نبياً الا منهم . ولذلك عقب الله تعالى التذكير بالنعمة بالأمر بالوفاء بعهده فقال

« وأوفوا بعدي أوف بعديكم » وعهد الله تعالى اليهم يعرف من الكتاب الذي نزل به اليهم . عهد اليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وأن يؤمنوا برسله متى قامت الادلة على صدقهم وان يخضعوا لأحكامه وشرائعه . وعهد اليهم بأن سيرسل اليهم نبياً من بني اخوتهم بني اسماعيل يقيم شعباً جديداً — هذا هو العهد الخاص بالنصوص . ويدخل في عموم العهد عهد الله الأَكْبَر الذي أخذه على جميع البشر بمقتضى الفطرة وهو التدبّر والتروي ووزن كل شيء بميزان العقل والنظر الصحيح لا بميزان الهوى والغرور ولو التفت بنو اسرائيل الى هذا العهد الالهي العام او الى تلك العهود الخاصة المنصوصة في كتابهم لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم واتبعوا النور الذي انزل معه وكانوا من المفلحين . ولا حاجة الى تخصيص العهد بالايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم كما فعل مفسرنا (الجلال) فان الايمان داخل في العهد العام وهو من أفراد العهد الخاص فلا دليل على قصر عموم العهد المضاف عليه

هذا هو عهد الله وأما عهدهم فهو التمكين في الارض المقدسة والنصر على الامم الكافرة والرفعة في الدنيا وخفض العيش فيها — هذا هو الشائع في التوراة التي بين أيديهم ولا شك ان الله تعالى قد وعدهم أيضاً بسعادة

الآخرة ولكن لا دليل على هذا في التوراة الا الاشارات ولذلك ظن بعض الباحثين ان اليهود لا يؤمنون بالبعث . ومع هذا يقول (الجلال) كغيره ان هذا العهد هو دخول الجنة ويقتصر عليه

ولما كان من موانع الوفاء بالعهد الذي فشا تركه في شعب اسرائيل خوف بعضهم من بعض لما بين الرؤساء والمرؤسين من المنافع المشتركة عقب الأمر بالوفاء بقوله « وإياي فارهبون » اي ان كنتم تخافون فوت بعض المنافع ونزول بعض المضار بكم اذا خالقم الجماهير واتبعتم الحق فلا ولي ان لا تخافوا ولا ترهبوا الا من بيده ازمة المنافع كلها وهو الله الذي انعم عليكم بتلك النعمة الكبرى او انعم كلها وهو وحده القادر على سلبها وعلى العقوبة على ترك الشكر عليها فارهبوه وحده لا ترهبوا سواه

ثم انتقل من الامر بالوفاء بعموم العهد الى العهد الخاص المقصود من لسياق فقال تعالى شأنه « وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم » من تعليم التوراة وكتب الانبياء كالتوحيد والنهي عن الفواحش والمنكرات والامر بالمعروف وما يتصل بهذا من الارشاد الموصل الى السعادة فاذا نظرتم في القرآن ووجدتموه مصدقاً لما معكم من مقاصد الدين الالهي وأصوله ووعد الانبياء وعهودهم تعلمون ان الروح الذي نزل به هو عين الروح الذي نزل بما سبقه وتعلمون انه لا غرض لهذا النبي الذي يدعوكم الى مثل ما دعاكم اليه موسى والانبياء الا تقرير الحق وهداية الخلق بعد ما طرأ من ضلالة التأويل ، وجهالة التقليد ، فبادروا الى الايمان بهذا الكتاب الذي قامت به الحجة عليكم من وجهين احدهما اعجازه وثانيها كونه مصدقاً لما معكم « ولا تكونوا اول كافر به » أي ولا تبادروا الى

الكفر به والجحود له مع جدرا تكم بالسبق اليه . وهذا الاستعمال معروف في الكلام البليغ لهذا المعنى والخطاب عام لليهود في كل عصر وزمان ثم قال « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً » الآيات هي الدلائل التي أيد بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأعظمها القرآن فهو كقوله تعالى (اشتروا الضلالة بالهدى) أي لا تعرضوا عن الإيمان بهذا النبي وما جاء به وتستبدلوا بهدايته هذا الثمن القليل وهو ما يستفيدة رؤساؤكم من الرؤسين من مال وجاه اوقعاهم في الكبر والنرور وما يتوقعه الرؤسون من الزلنى والحظوة بتقليد الرؤساء واتباعهم وما يخشونه اذا خالفوهم من المهانة والذلة . وإنما سعى هذا الجزاء ثمناً قليلاً لأن كل ما عدا الحق قليل وحقير بالنسبة اليه وكيف لا يكون قليلاً وصاحبه يخسر عقله وروحه قبل كل شيء لإعراضه عن الآيات البينات ، والبراهين الواضحات ، ثم انه يخسر عز الحق وما يكون له من الشأن العظيم وحسن العاقبة ثم انه يخسر مرضاة الله تعالى وتحل به نقمه في الدنيا وعقوبته في الآخرة . وختم هذه الآية بشبه ماختم به ما قبلها وذلك قوله « وإياي فاتقون » وليس في هذا مع سابقه تكرار ولا شبه تكرار كما يتوهم فقد حل كل من القولين محله ولا مندوحة عن واحد منهما لأن استبدال الباطل بالحق إنما كان منهم لاتقاء الرئيس فوت المنفعة من الرئيس واتقاء الرؤس غضب الرئيس فدحض هذه الشبهة بالامر بتقوى الله الذي بيده قلوب العباد وبيده الخير وهو على كل شيء قدير

ثم قال « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » بينت هذه الآية مسلكهم في الغواية والإغواء في سياق النهي عنه .

فقد جاء في كتبهم التحذير من أنبياء كذبة يبعثون فيهم ويعملون المعجائب
وجاء فيها أيضاً أنه تعالى يبعث فيهم نبيا من ولد اسماعيل يقيم به أمة وأنه يكون
من ولد الجارية (هاجر) وبين علاماته بما لا لبس فيه ولا اشتباه ولكن
الأخبار والرؤساء كانوا يلبسون على العامة الحق بالباطل فيوهمونهم أن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الأنبياء الذين نعتهم الكتب بالكذبة
(حاشاه) ويكتنون ما يعرفون من نعوت التي لا تنطبق على سواء وما
يعلمون من صفات الأنبياء الصادقين وما يدعون اليه وكله ظاهر فيه عليه
السلام بأكل المظاهر . ومن اللبس أيضا ما يفتره الرؤساء والأخبار
فيكون صادقا لهم عن سبيل الله وعن الإيمان بنبيه عن ضلال وجهل وهو
وهو لبس أصول الدين بالمحدثات والتقاليد التي زادوها على الكتب
المنزلة بضروب من التأويل والاستنباط من كلام بعض المتقدمين وأفعالهم
فكانوا يحكمون هذه الزيادات في الدين حتى في كتب الأنبياء ويعتدرون بأن
الاقدمين أعلم بكلام الأنبياء وأشد أتباعا لهم فهم الواسطة بينهم وبين الأنبياء
وعلى من بعدهم الأخذ بما يقولون دون ما يقول الأنبياء الذين يصعب
عليهم فهم كلامهم بزعمهم . ولكن الله لم يقبل هذا العذر منهم فنسب اليهم
في ذلك اللبس وكتمان الحق الموجود في التوراة الى اليوم (وكذلك
لا يقبل الله ممن بعدهم ترك كتابه لكلام الرؤساء بحجة أنهم أكثر علما
وفهما فكل ما يعلم من كتاب الله تعالى يجب العمل به وانما يسأل الانسان
عما لا يعلم منه ليعلم فيعمل)

ثم قال جل ثناؤه : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع
الراكعين » فبعد الدعوة الى الإيمان اليقيني دعاهم الى العمل الصالح على

الوجه النافع المرضي لله تعالى وكانوا ضلوا عنه بالتمسك بالظواهر والوقوف عند الرسوم فقد كانوا يصلُّون ولكنهم ما كانوا يقيمون الصلاة لا في الإقامة هي الاتيان بالشئ مقوماً كاملاً وهي في الصلاة التوجه الى الله تعالى بالقلب والخشوع بين يديه والاخلاص له في الذكر والدعاء والثناء فهذا هو روح الصلاة الذي شرعت لاجله ولم تشرع لهذه الصورة فان الصور تتغير في حكم الله تعالى على السنة انبيائه لانها رابطة مذكرة فلم تكن للانبياء صورة واحدة للصلاة ولكن هذا الروح لا يتغير فهو واحد لم يختلف فيه نبي ولم ينسخ في دين .

ثم امر بعد الصلاة التي تطهر الروح وتقربها من الله تعالى بالزكاة التي هي عنوان الايمان ومظهر شكر الله على نعمه والصلة العظيمة بين الناس . وقد عهد في القرآن قرن الامر باتيان الزكاة بالامر باقامة الصلاة ومن أقام الصلاة لا ينسى الله تعالى ولا ينفل عن فضله ومن كان كذلك فهو جدير ببذل المال في سبيله مواساة لعياله ومساعدة على مصالحهم التي هي ملاك مصلحته فان الانسان انما يكتسب المال من الناس بحذقه وعمله معهم فهو لم يكن غنياً الا بهم ومنهم فاذا عجز بعضهم عن الكسب لآفة في فكره ونفسه أو علة في بدنه فيجب على الآخرين الاخذ بيده وان يكونوا عوناً له حفظاً للمجوع الذي ترتبط مصالح بعضه بمصالح البعض الآخر وشكراً لله على ما ميزهم به من النعمة وظاهر ان الغني في حاجة دائمة الى الفقير كما ان الفقير في حاجة اليه . ولكن النفوس تمرض فتغفل عن المصلحة في بذل المال ومساعدة الفقير والضعيف مبالغة وغلوا في حب المال الذي هو شقيق الروح كما يقولون لهذا جعل الله بذل المال

والانفاق في سبيل الخير علامة من علامات الايمان وجمل البخل من آيات
النفاق والكفر كما سيأتي في آيات كثيرة

قال الاستاذ الامام : ان البخل الحقيقي وهو القسوة على عباد الله تعالى
والحرص على المال استرسالاً في الشهوات وميلاً مع الهوى لا يجتمع مع
الايمان الحقيقي في قلب قط . وليس لامر الله تعالى عوض الا أمثاله
والقيام به على ما يحب الله ويرضى

ثم امر بعد اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بالركوع مع الراكعين . والركوع
صورة الصلاة او جزء من اجزائها وقد أخره ولم يوصله بالصلاة لحكمة جليلة
لا رعاية للفاصلة كما زعم بعض المفسرين فليس من الجائز ان يكون في القرآن
تفسير يعرض فيه إخلال بالمعنى لاجل رعاية الفاصلة بل هذا لا يرتضيه
البلغاء من الناس فكيف يقع في كلام الله تعالى ؟ وانما وردت هذه الاوامر
الثلاثة مرتبة كما يحب الله تعالى فاقامة الصلاة في المرتبة الاولى من عبادة
الله تعالى لانها روح العبادة والاخلاص له ويلها إيتاء الزكاة لانها تدل ايضاً
على زكاء الروح وقوة الايمان واما الركوع وهو صورة الصلاة
البدنية او بعض صورتها أشير به اليها فهو في المرتبة الثالثة فرض للتذكير بسابقه
وما هو بعبادة لذاته وانما كان عبادة لانه يؤدى امثالاً لامر الله تعالى واظهاراً
لخشيته والخشوع لعظمته ولكنه قد يصير عادة لا يلاحظ فيها امثال
ولا اخلاص بخلاف اقامة الصلاة بالمعنى الذي ذكرناه وإيتاء الزكاة . ولا
يخفى ان الفصل بين معنى الصلاة وصورتها بالزكاة فيه تعظيم لشأن الزكاة
وستكلم على الزكاة والانفاق في سبيل الله بالتفصيل في تفسير آية أخرى
ان شاء الله تعالى

﴿ باب الاستدلال والاهمية ﴾

الدهر والزمن (س ١) احمد افندي عبدالكريم بالقازيق: تقرا ونسمع كل يوم من مدام الدهر نظما وثرا من جميع الملل مالا يخفى عليكم ولا نعلم ما يقصدون بالدهر الذي ينسبون اليه افعالا كالرفع والخفض والعسر واليسر وما مسمى هذا الاسم اهي المدة الزمانية ولا دخل لها في الأفعال أم ماذا؟ والحامل لي على هذا السؤال اني سمعت من أحد العلماء حديثاً أدهشني وهو: « لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله » وقد نري أكثر سابي الدهر من العلماء الذين لا يغيب عنهم هذا الحديث فما رأيكم في هذا السؤال وفي صحة الحديث أجيبوني ولكم مزيد الشكر ومن الله الاجر

(ج) اختلاف العلماء في تفسير الدهر والزمان والنسبة بينهما فقال الراغب الدهر اسم لمدة العالم من مبداءه الى منتهاه ثم صاروا يطلقونه على المدة الطويلة وأما الزمان فيطلق على المدة الطويلة والقصيرة اطلاقاً حقيقياً وزعم السعد ان الدهر طول الزمان . وقد فشا بين الأدباء والشعراء ذم الدهر والزمان ونسبة الحوادث السيئة اليهما وتري شعراء العرب بعد الاسلام قلما يذمون الدهر وإنما يذمون الزمن . ولا يقصد هؤلاء ولا أولئك بالزمن أو الدهر حركة الفلك أو الليل والنهار أو ما يقول المتكلمون في تعريف الزمن « مقارنة متجدد معلوم لتجدد موهوم » وإنما يقصدون ان تعاستهم أو شقاءهم وكل ما يشكون منه لم يكن من تقصيرهم وإنما علته عدم موافاة الشؤون الكونية المتعلقة بغيرهم من الخلق ولما كانت هذه الشؤون التي يتوقف عليها النجاح مع سعي الانسان غير معينة صاروا ينسبونها الى أعم

شيء يمكن أن تسند إليه وهو الزمن أو الدهر
وقد حكى الله تعالى عن بعض الملاحدة نسبة الإحياء والاماتة الى
الدهر فقال « وقالوا إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا
الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » والظاهر انهم يعنون ان
هذا هو المعروف طول الدهر فلا يوجد شيء آخر يحيي ويميت وهذا النفي
المطلق جهالة لا دليل عليها . وأما الحديث فقد جاء في صحيح مسلم بلفظ
« لا يسب أحدكم الدهر فان الدهر هو الله تعالى » وورد بلفظ آخر عند
أبي داود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وهو : « قال الله عز وجل
يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فاني انا الدهر أقلب ليله ونهاره » ورواه
غيرهم وله ألفاظ أخرى لا حاجة الى استقصائها . ولم يرد اسم الدهر في
أسماء الله تعالى لانه أطلق عليه سبحانه على سبيل التجوز والمعنى فيه ان
الشيء الذي يسند اليه الناس الافعال ولا يعرفون حقيقة وانما يسمونه
الدهر لأنه غير متعين في علمهم الناقص هو الله جل شأنه لانه هو الفاعل
المختار الذي يرجع اليه الامر كله

الدعاء والقضاء وطول العمر (مس ٢) أحمد أفندي متولي بمصر : اطلعت على حديث
في تفسير الخازن هذا نصه : عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر » وهذا مضاد لما نعتقد
من انه لا راد لقضاء الله وان العمر لا يزيد ولا ينقص لقوله تعالى « لكل
أجل كتاب » وقوله جل ذكره « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون » فالرجاء افادتنا عن ذلك

(ج) اتفق النقل مع العقل على ان كل ما يقع في الوجود فانما يقع

بحسب ما في علم الله تعالى لأن وقوع شيء على خلاف ذلك يستلزم الجهل وهو محال على الله تعالى فما خالف هذه العقيدة خلافاً حقيقياً فهو مردود ونقطع بأنه مكذوب على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا لم يمكن تأويله وإرجاءه إليها . وقد أول العلماء حديث « لا يرد القضاء الا الدعاء » فقالوا قد يكون في علم الله تعالى ان فلانا يصاب بكذا أو يكون بصد أن يصاب به فيسعدو الله فينكشف عنه البلاء الذي كان معلقاً نزوله او دوامه على عدم الدعاء وانكشافه على الدعاء ويسمون هذا القضاء المعلق . أما القضاء المبرم وهو ما سبق في علم الله تعالى أن يكون لاحالة فهو الذي لا يمكن أن يرد . واذا كان هذا التقسيم لاجل الجواب عن هذا الحديث فهناك أحاديث لا يمكن ان يجاب عنها منها ما أخرجه أبو الشيخ عن أنس مرفوعاً « أكثر من الدعاء فان الدعاء يرد القضاء المبرم » وما أخرجه ابن عساكر عن نعيم ابن أوس مرسل « الدعاء جند من أجناد الله مجندة يرد القضاء بعد أن يبرم » . والحديثان ضعيفا السند جداً . والحديث الوارد في السؤال رواه الترمذي والحاكم . وقد ذكر المحدثون ان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للمقائد القطعية والاصول الثابتة ومنها مخالفته للعقل والوجود

وأما كون البر يزيد في العمر فقد ورد بمعناه أحاديث في الصحيح وهو كلام في الاسباب لا في علم الله تعالى وقضائه في العباد . قال بعض العلماء في تفسيره ان أهل البر يكونون أهنأ الناس عيشاً لما بينهم وبين والديهم وأهلهم وسائر الناس من الحب وحسن المعاملة وهذه هي الزيادة في العمر فان من يعيش بالمناكدة والفجور كأنه لم يعيش لأن حياته تذهب سدى . وفيه وجه آخر وهو ان البر وحسن الاخلاق والاعتدال في الامور من

اسباب الصحة واعتدال المزاج والصحة هي مادة طول الحياة في الغالب وهذا مما يأتي بالنسبة لحالة البنية واستعداد الشخص لا بالنسبة لما في علم الله تعالى لانه لا يتغير وأكثر الكلام بين الناس يكون في الاسباب لا في أصول العقائد وقد أوضحنا هذه المسئلة في الدرس ١٦ من الامالى الدينية (راجع ٥٥٨: ٣) رضاع الزوج من الزوجة (س ٣) م ٠ ص ٠ في الجيزة : اذا رضع الزوج ندي زوجته هل تحرم عليه ؟

(ج) لا فان حكم الرضاع انما يثبت في الصغير عند جماهير العلماء من السلف والخلف والمروي عن الأئمة الاربعة وغيرهم انه لا تأثير له بعد الحولين وفيه حديث رواه الدارقطني عن ابن عباس « لا رضاع الا ما كان في الحواين » وفي حديث صححه الترمذي عن ام سلمة « لا يحرم من الرضاع الا ما فتن الامعاء وكان قبل القطام » والمراد بفتق الامعاء كونه عمدة في التغذية ولكن وردت أحاديث اصح من هذه في التحريم برضاع الكبير وقد أجابوا عنها بما يحتمل البحث ومن أراد الاحتياط فليجتنب كل ما فيه خلاف . وأما سؤالكم الاول فاننا لم نفهمه وسنجيب عن اقتراحكم في الطلاق عند سنوح الفرصة .

القسم العمومي

﴿ فرنسا والاسلام ﴾

لا تزال دولة فرنسا في حيرة وعمّة لا تهتدي معها الى طريقة تطمئن اليها في سياسة مستعمراتها الاسلامية فكتابها من الفلاسفة والسياسيين يواصلون البحث في الاسلام على مر الايام والاعوام لأجل اشراع هذه

الطريقة وما هم بمشرعيها ولما تطعن نفوسهم الى شئ كاطمئنان نفس
انكلترا في سياسة مستعمراتها الاسلامية وغير الاسلامية . لقد ظهرت
نتيجة حسن سياسة انكلترا في ارتباكها بحرب الترانسفال فلقد كانت
عاجزة عن تأديب مملكة واحدة من ممالكها الاستعمارية الواسعة اذا هي
تأبّت عليها وثارت تريد الخروج من دائرة سلطتها . والله يعلم ما يكون
من أمر مستعمرات فرنسا معها اذا وقعت في مثل ذلك الارتباك وانتهت
الى مثل ذلك الخطر الذي كانت فيه انكلترا أيام كانت الحرب في شبابها .

سلكت فرنسا مع المسلمين مسلك العنف والضغط حتى حالت
بين المسلمين الذين تحت سيادتها أو حمايتها وبين العلم والتعليم وزعمت ان
فرقا بينها وبين انكلترا فانها تحكم شعوباً لا تزال الشهامة الاسلامية
والشجاعة العربية متمكنة في نفوسها وان انكلترا تسوس قوماً فسد بأسهم
وهجرتهم الشجاعة والشهامة بما توالى عليهم من ظلم حكامهم كالهنديين
والمصريين الذين لا تخشى بادرتهم . ولا تحذر غائلتهم . وجهلت أقرب
حوادث التاريخ في مصر وهو خروج المصريين على حكامهم الذين يدينون
بدينهم وينطقون بلغتهم عندما أمكنتهم الغرة من الخروج عليهم حتى كان
العلماء وهم أبعد الناس عن السياسة من خطباء الثورة العراقية ودعاتها بعدما كانوا
يقولون بوجوب طاعة هؤلاء الحكام الكين والخضوع لهم . ولا أنسى كلمة سمعتها من
كبير العلماء في بلد من سوريا قالها في محفل كبير ذكرت فيه الثورة العراقية
فقال ذلك الشيخ رحمه الله « كلنا عراقيون » ودعا لعراقي وحزبه بالنصر .
واذا وجد في العلماء رجل واحد بصير بالسياسة كان يحذر العراقيين
وينذرهم سوء عاقبة الثورة كالشيخ محمد عبده فذلك لا ينافي أن الجماهير

كانوا راضين عنها وداعين اليها

أتجهل فرنسا ان سياسة الظلم والقسوة التي نفخت روح الثورة في المصريين الجبناء في نظرها على حكامهم المسلمين تخشى عاقبتها من الجزائريين والتونسيين وهم من أهل النجدة والبأس والشجاعة والشهامة ؟ أتجهل السر في سكون هؤلاء الذين عهدهم بالثورة غير بعيد عند ظهور انكسار انكلترا في الحرب المرة بعد المرة ؟ السر ظاهر غير مكتوم وهو انهم في رخاء من العيش يرفلون في ظلال الحرية التامة ونعيمها . نعم انهم يتمنون الاستقلال التام لأنه هو كمال الحياة الاجتماعية ومن نجا من الاستعباد والاستذلال ، يشتهي كمال الاستقلال ، ولكن الناس لا يذهبون الى الثورة الا بالظلم والتضييق فان الانفجار نتيجة الضغط

اذا كانت انكلترا لا تساعد استعداد الشعوب على الترقى كما هو شأنها في زنجبار فانها قلما تعارضه لانها لا تحارب الطبيعة فقد كان مسلمو الهند في جهل وخمول فتركهم وشأنهم فظهر فيهم مرشدون اشتغلوا بتربيتهم وتعليمهم فصادفوا من الحكومة الانكليزية ارتياحاً بل تنشيطاً ومساعدة وأعطتهم الحرية التامة في انشاء المدارس والجرائد وعقد الجمعيات . والبريد عندهم حر فلم نسمع ان جريدة منعت عن الهند وان مكتوباً ضاع او رسالة اختزلت او كتابا ارسل فلم يصل فهل تعامل فرنسا اهل الجزائر بمثل هذه المعاملة او بما يقرب منها ؟

لقد كان لفرنسا في سيرة الانكايير في الاستعمار ما يغنيها عن كثرة البحث والتأليف والتصنيف في حال المسلمين وكيف ينبغي ان يعاملوا ويغنيها عن تأليف اللجنة التي القتها من عهد قريب لتمحيص البحث في

هذه المسئلة

يحكم كتاب فرنسا وساستهم على المسلمين من غير ان يستشيروهم او يعرفوا مايكتبه الاحرار المارفون بالدين وأهله عنهم ولكن بعض حكاهم يستكتبون بعض المصانمين لهم ما ارادوا وينشون انفسهم وقومهم بما يوهونهم ان هذا هو رأي علماء المسلمين واهل الرأي فيهم . اكثر ما يكتبه الفرنسيون عن الاسلام والمسلمين يُحفظ القلوب ويثير الاحقاد ويخرج الاضغان وكل هذا يُحتمل ما دامت القوة فاذا عرض عليها ما يضعفها فهناك يحصدون شر ما يزرعون . وليس من العقل الاغترار بدوام القوة

الفرنسيون ابعد الناس عن الدين وعن التعصب له ولكنهم اذا كتبوا عن الاسلام فانما يتقشون السموم ويُظلون المسلمين بظل من يحموم؛ الا ما كان من فيلسوف حكيم يكتب للعلم لا للسياسة . حكومة الجمهورية ليست مسيحية فتعصب على الاسلام لاجل النصرانية وانها لتقاوم النصرانية في بلادها كما تقاوم الاسلام في مستعمراتها واجكنا تعتقد ان المسلمين قوم حرب وان دينهم يطالبهم بان يكونوا سائدين غير مسودين وانهم يتربصون بمن يسودهم الدوائر حتى اذا ماسنحت لهم الفرصة وثبوا ، فسلموا ونهبوا ؛ وان السياسة الواقية ان يوضعوا في الاوهاق ؛ وتغل الأيدي الى الاعناق ؛ وان تحجب شمس العلم عن الانظار ؛ وتحول بين الاسماع وما في العالم الاسلامي من الاخبار ؛ وان تراقب الحكومة السائحين ، اذا كانوا مسلمين أو عثمانيين ؛ - ومن الاعتقاد ما هو ظن وان بعض الظن إثم . ولا شئ يخرج الصدور ؛ ويُبضُّ النفوس مثل هذه

المعاملة السوءى لأنها برهان على ان هذه الحكومة تبغض المسلمين والجاهل لا يعرف سبباً للعداوة والبغضاء الا الأمر العام وهو الدين لذلك يعتقد الا كثرون في المستعمرات الفرنسية ان فرنسا تبغض المسلمين لأنهم مسلمون يعبدون الله من دون المسيح ويؤمنون بمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نحن والعقلاء نقول ان الأمر ليس كذلك ومثلنا من يقدر على إقناع المسلمين لأننا من خدمة الدين والعلم فيهم ولكن هذا الإقناع يتوقف على وصول صوتنا الى تلك المسامع وفرنسا لا ترضى بذلك بل ولا ترضى بأن يتعلم المسلمون الا اللغة الفرنسية التي تزيد المسلمين بغضا في فرنسا كما صرح بذلك بعض كتابها وذلك انهم يرون في الكتب والجرائد الفرنسية الطعن الموجه مصوبا دائما الى صدور المسلمين . وفرنسا أقدر منا على إقناع المسلمين بحسن نيتها وسلامة عاقبتها اذا برهنت عليه بالعمل ولكن يتعذر عليها إقناع مسلم واحد بالقول وان أوتيت من سحر البيان وخلاصة اللسان ، مالم يؤتة إنسان ؛

فرنسا في شك مريب من أمر مسلمي مستعمراتها لا تدري أيمكن أن تعيش معهم في وئام ، وهدون وسلام ، ام ذلك من الأمانى والاهام ، التي لا تدرك ولا ترام ، ولا شك عندنا نحن في الامكان ، والمرتاب لا يقنعه البرهان ، ولكن ربما تقنعه حوادث الزمان ، والمريب يكون دائما في حذر ، والظالم لا يمكن ان يأمن الغير ، ولو أخلصت فرنسا النية ، لعرفت القضية ، وبلغت الأمنية ،

لو اطلقت فرنسا لأهل الجزائر حرية العلم والدين وحافظت فيهم على أحكام شريعتهم وآدابها وساعدتهم على ترقى بلادهم وعمرانها وأقامت

فيهم العدل وأباححت لكل أحد أن يمازجهم ويرى مام فيه حيثئذ من غبطة ونعيم لكانت هذه المعاملة الحسنى اقوى جاذب يجذب جيرانهم المراكشيين الى الدخول في حكم الولاية الجزائرية قبلا بعد قبيل لاسيما اذا جعلت للولاية حاكما مسلما يصدر الاحكام الشرعية وينفذها .

قد نعلم ان من الفرنسيين من يسخر من هذا الكلام اذا سمعه متوهما اننا نقوله خداعاً لهم لا عن اعتقاد منا بصحته . ولا يعلم الساخر المقروض اننا أقرب الى الشك في كون إحسانهم معاملة المسلمين خيراً للمسلمين منا الى الشك فيما قلناه فان الظلم والقسوة في المعاملة هي التي تربي الأثم وترجع اليها استعدادها المفقود ، او تبث فيها استعداداً لم يكن بالموجود ، ولقد كانت الحرب الروسية العثمانية اكبر منبه للمسلمين الى الحياة الاجتماعية في مشارق الارض ومغاربها وإن كانت اكبر خسارة على المسلمين في الظاهر . وان من سياسة المسلمين وعقلائهم من يعتقد ان نجاح الاسلام الاكبر يتوقف على سقوط كل هذه الحكومات الاسلامية التي بقيت لها رسوم ماثلة فان أعظم ادواء المسلمين الاجتماعية اعتمادهم على حكوماتهم واستبداد حكامهم بهم فلن تعود اليهم قوتهم الحقيقية واستقلالهم الذاتي الا بسقوط هذه الرسوم ليرجعوا الى قوتهم الذاتية الاستقلالية

بِمَ يفسر مسلمو الجزائر وتونس وغيرهم عداوة فرنسا لاسيد المهدي السنوسي وهو من رجال الدين وشيوخ الطريق ولماذا يكتب الفرنسيون في جرائدهم وكتبهم انه لا بد من استئصال قوته ، واصطلام دعوته ؛ واتحاد جذوته ؛ كما بينا ذلك في العدد ٢٣ من منار السنة الاولى ولماذا لا يحفل الانكليز بذلك ولا يبحثون عن زواياه واتباعه في السودان ومصر ولماذا لم

يكتب أحد من الانكليز ناصحاً قومه وميئناً لهم الحيل والدسائس التي
تفتت بها القوة السنوسية ؟؟ ان سياسة فرنسا في أفريقيا خرقاء وربما
تكشف هذه المناوشات الاخيرة بينها وبين المهدي السنوسي خرقها الا اذا
أراد الله لها زيادة الاستدراج والاملاء الى أجل مسمى والى الله المصير
(يطلب خبر محاربة فرنسا والسيد المهدي السنوسي في باب الاخبار)

نموذج من كتاب دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني

(تمة الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه . وضم الاشتغال بعلمه وتبعه)

كان آخر القول في النبذة الماضية ان النبي كان يستنشد عائشة فنشده ما تقدم

قالت فيقول عليه السلام « يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده صنع
اليك عبدي . مروفاً فهل شكرته عليه فيقول يارب علمت انه منك فشكرتك
عليه قال فيقول الله عز وجل لم تشكرني اذ لم تشكر من أجرته على يده » :
(وأما) علمه عليه السلام بالشعر فكما روي ان سودة انشدت

« عَدِيٌّ وَتَيْمٌ تَبْتَغِي مِنْ تَحَالَفٍ » فظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما
انها عرّضت بهما وجرى بينهما كلام في هذا المعنى فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فدخل عليهن وقال « يا ويلكن ليس في عَدِيٍّ وَلَا تَيْمٍ قِيلَ
هَذَا وَإِنَّمَا قِيلَ هَذَا فِي عَدِيٍّ وَتَيْمٍ وَتَيْمٌ » . وتمام هذا الشعر :

تَحَالَفٌ وَلَا وَاللَّهِ تَهْبِطُ تَلْعَةً . مِنْ الْأَرْضِ الْأَنْتَ لِلذَّلِّ عَارِفٌ ^(١)
أَلَا مَنْ رَأَى الْعَبْدِينَ أَوْ ذَكَرَهُ عَدِيٌّ وَتَيْمٌ تَبْتَغِي مِنْ تَحَالَفٍ

(١) التلعة تطلق على ماء علا وعلى ما سفل من الارض وقيل هي ما اتسع من فوهة الوادي

وروى الزبير بن بكار . قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
ابو بكر رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقة مكة :
يا أيها الرجل المَحُولُ رحله هلا نزلت بآل عبد الدار
فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر هكذا قال الشاعر » قال
لا يارسول الله ولكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا سألت عن آل عبد مناف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كنا نسمعها .
(وأما) ارتياحه صلى الله عليه وسلم للشعر واستحسانه له فقد جاء فيه
الخبر من وجوه من ذلك حديث النابغة الجعدي قال أنشدت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قولي :

بلغنا السماء مجدًا وجدودنا وانا نلثرجو فوق ذلك مظهرًا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » فقلت الجنة
يارسول الله قال « أجل ان شاء الله » ثم قال « أنشدني » فأنشدته من قولي :
ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادٍ تحمي صفوه أن يكدر^(١)
ولا خير في جهل اذا لم يكن له حلیم اذا ما أورد الأمر أصدرًا
فقال صلى الله عليه وسلم « أجدت لا يفضض الله فاك » قال الراوي

(١) البوادر جمع بادرة وهي الحدة او ما يبدر من الانسان عند الحدة
من الحفة الى الانتقام بالقول او الفعل . والحديث رواه ابن عساكر وابن التجار
بلفظ [مجدنا] بدل [مجدنا] وفيه انه انشد اليتيم بعد ذلك من نفسه فقال له
عليه السلام « لا يفضض فوك » مرتين قال الراوي وهو يعلى بن الاشدق فاقد رأيته
بعد عشرين سنة ومائة وان لأسنانه أشراً كأنه البرد . والاشر الحدة والركة في
اطراف الاسنان والتحزير الذي يكون فيها

فنظرت اليه فكان فاه البرد المنهل ما سقطت له سن ولا انفلت ترف غروبه^(١)
 (ومن ذلك) حديث كعب بن زهير روي أن كعباً وأخاه بجيرا
 خرجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف فقال
 كعب لبجير: الق هذا الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر ما يقول وقدم بجير
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام فاسلم وبلغ ذلك
 كعباً فقال في ذلك شعراً فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه فكتب اليه
 بجير يأمره ان يسلم ويقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول وأن من
 شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله قبل منه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأسقط ما كان قبل ذلك فقدم كعب وأنشد النبي صلى الله عليه
 وسلم قصيدته المعروفة:

بانت سعادة قلبي اليوم متبول	متيم إثرها لم يفسد مغلول ^(٢)
وماسعاد غداة الين اذ رحلت	الاغن غضيض الطرف مكحول
تجلوعوارض ذي ظلم اذا ابتست	كانه منهل بالراح مغلول
سح السقا عليه ماء محنية	من ماء أبطح أضحي وهو مشمول ^(٣)

١ « الغروب الاسنان ورفيفها برقيها كذا في الهامش بخط الاستاذ وقبل هذه الجملة
 « ولا انفلت » ويظهر لي أن اصلها « ولا انفكت » وهي مع ترف غروبه جملة
 واحدة « والافلال الشام والاشر » ٢ « المتبول من تبه الحب اذا أضناه وأفسده أو ذهب
 بلبه وعقله » والمتيم المذلل المعبّد « والمغلول من وضع الغل في عنقه وفي رواية
 « مكبول » وهو المقيد بالكبل أي القيد « ٣ وفي نسخة « سح السقا عليها » أما الرواية
 المشهورة في البيت فهي

شجّت بذي شيم من ماء محنية صافي أبطح أضحي وهو مشمول

أكرم بها خلة لو أنها صدقت موعودها أولوا أن النصيح مقبول^(٤)
 حتى أتى على آخرها فلما بلغ مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله . سلول^(٥)
 في فتية من قريش قال قائلهم بطن مكة لما أسلموا زولوا
 زالوا فما زالوا انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل
 لا يقع الطعن الا في نحورهم وما بهم عن حياض الموت تهليل
 شم المرانين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرايل
 اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخلق أن اسمعوا قال وكان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من اصحابه مكان المائدة من القوم
 يتخلقون حلقه دون حلقه فيلقت الى هؤلاء والى هؤلاء والاخبار فيما
 يشبه هذا كثيرة والأثر به مستفيض

وان زعم انه ذم الشعر من حيث هو . وزون مقفى حتى كان الوزن
 عيباً . وحتى كان الكلام اذا نظم نظم الشعر اتضع في نفسه وتغيرت حاله ،
 فقد ابد وقال قولاً لا يعرف له معنى وخالف العلماء في قولهم : انما الشعر
 كلام فحسنة حسن وقبيحه قبيح^(٦) . وقد روي ذلك عن النبي صلى
 عليه وسلم مرفوعاً :

فان زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يغنى في الشعر ويلتهى به . فانا اذا

٤ . وفي رواية « وَيَأْتِيهَا خَلَّة (٥) وفي رواية لنور بدل لسيف . ولا تفسر
 الايات فالقصيدة شهيرة . وشروحها في الايدى على اني لم ار أحداً من المحدثين رواها
 (٦) روي الدارقطني في الافراد عن عائشة والبخاري في الأدب والطبراني في
 الاوسط وابن الجوزي في الواهيات عن عبد الله بن عمر . والشافعي والبيهقي عن عروة
 مرسلات : (الشعر كلام بمنزلة الكلام فحسنة حسن الكلام وقبيحه قبيح الكلام)

كنا لم ندعه الى الشعر من أجل ذلك وإنما دعواته الى اللفظ الجزل، والقول الفصل، والمنطق الحسن، والكلام الين، والى حسن التمثيل والاستعارة، والى التلويح والاشارة، والى صنعة تعتمد الى المعنى الخسيس فتشرفه، والى الضئيل فتفخمه، والى النازل فترفعه، والى الحامل فتؤه به، والى العاطل فتحليه، والى المشكل فتجليه، فلا متعلق له علينا بما ذكر، ولا ضرر علينا بما أنكر، فليقل في الوزن بما شاء، وليضعه حيث أراد، فليس يعني أمره، ولا هو مرادنا من هذا الذي راجعنا القول فيه، وهذا هو الجواب المتعلق ان تعلق بقوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وأراد أن يجعله حجة في المنع من الشعر، ومن حفظه وروايت، وذلك انا نعلم انه صلى الله عليه وسلم لم يمنع الشعر من أجل ان كان قولاً فصلاً، وكلاماً جزلاً، ومنطقاً حسناً، وبياناً بيناً، كيف وذلك يقتضي ان يكون الله تعالى قد منعه البيان والبلاغة، وحماه الفصاحة والبراعة، وجعله لا يبلغ مبلغ الشعراء في حسن العبارة، وشرف اللفظ وهذا جهل عظيم. وخلاف لما عرفه العلماء وأجمعوا عليه من انه صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب. واذا بطل ان يكون المنع من أجل هذه المعاني وكنا قد أعلمناه انا ندعو الى الشعر من أجلها ونحدو بطلبه على طلبها كان الاعتراض بالآية محالاً، والتعلق بها خطلاً من الرأي والمحال :

فان قال اذا قال الله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » فقد كره للنبي صلى الله عليه وسلم الشعر ونزعه عنه بلا شبهة وهذه الكراهة وان كانت لا تتوجه اليه من حيث هو كلام ومن حيث انه بليغ بين وفصيح حسن ونحو ذلك فاتها تتوجه الى أمر لا بد لك من التلبس به في طلب ما ذكرت انه مرادك من الشعر وذلك انه لا سبيل لك الى أن تميز كونه كلاماً عن كونه شعراً حتى اذا رويته التبت به من حيث هو كلام ولم تلتبس به من حيث هو شعر هذا محال. واذا كان لا بد لك من ملازمة موضع الكراهة فقد لزم العيب برواية الشعر واعمال اللسان فيه. قيل له (١) هذا منك كلام لا يتحصل وذلك انه لو كان الكلام اذا وزن حط ذلك من قدره وأزرى به وجلب على المفرغ له في ذلك القلب أثماً، وكسبه ذمماً، لكان من حق العيب فيه أن يكون على واضح الشعر أو من يريد ملكان الوزن خصوصاً دون من يريد له الأمر خرج عنه ويطلبه لشيء سواه. فاما قولك انك لا تستطيع ان تطلب من الشعر ما لا يكره

(١) هذا هو جواب قوله « فان قال الله » الخ قاله الاستاذ الامام

حتى تلتبس بما يكره فاني اذا لم أقصده من أجل ذلك المكروه ولم أرد له وأردته لأصرف به مكان بلاغة ، وأجعله مثالا في براعة ، أو أحتج به في تفسير كتاب وسنة وأنظر الى نظمه ونظم القرآن ، فأرى موضع الإعجاز وأقف على الجهة التي منها كان ، وأتبع الفصل والفرقان ، فحق هذا التلبس ان لا يعتد علي ذنباً وان لا أواخذ به اذ لا تكون مؤاخذه حتى يكون عمداً الى أن تواقع المكروه وقصد اليه (١) وقد تتبع العلماء الشعوذة والسحر وعنوا بالتوقف على حيل الموهين ليعرفوا فرق ما بين المعجزة والحيلة فكان ذلك منهم من أعظم البراذن كان الغرض كريماً والقصد شريفاً هذا واذا نحن رجعنا الى ما قدمنا من الاخبار ، وما صح من الآثار ، وجدنا الامر على خلاف ما ظن هذا السائل ورأينا السيل في منع النبي صلى الله عليه وسلم الوزن وأن ينطلق لسانه بالكلام الموزون غير ما ذهبوا اليه ، وذلك انه لو كان منع تنزيه وكراهة لكان ينبغي أن يكره له سماع الكلام موزوناً وأن ينزه سمعه عنه كما ينزه لسانه ولكان صلى الله عليه وسلم لا يأمر به ولا يحث عليه ، وكان الشاعر لا يمان على وزن الكلام وصياغته شعراً ولا يؤيد فيه بروح القدس ، واذا كان هذا كذلك فينبغي أن يعلم أن ليس المنع في ذلك منع تنزيه وكراهة بل سبيل الوزن في منعه عليه السلام اياه سبيل الخط حين جعل عليه السلام لا يقرأ ولا يكتب في أن لم يكن المنع من أجل كراهة كانت في الخط بل لأن تكون الحجة أبهر وأقهر ، والدلالة أقوى وأظهر ، ولتكون أكم للجاحد (٢) وأقم للمعاند ، وأرد لطالب الشبهة. وأمنع في ارتفاع الريبة ،

وأما التعلق بأحوال الشعراء بأنهم قد ذموا في كتاب الله تعالى فما أرى عاقلاً يرضى به أن يجعله حجة في ذم الشعر وتهجينه ، والمنع من حفظه وروايته ، والعلم بما فيه من بلاغة ، وما يخص به من أدب وحكمة ، ذلك لانه يلزم على قود هذا القول أن يعيب العلماء في استنهادهم بشعر امرئ القيس وأشعار أهل الجاهلية في تفسير القرآن وغريبه وغريب الحديث ، وكذلك يلزمه أن يدفع سائر ما تقدم ذكره من أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر واصغائه اليه واستحسانه له ، هذا ولو كان يسوغ ذم القول من أجل قائله ، وأن يحمل ذم الشاعر على الشعر لكان ينبغي أن يخص

(١) وقال ان كلمة (قصده) معطوفة على (عمد) (٢) أكم من كم البعير اذا شد

فاه بالكعام عندهياجه لئلا يعرض أولاً لاجل منعه الاكل

ولا يُعَمَّ وأن يستثنى فقد قال الله عز وجل (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) ولولا أن القول يجرب بعضه بعضاً وأن الشيء يذكر بدخوله في القسمة لكان حق هذا ونحوه أن لا يتشاغل به وأن لا يعاد ويبدأ في ذكره اهـ



﴿ تَمَّةُ الْجَمَاعِ الرَّابِعِ لِمَجْمِعَةِ أُمِّ الْقُرَى ﴾

قد وجد فينا علماء كان أحدهم يطلع في الكتاب أو السنة على أمر أو نهي فيتلقاه على حسب فهمه ثم يعدي الحكم إلى أجزاء المأمور به أو المنهي عنه أو إلى دواعيه أو إلى ما يشاكله ولو من بعض الوجوه وذلك رغبة منه في أن يلتمس لكل أمر حكماً شرعياً فتختلط الأمور في فكره وتشبه عليه الأحكام ولا سيما من تعارض الروايات فيلتزم الأشد ويأخذ بالأحوط ويجعله شرعاً ومنهم من توسع فصار يحمل كل ما فعله أو قاله الرسول عليه السلام على التشريع والحق كما سبق لنا ذكره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وفعل أشياء كثيرة على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة . ومنهم من تورع فصار لا يرى لزوماً لتحقيق معنى الآية أو للثبوت في الحديث إذا كان الأمر من فضائل الأعمال فيأخذ بالأحوط فيعمل به فيقع في التشديد ويظن الناس منه ذلك ورعاً وتقوى ومزید علم واعتناء بالدين فيميلون إلى تقليده ويرجعون فتواه على غيره

وهكذا عظم التشديد في الدين بالهادي حتى صار اصراً واغلالاً فكأننا لم نقبل ما من الله به علينا من التخفيف ، وأن وضع عنا ما كان على غيرنا من ثقل التكليف ، قال تعالى شأنه وجاءت حكمته : « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » وقال جاءت منه مبشراً « وَيُضْعِعُهُمْ فِي صُرُهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ » أي يخفف عنهم التكاليف الثقيلة ، وعلمنا كيف ندعوه بعد أن بين لنا أنه « لَا يَكْفِيُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » وهو ان نقول : « رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا » رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا » وقال تعالى « لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ » وقد ورد في الحديث « ان يشاد الدين أحد الاغلبه » (١) وفي

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة بلفظ « لن يشاد هذا الدين أحد الاغلبه فسددوا وقربوا » ورواه غيره أيضاً

حديث آخر : هلك المتطمعون ، (٢) أي المتشددون في الدين وظن بعض الصحابة ان ترك السحور افضل بالنظر الى حكمة تشريع الصيام فهاهم التي عليه السلام عن ظن الفضيلة في تركه : وقال عمر رضى الله عنه في حضور رسول الله لمن اراد ان يصل النافلة بالفرض : بهذا هلك من قبلكم ، (٣) فقال النبي عليه السلام : اصاب الله بك يا ابن الخطاب ، وانكر النبي عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل وصيام النهار واجتباب النساء وقال له : اُرَغَبْتَ عَنْ سُنتِي ، فقال بل سَنَّتَكَ اَبْنِي قَالَ : فَإِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَنَامُ وَأُنْكَحُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، (٤) وقد كان عثمان بن مظعون واصحابه عزموا على سرد الصوم وقيام الليل والاختصاص وكانوا حرموا الفطر على أنفسهم ظناً انه قرينة الى ربهم فهاهم الله عن ذلك لأنه غلو في الدين واعتداء فيما شرع فأنزل : يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، أي أنه لا يجب من تعدى حدوده ومارسه من الاقتصاد في أمور الدين : وقد ورد في الحديث الصحيح قوله عليه السلام : والذي نفسي بيده ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا أمرتكم به وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا نهيتكم عنه ، (٥) فاذا كان الشارع يأمرنا بالتزام ما وضع لنا من الحدود فما معنى نظرنا الفضيلة في المزيد وورد في حديث البخاري : ان أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يُحَرِّمْ فَحَرِّمْ من أجل مسأله ، (١) وبمقتضى هذا الحديث قول ما أحق ببعض المحققين المتشددين بوصف المجرمين . وهذه مسألة السواك مثلاً فانه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها انه قال : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك ، (٢) فهذا الحديث مع صراحته في ذاته ان السواك لا يتجاوز حد التدب جعله الاكثر من سنة وخصه بعضهم بعود الأراك وعمم بعضهم الاصبع وغيرها بشرط عدم الإلزام وفصل بعضهم انه اذا قصر عن شبر وقيل عن فتر كان مخالفاً للسنة وتفنن آخرون بان من السنة ان تكون فتحته مقدار نصف الإبهام ولا يزيد عن غاظ اصبع وبين بعضهم كيفية استعماله فقال يستد بباطن رأس الخنصر ويمسك بالاصابع الوسطى ويدعم بالإبهام قائماً . وفصل بعضهم ان يبدأ بادخاله مبلولاً في الشدق الايمن ثم يراوح ثلاثاً ثم يتفل وقيل يتمضمض ثم يراوحه ويتمضمض ثانية وهكذا يفعل مرة ثالثة ويبحث بعضهم في أن هذه المضمضة هل تكفي عن سنة المضمضة في الوضوء ام لا ومن قال لا تكفي احتج بنقصان الفرغرة : واختلفوا في أوقات استعماله هل هو في اليوم مرة أو عند

كل وضوء أو عند تلاوة القرآن ايضاً حتى صاروا ينبركون بعود الأراك يخللون به الفم يابساً والبعض يعدون له كثير من الخواص منها انه اذا وضع قائماً يركبه الشيطان والبعض خالف فقال بل اذا التي يورث مستعمله الجذام : ويتوهم كثير من العامة ان السواك بالاراك من شعائر دين الاسلام الى غير هذا من مباحث التشديد والتشويش المؤدين الى الترك على عكس مراد الشارع عليه السلام من التدب الى تعهد الفم بالتنظيف كيفما كان

ثم قال « العالم التجدي » هذا ما ألهمني ربي بيايه في هذا الموضوع وربما كان لي فيه سقطات ولا سيما في نظر السادات الشافعية من الاخوان كالعلامة المصري والرياضي الكردي لأن غالب العلماء الشافعية يحسنون الظن بفلاة الصوفية ويلتمسون لهم الاعذار وهم لاشك أبصر بهم منا معاشر أهل الجزيرة لفقدانهم بين أظهرنا كلياً ولتدرتهم في سواحلنا ولولا سياحتي في بلاد مصر والغرب والروم والشام لما عرفت اكثر مما ذكرت وانكرت الا عن سماع ولكنك اقرب الى حسن الظن ولكن مابعد البيان لتحسين الظن محال وما بعد الهدى الا الضلال فنسأل الله تعالى ان يهدينا سواء السبيل

فاجابه « العلامة المصري » : ان أكثر الصوفية من رجال مذهبنا ونحن معاشر الشافعية نتأول لهم كثيراً ما ينكره ظاهر الشرع ونلتبس له وجوها ولوضيعة لاننا نرى مؤسسي التصوف الأوائل كالجنيد وابن سبعين من أحسن المسلمين حالاً وقالوا وفيما يلوح لي ان منشأ ذلك فينا جملة أمور منها كون علماء الشافعية بعيدين عن الامامة والسياسة العامة الاعداء قصيراً . ومنها كون المذهب الشافعي مؤسساً على الأحوط والأكمل في العبادات والمعاملات أي على الزايم دون الرخص : ومنها كون المذهب مبنياً على مزيد العناية في النيات ، فالشافعي في شغل شاغل بخويزة نفسه وهم مستمر من جهة دينه ومحمول على تصحيح انبيات وتحسين الظنون ومن كان كذلك مال بالطبع الى الزهد والاعجاب بالزاهدين وحمل أعمال المنظامين بالصلاح على الصحة والاخلاص بخلاف العلماء الخنفية فانهم من عهد أبي يوسف لم ينقطع تقابهم في النظر في الشؤون العامة في عموم آسيا وكذا الملكية في الغرب وأمارات أفريقية والحنابلة والزيدية في الجزيرة ومن لوازم السياسة الحزم وتغليب سوء الظن واتقان النقد والأخذ بالجرح ومحاماة الشؤون لاجل العمل بالاسهل الأنسب

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بانهم كانوا ولا يزالون بعيدين عن التوسع

في العلوم والفنون وهم لم يزالوا أهل عصية وصلابة رأي وعزيمة ، وقد ورد قول النبي عليه السلام فيهم : ان الشيطان قد أيس أن يعبد المسمون في جزيرة العرب ولكن في التحريش ، (١) أي اغراء بعضهم ببعض وكذلك أهل الجزيرة لم يزل عندهم بقية صالحة كافية من السايقة العربية فاذا قرأوا القرآن أو الحديث أو الأثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان فينقرون من التوسع في البحث ولا يعيرون سمعاً للاشكالات فلا يحتاجون للتدقيقات والابحاث التي تسبب التشديد والتشويش ، وأما غيرهم من الأمم الإسلامية فيتلقون العربية صنعة ويقاسون العناء في استخراج المعاني والمفاهيم ومن طبيعة كل كلام في كل لغة أنه اذا مخضته الأذهان تشعبت وتشتت فيه الافهام وربما جاز أن يقال في السادة الشافعية ولا سيما في علماء مصر منهم أن انطباعهم على سهولة الاقياد سهل أيضاً دخول الفنون الدينية المستحدثة عليهم ودمائة أخلاقهم تأتي عليهم اساءة الظن ما أمكن تحسينه فلذلك حازت هذه الفنون التصوفية المستحدثة قبولا عند علماء الشافعية الأولين

هذا وحيث قلنا ان من خلق المصريين سهولة الاقياد ولا سيما للحق وكذلك علماء الشافعية الأكراد كلهم أهل نظر وتحقيق فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصاً ما يتعلق منها بمظنات الشرك الجباب للمقت والضنك ولا شك أنهم يمتثلون أوامر الله في قوله تعالى (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَعَسَىٰ أَنتُمْ تَرْجَعُونَ) والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) وقوله تعالى (اتَّبِعُوا مَا نَزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) هذا وكثير من علماء الشافعية الأقدمين والمتأخرين المتصرون للمذهب السافى السديد ، المقاومون للبدع والتشديد ، والحق ان التصوف المتغالى فيه لاتصح نسبته لمذهب مخصوص فهذا الشيخ الحلي رضي الله عنه حنبلي وصوفي

قال (الأستاذ الرئيس) ان أخانا العالم المتجدي يعلم أن ما أقاس به عايناً لا غبار عليه بالنظر الى قواعد الدين وواقع الحال وكفى بما استشهد به من الآيات والينات براهين دامغة ، والله على عباده الحجة البالغة ، وعبرة التردد التي ختم بها خطابه يترك بها الحكم لرأي الجمعية ما هي لا نزعة من فقد حرية الرأي والخطابة فأرجوه وأرجو سائر الاخوان الكرام أن لا يترهبوا في الله لومة لائم ورأي كل منا هو اجتهاده وما على المجتهد سبيل وليعلموا أن رائد جمعيتنا هذه الإخلاص فالله كافل بنجاحها وغاية

كل منا إعراز كلمة الله والله ضامن إعرازه قال تعالى «ان تَصُروا الله يَنْصُرْكُمْ»
نعم هذا النوع من الارشاد أعني الانتقاد على الاعتقاد هو شديد الوقع والصدع
على التائبين في الوهلة الاولى لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالباً على الوراثة والتقليد
دون الاستدلال والتحقيق وجارية على التعاون دون التقانع . على أن أعضاء جمعيتنا هذه
وكافة علماء الهداية في الأمة يشربون والحمد لله من عين واحدة هي عين الحق الظاهر
الباهر الذي لا يخفى على أحد فكل منهم يحتاج في فكره ما يحتاج فكر الآخريين أعينه أو
شبهه لكنه يتهيب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال أمر المدلسين ويخاف
من الاقتراد في الانتقاد ، في زمان فشا فيه الفساد ، وعم البلاد والعباد ، وقل أنصار
الحق ، وكثر التخاذل بين الخلق ،

ويسرني والله ظهور الثمرة الاولى من جمعيتنا هذه أعني اطمئنان كل منا على اصابة
رأيه واطلاعه على أن له في الآفاق رفاقاً يرون ما يراه ، ويسرون مسراه ، فيقوى
بذلك جنانه ، وينطلق لسانه ، فيحصل على نشاط وعزم في اعلاء كلمة الله ويصبح غير
هيباب لوم اللائمين ، ولا تحامل الجاهلين ، ومن الحكمة استعمال اللين والتدرج
والحزم والثبت في سياسة الارشاد كما جرى عليه الانبياء العظام عليهم الصلاة والسلام
وقد بسطت ذلك في اجتماعنا الأول وسنلاحظه في قانون الجمعية الدائمة الذي تقرر
ان شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة في اجتماعاتنا
الآتية أما اليوم فقد انتهى الوقت وانتصف النهار

باب التعليم الرسمي

﴿ قوانين التعليم الرسمي — انتقاد ﴾

(التبذة الرابعة تعليم اللغة والتاريخ والعلوم)

انتقدنا في التبذة السابقة قانون التعليم الرسمي من حيث تسليم الدين ووددنا لو
نعلم نظارة المعارف عذراً نعذرنا على تلك العيوب وضروب القصير ونشكلم في هذه
التبذة على قصير القانون فيما يتعلق بتعليم لغة العربية لغة الأمة والبلاد وتعليم التاريخ والعلوم
الغيب العام الاكبر هو ما جاء في عرض كلائنا على اقتراح الجمعية العمومية أعني
مزاحمة اللغة الأجنبية لغة البلاد في التعليم الابتدائي وقد خرجت نظارة معارف

مصر في هذا عن سنة اتمها الاوربيين كلهم فهي لانجد لها دولة أوربية تقتدي بها . ولم تكتف بتعليم قواعد اللغة الاجنية ومبادئها بل زادت على ذلك تعليم مبادئ العلوم بها فالتاريخ الطبيعي يبدأ به في السنة الثانية وله درس واحد في الاسبوع يقرأ بالعربية ثم يقرأ في السنتين الثالثة والرابعة باللغة الأجنبية وله فيها درسان في كل أسبوع فكان دروس السنة الثانية تمهيد لما بعدها فتكون لغة البلاد وسيلة لامقصد . وكذلك الحال في علم تقويم البلدان الا ان دروسه في الثالثة والرابعة ثلاثة في كل أسبوع . ومن نظر في جدول توزيع حصص الدروس في التعليم الثانوي لا يري بازاء خطوط اللغة العربية من الجدول الا النقط والاصفار فالعلوم كلها تقرأ باللغة الاجنية وهي الحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان والتاريخ والطبيعة والكيمياء والرسم . وكأن « الضمانات الخمس » التي قدمها ناظر المعارف لنواب الامة في الجمعية العمومية هي التي جعلت دروس الترجمة من حصص اللغة العربية في الجدول الابتدائي والثانوي ليزيد العدد فتقنع الامة بان لغتها قد اعتني بها وادخلت فيها العلوم والفنون ولكن هذا غش وخداع فان الترجمة كما تكون من اللغة الاجنية الى العربية تكون بالعكس والعناية الكبرى فيها باللغة الاجنية ومعلموها هم معلمو اللغة الاجنية وأكثرهم غير بارع بالعربية فكان الاقرب الى الصواب ان تعد الترجمة من دروس اللغة الاجنية . فدروس الاسبوع في التعليم الثانوي ٣٣ درساً ثمانية منها للغة العربية نفسها (النحو والصرف والبلاغة) والباقي للغة الانكليزية تسعة لنفس اللغة وواحد للترجمة والباقي للعلوم . ومما يدل على ان حصص الترجمة تعد من دروس اللغة الاجنية إهمال الكلام عليها في الفصل الذي يشرح كيفية تعليم العربية من القانون وذكرها في الفصول التي يشرح فيها كيفية تعليم اللغة الاجنية

الأمر الذي تهتم الامة في التعليم وتود الضمان عايناً ثلاثة — الدين وهو في المرتبة الأولى واللغة وهي في المرتبة الثانية والتاريخ وهو في المرتبة الثالثة . فأما الدين فقد بينا وجوه تقصير المعارف فيه وجعله كالرسم الدارس

وأما اللغة العربية فتقصرها فيها من وجهين أحدهما نسي وهو جعلها دون اللغة الأجنبية والواجب أن تكون فوقها وثانيهما عدم تعليم العلوم والفنون بها والواجب أن تجعلها لغة العلم لأن الأمة لا تحيا حياة حقيقية الا يجعل لغتها لغة العلم ليتسنى بذلك تعميم العلم فيها فتكون حياتها العلمية ممددة لحياتها المعاشية والقومية . وإذا نحن جعلنا للعلم لغة ولسائر الشؤون لغة أخرى نكون قد جعلنا في مقومات حياة الامة تنازعا

يفصل العلم عن العمل ولا يمكن أن يكون العلم مرشداً الى العمل والعمل منبعثاً عن العلم الا اذا كان العامل عالماً ونتيجة هذا من غير تطويل بشرح المقدمات أن أحد الأمرين واجب لكمال الحياة إما نقل العلم الى لغة الأمة وهو المقبول المقبول وأما نقل الأمة الى لغة العلم الطارىء وهذا إعدام الأمة وجعلها غذاء ومعدة للأمة التي تنتقل الى لغتها وما اخال أن ناظر المعارف ورجال «ضماناته الخمس» من أمته برضون بذلك سرّاً وجهراً فإن كان لهم من الأمر شيء فليعلموا أبناء الأمة العلوم بانها وان كانوا مغلوبين على أمرهم للمستردنلوب ومن ينصره فلا يعارض ناظر المعارف الجمعية العمومية في طلبها عرض قوانين المعارف على مجلس الشورى ولا يكابر نفسه وقومه بزعمه ان قوانين نظارته موافقة لمصلحة الأمة ومؤيدة منها «بخمسة ضمانات» !!

وأما التاريخ فهو عند جميع الأمم الحية قوام التربية الاجتماعية به تنفخ روح محبة الجنس والأمة والوطن في الناشئين فتعليم التاريخ كانت المانيا المانيا وانكلترا انكلترا وفرنسا فرنسا فالغرض الأول من علم التاريخ معرفة الانسان أمته أو معرفته نفسه من حيث هو أمة ثم معرفته سائر الأمم ليعرف مكانه منها ومكانها منه وبذلك يحصل الانسان العلم النافع الذي هو غاية كل تربية وتعليم وهو الذي صرّفه حكيمنا الامام بقوله «العلم ما يعرفك من أنت بمن معك»

اذا كان هذا هو الغرض من التاريخ فقد أصابت الامم الاوربية بتلقين الناشئين في أول الأمر تاريخ أمتهم مفصلاً تفصيلاً وجعلهم تاريخ بقية الامم في الدرجة الثانية فالتلميذ عندهم لا يعرف شيئاً من عظمة غير قومه وأمه الا بعد أن يشرب قلبه عظمة سلفه وحبهم وحب بلادهم . ويقال ان أكثر الالمانيين لا يكادون يتعلمون شيئاً عن غير بلادهم وأمتهم الا إجمالاً لأن الواجب في رأيهم على كل انسان ان يعرف نفسه وقومه الذين سعادته بسعادتهم وشقاؤه بشقاؤهم . وأما معرفة أحوال بقية الامم فانما تجب على طائفة من الناس كالذين يتصدون للسياسة والتعايم ونحو ذلك مما يحتاج فيه الى معرفة تاريخ الآخرين وأحوالهم

على هذا كان الواجب على نظارة معارفنا أن تجعل تاريخ الاسلام والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين في مقدمته هو أول ما يعرض في نفوس تلامذتنا وأن تتوسع في تاريخ جميع الدول الاسلامية وبيان أسباب تقدمها وتأخرها حتى تنتهي بالدولة العثمانية والبلاد المصرية جزء منها وبعد هذا كله تلقن التلامذة بالإجمال تاريخ سائر الأمم لاسيما المجاورة للممالك الاسلامية ليعرفوا نسبتهم الى قومهم ونسبة قومهم اليهم .

ما أدت نظارة المعارف هذا الواجب ولا رعته حق رعايته فلها لم تعتبر جنسية قومها في الدين ولا في اللغة ولا في الحكومة (وهي العثمانية) ولكنها اعتبرت أن جنسيتها نسبتها الى مصر وان ساف هذه الامة الغربية هم الفراغة والرهاة واليونان والرومان والعرب وخلفها الترك فهي والأوشاب تعلم التلامذة في الطور الابتدائي تاريخ هذه الأمم الكثيرة بهذا الترتيب .

وأما تعليم التاريخ في القسم الثانوي ففي السنة الاولى منه يعلمون تاريخ الرجال وذكرهم في القانون وليس فيهم مسلم ولا عربي الا محمد علي باشا واسماعيل باشا أمير مصر . وفي السنة الثانية اقسام (١) الدولة الرومانية (٢) الدولة الانكليزية و٣، الحروب الصليبية ٤، الدولة العثمانية ٥، عظم دولة اسبانيا وفيها الاصلاح المسيحي ٦، عظم فرنسا (٧) ارتقاء روسيا وفيه تاريخ المسئلة الشرقية وما فقدته الدولة العثمانية من أملاكها وتغلب روسيا عليها واضعافها... (٨) ارتقاء بروسيا (٩) نابليون (١٠) المستعمرات الاوربية . وفي السنة الثالثة اقسام أيضاً (١) قيام أمم أوروبا (٢) نمو الحرية السياسية في أوروبا (٣) المدنية عند جميع الامم ما عدا المسلمين (٤) تقدم مصر (٥) أسباب ارتقاء واضمحلال الأمم باختصار . وكل هذا يعلمه الاوربيون بانفسهم فاعتبري أيتها الأمة المصرية « بضمانات ناظر المعارف الخمس » واطمئي له ولها... .

ما أجدر هؤلاء التلامذة بأن يشبوا لا يعرفون لهم أمة ولا جنساً يتمون اليه ويفتخرون به ويعملون على احياء مجده وتجديد نحره . بل ما أجدرهم بفساد النظرة التي نراها في بعض احداثهم الذين ينادون بالوطنية المصرية بغير عقل . فان قيل لهم هل الوطني المصري هو من يسكن مصر ويتخذها وطناً قالوا : لا لا ان ممن يسكنها التزلاء الافرنج وهؤلاء يحترمون في الظاهر ويبغضون في الباطن ومنهم الدخلاء العثمانيون من سوريا وغيرها وهؤلاء يمتقون في الظاهر والباطن . وان قيل لهم هل الوطني المصري ما كان من سلائل القبط والفراغة فيجب أن نبغض من يسكن مصر من سلائل العرب والترك والأرثوذكس الجراكسة وان كان حكامنا منهم قالوا : لا لا ان الجنس القبطي هو شر الاجناس فتسميه وطنياً ظاهراً ولكنا في الباطن نفضل عليه المسلمين المصريين . فان قيل لهم : اذن ان جنسيتكم هي الاسلام فيجب أن تعصموا مع كل مسلم من أي مملكة كان . قالوا : لا لا ان هذا ينافي (الوطنية الحقة) واتنا لانعتد الا بالمسلمين المصريين الاصليين لا الذين سكنوا مصر من عهد قريب . فهذه الذبذة والحيرة عند هؤلاء الاحداث من المسلمين ليس لها سبب أقوى من .

هذا التعليم المذبذب . وظاهر ان نتيجة هذا التعليم الجناية على الرابطة الدينية وعلى الرابطة اللغوية وعلى الرابطة الوطنية لأن هؤلاء الاحداث لا يحبون كل آباء ووطنهم بحيث يفضلونهم على سواهم . نعم ان مضرته وفساده في القبط أقل منها في المسلمين فان القبطي المتعصب يقول ان المصري هو القبطي فقط وكل من عداه دخيل . وغير المتعصب يقول ان المصري هو من يقيم في مصر ويتخذها وطناً ينفعها ويتفجع منها سواء كان شرقياً أم غربياً مسلماً أم مسيحياً . ولا يقول بهذا القول الا أفراد قليلون على اني أحكم بوجودهم بالرأي والتخيل لا بالمعرفة والاختبار

رب قائل يقول ان غرض الحكومة أن تربي الناشئة على هذا الرأي ونحن نقول ان هذه غاية لا تدرك الا بمحو الدين وذلك متعذر على الحكومة اذا فقدت الدين وأرادت محوه ولكن حكومة البلاد اسلامية والشعب الكبير اسلامي واذا وجدت آداب الاسلام الحقيقية فهي تقتضي الوطنية الحقيقية وهي اتفاق جميع سكان البلاد على مافيه خيرهم وخير بلادهم ومعاملة الجميع بالعدل والمساواة بينهم بالحقوق وقد أوضحنا هذا في مقالة (الجنسية والديانة الاسلامية) فلتراجع في المجلد الثاني والله أعلم

أشارت على البرسيه

الهدايا والتقاريظ

(كتاب حاضر المصريين أو سر تأخرهم) كتاب صنفه أحد شبان المصريين النجباء الوامين بالبحث وهو أحمد افدي عمر أحد مستخدمي مصلحة البريد تكلم فيه على حالة المصريين الاجتماعية في معيشتهم وكسبهم وعاداتهم وآدابهم وعلمهم وقد جعله ثلاثة أقسام قسم الاغنياء وقسم للمتوسطين وقسم للفقراء . ولا شك أن المؤلف قد تعب في الوقوف على عادات الطبقات الثلاث في المحبة والزواج والعشرة بين الزوجين وتربية الاولاد وتعليمهم وعاداتهم في الثقة والبذل والاهتمام . وفي معرفة أحوالهم في التجارة والزراعة والصناعة والطباعة والكتب والخرائد التي تنشر فيهم . وبمحة في جميع هذه المسائل بحث انتقاد صحيح ينبه الافكار المستعدة الى السهي في اصلاح حال وآقاء انزل . ولا يفع الناس شيء مثل علم ما هم فيه من نافع وضار

لذلك نقول ان هذا الكتاب من أنفع ما كتب في العربية في هذا العصر
الكاتب تحرى الصواب وبيان الحقائق بقدر الاستطاعة مع الوقوف عند حدود الادب
فان قصر في بعض المسائل فمذره انه لم يستمد من كتب مؤلفة ينقل عنها بسهولة
وانما استمد من المشاهدة والاختبار وان ما تسى من ذلك له كثير على من كان
مشغولاً بوظيفة صغيرة كوظيفته تستغرق معظم أوقاته في خدمتها وقد طالعنا جملة
صالحة من الكتاب فوافقناه في أمحانه وقد انتقدنا عليه التقصير في تصحيح عبارة الكتاب
وعدم بدئه بالبسملة الشريفة عملاً بالحديث الشريف وأتباعاً لسنة المسامحين سلفهم
وخالفهم . وقد قرظ الكتاب القاضي الفاضل أحمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة
مصر وأجازه وأثنى عليه وبدأ تقريره بسنة البسملة على أن العادة لم تجر بذلك وكأنه أراد
مع اتباع السنة تأنيب المؤلف على تركها بالعمل دون القول

أقول اتى لا أوفي هذا الكتاب حقه في التقريرظ الا بنقل بعض فوائده في أجزاء
أخرى على أنه هضم حق المتار عند كلامه على الجرائد الدينية فانه لم يكتب عنه الا جملة
وجيزة في الهامش اعترف فيها بعناية المجلة بالإصلاح الديني والتفكير عن البدع
ولكنه عرض فيها بنا بأن الأمور الشخصية سبباً علينا وقد ظهر لنا منه انه رجع عن
هذا الرأي والله أعلم بالسرائر وهو الموفق للصواب

(كنز الجواهر في تاريخ الأزهر) كتاب مختصر ألفه الفاضل الشيخ سليمان رصد
الحنفي أحد المشتغين بالعلم في الجامع الأزهر الشريف وأهل الأزهر أجدر الناس
بمعرفة تاريخه والتأليف فيه . الكتاب يشتمل على مقدمة ذكر فيها بسنة النبي صلى الله عليه
وسلم واستطرد منها الى الفتح الاسلامي الذي كان منه فتح مصر وفيها الكلام على جامع
عمرو بن الساس وجامع ابن طولون . ويلى المقدمة خمسة مقاصد أحدها في ابتداء
تأسيس الجامع وما عرض عليه بعد ذلك ومجدد فيه وثانيها في أروقة الأزهر والمؤسسين
لها وثالثها في شيوخ الأزهر وأشهر علمائه لهذا العهد ورابعها في الحوادث الشهيرة
كحادثة رواق الشوام في أثناء الوباء وخمسها في عادات أهل الأزهر وينتو ذلك
خاتمة في الاحصاء وفيه عدد المشتغين بالعلم في القطر المصري وبيان مواضعهم

ومما ذكره من عادات أهل الأزهر انه لا يكر لأحد من أن يعمل عملاً يكتسب
به لافي أثناء الاشتغال ولا بعده قال (بل اذا انحل شئاً يتنفع به يعد في أعين أتباعه
كأنه افتروا ذنباً عظيماً) وذكر أن هذه هي علة فقرهم . وذكر أن غير المصريين

من المجاورين في الازهر أحسن حالا من المصريين في المعيشة والنظافة . وذكر من أسباب وساخة المصريين في ابدانهم وثيابهم وآنيهم الانهماك في الطلب وما يقع بين المشتركين منهم في المعيشة من العناد والتواكل وقلة ان يبين ان الاشتراك هو الذي يساعد على النظافة لتوزيع الاعمال وان الوساخة واحتلال نظام المعيشة يشوش الذهن ويضعف العقل فلا يفيد معه الانهماك في الطلب كثيراً . قال : «وأما عاداتهم في الاكل وهو غالب اكل المجاورين فهو قول مدمس ونابت وطعمية ومخللا وكرائناً وغير ذلك من الاشياء التافهة لفقرهم بلا فرق بين مصري وغيره وكذلك غالبيتهم يقوم بعمله بنفسه كفصل ثياب وطبخ وغير ذلك ، هذه عبارته بحروفها ويسوء تاجدا ما نراه في الكتاب منها من كثرة الغلط والخطأ

ثم ذكر كيفية القاء الدروس والمطالعة قال (واعتناهم فيها بفهم العبارات وحل التراكيب والمناقشات بالاعتراضات والاجوبة عنها والاطلاق والتقييد والمفهوم والمنطوق وغير ذلك من غير اعتناء بالحفظ فتجد كثيراً منهم يجرأ العلوم في الفهم في الكراس واذا سئل من خارج فقل ان يجب لعدم استحضاره) اهـ بالحرف أيضاً والكلام صحيح وصريح في انه لا عناية عندهم بتحصيل ملكة العلم وتكيف النفس بها بحيث تكون قادرة على الكلام في المسائل عند السؤال والمناسبة وانما العلم الذي يكونون فيه بجاراً زاهرة هو المناقشة في عبارات الكتب التي يقرؤونها واعادة ما كتبه الشراح وأصحاب الحواشي على المتن قراءة

وبالجملة ان في الكتاب فوائد لا توجد في غيره من المصنفات في تاريخ الازهر التي هي أوسع منه وأحسن تحريراً وصفحات الكتاب تزيد على ٢٠٠ وثمنه خمسة قروش ويطلب من جميع المكاتب المشهورة بمصر والاسكندرية وطنطا فتحث على قراءته (شذا العرف . في فن الصرف) كتاب صنفه الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد الحملاوي مدرس العربية في مدرسة دارالعلوم سابقاً . وقد تصفحت بعض أوراقه ورأيت تقسيمه وتبويبه فظهر لي انه أحسن كتاب لتعليم هذا الفن . وكان طبع في سنة ١٣١٢ باذن نظارة الداخلية بناء على شهادة الشيخ الاتباي شيخ الجامع الازهر لذلك العهد بصحته وخلوه من الخطأ . وقد طبع في هذه السنة طبعة ثانية بالمطبعة الاميرية بعد تنقيح وازافة كثير من الامثلة والشواهد وهذا من مزايا الكتاب فتحث كل طالب لفن الصرف على قراءته

(كتاب الحساب) كتاب يؤلفه الفاضل عوض أقندي خليل مؤسس وناظر مدرسة الاجتهاد الوطنية ببولاق وصاحب مجلة السمر الصغير المدرسية . وقد أصدر الجزء الاول منه وأودعه ماهو مقرر للتعليم في السنة الاولى الابتدائية بحسب قانون التعليم في المعارف (البروغرام) فتحت التلامذة على الاستفادة منه

(المستظرفات) كتاب وضعه الاديب ابراهيم أقندي زيدان جمع فيه من كتب الأدب والتاريخ كثير آمن النواذر الأدبية والفكاهية والغرامية وطبع في مطبعة الهلال على نفقة مديرها الهمام ميري أقندي زيدان وتمن النسخة منه خمسة قروش ويطلب من مكتبة الهلال وهو مما يرغب فيه الناس فلا حاجة الى الترغيب فيه

(كتاب رسائل ارشاد الأفكار . الى طريق الابرار) للشريف منصور أقندي رئيس جمعية التعاون الاسلامي . وقد كتب هذه الرسائل في مسائل سئلتها فاجاب عنها بفهمه واجتهاده على طريقة المتصوفة وقد تصفحنا بعض صفحاتها فعامنا منها اننا نخالفه في بعض مسائلها ولا سعة معنا في الوقت الآن لقراءتها وبيان ما نراه صوابا وما نراه متقدماً وربما يسمح لنا الوقت بذلك بعد

بَابُ الْخَبَرِ وَالْأَخْبَارِ

﴿ حرب فرنسا والسنوسي ﴾

كتب بعض كبار التجار في طرابلس الغرب الى صديق له في بعض البلاد وكان سألته عن أخبار بلادهم مانصه بحروفه :

« وردلنا جواب من بومته تاريخ ١٩ ماي افرنجي ووصل لطرقنا تاريخ ١٤ ربيع اول سنة ١٣٢٠ قال فيه بعد السلام : . وبعد أخي فقد تم البحث الذي وقع علي كما اخبرتك في شأن سيدي المهدي (يعني الشيخ السنوسي) ولما ان كانت بقي طبق الاحسان والصدق مع الله تعالى وخلقه سلمت والحمد لله على كل حال . والان انا سافرت الى فرانسه ثم ارجع الى قسطنطينه الجزائر ثم اسافر من هناك نائياً فالمطلوب

من فضلك الكريم ان تجعل لنا جوابا على كل مسألة داخل جوابنا هذا ونسأل خليفة سيدي المهدي ولا تذكر لي الا الخبر الصحيح

اولا : ماهي الاخبار الواردة لكم من ناحية داركنم . و . البركو . وزاوية الشيخ سيدي المهدي بعد ما وقع من الحرب بين الفرنسيين وعرب أولاد سليمان والتوارق واستيلاء فرانسه على . يرهلالى .

ثانياً : هل يرضى الشيخ سيدي المهدي بالصالح مع دولة فرانسه بواسطتي فان كان يقبل وان كان غرضه العافية لصالح الجميع نخبرني بذلك فالكلم الدولة الفرنسية ويكون الخير ان شاء الله وان كان نيتك الحرب مع فرانسه والجهاد نخبرني وانصحني وقل للخليفة يعرفك بالحقيقة ولا يستخوش مني أبداً . لابد تعرفني بحقيقة الامر . وان وحب السفر الى طرابلس فعرفني أقدم الى طرفكم ؟

ثالثاً : ما بلغ اليكم من أخبار واداي ؟

رابعاً : ماهي أحوال اخوان طريقة سيدي المهدي مع دولة الأتراك هل اعتقاد الاخوان مثل الزمان الاول أم لا ؟

خامساً : من مات من الأعيان في المحاربة التي وقعت في يرهلالى ؟ علمي بذلك الشيخ سعد البراني والشيخ غيط والشيخ شرف الدين وغيرهم اه

قال التاجر : « حاصله : وقعت محاربة كبيرة بين دولة فرنسه والشيخ سيدي المهدي وأكلفتها دولة فرنسه وأن الجواب الوارد لنا هو من نفس مهندس طايفة فرنسه نحن نرسله الى جنجوب ونحكي لهم بالكيفية وهم يعرفون شغاهم ربنا ينصر الاخوان على القوم الكافرين . وبر السوادين واقع فيه حرب واليوم صار لدولة فرنسه مع المهدي مثل ما صار للانكليز مع الرانسفال ندعو الله أن يهلك دولة فرنسه . وأرسلنا جواب الى رجب خوجه المذكور وعرفناه هذه المسئلة لاتهمنا والسلام اه مكتوب التاجر

والقارئ لهذا المكتوب يظهر له انه كتب عن معرفة وانه صدق لاسبهة فيه ولكن فيه شيئاً من الإيهام . قال الذي أرسل صورته الينا : حبذا لو علمنا من هو صاحب التحرير المرسل الى التاجر وأين هي بلدة بؤمة ؟ وما معنى قوله : تم البحث الذي وقع علي ؟ وقد ذكر التاجر صاحب المكتوب انه مهندس طايفة فرنسا وسماه رجب أو رجب خوجه . فما هذا السر ؟ هل الرجل مسلم كما يظهر من كلامه أو مسلم جغرافي (كما تقولون في النار) يريد أن ينتفع من فرصة الخلاف بين السنوسي وفرنسا ؟

او هو مسلم من مسلمي الجزائر وتونس موظف عند فرنسا ويريد أن يخدمها ويخدم سيده المهدي ؟ وربما كان قوله « تم البحث » الخ اشارة الى أنهم قتشوا عليه لكونه جاسوساً من قبل المهدي أو متهماً بالتجسس . والذي حملني على هذا الظن قوله في آخر الجملة (سَلِمْتُ) . ويفيد قوله : (وتَسأل خليفة سيدي المهدي) أن للمهدي خليفة مقياً في طرابلس الغرب . والذي يجعل في النفس ريبة من قول صاحب المکتوب هو قوله : « ولا يستخوش مني أبداً » وقوله : « ما هي أحوال الإخوان مع دولة الاتراك » الخ

أما نحن فنعلم أن للسيد المهدي السنوسي خلفاء في طرابلس وكل بلاد افريقية الشمالية والوسطى وصحاريها ونرجح أن المهندس صاحب المکتوب جاسوس فرنسي كما انه مهندس ولذلك لم يجاوبه التاجر عن أسئلته

﴿ مسيح الهند والنار ﴾

سبق لنا رد على القائم في الهند المدعي انه المسيح الموعود به وعلى كتابه الذي سماه اعجاز المسيح ، وان كان قوله كالريح ، وسجعه دون سجع شق وسطيح ، وقد ترجمت رد النار عليه الجرائد الهندية ، واذاعته في تلك الممالك القصية . فاستشاط الرجل غضباً ، وملاً النواحي سباباً وصخباً ، والمؤمن ليس بسباب ، ولا بذئ ولا صخاب ، فهل يكون المرسلون والمسحاء ، من أهل السفه والبذاء ، وهل ينزل الوحي على أهل الالهام ، وتقام الحجة على الأنام . بالسخرية والاستهزاء ، والقول الهراء ، والانتصار للنفس ، ومكارة الحس ، والتفج والتبجح ، والتجرم والتذقح ، كما فعل هذا المدعي في الكتاب الذي لفته في الرد على « النار » ، فكان مجابة الحزبي والعار ، وقد سماه « الهدى والتبصرة لمن يرى » ، وما عهدت الهداية بشتم الوري .

بعد أن أهدي إلينا كتابه ، وارسل شتمه وسبابه ، كتب إلينا أحد كبار علماء الهند من لاهور كتاباً يشكو فيه من انتشار البدع في الهند وقال فيه « الآفة التي لا تذكر ، والمعاهة التي لا تسطر ، هي فتنة المسيح الدجال الهندي الشهير بـ ميرزا غلام أحمد القادياني ، فهي لا تنقطع كسير السواني ، وهو في زعمه الباطل مجدد مهدي ما هم محدث مسيح مرسل امام عند شريعة قايدين . ما لهم من دنيا ولادين ، والحق انه رجل ختال ختار ، بطال شطار . يدعي الوحي والنبوة ، ويثبت للمسيح النبوة ، ويحرف

آيات القرآن بتأويلات فاسدة ، ويتطع في أحاديث النبي بخزعبلات كاسدة ، ثم ذكر هذا العالم مجادته لعلماء الهند وافحامهم اياه وانصرافه لدعوة العلماء في غير الهند ومنهم الفقير صاحب المنار وانتقل من هنا الى ذكر ردنا على كتابه (اعجاز المسيح) وذكر ان الجرائد الهندية نقاته عن المنار ، وكان له شأن في تلك الديار ، آثار من ذلك المدعي اشجانه ، وأطلق بالسب لسانه ، ثم رغب الينا في الرد عليه وقال : « فان لتحريركم وقماً في النفوس ، أشد من حرب البسوس ، »

نعم ان من وظيفة المنار الرد على أمثال هذا المدعي ، ولو لم يرغب الينا فيه ذلك العالم الالمعي ، ولكن الرد انما يكون على الشبهات ، التي تساق مساق اليناث ، وليس لهذا المدعي شبهة يستند اليها ، ولا تكأة يتوكأ عليها ، الا ذلك المؤلف الذي هو حجة عليه ، بل سهام منه تصوب اليه ، فقد ادعى انه معجز للبشر ، لا تأتي بمثله القوى والقدر ، فما هو وجه الإعجاز فيه ، الذي جعله عمدة تحديه ؟ ، ان قال ان العمدة ، هي قصر المدة ، فاتي ألفته في سبعين ، ولا يقدر على مثل ذلك أحد من العالمين ، نقول : أولا اننا لانصدقك في هذا التحديد على انه طويل ، فهل لك عليه من بينة ودليل ، وثانياً ان كثيراً من العلماء ألفوا كتباً طويلة ، في مدة قليلة ، ولم يدعوا ان ذلك من المعجزات . لأنه ليس من خوارق العادات ، فالقناري الف شرحه على الايساغوجي في يوم من أقصر الأيام ، ولم يتحد به أحداً من الأنام ، وثالثاً اننا نطلب منه محكمين من أهل الانصاف ، يرضى بهم كل منا ومنه للحكم في مواضع الخلاف ، وعند ذلك نظهر له أغاليط كتابه في اللفظ والفحوى ، والعاقبة كما قال الله تعالى للتقوي ، ليعلم الناس ان تحدي النبوة والرسالة ، لا يكون بالخطأ والجهالة ، وان ادعاء اقامة الدين وتأييد الشريعة ، لا يكون بتقويض أركانها الرفيعة ، وتشويه محاسنها السنية السنية ، وان إصلاح نفوس المسامين ، لا يكون بشتم العلماء والمرشدين ، وسنمجل قبل تعيين المحكمين بما يظهر بعض ما خالف فيه شريعة خاتم النبيين ، وموعدا الجزء الآتي أما الآن فانا نذكر بعض عباراته في الرد علينا ، وما وجه من الطعن الينا ، ليعلم القراء مبلغ آدابه ، وعسلطته في خطابه ، قال بعد ما زعم انه آثرنا بكتابه (اعجاز المسيح) على علماء الحرمين والشام والروم مانصه :

« ثم لما بلغ كتابي صاحب المنار ، وبلغه معه بعض المكاتب للاستفسار ، ما اجتنى ثمرة من ثمار ذلك الكلام ، وما انتفع بمعرفة من معارفه العظام ، ومال الى الكلام والأيذاء بالأقلام ، كما هو عادة الحاسدين والمستكبرين من الأنام ، وطفق يؤذي ويرزى

غير وان في الازراء والالتظام ، ولا لاوالى انكرم والاكرام ، كما هو سيرة الكرام ، وعمدان يؤلني ويفضحن في أعين العوام كالانعام ، فسقط من المنار الرفيع والقي وجوده في الآلام ، ووطئني كالخصي ، واستوقد نار الفتن وحضي ، وقال ما قال وما أمعن كأولى النهي ، وأخذ الى الارض وما استشرف كأولى التقى ، وخر بعد ما علا ، وان الحرور شيء عظيم فما بال الذى من المنار هوى ، واشترى الضلالة وما اهتدى ، أم له في البراعة يد طولى ، سيهزم فلا يرى . نبأ من الله الذى يعلم السر وأخفى .
ثم قال : « وكنت رجوت ان أجد عندك نصرتي ، فقامت لتندد بهواني وذلتى ، وتوقعت ان يصلني منك تكبير التصديق والتقديس ، فأسمعتني أصوات التواقيس ، وظننت ان أرضك أحسن المراكز ، فخرحتني كاللاكز والواكز ، وذكرتني بالوش والنهش والسبعية ، نبذاً من أيام الحصائل الفرعونية ، ولست في هذا القول كالمتقدم ، فان الفضل للمتقدم ، وكنت أتوقع ان يتسرى بمواخاتك همي ، ويرفض بجندك كتيبة غمي ، فالأسف كل الأسف ان الفراسة اخطأت ، (أى فلم يصدق عليه حديث « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » لانه ينظر بظلمة ضروره) والروية ما تحققت ، ووجدت بالمعنى المتعكس رباك ، (وهنا اشارة قبيحة تابق بقائلها ولا تابق بنزاهة من يصطفهم الله تعالى لهداية خلقه) فهذه نموذج بعض مزاياك ، (أنت النموذج وكم أنت مذكراً) وعلمت ان تلك الارض أرض لا يفارقها اللظى ، وتقوم منها الى هذا الوقت نار الكبر والعلو ، فعنى (كذا) الله عن موسى ، لم تركها وما عفى ، (وههنا أساء الأدب مع سيدنا موسى الكريم ونسب اليه الخطأ والذنب والتقصير . على ان تعفية مصر واهلاكها بيد الله لا بيده عليه السلام)

ثم قال بعد مكابرة في ردنا على كتابه ونسبته للفاط والتكلف مانصه : « وحسبتك حبيباً يريحني كنسيم الصباح ، فترأيت كعدو شاكي (كذا) السلاح ، وخلت انك تهدر بصوت مبشر كالحمام ، فأريت وجهك المنكر كالحمام ، وأعجبتني حدتك وشدتك من غير التحقيق (كذا) . فأخذني ما يأخذ الوحيد الحائر عند فقد الطريق ، لكنني اسررت الامر وقلت في نفسي لعله تصحيف في التحرير . وما عمد الى اتوهين والتحقيق ، وكيف قصد شراً لا يزول سواده بالمعاذير . وكيف يمكن الجهر بالسوء من مثل هذا التحرير ، (يذم ويمدح) ولما تحققت انه منك تقلدت اسلحتي للجهاد ، وقلت مكانك يا ابن العناد ، وعلمت أنك ماتكلمت بهذه الكلمات ، الا

حسداً من عند نفسك لا لاظهار الواقعات ، (اتى لا أدعى المسيحية فاحسده على دعواها ولاشئ آخر يحسد عليه) فابتدرت قصدك ، لئلا يصدق الناس حسدك ، فان علماء ديارنا هذه يستقرون حيلة للازراء . فيستفزهم ويجرءهم علي كما قلت للازدراء ، ولولا خوف فسادهم لسكت ، وما تفوهت وما تجلدت ، ولكن الآن أخاف على الناس ، وأخشى وسوسة الخناس ، وان بعض الشهادات ، أبغ من الضرب بالمرهفات ، فأخاف أن يتجدد الاشتعال من كلمات المنار ، ويسقط ميمه ويبقى على صورة النار ،

ثم ادعى انه كان غلب علماء الهند وسرق سجعيات من كلام الحريري وقال « قال آن أحبي اللثام بعد الممات ، وشد المنار عضدهم بالخزعبيلات ، (كذا) فأرى انهم يتصلفون ويستأنفون القتال ، ويبغون النضال ويخدعون الجهاال ، ورجعوا الى شرهم وزادوا ضداً ، بما جاء المنار شيئاً اذاً ، وجاز عن القصد جداً ، (كذا بالزاي والحريري استعملها بالراء من الجور) فأكبر كله حزب من العمين ، الخ

ثم ذكر انه كثيراً ما كان يغضي عن المعترضين والمزدرين وقال : « ولكن رأيت أن صاحب المنار ، عظم في عين هذه الاشرار ، (كذا) وأكبر شهادته بعض رامة النار ، وكانوا يذكرونها بالعشي والاسحار ، فباغني ما يتحاققون ، وعثرت على ما يسرون ويأتمرون ، وأخبرت أنهم يضحكون علي وفي كل يوم يزيدون ، » — الى أن قال في صاحب المنار : « بل أصر على الإزراء في الجريدة . فأكل الحاسدون حصيدة لسانه كالعصيدة ، وتأقفوا قوله وجددوا الخصومة بعدما قطعوها كما هو من شيم القرائح البايده ، وحسبوا كله كالاسلحة الحديدية . وأشاعوها في الأخبار (الجرائد) والجواثب الهندية . وكتبوا كلما يشق سماعها على الهمم البريئة المبرئة ، وآذوا قاي كما هي عادة الرذل والسفهاء ، وسيرة الأراذل من الأعداء . » ثم قال : « وما أتظني أن يكتب المنار من معارف كمارف ، كتابي ، ويرى بريقاً كبريق ما في قرابي ، ثم مع ذلك تناجيني نفسي في بعض الاوقات ، ان من الممكن أن يكون مدير المنار بريئاً من هذه الإلزامات ، ويمكن أنه ماعمد الى الاحتقار والتطح كالعجاوات ، بل أراد أن يعصم كلام الله من سفار المضاهات . وانما الاعمال بالنيات ، (وههنا حاشية في الاصل ذكر فيها انه يظن ان سبب غيظي منه حكمه بمنع الجهاد) فان كان هذا هو الحق فلا شك انه ادخل لنفسه بهذه المقالات ، كثيراً من الدرجات ، وأى ذنب على من سبني خماية الفرقان . لا للاحتقار وكسر الشان ، » — الى ان قال : « ولكنني ، متأذراً كمثل اعتذاره ، فان الفتن قد انتشرت من أقواله وأخباره ، الخ الخ

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فيشرح عبادي الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه وألطفه الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ - ٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢)

القسم الدينى

(باب تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية)

« أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ، الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهم مَلَأُوا رَبِّهم وَأَنَّهُم إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، »

الكلام موجه الى بني اسرائيل وقد تقدم في الآيات السابقة أن الله ذكرهم بنعمته وأمرهم بالوفاء بعهده وأن يرهبوه ويخشوه وحده وأن يؤمنوا بالقرآن ونهاهم أن يكونوا أول كافر به وأن يشتروا بآياته ثمناً قليلاً وأن يلبسوا الحق بالباطل ويكتبوه عمداً ثم أمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطلق في هذه الآيات يوبخهم على سيرتهم المنحرفة في الدين ويهديهم الى طريق الخروج منها

اليهود كسائر الملل يدعون الايمان بكتابهم والعمل به والمحافظة على أحكامه والقيام بما يوجبه ولكن الله تعالى علمنا أن من الايمان مالا يعبأ به فيكون وجوده كدمه وهو الايمان الذي لا سلطان له على القلب ولا تأثير له في اصلاح العمل كما قال « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » وكان اليهود في عهد بعثته عليه الصلاة والسلام قد وصلوا في البعد عن جوهر الدين الى هذا الحد . كانوا — ولا يزالون — يتلون الكتاب تلاوة يفهمون بها معاني الالفاظ ويحفظون اوراقه وجلده ولكنهم ما كانوا يتلونه حق تلاوته لان الذين يتلونه حق تلاوته « اولئك يؤمنون به » كما قال تعالى وعلى الوجه الذي يرضاه تعالى . يتلون الفاظه وفيها البشارة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وياصرون بالعمل بأحكامه وآدابه من البر والتقوى ولكن الاحبار والقارئین الامرین الناهين ما كانوا يبينون من الحق الا ما يوافق اهواءهم وتقاليدهم ولا يعملون بما فيه من الاحكام الا اذا لم يعارض حظوظهم وشهواتهم فقد عهد الله اليهم في الكتاب انه يقيم من اخوتهم نبيا يقيم الحق ^(١) وفرض عليهم الزكاة ولكنهم كانوا يحرفون البشارة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويأولونها ويحتالون لمنع الزكاة فيمنعونها . وجعلت لهم مواسم واحتفالات دينية

« ١ » يشير الى ما في الفصل الثامن عشر من سفر تثية الاشتراع : « قال لي الرب احسنوا فيما تكلموا ١٨ اقيم » وفي ترجمة أخرى سوف اقيم ، لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فم فيكلهم بكل ما أوصيه به ١٩ ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي انا اطالبه ، وفي ترجمة اخرى « فانا اكون المنتقم من ذلك » ولم يبعث بعد موسى نبي مثل موسى في نبوته اي انه صاحب شريعة مستقلة غير محمد عليه الصلاة والسلام

تذكرهم بما أعطى انبياءهم من الآيات وما منحهم الله من النعم لينشطوا الى إقامة الدين والعمل بالكتاب ولكن القلوب فسقت بطول الامد عن أمر ربها. وهذه التوراة التي بين أيديهم لا تزال حجة عليهم فلو سألتهم عما فيها من الامر بالبر والحث على الخير لاعترفوا وما انكروا ولكن اين العمل الذي يثبت اليه الايمان فيكون عليه اقوى حجة وبرهان

كذلك كان شأن احبار اليهود وعلمائهم في معرفة ظواهر الدين بالتفصيل وكان عامتهم يعرفون من الدين العبادات العامة والاحتفالات الدينية وبعض الامور الاخرى بالاجمال ويرجع المستمسك منهم بدينه في سائر اموره الى الاحبار فيقلدهم فيما يأمرونه به وكانوا يأمررون بما يرونه صواباً فيما ليس لهم به هوى والا لجأوا الى التأويل والتحريف والحيلة ليأخذوا من الالفاظ ما يوافق الهوى ويصيب الغرض. فاذا وجه الخطاب في قوله تعالى « اتأمررون الناس بالبر وتنسون انفسكم » الى حملة الكتاب فذاك لأن الامر والنهي وظيفتهم واذا كان عاما فذاك لأن شأن العامة فيما يعرفون من الدين بالاجمال كشأن الرؤساء فيما يعرفون بالتفصيل ولا يكاد يوجد احد لا يأمر بخير ولا يحث على برّ فاذا كان الامر لا يأتمر بما يأمر به فالحجة قائمة عليه بلسانه

وبخ الله هؤلاء القوم أنهم كانوا يأمررون الناس بالبر كالأخذ بالحق ومعرفة لأهله وعمل الخير والوعد عليه بالسعادة مع العقلة عن انفسهم وعدم تذكرها بذلك. وما اجل التعبير عن هذه الحالة بنسيان الانفس فان من شأن الانسان ان لا ينسى نفسه من الخير ولا يحب ان يسبقه أحد الى السعادة كأنه يقول : اذا كنتم موقنين بوعد الكتاب على البر ووعيده على

تركه فكيف نسيتم انفسكم « واتم تتلون الكتاب » وتأمررون الناس باتباعه وتعرفون منه ما لا يعرفه المأمورون . افعملون مع نقص العلم بفائدة العمل ولا تعملون على كمال العلم وسعته ؛ ولما كان هذا غير معقول عقب استفهام التوبيخ بقوله « أفلا تعقلون » يعني ألا يوجد فيكم عقل يحبسكم عن هذا السفه فان من له مسكة من العقل لا يدعي كمال العلم بالكتاب والايمان اليقيني به والقيام بالارشاد اليه : هذا كتاب الله : هذه وصايا الله : هذا امر الله : قد وعد العامل به بالسعادة في الدنيا او الآخرة او كليهما : فخذوا به واستمسكوا به راه وحافظوا عليه . ثم هو لا يعمل ولا يستمسك

مثل من كانت هذه حاله كمثل رجل امامه طريق مضيء نصبت فيه الاعلام والصوى بحيث لا يضل سالكه ثم هو يسلك طريقاً آخر مظلاماً طامس الاعلام وكلما لقي في طريقه شخصاً نصحه ان لا يمشي معه وان يرجع الى طريق الهدى الذي تركه . او مثل ساعب يدعو الناس الى المائدة الشهية ويبيت على الجوع والطوى او صايد يدل العطاش على مورد الماء ولا يرد معهم اذا كان هذا لا يقع من صحيح العقل فكذلك امر المؤمن بخصال الايمان وعدم الاثمار بها مع تذكرها وتلاوة كلام الله فيها فلا بد لتعقل هذا من القول بأن الايمان بالوعد على البر والوعيد على الفجور غير يقيني عند الآمر المخالف ويؤيده ان القوم كانوا عقاء في كسب المال وحفظ الجاه الدنيوي وانما ضلوا من جهة الدين بأخذه على غير وجهه

الخطاب عام لليهود الذي كان هذا حالهم وعبرة لغيرهم لانه منبئ عن حال طبيعية للأمم في مثل ذلك الطور الذي كانوا فيه ولذلك كان هداية للعالمين الى يوم الدين ، لاحكاية تاريخ يقصد بها هجاء الاسرائيليين ،

فلتحاسب أمة نفسها في أفرادها ومجموعها لئلا يكون حالها كحال من ورد النص فيهم فيكون حكمها عند الله بحكمهم لان الجزاء على اعمال القلوب والجوارح لا على محابة الاشخاص والاقوام او معاداتهم

فان قيل: ان من يأمر غيره بالبر وينسى نفسه قد يكون متكلا في ترك العمل على الشفاعات والمكفرات كالاذكار والصدقات لانه يترك لعدم اليقين في الايمان . واذا امر غيره بالبر مع هذا فذاك لانه يلاحظ المكفرات في شأن نفسه ولا يلاحظها في شأن غيره . نقول ان العالم بالدين لا يخفى عليه ان حكم الله تعالى واحد عام فكيف يحتم البر على غيره ويؤمله انه لا يقربه من رضوان الله ويبعده من سخطه الا هو وينسى نفسه فلا يحتم عليها ذلك؟ ثم كيف يجمل ان الشفاعات والاعمال الصالحة التي يرد انها تكفر السيئات لا يصح ان تكون مشبطة عن عمل البر وسيئا لتركه لانه خلاف المقصود من الدين فهل يكون فرع من فروع الدين هادما لاصوله وسائر فروعه؟ كل ذلك كان ينبغي ان يكون بعيدا عن العالم بالدين الذي يتلو كتاب الله تعالى ولكنه يعرض لارباب الاديان عند فساد حال الامم فنبه الله تعالى عليه بهذا التعبير اللطيف وهو نسيان النفس مع تلاوة الكتاب فكان الزاعم انه مؤمن ولا يعمل عمل الايمان نسي انه هو الذي يزعم الايمان وصاحب هذا النسيان يمضي في العمل القبيح من غير فكر ولا روية بل انبعاثا مع الحظوظ والشهوات التي حكمها بنفسه وملكها زمام حسه ولكنه لا يلاحظها في غيره عند ما يعرض عليه عمله السيء او يراه معرضا عن عمل البر ولذلك يعظه ويذمه

بعد ما بين سوء حالهم وان عقولهم لم ينفعهم والكتاب لم يذكرهم ارشدهم

الى الطريقة المثلى للانتفاع بالكتاب والعقل والعمل بالعلم النافع فان العمل السيء الذي سببه نسيان النفس ليس طبيعياً كأنفس لا يمكن دفعه ومقاومته بل هو اختياري وسببه عارض تمكن ازالته بما ارشد الله اليه في قوله : «واستعينوا بالصبر والصلاة» قال الاستاذ الامام : امر بالصبر وهو كما قال المفسر حبس النفس على ما تكره وتقول بعبارة اوضح هو احتمال المكروه بنوع من الرضى والاختيار والتسليم لانه لو لم يكن كذلك لكان كما يقول العامة في امثالهم وذكر مثلاً بمعنى قول الشاعر

صبرت ولا والله مالي طاقة على الصبر لكني صبرت على الرغم
والصبر الحقيق المبني على التسليم يحصل بتذكر وعد الله تعالى بالجزاء الحسن للصابرين على اعمال البر التي تشق على النفس وعن الشهوات المحرمة التي تصبو اليها ويتذكر ان المصائب من فعل الله وتصرفه في خلقه فيجب الخضوع له والتسليم لامره . ومن عجيب امر هذا الصبر انه يقي الانسان من الخسران متى حسن في كل شيء كما تفيد سورة العصر ويؤيده الاختبار وقد اشتهر أن من صبر ظفرو . وربما اتينا على شيء من معنى الصبر وانه قوة من قوى النفس تدخل النظام في كل عمل من اعمالها في موضع اخر

الاستعانة بالصبر تكون بالالتفات ان الاسباب التي انخرفت بهم عن صراط الشريعة كاتباع الشهوات ، والولوع بالذات ، والبعد عن المؤلمات ، ثم بالقياس بينها وبين ما رغب الله فيه او اوعده بالعقاب على فعله ثم بملاحظه ان ما اوعده الله تعالى به اولى بأن يتق وما وعد به اولى بأن يرجى ويطلب وضرب الاستاذ لمن يفقدون الصبر فيقعون في الخسران مثلاً صاحب الحاجة يهزه الطيش والتسرّع الى قضاء حاجته ويفقد الصبر على مرارتها فيكذب لاعتقاد

ان حاجته تقضى فيدفع المضرة أو يجلب المنفعة بالكذب وانه بالصدق
يفوته هذا فيقترف جريمة الكذب لهذا الاعتقاد وهو ظان بل واهم . ومتى
اقترفه مرة هان عليه فيعود اليه فيكون كذابا . ويؤيد ما قاله الامام بحديث
« لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » رواه
الشيخان عن ابن مسعود واذا ذكر هذا الرجل أو تذكر الوعيد على الكذب وما
يجلبه لصاحبه من مقت الله وغضبه تسبق الى ذهنه المكفرات (ومثلها الشفاعات
والعفو والمنفرة) كالاستغفار قبل النوم مائة مرة وقول كذا بعد صلاة الصبح
فلا يبقى للوعيد معها أثر إذ يدعن بأن ذنبه يغفر لا محالة وينسى سبب المنفرة
الحقيقي وهو التوبة النصوح والرجوع الى الله تعالى وأن العفو عن غير
التائب الأواب الى الله تعالى مجهول بالنسبة الى علمنا وان كان جائزا عقلا
فاننا لم نطلع على ما في علم الله تعالى فنعلم اننا ممن يعفو عنهم . أقول
مثل من يقترف السيئات معتمداً على العفو والشفاعة كمثل من يرتكب
الجرائم في ملأ من الناس وعلى رؤس الأشرار اعتماداً على ان الامير أو
السلطان قد يعفو عنه بعد الحكم عليه بالعقوبة ومثل هذا لا يختلف اثنان في حمقه
قال الاستاذ الامام : ومن الناس من يكتفي بالاعتذار عن ذنوبه
وجرائمه بأنه غير معصوم وذكر بعض الشواهد عن يظن ان لهم في الدين
قدم صدق وقال ان من هذا رأيه يتصور ان الصدق واتباع الحق انما هو
شأن طائفة معدودة من البشر وهم الانبياء عليهم السلام وكل من عداهم
فليس من شأنه أن يثبت على عمل صالح ويكتفي بهذه التكاأة في تسلية نفسه
وتجريئها على الجرائم . وكفى بهذا حمقا فليس يلزم من كون غير النبي ليس
معصوماً أن يكون إلف مآثم : وحلف جرائم : وخدن عظامم : ولو لزم

أن يكون الناس هكذا لكائنات الشرائع عبثاً والتهذيب لغواً وتفسدت
الأرض وخرب العمران

وأما الاستعانة بالصلاة فهي اقرب الى حصول المأمول وإرجاع
النفس الى الله تعالى لما لها من التأثير في الروح ولكنها اشق على النفس
الامارة بالسوء ولذلك قال تعالى « وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين » . اما
الخاشع فانه يستفيد بالصلاة الصبر وكل الخلائق الحسنة لما تعطيه الصلاة
من مراقبة الله تعالى كما قال عز وجل (ان الانسان خلق هلوفا اذا مسه
الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين) فمن خواص الصلاة الصبر
ونفي الجزع ومن خواصها النهي عن الفحشاء والمنكر فالمصلي الحقيقي هو
البار الحقيقي الذي لا يترك الحق لاجل شهوة ولا خوفاً ولا خشية

هذا اثر صلاة الخاشعين بالاجمال ولذلك قال تعالى (قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون) وقد وصف الخاشعين وصفا يناسب المقام
ويظهر وجه الاستعانة به فقال « الذين يظنون انهم ملا قواربهم وانهم
اليه راجعون » فالاعتقاد ببقاء الله تعالى هو الذي يوقف المعتقد عند حدوده
ولو لم يكن الاعتقاد يقينياً فان الذي يغلب على ظنه ان هذا الشيء ضار
يجتنبه او انه نافع يطلبه ولذلك اكتفى هنا بذكر الظن . وقد فسر الظن
مفسرنا (الجلال) باليقين لانه الاعتقاد المنجي في الآخرة وفاته ان الاكتفاء
بالظن ابلغ في التقرير والتوبيخ كأن هؤلاء الذين يأمرون الناس بالبر
وينسون انفسهم على انهم يقرؤن الكتاب لا يصل إيمانهم بالله وبكتابه الى
درجة الظن الذي يأخذ صاحبه بالاحتياط

﴿باب العقائد منه الا على الرغبة﴾

(الدرس ٣٦) محمد رسول الله وخاتم النبيين

الكلام في نبوة خاتم النبيين لا يتجلى للعقول كمال التجلي الا بعد بيان
مستلثين تجملان مقدمة له — احدهما بيان حاجة البشر الى رسالته العامة
والثانية بيان استعداد الناس لها

(المسئلة ١٠١) حاجة البشر الى هداية عامة الحاجة الى بعثة النبي عليه
الصلاة والسلام في الجملة تعرف من البحث في حاجة البشر الى ارسال الرسل
كما تقدم في الدرسين ١٨ و ١٩ (راجع المنار ٩ و ١٤٠ و ٤) ولا يوجد في اعداء
الاسلام المؤمنين بالوحي والنبوة عاقل ينكر أن العرب كانوا في اشد
الحاجة الى بعثة رسول منهم ينتاشهم من تلك الوثنية، ويخرجهم من هاتيك
الجهالة والهمجية، وأن تأثير هداية محمد فيهم كان مثل تأثير هداية موسى
في بني اسرائيل او اعظم واظهر ولكن الذين ينكرون حاجة الناس كافة الى
هذه الهداية الالهية على لسان محمد عليه السلام كثيرون . وانما حال بينهم
وبين معرفة هذا الحق المين التقليد الاعمى . فالتقليد أعدى اعداء الحق في
الدين والعلم وفي كل شئ . لأن المقلد ليس له عينان فينظر في الدليل
والبرهان، بل ينكر الحسن والعيان، ويكابر الوجود والوجدان، وإنما نكتب
مانكتب ليزداد الذين آمنوا ايماناً وليمتبر اصحاب المقول المطلقة والافكار
الحرّة من غير المؤمنين

بيان حاجة جميع الامم الى الإصلاح المحمدي يتوقف على معرفة
تاريخ الامم قبل الاسلام لاسيما تاريخ اهل الكتاب الذين يدعون ان في

كتبهم ما ينفي عن هداية الاسلام واصلاحه . ولا يمكن سرد تاريخ الامم تفصيلا في التمهيد لمسئلة من مسائل العقائد ولكن في الاجمال مع الاحالة على كتب التاريخ غناء . وقد كتب استاذنا الامام نبذة في ذلك وافية بالمرام في « رسالة التوحيد » التي هي حجة الاسلام في هذا الزمان وما بعده الى ما شاء الله واننا نقتبسها هنا فانظر هذه البلاغة في الإيجاز ، التي تكاد تبلغ به حد الإعجاز ، قال حفظه الله :

« ليس من غرضنا في هذه الورقات أن نلم بتاريخ الامم عامة وتاريخ العرب خاصة في زمن البعثة المحمدية لنين كيف كانت حاجة سكان الأرض ماسة الى قارعة تهز عروش الملوك وتزلزل قواعد سلطانهم الغاشم وتخفض من أبصارهم المعقودة بعنان السماء ، الى من دونهم من رعاياهم الضعفاء ، وإلى نار تنقض من سماء الحق على أدم الأنفس البشرية لتأكل ما أعشوشبت به من الأباطيل القاتلة للعقول . وصيحة فصحي تزعج الغافلين ، وترجع بالباب الداهلين ، وتنبه الرؤسين ، الى أنهم ليسوا بأبعد عن البشرية من الرؤساء الظالمين ، والهداة الضالين ، والقادة الغارين ، وبالجمله تؤب بهم الى رشد يقيم الانسان على الطريق التي سنّها الله له ^(١) » إنا هديناه السبيل ، ليلين بسلوكه كما له ، ويصل على نهجها الى ما أعدّ في الدارين له ، ولكننا نستعير من التاريخ كلمة يفهمها من نظر فيما اتفق عليه . مؤرخو ذلك العهد نظر إيمان وإنصاف

« كانت دولتنا العالم ^(٢) — دولة الفرس في الشرق ودولة الرومان

« ١ » المراد بالطريق فطرة الله التي فطر الناس عليها « ٢ » شروع في بيان الكلمة

المستعارة قال في الدرس : وفاتي وقت الكتابة ذكر دولة الصين فإنها كانت أيضاً مزقة

في الغرب — في تنازع وتجادل مستمر . دماء بين العالمين مسفوكة ، وقوى منهوكة ، وأموال هالكة ، وظلم من الإحسان حالكة ، ومع ذلك فقد كان الزهو والترف والإسراف والتخففة والتفنن في الملاذ بالغة حد مالا يوصف في قصور السلاطين والامراء والقواد ورؤساء الأديان من كل أمة وكان شر هذه الطبقة من الأمم لا يقف عند حد فزادوا في الضرائب وبالغوا في فرض الأتاوات حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم وأثوا على ما في أيديها من ثمرات أعمالها وانحصر سلطان القوي في اختطاف ما بيد الضعيف . وفكر العاقل ، في الاحتيال لسلب الغافل ، وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب ضروب من الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب لفقد الأمن على الارواح والأموال .

غمرت مشيئة الرؤساء ارادة من دونهم فعاد هؤلاء كأشباح اللاعبين يديرها من وراء حجاب ، ويظنها الناظر اليها من ذوي الالباب ، فقد بذلك الاستقلال الشخصي وظن افراد الرعايا أنهم لم يخلقوا الا لخدمة ساداتهم وتوفير لذاتهم كما هو الشأن في العجاوات مع من يقتنيها . ضلت السادات في عقائدها وأهوائها وغلبتها على الحق والعدل شهواتها ولكن بقي لها من قوة الفكر أروبا بقاءها فلم يفارقها الحذر من أن بصيص النور الالهي الذي يخالط القطر الانسانية قد يفتق الغلف التي أحاطت بالقلوب ، ويخرق الحجب التي أسدلت على العقول ، فهتدي العامة الى السبيل ، ويشور الجرم الفقير على العدد القليل ، ولذلك لم يغفل الملوك والرؤساء أن ينشئوا سحبا من الاوهام ، ويهيئوا كسفاً من الاباطيل والخرافات ،

بالحروب الاهلية والحرب مع التركان وسندكرها في طبعة ثانية ان شاء الله تعالى

ليقدفوا بها في عقول العامة فيغلظ الحجاب ويعظم الرين ويحتق بذلك نور
 الفطرة ويتم لهم ما يريدون من المغلوين لهم . وصرح الدين بلسان
 رؤسائه انه عدو العقل وعدو كل ما يثمره النظر الا ما كان تفسير الكتاب
 مقدس . وكان لهم في المشارب الوثنية ينابيع لا تنضب ، ومدد لا ينفد ،
 هذه حالة الاقوام كانت في معارفهم ، وذلك كان شأنهم في معاشهم ، عبيد
 أذلاء ؛ حيارى في جهالة عمياء ، اللهم الا بعض شوارد من بقايا الحكمة
 الماضية ، والشرائع السابقة ؛ أوت الى بعض الأذهان ومعهما مقت الحاضر ،
 ونقص العلم بالغابر ، ثارت الشبهات على أصول العقائد وفروعها بما انقلب
 من الوضع ، وانعكس من الطبع ، فكان يرى الدنس في مظنة الطهارة ،
 والشره حيث تنتظر القناعة ، والدعارة حيث ترجى السلامة والسلام ؛ مع
 قصور النظر عن معرفة السبب وانصرافه لأوّل وهله الى أن مصدر كل
 ذلك هو الدين . فاستولى الاضطراب على المدارك وذهب بالناس مذهب
 الفوضى في العقل والشرعية معا . وظهرت مذاهب الإباحيين والدهريين
 في شعوب متعددة وكان ذلك ويلا عليها فوق ما رزئت به من سائر الخطوب .
 « وكانت الأمة العربية قبائل متخالفة في النزعات ، خاضعة للشهوات ،
 نخز كل قبيلة في قتال أختها وسفك دماء أبطالها ، وسي نساءها وسلب
 أموالها ، تسوقها المطاعم ، الى المعامع ، ويزين لها السيئات ، فساد الاعتقادات ،
 وقد بلغ العرب من سخافة العقل حدّا صنعوا اصنامهم من الخلوى ثم عبدوها ،
 فلما جاعوا أكلوها ، وبلغوا من تضعضع الأخلاق وهذا قتلوا فيه بناتهم
 تخلصا من عار حياتهن ، أو تنصلا من نفقات معيشتهن ، وبلغ الفحش
 منهم مبلغا لم يعد معه للعفاف قيمته . وبالجملّة فكانت رُبُط النظام الاجتماعي

قد تراخت عقدها في كل أمة ، وانقصت عراها عند كل طائفة
 « أقلم يكن من رحمة الله بآلائك الأتقوام أن يؤدبهم برجل منهم يوحى اليه
 رسالته ، ويمنحه عنايته ويمدّه من القوة بما يتمكن معه من كشف تلك الغم
 التي أظلت رؤس جميع الأمم ، ثم كان ذلك وله الأمر من قبل ومن بعد ، اه
 فلم مما أورده الاستاذ الامام ان فساد الامم كان من فساد رؤساء
 الدين ورؤساء الدنيا وهم الملوك والأشراء وان قصارى سير الفريقين كان
 محصوراً في اطفاء نور الفطرة الألهية وهدم ركني السعادة البشرية وهما
 استقلال الفكر واستقلال الارادة . فاذا قيل انه كان في الدنيا دينان
 سماويان أي دين اليهود ودين النصارى وكتابان الهيان وهما التوراة والانجيل
 فكان يغني عن بعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلهام الله تعالى رؤساء
 الدينين وحمله الكتاين أن يقيموا أصولهما ويسيرا على صراطهما ويدعوا الناس
 الى ذلك . نقول في الجواب ان دين اليهود كان خاصاً بشعب اسرائيل وهم
 المخاطبون بالتوراة دون سواهم لعلم الله تعالى ان هذا كتاب يصلح لهدايتهم
 وحدهم في الزمن الذي أنزل فيه وبعده الى أجل مسمى . وبعد ذلك أفسد
 بنو اسرائيل في الارض فسلط الله عليهم الوثنيين فسبواهم وخرّبوا ديارهم
 وأحرقوا كتبهم . ثم ان كاتباً منهم اسمه (عزرا) كتب لهم بعد زمن
 طويل ما يحفظه من كتابهم وشريعتهم باذن الملك الوثني ومنها الاسفار
 الخمسة التي يسمونها التوراة وهي تحكي عن موسى بضمير الغائب وفيها ذكر
 وفاته وليس ذلك مما أوحى اليه . ولولا ان الله أخبرنا في كتابه بأن اليهود
 نسوا حظاً مما ذكروا به لاجميع ما ذكروا به ولولا انه احتج عليهم بعدم
 العمل بالتوراة والحجة تقوم ببعض كلام الله كما تقوم به كله . لما صدقنا

كلمة واحدة من كتبهم ولا وثقنا بحكم واحد من أحكام شريعتهم . وحاصل القول ان الله تعالى لم يجعل التوراة منذ شرعها هداية عامة مرشدة لجميع البشر الى كمال الفطرة فكيف تصلح لذلك بعد ما طرأ عليها وعلى الناس ما طرأ وأما السيد المسيح عليه السلام فانه لم يأت بدين جديد وانما ديانته اليهودية وشريعته التوراة ولكنه كان مصلحاً لان اليهود جمدوا على ظواهر الشريعة حتى صاروا كالماديين فأرسله الله الى خراف اسرائيل الضالة ليهديهم الى الروحانية ويبالغ فيها بمقدار ما بالغوا في الظواهر والماديات ليكون ذلك تمهيداً لدين الفطرة الذي يجمع بين مصالح الروح والجسد . وأما الديانة البولسية التي انتشرت في أوروبا بتعليم بولس ثم مساعدة قسطنطين ومن بعده من الملوك والزامهم الناس بها فهي لا تنطبق على ما قلناه سابقاً في وجه حاجة البشر الى ارسال الرسل لهدايتهم الى سعادة الدنيا والآخرة بتربية الروح والجسد وليس فيها قاعدة واحدة من قواعد الفطرة وانما هي عبارة عن شيء واحد وهو الايمان بالمسيح على الوجه الذين يقولونه وانه لا حاجة مع هذا الايمان الى العمل بالشريعة . والظاهر من نصوص كتب العهد الجديد ان المسيح خلص العالم كله من العذاب من آمن به ومن لم يؤمن وانما يفضل المؤمن به غيره بأنه يحل فيه روح القدس . قال يعقوب في رسالته « وليس من أجل خطايانا فقط بل من أجل خطايا العالم كله » . وقد ظل أهل أوروبا على هذا الدين عدة قرون يخبطون في دياجير الاوهام والجهالات حتى دخل عليهم الاصلاح الاسلامي من بلاد الاندلس والشرق كما سنبينه

(م ١٠٢) الاستعداد لعموم البعثة : حاجة الناس الى الشيء تولد فيهم

الاستعداد له فاذا استدللنا بالعة على المعلول فلنا أن نستنبط استعداد الأمم لمصلح عام يرسله الله تعالى لهداية الأمم من شدة حاجة الأمم الى ذلك الاصلاح واذا استدللنا بالمعلول على العلة فالدليل أوضح لانه ههنا وجودي مشهود لانظري مستنبط وهو قبول الأمم على اختلافها في الاديان واللغات والمواقع هذا الاصلاح الروحي الاجتماعي الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي الالهي والالهام فقد انتشر الاسلام في المشرق والمغرب بسرعة لم يعرف التاريخ مثلها حتى كان ملك الاسلام بعد ثمانين سنة من ظهوره أوسع من ملك الرومان بعد ثمانمائة سنة والرومان أعظم أمم التاريخ الماضي في الحروب والفتوحات .

هذا هو الاصلاح الذي غير هيئة الارض وبدل نظام الاجتماع الانساني في السياسة والحرب والمدنية والعلوم والآداب على أيدي أمة كانت قبل الاسلام أبعد الأمم عن السياسة والمدنية والنظام والعلم وهي الأمة العربية . ألم تر أن نور الهداية الفطرية ماخبا بعد الاسلام من مكان الا وأومض أو تألق في مكان آخر وان دعائم العمران ماتداعت في مملكة الا وشيدت في غيرها وان غرس العلم والفلسفة ماذبل أو تصوتح في أرض الا ونما وترعرع في سواها — كل ذلك كان ينتقل مع الاسلام فكما ظهرت قوة الاسلام في مكان ظهرت بها ومعها هذه الاشياء حتى اذا ضعف الاسلام والمسلمون في الشرق والغرب ضعف العلم والعمران والمدنية في العالم كله ولكنه لم يذهب من العالم فيحتاج العالم الى مصلح آخر يبني له قواعد الاجتماع على أصول العلم الصحيح وسنن الكون اذ لو حصل ذلك لما كان محمد خاتم النبيين . ولكن تلك القواعد انتقلت

من مسلمي الاندلس ومسلمي الشرق الى اورويا مع تلامذة ابن رشد وفي الكتب التي أخذها الصليبيون من المسلمين .

من عجيب أمر استعداد العالم لهذا الاصلاح العام سرعة انتقال العلم من قطر الى قطر ومن خافق الى خافق أيام مدنية العرب لأول عهدا مع صعوبة المواصلات بين الخافقين فقد كان المؤلفون من الاندلس وبلاد البربر ينقلون من كتب المؤلفين المعاصرين في العراق من المشرق كما كان هؤلاء ينقلون عن أولئك في كل عصر فكانت تلك الهمم الكبار ، تغنيهم عن الكهرباء والبخار ، وآية أخرى من آيات هذا الاستعداد حفظ العلم والتاريخ فقد كان الكتاب يوجد قبل الاسلام في الامم ثم يذوب ويضمحل كأن لم يكن شيئا مذكورا رأيت الاسرائيليين على غلوهم في دينهم كيف مرت عليهم السنون والاحقاب وليس عندهم من كتاب شريعتهم الا نسخة واحدة حتي اذا فقدت ذهبت الثقة بمجموع ديانتهم الا ما كانوا يحفظون ويعملون . وقس بهم العرب الأئمين وانظر كيف حفظوا كتابهم في الصدور والسطور . وكيف رأوا في الصدر الاول أن يرسلوا بالمصاحف الى الاقطار لتكون أصولاً يكتب عنها بصفة رسمية لأن مصحفاً يرسله خليفة رسول الله بمشاورة أصحاب رسول الله واتفاقهم له حكم النقل المتواتر المجمع عليه ولولا ذلك لكان نقل المصاحف مقصوراً على الافراد الذين كانوا يحملونها . واذا اشتبه في هذه الحال بكلمة اختلف فيها ناقل مع ناقل أو حافظ تقع الحيرة في الترجيح لعدم وجود أصل مجمع عليه أو عدد كثير من المصاحف مأخوذ عن ذلك الاصل أو عدد مثله من الحفاظ . ولكن ذلك لم يقع فلا خلاف بين المسلمين في كلمة ولا في حرف من حروف القرآن العزيز .

من آية استعداد الامم للاصلاح الاسلامي على الطريقة الأولى (الاستدلال بالعلة على المعلوم) النظر في أصول هذا الاصلاح فمنها حاجة البشر الطبيعية الى رابطة عامة بين الامم المختلفة في الجنس واللغة والدين فقد كانت هذه الروابط خاصة تجمع طائفة محصورة ليعيش أفرادها معيشة اجتماعية ولكنها تجعلهم أعداء للطوائف التي ترتبط برابطة أخرى والاسلام جاء لجمع كل الامم كما سنيته بعد. ومنها إقامة قواعد العمران والاجتماع على سنن الكون التي تعرف بالاختبار. ومنها تقييد سلطة رؤساء الدين والدنيا وجعل مصالح الامم شورية بين أهل الرأي منهم وأصحاب الحل والعقد المرضيين عندهم ومنها جعل أحكام الشريعة دائرة على درء المفاسد وحفظ المصالح وتحكيم العرف. وكل الامم الراقية انما ارتقت بمثل هذه الاصول التي وضعها الاسلام سواء لقبت بلقب الاسلام أم لم تلقب به.

ومن آية ذلك على تلك الطريقة أيضاً ما أثبتته علم الاجتماع من ارتقاء الانسان بالتدريج فبعد ان كان في ظلمات من بحر الوثنية اللجي من فوقه موج من فوقه سحاب لا يكاد يرى شيئاً من نور القطرة ارتقى في الوثنية من الاعتقاد بتأثير مظاهر الطبيعة التي لا يفهم معناها من جماد ونبات وحيوان وإنسان الى الاعتقاد بأن تلك المعبودات لا تؤثر بنفسها وإنما تقرب من يخضع لها من واجب الوجود وتشفع له عنده في قضاء الحاجج. بهذا الاستعداد اصطلم الاسلام بالتوحيد جراثيم الوثنية من جزيرة العرب ثم انتشر التوحيد الخالص في العالم. ويدا بالعلم فلم يخب. مصباحه في مكان الا وأشرق في غيره. فأكثر أهل أوربا اليوم. وحدون لا يعتقدون بسلطة ولا تأثير في الكون الا لمدير الكون الذي وضع سننه ونواميسه

« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » ولقد كان النبي قبل الإسلام يبعث بالتوحيد فيؤمن به النفر أو القوم فلا يمضي عليهم زمن الا ويعودون الى الوثنية ويلتسسون لها الدلائل من الدين فيمحي التوحيد بالمرّة . ولكنه لم يمض بعد ظهور الاسلام وان دبت الوثنية الى بعض المسلمين وصبغت عندهم بصبغة الدين بضروب من التأويل والتحريف . وسنوضح مسألة الاستعداد بما قاله الاستاذ الامام في ارتقاء الامم بالدين وبسبب ظهور الاسلام في العرب الأميين فانظر ذلك في الدرس الآتي

القسم العمومي

(الزواج وشبان مصر وشوايها)

أكثر الجرائد اليومية الحوض في هذه الايام في مسألة اجتماعية ذات بال وهي ميل كثير من الشبان المصريين الى الزواج بالاثريات وإحجام كثير منهم عن الزواج بالمرّة وزعم بعض الباحثين ان السبب في الامرين هو عدم وجود بنات مصريات « ترييات » يصلحن لشبان مصر « المترين » وههنا شرح بعض الكتاب سوء حال تربية البنات ووصف من جهلن وأظن في التفسير عنهن . وكنت أحب أن يكثر الكتاب البحث في تربية البنات في معرض غير معرض تفضيل الزواج بالاثريات والترغيب عن الزواج بالوطنيات

المسألة كبيرة وفروعها متشعبة ولطريق البحث فيها نواشط كثيرة وكأني بهذه النواشط قد تمثلت أمامي فلا أدري أي نواشط اختارني ابتداء السير لأصل منه الى الطريق الاعظم . ولكنني أقول قبل كل قول : إن

الذين تزوجوا بالأوربيات أو يفضلون الزواج بهن هم أبعد المصريين عن التربية الصحيحة النافعة . وإن أكثر الذين يترشّون بالزواج يتربصون الظفر بزواج غنية لا بزواج مهذبة متربية .

ثم أقول أنه لا تربية عندنا للفتيان ولا للفتيات وإن الاناث يقرّبن من الذكور في الاخلاق والآداب والعادات والرغبات ولكن الفرق بين الفريقين في التعليم فالمتعلمون أكثر من المتلمات ولكن أكثر هذا العلم مما لا يصح التفاضل فيه لأنه قليل التأثير في الحياة المنزلية والحياة القومية والحياة المالية . ولو ارتقى المتعلمون في شؤون الحياة لاصحوا بيوتهم ورأس إصلاح البيوت تربية البنات فكما يريد الرجال يكون النساء لأنهم القوامون عليهن والقوة بأيديهم فهم يسيرون العمران كيف شاؤا .

ورب متفرنج غبي ينقض رأسه اذا سمع قولنا : كما يريد الرجال يكون النساء . ويقول ان هذا قول من لا يعرف الحقائق فإن الاوربيين يقولون : كما يريد النساء يكون الرجال . رويدك أيها التفرنج ان في كلمة سادتك شيئاً من المبالغة وإن كان نساؤهم وصلن الى درجة من الاستقلال والعناية بالتربية بسعي الرجال صارلهن بهاشأن في تربية الاطفال يصح معها ان تقال هذه الكلمة فيهن ولكن شأن بلادنا ونسائنا مبين لشؤونهن

التربية شيء والتعليم شيء آخر — التربية هي تعاهد القوى الجسدية والنفسية ومساعدتها على الوصول الى الكمال المستعدة له في أصل الفطرة حتى يكون المربي إنساناً كاملاً سويّاً في خلقه . مهذباً في خلقه نافعاً لنفسه ولقومه والتعليم إيداع صور المعلومات في ذهن المتعلم . وقد وجد في مدارس مصر شيء من التعليم الناقص ولكن التربية لم توجد في المدارس ولا في البيوت فما

بقي في الامة من الاخلاق الفاضلة والآداب الصحيحة فهو على قلته من سؤر ما تركه السلف الصالح من التراث وأشد الناس جناية عليه واتلافاً له هؤلاء المتعلمون الذين انتفعوا بالتعلم الجديد فصاروا ينفعون أنفسهم وأمتهم قليلون جداً وإنما ساعدتهم على الانتفاع استعداد قوي في الفطرة وبعض الاخلاق والآداب الموروثة ولذلك يعد نجاحهم شذوذاً لا نتيجة طبيعية لهذا التعليم الناقص في المدارس . وهؤلاء لا ينصحون شبان أمتهم ان يتزوجوا بالاوربيات ، وإنما ينصحون لهم أن يربوا ويعلموا البنات ، وإذا اشتكوا فأنما يشتكون من جهل الاغنياء وبخلهم إذ لا يسمحون بشيء من فضل مالهم لإنشاء معاهد أهلية للتربية والتعليم

أما تلك الحثالة من سائر المتعلمين وهم الاكثرون - على أنهم قليل في مجموع الامة - فإنها لم تستفد من التعلم الا رطانة لغة اوربية بها يتمكنون من معايشة بغايا الافرنج مسالخات أو متخذات أخدان . وان عقائل نساء الافرنج ليترفعن ويستنكفن ان يعاشرن هؤلاء الغلمان السفهاء الاحلام بلة الاقتران بهم وقبولهم بعولة لمن فهذا التبجح الذي يتبججه شباننا في الجرائد يعلمهم أنما هو التبجح بتفضيل البغايا لاجنبيات على المحصنات الوطنيات

لولا هؤلاء المتعلمون لما راج سوق الفحش في مصر . لولا هؤلاء المتعلمون لما نشأ داء الزهري في البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون لما فشا السكر في القطر . لولا هؤلاء المتعلمون لما عرف الميسر والقمار في وادي النيل . لولا هؤلاء المتعلمون لما قتن الناس بزخرف الاثاث والرياش والماعون التي تجلب من أوروبا فذهب بثروة البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون لما خربت تلك البيوت العاصرة التي ورثت الثروة والمجد عن أب وجد .

لولا هؤلاء المتعلمون لما انتهكت حرمت الدين وتركت فضائله وسنته .
فماذا يفخر هؤلاء المتعلمون المغرورون على البنات الاغرار الجاهلات
ولماذا يترفعون عليهن مع ان جهلن لم يحسن على الامة والبلاد بعض ما جناه
علم اولئك المتبجحين المترفعين

البنت الجاهلة تتربى في بيت زوجها تربية جديدة لأن المذراء
لا تستقر أخلاقها وعاداتها على شيء الا بعد الزواج كأنها قبل ذلك ترى كل شيء
موقفاً غير ثابت لأنها في طور غير ثابت تنظر في كل يوم الانتقال الى
الطور الذي بعده الذي حكمت الفطرة بان تقضي حياتها فيه وهو كونها
زوجة لرجل ثم أما لولد . فليت شعري كم عدد المتعلمين الذين تزوجوا
من هؤلاء المذارى واشغلوا بتربيتهن ليعيشوا معهن عيشة راضية ؟ كم عدد
الذين أحصنوا بالزواج فرضوا بازواجهن حتى لا يفسدوا الماخير ولا بيوت
السر ؟ ويا ليت شعري كم عدد البيوت التي كان فيها هؤلاء المتعلمون
صالحين مصلحين وأزواجهم فاسدات مفسدات ؟ أظن بل أوقن أن الرجال هم
الذين يفسدون النساء بسوء المعاملة وقبح السيرة الا ما جاء على سبيل الشذوذ .
فما بال تلك « الفتاة الثعيسة » التي أرادت الدفاع عن اخواتها الثعيسات
طفقت تذمهن وتهجوهن في مقالاتها التي نشرتها في المؤيد توسلا الى
كلمة تسترضي بها الشبان في آخرها بأنهم مقصرون وبأن في البنات
الآن من المتعلمات من يليق بهم

الغميزة الكبرى في تربية بنات مصر هي أنهن يكمن هؤلاء الشبان
المغرورين ويعاشرهم وهذه الفئة فاشية في المتعلمين والمتعلمات أكثر من
فسوها في الجاهلين والجاهلات والذنب في هذه الغميزة على الشبان فمنهم

بدت الفتنه واليهم تعود لانهم هم الذين يتعرضون لـ اغواء البنات . وقد
 حدثني غير واحد منهم بأنه لا يكاد يوجد تلميذ الا وله خلية من البنات .
 ولكن لا تكاد توجد بنت بدأت شاباً بالمغازلة والمناغاة . فاذا كان هذا
 حظ شبانا المتعلمين من البنات فماذا ينقمون عليهن من فساد التربية !
 أينقم بعضهم على من يحبها انها لا تحسن الرطانة بلغة أوربية ! كيف وهو
 أوسع مادة في المسائل التي يكلمها بها بلغته العرفية منه باللغة الاجنبية لانها
 لا يتكلمان الا باللغو والهذيان الذي يناسب العشاق الذين لا تربية لهم
 ولا تهذيب . يومنا بعض الكتاب ان هؤلاء المتعلمين يود أحدهم أن
 تكون له زوجة تعلمت مثلاً تعلم لتكون حياته معها إنسانية بالمذاكرات
 العلمية والادبية لإحيوانية محضه مقصورة على التمتع البهيمي . ويألت هذا
 كان صحيحاً ولكن يحزننا ويؤمضنا أنه غير صحيح فان موضوعات حوارهم ،
 في أنديتهم وسفارهم ، دون ما يقتضيه علمهم الناقص كأن فساد التربية
 حال بينهم وبين الانتفاع بالعلم . ومنذ الذي يطلب العلم ليعمل به أوليكم ؟
 كلنا نعرف علة طلبهم للعلم . هي أخذ الشهادة التي تعدهم لوظائف الحكومة
 والغرض من وظائف الحكومة الاكل مع الراحة لما جيلوا عليه من الكسل .
 نرى أحدهم يجد ويكد قريحته بالحفظ مدة الدراسة حتى اذا ما نال ورقة
 الشهادة التي سماها بعض الأوربيين (جلد الحمار) قال : ذهب دور التعب
 والعناء وجاء دور التمتع -- على انه لم يكن في طور الدراسة مصروفاً عن
 التمتع فيترك البحث والمذاكرة في كل مائعه الا اذا كان رزقه منه
 كالمهندسين والاطباء وقليل ما هم

ان من يدرس العلم لحاجة كرشه وفرشه كالثور الذي يدرس لياكل

بل ربما كان الثور أنفع منه لأنه يأكل ويأكل غيره من عمله بدروس الحنطة ولكن أكثر الذين يدرسون العلم عندنا لا يأكلون ولا يأكل أحد من ثمرة دراستهم وهم الذين قال فيهم الشاعر :

ودرس ثورين قد شدا الى قرن أفنى وأنفع من تدريس حبرين
أين أثر علم هؤلاء المتفجيين في التأليف أو العمل ؛ أين الأندية
والسماز الأديبة ؛ أين الجمعيات العلمية ؛ أين الشركات الصناعية ؛ أين الاعمال
التجارية ؛ أين التأليف النافعة في العلوم اللغوية أو العلمية أو الأدبية أو الدينية .
أخرت ذكر الدين لان أكثر هؤلاء المتعلمين ، أجهل به من العامة الأميين ،
ولا يخفى ان الكلام كله في المجموع لا في عموم الافراد فان من التلامذة من
يرغب في العلم لفضله ونفعه ومنهم من أحسن أهله أدبه وتربيته

فيامعشر المتفجيين بالعلم - وان كان الجهل خيرا آمنه - اذا فتنتم بالاوريات
أو استغنيتم بالسفاح عن الزواج الشرعي أو كنتم ترجؤون الاقتران ليظفرا أحدكم
بامرأة غنية يتنعم بها لها لان المدرسة ربت على الترف والكسل ، مما أقسم عليكم
بالشرف الذي تذكرونه ؛ والوطن الذي تتوهمونه ؛ بل أقسم عليكم بالله
الذي تعبدونه ، أن لا تعتذروا عن ذلك بغميزة اخواتكم ؛ والإيزراء
بامهاتكم ؛ ومن كان منكم يغار على قومه وبلاده فليجهد بتربية نفسه ثم
تربية الاقرب فالاقرب . واعلموا انه لو وجد عندنا تربية وتعليم لوجد
عندنا رجال واذا وجد الرجال توجد النساء كما يريد الرجال ويوجد المال
ويوجد الاستقلال فالرجال هم الذين عملوا كل شيء في الماضي وهم الذين
يعملون كل شيء في المستقبل وخير لهم ان يكون نسائهم عوناهم من أن
يكونوا كلاً عليهم والسلام على من علم وعمل

الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

(في مكة المكرمة يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦)
 في الوقت المعين من هذا اليوم تكامل الاجتماع واستعدت الهيئة للمذاكرة والسماع
 وقرأ كاتب الجمعية ضبط الجلسة السابقة حسب القاعدة المرعية
 قال (الاستاذ الرئيس) سنبحث بعد يومين في وضع قانون للجمعية الدائمة واني
 أرى أن تفوض للجنة منا من الذين سبق لهم دخول في جمعيات علمية أو الذين
 لهم وقوف على مباني الجمعيات القانونية ولا سيما الغربية المعروفة باسم (أكاديميات)
 لتنظم لنا هذه اللجنة سائحة قانون نضعها تحت البحث في الجمعية
 واني أكلف بهذه اللجنة اخانا السيد الفراتي ليقوم بكتابتها وأخانا السيد
 الانكليزي ليفيد اللجنة عما يعلمه عن الأكاديميات وعن مجربات جمعيات ليفربول
 ورأس الرجا واخواننا العلامة المصري والصاحب الهندي والمدقق التركي وهذا
 يرثسهم لانه أسنهم [١] وهؤلاء خمسة أعضاء فهل تستصوب الجمعية ذلك وترى فيه
 الكفاية والكفاءة أم تستدرك شيئاً

ثم ابتدر (السيد الانكليزي) للمقال مخاطباً الاستاذ الرئيس فقال اننا مسلمي
 (ليفربول) حديثو عهد بالاسلام ولنا اشكالات مهمة تتعلق ببحث اليوم أعني بطريقة
 الاستهداء من الكتاب والسنة لان أكثرنا قداهتدينا والحمد لله الى الاسلامية متقلين
 اليها من (البروتستانية) أي الطائفة الانجيلية لا من الكاثوليك أي الطائفة التقليدية
 فنميل طبعاً لاتباع الكتاب والسنة فقط ولا نشق بقول غير معصوم فيما ندين . وقد
 تركنا دين آبائنا وقومنا لتبع دين محمد نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام لا لتبع الحنفي
 أو الشافعي أو الحنبلي أو المالكي وان كانوا ثقة ناقلين

ولنا جمعية منتظمة لها شعبتان في امريكا وجنوب افريقيا ونحن راغبون أن نسمى
 سعيّاً حثيثاً في الدعوة للدين السامي الاسلامي المين والاقوام الذين ندعوهم غالبهم
 متمدنون أي افكارهم متورة بالعلوم والمعارف وأكبر أملنا معقود بهداية فتيين
 اثنتين الاولى البروتستان والثانية الزنادقة .

أما أملنا في البروتستان فلانهم منقلبون حديثاً من الكاثوليكية انقلاباً ناشئاً عن

(١) هو من ترك كاشغر لا من أتراك الروم اه من الاصل

ترجيحهم الاقتصار على الانجيل ومجموعة الكتب المقدسة متوناً فقط أى باهمال الشروح والتفسيرات والمزيدات التى لا يوجد لها أصل صريح فى الانجيل • والبروتستان فى أوروبا وأمريكا يزيدون على مائة مليون من النفوس كلهم • فطورون على الدين قليلاً العناد فى الاعتقاد مستعدون لقبول البحث والالتقياد للحق بشرط ظهوره ظهوراً عقلياً ولا سيما اذا كان الحق ملائماً لأسباب هجرهم الكاثوليكية من نحو انكارهم الرياسة الدينية والرهبانية والتوسل بالقديسين وطلب الشفاعة منهم واحترام الصور والتماثيل والدعاء لأجل الأموات وبيع الغفران والقول بأن البطارقة قوة قدسية وقوة تشريعية وان للبابا صفة العصمة عن الخطأ فى الدين وأن للاساقفة ومن دونهم من القسيسين مراتب مقدسة الى غير ذلك مما ينتج فى النصرانية سلطة دينية وتشديدات تعبدية لا يوجد لها أصل فى الانجيل •

وقد يشبه هؤلاء البروتستان فى رأيهم فئة قليلة من اليهود تعرف باسم القرائين وهم الآخذون بأصل التوراة والمزامير النابذون للتلمود أى لتفسيرات ومزيدات الاحبار والحاخامين الأقدمين •

أما الفئة الثانية فهم الزنادقة المارقون من النصرانية كلياً لعدم ملائمتها للعقل وهؤلاء فى أوروبا وأمريكا كذلك يزيدون على مائة مليون من النفوس فاليهم مستعدون لقبول ديانة تكون معقولة حرة سمحة تريحهم من نصب الكفر فى الحياة الحاضرة فضلاً عن العذاب فى الآخرة •

ومن غريب نتائج التدقيق ان افراد هذه الفئة كلما بعدوا عن النصرانية نفوراً من شركها وخرافاتهما وتشديداتها يقربون طبعاً من التوحيد والاسلامية وحكمتها وسماحتها • فبناءً على هذا الحال وهذه الآمال ترى جمعية (ليفربول) أهمية عظيمة لتحرير مسألة الاستهداء من الكتاب والسنة وتصوير حكمة وسماحة الدين الاسلامي للعالم المتمدن فأرجو حضرة الاستاذ الرئيس أن يسمح لي بتفهم مسألة الاستهداء على اسلوب المحاورة والمساجلة مع بعض الاخوان الافاضل فى هذا المحفل العلمي العظيم •

فاجابه (الاستاذ الرئيس) بقوله له ساجل من شئت وخاطب من أردت فالأخوان كلهم علماء أفاضل حكماء

فقال (السيد الانكليزي) مخاطباً العالم التجدي انك يا مولاي قد صورت فى مقدمة خطابك فى التوحيد من هو المسلم والزمته العمل بالكتاب والسنة فأرجوك

أن تعرفني أولاً ماهو الكتاب وما هي السنة .

فقال « العالم التجدي » اما « الكتاب » فهو هذا القرآن الذي وصل إلينا بطريق لاشبهة فيه لاجتماع الكلمة واتفاق الامة عليه وتناقلها اياه جيلاً عن جيل حفظاً في الصدور وضبطاً في السطور مع الحرص العظيم على كيفية ادائه لفظاً وعلى هيئة املائه كتابة ومع الاعتناء الكامل في تحقيق أسباب النزول ومكانه ووقته ومع حفظ اللغة العربية المضربة القرشية التي نزل بها بإتقان لا مزيد عليه . وبقاء القرآن محفوظاً من التحريف والتغير وموجبات الريب إلى الآن هو أحد وجوه اعجازه حيث جاء مصداقاً لقوله تعالى فيه « انا نحن نزلنا الذكر واتا له لحافظون »

أما « السنة » فهي ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام أوفعله أو أقره ولم يكن صدر منه ذلك على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة وقد اعتنى الصحابة ولاسيما التابعون وتابعوهم رضي الله عنهم بحفظ السنة حديثها وآثارها وسيرها غاية الاعتناء وتناقلوها بالرواية والسند المتسلسل متحررين الوثوق متسهي مراتب التحري والتثبت وقد حازت بعض مدونات السنة وثوقاً تاماً وقبولاً عاماً في الامة فوصلت إلينا بكمال الضبط خصوصاً منها الكتب الستة .

قال (السعيد الانكليزي) لا يشك أحد حتى العدو المعاند في انه لم تبلغ ولن تباغ أمة من الأمم شأوا المسلمين في اعتنائهم بحفظ القرآن الكريم وضبطهم التاريخ النبوي أي السنة وكذلك يقال في اعتنائهم باللغة العربية التي هي آلة فهم الخطاب .

وبالنظر إلى ذلك كان يجب أن تحرر الشريعة الإسلامية أحسن تحرير فلا يوجد فيها ما وجد في غيرها بسبب عدم ضبط أصولها من اختلافات ومباينات مهمة بين العلماء الأئمة فارجوك أن تبين لي ماهو منشأ هذا التشتت الذي نراه في الأحكام .

أجابه (العالم التجدي) ان الاختلافات الموجودة في الشريعة ليس كما يظن شاملة للأصول بل أصول الدين كلها والبعض من الفروع متفق عليها لأن لها في القرآن أو السنة أحكاماً صريحة قطعية الثبوت قطعية الدلالة أو ثابتة بإجماع الامة الذي لا يجوز العقل فيه ان يكون عن غير أصل في الشرع (١)

« ١ » المتأرب - هذا القول غير مسلم اذ يجوز العقل ان يقول المجتهدون في زمن من الأزمان قولاً بنية على خطأ في الاجتهاد لاسباب اذا كانوا قليلي العدد كما هو الواقع بعد الصدر الأول . وقد حصل مثل هذا في جميع الملل والذي لا يجوز هو الذي لا يمكن أن يقع

أما الخلافات قائما هي في فروع تلك الاصول وفي بعض الاحكام التي ليس لها في القرآن أو السنة نصوص صريحة بل بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم وفقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين أخذوا تلك الاحكام التي اختلفوا فيها إما تلقيا من بعض الصحابة فكلّ قلد من صادف «١» وأما استنبطوها اجتهاداً من نصوص الكتاب أو السنة بالدلول المحتمل أو بالفهوم أو بالافتضاء أو من قرائن الحال أو قرائن القول أو بالتوفيق أو بالتخريج أو التفريع أو بالقياس أو باتحاد العلة أو باتحاد النتيجة أو بالتأويل أو الاستحسان وهذه الاحكام الخلافية كلها ترجع الى دلائل اما قطعية الثبوت ظنية الدلالة أو ظنية الثبوت ظنية الدلالة . ولكل واحد من المجتهدين أصول في التطبيق وقوانين في الاستنباط يخالف فيها الآخر ومنشأ معظمها الخلافات التحوية والبيانية .

ثم ان أكثر الخلافات هي في مسائل المعاملات وعلى كل حال جاحدها لا يكفر باتفاق الأئمة بل المتخالفون لا يفسق بعضهم بعضاً اذا كان التخالف عن اجتهاد لا عن هوى نفس أو تقصير في التبع الممكن للمقيم في دار الاسلام (مرحى)
قال (السعيد الانكليزي) اني أشكرك على ما أجملت وأوضحت غير انك لم تذكر في جملة أسباب الاختلاف الاختلاف في اعتبار النسخ والمنسوخ بين آيتين أو حديثين أو آية وحديث واتي اظن ان ذلك من أعظم أسباب الاختلاف في الأحكام .
أجابه (العالم النجدي) ان نواسخ الأحكام قليلة ومعروفة والخلاف فيها أقل لأن النسخ في زمن التشريع لم يحصل الا عن حكمة ظاهرة كالدرج في منع السكر كأنه في حالة الصلاة ثم تعميم منه . وكتغير المقتضي للتوارث بالإخاء وهو القطعية التي حصلت بين المهاجرين وذوي أرحامهم في بدء الأمر ثم لما تلاحقوا بعد فتح مكة نسخ ذلك وجعل التوارث بالنسب . وكالدعوة في أول الاسلام الى التوحيد والدين بمجرد الموعظة بدون جدال ثم به بدون صدع ثم به بدون قتال ثم به في أهل جزيرة العرب فقط ثم بتعميمه مع قبول الجزية والحراج من غيرهم (٢) «مرحى»

١. وهذا أيضاً غير صحيح فان هؤلاء الأئمة ما كانوا مقلدين للصحابة
 ٢. شرع الاسلام أو السيف خاصاً بأهل جزيرة العرب بقصد احكام الوحدة السياسية في الوحدة الجنسية لا كما يتوهم الطاعنون في الاسلامية انها لم تقم الا بالسيف
- اه من الأصل وما ذكره في الدعوة وفي تحريم الخمر ليس النسخ في شيء

قال « السعيد الانكليزي » ان ما وصفت من أصول الاجتهاد وقوانين استنباط الأحكام قد أنتج خلاف ما يأمر الله به في قوله تعالى « اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وخلاف ما تقتضيه الحكمة فهل من وسيلة سهلة لرفع هذا التفرق .
أجابه « العالم التجدي » اني لا أهتدي لذلك سيلاً^١ ولعل في الاخوان من يتصور وسيلة لهذا الأمر المهم

فابتدر « العلامة المصري » مخاطباً السعيد الانكليزي وقال : ان رفع الخلاف غير ممكن مطلقاً ولكن يمكن تخفيف تأثيراته . وذلك انه لما كان معظم الاختلاف كما قرره اخونا العالم التجدي في الفروع دون الأصول وفي السنن والمندوبات والصغار والمكروهات دون الشعائر والواجبات والكبائر والمنكرات وكان أكثر الأئمة هم العامة الذين لا يقدرّون أن يميزوا بين الواجب والسنة والمندوب وبين النفل والمباح أو يفرقوا بين الكفر والحرام وبين الكيرة والصغيرة والمكروه تنزيهاً والتقوى بل تنقسم الأحكام كلها في نظرهم الى نوعين أصليين فقط مطلوب ومحظور وبتعير آخر الى حلال وحرام وكانت أحكام الشريعة كثيرة جداً فالعامة يجدون أنفسهم مكلفين بما لا يطيقون الإحاطة بمعرفة فضلا عن القيام به ويرون ان لامناس لهم من التهاون في أكثره أو بعضه فيقوم أحدهم بالبعض دون البعض فيأتي بالنفل ويتهاون بالواجب ويتقي المكروه ويقدم على الحرام وذلك كما قلنا لاستكثاره الأحكام وجهله بمراتبها في التقديم والتأخير^٢

بناء على ذلك أرى لو أن فقهاء الأمة كما فرقوا مراتب الأحكام على المسائل يفرقون المسائل أيضاً على المراتب في متون مخصوصة . فيعقدون لكل مذهب من المذاهب كتاباً في العبادات ينقسم الى ابواب وفصول تذكر في كل منها الفرائض والواجبات فقط وتنطوي ضمنها الشرائط والأركان بحيث يقال ان هذه الأحكام في هذه المذاهب هي اقل ما يجوز به العبادة .

١٥ « الاديان والمذاهب كلها مصابة بالانشقاق فهذه البرتستانية تفرقت في مدة مائتي سنة الى ما يزيد على مائتي فرقة وهذه أحكام الأحوال الشخصية من نكاح ونحوه في النصرانية مختلف فيها بين الكنائس أو بين رؤساء كل كنيسة اختلافا لا يهتدى معه الى نتيجة . اه من الأصل « ٢ » كالآراك يهتمون بالسنن والمكروهات أكثر من الواجبات والمنهيات اه من الأصل

ويعقدون كتاباً آخر يتقسم الى عين تلك الأبواب والفصول تذكر فيها السنن بحيث يقال ان هذه الأحكام ينبغي رعايتها في اكثر الأوقات . ثم كتاباً ثالثاً مثل الأولين تذكر فيه سنن الزوائد بحيث يقال ان هذه الأحكام رعايتها اولى من تركها . وعلى هذا النسق يوضع كتاب للمنيات يقسم الى ابواب وفصول تعد فيها المكفرات والكبائر وكذا الصغائر والمكروهات ومثل ذلك تقسم كتب المعاملات على طبقات من الأحكام الإجماعية او الاجتهادية او الاستحسانية .

فيمثل هذا الترتيب يسهل على كل من العامة ان يعرف ماهو مكلف به في دينه فيعمل به على حسب مراتبه وامكانه وبهذه الصورة تظهر سباحة الدين الخفيف ويصير المسلم مطمئن القلب مثله كمثل تاجر له دفاتر وقیود وحسابات وموازنات منتظمة فيعيش مطمئن الفكر وكم بين هذا التاجر وبين تاجر آخر حساباته في اوراق متثرة ومعاملاته مشتتة متزاحمة في فكره لا يعرف ماله وما عليه فيعيش عمره مرتبك البال مضطرب الحال «مرحى»

باب الترتيب والتجمل

الشذرة السابعة منه جريدة رأسم (*)

﴿ رؤيا منام * أرجو ان تحققها لنا الايام ﴾

رأيتني ممتطياً جواداً أسبح في بلاد مجهولة لأدري ان كانت من الدنيا القديمة أو الجديدة ولكني بحسب ما بدالي من ظواهرها أرى انها لا بد أن تكون واقعة على تخوم بلاد الألدورادو (١) أو الأوتوبيا (٢)

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

[١] الالدورادو كلمة اسبانية معناها بلاد الذهب وتطلق على بلاد يزعم الناس ان ضابطاً من مدينة بيزارا اكتشفها في أمريكا الجنوبية وانه كان يوجد بها من الذهب وخيرات الارض شيء كثير ثم أطلقت هذه الكلمة على بلاد الرخاء والتعيم [٢] الأوتوبيا كلمة يونانية تطلق على بلاد وهمية جرت أمورها على أحسن ما يتخيل من النظام وصفها كاتب اسمه توماس موريس في كتاب له

بصرت في طريقي بحظائر مسيجة بـسبيجة خضراء فيها قطعان من البقر والغنم وغيرها من الحيوانات المجترة التي لا توجد قط في مراعيها تسوم آمنة لا كلب يحرسها ولا راعي يراقبها ولا حظت في انتظام طرق الري في هذه البلاد وحسن توزيع الماء بين جهاتها على نحو يثير الاستحسان ويدعو الى الاعجاب انه كان من مزاياء امتلاء جو ريفها بالنسيم البارد المنعش على ما فيه من حرارة النهار وشاهدت سلاسل من الهضات مكللة بالاشجار كأنها في تتابعها واتصال بعضها ببعض تخط للرياح والسحاب طريقهما. ضرب الغنى سرادقه حول قرى هذا الريف وظهرت على أهله آثار النعمة والاعتباط نساؤه حسان وولدها أسوياء أنحساء الابدان يشرون حكومتهم بأنهم سيكونون لسلا قويا بأسلا

ثم رأيت حواضر هذا القطر فلم أكن لرؤيتها اقل مني دهشا لرؤية قراء ومما أرشدت اليه في احداها بنآن كانا أقبا في عصر يسميه أهلها الآن عصر الحمجية احدهما سجن والثاني مأوى للمساكين وقد أصبحا من أهلها خلاء لعدم اللصوص والبؤساء ومع انهما لم تبق لوجودهما فائدة حفظهما القائمون على شؤون المدينة ليكون للاجانب فيهما ذكرى لتاريخهم .

حدد في هذه البلاد مالتناس وما عليهم من الحقوق والفروض وما للحكومة وما عليها من ذلك وامتاز بعضه عن بعض امتيازاً ينياً ولهذا تجد الرعايا لا يولون حكمهم من شؤونهم الا مالم يس من مصالحهم ان يتولوه بأنفسهم وحقيقة الامر أن القوانين فيها على قلتها جذاً وصدورها عن رأي من اختارهم الأمة نواباً عنها لاسيلا لها الاعلى ما كان من الاعمال متعلقاً بالحكومة ولما كان الناس جميعاً هم الذين قدسوا لأنفسهم هذه القوانين لحماية كل منهم كانت مخالفتها وعدم الرضوخ لاحكامها حمقا وسخفا على انهم يؤملون تعدياها والتقليل من سلطانها بترقية العلوم وبث اضواء العرفان

رأيهم هو حاكمهم للمطاع أمره النافذ قوله ولم يعهد أن ملكا من الملوك الممتنعين في صياصيم المعتزين بخصونهم كان له من المعاقلة والتأريس ما يعادل ما يحيط به ذلك الحاكم من ضروب الكفالة وأنواع الضمان المؤيدة له القائمة على عزازة فالقوم أحرار يتفكرون في كل ما يكتبون ويكتبون كل ما يتفكرون وانه ليدعشهم كثيراً على ما أرى أن يعلموا أن فوق الأرض امماً في قدرتها ان تستسلم لحاكم وتلقى بنفسها في قبضة ظالم . لاقت في هذه المدينة شيخاً لا أذكر اين ولا كيف لاقيه وقع التعارف بيني وبينه

فاخذ على نفسه أن يشرح لي نظام حكومتهم ويطوف بي على المعاهد المعدة للمنافع العامة لأنني لم أرى في المدينة قصوراً بنيت لبعض الافراد توفية لاسباب لذاته ولا مساح ولادور للجيش ولا مواخير للفحش .

لما راقني ما شاهدته قلت للشيخ هل لك ان تخبرني باسم ذلك الواضع الكبير الذي سن لكم هذه القوانين .

فتبسم ضاحكا من قولي وقال أراك آتيا من عالم آخر فاعلم أن قوانيننا ليست من وضع البشر واني أراكي الآن مضطرا الى أن أقص عليك تاريخنا في كلمات قلائل فاستمع لما أقول : اننا قبل اليوم بنحو قرنين لم نكن أحسن حالا من غيرنا من الأمم وآخر ملك تولى علينا ولا نذكر منه شيئا حتى اسمه (لان النسيان أحسن عقاب للمسيئين الاشرار) خلع من عرشه بعد حكم أسخط عليه جميع رعاياه وألبهم على نبذ طاعته والخروج عليه ثم عرض الثأرون بعد خلعه صوراً مختلفة وأشكالا متنوعة للحكومة وكادوا يقتلون على اختيار حاكم لولا ان آباءنا بما كان لهم من الحكمة والدراية قد تراجعوا وقال بعضهم لبعض ان الاولى لنا ان نرجي الفصل فيما شجر بيننا وأن نترك لاعقابنا النظر لانفسهم فيما هو خير لهم فانه لاخير في أحسن الاوضاع ولا في أعدل القوانين ان لم نجد في اخلاق الناشئين وسيلة لاستبقائها وحينئذ اتفق القوم على أن يبقوا من قوانينهم القديمة أكثرها مطابقة لحكم العقل حيناً من الدهر وأن ينشؤا الحيل الجديد في هذه الفترة على حب الحرية والاخذ بها ثم لعلك لم تر مدرستنا انها أصل نظامنا السياسي فهيا بنا اليها .

أخذني الى مكان على مقربة من المدينة فما هو الا أن نجلى لنظري في اشعة الشمس المشرقة قصر أو هيكل فوق ربوة شجراء قد عادل اتساعه واتساح ارجائه ماله من الفخامة والجلال لو أردت أن اصف لك جملة لعيت بذلك . بني كل قسم من أقسامه الداخلية على طريقة حديثة في فن العمارة وبلغ من الازديان بما وضع فيه من التماثيل والصور وآثار الفنون الى حيث ان جدراته كانت تكاد تكفي أن تكون وحدها طريقة من طرق التعاليم يكون ماحوته يُنقش على اذهان التلامذة ومشاعرهم وينقسم هؤلاء الى عدة أمم يمثل كل منها جيلا من أحيال الانسان وقد وقع ذلك البناء في وسط مشاهد تأسر القلب وتأخذ باللب بما فيها من ضروب التباين ووجوه التخالف فتجد حوله الآجام والصخور ومساقط الماء وتحت البحر .

وقفت على احدى حلقات الدروس فاذا بغلمان يمارسون أنواعاً مختلفة من الرياضات البدنية كالمصارعة والعدو والرمية بالقوس واكثر مدهشت له في هذه الحلقة أن معلمها كانوا من هنود امريكا الحمر الاصليين كما تبينت ذلك من لونهم ونحافة أعضائهم وما كان على شعورهم من مواد الزينة الوهمية قال لي الدليل ان هذه القبيلة المتوحشة لم تأت الي بلادنا الا من عهد قريب وانما جذبها الي حدودها حسن اخلاق قومنا ورقة طباعهم فاننا لم نعتبرهم اعداء لنا كما يفعل غيرنا بل دعوناهم الي مشاركتنا في نعم الحضارة وأرشدناهم الي ما تحصله لنا من القوائد والمزايا مئين لهم مقدار رجحانها على البداوة. ولما كننا لانجهل ما لهم من المواهب الفطرية التي نحن محرومون منها قد عرضنا عليهم معاوضة المنافع ومبادلة المرافق فقبل فريق منهم ذلك منا وهامهم أولاء الآن يروضون أبناءنا على احتمال الآلام الجسدية غير مفضنين من جباههم وعلى استعمال ابصارهم واسماعهم في اجتناب ما ينصب لهم من الحبائل وابطال اثر ما يكاد لحلمهم من المكائد ويعودونهم على البسالة في شي اعضائهم وليتسها موافقة لسلطان الارادة وعلى تعرف اخلاق الحيوانات وعوائدھا في حالتها الوحشية

وفيما نحن نجول داخل هذا المكان الذي هو منقسم كما قلت الي دارات مختلفة للتربية والتعليم شهدت أحد الاعياد التي تقام في هذه الدارات التاريخية أو العلمية من حين الى حين فحبل لي أننا في آتينا (عاصمة بلاد اليونان) ان لم اكن واهما وأبصرت قلعها المسماة بالاقروبول شاخصة امامي على صخرة يعلوها معبد وتماثيل وآلهة صنعت من النحاس الاحمر والمرمر ورأيت في الجانب الغربي لهذه القلعة دهاليزها التي اقامها بريكليس (١) وكنت أشاهد طوائف من الفتيان في ازياء يونانية يشخصون اليونان في اطوارهم واحوالهم تشخيصاً يقرب من الفطرة ويتكلمون بلغتهم ويمثلونهم في تزيهم في المدينة او غدوهم الي مرافق يريه (٢) ومونيخي (٣) وقالير (٤) فاستغربت مارأيت مع قلة استغراب الحالم واقسمت بآتيه بروماخوس لاكتنهن هذا السر. فلما رأى صاحبي شدة وليي بمعرفة حقيقة مارأيتہ قال لي ان الامر في غاية السهولة ذلك اننا لما تبين لنا بالاحتبار ان التاريخ في تعليمه للاحداث يمر باذهانهم

(١) بريكليس احد رجال حكومة آتينا الاقدمين (٢ و ٣ و ٤) يريه ومونيخي

بتركها مدن يونانية فيها مرافق

مرور الظل غير تارك له فيها آثار آيئة اجتهدنا في ان نجعل له جسماً تخلص فيها صورته
فترى تلامذتنا لا يقتصرون في تعلمه على مطالعة ما كان في العصور الخالية بل انهم
يعيشون في تلك العصور .

فقلت له لابد أن تكون جمهوريتكم قد بلغت من الثروة غايتها حتى تقوم بنفقات
هذه المعاهد فكان جوابه انها غنية لمهارتها في طرق الكسب ولانها هي التي تدبر
نفقاتها بنفسها على انى أرجوان لا تخدع بما تراه فان ما تظنه بذلاً للمال واسرافاً فيه
هو في الحقيقة تدبير له وتوفير ولو صح ما سمعنا عن أوروبا القديمة لكان ما تنفقه امماً
على حكوماتها في جانب التبذير وما تنفقه على التعليم العام في طرف التقدير وأما نحن
فأمورنا تجري على خلاف ذلك فحكومتنا لا تكلفنا اولا تكاد تكلفنا شيئاً وتنفق
كل ارزاقنا على مدارسنا فكان لنا بالسير على هذه السنن ما يسمى في عرف التجارة
صفقة رابحة والله طريقتنا في التربية فاننا ببركتها استغنيانا عن اتخاذ جيش دائم وكهنوت
وغيرهما من الاثقال التي توقع الحكومات في مهواة الفاقة وتؤديها الى الخراب

هذه الامة التي ضل عنى الآن اسمها لا تقصد في تربية عقول ابنائها وتقويم
طبائعهم اعدادهم لان يتبعوا في مستقبلهم نظاماً مقررأ كائناً ما كان بل انها عقدت
الثبة على أن قبل ما ينتج من التربية الحرة المؤسسة على نواميس الكون واصول العلم
من الثمرات فبعتها اقدامها على ان تعهد بمستقبل بلادها الى مكارف الاجيال الجديدة
وعلمهم فهي تعتبر المدرسة امة في سبيل نشأتها لما قوانينها كما أن للحكومة قوانينها
وترى تلك القوانين كلها مقدمة لهذه وتبكر بتعليم التلامذة ممارسة ما يتحلى به الرجال
من الفضائل القومية .

ليس لمعلمي المدرسة على التلامذة أدنى سبيل الى التأديب ولكنهم لا يسلطون عليها
بما يقتضونه من مخالفة قوانينها وعواندها بل انهم يعاقب بعضهم بعضاً على ما يقع منهم
من المخالفات فالمخالفون يحاكمون الى محكمة ينتخب اعضاؤها من اخوانهم لمدة معلومة
ومن مصاحبة هؤلاء الاعضاء ان يمدوا في احكامهم وان لا يطيعوا فيها دواعي الهوى
والغرض لعلمهم ان الاعتداء على حقوق الناس قد يعود عليهم ضرره في الحال او
في المال ويقوم امام هذه المحكمة محاميان احدهما من جانب المدعي والثاني من
جانب المدعى عليه فيبينان لها وقائع الدعوى بالرزانة والوقار ثم يصدر المخالفون المتطوعون
احكامهم وهي واجبة الاحترام على الدوام وما يحكم به من الجزاء يصير على كونه غاية

في الحفة شديد الارهاب والزجر لانه يؤدي الى لوم المحكوم عليه وتأنيبه من المدرسه جميعها لا من معلميه فقط .

يقيم الصبايا التلميذات بهذه المدرسه في قسم آخر منها غير قسم الصبيان ولكنهن يحضرن معهم في غرف التعليم بعض الدروس العامة التي تلقى نهارا قال لي الشيخ اننا نعمل كثيراً في طريقة تريتنا للناشئين على ما للنساء من التأثير المعنوي في النفوس فهن اللاتي نعهد اليهن بتوزيع الجوائز والمكافآت على التلامذة فترى المهرة من هؤلاء في الرياضات البدنية يختبرون أنفسهم امامهن في ساحتها ببعض الحركات التي هي مظاهر البأس والقوة والمستعدين منهم لان يكونوا خطباء المستقبل يمثلون بين أيديهن على منبر المدرسه ويشير بعضهم على بعض في ميدان الفصاحة والبلاغة حرباً عواناً كل ذلك في سبيل ارضائهن وهيج اعجابهن ولما كان المعروف فيهن انهن صابغات الرأي سديدات الحكم في مواد الفنون كان معلمو المدرسه تطيب أنفسهم بالركون الى رأيهن في امتحان الشعر والموسيقى والتصوير فاذا صرن محكمات في الذوق أعلن حسن الاعمال ونوهن بقدرها وتوجنها تاج الشرف والفخار . كذلك يعتاد احداثنا على ان يستشيروا النساء ويسترشدوا بأرائهن ويلتمسوا تصديق وجدانهم لحسن أعمالهم فيما يبدية لهم من يرقهم منهم من دلائل استحسان هذه الاعمال بتأقيها بالابتسام والبشاشة وينشأون على أن يعتبروا عيون ربات الجمال مرايا تمثل لهم فيها الفروض التي كتب عليهم اداؤها

لا يزال صدى الكلمات الاخيرة التي سمعتها من ذلك الشيخ يرن في أذني اذ قال لي في نهاية حديثه لو طال زمن مكثك بيننا لشاهدت من مستحدثاتنا مالا أشك في أنه كان يبعث في نفسك دواعي الدهش والعجب فحسبك أن تعلم كيف اننا قطعنا ما كان يربطنا بماضينا من قيود الذل والبؤس والاستعباد التي كانت كالنار جوداً وبرودة ونفياً لحرارة الحياة وأن تعرف أن الامم الحرة انما تنشأ برجالها الاحرار وأن آباءنا لم يخطئوا في أن يلتمسوا في وجدان كل انسان أقوى ناصر على الاستبداد لاعتقادهم أن أحسن الحكومات أقلها وجوداً فتراهم قد فضلوا أن ينقشوا في نفوس الاحداث وجدان العدل والحق الذي لا تغيره الحوادث ولا تمحوه الكوارث على أن يدونوا لهم قانوتاً نظامياً في كتاب ربما أن رياح الفتن وعواصف الثورات الداخلة كانت مزقته من زمن بعيد وجملة القول أن الحكومة عندنا ليست هي التي تدير المدرسه بل أن المدرسه هي التي توجد لها وتنشأ . اهـ

أشرف عليهما السلام

﴿ الهدايا والتقاريف ﴾

(تأسيس النظر) كتاب وجيز صنفه الفقيه الاصولي أبو زيد عبيد الله بن عمر ابن عيسى الدبوسي الحنفي في علم الخلاف وهو أول من صنف في خلاف الأئمة في الفقه . وعلم الخلاف نافع لمن يريد معرفة مدارك الأئمة ودلائلهم ووجوه الترجيح فيما شجر بينهم من الاختلاف في الاحكام فهو فرع من علم أصول الفقه . وقد سعى في طبع هذا الكتاب الشيخ مصطفى القباني الدمشقي كما هو شأنه في السعي بإظهار كتب الأئمة النافعة ونشرها . طبعه على نفقته ونفقة محمد اقدى أمين الحانجي على أجود الورق الساعم الموجود في مصر . وكنت أود أن يقف على تصحيحه أحد المشتغلين بالفقه والأصول . ولا أعرف كتاباً طبع في علم الخلاف غيره فسي أن يقبل أهل العلم على مطالعته وقد طبع في آخر الكتاب رسالة (الاصول التي عليها مدار كتب الحنفية) وهي نحو أربعين أصلاً وضعها الامام أبو الحسن الكرخي من فقهاء القرن الثالث ووضع لها الامثلة والشواهد الفقيه عمر الذنبي المتوفى سنة ٥٣٧ ونحو نورد بعض أمثلتها عبرة للمتفكرين قال : « الأصل أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو على الترجيح والأولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق » وبإلته ذكر وجهاً آخر وهو الرجوع عن قول أصحابهم الى الآية الكريمة ولو عند عدم ظهور وجهه وجهه في التأويل . ومنها قوله : « الأصل أن كل خبر (أي حديث نبوي) يجيء بخلاف قول أصحابنا فانه يحمل على النسخ أو على انه معارض بمثله ثم صار الى دليل آخر أو ترجيح فيه بما يحتاج به أصحابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق . وإنما يفعل ذلك على حسب قيام الدليل فان قامت دلالة النسخ يحمل عليه وان قامت الدلالة على غيره صرنا اليه أي انه لا بد من تصحيح قول فقهاءهم والعمل به على كل حال . ونحن نقول كما يحتمل نسخ الآية أو الحديث يحتمل رجوع ذلك اتفق عليه عن قوله قائله نسخ قائله جداً ولكن الاقوال المرجوحة التي يرجع عنها العلماء أكثر من أن تحصى . يقابل هذا بذاك وتبقى وجوه أخرى للعمل بالآية أو الحديث منها أنهم أصل الدين فان قبل قول الفقيه قائماً قبل لاستناده اليهما او حدهما ولو ظنا فاذا تعارض الأصل والفرع يعمل بالأصل . ومنها ان الثقة ينقل الكتاب والسنة أعظم . ومنها ان خطأها محال وكل امام وفقه عرضة للخطأ . ومنها

انهما أصح وأفصح الكلام ففهمهما أسهل وبيانهما أعظم والله الهادي وهو أعلم وأحكم (نهضة الأسد) قصة تاريخية تشرح حوادث الثورة الفرنسية الشهيرة ومقدماتها ونتائجها وهي من تأليف القصصي الشهير اسكندر ديماس الكبير . وقد صر بها صديقنا الفاضل فرح أفندي انطون صاحب مجلة الجامعة النافعة ونشرها تباعاً في ذيل مجلته ثم جمعها في أربعة أجزاء واسم الثالث منها (وثبة الأسد) والرابع (فريسة الأسد) وهي أنفع القصص المعربة فيها أظن لأن مطالعة حوادث الانقلاب في الأمم هي أكبر العبر وأولى الناس بالاقبال على قراءة هذه الاخبار من دبت فيهم نسمة الحياة الاستقلالية ، واستعدوا لأن يكونوا أمة حية ؟ فعسى أن يرغب شباننا وشوابنا عن مطالعة القصص الغرامية السخفية الى مطالعة مثل هذه القصة التي تفوق تلك لذة وتزبد عليها المنفعة ، (مجلة المجالات العربية) نهني صديقنا الفاضل محمود بك حسيب صاحب هذه المجلة بما وفق له من زيادة اتقانها وتكثير فوائدها فقد صدر آخر جزء منها يزيد على ما تقدمه في الفوائد العلمية والأدبية وكثرة الرسوم الجميلة التي لم تسبقه اليها مجلة عربية . فنسأل الله أن يزيد مجاته بكماله كمالاً ، ويوفق الناس لأن يزيدوا عليها اقبالاً .

«الحجاج بن يوسف» قصة تاريخية غرامية تتلو قصصاً نشرت قبامها في التاريخ الاسلامي وسيتلوها غيرها فيه فهي الحلقة السادسة من السلسلة وفيها خبر حصار مكة على عهد عبد الله بن الزبير وقتحها ومقتل ابن الزبير والكلام في أخلاق أهل الحرمين وعاداتهم . مؤلف هذه القصص صديقنا المؤرخ المتصف جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغراء . وقد اشتهرت هذه القصص بنشرها في الهلال بل زاد اشتهار الهلال وانتشاره بها لما فيها من اللذة والفائدة . وما زلت أمتي نفسي بمطالعة هذه القصص من أولها مطالعة تأمل وانتقاد ولما يتح لي ذلك

وقد رأيت من المسلمين من ينتقد هذا الوضع من وجهين أحدهما ان من شأن القصص ان تكون فيها أخبار كاذبة فيشتبه على القارئ الحق بالباطل وثانيهما استتقال نسبة العشق والغرام الى رجال سلفنا الكرام . وقد كان بعض هؤلاء المتقدين كتب رأيه في جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بما عرف واشهر . وقد تصفحت ورقات من هذه القصة فالفيت أن الحوادث الغرامية لم تسند الى احد من رجال السلف العظام ، والائمة الذين يجلون عن الاشتغال بالغرام ، وأما مسألة الاشتباه فقد رأينا في مقدمة هذه القصة ما يكشف عن الحقيقة فيها وهو قول المؤلف: «فالعمدة في رواياتنا على التاريخ وانما تأتي بحوادث الرواية تشويقاً للمطالعين . فبقى الحوادث التاريخية على

حالتها ونذج في خلالها قصة غرامية تشوق المطالع الى استتمام قراءتها. فيصح الاعتماد على ما يحكى في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريخ من حيث الزمان والمكان والاشخاص الاما تقتضيه القصة من التوسع في الوصف مما لا تأثير له على الحقيقة ، اهولنا الثقة بالمؤلف الفاضل بأنه لا يكتب عن الاسلام والمسلمين الا ما يعتقده وان لم يكن مسلماً لأنه من أبعد خلق الله عن التعصب الديني . وأحسنهم انصافاً فان فرط منه ما أوجب الانتقاد أو يوجه فهو عن غير سوء قصد . ولا شك أن قراءة هذه القصص مفيدة فمن يرى من المتقدين أن فيها تقصيراً قليلاً فيصنف ما هو خير منها . واننا لا نحزب لصديقنا بما لا نعتقد واذا اتبعنا مطالعة هذه القصص أو بعضها وظهر لنا فيها خطأ فاتها ننبه عليه ان شاء الله تعالى . ونحن النسخة من هذه القصة عشرة قروش وأجرتها في البريد قرشان وتطلب من مكتبة الهلال بمصر .

(مسامرات الشعب) قصص مختصرة يؤلفها أو يعربها بعض المشتغلين بالكتابة والادب لمكتبة الشعب ومطبعها فطبع وتشر على نفقة صاحب المكتبة والمطبعة الهام ويصدر في كل شهر قصتين وجعل ثمن القصة قرشا اميريا وقيمة الاشتراك الى سنة عشرين قرشاً . وقد ذكر في مقدمتها انه يقصد بنشر هذه القصص التهذيب وخدمة الوطن . وانما يتحقق هذا اذا جعلت هذه القصص حكايات عن أخلاق الشعب وعاداته مع استحسان الحسن واستهجان المستهجن ولم أر أعلق بهذا القصد من القصة الرابعة واسمها (الحال والمآل) فقد أودعها كاتبها أحمد حافظ أقدي عوض بيانا في كيفية عشق الناشئين والناشئات ، وما يتبع ذلك من المفاسد والتكرات . وسنتكلم عنها في جزء آخر

أخبار الخبلاء الكبار

(الوباء والعدوى والوقاية)

ظهرت الهيضة الوبائية في بلدة موشة التابعة لمديرية أسيوط وانتقلت الى القاهرة ثم ظهرت في عدة بلاد وقد اعتنت الحكومة بالوقاية منها واهتم رجال الصحة بمنع انتشارها بقدر الامكان ولا أظن ان العناية في غير القاهرة مثاها فيها وان كان متيسراً . على ان حفظ الماء من القذارة في الارياض أمر جداً والناس بالنظافة هناك

أعسر . ومما يزيد الوباء فتكا عدم مساعدة الأهالي للحكومة فيما عمله لوقايتهم لأنهم لجهلهم يتوهمون ان الحكومة تسعى في اهلاكهم وتريد اهانهم وضررهم حتى ان الاكثرين يعتقدون ان أطباء الحكومة يسقون المصابين الأدوية السامة ليميتوهم ولا شك ان هذا الوهم فاسد وأن الحكومة خير لهم في هذه الحال من أهلهم ومن أنفسهم لأنها تجتهد في وقايتهم قبل أن يصابوا وفي معالجتهم بعد ذلك بعلم ومعرفة وانما تخدمهم برجالهم وتنفق عليهم أموالهم المحفوظة عندها

ونحن لا نتقد على الحكومة الا بعدم الاعتناء بالتنظيف حيث يسكن الوطنيون كاعتنائها به حيث يسكن الاجانب . فقد استغاثت الجرائد بمصلحة الصحة طالبة تنظيف بعض الجهات القذرة التي اتخذها الناس مناصع (والمناصع هي المواضع يتخلى فيها للبول والغائط) كشارع الخليج من جهة باب الخلق . فكان الواجب على الحكومة أن تأمر بمنع التخلي هناك وفي أي شارع لتلا يتخلى فيه مصاب فيحمل الذباب جراثيم الداء من برازه الى البيوت المجاورة . وشي آخر لا يزال متقدماً من رجال الصحة وهو معاملة الناس بالغاظة والحشونة عند اداء وظائفهم وهم يعلمون أن الناس معذرون بالجهل ولعل هذه المعاملة لطفت بعد أمر جناب مستشار الداخلية بالتأطف في المعاملة ومن أسباب انتشار الوباء جهل الأهالي بصحة العدوى وهي ثابتة شرعاً وعاماً واختياراً بالمشاهدة . وأما العدوى المنفية بالحديث فهي ما كان يعتقد في الجاهلية من حصول ذلك بطبعه من غير قدرة الله تعالى وفي روايات الحديث ما يدل على ذلك . أخرج أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد » فبعد ان نفي ما كانت تعتقده الجاهلية أمر بالفرار من المجذوم . وصرح الحافظ ابن حجر وغيره من شراح البخاري في حديث المجذوم بأن العلماء المحققين لاسباب الشافية قالوا بآيات العدوى على أنها سبب من الاسباب العادية التي قام بها نظام الكون . وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة : « لا عدوى ولا هامة ولا صفر . ولا يحل للمريض على المصحح ولا يحل المصحح حيث شاء » قيل ولم ذلك يا رسول الله قال « لأنه أذى » وهذا أصرح من الأول في إثبات سيية العدوى . وأخرج أحمد والبخاري ومسلم عن أسامة بن زيد وعبد الرحمن بن عوف والنسائي عن الأول وأبو داود عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وأتم بأرض فلا تخرجوا منها » فهذا الحديث الصحيح أصل في الحجر على المصابين ان يخرجوا

فيخالطوا الناس الأصحاء فتنتقل اليهم بذلك العدوى . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ومن أسباب انتشار الوباء الجهل بمدارة الصحة والوقاية من الأمراض . ولو كان الناس يعملون بالآداب الشرعية لكان لهم فيها غناء فان أهم أركان الصحة النظافة والاحتياط في الأكل والشرب . فأما النظافة فهي عند المسلمين من خصال الإيمان . وقد اشترط في تطهير الاشياء وتنظيفها عند الشافعية وأكثر أهل هذا القطر منهم أن يكون الماء الطاهر وارداً على الشيء الذي يراد تطهيره لاموروداً وهذا الشرط موافق للصحة . فان الثوب أو العضو المتجسس اذا ورد على الماء ينتشر في الماء ميكروب المرض واذا ورد الماء عليه يزيل النجاسة وما فيها من الميكروبات . ولا يجوز وضع النجاسة في الماء ولا اليد المتنجسة فيه على تفصيل في ذلك . وبما لاخلاف فيه بين المسلمين أن كل ما علم ضرره بالاختبار أو بقول الطيب الموثوق به فالواجب اجتنابه وأما الاحتياط في الأكل والشرب فأحسن ما يذكر فيه الآن ما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بيان سبب عدم قبول الطيب الذي أهداه اليه المقوقس ملك القبط وهو : لانا كل حتى نجوع واذا أكلنا لانشبع ، ولاأذكر من خروجه من المحدثين وهو مذكور في كتب السير . وهذا أصل عظيم في الوقاية من الهیضة الوبائية فان جراثيم الهیضة لا تضر الا اذا انتقلت من المعدة الى الامعاء في طعام غير مهضوم . فمن يأكل عن جوع حقيقي ولا يكثر من الاكل فانه يهضم ماأكله بسهولة فاذا وجد في طعامه أو شرابه شيء من جراثيم الهیضة الوبائية (الكوليرا) فانه حينئذ يهضم ولا يضر . واذا كان مع هذا يراعي النظافة في الطعام والماء ، مراعيًا فيه وصايا الاطباء فذلك اكمل الاحتياط

ولا يتوهم ان الحديث المذكور آنفاً يدل على ان التطيب غير مطلوب شرعاً فقد وردت الاحاديث الصحيحة والحسنة أن لكل داء دواء الا الموت وفي رواية الا اهرم وكثير من الاحكام الشرعية بنى على قول الاطباء حتى في العبادات . فالاعتماد على قول الطيب العدل في ذلك واجب شرعاً وكذلك غير العدل ان صدقه فاننا كثيراً ما نجزم بصدق من لم توجد فيه صفات العدالة الشرعية كلها لاننا عرفنا صدقه ومهارته بالتجربة

﴿ ابطال المولد الحسيني وغيره ﴾

أمرت الحكومة بابطال المولد الحسيني وغيره لأن الاحتياط الصحي يقضي بتقليل الاجتماع والازدحام في أيام الوباء لاسيما مثل اجتماع الموالد المشتعلة على الفحش والفجور

والاسراف في كل الامور حتى يكون بها بيت الله تعالى كالزينة لا يمكن لمن يدخله أن يصلي فيه الا اذا كان معه سجادة يصلي عليها . ولعل الله تعالى يوفق الحكومة الى ابطال هذه الموالد بالمرّة اذا كان رجال الدين لا يسعون بازالة المنكرات الدينية منها . فان زعم الزاعمون ان فيها منفعة تجارية فلتكن اسواقاً تجارية لا صبغة للدين فيها . وقد أرادت إحدى الجرائد تسليّة الناس عن ابطال المولد الحسيني فقالت ان هذه الموالد ليست من أصول الدين ولكن النظافة من أصول الدين كأنها تعني أن الموالد من فروع الدين وان مراعاة الأصل مقدمة على مراعاة الفرع . ذلك جهل على جهل فأصول الدين عقائده والنظافة ليست منها وانما هي من الفروع العملية . وأما الموالد فليست من الاصول ولا من الفروع بل هي من البدع القبيحة والضلالات المشتعلة على كثير من الفواحش والمحرمات

﴿ الحجارة الإسلامية والاستهانة بالدين اعتماداً على الاولياء ﴾

فشا شرب الخمر في مسلمي مصر وجامروا به حتى كأنه مباح أو مستحب ويقال انهم أكثر شرباً من القبط والافرنج لكنهم ظلوا مقصرين في هذا النوع من الفسق اذ لم يشتغلوا ببيع الخمر حتى أزال عنهم طار التقصير واحد منهم اتخذ له حانة يفتخر بأنها الحانة الإسلامية الوحيدة . وكأن السكرى في الحانة الإسلامية هم المتحمسون فيها يسميه الجهلاء في هذه الايام لباب الاسلام وأظهر مميزات المسلمين . مثال من ذلك انني مررت من أمامها ليلاً فرأيت على بابها رجلاً يناهز الستين والكاس في يده وهو يصيح (ياسيد ياباب النبي) كأنه علم ان الذين يقدمهم هو وامثاله في شرب الخمر يشربون على أسماء الكبراء والامراء والملوك وهو ما تسميه الجرائد الآن النخب فأراد أن يشرب نخب السيد البدوي . والا فهو يشيد باسمه لأجل أن يشفع له . فخطر لي ان أرمي كلمة أنها بها فقلت « هل أمرك النبي بهذا » فصاح بأعلى صوته : هو يغفر لي : هو يحب السيد : الله يحب النبي والسيد : النبي عربي ما هو تركي . وقد علمت انه يعرض بذمي بكلمة تركي لأنه رأى زبني كربي علماء الترك ، وكأنني بمن معه قد اعتقدوا انه من الاولياء لأنه ذكر اسم الله والنبي والسيد على الخمر وان كان الفقهاء يعدون هذا استهانة بالدين ويحتوا في كفر صاحبه

سيجمع ما كتبه الجرائد وما نظمه الشعراء في فقيد العلم والاصلاح السيد عبدالرحمن الكواكبي في مجموعة تطبع فنرجو من الادباء الذين رثوه ولم يرسلوا الينا مراثيمهم ان يرسلوها عن قريب الى ادارة مجلة المنار بمصر ولهم التناء والشكر
(ارجاءنا الكلام في مسيح الهند الى الجزء الآتي)

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر الأولو الألباب

الملك

١٣١٥

فبشر عباده الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاربعاء ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ - ٢٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢)

هو الفيلسوف أبو الوليد محمد بن رشد قاضي القضاة في الاندلس

هذا الفيلسوف أشهر فلاسفة المسلمين وأكبر أساتذة أوروبا في العلم والفلسفة لأن فلسفته انتقلت من الأندلس (إسبانيا) إلى سائر بلاد أوروبا فكانت مبدأ نهضة الأوربيين الحاضرة . ولد سنة ٥٢٠ في قرطبة . وتوفي سنة ٥٩٥ في بلاد المغرب وقد نشرت مجلة الجامعة الغراء تاريخه وتكلمت عن فلسفته واستطردت إلى مسائل أخرى كمذهب المتكلمين في الوجود والمقابلة بين الإسلام والنصرانية في اضطهاد العلم والفلسفة وعدمه . وقد وقع في تلك الترجمة غلط في هذه المسائل . والإنسان دائماً عرضة للخطأ والغلط فيما تعلمه وأتقنه فكيف يكون حاله فيما لم يتعلمه بالتمام عن أهله إذا تكلم أو كتب فيه . وإن صاحب الجامعة الفاضل لم يتعلم علم الكلام الذي هو فلسفة العقائد الإسلامية لأنه ليس مسلماً ولا فلسفة اليونانيين لأنها قد نسخت بالفلسفة المصرية فلا شك عندنا أنه لم يعتمد تكفير القاضي ابن رشد ولا نسبة أئمة المسلمين في العقائد إلى إنكار ارتباط الأسباب بالمسيبات . ولكن بعض الذين قرأوا تلك الترجمة في مجلته أساءوا الظن به واحتسبوا عليه ورغبوا إلينا في الرد عليه لأن من وظيفة المنار الدفاع عن العقائد الإسلامية وعن أئمة المسلمين وطلب بعضهم مثل ذلك من بعض أساتذتنا الاعلام ، الذين يرجع اليهم إذا اعتكر من ليل الشبهات الظلام ، ولما رأينا ذلك الأستاذ وعد الطالبين بأن يكتب

في بيان حقيقة تلك المسائل التي وقع فيها الخطأ امسكنا نحن عن الكتابة لأنه هو الأجدر بالفصل بين الحق والباطل ، والذي اذا قال لم يترك مجالاً لقائل ، وقد تفضل علينا وعلى الجامعة بما كتب فنشر في هذا الجزء مقالته في فلسفة ابن رشد ومذهب المتكلمين . وسننشر في الاجزاء التالية مقالاته في « الاضطهاد في النصرانية والاسلام » تمهيد لمقالة الاستاذ الحكيم : لا بد لفهم قراء المنار هذه المقالة من ذكر مقالته الجامعة في فلسفة ابن رشد لأن كاتب المقالة لم يذكر فيها الا مواضع النقد قالت الجامعة :

﴿ المادة وخلق العالم ﴾

« ان اعظم المسائل التي شغلت حكيم قرطبة مسألة اصل الكائنات ، وهو يرى في ذلك رأي ارسطو . فيقول ان كل فعل يفضي الى خلق شيء انما هو عبارة عن حركة . والحركة تقتضي شيئاً لتحركه ويتم فيه بواسطتها فعل الخلق وهذا الشيء هو في رأيه المادة الاصلية التي صنعت الكائنات منها . ولكن ماهي هذه المادة ؟ هي شيء قابل للانفعال ولا حده ولا اسم ولا وصف . بل هي ضرب من الافتراض لا بد منه ولا غنى عنه . وبناء عليه يكون كل جسم ابدياً بسبب مادته اي انه لا يتلاشى ابداً لان مادته لا تتلاشى ابداً . وكل امر يمكن انتقاله من حيز القوة الى حيز الفعل لا بد له من هذا الانتقال والا حدث فراغ ووقوف في الكون وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة في العالم ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحولات المتتالية الواجبة لخالق العالم بل لما حدث شيء قط وبناء عليه فالعامل الاول الذي هو مصدر القوة والفعل (اي الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لان الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثا والخالق تنزه عن ان يكون حديثاً

﴿ اتصال الكون بالخالق ﴾

« هذا فيما يختص بخلق العالم وهو مذهب قريب جداً من مذاهب الماديين كما ترى . ولكن كيف يستولي العامل الاول على الكون ويدبره ؟ لابن رشد في ذلك تمثيل يدل على حقيقة مذهبه في هذه المسألة الخطيرة . فانه يشبه حكومة الكون اي تديره بحكومة المدينة . فانه كما ان كل شؤون المدينة تتفرق وتنتج الى نقطة واحدة وهي نقطة الحاكم العام فيها فيكون هذا الحاكم مصدراً لكل شؤون الحكم ولولم تكن له يد في كل شأن من هذه الشؤون كذلك الخالق في الاكون فانه نقطة دائرتها ومصدر القوات التي تدبرها وان لم يكن له دخل مباشرة

في كل جزء من هذه القوات . فبناء على ذلك لا يكون للكون « اتصال » بالخالق مباشرة . وإنما هذا الاتصال يكون للعقل الاول وحده وهذا العقل الاول هو عبارة عن المصدر الذي تصدر عنه القوة للكواكب . وعلى ذلك فالسما في رأي فيلسوف قرطبة كون حي بل أشرف الاحياء والكائنات ، وهي مؤلفة في رأيه من عدة دوائر يعتبرها أعضاء أصلية للحياة والنجوم والكواكب تدور في هذه الدوائر . اما العقل الاول الذي منه قوتها وحياتها فهو في قلب هذه الدوائر ولكل دائرة منها عقل اى قوة تعرف بها طريقها كما ان للانسان عقلا يعرف به طريقه وهذه العقول الكثيرة المرتبطة بعضها ببعض والتي تلي بعضها بعضاً محكومة بعضها ببعض اتماماً هي عبارة عن سلسلة من مصادر القوة التي تحدث الحركة من الطبقة الأولى في السماء الى ارضنا هذه . وهي عالمة بنفسها ويمما يجري في الدوائر السفلى البعيدة عنها . وبناء على ذلك يكون للعقل الاول الذي هو مصدر كل هذه الحركات علم بكل ما يحدث في العالم .

﴿ طريق الاتصال ﴾

« وان قيل ماهي علاقة الانسان بالخالق . فالجواب عن ذلك يأخذه ابن رشد أيضاً عن ارسطو من الفصل الثالث من كتابه « النفس » وخلاصة ذلك ان في الكون عقلاً فاعلاً وعقلاً منفعلاً فالعقل الفاعل هو عقل عام مستقل عن جسم الانسان وغير قابل للامتزاج بالمادة وأما العقل المنفعل فهو عقل خاص قابل للفناء والتلاشي مثل باقي قوى النفس وإنما يقع العلم والمعرفة بالإنحاد هذين العقليين . ذلك ان العقل المنفعل يميل دائماً للانحداد بالعقل الفاعل كما ان القوة تقتضي مادة تنفذ فيها والمادة تقتضي شكلاً توضع به . وأول نتيجة تحصل من هذا الاتحاد تدعى العقل المكتسب ولكن قد تتحد النفس البشرية بالعقل العام اتحاداً أشد من هذا فيكون هذا الاتحاد عبارة عن امتزاجها جد الامتزاج بالعقل القديم الأزلي . ولا يتم هذا الاتحاد بالعقل الاكتسابي الذي تقدم ذكره قائماً وظيفته العقل الاكتسابي ايصاله الى حرم الخالق الأزلي دون أن يدغمه به . وأما ادغامه واتصاله به فذلك أمر لا يتم الا بطريق العلم فالعلم إذاً هو سبب « الاتصال » بين الخالق والمخلوق . ولا طريق غير هذا الطريق . ومتى اتصل الانسان بالله صار مثله عارفاً بكل شيء في الكون ولم يعد يقته شيء . ولكن كيف يتصل الانسان بالله؟ يتصل به بان ينقطع الى الدرس والبحث والتقيب ويخسر بنظره حجب الاسرار التي تكتنف الكون فانه متى خرق هذا الحجاب ووقف على كنه الامور وجد نفسه

وجها لوجه امام الحقيقة الابدية
 « اما المتصوفة فانهم يقولون ان هذا «الاتصال» يتم بواسطة الصلاة والتأمل
 والتجرد وليس العلم ضروريا له
 « وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قاعدته
 العلم . والكون في رأيه كما مر بك انما صنع بقوة مبادي قديمة مستقلة محكومة بعضها
 ببعض وكلها مرتبطة ارتباطاً مبهماً بقوة عليا ومن هذه المبادي شئ يستولى على
 العالم ويضع فيه العقل فهو عقل الانسانية . وهذا الشئ الذي يسميه عقلاً أيضاً هو
 عقل ثابت لا يتغير أى انه لا يتقدم ولا يتأخر لا يزيد ولا ينقص . والناس يشتركون
 فيه ويستمدون منه بكميات متباينة . على أن من كان منهم أكثر استمداداً منه كان
 أقرب الى الكمال والسعادة »

﴿ الخلود ﴾

ثم تكلمت الجامعة بعد ما تقدم عن رأي ابن رشد عن خلود النفس فقالت بعد كلام
 مانصه : « قال : ان العقل الفاعل العام الذي تقدم ذكره من صفاته انه مستقل ومنفصل
 عن المادة وغير قابل للفناء والملاشاة ، والعقل الخاص المتفعل من صفاته الفناء مع جسم
 الانسان ، وبناء عليه يكون العقل العام الفاعل خالداً والعقل المتفعل قانياً ، ولكن
 ماهو العقل الفاعل العام الذي هو خالد في رأي ابن رشد ؟ ان هذا العقل الخالد
 هو العقل المشترك بين الانسانية فالانسانية اذاً هي خالدة وحدها دون سواها ، وبناء
 على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية ولا شئ مما يقوله العامة عن الحياة الثانية ، اهـ

﴿ دفع وهم عن فلسفة ابن رشد والمتكلمين ﴾

(لاساذ حكيم . وفيلسوف عليم)

قرأت ما نشرت الجامعة من ترجمة ابن رشد . مررت على ما نقلت
 من آراء المتكلمين وآرائه بغير تدقيق لأتبي أعرف آراء الفريقين من قبل
 ولم يكن لي قصد الى النقد وانما أريد أن أستفيد جديداً . لهذا لم يقف
 نظري لأول وهلة الا على ما حوته تلك الجملة (الاضطهاد في النصرانية
 والإسلام) قرأتها بتروء وانتهيت منها الى حكم من الجامعة يخالف ما اعتقد

ولا يلتئم مع ما أعرف ويعرف العارفون من الشواهد التاريخية . عند ذلك تحركت نفسي الى كتابة سطور ، أشير فيها الى كشف مستور ، أو إعادة ذكر مشهور على اسماع الجمهور

لاقاني بعض قراء تلك الترجمة فرأيت الأثر في نفسه أشد ، ولسانه في المتب أخذ . وذكر أشياء في غير هذا الفصل من الترجمة ولقّنتني الى إعادة النظر فيها . رجعت الى الترجمة فوجدت فيها موضعين آخرين يطلبان مني الكلام عليهما ، وبأن أحداث الجامعة فيها ، لو كانت منزلة الجامعة من نفسي منزلة غيرها من المجلات التي لا يُعنى كاتبوها الا بنقل ما يقع تحت أنظارهم ، أو تحبير ما يعبر عن أهوائهم وأفكارهم ، من دون عناية بتقرير الحقيقة ، ولا رعاية لمعتقدات القراء — لوجدت من شواغل عملي ما يصرفني عن ذكر ما عرض فيها . لكنها من المجلات التي لو أهملت مباحثها من إنعام النظر وجعلتها في جانب عما تستحقه من النقد لبخستها حقها ، ونُبوتُ بها عن موضعها ،

لهذا رأيت أن أذكر لها ما رأيت في ذينك الموضعين وأبين حقيقة الأمر في الثالث . أما الموضعان فهما (فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود) و (فلسفة ابن رشد وآراؤه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الانسان به والخلود) وهما موضوع كلاهما اليوم

فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود

قالت الجامعة : « فلسفة المتكلمين هذه (أي في وجود العالم) مبنية على أمرين . الأول حدوث المادة في الكون أي وجودها بخلق خالق . والثاني وجود خالق مطلق التصرف في الكون ومننصل عنه ومدبر له .

وبما أن الخالق مطلق التصرف في كونه فلا تسأل إذاً عن السبب إذا حدث في الكون شيء لأن الخالق نفسه هو السبب وليس من سبب سواه . إذاً فلا يلزم عن ذلك قطعياً أن يكون بين حوادث الكون روابط وعلائق كأن ينتج بعضها عن بعض لأن هذه الحوادث تحدث بأمر الخالق وحده . وفي الإمكان أن يكون العالم بصورة غير الصورة المصوّرة بها الآن وذلك بقدرة هذا الخالق ، ثم ذكرت في الجملة التي تلي ما تقدم أن هذه فوضى وأن روحاً جديداً أخذ يدخل شيئاً من النظام فيها ^(١)

حدوث المادة عند المتكلمين ليس معناه أن تكون بخلق خالق فان الخلق في اصطلاحهم هو الإيجاد وكون المادة صادرة عن موجد لم يختلف فيه المتكلم والفيلسوف الالهي . فأرسطو يقول ان المادة قد استفادت وجودها من موجدها وهو الواجب . وواسطة فيض الوجود عليها هو العقل الفعال على ما سيأتي بيانه وان كان لا أول لوجودها . وإنما حدوث المادة عند المتكلمين هو وجود الأجسام وعوارضها بعد أن لم تكن موجودة بحيث يفرض لوجودها بداية زمنية تنتهي اليها سلسلتها من جانب الماضي . ولا يجوز أن يوصف بالأزلية الا الله وحده وصفاته عند القائلين بأنها وجودية . وقبل هذه البداية التي لا يمكن تحديدها لم يكن وجود سوى وجود خالق الكون ثم انه أراد إيجاد الكون فوجدته من العدم البحت . هذا هو بناء مذهب المتكلمين وهو مذهب أهل النظر من

(١) ذكرت الجامعة الغراء أن منبع هذا الروح النظامي في مجلة المنار واستشهدت لذلك بالتفسير الذي نقبسه من دروس الأستاذ الامام كبير رجال النهضة الاسلامية الحاضرة

المسيحيين واليهود أيضاً فلم يخالف فيه مليّ من أهل الملل الثلاث
أما كون هذا المذهب وحده هو الذي يصح أخذه من القرآن أو
انه يجوز أن يتفق مع معاني القرآن رأي آخر بل هو الذي يظهر منه فذلك
بحث آخر لسنا بصدده الآن فان كلامنا في تصوير مذهب المتكلمين .
الأصل الثاني - وهو وجود خالق مطلق التصرف - لازم للأصل
الأول لأن هذا العالم اذا كان موجوداً بفعل موجد فموجده هو خالقه
وهو مطلق التصرف بمعنى انه يختار ما يخلق على الوجه الذي يخلق . والمتكلمون
وان اتفقوا على ان خالق العالم مختار انقسموا الى فريقين عظيمين فالقدرية
منهم ويسمّون بالمعتزلة أيضاً قالوا ان الخالق وضع للكون نظاماً تنطبق
أصوله على مصالح المخلوقين وأودع في المخلوقين قوى اوقدراً تصدر عنها
آثارها بطريق التوليد والسببية او بطريق الارادة والاختيار . فهذا
فريق من المتكلمين لا يخالف الفلاسفة في قولهم بلزوم الآثار لمصادرها
أو تأثير قدر المخلوقين في أفعالهم . وقد بقي من أهل هذا المذهب الى اليوم
طائفة الشيعة الامامية والزيدية فانهم لا يخالفون المعتزلة في هذه الأصول . فاذا
حدث في الكون حادث سأل صاحب هذا المذهب عن سببه المباشر له
وان كانت جميع الاسباب تنتهي الى مصدرها الأول وهو الخالق كما
يسأل الفيلسوف بلافرق .

والفريق الآخر الذي عتته الجامعة وهو الذي يري اسناد الآثار الى
الخالق مباشرة لم يقطع العلاقة بين الاسباب الظاهرة ومسبباتها بل قال
ان الله يُصدر وجود المسبب عند وجود السبب . فلا يقال ان الأكل
(مثلاً) هو الذي يحدث الشبع بل الشبع شيء يحدثه الله عند الأكل ولكنه

لا يحدثه عند الخوى الا اذا اراد أن يخرق النظام الذي جرت به سنته
 لأمر عظيم يريد توجيه النفوس اليه . وحملَ هذا الفريق على هذا القول
 انكاره نسبة الإيجاد ومنح الوجود الى شيء سوى واجب الوجود . وقالوا
 في الأفعال الاختيارية ان الله يوجد لها عند تعلق كسب العبد بها ولهم في
 تصوير معنى الكسب كلام طويل لا يليق بهذا المقال استيفاءه . وقالوا
 ان الأسباب والآلات لا بد منها في صدور الأثر الا ان الذي يعطيه
 الوجود عند استكمالها هو الخالق . ولهذا اتفق جميع المتكلمين على ان
 التكليف بالأحكام الشرعية يعتمد التمكن من الاتيان بالمكلف به من
 حيث حال المكلف وصرحوا بأنه لم يقع تكليف بشيء الا اذا تسرت
 أسبابه وارتفعت الموانع منه . غير انهم يلقبون هذه الأسباب بالمادية لانه
 ليس من الواجب على الخالق ان يلتزمها مع اعتقادهم بأنه قرر لها وجرت
 سنته بها . ولقبوا ما يحدث في العالم مخالفاً لها بخارق العادة . وليس كل
 غريب عندهم خارقاً للمادة بل الخارق هو ما لا يدخل في مكنة قوة حادثة
 ولا يقدر على احداثه الا القادر على مخالفة النظام الذي سنه وهو الله

هذا الفريق من المتكلمين يستند في إثبات صفة العلم لله تعالى الى ما في
 هذا العالم من النظام والى ما حواه ذلك النظام من الاسرار والحكم . وهل
 يتأتى هذا الاستناد منهم ان لم يقولوا بوجود الملاقة بين الاسباب ومسبباتها؟
 كان من هذا الفريق ائمة تناول بحثهم كثيراً من الفنون كالطب وعلوم
 المواليد والنبات والحيوان والمعدن منهم الائمة الرازيون كفخر الدين
 الرازي وأبي بكر الرازي ومحمود الرازي وأمثالهم . ومنهم مثل الامام أبي بكر
 الباقلاني . وكيف يتيسر لقائل انه لا علاقة بين الاسباب والمسببات ان

يرع في فنون بنائها على الارتباط بين الآثار وما يقارنها في العادة مما هو مصدر لها في بادي النظر .

فإذا حدث في الكون حادث سأل صاحب هذا المذهب عن سببه الذي جرت سنة الله بأن يكون معه . وإن شئت قلت سأل عن السبب الذي أصدر الله وجوده عنده . وهل يمكن أن يقول المتكلم أنه لا علاقة بين وجود الولد ووجود والديه أو بين جودة العمل وعلم العامل أو بين غزارة الثمر وخدمة الشجر ؟ هذا شيء لم يقل به قائل منهم قط وإلا لما قرأ واحد منهم كتاباً ولا خط في صحيفة سطرأ لأنه لا علاقة بين المطالعة والفهم ولا بين التحرير والأفهام

فإن شئت أن تقول أنه مذهب مع ذلك غامض يكذب الذهن في فهمه فلك أن تقول وإن تنعم النظر حتى تفهم مبانيه وأصوله وإن تناقش بالدلائل الدليل . وعلى الله قصد السبيل .

القول بنتي الرابطة بين الاسباب ومسبباتها جدير بأهل دين ورد في كتابه أن الإيمان وحده كاف في أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحوّل عن مكانك فيتحول الجبل ^(١) يليق بأهل دين يعدّ الصلاة وحدها إذا أخلص المصلي فيها كافية في اقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم العنصري . وليس هذا الدين هو دين الاسلام . دين الاسلام هو

(١) المنار — يشير الى ما جاء في انجيل لوقا من الباب ١١ و ٢٣ لاني الحق اقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان مايقوله يكون فهما قال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كلما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم ،

التي جاء في كتابه «وقل أعمالوا فسرى الله عملكم» الآية «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» الخ «سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» وأمثالها «ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار» الآيات. فلا يمكن لاهل هذا الدين وهو هو أن يقطعوا كل علاقة بين الاسباب في هذا العالم والمسببات. ولهم أن يتيهوا على أرباب ذلك الدين الآخربأن دينهم لم يوضع أساسه على دعث من الخوارق لا يلبث أن يخسف بالسالك فيه اذا سال عليه سبل الدليل، وانما وضع على مستقر من الحقائق لا يتزلزل بالقائم عليه مهما عظم القال والقليل، وايس من الممكن لمسلم أن يذهب الى ارتفاع ما بين حوادث الكون من الترتيب في السببية والمسببية الا اذا كفر بدينه قبل ان يكفر بعقله

نم طرا فساد على عقائد بعض المنتسبين الى ائمة ذلك المذهب وأساؤا الظن بالقدر وتظاهروا بترك الاسباب في أقوالهم، وان كانوا أشد الناس تمسكاً بها في ردائل أعمالهم، وتعلقوا من الخوارق بجبل واهن ميلا الى أهواء من جاورهم من الملل فظن الناظرون في قذائف أفواههم، ان هذه الأوهام مما بني عليه اعتقاد اسلافهم، فلا يفترون بعد ذلك مغتر بما يظن أولئك الناظرون، ولا بما يتوهمه هؤلاء الواهمون، «سبحان ربك رب العزة عما يصفون».

هذا ما يتعلق برأي الجامعة في مذهب المتكلمين أو فلسفتهم وننتقل الآن الى روايتها مذهب الفيلسوف ورأيها فيه

فلسفة ابن رشد ورأيه في المادة وخلق العالم

المادة وخلق العالم قالت الجامعة: ان المادة «ضرب من الافتراض لا بد

منه». الافتراض يراد به عند الإطلاق الفرض وهو في اصطلاح

الفلاسفة مالا وجود له والمادة عندهم موجودة كما قالت الجامعة فيما قبل ذلك التعريف وفيما بعده

ثم قالت : « وبناء عليه فالعامل الأول الذي هو مصدر القوة والفعل (أي الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لأن الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثا والخالق يزه عن أن يكون حديثا » . وقالت بعد هذا بسطرين : « وهو (أي مذهب ابن رشد) مذهب قريب جدا من مذاهب الماديين كما ترى » ثم ذكرت ان الفيلسوف يشبه حكومة الكون بحكومة المدينة وأن المباشر للتصرف في الكون هو العقل الأول وحده وأن السماء كون حي مركب من عدة دوائر والعقل الأول في قلب هذه الدوائر ولكل دائرة عقل أي قوة تعرف بها طريقها ، الخ أما مسألة نفي الاختيار فقد ذكرت على إيهامها وأدّى ذكرها كذلك الى استنتاج ان مذهب ابن رشد قريب من مذهب الماديين وليس الامر في حقيقته كذلك

يعلم كل ناظر في مذاهب فلاسفة اليونان أنهم كانوا فريقين آلهيين وماديين والأولون فريقان مشاؤون وإشراقيون وأشتهر أتباع ارسطو باسم المشائين وأتباع أفلاطون باسم الإشراقيين وأول مميز للآلهيين عن الماديين ان الأولين يقولون بوجود واجب برئ من المادة والماديات وبوجود عقول مجردة عن المادة وغواشيها وبان للواجب علما بذاته وبجميع ما يصدر عنه وعن آثاره وان للعقول المجردة عقلا وعلما بذواتها وبمبدئها وبما يصدر عنها . والماديون لا يقولون بشيء من ذلك ألبتة فالتقريب بينهما تقريبا بين النقيضين . وابن رشد من

مقرري مذهب ارسطو فهو من الآلهيين

وتشبيه الفيلسوف لتدبير الكون بتدبير المدينة اكبر دليل على مفارقة الماديين كما يفارق المجرد المادّة . وقد شرطوا في هذا التشبيه ان المدبر خارج عن المدبر مفارق له منزّه عن مخالطته

اما العقل الاول فليس كما تقول الجامعة . فان العقل الأول جوهر مجرد عن المادة وهو أول صادر عن الواجب وقد صدر عنه الفلك التاسع المسمى عندهم بالفلك الأطلس ونفس ذلك الفلك تدبر حركاته الجزئية وعقل آخر هو العقل الثاني وعن هذا الثاني صدر الفلك الثامن المسمى عندهم فلك الثوابت ونفسه والعقل الثالث وهكذا الى أن صدر عن العقل التاسع فلك القمر ونفسه والعقل العاشر وهو المسمى عندهم بالعقل الفعال او العقل الفياض وعن هذا العقل صدرت المادة العنصرية واليه يرجع ما يحدث في عالمها . ولا يكون العقل الأول ولا غيره من العقول في قلب تلك الدوائر عند أحد من هؤلاء الفلاسفة الآلهيين بل هو مفارق لها كما ان نفوسها جواهر مفارقة أيضاً ولها تعلق باجسادها كتعلق أنفسنا بأبداننا على ما سيأتي بيانه

والذي حمل الآلهيين على ذلك مبالغتهم في تنزيه الواجب وقولهم انه واحد من جميع الوجوه وزعمهم ان الواحد من كل وجه لا يصدر عنه الا الواحد فيلزم ان لا يصدر عن الواجب الا واحد وهو العقل الأول . ولما تعددت وجوه العقل في ذاته والنسبة بينه وبين مصدره وعتله لذاته وعقله لموجده صبح أن يصدر عنه متعدد . ولهم في الاستدلال على حياة الأفلاك مقدمات لا حاجة الى ذكرها لأن الكلام في تصوير مذهبهم

لا في تقريره أو إبطائه

فالعقول عند الفيلسوف ليست مخالطة للمادة ولا ينشأها شيء من ظلماتها وليس العقل الأول بمدير الكون وإنما هو مصدر الفلك الاطلس ومفيض نفسه عليه وخزانة معقولاته . وهكذا الأمر في كل عقل مع الفلك الذي صدر عنه . وتدير العالم العنصري وهو مادون فلك القمر راجع الى العقل العاشر وهو العقل الفعال .

قال الفلاسفة الآلهيون : ولا يجوز أن تكون لأفعال الله غايات واغراض تبعثه على إصدارها وان ما يصدر عنه إنما يفيض بمحض الجود المطلق عن غنى مطلق وقد صرح ابن رشد في تهذيبه لألهيات ارسطو بذلك . وهذا مبالغة منهم في نسبة الكمال الى الله على ان ما يصدر عنه إنما يصدر عن علم فالذي يتقى عنه إنما هو الاختيار بمعنى التردد بين الغايات ثم ترجيح إحداها اما الاختيار بمعنى ان الفعل صدر عن علم العالم بدون اكراه عليه فذلك لا ينفيه أحد منهم . والمليون من متكلمين ولاهوتيين وان لم يصرحوا بذلك قالوا بما يؤول اليه والتزموه . فقد ذهب جمهورهم والمؤول على رأيه عند قومه منهم أن علم الله محيط بالكليات والجزئيات أزلاً وأبداً وقد تعلق إرادته بتخصيص كل كائن بما هو عليه على حسب علمه . وعلمه لازم لذاته أزليٌّ بأزلية ذاته وكل ما يكون في الكون لا بد أن يقع على وفاق مع علمه الأزلي جل شأنه فلا تردد عنده بين الغايات بل ما يصدر عنه اليوم كان لا بد ان يصدر عنه . والأسباب والمسببات وارتباط بعضها ببعض مما انتظم في علمه فهي تصدر عنه على حسب ترتيبها في العلم . وسواء كان القول غامضاً أو غير غامض وسواء توجه عليه من النقد ما يصعب الجواب عنه

إذا روعيت بقية الأصول أولم يتوجه كل ذلك لا يدفع عنهم انهم قالوا بنفي الاختيار بالمعنى المعروف عند الناس وإن ثبت الاختيار بالمعنى الذي يليق بكمال الله تعالى . فالفلاسفة وجمهور المتكلمين واللاهوتيين على وفاق في حقيقة المسألة وإن اختلفت العبارات . فإن رشد رحمه الله لم يخرج في آرائه عن الملبيين فلا يصح أن يكون مذهبه مذهب الماديين ولا قريباً منه

﴿ طريق الاتصال ﴾

يتوهم الناظر في هذا العنوان في الجامعة مع مراعاة الفصل الذي تقدمه فيها أنه عنوان لرأي ابن رشد في طريق اتصال الكون بالخالق فإذا استمر في قراءة ما يمد العنوان إلى آخر الفصل علم أن المراد طريق اتصال الإنسان وحده بخالقه وعثر في آخر البحث على هذه العبارة : « وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قاعدته العلم » : أما ما بين العنوان وهذه العبارة فهو مما لا يمكن أن يتحصل له معنى مفهوم في مذهب الفيلسوف . وإني ذاكر لك رأيه في اتصال الإنسان بالله أي قرب منه وسعادته به وفي طريقة تكميله لنفسه حتى يستعد لذلك القرب وبذلك تعرف أن ما جاء في الجامعة ليس بالذي تصح نسبته إليه خصوصاً بعد قولها أنه أخذ مذهباً في ذلك عن أرسطو من الفصل الثالث من كتابه (النفس) ومقاله أرسطو في ذلك الكتاب معروف مشهور

أثبت أرسطو وتبعه ابن رشد وجل فلاسفة الإسلام أن نفس الإنسان التي هو بها إنسان - وهي ما يلقونها بالنفس الناطقة - جوهر مجرد عن المادة لا هو جسم ولا حال في جسم وإنما له علاقة بالجسم يدبره ويعصره وشبهوا هذه العلاقة بعلاقة الملك بالمدينة وهو خارج عنها ولهذه

النفس آلة في الجسم بها يكون التدبير

وقالوا ان انطباع المحسوسات والمعاني الجزئية في الحواس الظاهرة والباطنة على ما فصلوه يُعدّ النفس لقبول الكليات ويهيئها لتلقي المعقولات عن مفيضها عليها وهو العقل الفعّال الذي سبق لنا ذكره وجعلوا مراتب النفس في استحصالتها كمالها العلمي وبلوغها ذروته اربعاً (الأولى) العقل الهولاني وهو قوة استعداد النفس نحو المعقولات وتسميته عقلاً تسمية مجازية و (الثانية) العقل بالملكة وهي القوة التي تحصل للنفس عند حصول المعقولات الأولى مثل الجزء والكل ومثل الحكم بأن الأول أصغر من اثني ومثل النفي والاثبات والحكم بأنهما لا يجتمعان في محمول واحد لموضوع واحد . وكذلك كل ما خلص من محسوس وهو لا يحتاج في تخليصه الى فكر . والنفس تهيأ بهذه القوة لاكتساب المعقولات الثانية إما بالفكر وإما بالحدس وليس الحدس هو الظن كما هو في المشهور بل هو سرعة انتقال النفس من المبادئ الى المطالب او انتقال النفس من المعلومين الى الوسط الذي يصل بينهما ومن ذلك الى معلوم ثالث بلا تجشم نظر ولذلك جعل مقابلاً للفكر الذي هو النظر بعينه ؛ و (الثالثة) قوة تسمى العقل المستفاد وهي ان تحصل المعقولات الثانية بالعقل متمثلة كالأولى مشاهدة في الذهن . والرابعة قوة تسمى (العقل بالفعل) وهي ما به تتمكن النفس من استحضار المعقول المكسب المفروغ منه متى شئت من غير افتقار الى اكتساب

قالوا والذي يرقى بالنفس في هذه المراقي هو العقل الفعّال وهو ذلك العقل المباشر المصروف للمادة العنصرية لاعقل الانسانية العام كما تقول الجامعة

فان أرسطو وابن رشد لا يقولان بعقل يسمى عقل الانسانية العام بل كان ذلك من مزاعم افلاطون التي عني أرسطو بإبطالها وتبعه ابن رشد وغيره في نفيها . فالعقل الفعال هو الذي يخرج النفس من العقل الهولاني الى العقل بالملكة ومن العقل بالملكة الى العقل المستفاد ومنه الى العقل بالفعل . ولما كان العقل الفعال جوهرًا عقليًا بالفعل كانت المعقولات بأسرها حاصلة له بالفعل اما نفوسنا فهي عقول بالقوة ولكنها اذا استعدت استعدادا خاصا للاتصال بذلك العقل أى بالاقبال عليه وتوجيه وجهتها نحوه ارتسم منه فيها الصور العقلية الخاصة بذلك الاستعداد الخاص لأحكام خاصة . وإدراك المعاني الجزئية بواسطة الحواس وحركة النفس في المعقولات الأولى والبحث والتجربة والدرس وما ينحو هذا النحو كل ذلك من محصلات الاستعداد لقبول المعقولات في الموضوعات التي كان الاستعداد فيها . فاذا اعرضت النفس عن العقل الفعال والتفت الى جانب الحس أو الى صورة أخرى غير التي حصلت لها بذلك الاستعداد انمحي التمثيل الذي كان أولا كأن المرأة التي كان يحاذي بها جانب القدس ، قد أعرض بها عنه الى جانب الحس ، أو الى شيء آخر من الامور القدسية

قالوا وهذا الاتصال الذي يفيض به العقل الفعال على النفس ما استعدت له من المعقولات له علة وعلة قوة بعيدة هي العقل الهولاني وقوة كاسبة هي العقل بالملكة وقوة تامة الاستعداد لها أن تقبل بالنفس جهة الاشراف متى شاءت بملكة متمكنة وهي المسماة بالعقل بالفعل

ثم ان الفيلسوف واتباع مذهب ارسطو ذكروا آراء بعض الفلاسفة ممن لا يعتد بقولهم وفيها ما يشبه ما نسبته الجامعة لابن رشد . منها ان الجوهر

العقل اذا عقل صورة عقلية صار هو اياها . واستدلوا على استحالة هذا القول بأنه يلزم عليه أن يصير النفس جميع المقولات التي تحصل لها وتصير المقولات كلها معقولا واحداً بل يلزم عليه انعدام النفس ووجود ما عقلته أو استحالة النفس اليه وهو محال وخلاف الفرض . ونقلوا عن فرفوروس انه قال : ان النفس الناطقة اذا عقلت شيئاً فانما تعقل ذلك الشيء باتصالها بالعقل الفعال وهو حق في رأيهم ولكنه قال ان معنى اتصالها بالعقل الفعال ان تصير هي نفس العقل الفعال لأنها تصير العقل المستفاد . والعقل الفعال يتصل نفسه بالنفس فيكون العقل المستفاد . وقد أبطلوا هذا القول بأنه يستلزم أن يكون العقل الفعال متجزئاً قد يتصل منه شيء دون شيء وهو مجرد لا يتجزأ أو تتصل به النفس اتصالاً واحداً تكون به النفس كاملة واصله الى كل معقول وهو ليس بحاصل في جميع الاحوال . وقالوا ان دعوى اتحاد شيء بشيء آخر على معنى استحالة الاول الى الثاني قضية شعرية غير معقولة فلا يصح النظر فيها . أما استحالة النفس الى العقل الفعال فلم يقل به أحد

فقد عرفت من هذا ان اتصال النفس بالعقل الفعال ليس بمعناه القناء فيه أو الاندغام كما عرفته الجامعة بل بمعناه ان ترتفع النفس بقواها عن ظلمة الطبيعة بما يكون لها من الاستعداد وتجذب نحو العالم الأعلى ، فتشرق فيها المعلومات بمحاذاتها لمطلع ذلك النور الأعلى ، فهل مع هذا يصح أن ينسب الى الفيلسوف ما عده غير معقول ؟

قال الفيلسوف وشيعته ان النفس الناطقة التي هي موضوع ما للصورة المعقولة غير منطبعة في جسم تقوم به بل هي جوهر عاقل ذواته بالجسم

فاذا استحال الجسم عن أن يكون آلة لها وحافظاً للعلاقة معها بالموت لم يضر ذلك جوهرها بل تكون باقية بما هي مستفيدة الوجود من الجواهر العقلية . فالنفس بعد مفارقتها للبدن باقية على استقلالها لاتعدم شخصيتها بالقضاء في شيء سواها لاعقل فعال ولا وجود واجب وهي تسعد بكما لها العلمي والادبي الذي حصلته مدة تعلقها بالبدن . وجوز الفيلسوف أن تتعلق بعد فراقها للبدن بجسم آخر من عالم آخر تتخيل فيه ماهو لذة لها . وتشقى بجهلها ورداءة ملكاتها . فالنفس عند الفيلسوف باقية خالدة . خلودها خلود لشخصها المتميز من كل شيء سواها سواء كان عقلاً فعالاً أو غيره .

فهل بعد هذا يعدّ الفيلسوف مادياً ومذهبه مذهباً مادياً قاعدته العلم؟ لا بل هو إلهي ومذهبه مذهب إلهي قاعدته العلم قائل بخلود النفس وسعادتها وشقاؤها وعذابها ونعيمها كما رأيت

بقي علينا أن نشير الى ما نقله فلاسفة أوروبا عن الفيلسوف الجليل ابن رشد في مبدإ العالم ومصدر وجوده . قالوا : لم يكن يُعرف العلم والفلسفة عند الأوربيين الا في مدارس المسلمين في اسبانيا فكان يقصد تلك المدارس طلاب العلم من كل ناحية . كان يجلس في درس الفيلسوف عدد عظيم . لم تأت نهاية القرن الثاني عشر (الميلادي) الا وقد انتشر بين المشتغلين بشيء من العلم رأي زعزع طمأنينة الكنيسة وأفزع القابضين على مفاتيح القلوب بذلك الوقت الواقفين على أبوابها يأذنون لما شاؤوا من العقائد والأفكار أن يدخل فيها ويطردون عنها ماشاءوا . ذلك الرأي الذي أخذ يتسرّب الى القلوب رغم حجابها هو أن الكون أجمع يرجع في وجوده الى واحد هو حياة الكل وهو روح يقوم به كل جزء منه . وقالوا : ان

الذي نشر هذا المذهب بين الناس هم تلامذة ابن رشد قههم بعض علمائهم من ذلك ان ابن رشد كان يقول ان مبدأ العالم هو أصل عرضت له صور العالم أو روح ظهر في مظاهر الكائنات كما يقول الصوفية أو نحو ذلك . واستتبع هذا رأيا آخر وهو ان كل صورة من صور الموجودات اذا بطلت فأنما تعود الى أصلها وهو الوجود المطلق . وظن الواهم ان الأرواح تعود بعد مفارقة الاجسام ؛ الى مشرقها العام ، وتفقد امتيازها فيه وذلك كله وان ذهب اليه بعض النظر من الأوربيين غير ما يقول ابن رشد . أما ما يقول ابن رشد فهو ما ترى :

قال ابن رشد وكل من تابعه على رأيه ولم يخالفوا في ذلك أرسطو : ان الممكن لا وجود له في ذاته وإنما يستفيد الوجود من غيره وقد كانوا قالوا ان جميع ما في الكون ماعدا واجب الوجود المبرأ من المادة وغواشيها فهو ممكن فكل ما في العالم فهو مستفيد الوجود من غيره فذلك الغير ان كان ممكنا فكيف يعطي الوجود وهو لا وجود له الا من غيره فاذا استمد منه مستمد فأنما يستمد من فضل ذلك الوجود الذي جاءه من موجد له الى أن ينتهي الى الوجود الأول . فكل وجود سطع على الممكنات فهو قائن من وجود الواجب فلا وجود الا من وجوده أو كل وجود فهو شعاع لضياء وجوده فاذا حرر المعنى من هذا على وجه أمكن عند العقل وجدته يرجع الى ما قاله السيد الشريف من أنمة أهل السنة وغيره وهو

ان الممكن ليس بشيء في ذاته ثم يكون شيئا بالإنيجاد . والإنيجاد لو حققته أمر اعتباري انتزاعي له منشأ في الواقع وذلك المنشأ هو ذات الموجد وماهية الموجود الممكن التي صارت شيئا بتلك العلاقة الاعتبارية

بينها وبين موجدتها وهي ما يسمونه تعلق القدرة بالمقدور . وماهية الممكن ليست بوجود ولا الوجود أمر موجود قائم بها . فاذا ليس من وجود في نفس الامر الوجود الواجب فكان الوجود الحقيقي واحدا وسائر ما يسمى وجودا أو موجودا فاما ينال ذلك بالاضافة الى الوجود الحقيقي . وأولى بالتسمية أن تكون مجازية من أن تكون حقيقية

مع ذلك لا يزال صاحب هذا القول يعتقد بتجرد الواجب عن المادة والمدة الا أن من تلقفه منه توسع فيه حتى كان من ذيله رأي القائلين بأن الموجد الأول روح سار في العالم واليه يرجع كل أشخاصه لفناء شخصيتهم فيه وما هو برأي ابن رشد ولا يعرفه

على ان الصوفية وهم المصرحون بوحدة الوجود المعبرون بالشهود أولا والفناء آخر الناطقون في ذلك بما لم ينطق به أحد سواهم لم يقولوا بزوال هويّات النفوس زوالا حقيقيا بل قالوا انها خالدة بمد مفارقة الابدان ولكنها تسعدني خلودها باستغراقها في شهودها ، وذهولها عن كل ما يشغلها عن مصدر وجودها ، فهي غنية بعرفانه عن معرفتها بنفسها وهو ما يعبر عنه بالفناء ولذته ، والمحو وبهجته ، وهو معنى تقصر دون إيضاحه العبارات ، وان كفى في تعريفه لأهله أخفى الإشارات ؛

ولعل الجامعة لا تعتب على الكاتب فيما كتب ؛ وفيما أجاب به من طلب ، فقد وفي حقها لو اغفل مع علمها بالقدرة عليه ، لحق لها أن توجه العتب اليه ، هذا ما أردنا إيجاز القول فيه متعلقا بفلسفة المنكاملين ورأي الفيلسوف وسنتبعه بمقال آخر فيما حكمت به الجامعة من الكلام ، على الاضطهاد في النصرانية والاسلام ، ان شاء الله تعالى

﴿ تتمه الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى ﴾

قال (المحدث اليمني) اننا معاشر أهل اليمن ومن يلينا من أهل الجزيرة كما اننا لم نزل بعيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزل على مذهب السلف في الدين بعيدين عن التفنن فيه ومسلكننا مسلك أهل الحديث وأكثرنا نخرج الاحكام على أصول اجتهاد الامام زيد بن علي بن زين العابدين أو أصول الامام أحمد بن حنبل واني أذكر للاخوان حالتنا الاستهدائية عسى ان الذكري تنفع المؤمنين . وعسى أن يعلم المسلمون ولا سيما الاتراك ومن يحكمون اننا من أهل السنة لا كما يوهمون أو يتوهمون فأقول ان المسلمين عندنا على ثلاث مراتب العلماء والقراء والعامه .

فالطبقة الاولى (العلماء) وهم كل من كان متصفاً بخمس صفات

(١) أن يكون عارفاً باللغة العربية المضربة القرشية بالتعلم والمزاولة معرفة كفاية لفهم الخطاب لا معرفة احاطة بالمفردات ومجازاتها وبقواعد الصرف وشواذه والنحو وتفصيلاته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاته بما لا يتيسر اتقانه الا لمن يفنى ثاني عمره فيه مع انه لا طائل تحته ولا لزوم لاكثره الا لمن أراد الادب .

(٢) أن يكون قارئاً كتاب الله تعالى قراءة فهم للمتبادر من معاني مفرداته وتراكيبه مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها المدونة المأخوذة من السنة والآثار وتفسير الرسول عليه السلام أو تفاسير أصحابه عليهم الرضوان ومن المعلوم أن آيات الأحكام لا تتجاوز المائة والخمسين آية عداً (١) .

(٣) أن يكون متضلماً في السنة النبوية المدونة على عهد التابعين وتابعيهم أو تابعي تابعيهم فقط بدون قيد بمائة ألف أو مائتي ألف حديث بل يكفي ما كفى مالكا في موطنه وأحمد في مسنده ومن المعلوم أن أحاديث الأحكام لا تتجاوز الألف وخمسة حديث ابداً (٢) .

(٤) أن يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي وأصحابه وأحوالهم من كتب السيرة القديمة والتواريخ المعتمدة لأهل الحديث كالحافظ الذهبي وابن كثير ومن قبلهم كابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كمالك والزهري وأضرابهم .

(٥) أن يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعاليميين (٣)

(١) قد أحاط بها التفسير الاحمدى الهندي (٢) وقد أحاط بها الامام الشوكاني

اليمني (٣) قد حقق الغربيون ان لا ثمرة من المنطق كليا فاهملوه مع أنهم يعتنون بالبحث عن وسائل تفاهم العجماوات من الاصل ولعله يريد بما أحاط به الشوكاني

والفلسفة اليونانية والآليات الفيثاغورية وبيانات الكلام وعقائد الحكماء ونزعات المعتزلة وإغرابات الصوفية وتشديدات الخوارج ونحريجات الفقهاء المتأخرين وحشويات الموسوسين وتزويقات المرائين ونحريقات المدلسين . (مرعى)

فاهل هذه الطبقة يستهدون بأنفسهم ولا يقلدون الا بعد الوقوف على دليل من يقلدون فاذا وجدوا في المسألة قرآناً ناطقاً لا يتحولون عنه لغيره مطلقاً واذا كان القرآن محتملاً لوجوه فالسنة قاضية فيه مفسرة له . ثم ما لم يجدوه في كتاب الله أخذوه من صحيح سنة رسول الله سواء كان الحديث مستفيضاً أم غير مستفيض عمل به أكثر من واحد من الصحابة المجتهدين ام لم يعمل به الا واحد فقط ومتى كان في المسألة حديث صحيح لا يعدلون عنه الى اجتهاد . ثم اذا لم يجدوا في المسألة حديثاً يأخذون باجماع علماء الصحابة ثم بقول جماعة من الصحابة والتابعين ولا يتقيدون بقوم دون قوم فان وجدوا مسألة يستوي فيها قولان رجحوا أحدهما بمرجح يقوم في الفكر لا يتبعون فيه أصولاً موضوعة غير مشروعة أو طرقاً مقررة غير مرفوعة . وأهل هذه الطبقة عندنا ينورون اذهانهم بأصول استدلالات الامام زيد رضى الله عنه أو غيره من الائمة في تحريجهم الاحكام واستنباطها من النصوص بدون قيد بتقليد أحدهم خاصة دون غيره . لانهم لا يجوزون اتباع امام اذا رأوا ما ذهب اليه في المسألة بعيداً عن الصواب فلا يقلدون أحداً تقليداً مطلقاً كأنه نبي مرسل

والطبقة الثانية هم (القراء) وهم الذين يقرآن كتاب الله تعالى قراءة فهم بالاجمال مع اطلاع على جملة صالحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء يستهدون في أصول الدين بأنفسهم لانها مبنية غالباً على قرآن ناطق أو سنة صريحة او اجماع عام مفسر لغير الناطق والصريح

وأما في الفروع فيتبعون أحد العلماء الموثوق بهم عند المستهدي من الاقدمين أو المعاصرين بدون ارتباط بمجتهد مخصوص أو عالم دون آخر مع سماع الدليل والميل الى قبوله كما كان عليه جمهور المسلمين قبل وجود التعصب للمذاهب

والطبقة الثالثة هم (العامة) وهؤلاء يهديمهم العلماء مع بيان الدليل بقصد الاقتناع فالعلماء عندنا لا يجسرون على أن يفتوا في مسألة مطلقاً ما لم يذكروا معها دليلها من

كتاب متنى الاخبار الذى شرحه وهو ليس له . والغريبون لم يهتموا المنطق واتما خرجوا به عن النظريات المحضة

الكتاب أو السنة أو الاجماع ولو كان المستفي أمياً لا يفهم ما الدليل وطريقتهم هذه هي طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والائمة المجتهدين والفقهاء الاولين من أهل القرون الاربعة أجمعين (مرحى)

والتزام علمائنا هذه الطريقة مبني على مقاصدهمة أعظمها تضيق دائرة الجراءة على الاقتاء بدون علم وفي هذا التضيق على العلماء توسعة على المسلمين وسد لباب التشديد في الدين والتشويش على القاصرين ولهذه الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله في التكثير على المتجاسرين على التحليل والتحريم والمستسلمين لمحض التقايد

فالعالم عندنا لا يستطيع ان يجيب الا عن بعض مايسأل ولا يأتف أن يقف عند «لأدرى» بل يحذر ويخاف من غش السائل وتغريه اذا أجابه بأن فلاناً المجتهد يقول ان الله أحل كذا أو حرم كذا لان السائل لا يعلم مايعلم هو من ان هذا المجتهد الذى ليس بمعصوم كثيراً ما يخالف في قوله من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين ومن انه يتردد في رأيه وحكمه كم اجتهد وكم رجع ومن أن أكثر دلائله اما ظنية الثبوت او ظنية الدلالة او ظنيتهما ومن انه لم يدون ما قاله ولكن نقله عنه الناقلون وكم اختلفوا في الرواية عنه بين سلب وإيجاب ونفي وإثبات وكم زيف أصحابه اجتهداه ورأوا غير مارآه ومن انه أي المجتهد انما اجتهد لنفسه وبلغ عذره عند ربه وصرح بعدم جواز ان يتبعه أحد فيما اجتهد وتبرأ من تبعة الخطاء

فهذا (الامام مالك) رضي الله عنه يقول ما من أحد الا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل المؤرخون أن المتصور لما حج واجتمع بمالك اراده على الذهاب معه ليحمل الناس على الموطاء كما حمل عثمان الناس على المصحف فقال مالك لا سبيل الى ذلك لان الصحابة افرقوا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في الامصار يريد ان السنة ليست بمجموعة في موطنه الذى جمع فيه مرويات أهل المدينة .

وحكى في البواقيت والجواهر أن (ابا حنيفة) رضي الله عنه كان يقول لا ينبغي لمن لا يعرف دليلي أن يأخذ بكلامي وكان اذا أفتى يقول هذا رأي التعمان بن ثابت يعني نفسه وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء باحسن منه فهو أولى بالصواب

وروى الحاكم والبيهقي ان (الشافعي) رضي الله عنه كان يقول : اذا صح الحديث فهو مذهبي . وفي رواية اذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط وانه قال يوماً للمزني يا ابراهيم لا تقلدني فيما أقول وانظر في ذلك

لنفسك فانه دين وكان يقول لا حاجة في قول احد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن (احمد ابن حنبل) رضي الله عنه انه رأى بعضهم يكتب كلامه فانكر عليه وقال تكتب رأياً لمي أرجع عنه وكان يقول ليس لاحد مع الله ورسوله كلام وقال لرجل لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الاوزاعي ولا الحنفي ولا غيرهم وخذ الاحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة وأسس مذهبه علي ترك التأويل والترقيع بالرأي واتباع الغير فيما فيه طريق العقل واحد

ونقل الثقة أن (سفيان الثوري) رضي الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه ففرقها جميعاً

وروي عن (أبي يوسف وزفر) رحمهما الله تعالى انهما كانا يقولان لا يحل لاحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا وقيل لبعض أصحاب أبي حنيفة انك تكثر الخلاف لأبي حنيفة فقال لانه أوتي من الفهم ما لم تؤت فأدرك ما لم ندرك ولا يسعنا أن نفتي بقوله ما لم نفهم دليله وقنع (مرحى)

ثم قال أيها الاخوان الكرام قد أطلت المقال فاعذروني فاني من قوم القوا ذكر الدليل وان كان معروفاً مشهوراً وقد ذكرت طريقة علماء العرب في الجزيرة منوها بفضلها لا بفضلهم على غيرهم كلا بل غالب علماء سائر الجهات أحد ذهنياً وأدق نظراً وأغزر مادة وأوسع علماً ولذلك لم نزل نحن في تعجب وحيرة من نظر أولئك العلماء المتبحرين في انفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسد باب الاجتهاد

نعم لم يسبق في الامكان ان يأتي الزمان بمثال ابن عمر وابن العباس أو النخعي وداود أو سفيان ومالك أو زيد وجعفر أو النعمان والشافعي أو أحمد والبخاري رضي الله عنهم أجمعين ولكن متى كلف الله تعالى عباده بدين لا يفقهه الا أمثال هؤلاء النوابغ العظام أليس أساس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيه (انا جعلناه قرآناً عريباً لعلمكم تعقلون) وقال تعالى (كتاب فصلت آياته قرآناً عريباً) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) فما معنى دعوى العجز والتمثل بمن قالوا (قلوبنا غاف) حمانا الله تعالى (مرحى)

أما السنة النبوية أفلم تصل إلينا مجموعة مدونة بهمة أئمة الحديث جزاهم الله خيراً الذين جابوا الاقطار والبلاد التي تفرق إليها الصحابة رضي الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودونوها وسهلوا الاحاطة بها بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير

أفراد من علماء الصحابة الذين كانوا ملازمين النبي عليه السلام .
وكذا يقال في حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعاني الغريب في القرآن والسنة
فان علماء التابعين وتابعيهم والناسجين على منوالهم رحمهم الله لم يألوا جهداً في ضبطها وبيانها .
وكذلك الأئمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد
والاستنباط والتخريج والتفريع وقياس النظر على النظر فهم ارشدونا الى الاستهداء
وما أحد منهم دعانا الى الاقتداء به مطلقاً (مرحى)

ثم اننا اذا أردنا ان ندقق النظر في مرتبة علم اولئك المجتهدين العظام لانجدهم
علما وهيباً أو كسبياً خارقاً للعادة فهذا الامام الشافعي رحمه الله وهو أغزرهم مادة
وأول وأعظم من وضع أصولاً لفقهاء نجله قد أسس مذهبه على اللغة فقط من حيث
المشترك والمتباين والمترادف والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والشرط والجزاء
والاستثناء المتصل والمتفصل والمنقطع والمطف المرتب وغير المرتب والقور والتراخي
والحروف ومعانيها الى قواعد أخرى لا تخرج عن علم اللغة واسعاً أبا حنيفة في ادخاله
في أصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل دلالة المطابقة والتضمن والالتزام ومعرفة
الجنس والتوابع والفصل والخاصة والعرض والمقدمتين والنتيجة والقياس المتبع . وتابعه
أيضاً في قياس ما لم يرد فيه قرآن أو حديث على ما ورد فيه وهكذا فتح كل من اولئك
الأئمة العظام لمن بعده ميداناً واسعاً فجاء اتباعهم ومدوا الاطناب واكثروا من الابواب
وتفتوا في الاشكال وتنويع الاحكام وأحدثوا علمي الاصول والكلام . وهذا التوسيع
كله ليس من ضروريات الدين بل ضرره أكثر من نفعه وما أشبه الامور الدينية
بالامور المعاشية كلما زاد التأنيق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة انسابت الراحة

والقول الذي فيه فصل الخطاب ان الله سبحانه وله الحكم لم يرض منا ان نتبع الا علم
الافضل بل كلفنا ان نستهدي من كتابه وسنة رسوله على حسب امكاننا وطاقتنا وهو يرضى منا
بجهلنا حيث قال تعالى (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) فنسأل الله التوفيق لسواء السبيل .
قال (الاستاذ الرئيس) اني أحمد الله تعالى على توفيقه ايانا الى هذا الاجتماع
المبارك الذي استفدنا منه ما لم نكن نعلمه من قبل عن حالة اخواننا وأهل ديننا في
البلاد المتباعدة ولم يكن يسمع بعضنا عن بعض شيئاً الا من السباح المتكدين الجهلاء
الذين لا يعرفون ما يصفون أو من أهل السياسة والعلماء المتشيعين لهم الذين ربما
يموهون الحق بالباطل بقصد تفريق الكلمة ومنع الائتلاف (مرحى)

ثم قال هذا واليوم قد انسحب ذيل الظل وقرب الزوال وأذن لنا الوقت بالانصراف .

السيد الحكيم الفاضل

﴿ الآزهر والازهريون — وفاضل هندي ﴾

الى السيد الحكيم الفاضل محرر مجلة المنار الغراء

لست في حاجة أيها السيد الحكيم لأن أسهب لكم القول في فضل الانتقاد والمنتقدين وما لهم من الأيادي في ترقية الأمم فإن العوان لا تعلم الحجرة . وهذا مناركم الآخر لا يكاد يقف على رأس كل سنة حتى يكون قد ذكر فصولا ضافية في الانتقاد . وانه المقوم لما اعوج من اعمال الأمم والرافع لما خمل من شأنها والآخذ بيدها على مدارج الرقي والكمال . وعلم الله انه لا حامل لي على ان اوجه بسطوري هذه اليكم آملا في نشرها على صفحات مناركم الا عظيم الثقة ووطيد الامل بانكم لا تخشون في اللوم لاثم وانه لا يوقفكم عن السير في سبيل الإصلاح غرض لبيان أوهنات مما يكتب في صدر فلان .

خرجت ذات يوم الى منتزه الجزيرة لأبدد ما تراكم بصدري الحرج من الهدوم والاكدار في تلك الرياض النفسية وذلك الفضاء الممتد حتى اذا كنت على قيد اذرع من رأس المنتزه الجديد حيث تقف هناك مركبات الكهرباء القادمة من الاهرام فالجزيرة اذا ما باحد صبية الفلاحين وقد أخذ ناحية عن عين الناس وهو قابض على كثير من الأوراق المكتوبة يتصفحها واحدة واحدة وبعضها يتناثر من بين يديه الى حيث تتلاقفها ايدي الرياح فتعثر بها اضعاف عثه من قبل فاهويت الى واحدة منها وقد جرى بها نسيج لي ما تحت قدمي فاذا بها كلام عربي فتقدمت نحو القلام وتاحضت في طابها منه وامرته ان يذهب فيجمع لي ما فرقه يد الهواء في مقابلة قاس اعضيته ايه فعل شاكر وذهب طيب الخاطر راضي النفس بعد ان علمت منه انه عثر عليها وقد ائمت في غلاف على طريق الكهرباء فيما بين الجزيرة والجزيرة واخذت ان ضريقي لأور في حيث أشجر الشيخ القائمة على ضفة النيل الغربية . فجلست هذه في ضاها وورف وكن وقت اصيلا وصرت اقلها واجيل فيها النظر ونضيت المنكر حتى تكشف في مرها به طويل إمعان واعمال روية انها صحائف مودع بمنش فعدس هند نوامين ببحث عن داء الاسلام الدفين من بلدة يقال لها (...) وعلمت من مجموعها ان رجلا اخو لسفتر وجاشم اخطار وجواب

اقطار من حيث لا صاحب له الا همة يحاول أن يطأ بها قمة العيوق وتفس تنزع به الى ذرى شرف لا تتناول اليه الا عناق وقد تجلّى لي من رسائل كانت ترد اليه ان الرجل سيد بلده ، وأشرف بني جلده ، قدم هذه الديار سائحاً متجولاً كما جال في كثير غيرها من بلدان المسلمين ولا هم له التقيب عن ادواء الامة الاسلامية وأسباب انحطاطها وقد عاهد صديقاً له في (حيدرآباد) على ان يوافيه برسائل متتالية يصف له بها كل ما يراه من ادواء الاسلام وعوامل ضعفه وأسباب تأخره واقدم قلبت في الاوراق كثيراً وقد كتب بعضها بالاوردية والبعض بالعربية عاني اجد فيها ما يشير الى الرغبة في كتمانها وصونها عن أنظار غيره فلم يظهر لي الا عكس ذلك فقد وجدت في اولي رسائله عبارة صريحة يأذن لصاحبه فيها بنشر ما كتب ويكتب لكل من أحب وأهم ما رأيت في تلك الرسائل ثلاثاً بعث بها الى صاحبه في حيدرآباد يصف له فيها الازهر والازهرين بعبارة لاتسلم من العجمة ولكن لم يركب بها مخارم الاغراب ولم يتدل الى حضيض العامة المتبذلة وقد نحى في انتقاداته خشن القول وغليظ الكلام حتى جاء كلامه اكرم انتقاد واعفه واكفه واحلمه . لذلك احييت ان ابعث بها الى اعظم مجلة اسلامية وارسخها قدماً في الاسلام واحبها لنشر فضائل رجاله وأحرصها على وأب صدعهم ومداواة دائهم وقد تصرفت بالعبارة تصرفاً لا يمس شيئاً من المعنى راحياً أن لا تضيقوا الى املاء والله لا يضيع اجر من احسن عملاً ، وهذه صورة الرسالة الاولى

﴿ من القاهرة الى حيدرآباد ﴾

سلام عليك ايها الأخ الفاضل امد الله في حياتك ولا حرمني اخائك واسيع علي رداء اخلاصك . وبعد فقد ورد الي كتابك الكريم احوج ما كنت اليه فاستعذبت وحسن موقعه من قلبي وما ذكرت ايها الاخ من استبطاء المراسلة واشفاقك من ان يصرم البعد جبل الود ويطنني غلة الشوق والوجد ويضرب على ماسبق به الوعد فانا استغفر لك الله في ذلك وهو العليم بمالك في فؤاد أخيك . همما شطت به دار الغربة وبمدت به النجعة . وما كان لي وانت موضع ثقتي ومكان اخلاصي وبك اعتضد عليك اعتمد ان اظهر قولك زورة طيف اوانسى وععدك لمحة طرف واتما هي الاسفار اورثني من الضعف والشحوب والانضاء ، ما لورايته لاصبحت عذيري فيما ارتكبت من الابطاء ، ويعلم الله اني اكتب لك ما اكتب وانا فوضو سفر قد الحفني من وعثائه جلباباً ، وقل اطرقة ضربت علي من رواقها قباباً ، ولقد كان الاجدر بي ان لا اكتب لك

كلمة حتى أتيت من الراحة أياماً واسترد بعض ما فقدت من القوة لولا ما أخشاه من جرح صدرك وتغير قوأك — فأما ما ذكرتي به وآخذتي على تأخيريه وسألتني إنجاز من زيارة مدرسة الازهر الاسلامية الهائلة واستعجالي بزيارتها ان لم أكن فعلت ثم بالكتابة اليك بما استبان لي من أمرها وطريقة التعليم بها وان أسهب لك القول فيما أجده بها من مواضع النقد والملاحظة . فقد صادف جميع ما ذكرت سابق رأيي مني فيه . وان مدرسة يزيد عدد طالبيها على تسعة آلاف من المسلمين ما بين مصريين وسوريين وروسين وعرب وأتراك وبربر وهنود لجديرة بأن لا أنساها في سياحتي بل جدية بأن تكون زيارتها ودرس أحوالها جل ما أنا قاصده من تجوالي في ربوع الاسلام غير ان كتابك قد ورد علي وأنا لم يمض لي غير يومين في القاهرة وقدمض يومان آخران من تاريخ وروده وأنا لم أزر تلك المدرسة الا زورة واحدة لما ذكرت لك من الضعف واللغوب وسأكتب نموذجاً بما وقع لي منها في تلك الزورة مرجئاً التفصيل والاسباب لغيرها من الرسائل ولا غرو أيها الفاضل ان أتتك رسالتي هذه مختصرة في الوصف مقتصرة على ما ذكرته لك على وجه الجملة شأن من كان غريب الدار غريب اللغة فأقول :

كثيراً ما كنت أسمع من اخواني في الهند اذا حدثهم في شأن الازهر كلمة مقولة وهي (الازهر أكبر مدرسة دينية اسلامية على سطح الكرة الارضية) فكنت اهتز لذلك من الارتياح والطرب كما اهتزت تحت البارح النصن الرطب ، ولطالما كان يقع في أذني اذ ذاك انه على كثرة طالبيه وتعدد معلميه قليل النظام محتل طريقة التعليم عقيم النتيجة ولكن ما كان ذلك لينزع من قاي تلك الهزة وذاك الاعجاب به وبكثرة طلابه وما كان ليؤثني من أن أجده فيه اذا دخلته قليلاً من النظام وبعض الترتيب ولقد بت ليلة قدومي الى القاهرة من الوجد لزيارته ببلدة الملسوع . حتى اذا كنت من صباح الغد وبلغت الساعة ٠٠ أسرع بركوب عربة اليه ودخلت فاذا ساحة مترامية الأنحاء لا فرش فيها الا الغبراء ولا غطاء عليها الا السماء غير انها لا تخلو من جمال هندام في جدرانها وكال هندسة في شكلها واتقان صنعة فيما يحيط بها من الابواب والنوافذ ورأيت بها والفصل كما تعلمون شتاء أناساً كثيرين يتشمسون وقد اشتغل البعض بتلاوة القرآن والبعض بالذاكرة في كراسية بيده وآخرين ما بين

مستلق على ظهره ومنكب على وجهه ومن بينهم من التفوا حول أدون المآكل يأكلون فيها بشهوة المنهوم قائلي في روعي لأول الامر انها ساحة يستريح بها الطلبة في أوقات معلومة بعد طول المطالعة والدرس ، واجهاد القوة ونصب النفس ، فعذرتهم اذ ذاك على استلقائهم وانكبابهم وتراحهم على المآكل لتعويض ما اندثر من ادمغتهم عقب الجهد والتحصيل ، والاشتغال الطويل ، غير اني لم ألبث هنية حتى اخبرني صاحب الي جاني من الطلبة السوريين — وكنت قد اصطحبته لمثل هذه الحال — بأن تلك الساحة قطعة من المدرسة نفسها وان ما أراه انما هو نظامهم في الطلب والتحصيل فكنت ان انصعق اذ ذاك وتلبد فكري بتيوم الكدر والحزن حتى أوشكت أهلك أسى وغماً — ولقد كنت أرى في تلك الساحة الرجل وقد كبرت سنه حتى خارت قوته ورق عظمه فأنحنى ظهره ، وضعف عضده ، حتى رعشت يده ، وكل بصره حتى لا يبصر الا شفا وانه على ذلك كله يجلس والى جانبه فتى حديث السن غض الشباب ماطر له شارب ولا خط له عذار وكلاهما يدرس ويتفاهم مع الآخر على انه من اخراجه في الطلب ومنافسيه في التحصيل ويجلس كل منهما في حلقة درس واحد . ثم اخترقت تلك الساحة وأنا مدهوش العقل ذاهل الالب لما أراه من اجتماع الاضداد والمتناقضات وولجت من باب هناك الى المقصورة المعدة للتدريس وقد كنا قيل الظهر فاذا محل فسيح الارجاء ذو سقف يقوم على نحو أربع مائة عمود نخال لي منه شكلها انها نقلت اليه من المعابد والهاياكل القديمة تميد بها تلك الألوف ميداناً وهم على مثال من رأيت في صحن المدرسة من احتلاط الحابل بالنابل وتلاشي النظام والترتيب الى حد ظننت معه انهم مأورون بذلك وان من قوانين التعليم هناك استئصال حب النظام من الصدور كما يستأصل الخلق السيئ . وأعجب ما رأيته بين الطلبة من سلطان العادة على النفوس ان الطالب هناك لا يحلوه المذاكرة ولا يروق له التحصيل الا اذا رفع صوته باقصى ما في امكانه فيتألف من مجموعهم دوي يصم أذن القادم عليهم فاخترق بي صاحبي السوري الجموع حتى انتهى بي الى محل هناك يقال له (رواق الشوام) فصعد بي على مدارجه الى غرفة هناك استرحت بها قليلا وكان قد أذن الظهر فقال لي الصاحب هلم نمر بالدروس وهي منتظمة أما الدوي فلا يلبث ان يسكن لاشتغال الطلبة بالسماع من معلمهم فلم أتمالك نفسي علم الله من البكاء على أثر قوله انتظام الدروس وقلت ومهيجتي تذوب من الاسى فتحدر من عيني

دموعاً : يا حبذا ذاك الدوي لو كان زجاجة رعد تبشر بسقوط غيث العلم من سماء المعلمين على صدور الطالبين ، قنبت مايقوم بشقاء داء الاسلام والمسلمين ، ثم قمت وقام صاحب حتى اذا كنا في واسطة الدرج أخذت أرسم له كيف يغشى بي الدروس وذلك أن يبدأ بدرس اول كتاب يدرسه في النحو ثم يتنقل بالتدريج حتى درس آخر كتاب اصطلاحوا على ان يكون خاتمة الطلب في الفن ففعل وكان اول درس وقفت عليه درس الكتاب الاول وأول كلمة سمعتها فيه قول المعلم « وإختاف في الجار والمجرور هل هو متعلق بظرف او بفعل » فالتفت الي صاحبي وقلت اوتهمزاً بي يا هذا . لم اقل لك ان تذهب الى اول كتاب فقال : لم اهن . بك والشيخ انما يقرأ اول كتاب في النحو ويقرر ثاني درس في الكتاب . فقلت ان يثبت ما تقول في نفسي حتى تريني آية ذلك . فأشار الى غلام يليه من الدرس فسأله ماذا يقرأ الشيخ يا صاحبي ؟ قال الكفراوي . قلت انا والكفراوي ماذا . قال اول كتاب يقرأ في النحو . فاخذت بيد صاحبي اذ ذاك وانا خجل من اتهامي اياه وقلت اذهب بي توالى الدروس الثانوية حتى أرى ماذا يقرأون . . . ولا اريد ايها الاخ ان أطيل لك القول في هذه الرسالة بتفصيل مارأيت بعد ذلك بل اجمل لك فيه القول اجمالاً . وجدت معلم الكتاب الثاني يشتغل بتعريف المركب عند المناطقة طويلاً ثم لوى زمام الكلام الى تعريفه عند اللغويين قالبيانين قالتوحيديين الى فنون أخر ذهب عني اسماؤها وحفظ تعاريف واضعها . أما الدرس الثالث فكان الشيخ فيه منهمكا في تعريف الرثة واختلاف الاطباء الاقدمين فيها وما قالوا في تكييف الصوت الى كلام طويل . وكان ذلك كله استطراداً من قول النحاة اللفظ صوت مشتمل على بعض الحروف . وعلى ما ذكرت لك كان الحال في بقية الدروس حتى اذا انتهيت الى درس آخر الكتب كان يخيل لي ان الشيخ انما يلفظ رطانة لا أفه . ها واني لاقسم لك وانت تعلم قدر اشتغالي بالعربية وشدة شغفي بها انه لم يعلق بذهني من كل ماسمعه الا كلمتين احدهما قوله بين أجزاء كل جملة وعلى رأس كل كلمة قال الشيخ رحمه الله تعالى ، والثانية ذكر سبب تسمية سيويه من ان سبب اسم للرائحة بالفارسية وويه اسم للتفاح . هذا مارأيت وأقوله لك على الجملة في مدرسة بعيدة الصيت طائفة الشهرة في كل قطر من بلاد المسلمين حتى كاد بعضهم ان يعلق بها الامل ، في نجاح كل عمل ،

ومما هو جدير بي ان أجمل لك فيه القول في الرسالة ان سني الطلب يغلب أن تكون من خمس عشرة سنة الى مايمتثل ان يعمر انسان والطلاب يشتغل

هناك بالكتاب الاول في السنة الاولى ثم بالكتاب الثاني في الثانية ثم بالثالث والرابع والخامس والسادس في خمس سنين ثم ينتقل من النحو ويكون قد حضر ما يقابله من كتب الفقه الى علوم البلاغة ثلاث سنين ثم يصرف ما بقي في تلقى كتاب كبير في الاصول وفي خلال هذه المدة يكون قد حضر في أوقات غير مضبوطة ولا منتظمة علوم التوحيد والمنطق والحديث والتفسير وبعد ان يأتي على ذلك كله درسا يكون على خيار من ان يتقدم لشهادة الدراسة أو يرجع ادراجه الى تلك الكتب والفنون فيتلقاها درسا درسا ويسمون ذلك فيما بينهم — اعادة المذهب . وقد ضمني مجلس مع أحد المترشحين لشهادة الدراسة وكان ممن أعادوا المذهب فرأيت منه رجلا وقورا صالحا على رأس الخامسة والاربعين من عمره غير ان بلسانه حبة وعينا فعدت الى ان أعرف مبلغ علمه بالكتابة فقدمت اليه باطراف طلب ورقة سؤال راجيا ان يكتب لي ما يسر من النشأه ولما لم أفاجأ أكثر عليه من الالحاح والالحاف في الطلب فاكتمت بأن أخرج لي كتابا كان قد حرره لأخ له من أبيه أصغر منه سنا يرتزق من القلاحة والزرع يرجو منه ارسال شيء من النقود والزاد ويشره بقرب نيل الشهادة أحييت ان ابعث به اليك بعد ان اقسم لك بالله قسما حقا لا آثما فيه ولا حاشا انه على اصله ما تحونت منه حرفا واحدا وهو كما ترى قد قبضت من أسطره روح البلاغة وانطفأ منها نور البيان وجفت منها غضاضة الذوق في التعبير . ولقد كانت النفس تجدها بعض السلى وتلمس لكتابها شيئا من العذر لو لم تكن الرسالة محشوة بالانغايط الصرفية والالحانات النحوية كما يظهر ذلك لاول نظرة فيها — والله حكمة خافية في ثمانى سنوات مضت في درس النحو والصرف — هذا ما أذكرك في رسالتي هذه اجمالا وسترى فيما يتلوها ان شاء الله تفصيلا وافيا واسهابا شافيا والسلام عليك ورحمة الله (الامضا)

وسأوفي حضرات قراء المنار الاغراض بالرسالتين الباقيتين اللتين أرسلهما لصاحبه بعد هذه وهما كما قلت غاية في آداب الانتقاد والاعتدال مما يستميل قلوب العقلاء اليه ويستدر السنة القراء بالتناء عليه

عبد العزيز عثمان العريشي

بالازهر

(المنار) نشرنا هذه الرسالة تنشيطا لكتابها الأديب وبياناً لكيفية التعليم في الازهر ليعرف ذلك بالتفصيل من لا يعرفه من اهل الاقطار الاسلامية ومنتظر ان تكون الفائدة في رسالتي الهندي الاخيرين اتم مما فيه هذه الرسالة

أنا رب العالمين

(افكوهة أدبية للشاعر المجيد مصطفى اقدى صادق الرافعي)

يا طير ما للتوم قد طارا	وما قضينا منه اوطارا
كأن هذا السهد لا يأتي	يطلب من أجفاننا تارا
ان كنت ظمان فذي ادمي	تفجرت في الارض أنهارا
أو كنت ذا مسغبة فالتقط	حبة قلبي كيفما صارا
او كنت مشتاقاً فكن مثلنا	على التوى يا طير صبارا
وجارني ان كنت لي صاحباً	فان خير الصحب من جارى
يا طير كم في الحب من ساعة	يزيد فيها العمر أعمارا
ان قلت تلهيني بها فكرة	جرت على الافكار أفكارا
او قلت انساها اقام الهوى	من حرها في القلب تذكارا
والصب ما ينفك في حيرة	تزيده حزناً وأكدارا
مالي أرى الاطيار نواحة	كأنما فارقت اطيوارا
وما لاغصان الربى تاتني	كأنما استودعن أسرارا
فاسأل نسيم الصبح ان مرّ بي	هل حملته الغيد اخبارا
واسأل عن الدار ويا ليتني	ازور يوماً هذه الدارا
كأنها الجنة لكنني	ابطنت من وجدي بها النارا
سماؤها مطلعة أنجما	وارضها تطلع اقمارا
وكم بها من أكل ان رنا	سلك لك الاجفان دبّارا
وان مشى يخطر في تيهه	هزت لك الاعطاف خطّارا
لا انكر السحر وذا طرفه	اصبح بين الناس سحّارا
يا فتن الصب على رغمه	والمرأ لا يعشق مختارا
طوراً بنا هجر وطوراً نوى	أهكذا نخلق اطوارا
لوشبهوا بدر السما درهما	لشبهوا وجهك ينارا
وكم درار فيك نظمها	تجل ان تحسب اشعارا
لو أن بشارا حكى مثاه	أعطت لواء الشعر بشارا

﴿ الهدايا والتقايرظ ﴾

(خير الكلام ، في القراءة خلف الامام . وقررة العينين ، برفع اليدين)

كتابان مختصران للامام الحافظ ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح جمع في الاول مارواه من الاحاديث النبوية الدالة على وجوب القراءة خلف الامام في الصلاة وفي الثاني مارواه في اثبات رفع اليدين عند الركوع وعند القيام منه ومن التشهد الاول . والاحاديث في المستلثين كثيرة . وقد تذكرت الآن انني سمعت استاذنا الفقيه المحدث الشيخ محمود نشابة الطرابلسي الازميري (رحمه الله تعالى) قال وهو يقرأ لنا شرح البخاري في أوائل طلبنا للعلم ان البخاري روى رفع اليدين عن خمسين صحابيا وله فيه كتاب ومن ذلك اليوم تميت أن ارى هذا الكتاب الذي اثبت البخاري المسئلة فيه بالتواتر حتى رأيت مطبوعاً في هذه الايام . وكنت أعجب لترك الناس هذه السنة حتى الذين اثبتوا أنهم كالشافعية

الخفية يتركونها لان شيوخهم قالوا إنها مكروهة لانها لم تثبت عند امامهم وان كان كل من شم رائحة علم السنة منهم موقن بأنها ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبوتاً لو وقع مثله لامامهم لما تركها مرة واحدة وأما الشافعية فانهم قد يتركونها مسaire للخفية . صلى كاتب هذه السطور اماما باستاذه الشيخ حسين اقسدي الجسر فرفعت يدي عند الركوع والقيام منه ومن التشهد الاول كما هو دأبي فلما فرغنا من الصلاة قال لي أحد الشيوخ من الشافعية وكان حاضراً الصلاة : هلا تركت رفع اليدين أدباً مع استاذك ؟ فقلت ماعلني استاذي أن أترك السنة أدباً معه ولا أرى أن الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينافي الادب معه . فقال ذلك الشيخ : ان امامك الشافعي ترك القنوت في الصبح أدباً مع الامام أبي حنيفة عند ما زار قبره . فقلت معاذ الله أن يترك الامام السنة لأجل أحد من الناس وقد أول العلماء هذه الحكاية على تقدير ثبوتها (وما هي بثابتة) بأن الامام ترك القنوت لشبهة عرضت له في دليله غيرت اجتهاده وقتئذ . فصدقني الاستاذ الجسر وقال نعم هكذا اولوها

فليعتبر المسامون بهؤلاء الشيوخ الذين يأمرونا بترك السنة مداهنة لاهل الحياء من الأحياء وتقليداً لاهل الشهرة من الاموات . ومثل هؤلاء الشيوخ الذين يرجعون الدين الى أذواقهم الفاسدة يخبرون على انتقاد أئمة العلماء والمصاحين من المعاصرين وينالون منهم في غيبتهم ويملقون لهم أشد التملق في حضرتهنم والعامه تغتر بهم اذا

درّسوا وخطبوا فزيدونها غروراً

الكتابان اللذان نحن بصدد تقرّظهما طبعاً معاً في المطبعة الخيرية على نفقة صاحبها
الهامام السيد عمر الحشّاب وبياعان في مكتبته فتحت محي السنة السنية على مطالعتهما
والعمل بهما « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب »
(الروضة الاثينة . في بيان الشريعة والحقيقة) كتاب يدل اسمه على مسماه من
تصنيف العالم الصوفي الشيخ عبد العزيز الديريني المتوفي سنة ٦٩٧ رحمه الله تعالى .
وفي الكتاب مسائل نافعة يصح ان تجعل حجة على الذين يدعون التصوف ويتكبرون
حرمات الدين . ويدعون انهم اولياء الله وأحبّاءه . من ذلك انه عقد باباً للانكار
على مشايخ الطريق الذين يجتمعون بالنساء ويزعمون انهم يرشدونهن . واستشهد لذلك
بعدم مصافحة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للنساء عند مبايعتهن على الايمان وغير
ذلك وقال انه لا يصاح لتعليم النساء الا الراسخون في العلم والدين بشرط عدم الخلوة
وعدم اظهار الزينة . على ان المرأة انما تتعلم من الاجنبي ما يجب عليها اذا لم يكن لها
محرم يعلمها . وقد ختم المؤلف هذا الباب بفصل قال فيه :

« وقد زاد قوم فزعوا ان اجتماعهم بالنساء والشبان وتعاظمي هذه الامور مما
تحصل به البركة فان قرب للراة او الشاب من الرجل الصالح سبب لحياة القلب فان
النور يسرى من القلب الى القلب وأشباه هذه الزخارف الباطلة . فهؤلاء قوم تشبهوا
بالشياطين فان الشيطان يسؤل للجاهل أموراً محرمة ويزينها بصور باطلة . فهذه
حيلة فسق وحيلة مكر وخديعة كذب . قايت هؤلاء حيث وقعوا في هذه القبائح لم
يضيفوا اليها ما هو اقبح منها . فان العاصي المعترف بمعصيته أخف أثماً وأقل جرماً
ويجب على من له أمر أن يردع هؤلاء بالتعزير الشافي والزجر الكافي ومن لم يقدر
على ذلك فليتهم نهياً كافياً فان لم يقبلوا وجب الانكار عليهم بالقلب كما قال الله تعالى
« ذرهم يأكلوا ويتمتعوا » الآية اهـ

وقد وضع ناشر الكتاب في آخره قواعد جميلة منها هذه القاعدة الثابتة . قال :
(اذا حقق أصل العلم وعرفت مواده وجرت فروعه ولاحت اصوله كان الفهم فيه
مبذولاً بين اهله . فليس المتقدم فيه بأولى من المتأخر وان كان له فضيلة سبق .
فالعلم حاكم ونظر المتأخر أتم لانه زائد على المتقدم . والفتح من الله مأمول لكل
احد . والله در ابن مالك رحمه الله حيث يقول : اذا كانت هذه العلوم منحة إلهية
ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من

المقدمين ، نعوذ بالله من حسد يسد باب الانصاف ، ويصد عن جميل الاوصاف .
انتهى وهو عجيب) والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد ومكتوب عليه
(ايليا سنة ١٣٢٠) فليته ينتشر بين أهل الطريق فينتفعوا باعتداله

(الحال والمآل) قصة وضعها احمد حافظ اقدى عوض كما ذكرنا في تقریظ (قصص
مسامرات الشعب) شرح فيها كيفية عشق الفتيان والفتيات أو التلامذة والتلميذات
في مصر وكيف يغوي بعض البنات المتعلمات بعضاً وقد علمنا انه لم يذكر الا بعض
الواقع بالاختصار . القصة أنفع القصص التي ألقت لمكتبة الشعب أو أنفع ما ألف
الشبان المصريون من هذه القصص وان كانت في عبارتها دون ما كتب حافظ من
قبل لأنه كان في وجل من طروق هذا الباب الذي يظهر من وراءه سوء التربية في
قومه وفي حذر واشفاق من عدل العاذلين ، ولوم اللامعين ، فلم ينطلق قلمه بحرية تامة
وله الفضل ان طرق هذا الباب من ابواب الجذب

موضوع القصة بنت اسمها (اسماء) نشأت (ولا اقول تربت) في حجر الدلال
ثم وضعت في المدرسة فصاحت فيها بنت احد الاغنياء من المصريين المتفرجين حتى
صارت تركب معها احياناً الى بيت ابها فترى فيه الاثاث والرياش وكيفية المعيشة على
الطريقة الافرنجية فتمقت عادات بيت ابها الشرقية وفي هذا المقام المام بكيفية الانتقال
من العادات الشرقية الى العادات الغربية في شؤون المعيشة .

امتدت المعاشرة بين البنيتين حتى ركبنا يوماً للزهوة فلقبهما في الطريق احد الشبان
المتعلمين الذين قال حافظ في صفهم : « كان مبلغ ما تعلموه من المدارس وما تلقوه
من دروس الحياة مقصوراً على العناية بما لبسهم وتنسيق هندامهم ووضع طرايشهم
المائلة الى جهة الأذن على شعر لامع مدهون بكذا وكذا . . . وياقة مرتفعة ورباط
رقبة فيه دبوس من الماس ولباس (اى سراويل) ضيق وخواتم من الذهب ومنظار
بسلسلة ذهبية وحذاء اصفر رفيع براق » وكان هذا الشاب عشيق الفتاة المصرية
فكاشفت اسماء بعشقهما وسألتها عن العشق ولما عرفت انها لا تعرفه نبذتها بلقب
المسكنة . ثم اقبل الشاب وصاحفهما مسلماً ولما صافح اسماء اضطربت من الخجل
لأنها لم تتعود ذلك فقالت لها رفيقها : « مالي اراك قد خجلت وهل في الحديث
والتسليم على الشبان عيب ؟ إنما العيب ان لا ينظر اليك احد ولا ينظر الى محاسنك
إنسان » ثم رغبها في قراءة القصص الغرامية واعطتها واحدة منها ففتنت اسماء بأخبار
العشق والغرام ، وشغلت عن الدرس والنم ، فتغير حالها حتى تنبت والدتها لذلك

التغير وسألها عن سببه فكذبت في الجواب . قال المؤلف « وليس الصدق صفة محترمة عندنا معاشر المصريين بل يكاد الانسان أن لا يعرف له مزية » بل ان شئت فقل إننا نتعلم الكذب في بيوتنا من آبائنا وأمهاتنا ، ثم ان اسماء تعلمت العشق فعمشت شاباً مهذباً

ثم ان المصنف ذكر ان البنيتين اسماء ونحيفة حضرتا احتفال عرس صديقة للثانية ووصف فيه ما هو جار في مصر الآن من مغازلة النساء المتزينات للرجال من التوافذ والكوى ومن شرب النساء الخمر جهراً ، وذكر ان اسماء تعلمت في تلك الليلة من البنات الشرب على أنه من « التمدن والمودة » فلما علمت مع صديقتها قامتا الى التوافذ كغيرهما فابصرت كل منهما من تحب وكانتا على موعد منهما فأشارتا اليهما بالانتظار فلما التى الاربعة حصل التعارف بين الجميع (كذلك العادة بين الأحداث من العاشقين والعاشقين في مصر كما أخبرنا المجرّبون) ثم ركب اسماء مع عشيقها في مركبته كما ركب عشيق نحيفة معها في مركبتها وانطلقوا الى الجزيرة . ولكن ساء صاحب اسماء سكرها وتهتكها الذي تعلمته من نحيفة وعنفها على ذلك فوعده بأن تكون كما يحب وهيات ذلك فان السائر في طريق الرذيلة كمن يتدهور من حالق لا يقف حتى يبلغ القرار كما أشار اليه المصنف . ثم ان عاشق اسماء يثس من صلاح حالها فتركها ثم قضى أهلها عليها بالتزوج بأحد أولاد العمدة الاغنياء فرضيت كارهة وعاملت زوجها أقبح المعاملة لأحقارها إياه أنه لا يعرف الفرنسية وقنون التخت والتهتك وكان أولاً يحبها ويحمل إهانتها حتى عيل صبره فأبغضها وعلق بالراقصات وعرف البغايا وشرب الخمر واعتزلها بالمرّة . فشكت يوماً الى صديقتها القديمة فأشارت عليها بأن تعامله بالمثل فتنتقم منه بالبغاء ففعلت فأصيبت بداء الزهري وانتقل المرض منها الى ولدها بالعدوى . عاث فيها المرض فتقرح بدنّها وانقابت سحنها وتحول ذلك الجمال الى قبح تقشعرّ منه الجلود وانتهي بالجنون ثم بالموت

هذا هو الوباء الساري في حياة مصر الادبية وما وصف كاتب القصة الا بعض ما علم فهل يوجد في مصر قوم يغارون على الملة والامة فيسعون في تربية الناشئين والناشئات تربية دينية تصادم هذه الشرور، وتقلل من هذا الفجور ، ؟ الا بآباء مهملون والامهات جاهلات فماذا يفعل البنون والبنات

اذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الاولاد فيه على الرقص
الرجال هم الذين يغيرون أحوال الامم الاجتماعية وليس عندنا رجال . نعم ان خير

رجال مصر هم الذين أسسوا الجمعية الخيرية الإسلامية ولكن عملهم للامة لا يزال ناقصاً
فاذا استطاعوا ان يوجدوا مدرسة كلية في مكان بعيد من المدن بل عن الناس يربون فيها
طائفة من الناشئين حتى يكونوا رجالاً عاملين فذاك باب النجاح دون سواء وان
لم يستطيعوا فستقبل مصر مظلم جداً والله أعلم بمصير الأمور

﴿ قصص (روايات) مجلة الهلال ﴾

جاءنا من بعض فضلاء القراء ما يأتي بحروفه

« رأيت في مجلة المنار الصادرة في غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ تقريباً
للمرواية الاخيرة من روايات حضرة محرر مجلة الهلال التي عنوانها (الحجاج بن يوسف)
وقد ألتئم فيه الى ما انتقد به على المؤلف حينما ظهرت رواية (عذراء قریش) وقد
ظهر لبعض القراء أن حضرتكم لا تنقمون على هذه الروايات لما قدمتموه من الاعذار
عما يشوبها من الاكاذيب التي هي من لوازم وضعها مع ان منها نسبة العشق الى مثل
محمد بن ابي بكر رضي الله عنهما مع شهرته في التاريخ بضد ذلك وتشبه عذراء قریش
بالرجال ووقوفها في مجمع الصحابة ترشدتهم الى حقائق الدين وتوبخهم على ما حصل
منهم في بدء الفتنة المشهورة ولا ينبغي حضرتكم ان مثل مقدمته التي تقاموها لا يبرىء
الكاتب مما يأتي به مخالفاً لحقائق التاريخ كما هو مبدأ الاسلام في كراهة الكذب على
أية حال . واني متيقن انكم لو كنتم اطالعتم على هذه الرواية لما قلتم كلمة واحدة في
تقريبها . وما كنا نهم لو جاء هذا المدح في غير مجلة المنار التي هي المجلة الدينية
الموثوق بها فيما تبديه من الآراء في احكام الدين فمعظم القراء يطلبون من حضرتكم
الافصاح عما ترون فيها لأن المسألة عظيمة اذ اساسها تاريخ الاسلام والصحابة لذين هم
الاسوة الحسنة في اعمالهم وهم ثقاة الحديث وهم الثقات فيما يروون وانا واثق أن
كلمة منكم ليست ككلمة من غيركم فنسأل الله لنا ولكم التوفيق الى الحق والسلام »
(المنار) قد صرحنا في تقريب القصص الاخيرة بأننا لم نقرأ القصص التي
ينشأ صاحب الهلال في التاريخ الاسلامي فتحكم لها أو عليها . وانما تذكرنا
قرأنا في المؤيد نقداً عليها وعامنا أن بعض الفضلاء تأمين من مؤلفها لأنه وصف
بعض رجال السلف الكرام بالعشق الذي لا يليق بمقامه . وقلنا في القصص الاخيرة
اننا رأيناها خالية من هذا العيب وهذا دليل على انصاف المؤلف وعمله بما يقتضيه

نقد الناقد برجوعه عن نسبة العشق الى الصحابة وائمة السلف رضي الله عنهم .
والحاصل ان ما انتقد به هذه القصص امران أحدهما عدم حفظ كرامة السلف بان
ينسب اليهم مالا يليق بهم . وقد كان المؤلف وقع في هذا تقليداً للافريج الذين لا يتحامون
مثله ويظهر انه رجع عنه ارضاء لقراء ما يكتب من المسلمين . وثانيهما اشتباه الحق
بالباطل في سرد وقائع التاريخ ممزوجاً باخبار الغرام الكاذبة ونحن نرى ان المقدمة التي
تقلناها عنه تبرئه من هذا النقد الا أن تكون غير صادقة . فاذا كان يقول ان كل ما عدا
الحكاية الغرامية من القصة هو من التاريخ المنقول فلا سبيل الى تخطيطه الا ببيان ان
بعض ما في تلك القصص وراء الحكاية الغرامية التي تخللها غير صحيح أو ان هناك
اشتباهاً بين الحكاية والتاريخ . فعلى المنتقد الشواهد والبيانات اذا ادعى هذا وعلينا
ان نشره ونبين رأينا فيه والله يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضيه

البدع والخرافات

وَالْبَقَالِيدُ وَالْعَجَائِلُ

﴿ مسيح الهند ﴾

ملاً هذا الرجل المدعي المهدية والمسيحية الدنيا صراخاً ونشر الكتب والرسائل
الناطقة بدعواه في الهند ثم في سائر الاقطار الاسلامية . ولكن لم يفهم أحد حقيقة
مراده والاصول التي يدعو اليها . كتبه ورسائله كلها سجع كسجع الكهان بل هو
أقل وأضعف فان صبر الانسان على قراءته ليفهم مراده يرجع الى ذهنه بعد القراءة
فلا يجد فيه الا إطراء هذا المدعي أو الدعي نفسه والاغراق في التناء عليها وذم الذين
لا يؤمنون به ولا يحييون دعوته . وربما يجد في الكتاب الطويل كلمات في دينه الجديد
لا يعقل أحد لها فائدة الا تزلفه للانكليز ليتركوه وشأنه يتمتع بلقبه الذي زعم ان الله
منحه اياه (المسيح) كمنسخه حكم الجهاد وتحريمه على المسلمين وكمدحه الانكليز
والدعاء لهم لانهم يحمونه

ليخبرنا هذا المسيح الدجال أين المسلمون المشتغلون بالجهاد فيجعل ركن دعوته
واس اصلاحه ارجاعهم عنه . ألم ير أن معظم بلادهم ذهبت من أيديهم لاهلهم

أمر المدافعة عنها ؟ ألم ير أن الأجانب الذين يعيرونهم بأنهم أمة حربية قد سبقوهم في القنون الحربية حتى سادوا عليهم ؟ فهل نزل عليه الوحي من أوربا بأن الحرب عار على المسلمين ، وفضيلة للمسيحيين ، فصدق الوحي الأوربي وقام يدعو إليه قومه ليهدوهم ويلم شعهم ويرأب صدعهم

يزعم أن الأخبار الواردة في نزول المسيح كلها تصدق عليه . الأخبار ناطقة بنزول عيسى بن مريم فأين عيسى عليه السلام ، من غلام أحمد القادياني عليه الملام . الأخبار ناطقة بأن المسيح ينزل من السماء بين ملكين فأين الهند من السماء ؟ وأين الملائكة من أتباعه البلاء ؟ الأخبار تصف المسيح بما لا ينطبق عليه مهما تنطع في التأويل ، وزخرف الأباطيل . يقول أن ظاهر القرآن يدل على أن المسيح قد توفي وإلزامهم اكتشافوا قبره . تقول إذا سلمنا لك أنه مات لأنه هو ظاهر القرآن فهل يدل موته على أنك أنت المراد بالأخبار الواردة في نزوله ؟ كلا . فلما أن تأول الأحاديث تأويلاً مقبولاً وأما أن تقول أنها غير صحيحة متا وان صحت سنداً لأن القرآن متواتر قطعي وهو كلام الله تعالى فكل قول خالفه فهو باطل إذا كان لا يتفق معه بالتأويل

يدعي هذا الدجال أنه جاء بنحوارق العادات لأنه ألف كتاباً عظيماً في عينه وحقيقاً في أعين الناس ، لما فيه من الهذيان والوسواس ، فإذا كان التأليف السخيف دليل المهدية والمسيحية ، فهل يكون التأليف الذي يستحسنه جميع العقلاء دليلاً على الألوهية ، ؟ أياظن هذا الغافل أن القرآن كان معجزة لتبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنه كتاب مؤلف ؟ كلا أنه معجزة لأنه اشتمل على أعلى العلوم الإلهية والاجتماعية التي اهتدى بها الناس وصاغت عقائدهم وأخلاقهم وقد ظهر مع ذلك بلسان أميٍّ لم يتعلم شيئاً . فهذا هو الوجه الأعلى في اعجازه . ومن وجوهها أنه وصل من البلاغة إلى حد عجرت عن بلوغه البلغاء مع أن الجائي به لم يكن معروفاً بالبلاغة . ومن بلغ الأربعين ولم يعرف له امتياز بالشيء فلا يعقل أن يقتل مرة واحدة إلى درجة يفوق بها جميع الناس بذلك الشيء إلا بامداد من بيده خرق العادات ، والمؤيد من شاء بالآيات الينات . وأما زعمه أن الفاتحة تدل على مسيحيته وأن لفظ الرحمن الرحيم يدل على محمد خاتم الأنبياء وعلى مسيحه أحمد القادياني فهذا أقبح تلاعب بالقرآن ويمكن أن يستدل صاحبه بكل كلام على كل شيء لأنه لا يتقيد بأفة ولا عقل ولا فهم . فمسي ان يرجع هذا القادياني إلى رشده ، ونرى الجزر قال من طغيانه ومدته ،

﴿ مثال من امثلة طفولية الامة - إبطال مدرسة قرچلى ﴾

تحمس حسين بك قرچلى واحتمى على نظارة المعارف المصرية منذ أربع سنين لانها لم تقبل بعض أولاده في مدارسها وسؤل له تحمسه أن يفتى مدرسة ينسبها الى نفسه تكون حجة على « وطنيته » وزانى يتزلف بها الى اميره وسلطانها لانهما ضدا المحتلين . فأوحى الى الجرائد أن تنوء به قنوت وساعدناها نحن على تنويعها لأن انشاء المدارس الاهلية هو افضل عمل يعمله الاهلون لأمتهم وبلادهم والرياء قطرة الاخلاص كما يقول الصوفية . ومما تبجح به واقتخر ان مدرسته تزيد على مدارس الحكومة بتعليم التركية اثباتاً لجنسيته ، وبتعليم الدين خدمة للعملة ، وقد كان أول دليل على انقراج زاوية الخلف بين القول والعمل أن الائمة التي عقدها في داره لانتخاب المعلمين للمدرسة عرض عليها فيمن عرض من المعلمين رجل اعترفت الائمة بأنه أقدر المعروضين على تعاليم الدين والعربية . ولكن قرچلى بك ومستشاريه من الاحداث الذين يسمون انفسهم « الشيبية المصرية الحققة » ويمتازون بكثرة اللفظ بالوطنية المهمة لم يقبلوا هذا المعلم لأنه ليس مصرياً . فلم تشفع لذلك الرجل عند هؤلاء الوطنيين ديانته الاسلامية ، ولا جنسيته العثمانية

مع هذا كنا ندعو أن يثبت هذا الرجل في عمله جبا في المحمدة ولكن بلغنا في هذه الأيام انه لم يتم على اجازة المدرسة الصيفية الشهر حتى أرسل الى معلمها يخبرهم بعزلهم وإبطال المدرسة واختار هذا الوقت ليحرم الاساتذة من أجورهم مدة الاجازة . الامة في طفولية وسقوط الطفل ليس بعجيب وانما العجيب ثباته فاذا سقطت مدرسة قرچلى فان من ذوي المدارس الاهلية من هم أقوى عزيمته منه ولذلك ثبتت مدارسهم كالمدرسة العثمانية كمدرسة الماجدي وغيرها . فلان يأس اذا سقط قوم ونهض قوم مادنا نرى الأمة متحركة لطالب العلم والعمل . على اننا نرجو ان يشوب لقرچلى بك رشده ويثني عن عزمه الاخير والله الموفق وهو نعم التصير

(الوباء والعدوى) ثبت بالمشاهدة ان في قي المصاب بالهضة الوبائية وبراذه مادة سامة حية تنمو وتزيد في الجوف الذي تدخله . فالعدوى التي يقولها الاطباء هي انتقال هذه المادة السامة من شخص الى آخر كما ينتقل السوس والبقي والثعابين . الا ان الفرق بين جنة الوباء وغيرها ان الأولى لا ترى الا بالمظارة فالاحتياط الصحي هو ما يمنع انتقال جنة الوباء من مريض الى صحيح والدواء الذين يطهرون به أمتعة المصاب كالدواء الذي يقتل البقي والسوس . فاما معنى انكار هذه العدوى باسم الدين ممن لا يعرفون ديننا ولا دنيا ؟

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوّل الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادى الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ — ٤ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢)

— الاضطهاد في النصرانية والإسلام —

(المقالة الثانية لذلك الاستاذ الحكيم والفيلسوف العليم)

ذكرت الجامعة في الجزء الثامن من السنة الثالثة في سياق الكلام على ما جرى لابن رشد ان للناس آراء في : هل الدين المسيحي أوسع صدرا في احتماله مجاورة العلم والفلسفة او ان الدين الاسلامي هو الارحم خلقا والاوسع حلما من الدين المسيحي في قبول أهل النظر في الكون اذا نزلوا بداره ، ولا ذوا بجواره ، وذكر أن للقائلين بتسامح الدين المسيحي مع العلم وأهله دون الدين الاسلامي أن فولتير وديدرو وروسوورنان كانوا فيما يضاد الدين ما قالوا ولم يصابوا بضرر وابن رشد لم يقل شيئا سوى انه قرّر ما قال أرسطو ووضحه مع تصريحه بسلامة اعتقاده ومع ذلك اهين وبصق على وجهه . وللقائلين بسعة حلم الاسلام ان الاسلام لم يحكم بإحراق احد لجرّد الزيف في عقيدته وكم حكمت المسيحية بذلك

ثم جعلت أهل الرأي الأول آخر من يشكلم وقالت : « فيرث عليهم الأولون بقولهم : هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط أم مع القريب والغريب معاً ؟ ثم لا تذكرن الحروب والفتن التي قامت بين شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فأضعفت امتهم ، وفرقت كلمتهم ، فإل يجوز ان تسما محاربة شخص واحد وإباده (محاربة للإنسانية) ولا تسما كذلك محاربة شعب لشعب وأمة لأمة » اهـ

ثم قالت الجامعة إنها لا تفصل بين القولين ، ولكنها فصلت فيهما فصلين ، الأول في قولها : « إنا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة الدينية بحكم الشرع لأن الحاكم العام هو حاكم وخليفة معاً وبناءً على ذلك فان التسامح يكون في هذه الطريقة أصعب منه في الطريقة المسيحية فان الديانة المسيحية قد فصلت بين السلطتين فصلاً بديعاً مهداً للعالم سبيل الحضارة الحقيقية والتمدن الحقيقي وذلك بكلمة واحدة « أعطوا ماله لقيصر وقلصروا لله » وبناءً على ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا تركت للسلطة الدينية مجالاً للضغط على حرية الأفراد من أجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلاً عن قتلهم وسقي الارض بدمائهم البريئة فانها تبني جناية هائلة على الانسانية وعلى ذلك لا يكون في هذه الطريقة من التسامح أكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص ولو كان هذا النقص أخذ من نقص شقيقتها لانه لا نقص أعظم من نقص القادر على التمام » والفصل الثاني في قولها : « ان العلم والفلسفة قد تمكنا الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نماغر سهما في تربة اوربا وأينع وأثمر التمدن الحديث ولكنهما لم يتمكنا من التغلب على الاضطهاد الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً » اهـ

﴿ الجواب الاجمالي ﴾

وإني أعجل في الجواب بما يلاقي هذين الحكيمين اجمالاً . أما الأول
فان كان الانجيل فصل بين السلطتين بكلمة واحدة فالقرآن قد أطلق القيد
من كل رأي بكلمتين كبيرتين لا كلمة واحدة . قال في سورة البقرة
« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »
وقال في سورة الكهف « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر »

وأما الثاني فأسأل الجامعة في جوابه : اين الاضطهاد الواقع على العلماء
اليوم عند المسلمين ؟ وأين اولئك العلماء المضطهدون ؟ وأريد بالعلماء اولئك
الذين يساوون من ذكرتهم من فواتير وديدرو وروسو وامثالهم . وكيف
ساع لها ان تقول ما تقول وهي في ارض مصر ومصر بلاد اسلامية
وحالها كما ترى ؟ فاذا أرادت شاهداً على حال المسيحية والعلم فلتنظر بنظرها
اليوم على أسبانيا ولتقف برهة من الزمان ثم لتحكم . يمكنها ان تعد من
طلبة العلوم المسلمين مئين في مدارس المسيحيين من جزويت وقرير
وأمركان وهي مدارس دينية خصوصاً مدارس الجزويت . فهل يمكنني ان
أجد طالبا واحداً مسيحياً في مدرسة دينية اسلامية يباح الدخول فيها لكل
طالب علم من أي ملة ؟ لا نجد الا قليلاً منهم في مدارس الحكومة لعلمهم
انها مدارس رسمية لم يقم بناء تعليمها على الدين . فهل سمع ان والدا اضطهد
لانه بعث بولده الى مدرسة مسيحية يديرها قسوس مسيحيون ؟ الا يعد
هذا من تسامح الاسلام مع العلم اليوم ؟

لولا ان موضوع كلامي محدود باعتبار التسامح بالنسبة الى العلم والفلسفة
 وحدهما لذكرت لصاحب الجامعة أن يوجد في بلاده طائفتان تعد أحادهما
 بالألوف وتزعم كل منهما ان لها نسبة الى الاسلام وهي تعتقد بما لا ينطبق
 على أصل من أصوله حتى أصل التوحيد والتنزيه عن الحلول ولا تقول
 بفرض من فروضه المعلومة منه بالضرورة . وأجمع فقهاء الأمة على انها
 من قبيل المرتدين والزنادقة لا تؤكل ذبائح افرادهما ولا يباح لهم أن
 يتزوجوا من المسلمات وإنما اختلفوا في قبول توبة من تاب منهم ومن
 العلماء من قال لا تقبل توبته . وهم مع ذلك عاشون بجوار المسلمين ومضى
 عليهم ما يزيد على تسعمائة سنة وقد كانوا تحت سلطان المسلمين والاسلام
 في أوج القوة . دخلوا في حكم الأتراك وهم أيام كان ملك فرنسا يستنجد
 بملكهم وكانت عساكرهم على أسوار فينا . كان أولئك الذين يراهم المسلمون
 قد خرجوا من دينهم وأسرؤا عقيدة تناقض عقيدتهم قد ظهروا بأعمال تضاد
 أعمالهم وهم جيرانهم ومحت أيديهم وفي مكنتهم محوهم ومع ذلك عاشوا الى
 اليوم ولهم أحبة وأصدقاء بين المسلمين . وللمسلمين بينهم مصافون وأوداء
 فهل عهد مثل ذلك عن المسيحيين ؟

غير ان موضوع قولي محدود كما قلت فلا أخرج عنه وأراني نطقت
 فيه بكلمتي الجملة . ولكن لا يكفي لبيان ما عرضت به الجامعة في قولها
 « هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط او مع القريب والغريب
 الخ » ولا لتحقيق الحق فيما حكمت به في حكمها الا تفصيل تعرض فيه
 حالة الدينين مع العلم تحت نظر القارئ على وجه يمكن معه الحكم عن
 فهم ، ولا تلتبس فيه الحقيقة بالوهم

﴿ الجواب التفصيلي ﴾

أرى الجامعة جاءت في كلامها بأربعة أمور آتي بها على حسب ترتيب النسق في تعبيرها . (الأول) ان المسلمين قد تسامحوا لأهل النظر منهم ولم يتسامحوا لمثلهم من أرباب الأديان الأخر (الثاني) ان من الطوائف الإسلامية طوائف قد اقتلت بسبب الاعتقادات الدينية (الثالث) ان طبيعة الدين الإسلامي تأبى التسامح مع العلم وطبيعة الدين المسيحي تيسر لأهله التسامح مع العلم (الرابع) ان إيناع ثمر المدنية الحديثة إنما تتمتع به الأوربيون ببركة التسامح الديني المسيحي . فلا بد لي من الكلام على كل واحد من هذه الأمور الأربعة وابتدئ منها بالثاني لقلة الكلام عليه

﴿ نفي القتال بين المسلمين لأجل الاعتقاد ﴾

لم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفين (الآخذين بعقيدة السلف) والأشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة سلفيين وأشاعرة -- كما لم يسمع بأن الفلاسفة الإسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها . نعم سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج كما وقع من القرامطة وغيرهم وهذه الحروب لم يكن مشيرها الخلاف في العقائد وإنما اشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة . ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة . وما كان من حرب بين الأمويين والهاشميين فهو حرب على الخلافة وهي بالسياسة أشبه بل هي أصل السياسة

نعم وقعت حروب في الأزمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة

وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية وبين الحكومة العثمانية والوهابيين ولكن يتنى لباحث بأدني نظر ان يعرف انها كانت حروبا سياسية ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم مع بقاء الاختلاف في العقيدة وبين الحكومة العثمانية وابن الرشيد أمير الوهابيين اما الحروب الداخلية التي حدثت بعد استقرار الخلافة في بني العباس وأضعفت الأمة وفرقت الكلمة فهي حروب منشأها طمع الحكام وفساد اهوائهم وحبهم الاستئثار بالسلطان دون سواهم . ومصدر ذلك كله جهلهم بدينهم وارتخاء جبل التمسك به في أيديهم . واكبر داء دخل على المسلمين في همهم وعقولهم انما دخل عليهم بسبب استيلاء الجبهة على حكومتهم . أقول « الجبهة » وأريد أهل الخشونة والنظرسة الذين لم يهذبهم الاسلام ولم يكن لعقائده تمكن من قلوبهم . ولو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ويأخذهم بأحكامه لرأيتهم قد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين وما قرر الاولون وما اكتشف الآخرون في اليد الاخرى ذاك لا خرتهم وهذا لدنياهم وساروا يزاحمون الاوربيين فيزحمونهم

مالنا وللحكام نعرض لهم ؟ الذي علي ان أقول ولا أخشى منازعا : إنه لم تقع حرب معروفة بين المسلمين للحمل على عقيدة من العقائد أو على تركها . على ان هذا الأمر الذي جاءت به الجامعة والجائنا الى الكلام فيه خارج عن الموضوع بالمرّة لأن الكلام في التسامح الديني مع العلم لاني تسامح عقيدة مع عقيدة أو دين مع دين وإلا لأوردنا لها من حروب الطوائف المسيحية بعضها مع بعض وحروبها مع غيرها ما يستغرق أجزاء الجامعة بقية هذه السنة اذا أوجزنا ما استطعنا . هل أذكرها بما كان يقع

في القسطنطينية من سفك الدماء بين الارثوذكس والكاثوليك على عهد القياصرة الرومانيين ؟ هل أذكرها بحادثة برتلبي سنهليلر التي سفك فيها الكاثوليك دماء إخوانهم البروتستانت وأخذوهم في بيوتهم على غرة وقتلوهم نساء ورجالا وأطفالا ؟ بماذا أذكر الجامعة من أمثال هذه الوقائع التي اسود لها لباس الانسانية ، وتسلبت لحدوثها البشرية ؟ هل يمكن لأحد أن يروي حادثة مثلها وقعت بين شعوب المسلمين بعضهم مع بعض بخلاف في العقيدة معها عظم الاختلاف

تساهل المسلمين مع أهل العلم والنظر من كل ملة

ثم أرجع الى الامر الاول من الامور الاربعة لأن الكلام عليه أقل منه على الأمر الثالث . واني لا أستدل على رعاية الاسلام للحكماء من الملل غير المسلمة بقول كاتب مسلم وإنما أرجع في جميع ما أذكر الى كتب المؤرخين والفلاسفة من المسيحيين وأذكر أسماء جماعة من المسيحيين وغيرهم بلغوا من الحظوة عند الخلفاء وعامة المسلمين وخاصتهم ما لم يبلغه غيرهم قال المستر دراير أحد المؤرخين وكبار الفلاسفة من الاميركان : « ان المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضوا اليهم كثيراً من الاعمال الجسام ، ورفقوهم الى المناصب في الدولة حتى ان هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسنيه » (هو يوحنا ابن ماسويه الشهير) وقال في موضع آخر : « كانت ادارة المدارس مفوضة مع نبل الرأي وسعة الفكر من الخلفاء الى النسطوريين تارة والى اليهود تارة أخرى . لم يكن ينظر الى البلد الذي عاش فيه العالم ولا الى الدين

الذي ولد فيه بل لم يكن ينظر الا الى مكانته من العلم والمعرفة . قال الخليفة العباسي الا كبر المأمون : « ان الحكماء هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لأنهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة وارتفعوا بقواهم عن دنس الطبيعة هم ضياء العالم وهم واضو قوانينه ولولا هم لسقط العالم في الجهل والبربرية » . وقال في موضع آخر : « ان العرب قد زحفوا بجيش من أطبائهم اليهود ومؤدبي أولادهم من النسطوريين ففتحوا من مملكة العلم والفلسفة ما أتوا على حدوده بأسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين » . ولست في حاجة الى ذكر ما أسس الخلفاء والملوك من المدارس وأقاموا من المراصد وما حشدوا من الكتب الى المكاتب لأن هذا خارج عن بحثنا الآن وسيرد عليك شيء منه فيما بعد

✽ طاقة من الحكماء والعلماء الذين حظوا عند الخلفاء ✽

أذكر ممن اشتهر من الحكماء بالخطوة عند الخلفاء جيورجيس ابن بختيشوع الجنديسابوري طبيب المنصور كان فيلسوفا كبيرا علت منزلته عند المنصور لأنه كانت له زوجة عجوز لا تشهى فأشفق عليه المنصور وأنفذ اليه بثلاث جوار حسان فردتهن وقال : إن ديني لا يسمح لي بأن أتزوج غير زوجتي مادامت حية . فأعلى مكانته حتى على وزرائه . ولما مرض أمر المنصور بحمله الى دار العامة وخرج اليه ماشياً يسأل عن حاله فاستأذنه الحكيم في رجوعه الى بلده ليدفن مع آبائه فعرض عليه الاسلام ليدخل الجنة فقال : رضيت ان أكون مع آبائي في جنة أو نار . فضحك المنصور وأمر بتجهيزه ووصله بمشرة آلاف دينار (وهو المنصور الدوانيقي المشهور بالامساك وكزازة اليد) وأوصى من معه بحمله اذا مات في الطريق الى

مدافن آباءه كما طلب . ثم سأله عن يخلفه عنده فأشار الى عيسى بن شهلاثا أحد تلامذته فأخذه المنصور . كان جيورجيس فطوق يؤذي القسوس والبطارقة ويهددهم بمكانه عند الخليفة لينال منهم رغبته فشر الخليفة بذلك فطرده وممن حظي عند المنصور نوبخت المنجم وولده أبوسهل وكانا فارسين على مذهب الفرس ثم كانت ذرية مسلمة لأبي سهل وكانوا جميعاً منجمين لهم شهرة في علوم الكواكب فائقة

وممن حظي بالمسكنة العليا عند الخليفة المهدي توفيل بن توما النصراني المنجم وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان . وله كتب في التاريخ جلية ونقل كتاب أميروس الى السريانية بأفصح عبارة وممن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بمختيشوع الطيب وجبريل ولده ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني . ولده الرشيد ترجمة الكتب القديمة طيبة وغيرها وخدم الرشيد ومن بعده الى المتوكل . وكان يعقد في داره مجلساً للدرس والمناظرة ولم يكن يجتمع في بيت للمذاكرة في العلوم من كل نوع والآداب من كل فن مثل ما يجتمع في بيت يوحنا بن ماسويه وممن علا قدره في زمن المأمون يوحنا البطريق . وولى المأمون أقالمه كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب والفلسفة . وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور وسابور ابنه وكانا نصرانيين . وولى سابور بن سهل بیمارستان جندیسابور

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند المعتصم ولما مات جزع عليه جزعاً شديداً وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة النصاري وكان بمختيشوع بن جبريل عند المتوكل يوماً فأجلسه بجانبه وكان

عليه درّاعة حرير رومية بها فتق فأخذ المتوكل يحادثه ويعبث بالفتق حتى وصل الى النيفق (هو ما اتسع من الثوب) ودار الكلام بينهما حتى سأله المتوكل : بماذا تعلمون أن الموسوس (المصاب بخبل في عقله) يحتاج الى الشد ؟ فقال بختيشوع : اذا عبث بفتق دراعة طيبه حتى بلغ النيفق شددناه . فضحك المتوكل حتى استلقى

وفي أيام المتوكل اشتهر حنين بن اسحق النصراني العبادي وهو من أشهر المترجمين لكتب ارسطو وغيره وامتنحن المتوكل صدقه فظهرت له عزيمته لا تقل فأقطعه اقطاعات واسعة . وكان قد عرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة في زمن المأمون وهو فني فكلفه بترجمة الكتب وكان يعطيه وزن ما يترجم ذهباً . وكانت بينه وبين الطيفوري النصراني محاسنة أفضت الى طلب الحكم على حنين في مجلس الاساقفة بالحرم من الكنيسة فمات غماً لاضطهاد أهل طائفته له مع عزته وعلو قدره عند الخليفة وهذا الطيفوري أيضاً كان من المقرين عند الخلفاء

وممن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة والعامة في زمنه أيام خلافة الرازي متى بن يونس المنطقي النصراني النسطوري كان متفتناً في جميع العلوم العقلية أخذ عنه أبو نصر الفارابي وانتهت اليه الرياسة في بغداد وكان من أهل دير قني ونشأ في مدرسة مارماري وقرأ على روافيل وبنيامين الراهبين اليعقوبيين .

ومن المقرين عند الخلفاء قسطا البعلبي من فلاسفة دولة الاسلام وهو نصراني طلبه الخلفاء الى بغداد لأجل الترجمة ثم يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي انتهت اليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكيمية في وقته

وقرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر القارابي
ومنههم أبو الفرج بن الطيب فيلسوف عالم . قالوا كان كاتب الجائليق
ومتميزا في النصارى ببغداد وكان يقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي
وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا والرئيس يمدح طبه ولا يحمده فلسفته
وله كلام فيه

وممن كانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والخاصة والعامة ثابت بن
قرة الحراني الصابي من طائفة الصابئين المعروفة وتربى في بيت محمد بن
موسى بن شاكر الفلكي المشهور وبلغ في علوم الفلسفة مبلغاً لم يدانه فيه
غيره وله تأليف كثيرة في المنطق والطب والرياضيات وبلغ عند المعتضد
مقاماً تقدم فيه عنده على وزرائه . وولد ثابت هذا سنة احدى عشرة
ومئتين بخران . ثم كان ابنه ابراهيم وسنان على قدم أبيهما . ومن حفدته
أبو الحسن ثابت بن قرة . وكان ثابت وابراهيم وسنان صابئين ولهم من
المنزلة ما علمت ومدحهم كثير من شعراء المسلمين وهم صابئة

ماذا أعد للجامعة من الفلاسفة والحكماء من الملل المختلفة الذين
وسعهم صدر الاسلام . ولم يضمن عليهم بالرعاية والاحترام . هل تريد أن
أتم لها الكلام بذكر كثير من فلاسفة الاسلام المسلمين الذين نالوا السعى
الدرجات وأعلى المقامات عند الخلفاء والملوك . هل أنا في حاجة الى ذكر
فيلسوف الاسلام أبي يوسف يعقوب الكندي وهو بصري الاصل .
ابن الامير اسحق الذي كان أميراً للمهدي والرشيد على الكوفة وهو من
ذرية الاشعث بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
عالمًا بالطب والفلسفة والهيئة والحساب والموسيقى واشتغل بالترجمة كما اشتغل

غيره بها فترجم كثيراً من كتب الفلسفة وأوضح الغامض منها وكانت له المكانة العليا عند المأمون والمعتصم وولده احمد . هل أنا في حاجة الى ذكر بني موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن الذين اشتغلوا في مساحة الكرة الأرضية ومعرفة محيطها وقطرها وما كان لهم من المنزلة عند الامراء والحلفاء ؟ أذكر ابن سينا ومنزلته في قومه ووصوله الى مسند الوزارة عند شمس الدولة ؟ أم أذكر الفارابي وما كان له من المكانة عند سيف الدولة بن حمدان .

لا ريب ان أبا العلاء الميري يصلح ان يكون رجلاً ممن تعنى الجامعة بنشر تراجمهم وقد قال مالم يقل بمثله فولتير وروسو وقد مات مع ذلك على فراشه وقبره اليوم مزار يرحل اليه في بلده .
أظن انه يسهل بعد سرد ما عددناه ان يعرف قراء الجامعة ان الاسلام كان يوسع صدره للغريب كما يوسع القريب بميزان واحد وهو ميزان احترام العلماء للعلم . ويسهل عليّ ان التمس العذر للجامعة بأنها عندما كتبت ما كتبت تمثلت لها بعض حوادث قيل انها حدثت للدين وما حدثت له . بل كان سبب حدوثها اما سياسة خرقاء . أو جهالة عمياء . أو تأريث بعض السنهاء . لا أطيل خوف الاملال . وانتقل الآن الى الامر الثالث وهو المقابلة بين طبيعة الدينين وهو أهم مما سبق ومما سيلحق

﴿ طبيعة الدين المسيحي وأصوله ﴾

(تمهيد) ظنت الجامعة ان الدين المسيحي فصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية ولذلك كان في طبيعته التسامح . أما الدين الاسلامي فمن أصوله ان السلطان ملك وخليفة ديني وذلك مما يصعب معه التسامح في رأيها

ليس هذا بكاف في بيان طبيعة كل من الدينين واستعدادها للتسامح مع العلم أو مع أية عقيدة تخالفها بل لا بد من بيان أركان الدين وأهم أصوله التي ترجع إليها جميع الفروع ومنها تصدر الآثار الحقيقية

عند النظر في أي دين للحكم له أو عليه في قضية من القضايا يجب أن يؤخذ ممحصاً مما عرض عليه من بعض عادات أهله أو محدثاتهم التي ربما تكون جاءتهم من دين آخر. فإذا أريد أن يحتج بقول أو عمل لا تباع ذلك الدين في بيان بعض أصوله فليؤخذ في ذلك بقول أو عمل أقرب الناس إلى منشأ الدين ومن تلقوه على سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه واني أوجز القول في إيراد الأصول الأولى التي وردت في الأناجيل المعروفة الآن في أيدي المسيحيين . وجاءت في كلام أئمتهم الأولين . ثم إيراد ما جر إليه الأخذ بتلك الأصول بحكم طبيعة الدين

الأصل الأول للنصرانية الخوارق

أول أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عمادله هو خوارق العادات . تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه إلا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه . ثم أنه جعل ذلك دليلاً على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لأصحابه ذلك كما تراه في الإصحاح العاشر من إنجيل متى وغيره . وإذا تتبعنا جميع ما قاله الأولون من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات ، من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات . ولا يخفى أن خارق المادة هو الأمر الذي يصدر مخالفاً لشرائع الكون ونواميسه . فإذا ساء أن يكون ذلك لكل من علا كعبه في الدين لم يبق عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص

زاد الانجيل على هذا ان الايمان ولو كان مثل حبة خردل كاف في خرق نواميس الكون كما قال في الاصحاح السابع عشر من متي : « فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » وفي الحادي عشر من مرقس « ٢٣ لأنني الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان مايقوله يكون ففما قال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم »

فكل بحث يؤدي الى أن للكون شرائع ثابتة وان للعلل والشرائط أو الاسباب أو الموانع أحكاما في معلولاتها أو ماشرطت فيه أو ما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضادا لهذا الاصل في أي زمن وقد كان كل علم من علوم الاكوان لا بد فيه من هذا البحث فكل علم مضاد لهذا الاصل . ثم ان صاحب الاعتقاد بهذا الاصل لا يحتاج الى البحث في الاسباب والمسببات لأن اعتقاده في الشيء ان يكون واراذه لأن يكون كافيان في حصوله فهو في غنى عن العلم والعلم عدو لما يعتقده فما أصعب احتماله اذا جاء يزاحمه في سلطانه

❦ الاصل الثاني للتصيرية سلطة الرؤساء ❦

وبعد هذا الأصل أصل آخر وهو السلطة الدينية التي منحت للرؤساء على الرؤسسين في عقائدهم وماتكنه ضمايرهم . وقد أحكم هذه السلطة ماورد في ١٦-١٩ من انجيل متي : « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على

الأرض يكون محلولاً في السموات» وفي ١٨ - ١٨ منه «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء»

فإذا قال الرئيس الكهنوتي لشخص أنه ليس بمسيحي صار كذلك وإذا قال أنه مسيحي فاز بها فليس المعتقد حراً في اعتقاده يتصرف في معارفه كما يرشده عقله بل عينا قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه فإذا اهتزت نفسه إلى بحث أوقفها قابض على تلك السلطة . وهذا الأصل ان نازع فيه بعض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرناً طوالاً

❦ الأصل الثالث للنصرانية ترك الدنيا ❦

وبعد هذين الأصلين أصل ثالث وهو التجرد من الدنيا والانتقطاع إلى الآخرة . تجد هذا الأصل في الانجيل وفي أعمال الرسل وكلمات في الكتب الأولى عثرت به . وتجد الأمر الصادر بالانتقطاع إلى الملكوت والهروب من عالم الملك صريحة في الإصحاح السادس والعاشر والتاسع عشر من إنجيل متى . فما جاء في السادس : « لا تقدر أن تخدموا الله والمال » لذلك أقول لكم لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس (إلى أن قال) ٣٣ ولكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ٣٤ فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره » وقال في التاسع عشر : « ٢٣ الحق أقول لكم أنه يسر أن يدخل غني ملكوت السموات ٢٤ وأقول لكم أيضاً أن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله » وفي العاشر : « ٩ لا تقننوا

ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ١٠ ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا الخ »

وحدث على الرهبانية وترك الزواج وفي ذلك قطع النسل البشري قال في (١٩ من متى :) « ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » . ثم ان ملكوت السموات قد نيط أمره بالايمان المجرد عن النظر في الاكوان فماذا يكون حظ صاحب الاعتقاد بهذا الاصل من النظر في أي علم والعلم لا دخل له في شؤون الآخرة والدنيا قد حرمت عليه . لا ريب ان همه يكون في الصلاة وصرف القلب بكليته الى العبادة دون سواها وليس الفكر في الحليقة من العبادة عنده فان عبادة الانجيل ليست شيئاً سوى الايمان والصلاة

❦ الأصل الرابع للنصرانية الايمان بغير المعقول ❦

وبعد هذه الأصول أصل رابع وهو عند عامة المسيحيين أصل الأصول لا يختلف فيه كاثوليك ولا ارثوذكس ولا بروتستانت وهو ان الايمان منحة لا دخل للعقل فيها وان من الدين ما هو فوق العقل بمعنى ما يناقض أحكام العقل وهو مع ذلك ما يجب الايمان به . قال القديس انسيلم : « يجب ان تعتقد أولاً بما يعرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » فليس الايمان وهو الوسيلة الفريدة الى النجاة في حاجة الى نظر العقل والكون وما فيه لا يهم المؤمن ان يجيل فيه نظرة . وقول القديس « ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » نوع من التفضل على النزعة البشرية الى الفهم وعلى الميل الفطري الى تصور ما يتعلق به الاعتقاد والا فمجرد الايمان كاف في الخلاص . ثم الويل كل الويل لطالب الفهم اذا

أدى اجتهاده الى شيء يخالف ما تعلق به ايمانه فكان معنى الفهم ان يخلق المؤمن لنفسه ما يسلي به نفسه على ايمانه بغير المفهوم (الاصل الخامس للنصرانية ان الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج اليه البشر في المعاش والمعاد) ثم ينضم الى الأصول الاربعة خامس وهو ان الكتب المعروفة بالعهد القديم والعهد الجديد تحتوي على كل ما يحتاج البشر الى علمه سواء كان متعلقاً بالاعتقادات الدينية والآداب النفسية والاعمال البدنية مما يؤدي الى نيل السعادة في الملكوت الأعلى أو كان من المعارف البشرية التي يتأتى للعقل الانساني ان يتمتع بها . قال تيرتوليان (وهو أفضل من وصف الاعتقاد المسيحي في نهاية القرن الثالث قبل ان تعرض عليه البدع الكثيرة) : « ان عقائد المسيحية أسست على الكتب السماوية ودليل صحة هذه الكتب قدمها وكونها أقدم من كتاب أميروس وأقدم من أقدم أثر معروف عند الرومانيين وأقدم من تأسيس الحكومة الرومانية نفسها والزمن ناصر الحقيقة ثم تحقق النبوءات التي وردت فيها » ثم قال : « ان أساس كل علم عندهم هو الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة وان الله لم يقصر تعليمنا بالوحي على الهداية الى الدين فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه من الكون فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قدر للبشر أن ينالوه » فجميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والارض وما فيها وتاريخ الامم مما يجب تسليمه منها ضارب العقل أو خالف شاهد الحس فعلى الناس أن يؤمنوا به أولاً ثم يجتهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه أي على تسليمه أيضاً كما ترى وقال بعض فضلائهم : انه يمكن أن يؤخذ من المعادن بأكملة من الكتاب المقدس

✠ الأصل السادس للنصرانية التفريق بين المسيحيين وغيرهم حتى الأقربين ✠
 ينظم تلك الأصول كلها أصل سادس وهو آخرها فيما أرى . ذلك
 الأصل هو الذي ورد في الاصحاح العاشر من انجيل متى وهو : ٣٤ لا تظنوا
 أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً ٣٥
 فإني جئت لأفرك الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماها
 ٣٦ وأعداء الإنسان أهل بيته . وقد صرح في عدة مواضع من الانجيل
 ان الإخلال بشيء من محبة المسيح أو بالالتقياد الى جميع ما أوصى به موجب
 للهلاك وان كان قد جاء في مواضع كثيرة ان الايمان وحده كاف في الخلاص
 غير ان روح الشدة التي جاءت في قوله « لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً بل »
 هي التي بقي أثرها في نفوس الاولين من المعتقدين بالدين المسيحي وعفت
 على آثار ما كان يصح ان تستشعره النفوس من بعض الوصايا الأخر
 ✠ نتائج هذه الأصول وآثارها ✠

من هنا أعرض المسيحيون الأولون عن شواغل الكون وصدوا
 عن سبيل النظر فيه اظهاراً للغنى بالايمان والعبادة عن كل شيء سواها
 وحجروا على هم النفوس ان تمض الى الدعوة الى ذلك الايمان وتلك
 العبادة ووسائل الدعوة هي الايمان والعبادة كذلك فاذا نزع العقول الى
 علم شيء من العالم وضعوا امام نظرها كتب العهد القديم وحصروا العلم بين
 دقائقها استغناء بالوحي عن كل عمل للعقل سوى فهمه من عباراته وليس
 يسوغ لسكل ذي عقل فهمه بل انما يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفاً
 من الزيف عن الايمان السليم (البروتستانت رأوا أنه يجوز تفسير الكتاب
 لغير الكنيسة)

ثم ان لقاء السيف ووضع التفريق بين الاقارب والاحبة انما جاء حافظاً لذلك كله فاذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمي الى معارضه شيء من أمور الايمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر ولم يجز في شأن صاحبه هوادة ولا مرحمة كما أفهمه المسيح بعمله على حسب ما ورد في الانجيل فقد قيل له: (٧٧) أمك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك ٤٨ فأجاب وقال للقائل له من هي أمي ومن هم اخوتي ٤٩ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي . ونحو ذلك مما يدل على وجوب المقاطعة بين من يعتقد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقده ولا يخفى ان الشيء يكون بذرة ثم نباتاً ثم شجراً فانظر الى ما صار أمر هذه البدايات بحكم الطبيعة وقر في نفوس المسيحيين ان السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم وتقرر عند القوم قاعدة «ان الجهالة أم التقوى» (وكثير من أهل الأديان مسيحيين ومسلمين لا يزالون يجرون على هذه القاعدة بركة ما ورثوا عن أبناء الزمن الغابر) فحصروا التعليم في الأديار ومنعت الكنيسة ان ينشر التعليم بين العامة الا ما كان دعوة الى الصلاح وتقرير الايمان على وجه ظاهر . وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره . ظهرت ذات الذنب التي تنسب الى هالي في سنة ١٦٨٢ فاضطربت لظهورها اوربا ولجأوا الى البابا واستجاروا به فاجارهم وطردها من الجوفولت في القضاء مذعورة من لعنته ولم تعد الا بعد خمس وسبعين سنة !!

لم يكن يسمح لأحد أن يبدي رأياً يخالف صريح ما في الكتاب وعندما أظهر بلاج رأيه في أن الموت كان يوجد قبل آدم أي ان الحيوانات كان يدركها الموت قبل ان يخطئ آدم بالأكل من الشجرة قام لذلك

ضوضاء وارتفعت جلبة وانتهى الجدل الى صدور أمر امبراطوري
بقتل كل شخص يعتقد بذلك . يقول المؤرخ : وهكذا عد الاعتقاد بأن
الموت كان يزور الاحياء قبل آدم جريمة على الملك

أحرقت كتب البطالسة والمصريين بالاسكندرية على عهد جول قيصر
ثم ان تيوفيل بطريك الاسكندرية انتحل أدنى الاسباب لاثارة ثورة في
المدينة لاتلاف ما بقي في مكتبة البطالسة بعضه بالاحراق وبعضه بالتبديد .
قال أورو سيوس المؤرخ إنه رأى أدراج المكتبة خالية من الكتب بعد
ان نال تيوفيل الأمر الامبراطوري باتلافها بنحو عشرين سنة

ثم جاء بعد تيوفيل ابن أخته سيريل وكان خطيباً مفوهاً له على الشعب
سلطان بفصاحته وكان في الاسكندرية بنت تسمى هيباتي الرياضية تشتغل
بالعلوم والفلسفة وكان يجتمع اليها كثير من أهل النظر في العلوم الرياضية
وكان لا يخلو مجلسها من البحث في أمور أخر خصوصاً في هذه المسائل
الثلاث : من أنا والى أين أذهب وماذا يمكنني ان أعلم . فلم يحتمل ذلك
القديس سيريل مع ان البنت لم تكن مسيحية بل كانت على دين آبائها
المصريين فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق
وهي سائرة الى دار ندوتها وجردوها من ثيابها وأخذوها الى الكنيسة
مكشوفة العورة وقتلوا هناك ثم قطع جسمها وجرد اللحم عن العظم وما
بقي منها ألقى في النار . يقول المؤرخ راوي هذه القصة : ولم يسأل سيريل
عما صنع بهيباتي ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها ولعل ذلك كان
أول ما تقررت تلك القاعدة : « الغاية تشفع للوسيلة »

ما من عقيدة ظهرت في المسيحية وأريد تقريرها من فريق ونازع فيها

فريق الا وقد سالت لها الدماء فليراجع التاريخ لتتمثل أرض مصر مصبوغة بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عندما أريد تقرير عبادة العذراء واتخاذها لله أمًا. كان ذلك في طبيعة الدين : ان من لم يتبع المسيح فهو هالك والهلاك لا يستحق الحياة. ألم ترفى الاصحاح الخامس من الأعمال الى قصة الرجل الذي باع جميع ما عنده وعندما جاء الى بطرس أعطاه الثمن وادخل نفسه شيئاً أخفاه عنه فاطلع بطرس على حقيقة الأمر ووبخ الرجل وتصرف فيه بسباب حياته من طريق المعجزة ثم جاءت امرأته وكان لها اطلاع على ما أخفى زوجها ولم تنه فوبخها بطرس وأخبرها بموت زوجها فماتت هي أيضاً . فاذا كان الله يسلب الحياة جزاء على اختلاس الرجل شيئاً من مال نفسه لم يقدمه هدية للرسول فكيف تكون الحياة من حقه اذا خالف خلقاء الله في الارض ونايذهم فيما يعتقدون

قال البابا أنوسان الثالث عند الكلام في مصادرة الدين يخالفون العقيدة الكاثوليكية : « لا يجوز أن يترك لأولاد الجاحدين سوى الحياة وترك الحياة لهم من وإحسان » فلم يقصر الجزاء على الجاحدين ولكن عداه الى أولادهم وعد ترك الحياة لأولادهم يتمتعون بها ضرباً من الاحسان عليهم لأنه لاحق لهم في أن يعيشوا وقد جحد آباؤهم

مقاومة النصرانية للعلم

لا أجد في التاريخ ذكراً للعلم والفلسفة بعد ظهور المسيحية في مظهر القوة لعهدي قسطنطين وما بعده الا في أثناء المنازعات الدينية التي كان يفصل فيها تارة بسلطان الملوك وأخرى بجمع المجامع وثالثة بسفك الدماء فتخمد شعلة العلم وينتصر الدين المحض . وإنما الذكر كل الذكر لما كان بين

المسيحية وماجاورها من الملل الأخرى من الحروب الدينية للحمل على العقيدة بما كان يعتقد المسيحيون وما كان يقع بين ملوك أوروبا من التسافك في الدماء باغراء رؤساء الكنيسة وأمر ذلك معروف عند من له إلمام بالتاريخ وليس من موضوعنا الكلام فيه

ولكن أرى شبه نزاع بين العلم والدين ظهر في أوروبا بعد ظهور الاسلام واستقرار سلطانه في بلاد الأندلس واحتكاك الأوربيين بالمسلمين في الحروب الصليبية

رجع الآلاف من الغزاة الصليبيين الى بلادهم وحملوا الى الناس أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من ان المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة وأجلوا عنها دين التوحيد ونفوا منها كل فضيلة وإخلاص وهم وحوش ضارية وحيوانات مفترسة فلما قفل الغزاة الى ديارهم قصوا على قومهم ان أعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة وذوي ود ووفاء وفضل مجاملة

ثم كان الخليفة الحكم الثاني جعل من بلاد الأندلس فردوساً كما قال الفيلسوف الاميركاني وكان اليهود والنصارى يتلاقون في تلك البلاد تحت ظلال الأمن والحرية . قال بطرس المحترم الشهير انه رأى كثيراً من العلماء يأتون الى تلك البلاد لتلقي العلوم الفلكية حتى من بلاد انكلترا وأولئك الذين يسعون الى طلب العلوم من أي بلاد جاؤا كانوا يجدون فيها رجباً وسعة وكان قصر الخليفة يشبه ان يكون مصنعاً للكتب - نسخ وتذهيب وتجليد الخ ما قال

ثم انتشرت صناعة الورق التي اخترعها العرب ثم اكتشفت المطبعة

وسهل على الناس ان ينشروا آراءهم بعد أن تنبته أفكارهم بما جلب اليهم
 رسل العلم الذين حملوه اليهم عن أهالي اسبانيا ومن حملوه مما جاورها . ثم
 انساب الى العقول شي مما سماه الاوربيون فلسفة ابن رشد . عند ذلك
 اهتمت المسيحية بالأمر وأخذت تحارب كل ما يظهر على السنة الناس
 أو يرد على أسماعهم مما يخالف ما في الكتب المقدسة وتقاليد الكنيسة .
 قال دي رومنيس : ان قوس قزح ليست قوساً حربية بيد الله ينتقم بها
 من عباده اذا أراد بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء . فجلب
 الى روما وحبس حتى مات ثم حوكت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت في
 النار . وقيل في علة الحكم : انه أراد الصلح بين كنيسة روما وانكلترا .
 وأي ذنب أعظم من هذا الصلح ؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بان
 قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء

﴿ مراقبة المطبوعات ومحكمة التفتيش ﴾

انشئت المراقبة على المطبوعات وحتم على كل مؤلف وكل طابع ان
 يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة
 وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب
 أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره . وأوعز الى هذا المراقب أن يدقق
 النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يومي الى مخالفة العقيدة الكاثوليكية ووضعت
 غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة
 (كأن الحكومة العثمانية على ما تنشر بعض الجرائد أخذت نسخة من
 قرار المجمع المقدس لتجري عليه مراقبة المطبوعات ولكن للسياسة لا للدين)
 انشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة عند ما خيف ظهورها

بسعي تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا وإيطاليا .

انشئت هذه المحكمة الغريبة بطلب الراهب توركاندا

قامت المحكمة بأعمالها حق القيام في مدة ثماني عشرة سنة — من سنة ١٤٨١ الى سنة ١٤٩٩ — حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين شخصاً بأن يمحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشق بعد التشهير فشهبوا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة فنفذت ثم أحرقت كل تورااة بالعبرية

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة « المقدسة » ؟ وسيلة واحدة هي ان يحبس المتهم وتجري عليه أنواع العذاب المختلفة بآلات التعذيب المتنوعة الى أن يعترف بما نسب اليه وعند ذلك يصدر الحكم ويعقبه التنفيذ . قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢ ان يلحق كل من ينظر في فلسفة ابن رشد . وطلق الدومينكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولعن من ينظر في كلامه شيئاً من الصناعة والعبادة لكن ذلك لم يمنع الامراء وطلاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل للوصول الى شيء من كتبه وتحلية العقول ببعض أفكاره

اشتدت محكمة التفتيش في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعاة الى كسبه ونيط بها كشف البدعة والحكم فيها ما اشتد خفاؤها — في المدن . في البيوت . في السرايب . في الأتفاق . في المخازن . في المطابخ . في المغارات في الغابات . وفي الحقول . فوفت بما كلفت به مع البهجة والسرور اللائقين بأصحاب الغيرة على الدين عملاً بالقول الجليل « ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً » كان يؤخذ الرهبان في صوامعهم ، والقسوس في كنائسهم ،

والاشراف في قصورهم ، والتجار بين بضائعهم ، والصناع في مصانعهم ،
والعامة في بيوتهم ومزارعهم ، وحيثما وجدوا ، وإينما ثقفوا ، ويوقفون
أمام المحكمة وتصدر الأحكام عليهم يوم اتهامهم

قرر مجمع لاتران أن يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس
الاعتراف الواجب أداؤه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس في
الكنيسة (أي الاعتراف بالذنوب طلباً لغفرانها) تذهب البنت أو الزوجة
أو الأخت لأجل الاعتراف بين يدي القسيس يوم الأحد فيكون مما
تسأل عنه عقيدة أيها أو زوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه في بيته
وما يظهر في أعماله بين أهله . فإذا وجد القسيس متلقي الاعتراف شيئاً من
الشبهة في طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه رفع أمره الى المحكمة
فينقض شهاب التهمة عليه فإذا سأل عن الشاهد الذي عول عليه في اتهامه
لا يجاب وإنما يقام التعذيب مقام شخص الشاهد وهو من أهله حتى يعترف
أوقعت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب أهل أوربا ما خيل
لكل من يلمع في ذهنه شيء من نور الفكر إذا نظر حوله أو التفت وراءه أن
رسول الشؤم يتبعه وإن السلاسل والأغلال أسبق الى عنقه ويديه ، من
ورود الفكرة العلمية اليه ، وقال باغلياديس ما كان يقوله جميع الناس لذلك
المهد : . يقرب من المحال أن يكون الشخص مسيحياً ويموت على فراشه ،
حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ الى سنة ١٨٠٨ على
ثلاثمائة وأربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف أحرقوا بالنار أحياء

اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء عامة ﷺ

لما كان ابن رشد هو الينبوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية في

اوربا على زعم القسوس وكان ابن رشد استاذاً يتعلم عنده كثير من اليهود وقد اتهموا بنشر افكاره وآرائه ثم هومع ذلك مسلم صب غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معاً فصدر الأمر في ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢ بأن كل يهودي لم يقبل المعمودية في أي سن كان وعلى أي حال كان يجب ان يترك بلاد اسبانيا قبل شهر يوليو (تموز) ومن رجع منهم الى هذه البلاد عوقب بالقتل وأبيع لهم ان يبيعوا ما يملكون من عقار ومنقول بشرط ان لا يأخذوا في الثمن ذهباً ولا فضة وإنما يأخذون الاثمان عروضاً وحوالات . ومن ذا الذي يشتري اليوم ثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن ؟ (يعني ان أموال اليهود تكون مباحة بعد جلائهم الذي يتم في يوليو) . وصدر أمر توركاندو ان لا يساعد أحد من سكان اسبانيا في أمر من امورهم . وهكذا خرج اليهود تاركين كل ما يملكون ناجين بارواحهم على انه لا نجاة لكثير منها فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع العدم والفقر وفي فبراير (شباط) سنة ١٥٠٢ نشر الأمر بطرد أعداء الله المغاربة (المسلمين) من أشيلية وما حولها — من لم يقبل المعمودية منهم يترك بلاد اسبانيا قبل شهر ابريل (نيسان) وأبيع لهم أن يبيعوا ما يملكون على الشرط الذي وضع لليهود . ولكن وضع للمسلمين شرط آخر وهو أن لا يذهبوا في طريق يؤدي الى بلاد إسلامية ومن خالف فجزاؤه القتل . فهؤلاء المساكين نفوا جميعاً الى القتل ان لم يكن قتل الجزاء عند الرجوع فالموت ملاقيهم بالتعب مع العرى والجوع

الا يجب القارئ اذا رأى ان برونو يحرق بالنار حياً بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ لأنه قال بقول الصوفية في وحدة الوجود وقال ان

هذا العالم يحتوي على عوالم كثيرة . الحمد لله رب العالمين
ظهر القول بكروية الأرض — ذلك الأمر الذي عرفه المسلمون
وصار رأياً لهم في أول خلافة بني العباس ولم تتحرك له شعرة في بدن —
فأحدث اضطراباً شديداً في عالم النصرانية ولا يسع هذا المقال ما وقع
من الحوادث في شأنه

هل يصدق القارئ أن مقصده كريستوف كولب من السفر في
المحيط الاطلانطي لعله يكتشف ارضاً جديدة كانت من الأمور التي
اهتمت لها الكنيسة وحكم مجمع سلامانك بأنه مخالف لأصول الدين ثم
أعيد النظر فيه وعرض على أقوال الآباء من كريستوم واوغستين
وجيرون وغرينوار وبازيل وانبرواز وعلى رسائل الرسل والأنجيل
والنبوات والزبور والاسفار الخمسة ولم ينتج هذا العرض شيئاً . ولكن
ساعده على مقصده بعض الملوك رغم الكنيسة كما هو معلوم . قال
كريستوف كولب ان الذي أوحى اليه هذا القصد النبيل هي كتب
ابن رشد . من هنا نفهم لم قامت له الكنيسة وقعدت .

ما أشد تمسك الكنيسة بهذا الأصل الجليل « السلطة للقسوس
والطاعة على العامة » كل رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الديني الذي يربط
ويحل في الأرض والسماء فهو باطل يجب مقاومته بكل ما استطاع . لهذا
حكم على غاليلي الذي ذهب الى ان حركة الكواكب هي على النظام
المعروف عند الفلكيين اليوم

مقاومة الكنيسة للحقن تحت الجلد : هل تدري ماذا حصل من المقاومة

لادخال الحقن تحت الجلد بمادة المرض : اكتشفت هذه الطريقة

الطبية عند المسلمين في الاستانة ثم نقلها الى اوروبا امرأة تسمى ماري مونتاجو سنة ١٧٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها واحتج في تعضيدها الى التماس المساعدة من ملك انكلترا وعادت هذه الشدة في المعارضة عندما اكتشفت طريقة تطعيم الجدري

مقاومة تسهيل الولادة : أي مقاومة لم يلاقها اكتشاف تخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بال ألم الطلق : اكتشاف أميركاني رأت حضرات القسوس فيه انه يخلص المرأة من تلك اللعنة أو تلك العقوبة التي سجلت عليها في سفر التكوين (إذ جاء في الاصحاح الثالث منه : « وقال للمرأة تكثيراً أكثر آتاك حملك بالوجع تلدين اولاداً »)

مقاومة السلطة المدنية وحرية الاعتقاد : نشر البابا منشور في سنة ١٨٦٤

جاء فيه لمن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية او جواز ان يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يعتقد بان الشخص حر فيما يعتقد ويدين به ربه . وفي منشوره سنة ١٨٦٨ ان المؤمنين يجب عليهم أن يفقدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وافكارهم ودعا الروم الارثوذكس والبروتستانت الى الخضوع للكنيسة الرومانية على هذا الوجه

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة بروسيا والبابا في عزل استاذ في إحدى الكليات رأى رأياً لا يروق للحزب الكاثوليكي فخرمه البابا وطلب من الحكومة عزله وكانت إحدى العضلات السياسية غير ان عزيمه بسمارك نصرت مدنية القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة وأبقت الاستاذ وجعلت التعليم تحت السلطة المدنية

مقاومة الجمعيات العلمية والكتب : لا أذكر الجمعيات العلمية (الأكاديميات) التي النيت والاجتماعات التي عطلت لاشي كان فيها سوى هداية البشر الى منافهم وتنوير بصائرهم بكشف ما احتجب عنهم من سر الخليقة بالبحث النظري ومن الطريق العقلي من غير استشارة المسيطر الالهي وهو الكنيسة . ولكن أذكر شيئاً واحداً وهو ان الكردينال اكسيمينيس أحرق في غرناطة ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب المعول عليها عند علماء أوروبا لذلك العهد

البروتستانت او الاصلاح

ربما يقول قائل ان هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ولكن قد قام في المسيحية مصلحون يرون إرجاع الدين الى أصل الكتب المقدسة ويبيحون لعامة أهل الدين ان ينظروا فيها ويفهموها وقد رفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والمقول ومن عهد ظهور الاصلاح والرجوع الى أصول الدين الأولى بزغت شمس العلم بالمغرب وبسط للعلم بساط التسامح وذلك لا يمكن أن يكون الا جريا مع طبيعة الدين

لا أذكر في الجواب عن ذلك الا ما ذكر البروتستانت أنفسهم في تاريخ الاصلاح : استمرت عقوبة الموت قانوناً يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفة وقد أمر كلفان^(١) بحرق سيرفيت في جنيف لأنه كان يعتقد ان الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابتداع قبل مجمع نيقة . وكان يقول : ان روح القدس ينش الطبيعة بأسرها . فكان جزاؤه على هذا ان شوي على النار حتى مات وهكذا أحرق فايي في تلوز سنة ١٦٢٩

(١) كلفان هو الزعيم الثاني للبروتستانت ولوتر الأول

كان لوتير أشد الناس أنكاراً على من ينظر في فلسفه ارسطو وكان ذلك المصلح يلقب هذا الفيلسوف بالخنزير الدنس الكذاب ونحو ذلك من الألقاب التي لا بأس بها اذا صدرت من أهل الغيرة على الدين في طريق الدفاع عنه !! وكان كلفان أقل شتماً للفيلسوف من لوتير لكنه لم يكن أحسن ظناً به ولا أوسع صدرالمن يطلع على شيء من كتبه . وكان علماء المسلمين يلقبون هذا الفيلسوف «المعلم الاول» فتأمل الفرق بين الفريقين !!

قالوا : البروتستانت قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وبإبطال السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الآخروية وإبطال عبادة الصور . ولكنهم لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بأن الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري كما انها منبع نور الإيمان بالدين الالهي وانه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره الى ما يخالف شيئاً مما حوته وأنه لا حاجة الى شيء من العلم وراء ما ورد فيها . وبالجمله انهم لم يبطلوا أصلاً من الأصول الستة التي تقدمت إلا أنهم قالوا بمنع غلو الرؤساء في سلطتهم المبنية على الاصل الثاني في سابق قواننا

قالوا : ولهذا لم يكن مذهب الاصلاح اخف وطأة على العلم ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك لان كلا المذهبين يرجع الى طبيعة واحدة (وهي القائمة على الاصول الستة) ولم يكن لاهل النظر العقلي جزاء في كلا الملتين الا القتل وسفك الدم

لو كنت ممن يحب الجدال في الدين لعددت فيما ذكرته من عناصر الدين المسيحي ما تضمنه قول بعض الناقدين عند الكلام على الحروب المسيحية واضطهادات الكنيسة « ما أهون الدم على من يمثل في عبادته اكل

الدم وعلى من يعتقد ان خلاص العالم الانساني من الخطيئة انما كان بسفك الدم البرئ على يد الممتدي الاثيم، لكنني في بحثي هذا لا أريد ان استعمل قوة الخيال، ولا أن أذكر ما يعد من قبيل الجدال، وانما آتي بما هو حكاية حال، ليس للناظر فيها مقال،

الفصل بين السلطين في المسيحية

بقي علينا الكلام فيما جعلته الجامعة أساساً للفصل بين السلطين الدينية والملكية وبه كانت طبيعة الدين المسيحي ادعى الى التسامح مع العلم في نظرها . لو سلمنا أن في تلك العبارة معنى الفصل كما قالت الجامعة وقال كثير غيرها ممن أرادوا مقاومة السلطة الدينية فإذا يفيد الفصل اذا كان دين الملك نفسه يقضي عليه بمعاداة العلم ؟ أفلا يغلب اعتقاد الملك وما يملك نفسه مما فيه نجاته الروحية على مطالب الملك ؟ وكم من ملك جعل مصالح مملكته قربانا لسلطان عقيدته . هب ان مصالح الملك تكون دائماً أغلب على النفس من حكم العقيدة وقاهر الايمان والوجدان وقد أقام الدين سلطين منفصلتين احدهما تحمل وتربط في الارض وفي السماء فيما هو من خاصة الدين والأخرى تحمل وتربط في الأرض فيما هو من خصائص الدنيا . أفلا يكون هذا الفصل قاضياً بتنازع السلطين وطلب كل واحدة منهما التغلب على الأخرى فيمن تحت رعايتهما معاً ؟ وهل يسهل على السلطة الدينية أن تدع رعاياها تتصرف في أبدانهم وأموالهم بل وفي عقولهم أيدي الملوك بما تقتضيه مصالح الملك القاني اذا كان ذلك التصرف مخالفاً لما جاء في كنز المعارف وهو الكتب السماوية وتأويل الرؤساء الروحانيين وسننهم فاذا همت هذه السلطة بالمعارضة أقتصر الأخرى ؟ هذا هو الذي وقع

في العالم المسيحي منذ ظهرت سلطة الدين
كيف يتسنى للسلطة المدنية أن تتغلب على السلطة الدينية وتقف بها
عند حدها والسلطة الدينية إنما تستمد حكمها من الله ثم تمتد نفوذها بتلك
القوة إلى أعماق قلوب الناس وتديرها كيف تشاء. والملك لا قوة له إلا بأولئك
الناس المغلوبين للسلطة الدينية؛ لا يتأتى للملك أن يغالب تلك القوة إلا بعد
أن يتناول من الوسائل ما لا يعد لإضعاف سلطتها. نعم هذا الفصل يسهل
التسامح لو كانت الأبدان التي يحكمها الملك يمكنها أن تأتي أعمالها على حدة
مستقلة عن الأرواح التي تحيا بها والأرواح كذلك تأتي أعمالها بدون
الأبدان التي تحمل قواها

ثم هل هذا هو معنى قول الانجيل؛ القصة على ما جاء في الانجيل
أن بعض المرائين أراد أن يتسقط المسيح ليأخذ عليه ما ينم به فسأله :
أيجوز أن نعطي جزية لقيصر؟ فأجاب لم تجربوني ائتوني بدينار لا أنظر
إليه. فأتوه بدينار فقال : لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له لقيصر
فقال : اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فمعناه الظاهر من سياق القصة
أن صاحب السكة التي تعاملون بها إذا ضرب عليكم ان تدفعوا منها شيئاً
فادفعوه له أما قلوبكم وعقولكم وجميع ما هو من الله وعليه طابع صنعته
فلا تعطوا منه لقيصر شيئاً. والعلم ليس مما عليه طابع فيصر بل عليه طابع
الله فلا يمكن أن يكون العلم تحت سلطة غير السلطة الروحية الدينية.
فأي تسامح مع العلم في هذا

﴿ اعتقاد المسلمين في المسيح والمسيحية ﴾

هذا الذي عرضناه من طبيعة الدين المسيحي وأوردناه من مشاربه

فما بعد نشأته وما وقع من حوادث أهله مع طلاب العلم ورواد المعارف في كل زمن الى ما يقرب من أيامنا هذه كل ذلك مأخوذ من تاريخهم الذي كتبوه عن أنفسهم ومن نصوص كتبهم الدينية التي يتوكلون عليها فيما ذكرنا من سيرتهم وأعمالهم

أما رأيي ورأي أهل العقيدة الصحيحة من المسلمين في المسيح عليه السلام ودينه فهو على غير مارآه القارىء . انا نعتقد ان المسيح روح الله وكلمته ورسوله الى بني اسرائيل بعث مصداقاً لما بين يديه من التوراة وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم ورشاد في شؤون معاشهم ومعادهم ولم يطالبهم بتعطيل قوة من قواهم التي وهبهم الله تعالى إياها بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها ولا يشكر حق الشكر الا باستعمالها جميعها فيما أعدّها الله له . والمقل من أجل القوى بل هو قوة القوى الانسانية وعمادها والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه وكل ما يقرأ فيه فهو هداية الى الله وسبيل للوصول اليه . وكل ما صح عندنا عن السيد المسيح لا يخالف شيء منه هذا الذي نعتقد . فان صح عنه شيء يكون في ظاهره مخالفة لهذه الأصول أمكننا تأويله حتى يرجع معناه اليها أو وكلنا الامر فيه الى الله وقلنا « لا علم لنا الا ما علمتنا » .

الدين دين الله وهو دين واحد في الاولين والآخريين لا يختلف الا صوره ومظاهره . وأما روحه وحقيقة ما طولب به العالمون أجمعون على السن الانبياء والمرسلين فهو لا يتغير — إيمان بالله وحده وإخلاص له في العبادة ومعاونة الناس بعضهم لبعض في الخير وكف أذاهم بعضهم عن بعض ما قدروا . وهذا لا ينافي الارتقاء في الدين بارتقاء عقول البشر

واستعدادهم لكمال الهداية . ونعتقد ان دين الاسلام جاء ليجمع البشر كلهم على هذه الأصول ومن أهم وظائفه ازالة الخلاف الواقع بين أهل الكتاب ودعوتهم الى الاتفاق والاخاء والمودة والائتلاف وهذا ما عمل عليه المسلمون قرناً بعد قرن بحسب قوة تمسكهم بالاسلام

فاذا سأل سائل : اذا كان ذلك الذي قدمت فيما سبق هو اعتراف فضلاء الأوربيين أنفسهم في منافاة طبيعة الدين للعلم واشتداده في معاداته فما هذا الانقلاب الذي حصل في أوربا وما هذا التسامح الذي يتمتع به العلم اليوم في أقطارها ؟ فجوابه في الكلام على الامر الرابع مما ذكرت الجامعة وهو يكون بعد عرض طبيعة الدين الاسلامي وما يليق أن يكون له مع العلم وما انجر إليه الحال بمقتضى تلك الطبيعة وما عرض عليها مما سترها وحال بينها وبين أثرها في أخريات الأيام ؛ وسنوجز القول فيه كما أوجزناه فيما مضى

باب الاسئلة والاجوبة

(١س) غممة المتصوفة من الشيخ عبد الله عبد الرحمن بالقائيات : قال بعد كلام يعرض فيه بعلماء التقليد وعدم الثقة بهم ويثني فيه على المنار ما نصه
 « ما يرى سيدي فيمن نطق بالشهادتين أو بطلاق امرأته أو بأي عقد يحتاج في اعتباره الى صراحة اللفظ نطق به كما تصنع هذه الفرقة (المتصوفة) في ذكرهم وأريد غممتهم . اهو إسلام صحيح ، أو طلاق صريح ، أو عقد معتبر شرعاً ؟ فان قلتم بصحته كلية فما هذا الذي ينكره الناس على هذه الطائفة ؟ وان رأيت غيره فأي شيء هو ؟ الغو من الكلام ، لا يثبت به إسلام ، ولا يعطي ما يعطيه اللفظ الصريح من المعاني ،

(ج) الغممة هي النطق لا بيان فيه وأصلها أصوات الثيران عند الذعر وتقع من الناس اضطراراً يقال : غمغم الأبطال عند الكفاح في الحرب . وهذا هو الذي

يناسب المعنى الحقيقي . فاذا غمغم الانسان مختاراً فانما يكون لاعباً وهازلاً فاذا جاء في هزله بكلمة الشهادة فلا يمتد بها ظاهراً ولا باطناً . أما عدم الاعتداد بها في الباطن فلأن اللعب بأصل الدين سخرية وهزاء وهو مزيد في الكفر فكيف يحصل به الايمان ؟ وأما عدم الاعتداد بها في الظاهر فلأنها غير ظاهرة وربما لا يعرف غير المغمغم انها وقعت في غمغمته . ولأن قرينة الهزاء والسخرية تصرف الكلام عن ظاهره ومثل هذا يقال في الطلاق الا أن الفقهاء من الحنفية والشافعية يعتبرون هزل الطلاق جداً فاذا اعترف بأنه في غمغمته نطق بصيغة الطلاق المعتبرة فربما يحكم القاضي عليه بما تقتضيه تلك الصيغة في مذهبه . واذا كان المغمغم يمتد ذلك فهو يعمل به أيضاً والسائل يعلم ان العقود التي من شأنها أن يحكم فيها الحاكم تكون العبرة فيها بظاهر القول وبالعرف وأما العبادات فالعبرة فيها بما ورد في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة مع الاخلاص في القلب وصحة التوجه الى الله تعالى . فالتناس ينكرون على المتصوفة المغمغمين في الذكر انهم اخترعوا لانفسهم عبادة لم يأذن بها الله تعالى في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيتناولهم قوله عز وجل « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » ويصدق عليهم قوله تعالى « اتخذوا دينهم هزوا ولعباً » ولكل مسلم الحق في انكار كل عبادة لم ترد في الكتاب والسنة في ذاتها أو صورتها فقد أخبرنا الله تعالى في كتابه بأنه أكمل لنا ديننا وأتم علينا به نعمته فكل من يزيد فيه شيئاً فهو مردود عليه لأنه مخالف للآية الشريفة وللحديث الصحيح « كل من أحدث في شيء من أمرنا ما ليس منه فهو رد »

كل بدعة في الدين فهي ضلالة كما ورد في الحديث وأما البدع التي منها حسن ومنها سيئ فهي الاختراعات المتعلقة بأمور المعاش ووسائله ومقاصده وهي المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ، ولو لا ذلك لكان لنا أن نزيد في ركعات الصلاة أو سجوداتها والله أعلم

(س ٢) خرافة المشاهرة محمد اقدى عباسي السمرة ببولاق : أرجوكم افادني

عن (المشاهرة) وهي ان تدخل امرأة تحمل عقداً من اللؤلؤ على احدى النساء الواضعات فيكون أثر ذلك في الواضعة انها لا تحبل بعد ذلك أبداً الا أن تأتي بمقدم اللؤلؤ فتضعه في الماء بشكل مخصوص فانها بعد ذلك تحبل وقد أثبتت كثرة التجارب كثيراً من هذا فهل ورد عنه شيء في الشرع الشريف

(ج) الشرع أباح للناس أو أرشدهم الى البحث عن منافعهم الدنيوية ليستفيدوا مما ثبتت لهم فائده ويحتنبوا ما ثبتت لهم مضرتة فلو فرضنا ان التجارب التي ذكرها السائل صحيحة محققة لكان حكمها في الشرع أنه يحرم على المرأة أن تدخل على النساء بعقد من اللؤلؤ لآنها تضرها بمنع الحبل ثاية لاسيما اذا كان العقد خفياً أو كانت النساء لاتعرف العلاج أو لا تقدر عليه . وانه يجوز لمن منع حباها بذلك ان تعالج نفسها بوضع عقد من اللؤلؤ في الماء اذا أرادت ازالة المانع

أما نحن فلا نعتد بتجارب العامة ولا سيما النساء ولا نرضى للسائل أن يصدقهن بهذه المزاعم وكم لمن من أمثالها كزعمهن في الزار . العاقل يشك في مزاعم هؤلاء الجاهلات اذا كانت في ذاتها قريبة في نظر العقل فكيف يصدقهن فيما يكون بعيداً من النظر كمسألة تناقض العقل لا يتصور علاقة لعقد اللؤلؤ بأمر الرحم والتناسل لاسيما في صورة الانفصال والبعد

باب الرد على شبهات المسيحيين

(إيمان المسلمين وأعمالهم)

جاء في الجزء ٨ من مجلة بشار السلام نبذة تحت هذا العنوان ما خصها انه يجوز على مذهب أهل السنة « ان يؤمن أحد بالاسلام ايماناً حقيقياً وتبقى أعماله شريرة » واعترض الكاتب على هذا اعتراضين احدهما « ان الايمان الذي لا ينشئ في صاحبه توبة و عملاً صالحاً بل يتركه وسيئاته تفوق حسناته ومضاره تزيد عن منفعه . . . فهو ايمان باطل عديم النفع يحط من كرامة الخالق ويزيد في شقاوة المخلوق » . ثانيهما « عجز الايمان الحمدي عن الخلاص التام » وقد أورد الكاتب بعد الاعتراض الأول كلمات من كتب العهدين تدل على أنه يطلب من الانسان أن يكون كاملاً ولكنها لاتدل على أن المؤمن يكون معصوماً من الذنوب . وأورد بعد الثاني كلمات تدل على أن الايمان بالمسيح كافٍ للخلاص ولكن لم يشترط مع الايمان عملاً صالحاً

لو كان هؤلاء المعارضون يعتقدون بما يقولون لكانت هدايتهم قريبة واقناعهم أقرب ولكنهم يلوكون الكلام ويلوون ألسنتهم بالكتاب ليفتوا به عامة المسلمين الجاهلاء ولا يبالون ان كان الكلام حجة عليهم . عهدهم الجديد ناطق بان البر والعمل بالناموس الالهي لا يغنيان عن الانسان شيئاً وانما يغني عنه الايمان بالمسيح فقط وبذلك

ينجو ويرث الملكوت وإن كان شر الأشرار ، وأفجر الفجار ، والقرآن لا يكاد يذكر الإيمان المأموروناً بذكر العمل الصالح . وورد في السنة الصحيحة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان . وهذه السنة مؤيدة بخمس وسبعين آية من القرآن . وهذا ما عدا الآيات التي ذكر فيها العمل الصالح بدون ذكر الإيمان

قال تعالى « وإني لتفارق لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وقال عز وجل « ليس بآمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب . من يعمل سوءاً يجز به ولا يجذله من دون الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً » وقال جل ذكره « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا » وقال تقيت أسماؤه « والمصر أن الإنسان إن خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » فهذه السورة القصيرة أجمع للفضائل وأبلغ في الهداية من جميع الكتب التي في العالم سماوية كانت أو غير سماوية وهي كافية لتكون ديناً مستقلاً لقوم يتدبرون

إن الشبكة التي يصيد بها الجاهلين هذا الكاتب وأمثاله إلى المسيحية هي أن خلاص الإنسان محصور في أن يؤمن — أي يقول وإن لم يعقل — أن الإله مركب من ثلاثة أصول كل واحد منها عين الآخرين قائل ثلاثة واحد وإن أحد الثلاثة وهو الابن حل في جسم إنسان بواسطة آخر وهو روح القدس فصار هذا الإنسان الإله وابن الإله وإنساناً وابن الإنسان وصار هو الله ثم أنه ساطع أعداءه على نفسه فصلبوه واحتمل الألم واللعنة الإلهية لأجل خلاص الناس من ذنب أبيهم آدم وذنوبهم لأنه لم يجد غير هذه الطريقة لخلاص عباده

لا يطلب هذا الكاتب وأمثاله ممن يدعوهم إلى دينه إلا هذا القول الذي لا يعقل ولا يحمل النفس على عمل صالح بل يجرئها على جميع المعاصي والجاهل يحب أن تباح له المعاصي ويكون ناحياً بكلمة يقولها . فإذا كان دعاة النصرانية قد بداهم أن يشترطوا مع هذه الكلمة التي يسمونها إيماناً ترك المعاصي والأعمال الصالحة فآية مزية لديهم غير تلك الكلمة التي لا تعقل ولا تفهم ؟ ألا يعلم أنه إذا دعا مسلماً إلى دينه وطالبه بترك المعاصي ويعمل الصالحات فإنه لا يستطيع أن يصيده مهما كان جاهلاً لأنه يقول إن هذا يكلفني بمثل ما يكلفني به ديني ويزيد علي ثقل آخر وهو الإيمان بما لا أعقله ولا أفهمه

وهو أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وإن الله عجز عن أنجاء الناس بدون أن يهين ذاته العلية بالحلول في أحدهم وبالتألم وبلعن نفسه

المسلمون يعتقدون أن الإيمان يهذب الاخلاق ويصالح الاعمال وأنه يجوز مع ذلك ان تغلب على المؤمن شهوته أو غضبه فيعمل شراً لاسيما اذا لم يترتب على أعمال الإيمان من النشأة الأولى ولكنه يرجع ويتوب عن قريب قال تعالى « ان الذين اتقوا اذا مشهم طائفت من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » وقال سبحانه « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم » ومن التوبة أن يعمل صالحاً يكفر سيئته « ان الحسنات يذهبن السيئات » فاذا قصر فهو تحت مشيئة الله

فتبين مما ذكرنا بالاختصار أن الإيمان عند المسلمين يثمر الاعمال الصالحة وإن العمل لا قيمة له في إيمان النصارى . أما قول مجلة بشار السلام في نتيجة الاعتراض الاول : « وبناء على ما تقدم كل إيمان لا يكون الكمال غايته والتقوى ثمرته فهو إما إيمان كاذب بالإله الحق كإيمان النصارى بالاسم واليهود بالاسم أو إيمان صادق لكنه بإله باطل خيالي قائم على الاوهام » . فهو مسلم ولقد أنصفت فيما كتبت عن إيمان النصارى ولم يكن من شأنها ذلك فإن إيمانهم ليس الا أسماء سموها وأقوالا لا تعدو الفم لان العقل ينكرها ، ولا يستطيع أن يتصورها . وأما قولها بعد ذلك « وأظنك لم تنس ذكر القوم الذين هم على الاسلام بالاجماع وهم مع ذلك من أهل العصيان والفجور بحيث يحكم عليهم بالسجن في جهنم مدة لاتنقص عن تسعمائة سنة ولا تزيد عن سبعة آلاف » الخ . فهذا التحديد فيه لم يصح في كتاب ولا سنة فهو لا يعتد به عند المسلمين وإن ذكر في بعض الكتب فكم في الكتب من أحاديث موضوعة وأقوال مكذوبة ولا حجة علينا الا في القرآن الكريم والاحاديث الصحيحة . وأما كلام المؤلفين في أمور الآخرة فلا يعتد به ما لم يكن منقولا على أنه لا يجب الإيمان فيما يتعلق بعالم الغيب كاحوال الآخرة الا بالقرآن والاحاديث المتواترة وهي قليلة جدا . وهذا الذي قلناه هو الاصل المعول عليه عند المسلمين

وأما قوله تعالى « وإن منكم الا واردة » فليس خطابا للمسلمين كما زعم الكاتب لان الآيات التي قبلها كلها في الكفار فقل ان الخطاب لهم خاصة وقيل انه عام والمراد ب ورود المؤمنين حيثئذ المرور عليها والجنو عندها قبل دخول الجنة وبذلك يعرفون مقدار نعمة الله تعالى عليهم بدخول الجنة

(كلتان) أتم هذا الرد بكلمتين أولاً للمسلمين الذين يرسلون إلينا هذه الجرائد لندرد عليها : لا يحزنكم أيها المسلمون هذا الاعتداء الذي لم تتأدوه ولا تعدوه من سيئات حرية المطبوعات فهو من حسناتها لأن هذا الاعتداء على الطعن بدينكم هو الذي يوقظكم من نومكم ويبعث فيكم شعور البحث والاستدلال ويحيي فيكم روح الغيرة الملية والمباراة القومية حتى تعرفوا حقائق دينكم بالبراهين والدلائل والبحث لا يزيد الحق الا ظهوراً

والكلمة الثانية للتصاري المعترضين ، الذين يسمون أنفسهم مبشرين ، وهي :
 اننا نعتقد انكم تطمنون بدين الاسلام الذي لولاه لا ثبت دين في هذا العصر المنير
 مأجورين لا معتقدين بما تقولون وما تكتبون . ولذلك يترك أحدكم التبشير اذا عزل
 من الجمعية ومنع عنه الراتب الذي كان له . ولو كنتم تعتقدون بالدين لعلمتم ان دين
 الله واحد وهو تنزيه الباري وتوحيده والاخلاص في عبادته وترك الشرور وعمل البر
 ونفع العباد . وكنتم ترون ان الاسلام قد خدم العالم الانساني بهذا الاصلاح المنقح وانه هو
 دين الانبياء اجمعين ظهر في اكمل ارتقاء وأخرج أهل الكتاب من الخلاف والمشكلات
 ولكن الهوى يصدكم عن هذا فاعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون ،

❦ باب الاغيار والاراء ❦

❦ المصريون في أوربا وسوء التقليد ❦

لما ولع أمراء المصريين وكبرائهم بالاصطياف في أوربا دب فساد التقليد في
 في نفوس الطبقات المتوسطة المتصلة بهم فصار الكثيرون منهم بهاجرون الى أوربا بالتبذير
 الاموال ، واقتباس أسوء الخلال ،

وقد علمنا أن شيخاً من هؤلاء استدان مبالغاً من المال وسافر به الى باريس وقد
 أنحف بثناً له في المدرسة السنية برقعة بريدية مصورة (كرت بوستال) أرسلها اليها
 في البريد . ولو علم القراء ماهي الصورة التي عليها لكان لهم عبرة في هذا التقليد الضار
 ولا يكون التقليد الاضارا

تلك الصورة هي صورة أشهر بغي من موسسات باريس وقد صورت على الرقعة
 عارية لترغيب الفساق بالاقبال عليها وكتب تحت الصورة ووصف مكانها وكتب
 الشيخ المصري لبنته تحت تلك الكتابة الفرنسية أنظري يا بناتي ما أجمل هذه الغادة

الباريسييه !!! فماذا نرجو من رجال يربون بناتهم هذه التريبة وكيف تقول ان البنات ملومات على فساد أخلاقهن وأديهن ؟ ولو أن ناظرة المدرسة السنية اطلعت على هذه الرقعة مع البنت لطردتها من المدرسة وأتت لها بالاطلاع عليها .

ولا يتوهن أحد أن هذا الشيخ الجاهل هو من شيوخ العلم أو شيوخ الطريق .
كلا أنه من التعممين الذين ليس لهم لقب أقدى أو بيك

﴿ ابن الرشيد وابن سعود في نجد ﴾

قد استولى ابن سعود على القسم الجنوبي من بلاد نجد الى حدود بلاد اليمن فصار في يده نصف البلاد أو يزيد ، والباقي في يد ابن الرشيد ، ويود جميع الاهالي لو خلصت الامارة لابن سعود لأنه أعلم وأرحم ، وابن الرشيد أجهل وأظلم ، والاميران الآن في شبه هدنة لان ابن الرشيد يتوقع اعانة الدولة العلية وامدادها اياه بالرجال والسلاح وهذا دليل على معرفته بمجزئه . وعندنا ان الحكمة في عدم دخول الدولة العلية في هذا الامر بالفعل لأن عاقبة ذلك وخيمة جداً . والخطر متوقع على كلا الحالتين الآتيتين — اذا خلصت الامارة لابن سعود من غير أن تحاربه الدولة فإنه يكون مواليا لها وخاضعا لامرها كابن الرشيد أو أشد ولاء وخضوعاً . واذا غلب على أمر البلاد بعد مناوأة من الدولة فيخشى أن يسقط نفوذها من قلب البلاد العربية وهذا أحد الخطرين . وأما الخطر الثاني وهو أشدهما فهو ما ينتظر من احتواء ابن سعود بدولة انكلترا اذا جردت الدولة عليه جيشا لا قبل له به . ولولا أن وصل الى آذاننا شيء من الهمسات الخفية التي يتناجى بها سعاة الفتن في بلاد العرب لما كان يخطر في بالنا أن يكون شيء من هذا وقانا الله وبلاد العرب من عواقب هذه الفتن

لهذا قلنا ان من الحكمة أن لاتسيء الدولة العلية أحد الخصمين بالفعل ولا شك ان العاقبة الحسنة تكون لها اذا آقت هذين الخطرين (والعاقبة للمتقين)



(غلط في الجزء ١٠) في السطر ٦ من الصفحة ٣٧٠ كلمة دعت والصواب (وعت) وهي الأرض التي تغيب فيها الأقدام لئلا . وفي السطر ١٣ منها بجبل والصواب (بجبل) . وفي س ٢٠ من ص ٣٨٠ كلمة من وصوابها (في) وفي البيت ١٧ من ص ٣٩٢ (دبتارا) والصواب (بتارا) وفي البيت ٢٢ منها (ينارا) والصواب (دينارا) فليصحح

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المقدمة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة غرة رجب سنة ١٣٢٠ — ١٣ أكتوبر (تشرين) سنة ١٩٠٢)

— الإسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية —

(وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم . والاستاذ العالم)

(نتائج هذه الاصول وآثارها في المسلمين)

الى م أفضت طبيعة الاسلام بالمسلمين ؟ وماذا كان أثرها في اسلافهم
الأولين ؟ — فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر واستولى بجيشه
على الاسكندرية بعد لحاق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرفيق
الاعلى بست سنوات في رواية وتسع سنوات في رواية أخرى والا سلام
في طلوع فجره ، وتفتح نوره ، فكان من بقايا ما تركت الازمان الأولى
رجل مسيحي من اليعقوبيين اسمه يوحنا النحوي كان في بدء أمره ملاحاً
يعبر الناس بسفينته وكان يميل الى العلم بطبيعته فاذا ركب معه بعض أهل
العلم أصغى الى مذاكرتهم . ثم اشتد به الشوق فترك الملاحة واشتغل بالعلم

وهو ابن أربعين سنة فبلغ فيه ما لم يبلغه الناشئون فيه من طفوليتهم وقد أحسن من العلم فنونا كثيرة حتى عدّ من فلاسفة وقته وأطبائه ومناطقته يقول كثير من مؤرخي الغربيين ومؤرخي المسلمين ان عمرو بن العاص سمع به فاستدناه منه وأكرمه لعلمه ووقعت بينهما محبة ظهر أمرها واشتهر حتى قال أحد فلاسفة الغربيين : « ان المحبة التي نشأت بين عمرو بن العاص فاتح مصر ويوحنا النحوي ترينا مبلغ ما يسمو اليه العقل العربي من الأفكار الحرة والرأي العالي . بمجرد ما أعتق من الوثنية الجاهلية ودخل في التوحيد المحمدي أصبح على غاية من الاستعداد للجولان في ميادين العلوم الفلسفية والأدبية من كل نوع »

خالط المسلمون أهل فارس وسوريا وسواد العراق وأدخلوهم في أعمالهم ولم يمنعهم الدين عن استعمالهم حتى كانت دفاترهم بالرومية في سوريا ولم تغير بالعربية الا بعد عشرات من السنين فاحتكت الأفكار بالأفكار وأفضت سماحة الدين الى أن أخذ المسلمون في دراسة العلوم والفنون والصنائع

﴿ اشتغال المسلمين بالعلوم الأدبية ثم العقلية ﴾

وبعد عشرين سنة من وفاته عليه الصلاة والسلام أخذ الخليفة علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه يحضّ على تعليم الآداب العربية ويطلب وضع القواعد لها لما رأى من حاجة الناس الى ذلك . وأخذ المسلمون يتحسسون نور العلم في ظلام تلك الفتن استرسالا مع ما يدعوم اليه دينهم وتنبههم لطلبه شريعتهم . وان كانت الحروب الداخلية التي اشتعلت نارها في أطراف بلادهم للنزاع في أمر الخلافة قد شغلهم عن كل شيء من مصالحهم فانها لم تشغلهم عن تلمس العلوم والتناول منها بالتدريج على

سنة الفطرة . فالبراعة في الآداب من علم بوقائع العرب وتاريخهم وقول الشعر وإنشاء البليغ من النثر قد بلغت في خلافة بني أمية مبلغاً لم تبلغه أمة قط في مثل مدتها . وكان الخلفاء الأمويون يملون منزلتها ويرفعون مكانات الشعراء والخطباء والعلماء بالسير . ثم ظهرت آثار العلوم العقلية في آخر دولتهم وترجمت جملة من الكتب العقلية والصناعية قبل نهاية القرن الأول . نقل الخلفاء الأمويون دار الخلافة من المدينة إلى الشام ولم يسيروا في الزهد سيرة الخلفاء الراشدين فقد جاء رسول من الفرس إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما سئل عنه دُلَّ عليه فذهب إليه فاذا هو قائم على الأرض تحت نخل البقيع بين الفقراء وجاءت رسل الملوك إلى معاوية رحمه الله فاذا هو في قصر مشيد محليّ البنيان بأجل ما يكون من الصنعة العربية مزين بالجنيات والرياض وينابيع الماء مفروش بأحسن الفرش يرى الناظر فيه أنحر الأثاث والرياش . ولم يكن معاوية في ذلك قد خالف الدين أو حاد عن طريقه وإنما تناول مباحاً وتمتع برخصة آتاه الله إياها ولا يخفى ما في ذلك من ترويح فنون الابداع في الصنعة على اختلاف ضروبها

﴿ اشتغلهم بالعلوم الكونية في أوائل القرن الثاني ﴾

انقضت دولة بني أمية والناس في ظلمات من الفتن كما قلنا ودالت الدولة لبني العباس واستقرت في نصابها من آل بيت النبي قرب نهاية الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة (سنة ١٣٢) ثم نقل المنصور عاصمة الملك إلى بغداد فصارت بعد ذلك عاصمة العلم والمدنية أيضاً . وأخذ المنصور ينشي المدارس للطب والشريعة وكان قد جعل من زمنه ما ينفعه في تعلم العلوم الفلكية وأكمل حفيده الرشيد ما شرع فيه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة

لتعليم العلوم بأنواعها . وجاء المأمون فوصلت به دولة العلم الى أوج قوتها ، ونالت به أكبر ثروتها ، ويقال انه حمل الى بغداد من الكتب المكتوبة بالقلم ما يثقل مئة بعير . وكانت من شروط صلحه مع ميشيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الاستانة . فوجد مما فيها من النفائس كتاب بطليموس في الرياضة السماوية فأمر المأمون في الحال بترجمته وسموه بالمجسطي . ولا يسهل على كاتب إحصاء ما ترجم من كتب العلوم على اختلافها في دولة بني العباس أبناء عم الرسول صلى الله عليه وسلم

انشأؤهم دور الكتب العامة والخاصة

وقد أخذت دول الاسلام تعتني بديار الكتب عناية لم يسبقها مثلها من دول سواها حتى كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي على مئة ألف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفلك لا غير . وكان من نظامها أن تعار بعض الكتب للطلبة المقيمين في القاهرة . وكانت فيها كرتان سماويتان احدهما من الفضة يقال ان صانعها بطليموس نفسه وإنه أنفق فيها ثلاثة آلاف دينار . والثانية من البرنز . ومكتبة الخلفاء في اسبانيا بلغ ما فيها ست مئة ألف مجلد . وكان فهرستها أربعة وأربعين مجلداً . وقد حققوا انه كان في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عمومية . وكان في هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة

وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويحملون ديارهم معاهد دراسة لما تحتوي عليه . يقال ان سلطان بخاري دعا طبيباً أندلسياً ليزوره فأجابه ان ذلك لا يمكنه لأن كتبه تحتاج الى أربعمئة جمل لتحملها وهو لا يستغني عنها كلها . وكان حنين ابن اسحق النسطوري في بغداد ممن جعل

في داره مكتبة عامة يُقد إليها طلاب العلوم العقلية والرياضية وكان يتبرع
بمذاكرتهم فيما يريدون المذاكرة فيه .

انشأوهم المدارس للعلوم وكيفية التدريس

غطي بسيط المملكة الاسلامية على سعتها بالمدارس . تقول « على
سعتها » لأنها زادت في السعة على المملكة الرومانية بكثير . فكنت تجد
المدارس في كل الاقطار - في المغول . في التار من جهة المشرق . في
مراكش . في فاس . في اسبانيا من جهة المغرب .

كانت طريقة الاساتذة في التدريس أن كل مدرس يُعَدُّ درسه
ويكتب في الموضوع الذي يلقي الدرس فيه ما يريد ان يكتب ثم يلقيه على
التلامذة وهم يكتبون عنه ثم تكون هذه الدروس كتباً وأمالٍ تشر بين
الناس في كل علم . وهنا نبادر الى القول بأن المؤرخين قد أجمعوا على
ان جميع المقالات والكتب كانت تنشر ويتداولها الناس بدون أدنى
مراقبة ولا حرج ولا نقص شيء مما كتب صاحب الكتاب غير ان مؤرخاً
واحداً رأته ذكر أنه قد وضع قانون في بعض الممالك الاسلامية لنشر
كتب العقائد مقتضاه ان لا ينشر منها شيء الا باذن . على أنني لا أعلم شيئاً
من ذلك وقع في الممالك الاسلامية أيام كان الاسلام إسلاماً

نرجع الى الكلام في المدارس الاسلامية . يقول جيون في كلامه
على حماية المسلمين للعلم في الشرق وفي الغرب : « ان ولاية الأقاليم والوزراء
كانوا ينافسون الخلفاء ، في اعلاء مقام العلم والعلماء ، وبسط اليد في الانفاق
على إقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه . وكان عن ذلك ان ذوق
العلم ووجدان اللذة في تحصيله قد انتشرا في نفوس الناس من سمرقند

وبخارى الى فاس وقرطبة . اتفق وزير واحد لأحد السلاطين (هو نظام الملك) مائتي ألف دينار على بناء مدرسة في بغداد وجعل لها من الربح يصرف في شؤونها خمسة عشر ألف دينار في السنة . وكان الذين يُعَدُّون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم العظماء في المملكة وابن أفقر الصنائع فيها . غير ان الفقير ينفق عليه من الربح المخصص للمدرسة وابن الغني يكتفي بمال أبيه . والمعلمون كانوا يُنقدون رواتب وافرة » اهـ

انقسمت الممالك الاسلامية في زمن من الازمان الى ثلاثة أقسام وتنازع الخلافة ثلاث شيع . كان العباسيون في آسيا (الشرق) والامويون في الاندلس من أوربا (الغرب) والفاطيون في مصر من أفريقيا (الوسط) . ولم يكن تنافس هذه الدول الثلاث قاصراً على الملك والسلطان ولكن كان التنافس أشد التنافس في العلم والادب . وكان مرصد سمرقند قائماً في ناحية المشرق يشير الى ما كان عليه المشرقيون من العناية بالرياضة الافلاك ، ومرصد جيرالد في الاندلس يجيبه بأن أهل المغرب ليسوا بأحط منهم في الادراك ،

جميع المدارس في البلاد الاسلامية أخذت نظام الامتحان في المدارس الطبية عن مدرسة الطب في القاهرة وكان من أشد النظمات وأدقها . ولم يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادة بأنه فاز في الامتحان على شدته . وأول مدرسة طبية انشئت في قارة اوربا على هذا النظام المحكم هي أنشأها العرب في ساليرن من بلاد ايطاليا . وأول مرصد فلكي أقيم في أوربا هو الذي أقامه العرب في أشيلية من بلاد اسبانيا

ولع المسلمون بالعلوم الكونية على اختلافها، والفنون الادبية بجميع أنواعها، حتى القصص والاساطير الخيالية، في الاحوال الاجتماعية، وابتدأوا بأخذ العلم عن اليونانية والسريانية، وأخذوا ينقلون كتب الاولين من تلك اللسان الى اللغة العربية بالترجمة الصحيحة . وكان مترجموهم في أول الامر مسيحيين وصابئين وغيرهم ثم تعلم كثير من علماء المسلمين اللسان اليوناني واللاتيني وكتبوا معاجم في اللسانين . وذلك كله ليأخذوا العلوم من أصولها، وينقلوها الى لسانهم على حسب ما يصل اليه علمهم فيها، وكان المعلمون لأبناء العظماء في أول الامر من المسيحيين واليهود ثم انشئت المدارس الجامعة وكان المدرسون فيها من كل ملة ودين . كل يعلم العلم الذي عرف هو بالبراعة فيه

❦ علوم العرب واكتشافاتهم ❦

كان علم العرب في أول الامر يونانياً لكنه لم يلبث كذلك الا دون قرن واحد ثم صار عربياً . ولم يرض العربي أن يكون تلميذاً لأرسطو وأفلاطون أو اقليدس أو بطليموس زمناً طويلاً كما بقي الأوربي كذلك عشرة قرون كاملة من التاريخ المسيحي قالوا إن باكون هو أول من جعل التجربة والمشاهدة قاعدة للعلوم العصرية وأقامها مقام الرواية عن الاساتذة والتمسك بأراء المصنفين وأطلق العلم من رق التقليد . ذلك حق في أوربا . أما عند العرب فقد وضعت هذه القاعدة عندهم لبناء العلم عليها في أواخر القرن الثاني من الهجرة . أول شيء تميز به فلاسفة العرب عن سواهم من فلاسفة الأمم هو بناء معارفهم على المشاهدات والتجربات وان لا يكتفوا بمجرد المقدمات العقلية في

العلوم مالم تؤيدها التجربة حتى لقد نقل جوستاف لوبون عن أحد فلاسفة الاوربيين : أن القاعدة عند العرب هي « جرب وشاهد ولاحظ تكن عارفاً » وعند الأوربي الى مابعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي « اقرأ في الكتب وكرر مايقول الاساتذة تكن عالماً » . (فلينظر المصريون وغيرهم من الشرقيين كيف انقلب الحال، وماذا أعقب من سوء المآل)

قال دي لامبر في تاريخ علم الحياة : « اذا عددت في اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين امكنك ان تعد من العرب عدداً كبيراً غير محصور » . أما في الكيمياء فلا يمكنك ان تعد مجرباً واحداً عند اليونانيين ولكنك تعد من المجريين مثين عند العرب ولهذا عدت الكيمياء الحقيقية من اكتشاف العرب دون سواهم . وقد كانوا يعدون الهندسة والفنون الرياضية من الآلات المنطقية ، يستعملونها في الاستدلال على القضايا النظرية ، وهي من أصدق الأدلة في الايصال الى المجهولات كما هو معروف

العرب هم أول من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن وهم أول من اتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض . وقد اكتشفوا قوانين لثقل الأجسام جامدها ومائتها حتى وضعوا لها جداول في غاية الدقة والصحة كما وضعوا جداول للأرصاء الفلكية وكانت تلك الجداول معروفة يطلع عليها الناظرون في سمرقند وبغداد وقرطبة حتى لقد وصلوا بتلك القوانين الى ما يقرب من اكتشاف الجاذبية

لا يمكنني في مقالي هذا ان أعد ما اكتشف العرب ولا ما زادوه في العلوم على اختلاف أنواعها فذلك يحتاج الى سفر كبير . وقد أحصى ذلك

أهل المعرفة والانصاف من فلاسفة الاوربيين ومؤرخيهم . وربما يتيسر
لأبناء الأمة العربية أن ينشروا ذلك لآخوانهم حتى يعرفوا ما كان عليه
أسلافهم .^(١) ولكني أذكر كلمة قالها بعض حكماء الغربيين^(٢) : « تأخذنا
الدهشة أحياناً عند ما ننظر في كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم
تولد الا في زماننا كالرأي الجديد في ترقى الكائنات العضوية وتدرجها
في كمال أنواعها فان هذا الرأي كان مما يعلمه العرب في مدارسهم وكانوا
يذهبون به الى أبعد مما ذهبنا فكان عندهم عاماً يشمل الكائنات غير
العضوية والمعادن . والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى
المعادن في أشكالها . قال الخازني : اذا سمع الشعب الجاهل ما يقال بين
العلماء ان الذهب قد تقلب في الأشكال المختلفة حتى صار ذهباً ظن من
هذا أنه مرّ في صور معادن أخرى فكان رصاصاً ثم قصديراً ثم صفراً ثم
فضة ثم صار بعد ذلك ذهباً ولا يعلم ان الفلاسفة اذا قالوا ذلك فانما
يقصدون منه ما أرادوه من قولهم في الانسان انه وصل الى حالته الحاضرة
 بالتدريج ومن طريق الترقى وهم لم يعنوا بقولهم هذا انه تقلب في صور
الأنواع المختلفة كأن كان ثوراً ثم حميراً ثم فرساً ثم قرداً ثم صار بعد ذلك
إنساناً اه ويقول الفيلسوف كوستاف لوبون : « ان العرب أول من علّم
العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين »

وهنا أنكر على بعض فلاسفتهم ما نقلوه عن ابن رشد من انه ذهب
في حرية الرأي الى نقض أصل الدين وقال إن الروح لا بقاء لها بعد فناء

(١) قد نشرنا جملة صالحة من ذلك في مقالات (مدينة العرب) في المجلد

الثالث (٢) هو الفيلسوف درابر الاميركاني

الجسد وإنما الذي يبقى هي أرواح الأنواع . فإن هذا خطأ عرض لهم من سوء فهم كلامه في بيان بقاء الأنواع دون الأشخاص فانه قال كما قال ارسطو وغيره : ان الأشخاص توجد وتفتى وأما الأنواع فهي باقية لا تزول . وهذا باب آخر يفاير بالمرّة ما استنتجوا منه (وقد سبق الكلام في بيان رأيه من وجه آخر) ^(١) كما أخطأوا في قولهم عنه إنه كان يعتقد بأن الله روح العالم يظهر في صورته والكل يرجع اليه بمعنى انه يقنى في ذاته ولا يبقى في العالم باق آخر وهو يقرب من قولهم السابق . فان ابن رشد كان مسلماً وكان يعرف ان الاسلام لا ينافي العلم وإنما ينافي هذا الضرب من الوهم الذي لم يسقط فيه أحد الا من عثره في طريق العلم أو الاسترسال مع الخيال . وكثير ممن سكروا بهذا الرأي أفاقوا منه . ولكن كتب ابن رشد التي بين أيدينا تبعد بنا عن نسبة هذا الرأي اليه كما سبق بيانه ^(٢) ولكني لا أنكر نسبته لو نسب الى ابن سبئين وهو ممن أخذ عن تلامذة ابن رشد فان في كلامه ما يدل على ذلك

ويقول فيلسوف آخر : ان العلوم التي تلقاها العرب عن اليونانيين وغيرهم وكانت مئة بين دفات الدفاتر مقبورة بين جدران المكاتب أو مخزونة في بعض الرؤس كأنها أحجار ثمينة في بعض الخزائن لاحظاً للانسانية منها سوى النظر اليها - صار عند العرب حياة الآداب ، وغذاء الارواح ، وروح الثروة ، وقوام الصنعة ، ومهمازاً للقوى البشرية يسوقها الى كمالها الذي أعدت له . وليس في الاوربيين من درس التاريخ وحكم العقل ثم ينكر ان الفضل - في إخراج اوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم وفي تعليمها

كيف تنظر وكيف تتفكر وفي مرقها ان التجربة والمشاهدة هما الاصلان اللذان ينشأ عليهما العلم -- انما هو للمسلمين وآدابهم ومعارفهم التي حملوها اليهم وأدخلوها من اسبانيا وجنوب ايتاليا وفرنسا عليهم . وكان من حظ العلم العربي والأدب المحمدي عندما دخل الى ايتاليا ان البابا كان غائبا لأن كرسيه كان انتقل الى فرنسا في أفنيون نحو سبعين سنة فذهب العلم الى شمال ايتاليا واستقر به القرار هناك . ان شوارع باريس لم تفرش بالحجارة الا في القرن الثاني عشر وقد رصت بالبلاط على نحو مارصت به مدن اسبانيا ، اه .

ويقول آخر : « لا أدري كيف أعطانا الاسلام في مدة قرنين عدداً من الفلكيين يطول سرد أفرادهم وان الكنيسة تسلطت على العالم المسيحي اثني عشر قرناً في اوربا ولم تمنحنا فلكياً واحداً »

هذا النماء والزكاء العلمي لم يكن خاصاً بطائفة دون طائفة بل كان الناس في التمكن من تناوله سواء . وانما كان التفاضل بالجد والعمل . والفضل في ذلك كله لحلم الخلقاء وعمائمهم وسماحة الدين ويسره وسهولته على أهله وأهل ذمته . قال بعض فلاسفة الغربيين قولاً يعرفه الحق وثبته المشاهدة : « ان شعوب الأرض لم ترق قط فاتحاً بلغ من الحلم هذا المبلغ (يريد فاتحي الاسلام على اختلافهم) ولا ديناً بلغ في لينه ولطفه هذا الحد »

أخذ الخلقاء والأمراء . بيد العلم والعلماء

ان الخلقاء الذين يقال عنهم انهم رؤساء دين وحكام سياسة معا كانوا هم بأنفسهم المتعلمين للعلوم الداعين الى تعلمها . كانوا العالمين العاملين . كان خليفة كالمأمون يضطهد أحياناً أعداء الفلسفة وقد عرف التاريخ كثيرين من أرباب الشهرة الذين قضوا في سجنه الشهور أو السنين لأنهم كانوا

يعادون الفلاسفة ظناً منهم ان منها ما يمدو على الدين فيفسده . هل رأيت في غير الاسلام رئيساً دينياً يضطهد أعداء العلم وجفاة الفلسفة ؟ لعلك لا تجده أبداً . كان أهل العلم والأدب عامة يجدون من الاحترام عند الخلقاء والأمرء والخاصة ما يليق بهم كيفما كان حالهم . وسأضرب المثل بالشيخ أبي العلاء المعري لشهرته بين الناس بما يشبه الزندقة : يذكر علي بن يوسف الققطي أن صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى المعرة وقد عصى أهلها عليه فنازلها وشرع في حصارها ورماتها بالمنجنيق فلما أحسن أهلها بالغلب سعوا الى أبي العلاء بن سليمان وسألوه ان يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعه قائد يقوده فاكرمه صالح واحترمه ثم قال : ألك حاجة ؟ قال : الأمير أطال الله بقاءه كالسيف القاطع لان مسه وخشن حده ، وكانهار البالغ قاط وسطه وطاب برده ، « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » فقال له صالح قد وهبتها لك . ثم قال له انشدنا شيئاً من شعرك لنرويه فانشدته على البديهة أبياتاً فيه فترحل صالح . فانظر كيف وهب الأمير بلداً عصى أهله لفيلسوف معروف بما هو عنه معروف . ولو ذكرت مانال العلماء والفلاسفة عند الأمرء والخلقاء لطال بي المقال أكثر مما طال وفيما سبق كفاية لمكتف

﴿ إزالة شبهتين وبيان حقيقة الاضطهاد ﴾

قد يتوهم قوم ان الاضطهاد قد يظهر في مقت العامة وخلقهم ما يخلقون من المفتريات على أهل العلم والفكر الحر وهمس بعضهم في آذان بعض وتناصرهم على أهل الفضل ولمزهم إياهم بالألقاب بل واحتقارهم في بعض الأحيان وهذا النوع منه عند المسلمين بلا نكير . وهو خطأ ظاهر لأن

هذا النوع مما يكره أهل العلم لا تخلو منه أرض ولا تطهر منه بلاد مها بلغ أهلها من الحرية ومهما بلغ ذوق العلم من نفوس أهلها فان القائلين على عقيدة الكاثوليك الى اليوم في أرض فرنسا نفسها يمقتون الفلاسفة الذين يظهرون بمعاداة الكنيسة ويكتبون ما يوهن قواعدها وقد يخلق عليهم أحزاب الكاثوليك ما لم يقولوه ويرون ان النظر في كتبهم لا يجوز في شريعة الدين . ونحن لانرتاب في ان نحو هذا كان عند المسلمين أيام كانت سوق الفلسفة رائجة عندهم ولكنه ليس من الاضطهاد في شيء وإنما هي نفرة الانسان مما لا يعرف مع ترك صاحبه وشانه يمضي في سبيله الى حيث يشاء

يقول آخرون : ان التاريخ يروي لنا ان بعض أرباب الأفكار قد أخذ السيف لغلوه في فكره فلم يترك له من الحرية ما يتمتع به الى منتهى ما يبلغ به وليس يصح أن ينكر ماصنع الخليفة المنصور وغيره بالزنادقة وأقول : ان كثيراً من الغلو اذا انتشر بين العامة أفسد نظامها وأضر بآمنها كما كان من آراء الحلاج وأمثاله^(١) فتضطر السياسة للدخول في الأمر لحفظ أمن العامة فتأخذ صاحب الفكر لا لأنه تفكر ولكن لأنه لم يرد أن يقصر حق الحرية على شخصه بل أراد أن يقيد غيره بما رآه من الحرية لنفسه مع أن غيره في غنى عما يراه هو حقاً له وتخشى الفتنة اذا استمر مدعي الحرية في غلوئه فلماذا يرى حفاظ النظام أن أمثال هؤلاء يجب أن ينقئ منهم المجتمع صوتاً له عما يزعم أركانه . ونحن نرى الفلسفة

(١) المنار — ذكر امام الحرمين في كتابه (الشامل) في اصول الدين انه كان بين الحلاج

والجنابي رئيس القرامطة اتفاق سري على قاب الدولة وان ذلك هو السبب في قتل الحلاج

اليوم اضطهد الدين هذا الضرب من الاضطهاد . ألم تقض الحكومة الفرنسية على الراهبين والراهبات أن تكون جمعياتهم ومدارسهم تحت سيطرة الحكومة وان لا ينشأ شيء منها الا بإذن من الحكومة ومن لم يخضع لذلك تحل جميته وتقل مدارسه بقوة السلاح . وقد يتق من البلاد كما نفي كثيرون في سنين سابقة ؟ ولكن هل يسمى هذا اضطهاداً ؟ كلا ولكن الاضطهاد حق الاضطهاد هو اضطهاد محكمة التفتيش واضطهاد رؤساء الاصلاح بعدها في أول نشأتهم

ماذا يقول القائلون ؟ ان التعليم عند المسلمين كان غريباً أمره ، يكاد يكون خفياً سره ، مسجد أو مدرسة تابعة لمسجد يجلس فيها للتدريس الفقيه والمتكلم والمحدث والنحوي والمتأدب والفيلسوف والفلكي والمهندس ! ينتقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ومن مجلس الحديث الى مجلس الأدب . واذا وقعت مذاكرة بينهم في مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في الإقناع والإلزام وسقطت قيمة الغلو في التعبير وأخذ التسامح بينهم مأخذه . كان عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة وأشدهم صلابة في أصول مذهبه ومع ذلك هو من مشايخ الامام البخاري صاحب الصحيح وكانت له منزلة عند المنصور تملو كل ذي منزلة عنده حتى قال له يوماً وهو خارج من بين يديه : « رميت لكل الناس حباً فلقطوا الا أنت يا عمرو بن عبيد » فانظر كيف كان لامام من أئمة السنة أن يصل سنده في الحديث برئيس من رؤساء المعتزلة ولا يرى في ذلك بأساً

اذا عدّ عادّ بعض رجال العلم الذين أخذتهم القسوة في الاسلام وقتلهم حماة الملوك باغراء الفقهاء وأهل الغلو في الدين فما عليه الا أن ينظر

في أحوالهم فيقف لأول وهلة على ان الذي آثار أولئك عليهم ليس مجرد العصية للدين وأن ليست الغيرة عليه هي الباعث لهم على الوشاية بهم وطلب تنكيلهم . وإنما تجد الحسد هو العامل الأول في ذلك كله والدين آلة له . ولهذا لا ترى مثل ذلك الأذى يقع الا على قاضي قضاة (كآبن رشد ورجوع الحاكم الى العفو عنه وإنزاله منزلته دليل على ذلك) أو وزير أو جليس خليفة أو سلطان أو ذي نفوذ عظيم بين العامة . وهذا كما يقع من الفقهاء مثلاً لا يذاء الفلاسفة يقع من الفقهاء بعضهم مع بعض لا هلاك بعضهم بعضاً كما يشهد به العيان ويحكى لنا التاريخ فليس هذا كذلك معدوداً من معنى اضطهاد الدين للفلسفة لأن التحاسداً أكثر ما يقع بين من لا دين لهم على الحقيقة وان لبسوا لباسه . وإنما ذلك الاضطهاد هو الذي يحمل عليه محض الاختلاف في العقيدة أو ظن المخالفة للدين في شيء من العلم أو العمل لضيق الدين عن ان يسع المخالف بجانبه وهذا لم يقع في الاسلام . اللهم الا أن يكون حادث لم يصل إلينا

هذه طبيعة الدين الاسلامي عرضت عليك في أهم عناصرها ومقومات مزاجها . وهذا كان أثرها في العالم الشرقي والغربي . وهذه سعة فضل الدين وقوته على احتمال مخالفته وتيسيره لأولئك المخالفين ان يحتموا به متى رضوا بأن يستظلوا بظله . هل في هذا خفاء على ناظر ، وهل يرضى لبيب لنفسه أن ينكر الضوء الباهر ، أفلا يبسم الاسلام عجباً وهو في أشد الكرب لمقوق أبنائه ، من أديب لم يكن يعده من أعدائه ان لم يحسبه في أحبابه ، عند ما يراه يستدسهم اليه ، ويجور كما يجور الجائرون في حكمه عليه ؟؟

﴿ الاسلام اليوم — او الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام ﴾

المقال الرابع لذلك الامام الحكيم

ربما يسأل سائل فيقول : سلمنا ان طبيعة الاسلام تأبى اضطهاد العلم بمعناه الحقيقي وأنه لم يقع من المسلمين الأولين تعذيب ولا إحراق ولا شق لحمة العلوم الكونية ، ومقوّمي العقول البشرية ، لكن أليس العلماء من المسلمين اليوم أعداء العلوم العقلية ، والفنون المصرية ، وأوليس الناس تبعاً لهم ؟ أفلا يكون للأديب عذره فيما يراه ويسمعه حوله ؟ ألم يسمع بأن رجلاً في بلاد اسلامية غير البلاد المصرية كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب فيه الى ما ذهب اليه أئمة المسلمين كافة . ومقالا بين فيه رأيه في مذهب الصوفية وقال انه ليس مما انتفع به الاسلام بل قد يكون مما رزى به أو ما يقرب من هذا وهو قول قال به جمهور أهل السنة من قبله . فلما طبع مقاله في مصر تحت اسمه هاج عليه حملة العاثم ، وسكنة الاثواب العبايع ، وقالوا انه مرق من الدين ، أو جاء بالإفك المين ، ثم رفع أمره الى الوالي فقبض عليه وألقاه في السجن . فرفع شكواه الى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله الى العاصمة ليثبت براءته مما اختلق عليه بين يدي عادل لا يجور ، ومهيمن على الحق لا يحيف ، الخ ما يقال في الشكوى . فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله فقد صدر الأمر هناك أيضاً بسجنه ولم يعف عنه الا بعد أشهر مع انه لم يقل الا ما يتفق مع أصول الدين ولا ينكره القارئ والكاتب ، ولا الآكل والشارب ،

ألم يسمع السامعون ان الشيخ السنوسي (والد السنوسي صاحب الجنبوب) كتب كتاباً في أصول الفقه زاد فيه بعض مسائل على أصول

المالكية وجاء في كتاب له ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الاحكام من الكتاب والسنة مباشرة وقد يرى ما يخالف رأي مجتهد أو مجتهدين . فلم بذلك أحد المشايخ المالكية (رحمه الله تعالى) وكان المقدم في علماء الجامع الأزهر الشريف فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسي ليطعنه بها لأنه خرق حرمة الدين ، وأتبع سيلا غير سبيل المؤمنين ، وربما كان يجترئ الأستاذ على طعن الشيخ السنوسي بالحربة لو لاقاه وإنما الذي خلص السنوسي من الطعنة ، ونجى الشيخ المرحوم من سوء المنبة ، وارتكاب الجريمة باسم الشريعة ، هو مفارقة السنوسي للقاهرة قبل ان يلاقيه الأستاذ المالكي .

هل غاب عن الأذهان ما كان ينشر في الجرائد من نحو ثلاث سنين بأقلام بعض علماء الجامع الأزهر من المقالات الطويلة الأذال الواسعة الأردان في استهجان إدخال علم تقويم البلدان (الجغرافيا) بين العلوم التي يتلقاها طلبة الجامع الأزهر ؟ وكان كتاب تلك المقالات يعرضون بمن أشار بادخال هذا العلم وغيره بين تلك العلوم وأنه إنما يريد الغرض من علوم الدين . أم لم تنشر في العام الماضي فصول بأقلام بعضهم تشير الى الطعن في عقيدة البعض الآخر وإرادة التشهير به مع أنه لم يجر بمنكر ولم يقل قولا يبعد من الكتاب والسنة ؟

ألم تحمل الينا الرواة ما عند علماء الأفغان والهند والمعجم من شدة التمسك بالقديم ، والحرص على ماورثوا عن آباءهم الأقربين ، وإقامة الحرب على كل من حاول ان يزحزحهم أصبأ عما كان عليه سلفهم ، وان كان في البقاء عليه تلفهم ، وما عليه الحال اليوم في حكومة المغرب من الغلو في التعصب والمعاقبة بقطع بعض الأعضاء في شرب الدخان أو بالقتل

في كلمة ينكرها السامعون ، وان أجمع عليها المسلمون الآخرون ،
ثم ألا يتخيل المؤمن انه يسمع من جوف المستقبل صخباً ولججاً وضوضاء
وجلبة ، وهيئات مضطربة ، اذا قيل انه ينبغي لطلبة الأزهر ان يدرسوا
طرفاً من مبادئ الطبيعة أو يحصلوا جملة من التاريخ الطبيعي ؟ ألا تقوم
قيامه المتقين ، ألا يصيحون أجمعين أكتعين أبتعين : هذا عدوان على
الدين ، هذا توهين لعقده المتين ، هذا تقرير بأهله المساكين ، ولا يزالون
يشيرون بهذا الى ان لا يبقى شيء عرف له اسم في اللغة الا الصقوه بهذه
البدعة في زعمهم

هل هذه الحال جديدة على المسلمين حتى يقال إنها عارض عرض
عليهم ، أو مرض من الامراض الوافدة اليهم ، ؟ لا يسهل على من يعرض
أحوال المسلمين تحت نظره من قرون متعددة أن يظن ان هذه الحال
من العلل الطارئة على أمرجة الأمم خصوصاً عند ما يجد الوحدة في الصفات ،
والشمول في جميع الاعتبارات ، فلو أخذ مسلماً من شاطئ الاطلانطيق
وآخر من تحت جدار الصين لوجد كلمة واحدة تخرج من أفواههما وهي :
« إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » وكلهم أعداء لكل
مخالف لما هم عليه وإن نطق به الكتاب واجتمعت عليه الآثار . اللهم الا فئة
قليلة زعمت أنها نفضت غبار التقليد وأزالت الحجب التي كانت تحول بينها
وبين النظر في آيات القرآن ومتون الاحاديث لتفهم أحكام الله منها .
ولكن هذه الفئة أضيق عطناً وأخرج صدراً من المقلدين وان أنكرت
كثيراً من البدع ونحت عن الدين كثيراً مما أضيف اليه وليس منه . فانها
تري وجوب الاخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتقييد به بدون التفات الى

ما تقتضيه الاصول التي قام عليها الدين ، واليه كانت الدعوة ، ولاجلها منحت النبوة ، فلم يكونوا للعالم أولياء ، ولا للمدينة السليمة أحياء ،

هل يمكن ان ينكر أحد جود الفقهاء ووقوفهم عند عبارات المصنفين على تباينها واختلافها واضطراب الآراء في فهمها واذا عرضت حادثة من الحوادث ولم يكن لمصنف معروف رأي فيها اجبوا عن إبداء الرأي واجتهدوا في تحويلها عن حقيقتها الى أن تتفق مع قول معروف في كتاب من الكتب حتى لقد جاء طالب علم من بلد من بلاد الدولة العثمانية وأراد الالتحاق بأحد الأروقة في الجامع الأزهر فوقع الشك هل بلده مما لأهله استحقاق في ذلك الرواق على حسب نص الواقف . فقال قائل لشيخ الرواق : ان كتب تقويم البلدان تشهد بأن البلد داخل في شرط الواقف فقال : إتي لا أقنع بما في تلك الكتب وإنما الذي يصح ان آخذ به هو ان يكون فقيه (ممن مات) قال : ان هذا البلد من قطر كذا وهو الذي وقف الواقف على أهله . واذا قيل لأحدهم : إن الأئمة أنفسهم لم يعينوا مواقع البلدان ولم يضعوا لنا جدولاً لبيان ما يحويه كل قطر وبيان الحدود التي ينتهي اليها وإن أصول ديننا تسمح لنا بأن نأخذ بأقوال العلماء في هذه الفنون (وهم منا) وبتواتر الاخبار وما أشبه ذلك من البديهيات قال : إنما أريد نصاً فقيراً ، لا دليلاً عقلياً ،

واذا قيل لهم : اختلت الشؤون ، وفسدت الملكات والظنون ، وساءت أعمال الناس ، وضلت عقائدهم ، وخوت عباداتهم من روح الاخلاص ، فوثب بعضهم على بعض بالشر ، وغالت أكثرهم اغوال الفقر ، فتضعفت القوة ، واخترق السياج ، وضاعت البيضة ، وانقلبت

العزة ذلة ، والهداية ضلة ، وساكتكم الحاجة ، وأفتكم الضرورة ، ولا تزالون تألمون مما نزل بكم وبالناس ، فهلا نبهكم ذلك الى البحث في اسباب ما كان سلفكم عليه ، ثم علل ماصرتم وصار الناس اليه ، قالوا : ذلك ليس الينا ، ولا فرضه الله علينا ، وإنما هو للحكام ينظرون فيه ، ويبحثون عن وسائل تلافيه ، فان لم يفعلوا ولن يفعلوا فذلك لأنه آخر الزمان وقد ورد في الأخبار ما يدل على انه كائن لا محالة وان الاسلام لا بد ان يرفع من الارض ولا تقوم القيامة الا على لکم ابن لکم . واحتجوا على اليأس والقنوط بآيات وأحاديث وآثار تقطع الأمل ، ولا تدع في نفس حركة الى عمل ، رأي رنان في الاسلام : هذا الجمود - الذي لو أردنا بيان ما امتد اليه

من طبقات الأفكار وثنيات الوجدان لكتبنافيه كتاباً - هو الذي حمل الموسيو رنان الفيلسوف الفرنسي المشهور ان يقول في عرض كلام له في تساهل المذاهب الدينية مع العلم نقلته عنه الجامعة : « على أنني أخشى ان يثبت الدين الاسلامي وحده في وجه هذا التسامح العام في العقائد ولكنتي أعرف ان في نفوس بعض الرجال المتمسكين بأداب الدين الاسلامي القديمة وفي بضعة من رجال الاستانة وبلاد الفرس جرائم جيدة تدل على فكر واسع وعقل ميال الى المسالمة . الا أنني أخشى ان نختنق هذه الجرائم بتعصب بعض الفقهاء فاذا اختنقت قضي على الدين الاسلامي . ذلك انه من الثابت الآن أمران - الأول ان التمدن الحديث لا يريد إماتة الأديان بالمرّة لأنها تصلح أن تكون وسيلة اليه . والثاني انه لا يطبق ان تكون الأديان عبثة في سبيله . فعلى هذه الأديان ان تسالم وتلين والا كان موتها ضربة لازب » اه كلام رنان بتصرف لفظي قليل

فمن أين يكون هذا الجمود العام الذي سمح للطاعنين ان يحكموا على الاسلام بأنه عثرة في طريق المسلمين يسقط بهم دون ان ينالوا فلاحاً في سعيهم ، أو نجاحاً في أعمالهم ، من أين يكون هذا الجمود ان لم يكن من طبيعة الدين ؟ ومن أين يكون ما سردناه من الحوادث إن لم يكن ناشئاً من أصول الدين ؟ فان لم تسلم بأن هذا اضطهاد وان الاضطهاد من لوازم الدين الاسلامي فعليك ان تسلم بأنه عداوة لالم أو اشترازمه ، أو استهجان له أو احتقار لشأنه ، وأحد هذه الأمور كاف اذا عم بين المسلمين في ان ينفر بهم عن كل مجد ، وأن يحرمهم كل نفع ، وان يحقق فيهم ما تنبأ به رنان وغيره فما قولك في هذا ؟ (له بقية)

(المنار) سيأتي الجواب في الجزء الآتي وفيه بيان حقيقة هذا الجمود وأسبابه وكونه لا بد ان يزول ان شاء الله تعالى فانتظر العجب العجيب

الاجتماع السادس لجمعية أم القرى

يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في الضحى الأول من اليوم المذكور تألفت الجمعية حسب معتادها وقرى الضبط السابق واستعدت الاذهان لتاتي ما يفيضه الله على السنة أهل الإيمان من الإخوان قال (الاستاذ الرئيس) مخاطباً (الشيخ السندي) انك يا مولانا لم تشاركنا في البحث الى الآن فرجوك أن تتكرم على إخوانك بنبرة من عرفانك تنور بها افكارنا ورجوك أن لا تحتشم من التعام في بعض التعبيرات الماغوية لغاية العجبة عليك فان لك أسوة بالفيروزابادي والسعد والفخر وغيرهم .

فقال (الشيخ السندي) انكم ايها السادة الاخوان سراء افضل الزمان ، وسباق فرسان كل ميدان ، قد افدتم وأجدتم ولم تتركوا ثقل من مجال . ولا مثلي غير الإصغاء والامثال ، وإني احب ان اذكر لكم حالي وفكرتي قبل هذه الاجتماعات وما

أثره في هذه المفاوضات . فأقول : انني من خفاء الطريقة النقشبندية وإذ كان والدي المرحوم هو ناقل هذه الطريقة للأقاليم الشرقية والجنوبية في الهند فقد صرت بعد والدي مرجعاً لعامة خلفائهم جرت لي سياحات مكررة في تلك الأرجاء وفي أيلات كاشغر وقازان حتى سيريا وتلك الأنحاء . وبسبب حرصنا على تعميم طريقتنا صار لها شيوع مهم وانتشار عظيم بين مسلمي هاتيك الديار .

ومن المعلوم ان طريقتنا من أقرب الطرائق للاخلاص وأقربها انحرافاً عن ظاهر الشرع وهي مؤسسة على الذكر القلبي وقراءة ورد خواجكان ومراقبة المرشد والاستمداد من الروحانيات وإني لم أكن أفكر قط في أن الذكر وقراءة الورد على وجه راتب فيه مظنة البدعة أو الزيادة في الدين ولا أن المراقبة والاستفاضة والاستمداد من أرواح الانبياء والصالحين فيها مظنة الشرك الى أن حضرت هذه الاجتماعات المباركة فسمعت وقعت وأقلعت والحمد لله .

على اني عزممت أيضاً على أن أتلفظ في الامر بالنصيحة والموعظة الحسنة عسى ان أوفق لهداية جماهير النقشبندية في تلك البلاد الى تصحيح وجهتهم بأن يذكروا الله قلباً ولساناً بدون عدد مخصوص معين قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم بدون هيئة أو كيفية معينة متى شاؤوا وأرادوا بدون وقت مرتب فرادى ومجتعين بدون تداع . وان يتركوا المراقبة ويستغيثوا عنها بالدعاء بالغفران والرحمة لكل من الشيخ بهاء الدين النقشي مرشدهم الأعلى ولخليفته مرشدهم الأدنى الذي هم مبايعوه .

وقد فتح الله عليّ بركة جمعيتنا هذه فهم أسباب ميل المسلمين في هاتيك البلاد صالحهم وفاسقهم للانتساب الى احدى الطرائق الصوفية وكنت قبلاً أحمل ذلك على مجرد اخلاص المرشدين والآآن اتضح لي أن السبب هو ان السادة الفقهاء عندنا من الخفية والشافعية قد ضيقوا على المسلمين العبادات تضيقاً لا يعلم ان الله تعالى يطلبه من عباده وكثروا الاحكام في المعاملات تكثيراً ضيع الناس وشوش الاقتاء والقضاء حتى صار المسلم لا يكاد يمكنه أن يصحح عبادته أو معاملته مالم يكن فقيهاً

فتوسيع الفقهاء دائرة الاحكام أنتج تضيق الدين على المسلمين تضيقاً أوقع الأمة في ارتباك عظيم ارتباكاً جعل المسلم لا يكاد يمكنه أن يعتبر نفسه مسلماً ناجحاً لتعذر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته على ما يتطلبه منه الفقهاء المتشددون الآخذون بالعزائم فبذلك أصبح الجمهور الأكبر من المسلمين يعتقدون في أنفسهم التهاون

اضطراباً فيهن عليهم التهاون اختياراً كالغريق لا يحذر البلل • لأنه كيف يطمئن الحنفي العامي حق الاطمئنان في الاستبراء لتصح طهارته وكيف يحسن مخرج الحروف كلها وقد أفسدت المعجمة لسانه لتصح صلاته • وكذلك كيف يصحح الشافعي العامي نيته على مذهب امامه في الصلاة أو يعرف شدات الفاتحة الثلاث عشرة ويتبها لإظهارها كلها ليكون أدى فريضته

بل أي عامي يعرف وصف الكلام ومعنى الاستواء وتأويل الوجه واليد واليدين وتعيين الجزء الاختياري وإضافة الأعمال له أو لله إلى غير ذلك ليكون عند الحنفية الماتريديّة والشافعية الأشاعرة مسلماً مقلداً يرجي له قبول الإيمان؟ ومن من العامة يحيط علماً بكل ما ثبت بالنص القاطع حتى صفة بقرة بني اسرائيل مثلاً لكيلا يعتقد خلافه فيكفر فيحبط عمله ومن جماته انقاسخ نكاحه • وكمن من مسلم يحكم عليه الفقيه الشافعي بأنه نسل سفاح ومقيم على السفاح وراض لمحارمه بالسفاح إلى غير ذلك مما ينافي ساحة الدين ومزينة الدين به في الدنيا قبل الآخرة •

فهذا التضيق صار المسلم لا يرى لنفسه فرجاً إلا بالالتجاء إلى صوفية الزمان الذين يهونون عليه الدين كل التهوين • (مرحى) وهم القائلون : ان العلم حجاب و : بلمحة تقع الصلحة • و : بنظرة من المرشد الكامل يصير الشقي وياً وينفخة في وجه المريد أو تفلّة في فمه تطيعه الأفعى وتحترمه العقرب التي لدغت صاحب النار عليه الرضوان (١) وتدخل تحت أمره قوانين الطبيعة • وهم المقررون بأن الولاية لا ينافيها ارتكاب الكبائر كلها إلا الكذب وان الاعتقاد أولى من الانتقاد وان الاعتراض يوجب الحرمان أي ان تحسين الظن بالنفاق والنفاق أولى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك من الأقوال المهوكة للدين والأعمال التي تجعله نوعاً من اللهو الذي تستأنس به نفوس الجاهلين •

على ان الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين — وأين هم — لفروا منهم فرارهم من الأسد لأن ليس عندهم ولا الاتوسل بالاسباب العادية الشاقة لتطهير النفوس من أمراض الإفراط في الشهوات وتصفية القلوب من شوائب التشرع في حب الدنيا وحمل الطبائع بوسائل القهر والتمرين على الاستئناس بنبته وعبادته عوضاً عن الملامية المضرة وذلك طلباً للراحة الفكرية والعيشة الهنية في الحياة الدنيا والسعادة الأبدية

في الآخرة • وأين التهوين السالف البيان لصوفية الزمان من هذه المطالب التهذبية الشاقة ومن حقائق العرفان المضيوية التي لا يعرفها ويتلبس بها إلا من وفقه الله وكشف عن بصيرته • وذلك نحو العرفان عن يقين وإيمان أن من أعز كلمة الله أعز الله ومن نصر الله نصره الله ومن توقع الجير أو الشر جازماً نال ما توقع ومن تصفوا نفسه يُبهمُ رشده ومن اتكل على الله حقاً كفاه الله ما أهمه ومن دعا الله مضطراً أجاب دعاءه إلى غير ذلك من الحقائق المقتبسة من القرآن وأسرار حكمة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم (مرحى)

قال (الاستاذ الرئيس) قد أحسن أخونا الشيخ السندي توصيفه المتفقه المتشدة والمتصوفة المحففة واني مالحق تقريره بما يناسب ان يكون مقدمة تاريخية لبحث التصوف فأقول :

قد كان التنسك في المسلمين شيمة لأكثر الصحابة والتابعين ثم ان التوسع في الدنيا قلل عدد المتنسكين فصار لأهل حرمة مخصوصة بين الناس وصار بعض المتفرغين يقصدون نيل هذه الحرمة بالتلبس بالتنسك والزام النفس بالتمرن عليه وإذ كان من لوازم استحصال تلك الحرمة اظهار التقشف اتخذوا الصوف دناراً واسم الفقر شعاراً فغلب عليهم اسم الصوفية واسم الفقراء ثم ان بعض العلماء من هؤلاء المعتزین بالتنسك أحبوا التميز بالرياسة أيضاً فصاروا يدعون الناس إلى التنسك ويرشدونهم إلى طرائق التمرن عليه ومن هنا جاء اسم الإرشاد واسم الطريق • وإذ كانت ارادة الاعزاز بالدين ارادة حسنة لأن فيها اعزاز الكلمة الله فلا يؤخذ بشيء على المرشدين الاولين ولا على البعض النادر من المتأخرين ولو من أهل عهدنا هذا كالسادات السنوسية في صحراء أفريقيا •

أما دخول الفساد على التصوف واضرارہ بالدين وبالمسلمين مما ذكره أخونا الشيخ السندي وغيره من الإخوان الكرام فقد نشأ من أن بعض المرشدين من أهل القرن الرابع لمس رأوا توسع الفقهاء في الشرع وتفنن المتكلمين في العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فاسفة فيثاغورس وتلامذته في الإلهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملاً وألبسوها لباساً إسلامياً فجعلوه علماً مخصوصاً ميزوه باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن • وهكذا بعد ان كان التصوف عملاً تديبياً محضاً جعلوه قنأ نظرياً اعتقادياً بحثاً •

ثم جاء منهم في القرن الخامس وما بعده بعض غلاة دهاة رأوا مجالا في جهل

أكثر الأمة لأن يحوزوا بينهم مقاماً ك مقام النبوة بل الألوهية باسم الولاية والقطبانية أو الغوثية وذلك بما يدعون من القوة القدسية والتصرف في الملكوت فوسعوا فلسفة التصوف بأحكام تشبه الحكم بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحكمات والمثال والخيال والأحلام والأوهام والفوا في ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكثيرة محشوة بمحكايات مكذوبة وتقريرات مخترعة وقضايا وتركيبات لامفهوم لها البتة حتى ولا في مخيلة قائلها كما ان قارئها أو سامعها لا يتصورون لها معنى مطلقاً وان كان بعضهم يتظاهر بحالة الفهم ويتعاطف بان للقوم اصطلاحات لا يدرك الا بالذوق الذي لا يعرفه الا من شرب مشربهم

وبعض هؤلاء الغلاة قتلوا كفراً ومع ذلك شاعت كتبهم ومقالاتهم وحازوا المقام الذي ادعوه بعد مماتهم لأن في تعظيم شأنهم ترويج مقاصد للمقتفين لآثارهم كالإباحيين . وبعضهم لم يكن من الغلاة ولكن أخلافه اعظاماً لأنفسهم في نظر حتى الأمة نسبوا اليه الغلو وعزوا اليه كتباً ومقالات لا يعرفها ومنهم الأقابعون يفعلون ذلك حتى في عهدنا هذا ولا حول ولا قوة الا بالله (له بقية)
(النار لقد بالغ الرجل رحمه الله في التقديروان للقوم في مجموعهم حسنات لم يذكرها كما ان لهم سيئات وقد بينا ما لهم وعليهم من قبل

باب الوسيلة والجمهورية

(س ١) الاستمطار بالكهربائية ومفاتيح الغيب — محمد اقدي كامل الكاتب بمحكمة أسبوط : رأيت في بعض المجلات أن علماء الطبيعة في اليابان أمكنهم أن يستحدثوا سحباً ويستمطروها حسب أهوائهم . ورأيت في مجلة أخرى أنهم في بلاد الانكليز يستمطرون السحب الطبيعية . وقد ورد في القرآن الشريف للإعجاز أن الخالق جلت قدرته هو الذي ينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام الخ . وورد أيضاً أن الغيث ينزل بقدر معلوم وان الله تعالى هو الذي يرسل السحاب حيث يشاء . فهل ما ذكر عن الانكليز واليابان ينافي الإعجاز الوارد في القرآن وما حدده من علم الانسان بالكائنات؟ نرجو البيان وتفسير الآية « تفعلنا الله والمسلمين بغزارة علمكم . . . » اهاباختصار
(ج) ان الأمة الاميركية هي السابقة الى ادعاء مكان الاستمطار بالعمل وذلك بإرسال مقدار عظيم من الكهرباء في الجو تنتشر في السحاب فتجتمع بها دقائق

البخار فتكون ماء فينزل مطراً • ويقال أنهم جربوا ذلك فتججح بعض النجاح ولكنه لم يأت على حسب المراد ، ويعبر خاضعاً لكسب الإنسان بفعله متى أراد ، والذي نههم الى هذا ملاحظة حدوث المطر عقيب الحرب حيث تطلق المدافع فتحدث في الجو تغيراً عظيماً •

وليس من المحال عقلاً ولا شرعاً أن يصل علم الإنسان بسنن الله في الخلق الى حد يستمطر به السحاب متى شاء فان الله تعالى لم يجعل لعلم الإنسان بالكائنات حداً معيناً بل تشير آيات القرآن باطلاقها الى أنه لا حداً له كقوله تعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض » ولا ينافي ذلك إن حصل كون الله تعالى هو الذي ينزل الغيث وكونه ينزله بقدر معلوم فان ما يناله الإنسان بسعيه وكسبه لا يخرج عن قدرة الله تعالى وعلمه ولم يرد ذلك للاعجاز • أرايت هذه الينابيع التي تفجرها ، والآبار التي تحتفرها ، أهي تخرج بكسبنا عن سلطة القدرة الإلهية ، وتحتجب بسعيينا عن علمه المحيط بالبرية ، كلا أما قوله تعالى : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت » فليس نصاً في في كون علم الإنسان لا يصل الى معرفة شيء من هذه الأمور • ولكن يشبهه على الناس تفسير قوله تعالى « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » بهذه الخمس المذكورة في الآية كما في حديث أحمد والبخاري • وقد قال الإمام الرازي وغيره أن المراد مفاتيح خزائن الغيب أي فلا يعلم جميع ما في خزائن الغيب إلا من بيده مفاتيحها وهو الله تعالى • وقد ظهر لي في أيام طلب العلم وقراءة التفسير وجه دقيق لجعل هذه الخمس مفاتيح للغيب ولم أر أحداً من المفسرين تعرض لذلك • وقد عرضت هذا الوجه يومئذ على أستاذنا الشيخ محمود نشابة وعلى شيخنا القاوجي (رحمهما الله تعالى) فاستحسناه وكتبته في كتابي (الحكمة الشرعية) وهو :

ان المفاتيح جمع مفتاح بفتح الميم أو كسرهما بمعنى الخزائن أو المفاتيح والغيب ما غاب عن الناس وهو عالم الآخرة وعالم البرزخ بين الدنيا والآخرة وبعض عالم الدنيا وهو النبات الذي لم ينبت والحيوان الذي لم يولد وما تكسبه النفس في المستقبل • فالساعة مفتاح عالم الآخرة والغيث مفتاح عالم النبات وما في الارحام مفتاح عالم الحيوان وقوله تعالى « وما تدري نفس ماذا تكسب غداً » ظاهر في مفتاح الكسب والاعمال التي ستحدث • وكذلك كون الموت مفتاح عالم البرزخ ظاهر في باقي الآية • اه وفي الكتاب

تصوير لمعنى الآية بصورة أخرى . ولك أن لا تسمى الموت برزخاً ولا تجعل البرزخ عالماً
(س ٢) الأعطار الأفرنجية — ١٠ ز . غ . في السويس : أرجو الإفادة عن
الطر المسمى (بالاوندا) ونحوه أطاهر أم نجس الخ

(ج) هو طاهر كما بيناه بالأدلة في الصفحة ٥٠٠ من المجلد الرابع فليراجع السائل
(س ٣) الخطباء والموضوعات — ١٠ ع . بالأزهر : صلينا آخر جمعة من جمادى
الثانية في الأزهر الشريف فسمعنا الخطيب ذكر في الخطبة الحديث الذي كنتم ذكرتم
في المنار أنه موضوع وهو من صام يوماً من رجب فله كذا الخ فإذا كان ما نقلتم عن
المحدثين من وضعه هو الصحيح الثابت فكيف يتجرأ خطيب الأزهر على إسناد
الاحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم اليه وهو يخطب على رؤس أشهر
علماء الدين في المسلمين . وهل يجب منع أمثال هؤلاء الخطباء من ذلك أم لا

(ج) جاء في فتاوى ابن حجر المكي الحديثية أنه سئل عن خطيب يرقى المنبر
في كل جمعة ويروي أحاديث كثيرة ولم يبين مخرجها ولا رواها . فذكر في الجواب اشتراط
معرفة الحديث في جواز ذلك أي أن يكون الخطيب محدثاً يروي ما صح عنده أو
يتقله من كتب الحديث المعتبرة . قال : « واما الاعتماد في رواية الاحاديث على مجرد
رؤيتها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث أو في خطب ليس مؤلفها كذلك فلا يحل
ذلك ومن فعله عزّ رعايه التعزير الشديد . وهذا حال أكثر الخطباء فإنهم بمجرد
رؤيتهم خطبة فيها أحاديث حفظوها وخطبوا بها من غير أن يعرفوا أن لتلك الاحاديث
أصلاً أم لا . فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك ويجب على حكام
بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه ، اهـ ولا يخفى أنه ليس عندنا في هذا العصر
حفاظ ولا محدثون فيأيت مدير الاوقاف يلزم الخطباء بتخريج الاحاديث من الكتب
الصحيحة وعزوها في الخطبة الى مخرجها كالبخاري ومسلم وغيرها من الحفاظ

والذي ساق الخطباء الى اختيار الاحاديث الموضوعة والواهيّة هو التزامهم انشاء
الخطب في مدح الشهور والمواسم المبتدعة . واذ لم يجدوا حديثاً صحيحاً ولا حسناً في
صوم رجب ذكروا المكذوب والواهي . أكثر المشتغين بالعلم جهلاء بالحديث ومن
كان منهم عالماً به في الجملة فهو غير عامل فلا ينهي عن المنكر ولا يأمر بالمعروف ولذلك
استمرت هذه المنكرات حتى كاد يعمدها العامة من ضروريات الدين ، ألا تراهم يحتفلون
بصلاة الرغائب في دار الساطنة وغيرها وهي كما نص الفقهاء والمحدثون بدعة مذمومة
(راجع بدع رجب في المجلدين الثاني والثالث)

(س ٤) القراءة على القبر — الشيخ احمد حامد بدوي بالأزهر : قرأت في رواية « عذراء قريش » لحضره جرجي افسدى زيدان « انه لما اشتد الخلاف على عثمان رضي الله عنه دخل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عند قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام وشكا اليه حال الأمة ودعا لها ثم قرأ الفاتحة » ونحن نعتقد أن قراءة القرآن لا يجوز على القبور مطلقاً فجتا بهذه السطور انسال للتار هل ما نعتقده صحيح أو يجوز قراءة القرآن كما فعل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (كما قاله صاحب الرواية) وللإسلام منكم مزيد بفضل والشكر

(ج) ان الأخبار والآثار التي يحتج بها شرعاً لا تؤخذ من القصص ولا من كتب التاريخ وإنما تؤخذ عن المحدثين الذين يبنون أسانيد ما يعلم أحتج بها أم لا . فالأثر المنقول في الرواية غير صحيح ولو صح لجاء فيه الخلاف في الاحتجاج بعمل الصحابي ثم يقال بعد هذا ان العلماء مختلفون في جواز القراءة عند القبر ولا بد أن يكون اعتقاد السائل بالمتع مبني على عدم الاعتداد بما ذكر المجيزون من الدليل فكيف يعتد بعد هذا برواية في قصة لمن ليس من أهل الحديث ؟ وقد ذكرنا رأينا في المسئلة من قبل فلا نعيد فليراجع السائل الجزء الرابع من هذه السنة والمجلدات السابقة

باب الاخبار والآراء

ارجأنا تمة ترجمة السنوسى الى الآتي

(الاسلام والدولة البريطانية)

لج بعض الجرائد في هذه الايام بمقالة لكاتب انكليزي اسمه (مسترد . ج . كوربت) نشرت في الجزء الخامس من كتاب انكليزي كبير في الدولة الانكليزية ومستعمراتها . عنوان هذه المقالة (الاسلام والدولة البريطانية) وقد ارسلها كاتبها الى بعض الجرائد الاسلامية ومنها جريدة المؤيد وطلب منها رأيها فيها وقد عربتها جريدة المؤيد ونشرت التعريب في ستة أجزاء فكان له وقع عظيم عند المسلمين . ونحن نلخص عيون المقالة في اربع مسائل

(١) انكلترا أكبر دولة اسلامية يقول الكاتب في اثبات هذه المسئلة ان المسلمين الذين تحكمهم الدولة العثمانية ستة عشر مليوناً ونيفاً بحسب الإحصاء الرسمي والذين تحكمهم دولة الصين ٣٢ مليوناً والذين تحكمهم روسيا ستة ملايين . وهذه الدول الثلاث أكثر الدول تابعاً من المسلمين بعد انكلترا التي تحكم ١٠٧٠٧٦٨٠٤

مسلمين . وقد بين الكاتب ذلك بالتفصيل في ثلاث جداول احصائية . واستدركت عليه جريدة المؤيد قائلة ان هذه الجداول مأخوذة من احصاء ١٨٩١ وقد زاد عدد المسلمين في المستعمرات الانكليزية في العشر الاخير زيادة عظيمة فقد كان عدد مسلمي الهند في العشر الماضي ٥٧ مليوناً وصار عددهم بحسب الاحصاء الاخير ٨٧ مليوناً بل ٨٩ مليوناً و ١٢٥ ألفاً . وبالجملة ان المؤيد قدر عدد المسلمين الخاضعين للانكليز ١٣٨٧٠٦٧٤٠ وقال ان هذا المجموع أقل من الحقيقة بكثير

(٢) معاملة الانكليز للمسلمين : يقول الكاتب ان المسلمين في المستعمرات الانكليزية يتمتعون بالحرية الدينية ويرتقون في معارج الحياة الاجتماعية ويزدادون بالتدريج ثروة وعلماً وأدباً وستكون الهند مصدراً لمدينة آسيا ومصر منبعاً لحياة ما يجاورها من آسيا وأفريقيا . ثم انه مع هذا ينسب الى قومه الانكليز التقصير في القيام بمصالح المسلمين ويثبت لهم ان مستقبل بريطانيا العظمى مرتبط بمستقبل المسلمين ومصالحهم مقرونة بمصالحهم . ويقول ان الانكليز ارتكبوا هفوات مع المسلمين جهلاً وغروراً ونقل عن الدكتور ليتزر الذي وصفه بأنه حجة ثقة جملة جاء فيها أن الصلة انقطعت بين الانكليز والمسلمين في الهند بابطال محكمتي الصدر الديواني ونظام عدالت

قال الدكتور « وان أحكام محاكمنا (أي الانكليزية) صارت بعيدة عن الغرض المقصود لجهل قضائنا باللغة العربية التي لا يمكن أن يكون لأحد مع المسلمين نفوذ بدون معرفتها لارتباطها بالشريعة المحمدية ارتباطاً انفكاً له » . وينقل الكاتب عن هذا الدكتور أيضاً القول بوجوب رد الانكليز المرتبات والهبات التي منعت عن المسلمين بغير حق ليستعينوا بها على « التربية الدينية والأدبية اللازمة للأمة المحمدية » . ويقول اذا اتبعنا نصيحة الدكتور فانتا نكفر عن سيئاتنا الا في دارية وغلطانا السياسية التي وقعت من بعض حكام الهند قديماً خصوصاً إقفال ابواب المدارس العليا في وجوه الناشئة الاسلامية وما تبع ذلك من التضيق عليهم في وظائف الحكومة . ويعترف الكاتب للسيد احمد خان بأنه كان هو السبب في تقرب الانكليز من المسلمين وانهم خطوا بسعيه خطوات واسعة ويمدح مدرسته التي كانت مساعدة على هذا التقرب وازالة سوء التفاهم بين الفريقين . ويوجب على الانكليز مساعدة المدارس التي تربي الناشئة على الاستقلال ومحاسن الاخلاق وصفات الرجولة كمدرسة احمد خن

(٣) ارتباط معاملة الانكليز بالمسلمين : قال يجب عنيب وراء النكفير عن سيئاتنا

ومساعدة اخواننا المسلمين على الترقى أن نزيل معانق بأذهان بعضنا من سوء فهم

الدين الاسلامي فان نتيجة هذا الجهل جعلهم اعداء لنا . ثم قل ان المسلمين دعوا الله تعالى في مساجد الهند بأن ينصر الانكليز على البور واستدل بهذا على اخلاصهم لحكومتهم وعلى وجوب جذبهم اليها لكيلا تصيبهم السموم التي ينقشها اعداؤها . وذكر الافغان وما يكون لهم من الشأن اذا حاربت روسيا الانكليز في الهند . وانتقل الى افريقيا وذكر قوة السنوسيين فيها وازدياد نفوذهم وانها ستكون وبالا على الانكليز اذا هم لم يجذبوا المسلمين اليهم فانهم لا يلومون في المستقبل الا انفسهم .

قال : « الواسطة الوحيدة لتمكين سلطتنا في آسيا وأفريقيا هي أن نبذل جهدنا في افهام المسلمين ان مصالحها الدينية والسياسية مرتبطة بمصالحنا وانهم بخدمة مصالحهم يخدمون مصالحنا ونحن كذلك . ويلزم المسلمين لذلك أن يعلموا ان كثيرا من معتقداتهم التي يحسبونها من الدين ليست منه ولا جاء بها كتابه . يقول القاضي سيد أمير على أحد نهاء المسلمين : « ان سبب تأخر المسلمين وبقائهم على ما هم عليه من التأخر يرجع في الغالب الى ما رسخ في أذهانهم من ان لاحق لهم في استعمال عقولهم في فهم دينهم لان ذلك قد انتهى باتقراض المجتهدين الأولين فصار الاجتهاد بعدهم محرماً وأن المسلم لا يكون مسلماً صادقاً الا اذا كان مقلداً لمذهب من المذاهب المعروفة . فيترك المسلم ما يعتقد وما يفهم ويتمسك بآراء اهل القرن التاسع من المفسرين والفقهاء غير ملتفت الى الآراء والأفكار التي وصل اليها العالم في القرن التاسع عشر »

وقد ختم الكاتب كلامه بذكر حركة العالم الاسلامي الآن للترقي وحثم على الانكليز مساعدة هذه الحركة والاستفادة منها وعلق الامل في ربط الالفه بين الفريقين بمساعي ليفربول (٤) دين الاسلام دين مدنية : اتنى الكاتب على الاسلام ثناء من فهمه ورد على المعارضين عاياه بفهم وعقل ونقل اقوال ثقات الحكماء والعلماء الغربيين في مدحه واجاب عن الاعتراضات المشهورة بأجوبة حسنة . وربما نأخص تلك الاقوال والمدائح بعد . وان لنا كلاما في الوراق الاسلامي الانكليزي تذكره في الجزء الآتي

﴿ مثال من أمثلة طفولية الأمة — جمعية مكارم الاخلاق ﴾

يعرف قراء المنار أن جمعية وجدت في القاهرة سميت (جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية) ثم وجد لها فروع في الزقازيق والاسكندرية وغيرها . وقد أقبل الناس في القاهرة على الجمعية حتى صار أعضاؤها يعدون بالمئين أو تجاوزوها وأنشأت الجمعية مجلة سمها باسمها بلغ عدد المشتركين فيها بعد أشهر من ظهورها زهاء أربعة آلاف

مشارك . وكان الفرع الذي تفرع منها في الزقازيق اكبر الفروع فقماً وأعزها قرأ
فاته أنشأ مدرسة ومال بعض الفقراء . ولكن الجمعية الكبرى لم تلبث أن انحلت وابطلت
مجلتها بعد مرض عرض على ادارتها وغول غال مالياتها . وظلت جمعية الزقازيق بعد
سقوط أمها قائمة على طريقها حتى جاءنا في هذه الايام خبر سقوطها وابطال مدرستها
وبيع ادواتها وأثاثها واقتسام الاعضاء له

يعلم الله أننا نكتب هذا بمداد الاسف والامتعاض . ويعلم اهل الفضل والمروءة
من افراد الجمعية بعض ذلك مناجحتنا اياهم على احياء الجمعية في القاهرة وتعيين رئيس
لها صالح للإدارة يخدم الجمعية للجمعية . واننا لم نياس من همة هؤلاء الفضلاء
فإن كان النهوض بعد السقوط عسراً فهو اذا حصل أجدر بالثبات واخرى بالدوام
ويسرنا بقاء فرع الجمعية في الاسكندرية ثابتاً وقد احدث للمجلة مطبعة واعاد نشرها .
ولا شك ان اهل الاسكندرية أرقى في الحياة الاجتماعية من اهل الزقازيق وانكهم
ليسوا في مجموعهم بأرقى من اهل القاهرة فاعل هؤلاء يحققون رجاءنا فيهم ولا يقطعهم
سقوط الطفل قبل قطامه ، من نهوضه وقيامه

(تصحيح) في السطر ٥ من الصحيفة ٤٠١ كلمة (الارحم) وصوابها (الارحب)
وفي س ١٨ و ١٩ من ص ٤١١ : (بصري الاصل . ابن الامير) والصواب (بصري
الاصل ابن الامير) وفي س ١٢ ص ٤٣٢ (تجربوني) والصواب (تجربوني) .
وفي س ٤ ص ٤٤٣ (بالخليقة) والصواب (في الخليقة) وفي س ٣ ص ٤٤٤ (بها)
والصواب (فيها) وس ٢١ ص ٤٤٤ ايضاً (دعا) والصواب (دُعي) وفي س ١٨
ص ٤٤٧ (ولن نجد لسنننا) والصواب (ولأنجد لسنننا) وفي س ٧ ص ٤٤٩
(الاصل الرابع) وصوابه (الاصل الخامس) وايصح ما بعده من الاصول على الترتيب .
وفي س ١ من هامش ص ٤٥٦ (لوقا ١٥ — ٢٥ و ٢٦) والصواب (لوقا ١٤ — ٢٦)

محادثة بين صاحب جريدة الحاضرة ورئيس تحرير جريدة فرنسوية

اجتمع صاحب جريدة الحاضرة العربية الوحيدة في تونس بموسيو تريدون
رئيس تحرير جريدة الديش تونزيان وتكلما في موضوع التعليم الذي تبغيه فرنسا
بتونس . فرأينا أن نلخص ما دار بينهما لما فيه من العبرة للمسلمين الذين استعمر
بلادهم الاوربيون أو احتلوها باسم الحماية أو غير ذلك .

(الصحافي الفرنسي) : ما قولك أيها الرصيف في المقالة التي نشرت اليوم في

جريدتنا تحت عنوان (ما هي النسبة التي علينا أن نعلمهم (أي التونسيين) عليها)
جواباً على مقالة في هذا الشأن نشرت في التونزي فرانسيز تحت على حرمان
التونسيين من نعمة التعليم العالي الموصل الى النتائج الفكرية النافعة من طب وهندسة
وخصام (كذا ولعله يريد الحقوق) وتحرير إذ رأى محرر هذه الجريدة أن نظام
الحماية قاض بإبقاء التونسي دائماً في دياجير الجهل حتى لا يهتدي الى الصواب والتقدم
الفكري سيلاً وبمعاملته كما تعامل البهائم حتى لا يطمح الى الاستقلال ولا يتوصل
الى إنكار ما يلحقه من الأذى والظلم

(الصحافي التونسي) بعد جملة في مدح العلم : هل تنكرون ان فرنسا احتلت
هذا القطر لبث أنوار العرقان ونشر راية المدنية بين أهالي المملكة فكيف يمكن
الجمع بين هذه الدعوى وبين قضية حرمان شبان التونسيين من التعليم

(الفرنسي) : نحن لم نقل بحرمان التونسي من كل تعليم بل زدنا على السماح له
بالعلم الابتدائي أن أجزنا أن يتعلم بعض الأفراد العلوم العالية بصفة استثنائية خاصة
لا عامة لأن انتشار العلوم العالية يشق العقول ويفتح البصائر ويولد الطمع بالاستقلال
في نفوس المسلمين لما هم عاين من صفات الرجولية والشجاعة وحب الجلاد والمحافظة
على شعارهم بخلاف اليهود فإنهم لا وطن لهم ولا مطامع سياسية وهم بكثرة تقليد
وميلهم لمجانسة الأوربي كادوا أن يكون على صبغة فتحن على خلاف رأي التونسي
فرانسيس نرى تقييد نشر العلوم العالية وتخصيصه ببعض الشبان لحرمان جميع
الأفراد منه بالمرّة

(التونسي) : لعلكم سلكتم هذا المسلك مصانعة لأصحاب الاسهم من التونسيين
(وفي الأصل مراعاة لحاظر أصحاب الاسهم)

(الفرنسي) : ربما كان ذلك من جملة الاسباب ولكن هذا هو رأينا الخاص
(التونسي) : كيف يسوغ ذلك التقييد والعلم نور ساطع لا يمكن إخفائه وفي
محاولة حجب عن الناس خصوصاً القادرين منهم على اقتباسه بأنفسهم من إيفار
الصدور وجاب البغضاء ما لا يليق بدولة حرة هي قدوة الأمم في ترقى الفكر

(الفرنسي) : لقد ضيق الانكاز من قبل دائرة تاتي الشبان المصريين للعلوم
العالية في مدارس الحكومة

(التونسي) : لكنهم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية التي أغنت الأمة عن

مدارس الحكومة بما أقامه أفراد نهائيا ونبلاؤها من المدارس في كل علم وفن وعدلوا عن هذه السياسة في ممالك الهند حيث أقام أشرف القوم وسراهم المدارس الكثيرة للعلوم العالية من قديمة وحديثة وذلك لأنهم رأوا هذه السياسة أكفل للولاء وتعلق رعاياهم بحكمهم

(الفرنسي) : نحن نود أن لا نشقف أذهان التونسيين عامة بالعلوم العالية وأن لا يخرجوا فيكونوا أساتذة قادرين على النفع والانتفاع بحصيلهم حتى نأمن مقاصدهم فلا يسلكوا مسلك المكي كمن في التحامل على الحكومة والظلمات التونسية

(التونسي) : هذا كلام فيه نظر فإن كمال التعليم يقي الكامل من الجنوح الى الباطل ويسلك به طرق الجِد والعمل السافع له وتقومه وإن تطرف المكي كمن من ثمرات التعليم الابتدائي الناقص الذي تجيزه

(الفرنسي) : لو تجنس كل تابع في العلوم العالية بالجنسية الفرنسية لما أوجسنا منه خيفة لأنه حينئذ يكون عضوا فرنسيا يؤدي واجب الخدمة العسكرية من عهد الشبية (التونسي) : هل يتساوى بهذه الجنسية التونسي والفرنسي في جميع الحقوق والمصالح ؟ اننا رأينا من خواص الفرنسيين من لا يرى هذه المساواة مطلقاً ويعيب مجانسه بمحذاته التجنس

(الفرنسي) : ذلك لأنهم مع التجنس وبعد أداء الخدمة العسكرية في الجيش يعودون الى عوائدهم كلبس الطربوش وربما لبسوا عثمانيا وارتداء لباس البادية والإقبال على الصلوات والأذكار !!!

(التونسي) : لعلكم تقصدون بالتجنس ترك شعار الدين وتغيير الأزياء ولو شاطركم المتجنس في أعز الامتيازات الوطنية كمشاطرة اليهود لكم في الامتيازات الوطنية كمشاطرة اليهود لكم في الحقوق والمصالح الحيوية بتغييراتهم الصورية ؛ فهل الخاص لكم من يتزيا بازياتكم مع العلم بان لبس الزنار لا يقتضي التهرب ؟ وهل تنطبق هذه الأفكار على حرية (الدين) ان لم تقل ترك الدين ، الا بعد هذا لو صدر من مسلم من التعصب الذميم والتغالي المفقوت في عرف مدينة هذا العصر الذي ضيقت الحكومة فيه على مدارس الرهبان ؟

(الفرنسي) : انما نقصد نحن امتلاك القلوب ولذلك نود أن يتنازل لنا المسلم عن أحكام دينه الذاتية كالأنكحة والموارث مما هو مصداق الحالة الشخصية

(التونسي) : اذا كان القصد من التجنس هو تغيير الدين وأصوله الأساسية بما يخرج المسلم عن دائرة دينه وملته فهو مما لا يرغب فيه مسلم ذو مَرُوءة لأن المارق من دينه محقوت عند الله وعند الناس ولو كان دخیلاً فيهم . ثم ان في التجنس بهذه الصفة قلب الهيئة الاسلامية بتغيير الأنساب والنسب في الموارث وحقوق الزوجية في التصرف اذ المرأة عندنا حرة لا يتوقف تصرفها على اذن زوجها الى غير ذلك من مسائل الارحام والأنساب التي جاءت بها أحكام الشريعة الاسلامية المنزلة . فلماذا لا تتغير أحكام القانون الفرنسي الى الأحكام الاسلامية ؟

(الفرنسي) : الحق لكم في هذا البحث فان نسبة الموارث مقصودة لأجل ابقاء الميراث بيد الذكور أعمدة البيوت وهو ما قصده الانكليز من احكامهم في هذا الباب . على انه لا مانع من البحث عن طريقة للتوفيق بين مصالح الهاتين الاهلية والفرنسية لدوام الالفه وحسن المعاشرة في هذه الاوطان

(التونسي) : ذلك أحسن مرغوب تنجى اليه القلوب وترتاح له النفوس ويا حبذا لو سعت الجرائد المحاية في تحقيقه . غير اني اقول بالأجمال : ان اكفل وسيلة لبلوغ هذه الامنية هي توزيع الفوائد والمغانم وتقسيم المدفع المادية بصورة عادلة توفر للاهالي حظاً من فوائد القطر ومغانم حسية كانت او مضموية كاو ظائف والمساعدات المادية والادبية والحث على الترقى العسكري الذي هو ثمرة لل المدنية . (قال) ثم وادعنا رصيفنا المومى اليه قابلاً بما وفحناء له من الخطاب . اهـ

(المنار) قلنا هذا الخطاب بتصريف لفظي قليل لا يغير شيئاً من المعنى ولا نستنبط منه شيئاً بل ندعه للقارئ يفهم منه ما يفهم . ونعرف رصيفنا الفاضل صاحب الحاضرة بأن الانكليز لم يحاولوا مقاومة التعليم الأهلي فيقال انهم وانهم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية ، الخوان المدارس التي حدث عنها لم تغن عن مدارس الحكومة ولا قارتها في حسن التعليم ولوان المصريين عرفوا قيمة حرية الانكليز في العلم والدين وكل ما يحتاجه من يتولون امورهم لكانت لهم مدارس كما وصف الرصيف ولكنهم رزوا باحداث يفضون اليهم الانكليز واعمالهم ويمتنونهم بأن فرنسا ستخرجهم من وادي النيل بهذيان او اهلك الاحداث ولنعطهم فاشتغلوا بهذا عن كل شيء حتى غلبهم الزمان بمحوادته حقيقة غرور الأحداث وتفريرهم والآن صار يرجى منهم النهوض الحقيقي والتعليم النافع فان فعلوا فان الانكليز يساعدونهم كما يساعدون اخوانهم في الهند والله الموفق

السبع والخمسين

وَالْبَقَا لِيَدِكَ وَالْعَجَابُ

﴿ مثال من أمثلة تعصب النصرانية على العلم ﴾

صاحب مجلة الجامعة الذي يدعي أن النصرانية أكثر تسامحاً مع العلم من الاسلام ارثوذكسي المذهب ، وفي القاهرة جريدة لارثوذكسي آخر تصدت للانتصار له والتويه بخدمته وفلسفته وهذه الجريدة دينية اخبارية وان لم يكتب عليها (دينية) وقد نشرت في العدد الذي انتصرت فيه لصاحب الجامعة المحترم مقالة عنوانها (المدارس والاكليس) يصح أن تكون مثلاً أو ان يؤخذ منها مثل متعددة لتعصب النصرانية على العلم حتى اليوم « من فك أدينك »

جاء في المقالة أن عاملين يتازمان النجاح وعدمه في تعليم الاولاد « الأول المتعصب الديني الذي يحمل الآباء على ارسال اولادهم الى مدارسهم الطائفة سواء كانت مفيدة أو غير مفيدة ، الخ « والثاني النظر الى المستقبل ، وذكر أن الناس يتراوحن بين هذين العاملين ثم قال مانصه بحروقه :

« وما زلتا نرى الناس في هذا التضعع نرى رؤساء الاديان مع الفئة الاولى المتعصبة يسمعون الى الضغط على الافكار وارغام الاهالي التابعين لهم على ارسال اولادهم الى مدارسهم كأن يقولون لهم اتركوا مستقبل اولادكم وحافظوا على صحة اعتقادهم لأن هاته المدارس ما فتحت في بلادكم الا لتسلب منكم اولادكم وتضطرمهم الى ترك معتقدات آباءهم وأجدادهم

« وهذا ما قاله أيضاً غبطة البطريك المسكوني ونقله اليه البريد الأوربي فقد جاء في جريدة الثان لمكاتبها في الاستانة : « أصدر غبطة البطريك المسكوني لاروم الارثوذكس في الاستانة منشوراً شديداً للهجة الى جميع المطارنة ضد المدارس الدينية الفرنسية حرص به أبناء الطائفة الارثوذكسية أن لا يرسلوا اولادهم اليها ، اه فهل سمع مثل هذا عن شيخ الاسلام في الاستانة أو شيخ الازهر في مصر ؟ ليست المدارس الفرنسية ملائ باولاد المسلمين اتحامين لهم في أصل الدين لافي

مذهب من مذاهبه كالحلاف بين الكاثوليك والارثوذكس . نعم ان الاسلام ليس فيه سلطة دينية تجعل الملقب بشيخ الاسلام أو شيخ الازهر مسيطراً على الناس ولكن فيه وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأجدر الناس بالقيام بهذا الواجب ، هم الذين يرتقون الى مثل هذه المناصب ، ولكن تسامح الاسلام قد غلب حتى خرج عن كونه تسامحاً وتساهلاً وصار أهلاً وتقريباً

نسب صاحب هذه الجريدة ما نكتبه في الرد على صاحب مجلة الجامعة الى رجل صاحب منصب سام في المسلمين وما كان له ان يصرح بظنه لأن الحق يعرف بذاته لا بقاتله والباطل كذلك ولأن آداب الصحافة تقضي بذلك فليس لي اذا رايت مقالة منتقدة في جريدة منسوبة لكاتب غير معين ان أنسبها لعظيم احب غمزة والتيل منه او احب ان اجعل نفسي مناظراً له ليتوهم الجاهلون بي وبه انني من نظرائه . ولم يكتف صاحب الجريدة المشار اليها بالنسبة المذكورة والمقارنة بين شاب من المبتدئين في الكتابة من اهل مذهبه وبين هذا الشيخ الجليل الذي ذكره بل خرج عن الموضوع في عدد آخر (وهو العدد الأخير) واتى بجانب اسمه بما لا يليق أن يصدر من السوق . هذا وكل من قرأ الرد على الجامعة أعجب بزاغة الكلام وادبه لانه لا يشم منه رائحة تحقير احد فليس فيه ان صاحب الجامعة « اساء الفهم ونجاهل » ولا « انه حقر المسلمين » بل كل ما فيه سرد القول من كتب الدين وكتب التاريخ وما يتبادر الى الفهم منها مع الاعتذار عن المعارض على الاسلام والمسلمين والتناء عليه بما عده الناس فوق ما ينبغي . فما كان لمن عومل هذه المعاملة ان يعامل بضدها من عداهم من الاصدقاء ، وهو مأمور بمحبة الاعداء ، ولا أن يستجد ابن مذهبه ليقول في الانتصار له مالا يقوله هو أو يرضى منه ذلك ليحقق التهويل الذي اشار اليه وأرجف به وتبرأ من تبعته والقاها على من رده عليه . تلك آداب دين التعصب والغلظة وهذه آداب صاحب الجريدة المنتصرة لدين المسامحة والمسالمة ومحبة الاعداء . أقام الله منهم ادلة على دعاويهم ، وأيد كلمة الحق بما تقذفه افواه متأدبهم ،

وبقي ان نقول ان فضلاء المسيحيين وأدباءهم قد قدروا الرد الذي نشره قدره وعرفوا قيمته اذ فهموا انه ابلغ ما كتب في اقناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة مع المخالف في الدين ، ووجوب الأخذ بأسباب الارتقاء الذي هو الوسيلة الوحيدة لسعادة الشرق والشرقيين ، ولو تأنى الرصيف المحترم صاحب الجامعة الغراء وصبر حتى قرأ

الرد كله (ولم يحكم بأنه ٣٥ صفحة فقط ٠٠٠) لجاز ان يظهر له منه ما ظهر لعلماء
المسيحيين وكبار كتابهم من انه اكبر خدمة خدم بها الشرق ، والله الهادي الى سبيل الحق ،

﴿ سخافة بشار السلام . في الجاهلية والاسلام ﴾

نشرت مجلة بشار السلام الانجيلية في جزئها التاسع نبذة في الجاهلية والاسلام
زعمت فيها ان الاسلام في عقائده وأعماله دون الجاهلية وقد توسعت في الكلام على
الركن الأعظم في الايمان وهو توحيد الله تعالى فزعمت أن الاسلام زاد الجاهلية وثنية
على وثنيها !!! واحتجت على ذلك بستة أمور (١) كون الايمان بمحمد محتما بعد الايمان
بالله.. تعالى فجعلت هذا شركا بالله وما هذا الا الايمان بالوحي والرسول فان من ينكر نبوة
موسى أو عيسى كافر عند المسلمين كمن ينكر نبوة محمد عليهم الصلاة والسلام . فيظهر
أن الايمان بالوحي شرك ووثنية عند الكاتب الانجيلي . وتعييره بمقارنة الاسمين في
الشهادتين لا يزيد الشبهة قوة فان صيغة الشهادة المروية في الصحيحين هي «أشهد أن لا اله
الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله» فهل يكون العبد رباً وآلهاً؟؟ وأما المقارنة في
الذكر قولاً وكتابة فهي لا تمتع الا اذا حرم ذكر الله تعالى ومنع بالمرءة ؟ الا يقول
الكاتب : رحم الله فلانا ونحو هذا؟ وقد كبرت على الكاتب كلمة توجدني بعض كتب
المسلمين وهي ان كلمتي الشهادة مكتوبتان على العرش قبل خلق السموات والارض .
القول بهذه الكتابة ليس من عقائد الاسلام فمن عاش ومات ولم يسمع بها أو سمع ولم
يصدق بأنها وردت في الحديث بالمرءة فلا يعتد هذا ولا ذاك نقضاً لإيمانه ولا نقضاً منه .
واذا قلنا ان هذه الكتابة ثبتت وصحت فأي وثنية فيها والآله آله والعبد عبد؟ نعم ان
ذلك يدل على التشريف . وهل يقول الكاتب ان جميع عباد الله سواء في معرفته
وعبادته ونفع خلقه وان تشريف بعضهم وتفضيله على الآخر شرك بالله . وان التوحيد
الحالص هو ان يعتقد الانجيلي بأن موسى كفرعون وابراهيم كنمرود بلافرق؟ هذا
هو فهم دعاة النصرانية في الدين ، وهذا ما يتقنون من المسلمين ، واحمد الله رب العالمين
(٢) زعم الكاتب ان المسلمين أنزلوا حديث النبي منزلة القرآن وجعلوها سواء في
أخذ الاحكام مع اعتقادهم بان القرآن كلام الله والحديث كلام محمد . وزعم ان الشيعة
تركوا الحديث فاسخطوا أهل السنة . وكل من الزعمين باطل فهل السنة لا يقولون بان
القرآن والأحاديث سواء والشيعة لم يرفضوا الأحاديث . ان القرآن أصل الدين والسنة مينة
له قال تعالى «وانزلنا اليك الذِّكْر لتبين للناس ما نزل اليهم» وللقرآن خصائص ومزايا

ليست للسنة كوجوب الإيمان بجميع ما فيه وكالتعبد بتلاوته . وأما الأخاديت فلا يضر . في الإيمان انكار أي حديث منها (ومن ثبت عنده شيء بالتواتر لا يستطيع انكاره وإن لم يكن حديثاً فلا يجي الحديث المتواتر هنا) وهي على أقسام فما كان منها متعلقاً بأمور الدنيا لا يجب الأخذ به ويجوز أن يكون خطأ كما في حديث تأييد النخل الصحيح وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أتم أعلم بأمور دنياكم » وما كان متعلقاً بأمور الدين ، فما أن يكون عن اجتهاد وإمام أن يكون عن وحي . أما اجتهاد الأنبياء فقد جاوز علماء أهل السنة أن يقع فيه الخطأ ولكن لا يُقرُّون عليه بل يأتيهم الوحي ببيان الحق فيه كافي واقعة أسرى بدر . وأما ما يقولونه عن وحي من الله فيجب الأخذ به . ويفرق المسلمون بين القرآن وبين الوحي الذي يعبر عنه النبي بعبارة من عنده ويسمى عند المسلمين خبراً وحديثاً بما تقدم وبأنه إذا وقع تعارض بينهما ولم يمكن الجمع يعمل بالقرآن دون الحديث . فالحديث الصحيح في المرتبة الثانية لا يمكن أن يساوي القرآن ولذلك سأل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً عند ما أرسله إلى اليمن بماذا يحكم فقال بكتاب الله وأنه إذا لم يجد يحكم بالسنة فأجازه على ذلك . وهذا هو المروي عن أبي بكر وعمر وغيرهم ممن أئمة الدين أي أنهم ينظرون في القرآن أولاً فإن رآوا فيه حكم ما يطلبون قضاؤه والابحاث في السنة وعملوا بها . فلينظر المسلمون كيف يخترع المسيحيون لهم أصولاً للدين ، ويننون عليها رميهم بالشرك المين ، فهذا هو تعصبيهم وهذا تساهلنا والحمد لله رب العالمين .

قال : « الثالث ذكر اسم محمد مع اسم الله في مواضع حجة من القرآن نظير شريك له في الأمر والنهي والحل والربط ووجوب الطاعة له والمحبة ، الخ وقال الكاتب أنه لا يذكر الشواهد إلا من سورة التوبة وسجدها ولكنه ذكر ثلاث آيات اثنتان منهما من التوبة والثالثة من الأحزاب . وقد حرف الآيتين مع وضعهما بين علامات تدل على أنه نقلهما بنصهما فكتب « أن الله بريء مما يشركون ورسوله ، والله تعالى يقول « أن الله بريء من المشركين ورسوله » وكتب « وما كان لمؤمن أو مؤمنة ، الخ والله تعالى يقول « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ، الآية . أما الجواب عن الشبهة فهو واضح وهو أن أحكام الله تعالى إنما تؤخذ عن رسوله فكل ما يقضي به الرسول من أمر الدين فهو مبلغ له عن الله تعالى ويصح اسناده إليه كما يصح اسناد الحوادث الطبيعية إلى أسبابها لأن الله تعالى جعلها مرتبطة بها ولا يسمى شيء من

هذا شركا • وكأني بالكاتب يقول ان دينه يحكم بشرك من يقول • ينبغي للانسان ان يستحي من الله ومن الناس • ونحو هذا لأنه قرن اسم الناس باسم الله في حكم واحد فلي نظر المسلمون الى ثقة دعاة النصرانية في النقل وليقابلوا بين ما ذكر من التحريف في الآيات والخطأ في العزو الى السورة وبين ما وقع لنا مع احد كبار العلماء وهو انه نهى الى وجوب التنيه على غلطة وقعت في المنار نقلا عن الأنجيل وهي • لم تجربوتي • وقد حذف نون الوقاية من الفعل بالطبع قطعت (تجربوني) • ولتأمل المنصفون في نقلنا عن القوم ونقلهم عنا للتمييز بين الصادقين والكاذبين • والتزيل بين المتساهلين والمتعصين • والحمد لله رب العالمين •

قال: «الرابع اتخاذ المسلمين محمداً سيّداً لهم» ثم استنبط من هذا ان المسلمين يعتقدون بأنهم عبيد لمحمد وقال ان هذا هو الشرك الذي عناه • وجوابه ان المسلمين لم يوجبوا ان يقول احد عند ذكر النبي كلمة «سيدنا» ولم يرد الأمر بوصفه عليه الصلاة بذلك في الكتاب ولا في السنة • وقد ذهب بعض العلماء الى أن إضافة لفظ (سيدنا) على صيغة الصلاة الملحقة بالشهد مكروهة وقال بعضهم انها مستحبة لأن هذا اللقب من ألقاب التكريم التي اعتادها الناس مع الكبراء ومع الاقران • واما استدلال الكاتب على هذه السيادة التي تستتبع الشرك عنده بآية «ان الله وملائكته يصلون على النبي» فهو غريب لأن الصلاة من الله الرحمة ومن غير الله الدعاء كما صرح بذلك العلماء • فلو كان كل من نطلب له الرحمة الها لنا وكل من نخاطبه بلقب السيادة الها لنا لكان لنا وللكتاب آلهة لا تحصى !!! نعم ان المسلمين يعتقدون ان محمداً افضل الأنبياء والمرسلين ويعبرون عن ذلك بالسيادة والانباء افضل بني آدم فهو افضل بني آدم وسيدهم ولكنهم ليس عبيداً له • اما وجه تفضيله فهو ظاهر بآثره وقد كتبنا فيه وسنكتب ايضاً ان شاء الله • فليأمل المتأملون في تمحل هؤلاء الدعاة المسيحيين • واستنباطهم الذي يضحك المحزونين • والحمد لله رب العالمين •

قال: «الخامس مغالاة المسلمين في قدمية محمد الى ان قالوا انه نور كان قبل البشر» الخ ونقول ان هذه المغالاة ليست من الدين في شيء فلا توجد في القرآن ولا في كتب السنة الصحيحة ولا في كتب العقائد وانما توجد في كتب القصص والمولد التي لا اعتبار لها والدين ينهى عن القول بغير علم • على ان العامة الذين يروج عندهم هذا الغلو لا يختلفون في حدوث نبهه وغيره من الانبياء فلا يصح ان يسمى القائل بذلك مشركا بوجه ما •

ولينظر الناظرون مبلغ علم هؤلاء الناس بالاديان التي يحكمون ببطلانها ويدعون أهلها الى تركها وليدلونا على مسلم يتكلم مثلهم بغير عليّ ، ويعتدي عليهم في الدعوى ثم في الحكم ، وحسبنا اننا من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال • السادس والاخير اتخاذ المسلمين محمداً شفيعاً ، ثم قال • واتخاذ المخلوق شفيعاً عند الله هو عين الشرك الذي كان عليه العرب في الجاهلية لا اكثر ولا اقل ، ثم ذكر ان اتخاذ الجاهلية شفعاء كثيرين اخف شركا من حصر المسلمين الشفاعة في شفيع واحد . على ان المسلمين لم يحصروا • والجواب ان الشفاعة عند المسلمين هي الدعاء . ولذلك يقولون في الصلاة على الميت • وقد اتيناك راغبين اليك شفعاء له اللهم ان كان محسناً فزد في احسانه ، الخ فكل مسلم شفيع بل كل مؤمن بالله يدعو الله تعالى لنفسه ولغيره والدعاء للغير يسمى شفاعة • كأن الكاتب الانجيلي يقول ان دينه يحكمه بشرك كل من يذكر ميتاً كوالده او غيره ويقول رحمه الله تعالى • فهكذا يفعل (دين التساهل) يفتات اهله على المخالفين ، واذا اجابوهم بالحق يدعونهم متعصين ، ولكن هذا لا يخرجنا عن تساهل المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ،

وان تعجب فعجب قول من اتخذوا نبيهم آلهما : ان الذين يقولون ان نبيهم عبد الله ولكنه افضل عبادته لأنه تقع خلقه افضل منفعة وهداهم باذنه اكمل هداية هم مشركون بالله لأنهم يعرفون فضل نبيهم ويسألون له رحمة الله تعالى ويطيعونه فيما يباغى عن الله تعالى . قال الكاتب بعد ايراد ما يقدم : • ويرد على ذلك اتخاذنا نحن التصاري السيد المسيح شفيعاً وحيداً بين الله والناس على ما جاء في الانجيل . فأجيب اذا كنا معتقدين ان المسيح مخلوق (كذا) واتخذناه شفيعاً وحيداً او معه غيره نكون بلا شك مشركين ولكن اذا كان المسيح بالحقيقة كلمة الله الأزلي وهو الخالق وغير المخلوق الذي كان به كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان فلنا مشركين بل نعبد آلهما واحداً تبارك اسمه ، !!! يعني ان الشرك هو اعتقاد ان نبيهم عبد الله وان شفاعته دعاء لله وان التوحيد الخالص هو اعتقاد الناس ان نبيهم الذي ولد منذ ١٩٠٢ هو الله القديم الأزلي الخالق لكل شيء مما كان قبله وما يكون بعده . وانه شفيع بمعنى انه واسطة بين الناس وبين نفسه يصابها ويلبثها لا ينجاهم !! يخنج ما أحسن هذا التوحيد . هذه شبهات المسيحيين المصلحين . فله الشكر والمنة ان جعلنا مسلمين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ،

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فينبغون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصرفي يوم السبت ١٦ رجب سنة ١٣٢٠ — ١٨ أكتوبر (تشرين ١) سنة ١٩٠٢)

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

(تمة المقال الرابع لذلك الامام الحكيم)

« الجواب »

أقول هذا كلام فيه شية من الحق ، ولمعة من الصدق ، أما ما تسمعه
حولنا من سجن من قال بقول السلف فليس الحامل عليه التمسك بالدين فان
حملة المهائم إنما حركهم الحسد لا النيرة . وأما صدور الأمر بالسجن فهو
من مقتضيات السياسة والخوف من خروج فكر واحد من حبس التقليد
فتنتشر عدواه فيثبته غافل آخر ويتبعه ثالث ثم ربما تسري العدوى من
الدين الى غير الدين — الى آخر ما يكون من حرية الفكر يعوذون بالله
منها . فان شئت أن تقول إن السياسة تضطهد الفكر أو الدين أو العلم فانا
معك من الشاهدين . اعوذ بالله من السياسة ، ومن لفظ السياسة ، ومن

معنى السياسة ، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ، ومن كل ارض تذكر فيها السياسة ، ومن كل شخص يتكلم او يتعلم او يجنّ او يعقل في السياسة ، ومن ساس ويسوس ، وسائس ومسوس ، . يدلك على ان العقوبة سياسة أن الرجل كان يقول بقول السلف من اهل الدين . لا تقل : إن هذه السياسة من الدين ، فاني اشهد الله ورسله وملائكته وسلفنا اجمعين ، ان هذه السياسة من أبعد الأمور عن الدين ، كأنها الشجرة التي تخرج في اصل الجحيم ، طلعتها كأنه رؤوس الشياطين ، فإنهم لا يكون منها فاثون منها البطون ، ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ؛ ثم إن مرجعهم لا إلى الجحيم ، إنهم ألقوا آباءهم ضالين ، فهم على آثارهم يهرعون ،

❦ جهود المسلمين واسبابه ❦

واما ما وصفت بعد ذلك من الجهود فهو مما لا يصح ان ينسب الى الاسلام وقد رأيت صورة الاسلام في صفاتها ونصوع ياضها ليس فيها ما يصح ان يكون اصلا يرجع اليه شيء مما ذكرت ولا مما تنبأ بسوء عاقبته (رنان) وغيره . وإنما هي علة عرضت على المسلمين عند ما دخل على قلوبهم عقائد أخرى ساكنت عقيدة الاسلام في اقدتهم . وكان السبب في تمكنها من نفوسهم وإطفائها لنور الاسلام من عقولهم هو السياسة كذلك . هو تلك الشجرة الملعونة في القرآن عبادة الهوى واتباع خُطوات الشيطان هو السياسة

لم ار كالا سلام ديناً حفظ اصله ، وخلط فيه اهله ، ولا مثله سلطانا تفرق عنه جنده ، وخيف عهده ، وكفر وعيده ووعدده ؛ وخفي على الغافلين

قصده ، وإن وضع للناظرين رشده ، اكل الزمان أهله الأولين ، وأدال منهم خُشارة من الآخرين ، لاهم فهموه فأقاموه ، ولاهم رحموه فتركوه ، سواسية من الناس اتصلوا به ، ووصلوا نسبهم بسببه ، وقالوا نحن أهله وعشيرته ، وحماته وعصبته ، وهم ليسوا منه في شيء إلا كما يكون الجهل من العلم ، والطيش من الحلم ، وأفنُّ الرأي من صحة الحكم ،

أنظر كيف صارت مزية من مزايا الاسلام سيياً فيما صار اليه أهله . كان الاسلام ديناً عربياً ثم لحقه العلم فصار علماً عربياً بعد ان كان يونانياً ، ثم أخطأ خليفة في السياسة فاتخذ من سعة الاسلام سيلاً إلى ما كان يظنه خيراً له . ظن أن الجيش العربي قد يكون عوناً لخليفة علوي لأن العلويين كانوا الصق بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فأراد ان يتخذ له جيشاً اجنياً من الترك والديلم وغيرهم من الامم التي ظن أنه يستعبدوها بسلطانه ، ويصطنعها باجر حسانه ، فلا تساعد الخارج عليه ولا تعين طالب مكانه من الملك . وفي سعة أحكام الاسلام وسهولته ما ييسر له ذلك . هنالك استعجم الاسلام وانقلب عجيباً .

خليفة عباسي أراد أن يصنع لنفسه وخلقه ويثس ما صنع بأمرته ودينه — أكثر من ذلك الجند الاجنبي وأقام عليه الرؤساء منه فلم تكن الاعشية او ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء واستبدوا بالسلطان دونهم وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام والقلب الذي هذبه الدين . بل جاؤا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون الوية الظلم . لبسوا الاسلام على أبدانهم ، ولم ينفذ منه شيء الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل آله معه يعبد في خلوته ، ويصلي مع الجماعات لتمكين سلطته ، ثم عدا على الاسلام آخرون كالنار وغيرهم

ومنهم من تولى أمره ، أي عدوّ طوّلاء أشد من العلم الذي يعرف الناس منزلتهم ويكشف لهم قبح سيرهم ؛ فقالوا على العلم وصديقه الاسلام ميلتهم . أما العلم فلم يحفلوا بأهله ، وقبضوا عنه يد المعونة وحملوا كثيراً من أعوانهم أن يندرجوا في سلك العلماء وأن يتسربلوا بسرايله ليعدّثوا من قبيله ثم يضعوا للعامة في الدين ما يبغيض إليهم العلم ويبعد بنفوسهم عن طلبه . ودخلوا عليهم وهم أغرار من باب التقوى وحماية الدين . زعموا الدين ناقصاً ليكملوه ، أو مريضاً ليعالّوه ، أو متداعياً ليدعموه ؛ أو يكاد ان ينقض ليقويموه ،

نظروا الى ما كانوا عليه من نخفخة الوثنية ، وفي عادات من كان حولهم من الأمم النصرانية ، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو برآء منه لكنهم نجحوا في إقناع العامة بأن في ذلك تعظيم شمائره ، وتفخيم أوامره ، والفوغاء عون العاشم ، وهم يد الظالم ، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات ، وتلك الاجتماعات ، وسنوا لنا من عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة ، وأركس الناس في الضلالة ، وقرروا ان المتأخر ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد العقول . ثم بثوا أعوانهم في أطراف الممالك الاسلامية ينشرون من القصص والابخار والآراء ما يقنع العامة بأنه لا نظر لهم في الشؤون العامة . وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض للمالايعنيه . وأن ما يظهر من فساد الأعمال ، واختلال الاحوال ، ليس من صنع الحكام وإنما هو تحقيق لما ورد في الاخبار من أحوال

آخر الزمان . وأنه لا حيلة في إصلاح حال ولا مآل . وأن الأسلم تفويض ذلك لله وما على المسلم الا ان يقتصر على خاصة نفسه . ووجدوا في ظواهر الألفاظ لبعض الأحاديث ما يعينهم على ذلك وفي الموضوعات والضعاف ما شد أزركم في بث هذه الأوهام . وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضلين وتعاونت ولاية الشر على مساعدتهم في جميع الأطراف واتخذوا من عقيدة القدر مشبطاً للعزائم وغلاً للأيدي عن العمل . والعامل الأقوى في حمل النفوس على قبول هذه الخرافات إنما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين وموافقة الهوى . أمور اذا اجتمعت أهلكت . فاستتر الحق تحت ظلام الباطل ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يضارب أصول دينهم ويباينها على خط مستقيم كما يقال

هذه السياسة سياسة الظلمة وأهل الأثرة هي التي روجت ما أدخل على الدين مما لا يعرفه وسلبت من المسلم أملاً كان يخرق به أطباق السموات ، وأخذت به الى يأس يجاور به العجاوات ، فجأ ما تراه الآن مما تسميه إسلاماً فهو ليس بإسلام وإنما حفظ من أعمال الاسلام صورة الصلاة والصوم والحج وقليل من الأقوال التي حرفت عن معانيها . ووصل الناس بما عرض على دينهم من البدع والخرافات الى الجمود الذي ذكرته وعدوه ديناً . نعوذ بالله منهم ومما يفترون على الله ودينه . فكل ما يعاب الآن على المسلمين ليس من الاسلام وإنما هو شيء آخر سموه إسلاماً . والقرآن شاهد صادق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلاً من حكيم حميد ، يشهد بأنهم كاذبون ، وأنهم عنه لاهون ، وعما جاء به معرضون ، وسنوفي لك الكلام في مفسد هذا الجمود وثبت أنه علة لا بد ان تزول

﴿ مفاسد هذا الجمود ونتائجه ﴾

طال أمد هذا الجمود لاستمرار عمل العاملين في المحافظة عليه ،
 وولوع شهوراتهم بالدفاع عنه ، وقد حدثت عنه مفاسد يطول بيانها وإنما
 يحسن إجمال القول فيها . كان الدين هو الذي ينطلق بالعقل في سعة العلم
 ويسبح به في الأرض ويصعد به إلى أطباق السماء ليقف به على أثر من
 آثار الله أو يكشف به سرّاً من أسرارهِ في خليقته ، أو يستنبط حكماً من
 أحكام شريعته ، فكانت جميع الفنون مسارح للعقول تقتطف من ثمارها
 ما تشاء وتبلغ من التمتع بها ما تريد . فلما وقف الدين ، وقعد طلاب اليقين ،
 وقف العلم وسكنت ريحهُ ، ولم يكن ذلك دفعة واحدة ولكنه سار سير التدرّج
افساد الجمود للغة : أول جناية لهذا الجمود كانت على اللغة العربية وأساليبها
 وآدابها فإن القوم كانوا يُعنون بها لحاجة دينهم إليها — أريد حاجتهم في
 فهم كتابهم إلى معرفة دقائق أساليبها ، وما تشير إليه هيئة تركيبها ، وكانوا
 يجدون أنهم لن يبلغوا ذلك حتى يكونوا عرباً بملكاتهم ، يساوون من
 كانوا عرباً بسلطانهم ، فلما لم يبق للمتأخر إلا الأخذ بما قال المتقدم قصر
 المحصلون تحصيلهم على فهم كلام من قبلهم واكتفوا بأخذ حكم الله منه
 بدون أن يرجعوا إلى دليله ولو نظروا في الدليل فرأوه غير دال له بل دالا
 لخصمه بأن كان عرض له في فهمه ما يعرض للبشر الذين لم يقرر الدين
 عصمتهم لخطأ وأظلموا وأعموا أبصارهم وقالوا : نعوذ بالله أن تذهب عقولنا
 إلى غير ما ذهب إليه متقدمنا وأرغموا عقولهم على الوقفة فيصيبه الشلل من
 تلك الناحية . فأي حاجة له بعد ذلك إلى اللغة العربية نفسها وقد يكفيه
 منها ما يفهم به أسلوب كلام المتقدم وهو ليس من أولئك العرب الذين

كان ينظر الأولون في كلامهم .

وهكذا كل متأخر يقصر فهمه على النظر في كلام من يليه هو غير مبال بسلفه الأول بل ولا بما كان يحفّ بالقول من أحوال الزمان فهو لا ينظر إلا اللفظ وما يعطيه فتسقط منزلته في تحصيل اللغة بمقدار بعده عن أهلها حتى وصل حال الناس إلى ما نراه عليه اليوم . جعلوا دروس اللغة لفهم عبارة بعض المؤلفين في النحو وفنون البلاغة وإن لم يصلوا منها إلى غاية في فهم ما وراءها قد رست علوم الأولين وبادت صناعاتهم ، بل فقدت كتب السلف الأولين رضي الله عنهم ، وأصبح الباحث عن كتاب المدونة لمالك رحمه الله تعالى أو كتاب الام للشافعي رحمه الله تعالى أو بعض كتب الامهات في فقه الحنفية كطالب المصحف في بيت الزنديق . تجد جزءا من الكتاب في قطر وجزءه الآخر في قطر آخر فإذا اجتمعت لك أجزاء الكتاب وجدت ما عرض عليها من مسخ النساخ حائلا بينك وبين الاستفادة منها

هذا كله من أثر الجمود وسوء الظن بالله وتوهم أن أبواب فضل الله قد أغلقت في وجوه المتأخرين ، ليرفع بذلك منازل المتقدمين ، وعدم الاعتبار بما ورد في الاخبار من أن المبلغ ربما كان أوعى من السامع^(١) وإن هذه الامة كالطر لا يدري أوله خير أو آخره^(٢) وقلة الالتفات إلى أن ذلك قد أضاع آثار المتقدمين أنفسهم ولا حول ولا قوة الا بالله . لا ريب

(١) التار : يشير إلى حديث ابن مسعود عند الترمذى وابن ماجه وهو : سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نضر الله أمراء سمع مني شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع » ورواه غيرهما عن غيره (٢) يشير إلى حديث

ان القارئ يحيط بمقدار ضرر هذه الجناية على الامة . يكتبه من ذلك انه اذا تكلم بفتنة لئلا دبه وكتابه وقومه لا يجد من يفهم مايقول ، وأي ضرر أعظم من هجر القائل من ان يصل بمناه الى القول ،

افساد النظام والاحتجاج : وأعظم من هذه الجناية جناية التعريق وتزويق نظام الامم وإقامها فيما وقع فيه من سبقها من الاختلاف وتفرق المذاهب والشيع في الدين . كان اختلاف السلف في القيا يرجع الى اختلاف افهام الأفراد لكل يرجع الى أصل واحد لا يختلفون فيه وهو كتاب الله وماصح من السنة فلا مذهب ولا شية ولا عصية . ولو عرف بعضهم صحة مايقول الآخر لا سرع الى موافقته كما صرح به جميعهم . ثم جاء أنصار الجود فقالوا بولد مولود في بيت رجل من مذهب إمام فلا يجوز له ان يقتل من مذهب أبيه الى مذهب إمام آخر . وإذا سألتهم قالوا : « وكلمهم من رسول الله ملتس » لكنه قول باطلان ، لا أصل له في الجنان ، ثم كانت حروب جدال بين أئمة كل مذهب نوصرت آلتها وتوابعها في تبين أصول الدين ونشر آدابها وحقائقه الصحيحة بين العامة لكننا اليوم في شأن غير مانحن فيه . نجد المطلاع على كتب المتفتين من مطامن بعضهم في بعض ما لا يسمح به أصل من أصول الدين التي يتسبون اليه . يقتل بعضهم بعضاً ويرمي بعضهم بعضاً بالبعد عن الدين وما للطلوع فيه يأمد عن الدين من الطامن ولكنه الجود ، قد يؤدي الى الجود ،

كان الاختلاف في العقائد على نحو الاختلاف في القيا يخالف

أمن عند ندمى وهو : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل أمي مثل »
 سر لا يدري أنه خير أم آخر . « ورد » غيره

أشخاص في النظر والرأي . وكان كل فريق يأخذ عن الآخر ولا يبالي بمخالفته له في رأيه . مسجدهم واحد وإمامهم واحد وخطيبهم واحد . فلما جاء دور الجمود — دور السياسة — أخذ المتخالفون في التنطع ، وأخذت الصلات تنقطع ، وامتازت فرق وتألفت شيع . كل ذلك على خلاف ما يدعو اليه الدين . وقد بذل قوم وسعهم في تمييز الفرق تمييزاً حقيقياً فما استطاعوا وانما هو تمييز وهمي ، وخلف في أكثر المسائل لفظي ، وانما هي الشهوات وضروب السياسات اشعلت نيران الحرب بين المنتسبين الى تلك الشيع حتى آل الأمر الى هذه القرقة التي يظن الناظر فيها أنها لا دواء لها .

قال قائل من عدة سنين : إنه ينبغي أن يعين القضاة في مصر من أهل المذاهب الأربعة لأن أصول هذه المذاهب متقاربة وعبارات كتبها مما يسهل على الناظر فيها أن يفهمها . وقال : إن الضرورة قاضية بأن يؤخذ في الأحكام ببعض أقوال من مذهب مالك أو مذهب الشافعي تيسيراً على الناس ودفعاً للضرر والفساد . فقام كثير من المتورعين ، يحولون ويندبون حظ الدين ، كأن الطالب يطلب شيئاً ليس من الدين ، مع أنه لم يطلب الا الدين ، ولم يأت الا بما يوافق الدين ، وبما كان عليه العمل في أقطار العالم الى ما قبل عدة سنين . فأن قول هؤلاء « وكلهم من رسول الله ملتس » ؛ لكن هو جمود المتأخر على رأي من سبقه مباشرة وقصر نظره عليه دون التطلع الى ما وراءه . أو هي السياسة تحلّ ماتشاء وتحرم ماتشاء ، وتصحح ماتشاء وتبطل ماتشاء ، والناس منقادون اليها بأزمة الا هواء ،

جناية الجمود على الشريعة : هذا الجمود في أحكام الشريعة جرّ الى عسر حمل الناس على إهمالها . كانت الشريعة الاسلامية أيام كان الاسلام إسلاماً

سعة تسع العالم بأسره وهي اليوم تصيق من أهلها حتى يضطروا إلى أن يكلوا غير هالوا أن ينسوا حماية حقوقهم فيها لا يرتقي إليها. وأصبح الأحياء من أهلها يخلصون إلى سواها. صيب تناول الشريعة على الناس حتى رضوا بجهلها عجزاً عن الوصول إلى علمها فلا ترى السارف بها من الناس إلا قليلاً لا يفت شيئاً إذا نسب إلى من لا يرهما. وهل يتصور من جاهل بشريعة أن يسأل بأحكامها؟ موع أحلب العامة في مخالفة شريعتهم بل سقط احترامها من أنفسهم لأنهم لا يستطيعون أن يطبقوا أعمالهم على مقتضى نصوصها. وأول مانع لهم ضيق الطاقة عن فهمها لصعوبة التيارات وكثرة الاختلاف. سألت يوماً أحد المدرسين في بعض المذاهب: هل تبيع وتنزي وتصرف للتفود على مقتضى ما تجد في كتب مذهبك؟ فأجاب أن تلك الأحكام لما تخطر بباله ضد العامة بالقيل وإنما يفعل ما يفضل الناس. هكذا فعل الجود بأهله ولو أرادوا أن تكون الشريعة حياة نحي بها الناس لصلوا ويسهل عليهم وعلى الناس أن يكونوا بها أحياء.

فلم ما وصل اليك الناس من فساد الأخلاق والانحراف عن الشريعة. لو سألت عن سببه في القرى وصغار المدن لوجدت ما أحد أمرين إما قصد السارف بالشريعة والدين وسقوط القرية أو المدينة في جاهلية جهلاء يرجع بعض أهلها إلى بعض في معرفة الحلال والحرام وليس المسؤول بأعلم من السائل والكل جاهلون. وإما عجز السارف عن فهم من يسأله لا تضل لسانه من حسن التعبير بطريقة تنهيه العامة فهو إذا سئل يقرأ كتاباً أو يسرد عبارة يصيب على السامع فهمها وعلى المتكلم إفهامها. وذلك للخرج الذي وضع فيه نفسه فلا يستطيع التصرف فيها بسمع ولا فيما يعلم. فإذا

قلت للعارف تعلم من وسائل التمييز ما يتدرك على مخاطبة الطالبات المنتفعة من الناس حتى تنفع بملك وأهل بنفسك إلى أن تنهم القرض من قول إمامك فتجد لأسسه الطباقة على هذه الحادثة مثلاً وإن لم يأت ذكرها بنفسها في قوله أو قول من جاء بعده من أتباعه . قال سبحانه الله! هل فعل ذلك أحد من السالحين يريد أن لا يأتي شيئاً إلا ما أتى به شيخه الذي أخذ عنه بدأ يد ولو أبعد بنظره لوجد قدما للشيخ قد خلوه وبالتالي فيه حتى حلقوا من أخفوا عنه في بعض رأيه . ثم إذا حاجبته في ذلك لم يجد من رأيه أن يملك زنديقاً وأهلك يدعو إلى الخروج من دينه ولا يدري المسكين أنه بذلك يخالف نصوص دينه وأنه يتباعد للخروج منه ثمود بالله تعالى

كان كلام يحيى وبين أحد المدرسين في أخذ الطلبة بالنصيحة وتذكيرهم بمسائل الأخلاق وصالح الأعمال خصوصاً عند إلقاء الدروس العلمية ودروس الحديث والتوحيد . فقال لي : أنه لا غائبة في ذلك قطماً وهو تسب في غير طائل . قلت له : ذلك حق عليك أن تأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وليس عليك أن تأمر بالله ولا أن تنهي للنهي . قلت : إذا تحققت استحالة التهمة كان الأمر والنهي لنوا . فانظر كيف اعتقد استحالة الانسحاب منه بلوغ الفساد من النفوس غاية كما يزعم . ولم ينظر في الوسيلة لاقلاع هذا الفساد مع أن الدين يدعو إلى ذلك وهو يسبل كل يوم عمله لتعليم من لا سبل إلى إصلاحه . هذا كله لأنه لم ير نفسه أهلاً لأن يتخذ وسيلة لم يتخذها من أخذ عنه أو لم يرشده إليها من تعلم هو بين يديه ولم يتذكر عند ذلك شيئاً من الأوامر الإلهية التي وردت في

النصيحة والتأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن اليأس من روح الله إنما يكون من القوم الكافرين أو الضالين

لا بل إذا قلت له ان هذا الضرب من ضروب التعليم عقيم لا ينتج المطلوب منه أو ان هذا الكتاب الذي تمود الطلاب قراءته قد يضر بقارئه وغيره أفضل منه . كاد يظن أن قولك هذا مخالف للدين ورأى العدول عما تموده نوعاً من الاخلال بالدين . وقد يقيم عليك حرباً يعتقد نفسه فيها مجاهداً في سبيل الله اذا قلت له : ان دروس السلف كانت تقريراً للمسائل واملاءً للحقائق على الطلاب ولم يكن لأحد منهم كتاب يأخذه بيده ويقرئه تلامذته ولم يكن بأيدي الطلبة الا الأقلام والقراطيس يكتبون ما يسمعون من أفواه أساتذتهم . وقد يعترف لك بصحة ما تقول ولكنه يستمر في عمله اعتماداً على أنه وجد الناس هكذا يعملون . فهل يخطر ببال عاقل ان هذا الجمود من الدين ؟ وهل يرتاب من له أدنى ادراك في سوء عقباه على الدين وأهل الدين ؟

جناية الجمود على العقيدة : ذلك جمودهم في العمل وأشد ضرراً منه

الجمود في العقيدة . نسوا ما جاء في الكتاب وأيدته السنة من أن الايمان يعتمد اليقين ولا يجوز الاخذ فيه بالظن وان العقل هو ينبوع اليقين في الايمان بالله وعلمه وقدرته والتصديق بالرسالة وان النقل ينبوع له فيما بعد ذلك من علم الغيب كأحوال الآخرة وفروض العبادات وحياتها وان العقل ان لم يستقل وحده في إدراك ما لا بد فيه من النقل فهو مستقل لا محالة في الاعتقاد بوجود الله وبأنه يجوز ان يرسل الرسل فتأينا عنه بالمنقول . نسوا ذلك كله وقالوا : لا بد من اتباع مذهب خاص في العقيدة

واقترعوا فرقا وتمزقوا شيعاً كما قلنا . ولم يكفهم الإلزام باتباع مذهب خاص في نفس المعتقد بل ذهب بعضهم الى أنه لا بد من الأخذ بدلائل خاصة للوصول الى ذلك المعتقد فيكون التقليد في الدليل كالنقل في المدلول . وكأنهم لذلك جعلوا النقل عماداً لكل اعتقاد وباليته النقل عن المعصوم بل النقل ولو عن غير المعروف . فتقررت لديهم قاعدة : ان عقيدة كذا صحيحة لان كتاب كذا للمصنف فلان يقول ذلك . ولما كانت الكتب قد تختلف أقوالها صار من الصعب أن يجد الواحد منهم لنفسه عقيدة قارة صافية غير كدرة ولا متزعزعة . وقد سرى ذلك من قراء المقلدين الى أميهم فتراهم يستقدون بكل ما يقال وينقل عن معروف الاسم وان لم يكن في حق الأمر من أهل العلم وتتناقض عقائدهم على حسب تناقض مسوعانهم انجرّ التساهل في الاعتماد على النقل الى الخروج عما اختطه لنا السلف رضي الله عنهم فقد كانوا ينقبون عن صفات من ينقلون عنه ويمتحنون قوله حتى يكونوا على شبه اليقين من أنه موضع الثقة . ولكن جود المتأخر على ما يصل اليه من المتقدم صير النقل فوضى فتجد كل شخص يأخذ ممن عرفه وظن أنه أهل للأخذ عنه بدون بحث ولا تنقيب حتى شاع بين الناس من الأقوال وموضوعات الأحاديث ما ترتفع الأصوات بالشكاية منه من حين الى حين . وكل ما نراه من البدع المتجددة فمنشأه سوء الاعتقاد الذي نشأ من رداءة التقليد والجمود عند حد ما قال الأول بدون بحث في دليله ولا تحقيق في معرفة حاله وإهمال العقل في العقائد على خلاف ما يدعو اليه الكتاب المبين والسنة الطاهرة . دخلت على الناس لذلك عقائد يحتاج صاحب الغيرة على الدين في اقتلاعها من أنفسهم الى عناء طويل وجهاد شديد

وسلاحه الكتاب وسلاح أعدائه أقوال بعض من تقدم ممن يعرف ومن لا يعرف. وما أكثر عدد من ينصر أعداءه اليوم وما أقلهم غدا إن شاء الله

سأل سائل من الاستاذ شيخ الجامع الأزهر عن حكم عمل من الأعمال الجارية في المساجد يوم الجمعة - ومنزلة الشيخ من الرياسة في أهل العلم بالدين منزلته - فافتي بما ينطبق على السنة وما يعرفه العارفون بالدين وقال إن العمل بدعة من البدع يجب التنزه عنها. أظن أن المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا؛ كلاً. حدث قيل وقال، وكثرة تسأل؛ ودخلت السياسة ثم قيل إن الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الأمر كذلك من قبلنا وسكت السائل وماذا يصنع الحبيب. نعم هذا من شؤم ذلك الجمود فقد فصل بين العامة ومن يرجي فيهم تقويم ما أعوج منها وولكلها إلى أناس منها لا علم لهم بالدين ولا بالأدب وقد غرسوا في أذهان الدهماء شر الغرس ولا تجني الأم منه إلا أخبث الثمر. فلو قام العالم بالدين وأراد أن يبين حكم الله المصريح به في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المجمع عليه عند السلف قاطبة انتصب له ناعر من العامة يصيح في وجهه « ماسمنا بهذا في آياتنا الأولى » ويريد من آياته الأولى من رآهم بعد ولادته أو ذكرت له أسأؤهم بلسان مضمليته حتى صار ارشاد العامة اليوم من أصعب الأمور وأشقها على طالبه

ماذا يمكن أن أقول؛ أصبح الرجل يرتكب في وسائل العبادة أقبح المنكرات في دين وإذا دعي إلى ترك المنكر نفر وزجر، وأبى واستكبر، انظر ماذا يصنع الموسوسون ومن يقرب منهم في الاستبراء من البول على مرأى من المرأة وفيهم أنساء والأطفال وهم يظنون أنهم يتقربون إلى الله بما يفعلون

هذا هو شأن العامة يرون ماليس بدين ديناً ويصعب على حفاظ الدين ارشادهم بفضل جمودهم على ماورثوا من ملقنيهم بدون تعقل .
فهذا معظم الامة تراه قد تخلص من أيدي منذريه ولو شاؤا لأقبل كل منهم على صاحبه وهو أيسر شيء على حملة الشريعة وما هو الا ان يرجعوا الى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من سعة الدين وسماحته ، ثم العمل على حفظه وحياطته ،

الجمود ومتعلمو المدارس النظامية

ثم ان الجمود قد أحدث لنا فريقاً آخر وهو فريق المتعلمين على الطرق الجديدة إما في مدارس الحكومات الاسلامية وإما في المدارس الاجنية داخل بلادهم أو خارجاً عنها . لا تكلم عن هذا الفريق في بلاد القرم أو القوقاس أو سمرقند وبخارى أو الهند فاني لأعرف كثيراً من أحوالهم ومن رأيتهم رأيت فيه خيراً وأرجو أن يكون منهم لقومهم ما ينتظره الاسلام من العارفين به فقد رأيت أفراداً قليلين من هؤلاء يعملوا في البلاد الأوربية ودرسوا العلوم فيها درساً دقيقاً وهم أشد تمسكاً بلب الدين الاسلامي وروحه من كثير ممن يدعي الورع والتقوى ولا يسمحون لأنفسهم بترك عادة صحيحة من العادات التي أورثها دينهم لقومهم فتم المتعلمون هؤلاء أكثر الله منهم

وانما أتكلم عن هذا الفريق من المتعلمين في مصر وسوريا وسائر بلاد الدولة العثمانية . ساحة الاسلام وسعة حلمه للعالم أباحت للمسلمين أن يرسلوا أولادهم ليأخذوا العلم في المدارس الرسمية وغير الرسمية عن أساتذة فيهم المسلم وغير المسلم أو عن أساتذة كلهم غير مسلمين بل في مدارس لم

تبين الالتزويج دين غير الدين الاسلامي . وأباحت لغير آباء هؤلاء التلامذة أن يسكتوا وان لا ينكروا عليهم عملهم مادامت العقيدة سالمة من الهدم والضعفة
جود تلامذة المدارس الأجنبية : هؤلاء التلامذة ان كانوا في مدارس
أجنبية لا أثر لتعليم الدين الاسلامي فيها بل ربما يتعلم فيها دين آخر فقد يسري الى عقائدهم شيء من الضعف وقد تذهب عقائدهم بالمرّة وتحتل مكانها عقائد أخرى تناقضها كما شوهد ذلك مراراً . ولو كان آباؤهم على علم بطرق الاستدلال الإقناعية لعقائد دينهم لدعموا من عقائد أبنائهم وحفظوها من النزول أو الزوال . وكيف يكون لأولئك الآباء شيء من هذا العلم مع الجمود على طرق قديمة لا يصل الى فهمها من ينقطع لتعلمها فضلا عن أولئك المساكين . بل لو كان هناك مرشدون على طريقة يسهل فهمها لتيسر هؤلاء التلامذة أن يهتدوا بهديهم ولكن الجمود صير كل شيء صعباً وكل أمر غير مستطاع

فهذه جناية من جنایات الجمود على أبناء المسلمين الذين يتعلمون في مدارس أجنبية يخرجهم من دينهم من حيث لا يشعرون . وباليتم يستبدلون بالدين رادعاً آخر من الأدب والحكمة كما يرجو بعض المغرورين الذين لا يعلمون طبائع هذه الأمم أو كما يروجه بعض من لا يريد الخير بها . ولكنه ترك أفئدتهم هواء خالية من كل زاجر أو دافع اللهم الا زاجراً عن خير أو دافعاً الى شر فاتخذوا إلهم هواهم وامامهم شهوتهم فهلكوا وأهلكوا . ومن هؤلاء ورثة الاغنياء الذين تصبح من شرور أعمالهم لجرائد كل يوم . فالجهل خير مما يتعلم هؤلاء بدون رية وليت الاسلام لم يرحب صدره لمثل هذا الضرب من التعليم والتعلم .

جمود تلامذة المدارس الرسمية والأهلية :

أما المتعلمون في مدارس رسمية أو غير رسمية للتعليم الديني فيها شيء من البقية . فهو لاء ينشأون على شيء من المعارف في الفنون المختلفة وتقرر لهم حقائق في الكون السماوي أو الأرضي أوفى الاجتماع الانساني ومن عرف شيئاً انطلق لسانه بالخوض فيه وقد يسمعه متنتع ممن يلبس لباس أهل الدين وهو جامد على الفاظ سمعها فلو سمع غيرها أنكره وظنه مخالفاً للعقيدة الصحيحة فيأخذ يلوم المتعلم ويوبخه ويرميه بالمروق من الدين . هذا والمتعلم لا يشك في قوة دليله ولجهله بالدين يعتقد أن مايقوله خصه منه فينفر من دينه نفرة من الجهل . ولو قال له قائل : ارجع الى كتب الدين تجد فيها مايسرك وينصرك على نفسك وخصك . حار لا يدري الى أي كتاب يرجع ولم يسهل عليه فهم تلك العبارات التي ورثها القوم على ما فيها من تشبث وتمقيد وأبقوها كما ورثوها . فيود الى النور من الدين نفور طالب الفهم مما لا يمكنه فهمه

لهذا يعتد أكثر هؤلاء ان الدين شيء غير مفهوم بل قد يعده بعضهم خرافة « نعوذ بالله » فيأخذون عنه جانباً ويتركون عقائده وفضائله وآدابه ويلتسسون لهم آداباً في غيره وقلما يجدونها قتراهم وقد فترت قلوبهم وقصرت همهم فلا يطلبون الا ما يطلبه العامة من كسب معيشة أو علو جاه ويسلكون الى ذلك أي طريق ولو أضرروا بالعامة أو الخاصة « مادام الشرف محفوظاً » فاذا وجد بينهم من يدعي الوطنية أو الفيرة المالية أو نحو ذلك فأنما ينثر الالفاظ ثراً لا يرجع فيها الى أصل ثابت ولا الى علم صحيح ولهذا يطلب المصلحة لبلاده من الوجه الذي يؤدي الى المفسدة وهو يشتر

أولا يشتر على حسب حاله . ومنهم من يصيح باسم الدين ولا تتحرك نفسه
لمعرفة حكم من أحكامه أو درس عقيدة من عقائده فتأثمهم كلام في كلام
وليس ما يصنعون . ولولا هذا الجلود لوجدوا في كتب دينهم وفي أقوال
حنبلته ما يتيح به قلوبهم ، وقطعتان إليه نفوسهم ؛ ولما قوا طعم العلم مأدوماً
بذلكين وتمكنوا من نفع أنفسهم وفهومهم ولوجدت منهم طبقة سروفة يرجع
إليها في سير الأمة وسياسة أفكارها وأعمالها الاجتماعية .

﴿ الجلود علة نزول ﴾

(لفتاح الخراساني الامام الحكيم - وفيه بيان علاج الخلاء)

تفصيل مضرات هذا الجلود وسيئاته يحتاج الى كتاب طويل فنكتفي
بما أوجزناه في المصنوعات السابقة . ولكن يبقى الكلام في أنه مارض
يمكن زواله ان شاء الله تعالى .

قد صرفت من طيبة الدين الاسلامي بعد مرضها عليك فيما سبق
أنها تسو عن أن ينسب إليها هذا المرض الخبيث - مرض الجلود على
الوجود - وكم في السكتاب من آية تحر من اتباع الآباء معها عظم أسرم
بنون استعمال العقل فيها كانوا عليه ولا حاجة الى إعادة ذلك . ثم اتنا أثرنا
أيضاً الى بعض الاسباب التي جلبت هذا الجلود على المسلمين لا على الاسلام
وان محشها إما صدق للمسلمين طالب الخفض شأنهم أو لاستبعادهم أو
لاستغلال أيديهم لحامسة نفسه . وإما محب جاهل يظن غيراً ويسل
شراً وهذا الثاني كان أشد نكابة ، وأصون على النواية ، وهمل نزول
هذه الملة ورجع الاسلام الى سبته الأولى وكرمه التياش وينهض بأهله
الى ما فخر لهم فيه ؟؟

جاء في الكتاب المبين : إِنَّا نَحْنُ نُزِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ، ذلك الذكر هو الذكر الحكيم وهو القرآن الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لذن حكيم خبير . وهو كما قال : كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، وعد الله بحفظ هذا الكتاب وقد أنجز وعده فلم تطل إليه يد عدو مقاتل ، ولا يد عجب جاعل ، فبقى كما نزل ولا يضره عمل القرع في تفسيره وتأويله فكذلك مما لا يلتصق به فهو لا يزال بين دفتي المصاحف طاهراً قياراً من الاختلاف والاضطراب . وهو إمام التيقن ، ومستودع الدين ، واليه المرجع إذا اشتد الأمر وعظم الخطب وسئمت النفوس من التخبط في الضلالات . ولا يزال لأشعة نوره فؤد من تلك الحجب التي أقاموها دونه . ولا بد أن تنزق كلها بأيدي أنصاره فيقلع ضياؤه لأعين أوليائه إن شاء الله تعالى

هذا الضياء كان ولا يزال يلوح لامعه في حنادس الظلم لأفراد اختصم الله بسلامة البصيرة فيبتدون به إليه ويحفظون سراهم ، بما عرفوا من نجاح مسام ، ولكن الذين طبعت عليهم ظلم البدع ، وروايت على قلوبهم ما كسبوا من التعزب الشيع ، وطسست بصرهم ، وقصدت عقولهم ، بما حشوها من الأباطيل ، وبما عطلوها من النظر في البليل ، هؤلاء في عمي عن نوره وقلوبهم في أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقر . يسمعون بأنهم عمي صم فلا يرون له سناء ، ولا يسمعون له نداء ، ويمدون ذلك من كمال الإيمان به وليس ما رضوا لأنفسهم من السفه وميلش الحلم وهم يملكون . هذا حال الجمهور الأعظم ممن يوصفون بأنهم مسلمون ويحبون البار على

الاسلام بدخولهم تحت عنوانه ، وقوفون حجب أعدائه في حربهم بزعمهم الاجتماع تحت لوائه ، وما هم منه في شيء كما قدمنا

هؤلاء لا بد أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم فقد تابوا منهم شراً بشراً وفراً ما بذراع وضيقوا على أنفسهم بدخولهم في جحر الضب الذي دخلوه^(١) ومن أبع سنن قوم استحق الوقوع تحت أحكام سنن الله فيهم فلن يخلص مما قضى الله في مذابهم . فقد قص عليهم سير الاولين وبين لهم ما نزل بهم عند ما انصرفوا عن سنته وحادوا عن شرعه ونبدوا كتابه ودارهم ظهرياً - أهل بهم القتل ، وضرب عليهم للسكنة ، وأورث عيرهم أرضهم وديارهم . فهل ينظر للتبسون سننهم ؛ السارون على أثرهم ؛ لئلا يصنع الله بهم غير الذي صنع بسابقتهم وقد قضى بأن تلك سنته ولن تجد لسنة تبديلاً

لا تزال الشذائد تنزل هؤلاء للتبيين الى الاسلام ولا تزال التواريخ تحمل بديارهم حتى يفيقوا (وقد بدأوا يفيقون من سكرانهم) وفزعوا الى مطلب النجاة وتسلوا فتنى السعدنات من بصائرهم ، وعند ذلك يجدون هذا الكتاب الكريم في انتظارهم يُبذل لهم وسائل الخلاص ويؤيدهم في سبيله بروح القدس ويسير بهم الى متابع العلم فيعرفون منها ما يشاؤون فيعرفون أنفسهم ويشهدون ما كان قد كمن فيها من قوة فيأخذ بعضهم بيد بعض ويسرون الى الهدى غيرنا كلين ولا يخفولين . ولهذا نقول : ان الاسلام لن يقف حثرة في سبيل الدنية أبداً ولكنه سيفها وينقيها من

(١) القار : في الكلام اشارة الى حديث « لنتم سنن من قبلكم شراً بشراً ودرهماً بذراع حتى لو دخلوا جحر صب لم يستثمروا » الحديث رواه الشيخان وغيرهما

أوضارها وستكون المدنية من أقوى أنصار دمتى عرفته وعرقها أهله. وهذا
الجمود سيزول وأقوى دليل لك على زواله بقاء الكتاب شاهداً عليه بسوء
حاله ولطف الله بتقييض أناس للكتاب ينصرونه، ويدعون إليه ويؤيدونه،
والحوادث تساعدهم، وسوط عذاب الله النازل بالجامدين ينصرهم،
هذا الكتاب المجيد الذي كان يتبعه العلم حينما سار شرقاً وغرباً لا بد
أن يعود نوره إلى الظهور ويمزق حجب هذه الضلالات ويرجع إلى
موطنه الأول من قلوب المسلمين ويأوي إليها - العلم يتبعه وهو خليله الذي
لا يأنس إلا إليه، ولا يعتمد إلا عليه،

يقول أولئك الجامدون الحامدون كما يقول بعض أعداء القرآن :
إن الزمان قد أقبل على آخره، وإن الساعة أوشكت أن تقوم، وإن ما وقع
فيه الناس من الفساد، وما مني به الدين من الكساد، وما عرض عليه من
الملل، وما نراه فيه من الخلل، إنما هو أعراض الشيخوخة والهرم، فلا
فائدة في السعي ولا ثمرة للعمل، فلا حركة إلا إلى العدم، ولا يصح أن
يمتد بصرنا إلا إلى العدم، ولا أن ننظر من غاية لأعمالنا سوى العدم،
(نموذ بالله) هؤلاء حفدة الجهل وأعوان اليأس يهرفون بما لا يعرفون.
ماذا عرفوا من الزمان حتى يعرفوا أنه كاد ينقطع عند نهايته؟ إن الذي
مضى بيننا وبين مبدأ الإسلام ألف وثلاثمائة وعشرون عاماً وإنما هي يوم
وبعض يوم أو بعض يوم فقط من أيام الله تعالى. وإن آيات الله في الكون
- وإن كانت تدل على أن ما مضى على الخليفة يقدر بالدهور والدهارير، -
تشهد بأن ما بقي لهذا النظام العظيم يقصر عن تقديره كل تقدير؛ « فها هؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثاً » . إن ما بيننا وبين مبدأ الإسلام لا يزيد

عن عمر ستة وعشرين رجلا كل رجل يعيش خمسين سنة . فهل يعد مثل ذلك عمراً طويلاً بالنسبة الى دين عام كدين الاسلام ؟ ان زماناً كهذا لا يكفي — وقد تبين انه لم يكف — لاهتداء الناس كافة بهديه . ولم تقوم القيامة على الدين ولم تقم على شرهم وطمعهم ؟

قد وعد الله بأن يتم نوره وبأن يظهره على الدين كله فسار في سبيل التمام والظهور على العقائد الباطلة أعواماً ثم انحرف به أهله عن سبيله وصاروا به الى مايرون ونرى . ولن ينقضي العالم حتى يتم ذلك الوعد ويأخذ الدين بيد العلم ويتعاوناً معاً على تقويم العقل والوجدان فيدرك العقل مبلغ قوته ، ويمرّف حدود سلطنته ، فيتصرف فيما آتاه الله تصرف الراشدين ، ويكشف ما مكنه فيه من أسرار العالمين ، حتى اذا غشيت سبحات الجلال وقف خاشعاً ، وقفل راجعاً ، وأخذ إخذ الراسخين في العلم الذين قال فيهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فيما روي عنه : « هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب ، الاقرارُ بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فمدح الله اعترافهم بالمعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً ، وسعى تركهم التعقّب فيما لم يكافهم البحث عنه رسوخاً ، واعتبر بعد ذلك بقوله : « فاقصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين . هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك . منقطع^(١) قدرته ، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوسوس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته ، وتولّت^(٢) القلوب اليه لتجري في كيفية صفاته ، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ،

(١) منقطع . يتقطع عنده شيء وهو آخره (٢) تولّت اشتد عشقها

ردعها وهي تجوب مهاوي سدف^(١) الغيوب متخلصة اليه سبحانه ، فرجعت
إذ جُبِّهَتْ^(٢) معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ، ولا تخطر
ببال أولى الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته ،

هناك يلتقي (أى العقل) مع الوجدان الصادق (القلب) ولم يكن
الوجدان ليدبر العقل في سيره داخل حدود مملكته متى كان الوجدان
سليماً ، وكان ما استضاء به من نبراس الدين صحيحاً ، إياك ان تعتقد ما
يعتقده بعض السذج من ان فرقا بين العقل والوجدان (القلب) في
الوجهة بمقتضى الفطرة والغريزة . فانما يقع التخالف بينهما عرضاً عند
عروض العلل والأمراض الروحية على النفوس . وقد أجمع العقلاء على
ان المشاهدات بالحس الباطنى (الوجدان أو القلب) من مبادي البرهان
العقلى كوجدانك أنك موجود ووجدانك لسرورك وحزنك وغضبك
ولذتك وألمك ونحو ذلك .

منحنا العقل للنظر في الغايات ؛ والاسباب المسببات ؛ والفرق بين
البسائط والمركبات ؛ والوجدان لإدراك ما يحدث في النفس والذات من
لذائذ وآلام ؛ وهلع واطمئنان ؛ وشماس وإذعان ؛ ونحو ذلك مما يذوقه
الانسان ؛ ولا يحصيه البيان ؛ فهما عينان للنفس تنظر بهما - عين تقع على
القريب ؛ وأخرى تمتد الى البعيد ؛ وهى فى حاجة الى كل منهما ولا تنتفع
بأحدهما حتى يتم لها الانتفاع بالأخرى . فالعلم الصحيح .مقوم الوجدان ؛
والوجدان السليم من أشد أعوان العلم ؛ والدين الكامل علم وذوق ؛
عقل وقلب ؛ برهان وإذعان ؛ فكر ووجدان ؛ فاذا اقتصر دين على أحد

(١) السدف جمع سدفة كظلمة انقضا ومعنى (٢) جبهه ضربت جبهته وزد

الأمرين فقد سقطت إحدى قائمتيه وهيات ان يقوم على الأخرى .
ولن يتخالف العقل والوجدان حتى يكون الانسان الواحد إنسانين ؛
والوجود الفرد وجودين ؛

قد يدرك عقلك الضرر في عمل ولكنه تعمله طوعاً لوجدانك ؛
وربما أيقنت المنفعة في أمر وأعرضت عنه إجابة لدافع من سريرتك ؛
فتقول : إن هذا يدل على تخالف العقل والوجدان . ولكني أقول : إن
هذه حجة من لا يعرف نفسه ولا غيره . عليك ان ترجع الى نفسك
فتتحقق من أحد الأمرين -- إما أن يقينك ليس بيقين وأنه صورة
عرضت عليك من قول غيرك فأنت تظنها علماً وما هي به . وإما أن وجدانك
وهم تمكن فيك ؛ وعادة رسخت في مكان القوة منك ؛ وليس بالوجدان
الصحيح وإنما هو عادة ورثتها عن حولك وظننتها شعوراً منبئةً الفريزة
وما هي منه في شيء .

(نتيجة) : لا بد ان ينتهي أمر العالم الى تآخي العلم والدين ؛ على سنة
القرآن والذكر الحكيم ؛ يأخذ العالمون بمبنى الحديث الذي صح معناه ^(١)

(١) المنار — قال العراقي : رواه ابو نعيم في الحية بالمرفوع منه باسناد ضعيف
ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبراني
في الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث بن عمر وقال : هذا إسناد فيه نظر . قلت
فيه الوازع بن نافع متروك . وقال الزبيدي في شرح الإرجاء : قلت حديث ابن عمر
لفظه « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب
التفكر وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الاوسط وابن عدي وابن مردويه والبيهقي
وضعه والاصبهاني وأبو نصر في الإبانة وقال غريب . ورواه أبو الشيخ من حديث
ابن عباس « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره » ورواه
ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في

« تفكروا في خلق الله ولا تهكروا في ذات الله » وعند يكون الله قد أتم نوره ولو كره الكافرون ؛^(١) وتبعهم الجامدون القانطون ؛ وليس بينك وبين ما أعدك به الا الزمان الذي لا بد منه في تنبيه الغافل ؛ وتعليم الجاهل ؛ وتوضيح المنهج ؛ وتقويم الأعوج ؛ وهو ما تقتضيه السنة الالهية في التدريج « سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » . « إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا » . « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وهو خير الناصرين .

(الكلام بقية)

﴿ الوفاق الاسلامي الانكليزي ﴾

لقد أذن الله المسلمين أن يهبوا من رقادهم ، ويسترجعوا مجد أجدادهم ، وقد سبق لنا ان قلنا في مقالة نشرت في الجزء الرابع من المجلد الثالث ان مجد الاسلام قام على أساسين وانه هدم بهدمهما وانما يعود بإقامتهما وهما استقلال الفكر واستقلال الارادة أما الأول فأقامته بالاجتهاد في علوم الدين والدنيا وأما الثاني فأقامته بالقوة الخ مانهناك . وقد لاحظ من قرأ مقالة (مسترد . ج . كوربت) الانكليزي الذي عربتها جريدة المؤيد ولشرتها في ستة أعداد وذكرنا أقطاب مسائلها في نحو صفحتين من الجزء الماضي أن هذا الكاتب السياسي يبني دعوة قومه الى الاتفاق مع المسلمين على أمرين (أحدهما) ان دين الاسلام دين مدنية يمكن متبعيه ان يتفقوا مع أمة راقية كالأمة الانكليزية ويسيروا معها في كل طريق من طرق العمران فتنتفع بهم وينتفعوا بها . وهو يشترط في ارتقاؤهم ، ما يشترطه أشهر فضلائهم ، وهو إطلاق العقل من القيود والاغلال ، وتمتعه بنعمة الاستقلال ، والتربية الدينية ، التي تعيد اليهم صفات

الله ، الخ . وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة واتساعا صحيح كما قال الحافظ السخاوي في المقاصد . (١) الكافر من يرى الدليل فيصد عنه ولا ينظر فيه أو ينظر فيعرف الحق ثم يماري فيه وينكره عنادا . اهـ من هامش الأصل

الرجولية ، و (ثانيهما) ان للمسلمين قوتين واحدة في آسيا وهي الأمة الافغانية ، وأخرى في افريقيا وهي الفرقة السنوسية ، وقال الكاتب ان الواجب على الانكليز أن يستعينوا بمسألة القوتين ، على تمكين سلطتهم في القارتين ، وذلك يجعل مصالحهم متفقة مع مصالح الأمة الاسلامية . ومساعدتها على العروج في معارج المدنية ، فانها أمة واحدة لاجنسية فيها ولاوطنية ، (فليعتبر الاحداث الذين يفرقون بين المصري والشامي ، والمصري والحجازي)

هل نحن في حاجة الى مساعدة دولة قوية حرة كالدولة الانكليزية ؟ وهل الدولة الانكليزية في حاجة اليها ؟ نعم ولكن فرقا بين الحاجتين . نحن نحتاج الى مثل الانكليز الذين لهم السلطان الرسمي وغير الرسمي على نحو نصفنا لأجل النهوض والقيام ، وهم يحتاجون اليها لأجل الثبات والدوام ، أو نحن نحتاج اليهم في الحال ، وهم يحتاجون اليها لأجل الاستقبال . وهل يصدق الانكليز في مساعدتنا على التقدم والرقى اذا نحن صدقناهم ؟ نعم اذا قالوا صدقوا ولن يقولوا حتى يعتقدوا بأن المصلحة في ذلك وحتى يتقوا بنا . وقد رأينا هذا الكاتب منهم يحاول إقناعهم بالمصلحة ويكوننا أهلا للثقة وقد سبقه الى ذلك غيره من كتابهم وعلمائهم فهل وجد قينا من حاول إقناعنا بذلك مع أننا أحوج الى الوقاف منهم إذ من البديهي أن المحكوم الجاهل الضعيف أحوج الى مرضاة حاكمه العالم القوي . ولكن الجاهل يمنع الجهل ان يعلم المصلحة واذا علمها يمنع الضعف ان يدعو قومه اليها لأن الجاهلين إنما يتخاطبون بما يهون لا بما يتفهمون . رأيت كيف كان السيد احمد خان ظنينا في قومه متهماً في بلاده عند مقام يدعو الى الوقاف بين مسلمي الهند وحكامهم من الانكليز ؟ لاجرم ان هذا هو شأن الجاهل ولكن المسلمين انشأوا يتسللون منه لو اذاً ولذلك لا يلاقي من يجهر في مصر بمثل دعوة المرحوم السيد احمد خان عشر معشار ما اتى من الظنة وما عانى من مرارة التهمة وان كانت مصر ليست من الامبراطورية البريطانية كالهند

المسلمون في مصر عرفوا ما كان عليه اخوانهم مسلمو الهند أيام الجفاء بينهم وبين الانكليز وعرفوا ثمرة دعوة احمد خان وثمره مدرسته في حفظ حقوقهم ومصلحتهم بالوقاف مع الانكليز واسترجاع ما كان سلب منها بالتدريج . وظهر لهم خذلان أحداث السياسة الذين جعلوا التعاق بالتفسير من الانكليز منبعاً للمال ومنبراً للأجاء وعلموا أنهم قاشون خادعون ضالون مضلون فقيرت الأحوال وصار شيخ الجامع الازهر يزور عميد الانكليز في مصر وشاعر الخديو يمدح ملك الانكليز وينشر ذلك في الجرائد التي تنتمي الى

الانكليز وليس هذا ولا ذاك عن تضطربهم وظيفتهم أو تقضي سياستهم بأن يفعلوا ما فعلوا
 أننا نعلم مع هذا أن أكثر المسلمين يرتابون في تحقيق هذا الوقاف ولو عرفوا
 مصلحتهم ومصلحة القوم بالبرهان لما كان لهم أن يرتابوا . ان من مصلحتنا التي
 لا نشك فيها ان تكون تربيتنا اسلامية دينية ونرى الانكليز الداعين الى الوقاف يرون
 رأينا في هذا . ان من مصلحتنا ان نكون رجالا مستقلين في علومنا وأعمالنا ونرى
 الانكليز يدعوننا الى ذلك ويقولون انه يساعد على الوقاف بيتا وبنهم . ان من
 مصلحتنا احياء اللغة العربية لغة الكتاب والسنة واللغة الجامعة للأمة ونرى الانكليز
 يوافقونا على ذلك . فهل يرتاب في أن شيئا من هذه الأمور هو من أهم مصالحنا؟ كلا
 يقول قائل : ان كاتب المقالة وطائفة من الكتاب والسياسين الانكليز قالوا بهذا
 القول ولكن الدولة لم تقل به ولم ينتشر بعد فيصر رأيا للأمة البريطانية فنقول ان
 الحكومة ستضطر الى مجازاة الأمة . فهل نخدع لقول بعض الكاتين ، ونثق بمن
 لا يتفق معنا في لغة ولا جنس ولا دين ؟ ونقول في الجواب : قد قال مثل ما قال
 هؤلاء حاكم الهند العام الذي يحكم مئتي مليون من النفوس منهم نحو تسعين مليونا من
 المسلمين أوزهاء خمسة أضعاف ما يحكمه الدولة العلية من المسلمين . وحب أنه لم يقل بذلك
 أحد من الحاكين البريطانيين فأناسائك : أي خدمة تقدمها أنت وقومك للانكليز
 جزاء على اعتقادك باخلاصهم في حب الوقاف معكم فتخاف ان تضيع هذه الخدمة
 مع من لا يستحقها ؟ لو أن هذه الدولة محتاجة إلينا اليوم في عمل اختياري وهي
 نخطب ودادنا لتخدمها به لكان لنا ان نقول : انه يجب علينا أن نأخذ بالاحتياط
 ولا نخسر عملنا حتى نثق بصدق مجاملتنا .

يقولون لنا بلسان حالهم أو بلسان مقالهم : تربوا التربية الدينية ، واتصفوا بصفات
 الاستقلال والرجولية ، وتعلموا العلوم الفنون ، وحصلوا المال والثروة ونحن
 نساعدكم على ذلك . فهل من الاحتياط ان لا نشغل بشي من ذلك لأن هذا ثقة
 بالقوم ولا ينبغي لنا ان نثق بهم الا بعد قيام البرهان على صدقهم . كيف يكون هذا
 وان ما يصدر عنهم هو عين البرهان على صدقهم .

يقول القائل : أنهم يخادعون بمثل هذه الأقوال أمير الافغان والسنوسي ليكون الأول
 معهم على روسيا وليأمنوا من اغارة الثاني على السودان . ونقول ان هؤلاء الكتاب
 يخاطبون دولتهم وان حاكم الهند كان يخاطب رعيته المسلمين ومثله حاكم سيراليون (راجع
 صفحة ٧٠٧ من المجلد الرابع) فهل اتفق هذا وهو في غربي أفريقيا مع ذلك في شرقي

آسيا على مخادعة السنوسي الذي لا يسمع خطبهما ولا يقرأ الجرائد فيعرف خبرهما ؟ .
نعم ان أمير الافغان يعرف أحوال الهند وما يقول حاكمها . ولكن حاكم الهند العام
لا يقول للمسلمين : « انني لو كنت مسلماً لما أضعت من وقتي خمس دقائق من غير
فكر في ترقية شأن الاسلام » ، ولا ينصح للمسلمين بأن يقيموا التربية الدينية ويعددهم
بمساعدة الحكومة لهم لمجرد المخادعة فانه انما كان يخاطب قوماً طاملين يخاطب رجال
التربية الاسلامية في احتفالهم العام بمدرسة عليكده . فقوله هذا أكبر منشط لهم
بالفعل . ثم ما كان لأمر الافغان أن يتخددع بالاقوال ، التي لا تنطبق على الاعمال ،

يقول هذا القائل : ان هؤلاء الحكام يقولون هذا ليطمئن المسلمون الى حكومتهم
وهم يعلمون ان المسلمين لا يعملون . ونقول : اذا كنت أيها المسلم أسوأ ظناً
بقومك منك بالانكليز فلا تجعل الذنب على خير الفريقين ولكن اجعله على شرهما
وهو من يقال له اعمل لنفسك فلا يعمل ثم يعتذر بأن من يقول له اعمل غير
مخلص في قوله . واعلم ان عقلاء المسلمين لا يرضون لأنفسهم ما وصفهم به وأن
الانكليز لم يقولوا ولن يقولوا للمسلمين اقموا ونحن لسى لكم . وأنهم ان قالوا
لرعاياهم : اعملوا ونحن لانعارضكم فلهم الشكر . فان زادوا وقالوا ونحن لساعدكم
فلهم الفضل العظيم فان سائر المستعمرين من الافرنج يمنعون رعاياهم ومن في حمايتهم
من غير اهل دينهم من التعلم ، وكل وسائل التقدم ،

هذا الوفاق يراه المصريون رأياً جديداً ويراه سائر العثمانيين قديماً فهو رأي أكثر
وزراء الدولة وساستها ولكنه كان وفاقاً انكليزياً تركياً . وكان عليه العمل بين الدولتين
ولا تنسى مساعدة بريطانيا العظمى للدولة العلية في الحروب الروسية حرب القريم وما
بعدها . ثم تراخت عرى الصلة بينهما بعد احتلال انكلترا مصر وكادت سياسة المستر
غلاستون التحمسية تقطع تلك العرى قطعاً بما ظهر من تعصبه على الدولة وعلى
الاسلام في ابان الفتنة الأرمنية . وكان من أثر ذلك توثيق عرى الصلة بين السلطان
وعاهل الامان وضعف نفوذ الانكليز وكسدت تجارتهم في البلاد العثمانية حتى قال
البرنس بسمرك ما معناه : ان المعلم غلاستون قد هدم بشقشقته الحمقى ما بنته دولته
في نحو قرن . ولايزان أكثر نبهاء العثمانيين يفضلون الانكليز على كل دولة أوربية
وهذا كله مبني على قاعدة مسلمة عندهم وهي انه لا بد للدولة من الاعتماد على دولة أوربية
في سياستها الخارجية

انكلترا قصرت مع الدولة العلية وان مجاملتها لها تزيد جميع مسلمي مستعمراتها ثقة بها فهي تنفعها في الوفاق الاسلامي الانكليزي أكثر مما تنفع المسلمين الذين تحكمهم فيما نظن فان تعلق آمال أولئك المسلمين بالدولة العلية يثبط همهم عن السعي في الاستقلال الذاتي الذي هو روح الحياة الاجتماعية كما يبناه من قبل ويزيد عليهم ضغط حكامهم لأنهم يرونهم مبالغين الى حكومة أخرى . ومن شأن الضغط ان يفيد ولكنه لا يفيد هنا لأن المضغوط عليه لا يحاول الخلاص من الضغط لاعماده على غيره وقد ثبت هذا بالتجربة المؤيدة للنظر . كان الوفاق انكليزيا تركيا فأصبحنا نتحدث بوقاق اسلامي انكليزي وهو وفاق أشرف وأعلى وأعم وأثقل . كانت سياسة انكلترا في ذلك الوفاق مبنية على قاعدة : يجب أن لا تسقط تركيا ولا تقوم يجب أن لا تموت ولا تنحيا . وأما قاعدة هذا الوفاق فهي : يجب أن يعود للمسلمين استقلالهم الذاتي وان يتفتح فيهم روح الدين الاسلامي بفضائله وآدابه ليعيدهم الى المدنية الحقيقية ولكن يشترط ان يكونوا هم العاملين والانكليز من المساعدين . فاذا صح هذا فهو أكبر أمنية يتمناها كل عاقل من المسلمين . ويرضى هؤلاء العقلاء من انكلترا بأن لا تكون على الدولة العلية اذا لم تكن معها وبأن لا تدخل جزيرة العرب ولا تتمكن دولة غير مسلمة من دخولها كيفما كان حال الدولة العلية لأن الجزيرة عند المسلمين معهد ديني كالمسجد ومن أركان الوفاق إقامة دين الاسلام لاهدم مناره وتعطيل شعاره

الواقون بدينهم من هؤلاء العقلاء يعتقدون بأن الأمة الانكليزية الحرة اذا عملت بنصيحة مستر كريت وأضرابه (ومنهم اسحق طيلر الذي نشرنا كثيراً من مقالاته في أجزاء من السنة الماضية والسنة الحاضرة) ودرست الاسلام درساً صحيحاً فانها تدخل فيه أفواجاً . وقد سبق لنا القول بأن أمة أوربية كهذه اذ دخلت في الاسلام فانها تملك بالمسلمين الشرق كله ولا يبعد ان تملك بهم الغرب أيضاً فان أكبر قوادح حرب في أوربا قالوا انه سهل عليهم ان يفتحوا أورب كلها بمئة ألف من جيوش المسلمين . أنى لنا بصوت ندي من ذي برهان قوي ، يبلغ قومنا مبلغ انتفاعهم من هذا الوفاق ويعلمهم كيف يقنعون الانكليز به ويمثلون له مصالحهم فيه مشدودة مع مصالحنا في قرن . ان هذا من وظيفة الجرائد ووظيفة أهل نراي في الأمة . وقد علمنا من ذاكرتهم من عقلاء المصريين الارتياح لهذا الوفاق اذا وثقوا من رضاه

الدولة الانكليزية به ورأينا الجريدة السياسية الكبرى للمسلمين في مصر (المؤيد) موافقة عليه ولا يوجد في مصر جريدة سياسية غيرها يعتد المسلمون برأيها في مصلحة المسلمين . الا أن هؤلاء يرتابون في انكليز مصر ان لم يرتابوا في انكليز الهند وحجتهم في الارتباب ما ذكره المؤيد ويذكره جميع الناس من تصرف المستر دنلوب في المعارف تصرف من يريد إضعاف اللغة العربية والدين الاسلامي في مدارس الحكومة . وانتقاد عمل المستر دنلوب بجمع عليه في مصر لا يختلف فيه مع المسلمين القبط والاسوريون فهو منتقد في غير ما ذكرنا من أمر اللغة والدين . ولا ينسب عمله الا الى سياسة دولته ، وان كان يجوز انه خطأ في ادارته ،

والذي يكشف عن وجه الحق في هذه المسئلة وأشباهاها هو أن يرجع بعض الوجهاء العقلاء الى من بيده أزمة سياسة هذه البلاد وهو اللورد كرومر ويبينوا له الضرر فيما يعتقدونه ضاراً للبلاد أو للمسلمين في لغتهم أو دينهم فان أشكاهم وأزال الضرر فعليهم أن يعتقدوا أن الانكليز لا يريدون بالمسلمين سوءاً وانما يحبون أن ينتفعوا من بلادهم وينفعوهم جزاء على ذلك . وان تبين له الضرر وأصر على ابقائه فلمهم أن يسيؤوا الظن بدولته وأن يعتقدوا أن هذه الأقوال التي تقال في الخطب والكتب والجرائد تغريز وتمويه . اما نحن فنظن انه لا يقتنع منهم بمضرة الا ويزيلها قياساً على من كلفه في شأن ابطال النيابة من المحاكم وبين له ان ذلك ضارٌ بالبلاد فكث قتل الاتفاق على ذلك بعد توكيده . وعلى من كلفه في مسئلة بيع الدائرة السنية وبين له مضرة الفلاحين فيه فتقضى الاتفاق بعد ابرامه . ومثل ذلك كثير

ونحنم البحث بقول ينبغي أن نكرره دائماً وهو أن من لا يعمل لنفسه فلا يصح ان يطالب غيره بأن يعمل له . ومن كان مقصراً في حفظ حقوقه فلا يلوم من غيره . اذا قصر فيه . ومن عرف نفسه وعرف مكانه ممن يعيش معهم لا يُظلم ولا يهضم . ومن أعطي الحرية في العلم والعمل ، فليس له عذر في التقصير والكسل ومن عرف قوة الرابطة الاسلامية لا يقطعها بمعية الوطنية فلو لا أن المسلمين كالجسد الواحد كما ورد في الحديث لما طلب الانكليز الوفاق معهم ، ومن ظلم نفسه كان ، جديراً بأن يظلمه غيره . اذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

والسلام على من تدبر القول فحكم عليه لا على القائل ، وكان همه منه التمييز بين الضار والنافع والحق والباطل ،

أثر الإسلام في

الهدايا والتقاريف

(تاريخ التمدن الاسلامي) كتاب جديد يشغل بتأليفه صدقنا المؤرخ المنصف جرجي أفتدي زيدان صاحب مجلة الهلال الشهيرة ، وهو بحث في نشوء الدولة الاسلامية وتاريخ مصالحها الادارية والسياسية والمالية والجندية وسعة مملكتها وبيان ثروتها وحضارتها وأبنتها وأحوال خلفائها ومجالسهم وقصورهم وكل ما يتعلق بهم وتاريخ العلم والصناعة والأدب والشعر والآداب الاجتماعية والعادات والأخلاق في ابان ذلك التمدن وعلاقته بالتمدن الحديث ، وقد صدر الجزء الأول منه في هذه السنة وفيه من المباحث المهمة (١) بحث (العرب والتمدن) وفيه اثبات ان العرب عريقون في التمدن وأولو استعداد له راسخ فيهم . و (٢) عصر الجاهلية في الحجاز و (٣) حكومة العرب في الجاهلية و (٤) النهضة العربية قبل الاسلام أي استعداد العرب لظهور الاسلام فيهم بارتقاء عقولهم وآدابهم واحساس بعض خواصهم بالحاجة الى الاجتماع . و (٥) الدعوة الاسلامية . و (٦) الروم والفرس عند ظهور الاسلام ، وما كانوا عليه من الفساد والافتقار ، و (٧) انتشار الاسلام وأسبابه . ومثل هذه المباحث يراها الجاهل طعناً في الاسلام لأنها تبين أنه قام على سنن الكون المعقولة والمسلم العالم يراها مؤيدة للاسلام ومينة لبعض حقائقه لأن من مقاصد هذا الدين ترقية العقل وهدايته الى سنن الله في الخلق ليسير عليها حتى يبلغ كماله وما هو بدين الغرائب والعجائب ومن مباحثه الكلام في الخلفاء الراشدين والفتوحات الاسلامية والدول العربية في الشرق والغرب . والكلام في الخلافة والولاية والوزارة والجند والسلاح ونظام الحرب والاساطيل أو بيت المال وموارده ومصادره والقضاء والحسبة . والكتاب مزين بالرسوم وصفحاته ٢٠٣

يرى القارئ ان هذا وضع في العربية جديد بهذا الترتيب والتبويب وبحكم بالاجمال قبل أن يراه بأنه وضع مفيد ، وان الأمة في افتقار اليه شديد ، وقد قدره الباحثون في التاريخ من المسلمين قدره اذ تصدى غير واحد منهم لانتقاده فكتبوا في المؤيد مقالات يظهرون فيها ماعدوه عليه من الخطأ في بعض المسائل وقد رد المصنف على بعض من كتب واعترف ببعض الخطأ وأشار الى سيئه وأنه غير مهم . وقد

كنا شرعنا في قراءة الكتاب بالتدقيق لنتقده بما يظهر لنا ولما رأينا شواغلنا الكثيرة لا تسمح لنا بإتمامه إلا بعد عدة أشهر ورأينا المناقشة في أمره كثرت رأينا من حقه علينا أن نبادر إلى التنويه به والاعتراف بأنه مثال مفيد لقراء العربية ولكن مسأله لا تؤخذ قضايا مسلمة فعلى من اطاع على التقدير والرد أن يحكم الإلصاف وقواعد العلم مع النقل وعلى من لم يطلع على ذلك أن يراجع الكتب فيما يراه محلاً للتوقف . أقول هذا وأنا واثق بأن مؤلف الكتاب لم يكتب إلا ما اعتقده مع حسن النية وصحة القصد . وأوضح دليل على ذلك أحجج به من أساء به الظن من المسلمين لأنه غير مسلم هو أنه أثبت أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قام بالدعوة وهو موقن بأنه مرسل من الله تعالى وأنه لم يكن طالب ملك ولا مال ولا جاء بل طالب إصلاح أئمة الله تعالى القيام به ولعانا نعود إلى انتقاد الكتاب بعد إتمام مطالعته . أما ثمنه فعشرون قرشاً وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

(المروءة والوفاء) أو الفرج بعد الضيق . قصة عربية جاهلية حدثت في الحيرة من العراق العربي بين الغريتين قرب الحورنق والسدير على ضفة الفرات قبل الاسلام في يوم يؤس النعمان بن المنذر . وقد نظمها ومدّها فيها ماشاء فقيد بيت الأدب الشيخ خليل اليازجي بن الشيخ ناصيف اليازجي الشهير ومثلت في بيروت على عهد الناظم . وقد طبعت في هذه السنة بمطبعة المعارف الشهيرة بأثقان الطبع . وقد قرأنا منها جملة فاذا شعر محرر ، وهو على صاحبه لا ينكر ، وثمن النسخة خمسة قروش وهو ثمن لا يذكر

(التهذيب) . جريدة تهذيبية أدبية علمية تاريخية دينية لطائفة الاسرائيليين القرايين بمصر ، محررها الأديب الأصولي مراد اقندي فرج المحامي . وهي تصدر في شكل كراسة وقيمة الاشتراك فيها عشرة قروش تدفع الى (الحاخاخانة) أنشئت الجريدة في العام الماضي وقد أهدانا جناب الحاخام الفاضل ورئيس اللجنة المالية المجلد الأول منها فالفيناها طائفاً بالمباحث التاريخية والأدبية والدينية . وقد كنا نعجب قبل العلم بهذه الجريدة لشعب الاسرائيلي كيف لا تكون له جريدة علمية أدبية أو مليّة في مصر مع ارتفاع الاسرائيليين في العلم والأدب والثروة والرابطة المليّة . وقد سرنا من هذه الجريدة عدم تعريضها بما يسوء أحد انطوائف . ولا غرو فأدب الاسرائيليين العالية تقضي بذلك (سعادة) مجلة نسائية علمية تهذيبية تاريخية فكاهية تصدر في الشهر مرتين

صاحبها ومنشئها روحينا عواد. وقد تصفحنا العدد الثامن منها الصادر في (١٥ أكتوبر) فاذا هو مفتتح بمقالة في (الدفاع عن النساء) تناقش فيها الرجال الجاهلين، الذين يرون حرمان الأنثى من التعليم من الدين . ويلها وصية من والدته لابنتها وهي وصية تدور على وجوب قيام المرأة بتدبيريتها بنفسها وان كانت غنية ووجوب تحيها الى زوجها حتى يرى سعادته مرتبطة بها . ويتلوها مقالة في المرأة اصاحب المطبعة التجارية بعد بضعة أسطر غريبة في خبر غريب عنوانه « دير في سفينة » وهو ان رهبان جبل أثوس اتخذوا لهم سفينة في البحر ديراً . ولعلمهم يترنون فيها على الاعمال البحرية كما يترنون في أديار الحيل المقدس على الاعمال الحربية. لأنهم كما يقال رهبان مرابطون بارشاد روسيا . وسيكون لهم شأن في مستقبلها مع تركيا .

هذا وان المجلة مؤلفة من ثلاث كراسات وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً مصرياً في مصر و ١٦ فرنكاً في خارجها فمضى أن تلقى رواجاً ونجاحاً

(أسرار القصور) — قصة وضعية تبحث عن ماهية الروح ومحالها من الجسد وعن التوهم المغناطيسي الشائع بأوروبا وعن الزار والمندل بالاقطار الشرقية ، مؤلفها محمد أفندي حسين محرر جريدة البوستة وقد كتب في مقدمتها انه نشر فيها رأياً له منذ ست سنين ، وكان سنة ثلاثاً وعشرين ، وهو اليوم لهذا الرأي من المتقدين ،

(المصري) « جريدة أسبوعية علمية مدرسية تصدرها جمعية التلامذة الاسلامية » ويحررها مدير الجمعية علي أفندي عبدالكريم . يطفو في مصر كثير من هذه الجرائد الصغيرة ثم يرسب بل يبدو ثم يخفى ولا نذكر منها شيئاً لعلنا بأنها في حكم العدم . ولكن للتلامذة عندنا شأنًا كبيراً وبألت شأنهم عند أنفسهم كذلك . لهذا نقول انه يسرنا أن توجه نفوسهم الى الأعمال الاجتماعية فيتكلموا بأنسنتهم وأقلامهم عنها في وقت التعليم ليقوى استعدادهم، ويكمل رشادهم، حتى اذا صاروا في سن العمل كانوا من العاملين ، ويسوءنا جداً أن ترضى جمعية التلامذة الاسلامية لنفسها إصدار جريدة تطبع على أردإ الورق وتخوض في الموضوعات الخسيسة والهزلية، والاشعار الحمرة والغرامية ، فان المرأة المذهب يحفظ احسن ما يسمع ويقول أحسن ما يحفظ وهو مع هذا يتساهل في القول ما لا يتساهل في الكتابة التي يعرض فيها عقله وأدبه وأخلاقه على الناس أجمعين . فمضى أن يلتفت من يصدر هذه الجريدة الى قبول نصيحتنا باختيار الحسن من الكلام والورق حفظاً لكرامة التلامذة وفائدة لهم والله الموفق

﴿ الاحتفال بافتتاح بمدرسة بني مزار ﴾

أنشئت في هذه السنة مدرسة خيرية اسلامية في بني مزار من مديرية المنيا بتعاون أهل الخير والبر وقد أنيطت ادارتها بالجمعية الخيرية الاسلامية التي انشأتها بمساعدة الأهلين فهي ليست كسائر مدارس الجمعية خاصة بأولاد الفقراء وخالية من اللغات الأجنبية بل هي كالمدارس الابتدائية الأميرية الا ما يرجي من زيادة العناية فيها بأمر الدين . ويتعلم فيها أولاد الاغنياء بأجرة قليلة . وقد كان افتتاحها في يوم السبت الماضي باحتفال رأسه الأستاذ الشيخ محمد عبده رئيس الجمعية الخيرية وحضره الوجهاء والفضلاء في مقدمتهم سعادة مدير المنيا وقاضي المديرية ورئيس لجنة المدرسة حسن بك عبدالرازق العضو في مجلس شورى القوانين عن مديرية المنيا . وقد كتب الينا المحامي الفاضل حسن اقدي عبد الرازق تفصيلا عن هذا الاحتفال لخصناه بما يأتي

لما كمل نظام المحفل قام الأستاذ الرئيس خطيباً فبدأ بالبسملة وقائمة الكتاب والصلاة والتسليم ، على النبي الهادي الى الحق والى طريق مستقيم ، واعلن افتتاح المدرسة . ثم شكر للمتبرعين بإنشاء المدرسة غيرتهم وفضلهم ومما قاله لهم . انكم انفقتم في خير سبيل ، وتاجرتم أربع متاجرة ، فان هذه المدرسة ملككم لو أن العلم يملك وما الجمعية الخيرية الا نصيرتكم في عملكم وهي لاتي في معاونتكم باذن الله وتوكل ان تكونوا سواعدها وأعضادها . ثم قال . ان ما فرض على التلامذة الموسرين من أجر التعليم ، (وهو ثلاث مئة قرش سنويا) ليس مما يضيق به صدر الكريم ، وتعلمون أن نفقة التلميذ في المدارس الأخرى تبلغ ثمانية جنيهات في السنة وتزيد ولو أنكم دفعتم في مدرسة هي لكم ضعف ما تدفعون في مدارس غيركم لكنتم الراجحين لان فرقا بين من يتفق في بناء دار هي له ومن ينفق على دار مستأجرة

ثم قال ماماخصه : لا تريد ان نخطب الموسرين الذين أغوهم شررة الغنى وأسكرتهم خمرة الشباب فخذفوا بأموالهم في هوة الضياع وصرفوا الطارف والتايد ، فيما يضر وما لا يفيد ، فأولئك كالانعام بل هم أضل . وانما نخطب العقلاء من الاغنياء فنقول : اذا كنتم تقتصدون لتوفروا من مالكم ما تتركون لأولادكم حتى لا يكونوا فقراء تعساء فقد سعيتم في طريق محمود مهتدة الاسلام ، ودعا اليه النبي عليه الصلاة والسلام ، وان ما تصرفونه في سبيل العلم والتربية هو من هذا القليل أيضاً لأنه توفير لسعادة الأبناء بل لا سعادة بالمال اذا لم تصحبه تربية نافعة وعلم صحيح يهتدي بهما المتمول الى كيفية الانتفاع .

بل لا يكون الانسان سعيداً الا اذا كان عائشاً مع مهدين سعداء. هب انك تركت لولائك ما يقتني من الثروة وهو في موطن خيمت عليه الجهالة، واستحوذت على أهله الضلالة، آراء يعيش سعيداً بين الاشقياء، ومحيا غنياً بين الفقراء، ولا تمتد اليه يد الغواية وتغلب عليه طبائع السفهاء، وتسهبه شياطين الاهواء. كلا. ان للرا بقرينه ورجل الخير بين أبناء الشرور على خطر. فمن اتفق من ماله للعلم والتربية فهو الذي يوطئ لذريته اكفاف السعادة، ويوطد لهم دعائم المعيشة الراضية، لأنه يصلح لهم مباءة يعيشون في ظلالها آمنين.

ثم بين الاستاذ أسباب اقتصار المدرسة في هذه السنة على تعاليم السنة الأولى للتلامذة وعدم إنشاء فرق من تلامذة السنة الثانية وما بعدها مع أن في طلاب التعلم من هم أهل لذلك. وتلك الاسباب هي ضيق المحل الذي استوَجِر للمدرسة الى أن يتم بناؤها ولم يوجد غيره. وكون الوقت بين قبول الجمعية الخيرية إدارة المدرسة وافتتاحها لم يكن كافياً لاختيار المعلمين الأكفاء والظفر بهم لقلة عددهم في مصر. ونم سبب ثالث عام وهو ان السنة الالهية في الترقى أن يبدأ الشيء صغيراً ثم يترقى بالتدرج وأن الامور التي تنشأ كبيرة فالغالب أن نحل عقد نظامها في القريب العاجل والعياذ بالله تعالى.

ثم تكلم الاستاذ الرئيس في مسألة سن التلميذ فقال. ان الجمعية الخيرية الاسلامية لم تحدد سن التلميذ في نظامها عبثاً ولا تقليداً ولكن حددته لفوائدها. تعلمون بالضرورة أن ليس كل من دخل هذه المدرسة يكون تحت لواء الوظائف بل سيكون منهم التاجر والزارع والصانع. فاذا دخل التلميذ المدرسة في الثامنة وأتم التعليم في أربع سنين أو خمس يخرج منها غصناً رطياً مهياً للدخول في أي عمل شاء. واذ تقدم في السن ودخل المدرسة بعد العاشرة عاقله ييس عوده عن أن يلين للأعمال الصناعية أو الزراعية وربما عجز أبوه عن اتمام تعليمه وهو عاجز عن الاشتغال بأعمال المعاش فيضيع بين عجزين ثم ختم القول بشكر سعادة المدير لحضور الاحتفال واستنهض همته لتعميم المدارس في المديرية وشكر ابد الرحمن بيك فهمي مأمور مركز بنى مزار سعيه في الا كتاب لهذه المدرسة. ثم دعا للمدرسة الدعاء الصالح واسمو الحديو المعظم فأمّن الحاضرون. وقام في أثره المدير فشكر للرئيس فضله وسعيه ووجه أنظار الوجهاء الحاضرين لتدبر نصائحه ثم تلاه حسن افندي عبد الرازق فبدأ قوله بخطاب الرئيس منياً عليه بما هو أهله

ميناً تحويم القلوب عليه ، وتوجه نفوس طلاب الترقى اليه . ثم أتى على المتبرعين للمدرسة وخصّ بالذكر كرام المسيحيين الذين عرفوا قيمة الوطنية ، ف تبرعوا للمدرسة مع علمهم بأنها إسلامية ، ثم تلاه المأمور فأظهر السرور والابتهاج بالاحتفال وأتى على فضيلة الرئيس وسعادة المدير .

ثم خطب حسن بك عبدالرازق رئيس لجنة المدرسة فتكلم بمعنى ما تقدم فأحسن وكان الختام مسكاً فجزى الله هؤلاء المحسنين خيراً الجزاء ، ووفق سائر الناس الى حسن الأسوة والافتداء .

باب الأقباط التاريخي والادبي

﴿ تمة سيرة السنوسي المنشورة في الجزء ١٢ ﴾

وكان اعتناؤه منصرفاً الى علوم القرآن والتفسير والحديث . ولم يذكر كاتب المقالة السبب في هذا وما هو الا النزعة الاجتهادية التي كان عليها والده ورباه عليها ولذلك تولى تعليمه التفسير والحديث بنفسه . وكان الاجتهاد في الدين وفهم الأحكام من الكتاب والسنة صار معيماً عند المسلمين ولذلك حاول كاتب المقالة تكذيب ما أشيع من ان المهدي غير مالكي المذهب وزعم أن كل السنوسيين على مذهب الإمام مالك (رضي الله عنه) قال « ويسلمون في الصلاة ويقبضون أيديهم » لعله يريد أنهم لا يتركون المشهور من مذهب مالك الا في بعض المندوبات . والصواب أن السيد محمداً المهدي السنوسي لا يعمل الا بما صح عنه في الكتاب والسنة كما كان والده من قبله

ثم تكلم الكاتب عن سياسته فقال ان السنوسيين لا يخوضون فيما لا يعنهم كالسياسات فذلك عندهم كالمحرقات وما أشيع عن السنوسي من أنه مستعد للحرب ويدخر الاسلحة المتقنة المجلوبة من أوروبا وأنه يشيد الحصون بالصحراء ويصنع البارود وله عسكر وخيول مسومة ويبغض الإفرنج فهذه كلها خرافات وأراجيف لا أصل لها وسيعرف الناس ذلك عند ما تسمح الحال بالمواصلات بين افريقيا الشمالية والجهات الصحراوية . وكتب مستشهداً : ولا يثبتك مثل خير . ثم أطنب الكاتب في تكذيب هذه الإشاعات ونسبها الى ذوي الأغراض حتى كاد إطنابه يوقع في الظنة . واحتج على صدق قوله بأن الرحالة (مونتاي) وصف السنوسي وإخوان طريقته بما يقرب مما قاله

قال الكاتب : وفي هاته المدة ظهر داع بنواحي بحيرة تشادلشن الفارة واثارة الفتن اسمه محمد السنوسي وهو من أتباع راج سلطان برنو الذي قتل في السنة الفارطة وكانت له أخت اسمها فاطمة في عاصمة راج . ثم وصف من ظلم هذا السنوسي الجديد وعتوه وذكر ان بعض الكتاب الفرنسيين لما سمعوا بخبره طفقوا ينددون بالسنوسي صاحب الطريقة ظانين أنه جاهرهم بالعدوان « وسرى هذا الغلط الفاحش الى الطبقات العالية من أهل الصحف كالطان وغيره » وقال انه لا لوم على تلك الصحف في غلطها « لأن هذا الايهام سرى أيضاً لبعض الصحف الاسلامية نفسها مثل مجلة المنار فقد ذكرت أن السنوسي المهدي له حرب مع الفرنسيين »

ثم قال ان الشيخ المهدي السنوسي رحل في سنة ١٣١٢ من بلد جنبوب على حين غفلة مع أهله وولده وبعض الاخوان قاصداً بلد الكفرة بالصحراء الشرقية في عرض ٢٥ درجة وطول ٢٠ درجة (من باريس) فوصل اليها بعد مسير أربعين يوماً وسماها بغدامس الجديدة ولم يعلم السبب في ارتحاله والذي أظن هو ميلانه للانزواء وابتعاده عن الوسوس والمطامع الانكليزية اذ كان قدم عليه بعض سياح الانكليز في جنبوب . وفي سنة ١٣١٧ ارتحل من الكفرة فتوجه الى نواحي كانم ولا زال في تلك الأماكن على عادته المألوفة من عبادة ربه وعدم اشتغاله بما لاينه هو وطائفة من اخواته الى أن بلغنا انتقاله الى الدار الآخرة في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ على طريق الصحف الاخبارية رحمه الله تعالى وجعل الجنة مثله ومثواه . (المنار) : قد انتهى تلخيص ما كتب في جريدة الحاضرة . ونحن نقول : ارأمر موته لا يزال مشكوكا فيه فان السنوسيين الواردين من زوايا الصحراء على مصري كذبون ذلك ولايبعد أن يكون تكذيبهم مبني على اعتقادهم بأنه المهدي المنتظر . فان احق أياً فلا بد أن يظهر ، ولذلك نرى انه يقتضي الشك في موته لا ترجيح عدمه

وأما خبر مناوشة الفرنسيين للسنوسيين فانما اعتمدنا فيه على مكاتبات السنوسيين أنفسهم لا على الاشاعة والاستنباط ، وليس حديث هذه المناوشة بالحديث وانما كان في العام الماضي فقد راجعنا بعد نشر مکتوب ذلك الطرابلسي مكتوباً آخر من أحد بطانة السنوسي مؤرخا في رمضان سنة ١٣١٩ وفيه ما نصه :

« الاخبار الواردة من جهة كانم ان الفرنسيين لما سمعوا أن سيدي البراتي توجه للزيارة قصدوا الزاوية مرادهم في هتك حرمتها فوجدوا بها بعضاً من الاخوان

وبعضاً من العربان وبعضاً من التوارق والتقوا عند طلوع الشمس ٢٦ رجب ثم انتشب بينهم الحرب من الصباح الى الزوال وقتل منهم جماعة وافرة وثلاثة من كبارهم والمقاتلون الذين بأيديهم السلاح ثمانية عشر رجلاً لان الناس متفرقة والكفار اتوهم على حين غفلة لكن نصر الله المسلمين وهزم المشركين واستشهد فيها من الاخوان أخونا سليمان بن اخ سيدي البراني وأخونا عبد الرزاق فقيه الزاوية وأخونا حسين بن الفضل . ومن المجاربة ثلاثة أخونا ابو علي النمر وأخونا عبد الله بن موسى وأخونا مهدي بن شعيب واستشهد أيضاً الشيخ غيث بن الشيخ عبد الجليل وابن عمر المضبوذ المغربي وبعض من التوارق واثنتان من جماعة السلطان قورن كانا عند الاستاذ زائرين وواحد قطروني وباعوا نفوسهم لله كما قال عز وجل : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة » . ولما أتى الخبر الى الاستاذ رضي الله عنه وجه سيدي البراني والحاج محمد النبي ومعهم جيشا من المجاربة وزويه لقتال أعداء الله ربنا ينصر المسلمين على أعداء الدين ، اه باختصار قليل جدا

ومنه ومن أمثاله من الكتب (ومنها ما نشرناه في الجزء الثامن) يعلم القراء انه حصل شيء بين الفرنسيين والسنوسيين استمر قريباً من سنة ولا نعلم كيف انتهى لأن الاخبار الخصوصية انقطعت عنا من مدة طويلة واننا نتوقع الخبر اليقين عن قريب . ومما ذكرناه يعرف القراء ان السنوسيين مستعدون للدفاع عن أنفسهم ولكنهم ليسوا أهل اعتداء فهم يمثلون قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وستكون هذه الآية الكريمة هي منتهى المدينة في الحرب فان بقي صاحب المقالة المنشورة في الحاضرة في ريب بعد هذا قلنا نذكر له في جزء آخر شيئاً من نفوذ السنوسيين في واداي وتواجيا وتوليتهم للملوك وحلهم للمشكلات بينهم بذكر وقائع معينة بالاسماء والجهات اعلم أننا نتكلم عن بصيرة . وقد كنا ذكرنا ذلك الخبر لغرابته بالنسبة الى المصريين وليس من موضوع المنار التوسع في هذه المسائل لانها أقرب الى السياسة منها الى التاريخ ولا غرض لنا بالسياسة

أما العبرة التاريخية في ترجمة السنوسي فهي في شيئين (أحدهما) اجتهاده في الدين وعدم تقيده بمذهب من المذاهب وقد مهد له والده رحمه الله تعالى السبيل الى ذلك بكيفية تعليمه وبما ترك له من مؤلفاته التي يبين بها الحجج على وجوب العمل بالكتاب والسنة وعدم الرغبة عنهما الى قول أي عالم أو امام . وقد اطلعنا على كتابه « بقية

المقاصد . في خلاصة المراسد » وهو مختصر كتاب (المراسد) وفيه القدر الكافي من الاحتجاج على وجوب العمل بالكتاب والسنة . و (ثانيهما) تأليف عصبية كبيرة بساطة الطريقة . وما انتقد على أصحاب هذه الطريقة أنهم غلوا في شيخهم كسائر أهل الطريق مع شدة تمسكهم بالدين الذي ينهى عن الغلو وأنهم يعتقدون ان شيخهم المترجم هو المهدي المنتظر وهذا الاعتقاد يضر في المستقبل عندما يتبين لهم كآتين لغيرهم عقمه واننا نرى عقلاءهم لا يعتقدون هذا الاعتقاد ويقولون ان شيخهم لا يرضاه والله أعلم بمصير الأمور .



﴿ مشروع مجلة الجامعة الاقتصادية ﴾

كانت مجلة الجامعة تصدر في الشهر مرتين ثم جعلت في السنة الثالثة (الحاضرة) شهرية وجعلت عشر كراسات (ملازم) أو إحدى عشرة ويضاف إليها كراسات من القصة المعربة الملحقة بها . فتعذر على منشأ إصدارها في موافقتها على نشاطه واجتهاده حتى كان بين الجزء وما يليه أكثر من شهرين . ثم أنه شرع الآن في جعل المجلة خمس كراسات مع بقائها شهرية وجعل القصة التي يضيفها إليها كذلك فتوفر عليه تعريب ثلاث كراسات في كل شهر . ثم أنه يطبع من القصة الملحقة بالمجلة نسخاً زائدة يربح منها مثل ربح المجلة أو أكثر . ونرجو ان يتمكن بذلك من إصدار المجلة في كل شهر مرة

وما كان له ان يسمى هذا العمل مشروطاً لأن الناس اصطلاحوا على اطلاق لفظ المشروع على الأعمال الكبيرة العمومية الجديدة التي تعدها الحكومات أو الشركات والجمعيات ثم تشرع في تنفيذها . وتعريب القصص ونحوها من الكتب لا يستحق هذا الاسم لاسباب اذا كانت منفعة الناس به تكون أقل مما كانت كما هو الشأن في هذا العمل فان مجلة الجامعة كانت صفحات مجموعتها السنوية تزيد على ألف صفحة بعد تجريد القصص الملحقة فصارت الآن تنقص عن خمسمائة . وانتقدنا على الرصيف أيضاً اختياره قصة بولس وفرحيني للتلخيص والحاقها بالجزء الأخير الذي ابتدأ به مشروعه وبينا عليه ملاحظتنا . وذلك ان حسن هذه القصة في لغتها الفرنسية هو الإطناب في وصف العيشة البدوية فباختصارها زال هذا الحسن وايس في الموضوع فائدة أخرى تستحق العناية . ثم ان القصة عبرت بتمامها من قبل وطبعت . ثم أعاد تعريبها بعض الادباء

وهو ينشرها تباعاً في جريدة التمدن الغراء . فمضى يكون اختيار الرصيف للأجزاء التالية أتبع من هذا الاختيار . هذا ما كتب للجزء الماضي من المنار وقد تبين ان العجز مستمر لأن المجلة لما تصدر . فمضى ان يزول قريباً بزوال الضنك المالي .

(البراعة في الإعلان) كان صاحب مجلة الجامعة يرسل لكل جزء يصدر من مجلته إعلانياً الى جريدة المؤيد يثني فيه على الجزء ما شاء ويشترط أن يكتب في الاحبار المحلية بصفة تقريظ وكانت ساحة الاسلام تحمل المؤيد على القبول . ثم انه تحرش بصاحب الهلال ليناقشه فيشوق قراءه الى الإطلاع على ما يجيب به ولكن صاحب الهلال لم يرد عليه مطاعنه فيه حبا بالمسألة التي هي طبع له . ولما ضاق ذرعه تحرش بالاسلام وطعن فيه وفي أثمته فتصدينا للرد عليه لأننا كنا نعتقد فيه حسن القصد ولا نكره التسويه بمجلته وانتشارها . ثم انه خيب ظنتنا فيه وأطهر أنه متعمد للعلم فعمدنا لذلك حتى زال العجب لما علمنا أنه أرسل كتاباً الى صديق له يقول فيه عن الطعن بالاسلام : قد عرفت انه اكتشف مهم للإعلان عن الجامعة وتكثير مشتركها وسترى قريباً في الجامعة بحثاً آخر عن الغزالي سيكون بصفة إعلان أشهر ويمثل ذلك تزول « عن العسرات وينجي الضنك » بفضل اقبال المشتركين من المسلمين حتى لم يبق جزء واحد في الادارة من هذه السنة . هذا ما كتبه فعلمنا أن خدمة « الحقيقة والضمير » هي خدمة المجلة لازالة « الضنك والعسرات » واننا نعلم علم اليقين ان المسلمين لا يقبلون على تعزيد من يطعن في دينهم وأثمهم وانه لم يكتب الى بعض أصحابه ما كتب الا ليشيعوا ذلك فيكون تمة للإعلان . ونذكر الرصيف المحترم بجريدة كبيرة منتشرة في القطر المصري انتشاراً لا تطمع فيه الجامعة فقلت طعنا في الاسلام مرة فكادت تسقط لشدة اعراض المسلمين عنها مع قوتها وثرتها فكيف تثبت الجامعة امام هذه العاصفة على ضعفها . ونبشره بان للمساكين شعوراً يميزون به بين ما يسي وما يسر ولا يمكن أن يعضدوا من يطعن بدينهم مهما كانوا مقصرين في خدمته . فعدم الشهرة خير من الشهرة السيئة فليترك الغزالي وغيره ويتكلم بما يعلم ، فهو أضع وأسلم ، وهذا آخر نصائحنا له أو إعلاننا له .

(النقل أمانة) ترى بعض الجرائد في هذه الديار وغيرها تنقل عن المنار ولا تعزو اليه . ومن ذلك أن جريدة المأمون الغراء تنقل المقالات الطويلة من مجلدات المنار السابقة تغير عناوينها وتقسّم المقالة الى مقالات تجعل لكل عنواناً وكثيراً ما تسند المقالة الى عالم مجهول فتكتب « قال بعض علمائنا » فذكرها بوجوب اسناد الشيء الى مأخذه لأن النقل أمانة

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد آتاه خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولها الألباب

الملك

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصري في يوم السبت غرة شعبان سنة ١٣٢٠ — ١ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

— الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية —

(حرية العلم في أوروبا الآن . ونسبتها الى الماضي والحاضر في الإسلام)

(وهو المقال السادس لذلك الامام الحكيم)

لم يبق علينا من الكلام الا ما يتعلق بالأمر الرابع مما ذكرته الجامعة^(١)
وهو « ان تمكن العلم والفلسفة من التغلب على الاضطهاد المسيحي في
أوروبا وعدم تمكنهما من التغلب على الاضطهاد الاسلامي دليل واقعي على
ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً مع الفلسفة »

ليس من السهل عليّ أن أعتقد أن أديباً كصاحب الجامعة يقول
هذا القول وهو ناظر إلى الحقيقة بكلتا عينيه مع معرفته بلسان الغربيين

(١) يذكر القراء ان كلام الجامعة في اطس بالإسلام كان مبيناً على أربعة أمور

تقدم الرد على ثلاثة منها وفي هذا المقال الرد على الرابع

واطلاعه على ما كتبوا في هذه المسألة وهي من أهم المسائل التاريخية .
وإنما هي عين الرضى تناولت من حاضر الحال ومما انتهى إليه سير التاريخ
ماتولت ثم أملت على قلبه ما جرى به قلبه

هل يصح ان تُسمى الاستكانة للغالب تسامحاً؟ وهل يُسمى العجز
مع التطلع للأنواع عند القدرة حلماً، أم يُسمى غلّ الأيدي عن الشر بوسائل
القهر كرماء؟ هل تعد مساكنة جناب البابا لملك إيطاليا في مدينة واحدة
واجتماع الكرسيين العظيمين كرسي المملكة الإيطالية والمملكة البابوية
في عاصمة واحدة تسامحاً من قداسة البابا مع الملك؟ أليس الأجدر بالمنصف
أن يسمى ذلك تسامحاً من الملك مع البابا لأنه صاحب القوة والجيش
والسلطنة ويمكنه أن يسلب البابا تلك الثمالة التي بقيت له من السلطة
الملكية؟ كما أن الأليق به أن يسمى تلك الحالة التي عليها أهل أوروبا اليوم من
طمأنينة العلم بينهم بجانب الدين تساهلاً من العلم مع الدين لا تسامحاً من الدين
مع العلم بعد ما كان بينهما من الحوادث ما كان وبعد غلبة العلم واستيلائه
على عرش السلطان في جميع الممالك ورضاء الدين بأن يكون تابعاً له في أغلبها
(اقتباس مدنية أوروبا من الاسلام . وأسباب ظهورها التام)

السبب الأول للجماعات : كان جلاديين العلم والدين في أوروبا وتألفت
لنصرة العلم جمعيات وأحزاب منها ما اتخذ السرّ حجاباً له حتى يقوى
ومنها ما ابتدأ بالمجاهرة . وكان الدين يظفر بالعلم كما سبق بيانه لكثرة أعوانه
وضعف أعوان العلم حتى أشرقت الآداب المحمدية على تلك البلاد من سماء
الأندلس وتبع إشراق تلك الآداب واشتغال الناس بها سطوع نور العلم
امربي من الجانب الشرقي كما ذكرنا . وقد وجد هذان النوران استعداداً

من النفوس للاستضاءة بهما في السيل التي تؤدي بهما الى المدينة التي كانا يحملانها. هذا الاستعداد كسبته الانفس بما ضايقها من غلو رؤساء الدين في استعمال سلطانهم واشتدادهم في استعباد العقل والوجدان حتى ضاق ذرع الفطرة عن الاحتمال فأخذ الشعور الانساني يتلمس السيل الى الخلاص وإذا لاح له هذان النوران اتخذهما له هداية واستقبلهما بوجهه وكان بعد ذلك ما كان من تأثير الدين لأهل العلم وإحراقهم بالنيران، ونفيهم من الأوطان، ومقاومة رؤساء الدين للحكومات ولأهل الأفكار المستقلة في أدنى الأشياء وأعلاها حتى إنه عند ما شرع ملوك فرنسا في فرش شوارع باريس بالبلاط على الاسلوب الذي وجدوه في مدينة قرطبة وصدر الأمر بمنع تربية الخنازير في تلك الشوارع أغضب ذلك قسوس القديس أنطوان ونادوا بأن خنازير القديس لا بد أن تمر في الشوارع على حرمتها الأولى . وحصل لذلك شغب عظيم اضطر الحكومة أن تسمح بذلك مع صدور الأمر بأن توضع في أعناقها أجراس . وقالوا ان الملك فيليب السمين مات بسقطة عن فرسه عند ما انزعج الفرس من منظر خنزير وصلصلة الجرس في عنقه لقائل ان يقول : ان القسوس في ذلك الزمان كان يمكنهم أن يمتنعوا من وضع الأجراس في أعناق الخنازير فرضاهم بذلك بعد تسامحا عظيما مع العلم (أو الصناعة) ويسهل علي أن أوافقه على ان مثل هذا الضرب من التسامح في أجراس الخنازير كان يظهر من حين الى حين الا أنه فيما ظن لا يكفي في تشييد هذه المدينة التي يفتخر بها لأوربيون اليوم ونحن لا ننحسها قدرها كذلك

السبب الذي اعطى لديني : شدة الحاجة وغلو رؤساء كاثايقودان الغيرة

في قلوب طلاب العلوم فلم تفرطهم همة فعظم أمرهم واكشفوا كثيرا من

الحقائق التي نعت العامة وتبنت العقول للأخذ بما يهدون اليه وصارت الحرب بينهم وبين رؤساء الدين سجالا الى أن ظهر دعاة الاصلاح الديني (البروتستانت) فانضم دعاة العلم اليهم ظناً منهم أن سيكونون معهم من المجاهدين في سبيل العلم . وكان منهم إبراهيم الشيرف لما انتصر طلاب الاصلاح ودالت لهم دولة استمروا يعاقبون بالموت على الافكار التي تخالف ظاهر ما يعتقدون كما تقدم فانفصل إبراهيم ومن معه من حماة الحرية واستقلال الارادة الشخصية وترك المصلحين يتفرقون شيعاً ويقتل بعضهم بعضاً وقال : ما كنت أظن ان دعاة الاصلاح يكونون كذلك اعداء العلم

هذه الطوائف التي تفرقت عقائدها في الاصلاح لم تنظر الا أن تأمن عدوها العام وهو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فلما امنها أخذ بعضها يصول على بعض واشتعلت نيران الحروب بينهم . قال أحد أفاضل مؤرخيهم : « وكلما ارتفعت طائفة منهم الى عرش القوة لوثت يديها بالجرائم في العمل لإفناء البقية حتى شئت النفوس دوام تلك الحال ووجدت من توالي حوادث الانتقام وظهور مضارّه في كل طائفة ان الأفضل لكل طائفة ان تمنح الأخرى من الحرية مالا تستغني عنه واحدة منها . والعلم كان يعمل عمله في كشف الحقائق وترقية الآداب وكان من أقوى المنبهات الى مضار الحروب . فمأسد العدوان على حرية الاشخاص من أي طائفة كانت . من هذا نشأ ذلك الأصل العظيم أصل التسامح والرضى بمجاورة المخالف في الرأي . نشأ من القهر والقسوة التي كانت كل طائفة تعامل بها الاخرى » انتهى كلام المؤرخ بالمعنى

السبب الثالث الثورة : ولا حاجة بي الى ذكر ما جاءت به الثورة

الفرنسية وكيف كانت قيامتها على الدين ورؤسائه مما هو معلوم . وإنما أتبه القارئ الى الاعتبار بما تقدم من القول ، وبما يمكنه ان يقف عليه في كتب القوم ، ليعلم ان الدين المسيحي في أوروبا لم يحتل العلم فضلاً وكرماً ، وإنما قويت عليه أحزاب العلم فساموه استكانة وخضوعاً ، ولو شاء ان لا يحتل لم يستطع الى ذلك سيلاً .

السبب الرابع ترك المسيحية : رؤساء الدين المسيحي رجال ذوو عنصرية

وإقدام وغيره على دينهم قلما يدانيهم فيها رؤساء دين من الأديان . وهم مع غلوهم في الدين واشتدادهم في استعمال سلطانهم على النفوس كانوا ولا يزالون يتخذون كل وسيلة لتأييد دينهم . وهم أشد الناس حرصاً على تقويم أركانه ودفع الشبه عنه ولم يزدحم العلم الجديد الا وسائل وسبلا لترويج عقائده وآدابه ولم تقتر لهم مهمة في نشره وتزيينه للقلوب . ومع ذلك كله نرى ان رجال العلم وحماة المدنية يتسللون منه ، والعامه من الشعوب في تخاذل عنه ، والأمة الفرنسية التي كانت تدعى بنت الكنيسة أصبحت من أشد الناس عليه ، ورأت فلسفتها أن تحد حرية أهل الدين في تعاليمهم واجتماعهم . كل ذلك ومدارس اللاهوت لا تزال عامرة وطلاب اللاهوت يعدون بالآلاف . كل ذلك وكثير من الدول ترى من مزاياها حماية الدين المسيحي في أقطار الأرض . قال أحد رؤساء البروتستان في خطبة من خطبه التي ألقاها في بعض البلاد الفرنسية سنة ١٩٠١ بعد كلام له في أن المسيحية رومانية أو بروتستانية فقدت خاصتها لدينية كما فقدت فائدتها الاجتماعية مانعه مترجماً : « اذا كان الدين المسيحي ليس شيئاً سوى الكشلكة المحتاجة الى الإصلاح (المذهب الروماني) أو الكشلكة التي دخلها

الاصلاح بالفعل (المذهب البروتستنتي) فالقرن الموفي للعشرين . (القرن الحاضر) لا يكون مسيحياً أبداً ،

وقد جاء في كلام هذا الخطيب ما يصرح بأنه يريد أن يطلب للمسيحية معنى آخر ينطبق كل الانطباق على اعتقاد المسلمين فيها فإن وفق للنجاح في سعيه زال الخلاف — ان شاء الله — بين الدين والعلم بل بين المسيحية والاسلام

عود الى ساحة الاسلام : آخذ بيد القارئ الآن ، وأرجع به الى ما مضى من الزمان ، وأقف به وقفة بين يدي خلفاء بني أمية والأئمة من بني العباس ووزرائهم ؛ والفقهاء والمتكلمون والمحدثون والأئمة المجتهدون من حولهم ؛ والأدباء والمؤرخون والأطباء والفلكيون والرياضيون والجغرافيون والطبيعيون وسائر أهل النظر من كل قبيل مطيفون بهم ؛ وكل من قبل على عمله فاذا فرغ عامل من العمل أقبل على أخيه ووضع يده في يده يصافح الفقيه المتكلم والمحدث الطيب والمجتهد الرياضي والحكيم وكل من يرى في صاحبه عوناً على ما يشتغل هو به . وهكذا أدخل به بيتاً من بيوت العلم فأجد جميع هؤلاء سواء في ذلك البيت يتحادثون ويتباحثون والامام البخاري حافظ السنة بين يدي عمران بن حطان الخارجي يأخذ عنه الحديث وعمر بن عبيد رئيس المعتزلة بين يدي الحسن البصري شيخ السنة من التابعين يتلقى عنه وقد سئل الحسن عنه فقال للسائل : « لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته وكأن الأنبياء ربه إن قام بأمر قعد به وإن قعد بأمر قام به وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له وإن نهي عن شيء كان أترك الناس له ما رأيت ظاهراً أشبهه بباطن منه ولا باطناً

أشبه بظاهر منه ، بل أرفع بصري فأجد الامام أباحيفة أمام الإمام زيد ابن علي (صاحب مذهب الزيدية من الشيعة) يتعلم منه أصول العقائد والفقه ولا يجد أحدهم من الآخر الا ما يجد صاحب الرأي في حادثة ممن ينازعه فيه اجتهاداً في بيان المصلحة وهما من أهل بيت واحد - أمرٌ به بين تلك الصفوف التي كانت تختلف وجهتها في الطلب وغايتها واحدة وهي العلم وعقيدة كل واحد منهم أن فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة كما ورد في بعض الاحاديث ^(١)

الخلفاء أئمة في الدين مجتهدون وبأيديهم القوة وتحت أمرهم الجيش . والفقهاء والمحدثون والمتكلمون والأئمة المجتهدون الآخرون هم قادة أهل الدين ومن جند الخلفاء . الدين في قوته والعقيدة في أوج سلطانها وسائر العلماء ممن ذكرنا بعدهم يتمتعون في اكنافهم بالخير والسعادة ورفه العيش وحرية الفكر لا فرق في ذلك بين من كان من دينهم ومن كان من دين آخر فهناك يشير القاري المنصف الى أولئك المسلمين ، وأنصار ذلك الدين ، ويقول : وهنا يطلق اسم التسامح مع العلم في حقيقته ، وهنا يوصف الدين بالكرم والحلم ، وهنا يعرف كيف يتفق الدين مع المدنية ، عن هؤلاء العلماء الحكماء تؤخذ فنون الحرية في النظر ، ومنهم تهبط روح المسألة بين العقل والوجدان (أو بين العقل والقلب) كما يقولون

(١) المنار: رواه أبو الشيخ ابن حبان في المعجمة عن أبي هريرة بسند ضعيف . ورواه من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات . ولكن له روايات أخرى منها رواية الديلمي في مسند الفردوس عن أنس باقظ (ثمانين سنة) وفي رواية موقوفة على ابن عباس « خير من قيام ليلة » وشهرة هذا المعنى قد غراني وردت السنة بكذا

يرى القاري أنه لم يكن جلا د بين العلم والدين . وإنما كان بين أهل العلم أو بين أهل الدين شيء من التخال ف في الآراء شأن الأحرار في الأفكار الذين أطلقوا من غل التقيد ، وعوفوا من علة التقليد ، ولم يكن يجري فيما بينهم اللز بالآلقاب فلا يقول أحد منهم لا خرائه زنديق أو كافر أو مبتدع أو ما يشبه ذلك . ولا تناول أحدا منهم يد بأذى إلا إذا خرج عن نظام الجماعة وطلب الإخلال بأمن العامة فكان كالمضو المجذم فيقطع ليذهب ضرره عن البدن كله

(ملازمة العلم للدين . وعدوى التعصب في المسلمين)

متى ولع المسلمون بالتكفير والتفسيق ، وزمي زيد بأنه مبتدع وعمر و بأنه زنديق ، ؟ أشرنا فيما سبق إلى مبدأ هذا المرض ونقول الآن إن ذلك بدأ فيهم عند مابدا الضعف في الدين يظهر بينهم وأكلت الفتن أهل البصيرة من أهله (تلك الفتن التي كان يثيرها أعداء الدين في الشرق وفي الغرب لخفض سلطانه ، وتوهين أركانه) وتصدر للقول في الدين برأيه من لم تخرج روجه بروح الدين ، وأخذ المسلمون يظنون أن من البدع في الدين ما يحسن إحداثه لتعظيم شأنه تقليدا لمن كان بين أيديهم من الأمم المسيحية وغيرها . وأنشأوا ينسون ماضي الدين ومقالات سلفهم فيه ويكتفون برأي من يرونه من المتصدرين المتعالمين ، وتولى شؤون المسلمين جهالهم ، وقام بارشادهم في الاغلب ضلالهم ، في أثناء ذلك حدث الغلو في الدين واستعرت نيران المداوات بين النظار فيه وسهل على كل منهم لجهله بدينه أن يرمي الآخر بالمروق منه لأدنى سبب . وكما ازدادوا جهلا بدينهم ازدادوا غلوا فيه بالباطل ودخل العلم والفكر والنظر (وهي لوازم الدين الاسلامي) في

جملة ما كرهوه ، وانقلب عندهم ما كان واجباً من الدين محظوراً فيه .
 لا أكاد أخطئ القاري إذا زعم أن المسلم إنما استفاد اسم زندقة
 وتزندق ومتزندق وزنديق من فضل ما علمه جيرانه إذا كانوا يقولون :
 هرطقة وتهرتق وهو هرتوقي . أو ما يماثل ذلك . أو زعم أن قد فشت في
 المسلمين سرعة التكفير بطريق العدوى من أهل الملل المتشذدة وأن الذي
 سهل سريان العدوى بتلك السرعة الشديدة هو ضعف المزاج الديني عند
 المسلمين بجهلهم بأصوله ومقوماته ومتى ضعف المزاج استعد لقبول
 المرض كما هو معلوم .

ان المسلمين لما كانوا علماء في دينهم كانوا علماء الكون وأئمة العالم .
 أصيبوا بمرض الجهل بدينهم فانهزموا من الوجود وأصبحوا أكلة الآكل
 وطعمة الطاعم ، هل وقف الجهل بالمسلمين عند تكفير من يخالفهم في مسائل
 الدين أو يذهب مذهب الفلاسفة أو ما يقرب من ذلك ؟ لا بل عدا بهم الجهل
 على أئمة الدين وخدمة السنة والكتاب فقد حُمِلت كتب الامام الغزالي
 الى غرناطة وبعد ما انتفع بها المسلمون أزمانا هاج الجهل بأهل تلك المدينة
 وانطلقت السنة المتعالمين من البربر بتفسيره وتضليله فجمعت تلك الكتب
 خصوصاً نسخ « إحياء علوم الدين » ووضعت في الشارع العام في المدينة
 وأحرقت . قال قوم يعدون أنفسهم مسلمين في ابن تيمية - وهو أعلم
 الناس بالسنة وأشدّهم غيرة على الدين - : إنه ضالّ مضلّ . وجاء على
 أثر هؤلاء مقلدون تملأون أفواههم بهذه الشتائم وعليهم اثمها وإثم من
 يقفون بها الى يوم القيامة

أهل آثار السلف وحال علوم الدين وطلابها

أهل المسلمون علوم دينهم والنظر في أقوال سلفهم حتى انك لا تجد اليوم في أيديهم كتاباً من كتب أبي الحسن الاشعري ولا أبي منصور الماتريدي ولا تكاد ترى مؤلفاً من مؤلفات أبي بكر الباقلاني أو أبي اسحق الإسفرائيني . وإذا بحثت عن كتب هؤلاء الأئمة في مكاتب المسلمين أعياء البحث ولا تكاد تجد نسخة صحيحة من كتاب . كتبت على القرآن تفاسير كثيرة في القرن الثالث من الهجرة وما بعده الى السادس منها تفسير الطبري وتفسير أبي مسلم الاصفهاني وتفسير القرطبي وتفسير الجصاص وتفسير الغزالي وتفسير أبي بكر ابن العربي وكثير غيرها وفيها من آراء اولئك الأئمة ووجوه استنباط الحكم والاحكام ما لا غنى لطالب علم الدين عنه . فهل يجد الباحث المجدد نسخة من هذه الكتب الجليلة يمكن الوثوق بصحتها الا بطريق المصادفة وحسن الاتفاق ؟ وهل يليق بأمة تدعي أنها على دين وأن لها فيه سلفاً صالحاً أن تهجر آثار سلفها وتدع ما كتبوا طعمة للث و فراشاً للتراب ؟ هل وقع مثل ذلك من المشتغلين باللاهوت المسيحي في زمن من الأزمان ؟

ان حالة طلبة العلوم الدينية الاسلامية أصبحت مما يرثي له في أكثر بلاد المسلمين فهم لا يقرأون من كتب الكلام الا مختصرات مما كتب المتأخرون يتعلم أذكاهم منها ما تذل عليه عباراتها ولا يستطيع ان يتعلم البحث في أدلتها وتصحيح مقدماتها وتميز صحيحها من باطلها وإنما يتلقاها كأنها كتاب الله أو كلام نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ ما فيها بالتسليم . فاذا ناظره مناظر في بعض قضاياها وعجز عن تصحيحه قطع الجدال بقوله

هكذا قالوا وان لم يكن القول متفقاً عليه بل قد يكون القول مما لم يقل به سوى صاحب الكتاب الذي اشتغل به وربما كان صاحب الكتاب ممن لو رآه أحد من السلف لم يرضه بتليذاً يبي عنه ما يقول .

كاد ينقطع طلب العلوم الدينية في سوريا والحجاز وتونس والجزائر وقل جداً في المغرب الأقصى ولم يبق الاهتمام به الا في بعض الصحاري وذلك إما لصعوبة طرق التعليم واقتضاها الزمن الطويل وحاجات الناس مائة لهم من إقناء أعمارهم في عمل لا يسد من حاجتهم . وإما لتفضيل الآباء تربية أبنائهم على الطرق الحديثة في أوروبا أو في المدارس الأخرى وليس فيها من الدين شيء وان كان فيها شيء منه فهو مما لا يعد تعليماً دينياً ينظر إليه . وإما للفتور والجمود ، الذي نشأ عن التقليد والجمود ؛ وبذلك تجد المسلمين قد تولاهم الجهل بدينهم ؛ وأخذتهم البدع من جميع جوانبهم ؛ وانقطعت الصلة الحقيقية بينهم وبين سلفهم ؛ حتى لو عرض على الجمهور الأعظم منهم ما اتفق عليه السلف من الأحكام لا نكروه واستغربوه وعدوه بدعة في الدين وصح فيهم ما قال عمر الخيام في بعض أشعاره الفارسية مخاطباً للنبي عليه الصلاة والسلام : « ان الذين جاؤا بعدك زينوا لك دينك ووشوه ووزر كشوه حتى لو رأيت أنت لا نكرته » فهذا الصنف من المسلمين وهو معظمهم قد أنكر دينه الحق وعاداه ونقم على أهله القائمين بخدمة وإنما اصطفي لاعتقاده بعض أفراد لم يعرف عن السلف اختصاصهم بالثقة ولم يسمح الدين باختصاصهم بالتقليد . فاذا وقع عن هذا الصنف ما فيه أذى للعلم وأهله فهل يعد ذلك واقعا من دين الإسلام دين محمد صلى الله عليه وسلم دين القرآن دين السنة الثابتة دين الخلفاء الراشدين ومن تبعهم من السلف الأولين ؟ ؟

متابعة العلم للإسلام ومبايئته لسواه : الحق أقول والحس يؤيدني : ما عادوا

العلم ولا العلم عاداهم إلا من يوم انحرافهم عن دينهم وأخذهم في الصدّة عن علمه
فكلما بعد عنهم علم الدين بعد عنهم علم الدنيا وحرّموا ثمار العقل . وكانوا كلما توسعوا
في العلوم الدينية ، توسعوا في العلوم الكونية ، وضربوا الزمان بسوط من
العزّة ، أما غيرهم فكلما اتصلوا بالدين وجدّوا في المحافظة عليه أنكرهم العلم
وتجهّمهم واكفهر وجهه لقلّتهم . وكلما بعدوا من الدين سالمهم العلم وبش في
وجوههم ولذلك يصرّحون بأن العلم من ثمار العقل والعقل لا يصح أن يكون
له في الدين عمل ، ولا أن يظهر منه فيه أثر ، والدين من وجدانات القلب ولا
علاقة بين ما يجد القلب وما يكسب العقل . فالفصل تامٌّ بين العقل والدين
ولا سبيل إلى الجمع بينهما . ساء بهم الله فيما يسمونه تسامحاً مع العلم ، وهم يصرّحون
بأنه عدوه الذي يستحيل أن يكون بينه وبينه سلم ،

هل عرفت السبب في اضطهاد المسلمين للعلم ؟ أقول اضطهاد ولا
ريد به ما كان عند الأمم المسيحية من الاشتداد في إبادة أهلهم والنكيل
هم واختراع ضروب التعذيب والتفنن في صنع آلات الهلاك مع الأخذ
الشبهة ، والاكتفاء في الإعدام بمجرد اتهمته ، فإن ذلك لم يقع عند المسلمين
إلا أيام علمهم ، ولا في أزمنة جهلهم ، ولكن أريد من الاضطهاد الإعراض
عن العلم ورمي الأتباع السخيفة في وجوه أهلهم وقذفهم بشيء من الشتائم
مع الابتعاد عنهم . لا ريب أنك قد أيقنت بأن السبب في هذا الذي
سميه لأديب اضطهاداً إنما هو جهلهم بدينهم . فالدواء الذي ينبج
يشفائهم من هذا لداء لا يكون لا ردهم إلى العلم بدينهم والتبصر
به لاوقوف على أسرارهِ والوصول إلى حقيقة ما يدعوا إليه . كان الدين

واسطة التعارف بينهم وبين العلم فلما ذهبت الواسطة تناكرت النفوس
وتبدل الأتس وحشة

الدعاة الى الاسلام : فهل قام بينهم دعاة للعلم حقيقيون ، أو دعاة لأصل
الدين عارفون ، ثم استعصت قلوب المسلمين عليهم ، وجمحت نفوسهم عن الاتقياد
لهم ؟ وهل كثر أولئك الدعاة في أطراف بلاد المسلمين كثرتهم في أوربا من
أواسط القرن السابع عشر من التاريخ المسيحي الى ان ظهرت قوة العلم في أوائل
القرن السابع عشر وفيما بعد ذلك ؟ لا . إنما رأينا من الصادقين أفراداً يظهرون
متفرقين في عصور مختلفة ربما لا يجتمع أربعة منهم فما يزيد في قرن واحد ويأخذون
في العمل لما وجهوا اليه ثم لا يكادون ينطقون ببعض الكلم فيحس الناس بهم فيأخذ
المستعد أهفته لمفارقة ما كان عليه واتباعهم حتى تشعر السياسة (نعوذ بالله منها) بما
عسى يكون من أمرهم فتخمد أنفاسهم ، قبل ان يباغوا من قلب واحد ما أرادوا
من غرس أفكارهم ، فينطفئ النور ، وبذلهم الديجور ، فهل يعد لأديب هذه
الضربات من أيدي أرباب السياسة اضطهاداً للعلم لأجل حماية الدين أنزه
كل أديب عن ان يظن ذلك وإنما هي صدمات تقع على الدين لا تختلف
عن أمنالها مما يصيبه منهم مباشرة فلا تعد حجة على لادين في نظر المنصف
المقلد دون استاد : ربما يقول القائل : ان كان المسلمون قد أخذوا بخود

في التقليد والنفرة من العلم ولا عتدوا بعدوة بين الدنيا والآخرة وبين نفع
والدين وما أشبه ذلك مما هم فيه وورثوه عن لأمم السابقة عليه خصوصاً
أقرب الممال اليهم ، فما بالهم لم يقلدوا المسيحيين في حرصهم على نشر دينهم
والتوسع في علومه مديلاً بما أخذوه عنهم ولم يقسموا أنفسهم قسمين كما قسم
المسيحيون إخوانهم قسمين قسماً ينقطع في لآخره في لآدير والصوامع

وقسما يشتغل بالدنيا ليقبت نفسه وبقبت أهل القسم الأول ويحمي نفسه ويحميهم من العدوات ؛ ومالك ترى المسلمين خملوا وارتخت أعصابهم وشتموا النظر في علوم دينهم كما ذكرت ثم صاروا أبعد الناس عن معرفة الطرق لتحصيل الغنى والثروة ، والقبض على ناصية القوة ووصولان العزة ، وطرحوا أنفسهم في تيار من القدر كما يقولون ، يجري بهم الى حيث لا يعلمون ؛ ثم هم مع ذلك أحرص الناس على حياة ؛ وأشدهم لهنفاً على الحطام ، فلا ترى الجمهور منهم في شيء للدين ولا للدنيا فما هذا التناقض ؟

فأقول له : انك قد نسيت ان المقلد يكون دائماً أخط حالاً وأخس منزلة من المقلد . فالمقلد إنما ينظر من عمل المقلد الى ظاهره ولا يدري سره ولا ما بني عليه . فهو يعمل على غير نظام ، ويأخذ الأمر لا على قاعدة ، ولذلك سقط المسلمون في شرٍ مما كان عليه مقلدوهم لاسيما انهم قد خاطوا في التقليد وأضافوا الى دينهم مالا يمكن ان يتفق معه فصاروا في مثل حال المتخبط الذي تنازعه عدة قوى يذهب مع كل منها آثام ينتهي أمره بعد الخيبة بالتعب الشديد فيستلقي الى أن يستريح فينهض الى العمل على هدى أو يموت . لما كان المسلمون علماء كانت لهم عينان عين تنظر الى الدنيا والأخرى تنظر الى الآخرة فلما طفقوا يقلدون أغمضوا إحدى العينين وأقعدوا الأخرى بما هو أجنبي عنهم ففقدوا المطلبين ولن يجدوها الا بفتح ما أغمضوا وتطهير ما أقعدوا

الإصلاح والمصلحون : لا تائل أن يقول : كيف تدعي أن دعاة العلم والدين

قليل بين المسلمين مع أننا نسمع أصواتهم تتلاقى في جوت مصر وسوريا وغيرهما من البلاد في هذه الأيام . كل يقول : ديني ملتي : اسلام مسلمون : قرآن سنة :

مجد الاسلام القديم . سلفه الصالحون : تعلم تعليم : كتب قديمة كتب جديدة . وما يشاكل ذلك فما يظهر منه ان الداعين الى العلم او المنهين الى الاخذ باصول الدين الاسلامي كثير ، ولا ترى مع ذلك من اغلب المسلمين الا آذانا صمًا واعينا عميًا وصدًا عما يدعوا اليه هؤلاء ؛ ويمكنني ان اقول له : ان الصادق في هؤلاء ليس بكثير عدده ، والجمهور منهم قلما يخلص قصده ، وما تجد اكثرهم الا متجرين بهذه الكلمات ، لكسب بعض دربهات : ويظهر لك ذلك من أنهم يلقظون هذه الاسماء وقلما يدرسون شيئاً من مدلولاتها ايقفوا على الحقيقة منه وانما يلقف بعضهم عن بعض ظواهر كالزبد لا تمكث في الارض . اما الصادقون على قلتهم فقد بدأ بعض الناس يسمعون ما يقولون ، ويطلبون الرشاد مما يعلمون ، خصوصاً في أمر الدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا لا سيما في بلاد الهند وبين مسلمي روسيا . ولكن الاصلاح ليس ربحاً تهب فتمسح الارض من الشرق الى الغرب في وقت قريب فانظر قديقول القائل : لِمَ لَمْ يَكْثَرْ هَؤُلَاءِ كَثَرَتُهُمْ بَيْنَ الْأَوْرَبِيِّينَ فِيمَا مَضَى حَتَّى يَغْلِبُوا الظَّالِمِينَ مِنْ أَهْلِ السِّيَاسَةِ وَيَسْتَبِيلُوا الْعَادِلِينَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ ، وَيَنْهَضُوا بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ الرِّقْدَةِ الَّتِي طَالَ أَمْدُهَا عَلَيْهِمْ ؛ وَلَمْ لَا يَزَلْ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ مِنْهُمْ قَلِيلِينَ مَتَفَرِّقِينَ يَهْمُسُونَ بِالْقَوْلِ وَلَا يَجْهَرُونَ ، وَلَيْسَ لِلْعِلْمِ فِيهِمْ دَعَاةٌ عَمَلِيُونَ ؟ ، أَلَيْسَ ذَلِكَ سَبِيلًا لِمُؤَاخَذَةِ الْإِسْلَامِ وَحُجَّةٍ عَلَيْهِ ؟؟ وَأَقُولُ لَهُ : ان حظ المسلمين لا يصح ان يكون أسعد من حظ مقلديهم بل المنتظر ان يكون أتمس وقد أقامت المسيحية ما يزيد على الف سنة قبل ان يظهر فيها العلم أو تنشأ الحرية الشخصية ؛ وتسري فيها حركة العملية ، الى ما فيه صلاح الجمعية الانسانية . مع توبي المنهات ؛ وتواصل

الصدّات إثر الصّدّات ، ولم يمض على المسلمين من يوم استحكمت فيهم البدعة وأطبقت عليهم ظلم المحدثات ودخلوا جحر الضب الذي دخله من كان قبلهم الا أقل من ثمانمائة سنة فلم يمض عليهم وهم في بدعهم الجديد ذلك الزمن الذي قد يكون عمرا لمثل هذه الحالة ثم تقضي نحبها في آخره . وما أظن ان يمر على المسلمين مثل تلك المدة قبل ان يبلغوا من صلاح الدين والدنيا ما هم أهل له

الفرق بين التعصين: وعلى كل حال لا يجوز في شريعة الإِنصاف أن يذكر المسلمون في جانب جمهور المسيحيين اذا ذكر الغلو في التعصب الديني فضلا عن ان يقال ان المسلمين أشد إفراطا فيه . والشاهد يدلنا على انه قد يكون للمسلمين في التعصب ألقاظ وكلمات ، ولكن الذي يكون من جمهور المسيحيين إنما هو أعمال وضربات في المعاملات ؛ وما على طالب الحقيقة الا ان يسبح بفكره في المستعمرات الهولندية في الشرق ومثل مملكة الترنسفال قبل سقوطها وبلاد النّاتال في الجنوب ثم يرجع الى بعض بلاد روسيا في الشمال من قبل عشرين سنة ثم يرجع الى الجزائر وما يليها في جهة الغرب ليعلم كيف تكون الشدة في المعاملة مع غير أهل المذاهب المسيحية وكيف يبلغ التعصب من أهله حدا تنظر اليهم فيه الانسانية شذراً ، ولا تقبل لهم فيه المدينة عذراً ،

ما على الباحث الا أن ينظر فيما يكتبه الكتاب الفرنسيون ليعلم أنهم في حيرة من أمرهم مع المسلمين . يريدون أن تكون لحكومتهم طاعة في ما ملكت من بلاد المسلمين ولكن حكومتهم لا تجد السبيل اليها مع ما تتخذة قاعدة لعملها وهو الشدة والافراط في القسوة على المسلمين خاصة

وخدم دون سواهم . وأرباب الاقلام يبحثون عن تلك الطمأنينة مع المحافظة على تلك القسوة ويأبى الله أن يترحم على ما يبحثون عنه لانهم يطلبون الجمع بين الضدين في موضوع واحد وهو محال كما يقرره فلاسفتهم

﴿ رأى هانوتو الاخير في معاملة المسلمين ﴾

موسيو هانوتو أطلق لقلبه من سنوات أن يجري في البحث عن طريقة حكم للمسلمين وقاعدة لمعاملتهم في البلاد التي يحكمها الفرنسيون وجاء في فصول مقاله بما لا يزال يذكره القراء . ثم بعد ان قتل المسألة علما ثلاث سنين رجع الى موضوع البحث هذه السنة بلسان غير الذي كان ينطق به ورأى غير الذي كان يصدر عنه . وإني ذاكر ملخص ما نقلته الجرائد من خطابه الذي ألقاه في المجمع الجغرافي في شهر مارس من هذه السنة متعلقاً بأفريقيا واقتصر منه على ما يتعلق بما نحن فيه وهو بالمعنى : « ان القواعد الجديدة التي يجب ان يكون عليها العمل في أفريقيا هي مخالفة للقواعد القديمة التي كانت تجري عليها السياسة الاستعمارية فيما مضى من الزمان » (أي قبل ساعة وقوف الخطيب لالقاء خطابه) ثم بين هذه القواعد الجديدة التي يعامل بها المحكومون فقال انها لامن والسلم ثم قال : « إنا مدينون لهم بالعدل والسلم كما اننا مدينون لهم بالتساهل الديني » ولست أشير الى هذا الموضوع لخطير الذي له علاقة بكل ما يثير النفس البشرية الا إشارة خفيفة فاقول : ان التمدن الاوربي يجد في ضيقه في أفريقيا لاسيما في شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذي هو دين لاسلام والذي هو في هذه الجهات (شمال أفريقيا) أكثر نشاطاً منه في غيرها . وهذا الدين يدعو الى آله واحد ويجعل الايمان بتوحيد مصدر لكل الفضائل

الذاتية والاجتماعية ويستولي على المؤمن به استيلاء شديداً فلا يعود يقدر على التفلسف منه . فمن المفروض علينا التساهل في هذا الشأن بل ليس التساهل بكاف وحده فمن الواجب ان ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا في فهمه . وعلينا ان نتخذ الكلمة الاسلامية « لا إكراه في الدين » شعاراً لنا لا نخرج عن حدود معناها . وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه من كل طارئ سوء . ولا بأس بذكر كلمة للأمير عبد القادر الجزائري في هذا المقام وهي : « إن أصحاب الأديان الثلاثة يشبهون ثلاثة اخوة من ثلاث أمهات » انتهى محصل كلام هانوتو . قبل الكلام عليه أسأل القارئ هل سمع مثل هذه الكلمة ممن يماثل الأمير عبد القادر في نسبه الى صاحب الرسالة ومقامه في أهل دينه ومكانته من سلامة العقيدة في مذهبهم ؟ أو سمع ما يقرب منها ممن لا يدانيه من أهل الملل الاخرى ؟ ترى هانوتو يرشد أهله الى اتخاذ سبيل جديدة في سياسة المسلمين وهذا الجديد هو السلم والأمن والتساهل مع المسلمين في أن يستمرؤا مسلمين واحترام حقوقهم وتركهم يعملون بدينهم . وعد هذا مبدأ جديداً لم يسبق الجري على مثله . وهل تجيب الحكومة الفرنسية طلبه ؟ مسألة فيها نظر . فهل يليق بمنصف ان يذكر المسلم اذا ذكر التعصب مادام في الكون مثل هذه الدرجة منه ؟

﴿ سياسة الانكليز في التسامح ﴾

نعم نحن لا ننكر ان بين الأمم الاوربية أمة تعرف كيف تحكم من ليس على دينها وتعرف كيف تحترم عقائد من تسوسهم وعوائدهم وهي لأمة الانكليزية فهي وحدها الأمة المسيحية التي تقدر التسامح حق قدره .

ولا يصعب علينا أن نقول : إن منشأ ذلك أن أمراء هاقا الحروب الصليبية وقواد جيشها كانوا من أشد الصليبيين علاقة بسلطان المسلمين وأمراء جيشه . وقد امتاز الانكليز في ذلك الزمن المظلم بدروس عقائد المسلمين وعاداتهم فحملوا من ذلك شيئاً كثيراً الى بلادهم ولم تحجبهم غشاوة التعصب عن إِبصار ضوء الحق وظهر أثر ذلك في أفلام كثير من كتابهم مثل ولتر سكوت وشيل وغيرهما قبل أن يظهر في أفلام الكاتين من غير الانكليز بأزمان طويلة . فلنا أن نقول ولا نخشى لائماً : إن هذه الخصلة الشريفة — خصلة إطلاق الحرية لأهل الدين يتمتعون بإداء فرائضه مع احترام ما يحترمون — هي من أجل الخصال ورثها غير المسلمين عن المسلمين . وهل أجد من يأتي على القول بأن الاسلام السليم من البدع هو أستاذ الانكليز وعنه اخذوا هذه الخلة ؟ الا ترى ان نظامهم في ذلك يقرب من نظام المسلمين يوم كانوا مسلمين : يكتفون من الناس بالخضوع للقوانين وإداء ما يفرض عليهم من الضرائب ثم يحفظون نظام العدل بينهم بقدر ما تسمح به السياسة لا يفرقون بين دين ودين . وهكذا كان حال المسلمين ون كان ذلك على قاعدة ابرّ وارحم

خاتمة : فان قال قائل : أليس لهذا المقال من آخر : أليس في طول الكلام مجلبة الملل ، وترويج الكسل ، قلت اني أوجه كلامي هذا الى أهل النهم الى الفهم ، وأرباب الشره الى المعرفة ، ولا أضن هؤلاء لا طائين ما هو أوسع من هذا المقال وأطول منه : ضعافاً مضاعفة لأن الموضوع جليل ، والكلام فيه مهما كثر قليل ، وأما القارئ الثنوي ، فعليه مدخول ، وعزمه مفلول ، وفكره مفلول ، وهو قصير النعمة فيما يقصر وفيما يعنول ، فلا

ينظر اليه في الخطاب ، ولا يعتد به عند الحساب ، ومع ذلك فانا واقف عند هذا الحد . وانتظر بتفصيل القول في مسألة امراض الاسلام وآثار البدع والمحدثات فيه والعلل التي نشبت بالمسلمين بسببها فرصة أخرى وقبل أن أترك القاري أنبه الى أن ما أجمل في هذه الفصول لم يقصد به الطعن في حال أحد من الناس ولا طائفة من الطوائف كما يعرفه القاري نفسه من لباس المعاني وما يكسوها من الأدب والتزهد عن كل كلمة تشم منها رائحة العيب على آخر . وقد يعلم من هذه النزاهة ان هذا رأي طبخناه لنظمته بأنفسنا ، ونفق منه على من تلزمتا نفقته من أهلنا ، ولم يكن يخطر ببالنا عند ما أجدنا طبخه ان نفيض منه على غيرنا ، لكن اذا عشا الساري الى ضوء نارنا ، وطلب القرى مناء قاسمناه ما لدينا ، وعرضنا عليه أحر من نفس الحياة ، واهنا من خلق الأناة ، ان شاء الله ، اه

(الانار) من عجيب الاتفاق أنه بعدما كتب هذا المقالات ونشر بعضها ظهرت تلك المقالة للمستركوربت الانكليزي التي نشرت في المؤيد فجاءت شاهدا مؤيدا لما كتب الكاتب في فضل الاسلام وفي صفات الانكليز وسنلحق قوله في الاسلام بالمقالات اذ طبعت على حديثها في كتاب . ونبشر القراء بان هذا الامام وعد بان يكتب مقالا آخر ملحقا بهذا في بيان ان ما طرأ على الاسلام من البدع وما لحقها من الجود سيكون هو السبب في الرجوع الى الأصل وإعادة مجد الاسلام ولعلها تنشر في الجزء الآتي

وقد باع كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) نحو مئتي صفحة وسنزيده شهادة الكاتب الانكليزي ثم مقال الامام الموعود به . وقد طبع على ورق جيد وجعلنا ثمنه مع هذا خمسة قروش صحيحة فقط رغبة في سعة انتشاره

﴿ باب الأسئلة والأجوبة ﴾

(حدوث العالم في نظر الاسلام والفلسفة)

(س ١) المولى رضا الدين اقليد قاضي القضاة وعضو الجمعية الاسلامية العامل في اوقا (روسيا) : قد طال النزاع وقوي الجدل وكثر في هذه الأيام القيل والقال بين الناس في هذا القطر في مسألة حدوث العالم من جهة الشرعية . فبعضهم يقول : ان الاعتقاد بالحدوث الزماني حسب ماقرره علماء الكلام من متأخري المسلمين فرض على العباد مثل الاعتقاد بوحدة الله تعالى وصدق رسوله وسائر الاعتقادات الواردة في القرآن الشريف . وبعضهم يخالفه ويقول : ان الاعتقاد بحدوث العالم حدوثاً زمنياً لا يكلف به الشرع ولا أخبر به النبي ولا نطق به القرآن الكريم بل هو من آراء أهل الكلام وبدعهم أخذوه من فلاسفة اليونان ولقنوه العوام باسم الدين وما هو من الدين أصلاً . بل هو من باب الدين بالرأي . وانما الواجب على المسلمين هو اعتقاد ان العالم مخلوق له تعالى من غير تعرض الى حدوثه بالزمان أو بالذات . وهو الذي نطق القرآن به في عدة مواضع . وبالجمل ان القول بالحدوث الذاتي أو الزماني انما هو من مسائل الفلاسفة لاتعلق له بالشرعية . ولما كانت جريدة المنار هي الجريدة الدينية الوحيدة جئنا الى حضرتكم نستفسر رأيكم في هذه المسئلة ونشره أيضاً في أحد أعدادها ويكون هو ان شاء الله تعالى الفاصل بين الحق والباطل .

(ج) ان الصواب في الرأي الثاني . وما كان لدين الفطرة ، مقرر الخيفية السمحة . الذي ظهر في الامين . ودعا اليه المتوحشين وانمدين . ان كل يكلف كل فرد في تصحيح الايمان ، بنظريات فلاسفة اليونان ، والتمييز بين تلك الخلافات . في حدوث بالزمان والحدوث بالذات . ثم خلافات افلاسفة مع أهل الكلام . في أصل وجود الزمان . فالتكلم يقول انه أمر اعتباري ، وامباسوف يوناني يقول انه وجودي ، واسالمعارك يحارب الباحث فيها غير عدو حتى اذ أعيا من مقارعة تدليل بمسائل ، ونفض عنه غير القال والقيل ، رجع الى أحد الأمرين — وقوف بحيرة أودين "فطرة" ، المقصد الأول من مقاصد "قرآن سين" ، تقرير عقائد لدين . ثم هو ان يدقق بكلمة من مادة حدوث بالاعين ، لا بحسب بذات ولا بحسب زمان ، فينصرون يقول : ان أضرد السنن الآلهية ، في نعومة "نعوية" واستية . ووحدة نعومة مع الاتقان . في جميع هذه الاكوان . يدل على انه حقة عبي . قدراً حكيم .

حيّاً قيوماً ، لارادّ لارادته ، ولا معقب لحكمه وحكمته ، وانه واحد لوحدة النظام المشهود ، في جميع الوجود ، وبهذا يكون مؤمناً بالبرهان ، متبعاً طريق القرآن ، وان لم يخطر بباله حدوث الذات وحدث الزمان ،

أما مسألة حدوث العالم في نظر الفلاسفة فالمتفق عليه عند فلاسفة العصر ان كل ما رآه ونحس به من هذه العوالم الأرضية والسماوية فهو حادث بمعنى أنه لم يكن كما هو الآن ثم كان ، ولكن عضلة العقد عند المتقدمين والمتأخرين ، هي مسألة منشأ التكوين ، وهم متفقون على ان الوجود المطلق قديم وان العدم المطلق لاحقيقة له ولا يتصوره العقل وانه لا يحدث شيء من لاشيء . قال فلاسفة والمتفلسفون يحسبون ان هذه المسائل القطعية ، لا تنطبق على الاديان وإن سماوية . ونحن نقول : انها هي التي جرى عليها القرآن وقررها الاسلام فليس في كتاب الله تعالى آية تدل على ان الوجود الحقيقي ، صدر عن العدم الخيالي ، بل قال : « وخلق كل شيء فقدره تقديراً » والخلق لغة الترتيب وهو لا يكون في العدم . بل قال « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » وقال « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » وحل المسألة بطريقة اسلامية أن هذا الوجود الذي نشاهده كله ممكن حادث وأنه صدر عن وجود واجب قديم لانعرف حقيقته ولا كيفية صدوره عنه وانما قام البرهان بأنه صدر بإرادة وقدره وعلم وحكمة . وذلك ما ذكرناه من وحدة النظام والاحكام واطراد التواميس والسنن .

دعوى كتابة النبي بالتركية : (س ٢) ومنه : قال الفاضل المرجاني القزاني

صاحب « ناظورة الحق » في رسالته « مستفاد الاخبار » : ان حديث أبي هريرة المذكور في أسد الغابة المطبوع بمصر القاهرة (ج ٤ ص ١٤٠) وقع فيه عدة أغلاط وقت طبعه والصواب ما في النسخة الخطية في زمان قريب من عصر المؤلف ابن الأثير رضي الله عنه . وهو هكذا : « وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمر ومن معه كتاباً تركياً ذكره . فان رواه نقلوه بألفاظ عربية وبدلوها وصحفوها تركناها لذلك » . وبما لم يكن لدينا نسخة أخرى سوى المطبوعة المذكورة لتقابلها رجونا من حضرتكم متابة النسخة المطبوعة مع الأصول المصححة خدمة للعالم والدين ثم بيانه لنا لتكون على بصيرة من ذلك وأجركم على الله .

(ج) لم يكن التحريف والتبديل في النسخة المطبوعة وانما كانا في رسالة

الفاضل القزائي « مستفاد الأخبار » ، فإن ما كتبه عن النسخة الخطية هو عين ما في النسخة المطبوعة إلا أنه صحف لفظ « تركنا ذكره » بقوله « تركياً ذكره » ، ولفظ (غريبة) بلفظ (غريبة) فكان التبديل والتحريف ، من هذا التصحيف ، وسببه أن النسخة الخطية التي رآها غير منقوطة فأوقعت الفاضل فيما رأيت . وما كان مثله أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم يكتب لقوم من العرب كتاباً تركياً فإن جاز أن يعرف هو التركية من طريق المعجزة فمن أين لعمر وقومه بني أسلم علم ذلك ؟ وما هو الداعي إلى مخاطبة العرب بلسان المعجم ؟ ثم ما كان مثله أن يخفى عليه أن كلمة (ذكره) بعد كلمة (تركياً) لا معنى لها ولكن معناها ظاهر إذا كانت الكلمة (تركنا) وهو أن المصنف ترك ذكر الحديث لوقوع التحريف فيه وسبب التحريف وجود الالفاظ الغريبة التي لم يفهمها رواه . أما عبارة الكتاب فهي كما في ترجمة عمير بن أفضى الأسلمي : « روى أبو هريرة قال قدم عمير بن أفضى في عصابة من أسلم فقالوا يا رسول الله انا من أرومة العرب نكافي العدو بأسنة حداد ، وأذرع شداد ، ومن ناوانا أوردناه السامة ، وذكر حديثاً طويلاً في فضل الانصار وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمر ومن معه كتاباً تركياً ذكره فإن رواه نقلوه بالفاظ غريبة وبدلوها وصحفوها تركناها لذلك أخرجه أبو موسى اه وقد قابلنا النسخة المطبوعة بنسخة خطية في مكتبة الحكومة المصرية كتبت في سنة ٧٢٢ أي بعد وفاة ابن الأثير بأقل من قرن فالفيناها مطابقة لها

السلام على غير المسلم : (س ٣) الشيخ بسطوي بي بركات بالحنة الكبرى : قال الله تعالى « وإذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها » وقد تعالى « ولا تقولوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنٌ » وقال « يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا » الآية . فهل هذا إطلاق في الآيات الكريمة يشمل المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب وغيرهم من بني آدم أم هو خاص بالمسلمين قيد إطلاقه عليهم أحاديث صحيحة صريحة ؟ وهل قوله صلى الله عليه وسلم فيها معناه : إن من حق المسلم على المسلم إفشاء السلام . يعتبر من قيود الإطلاق لفهم البعض سقوط حق غير المسلم أم لا ؟ وإذا قيل لا . فهل ينبغي شيوعه بين الصوائف حتى يصير عادة مأثوفة أم لا ؟

(ج) إن « السلام دين عام ومن مقصدته نشر آدبه وفضله في الناس ولو

بالتدريج وجذب بعضهم الى بعض ليكون البشر كلهم أخوة • ومن آداب الإسلام التي كانت فاشية في عهد النبوة إفشاء السلام الا مع المحاربين لأن من سلم على أحد فقد آمنه فاذا قتلك به بعد ذلك كان خائناً فاكثراً للعهد • وكان اليهود يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم فردد عليهم السلام حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بلفظ (السَّام) أي الموت فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحجبهم بقوله « وعليكم » وسمعت عائشة واحداً منهم يقول له : السَّامُ عليك • فقالت له : عليك السام واللعة • فأنهرها عليه الصلاة والسلام میناً لها أن المسلم لا يكون فاحشاً ولا سبباً وان الموت علينا وعليهم • وروي عن بعض الصحابة كابن عباس انهم كانوا يقولون للذمي : السلام عليك • وعن الشعبي من أئمة السلف انه قال لنصراني سام عليه : وعليك السلام ورحمة الله تعالى • ف قيل له في ذلك فقال « أليس في رحمة الله يعيش » وفي حديث البخاري الأمر بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف • وروي ابن المنذر عن الحسن انه قال « فحيوا بأحسن منها » للمسلمين « أو ردوها » لأهل الكتاب • وعليه يقال للكتابي في رد السلام عين ما يقوله وان كان فيه ذكر الرحمة

هذه لمعة مما روي عن السلف ثم جاء الخلف فاختلقوا في السلام على غير المسلم فقال كثيرون انهم لا يبدأون بالسلام لحديث ورد في ذلك وحملوا ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على الحاجة أي لا يسلم عليهم ابتداءً الا الحاجة • وأما الرد فقال بعض الفقهاء انه واجب كرد سلام المسلم وقال بعضهم انه سنة وفي الحانية من كتب الحنفية ولو سلم يهودي أو نصراني أو مجوسي فلا بأس بالرد • وهذا يدل على انه مباح عند هذا القائل لا واجب ولا مسنون مع أن السنة وردت به في الصحيح أما ماورد من حق المسلم على المسلم فلا ينافي حق غيره فالسلام حق عام ويراد به أمران مطلق التحية وتأمين من تسلم عليه من الغدر والإيذاء وكل ما يسيء • وقد روى الطبراني والبيهقي من حديث أبي امامة : « ان الله تعالى جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا » • وأكثر الأحاديث التي وردت في السلام عامة وذكر في بعضها النساء كما ذكر في بعضها غيره كحديث الطبراني المذكور آنفاً

ثم جعل تحية لأسلامة فغربي أن ذلك مطلوب وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن يهود دنو يسلمون على المسلمين فيردون عليهم فكان من تحريفهم « كن سباً » أمر نبي صلى الله عليه وسلم بالسلام بأمر المسلمين أن يردوا عليهم

بلفظ « وعليكم » حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرفين . ومن مقتضى القواعد أن الشيء يزول بزوال سببه . ولم يرد أن أحداً من الصحابة نهى اليهود عن السلام ، لأنهم لم يكونوا يحظروا على الناس آداب الاسلام ، ولكن خاف من بعدهم خاف أرادوا أن يمتنعوا غير المسلم من كل شيء يعمله المسلم حتى من النظر في القرآن وقراءة الكتب المشتملة على آياته وظنوا أن هذا تعظيم للدين ، وصوّن له عن المخالفين ، وكلما زادوا بعداً عن حقيقة الاسلام زادوا إيغالاً في هذا الضرب من التعظيم . وإنيهم أبشاهدون النصارى في هذا العصر يجتهدون بنشر دينهم ويوزعون كثيراً من كتبه على الناس مجاناً ويعلمون أولاد المخالفين لهم في مدارسهم ليقرّبوهم من دينهم . ويجتهدون في تحويل الناس إلى عاداتهم وشعارهم ليقرّبوا من دينهم حتى أن الأوربيين فرحوا فرحاً شديداً عندما وافقهم خديو مصر الأسبق على استبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري وعدّوا هذا من آيات الفتح . ونرى القوم الآن يسعون في جعل يوم الأحد عيداً أسبوعياً للمسلمين يشاركون فيه النصارى بالبطالة . ومع هذا كله نرى المسلمين لا يزالون يحبون منع غيرهم من الأخذ بأدابهم وعاداتهم ويؤمنون أن هذا تعظيم للدين ، وكأن هذا التعظيم لانهية له إلا حجب هذا الدين عن العالمين ، أن هذا هو البلاء المين . وسيرجعون عنه بعد حين .

باب التبرير والتعليل

هو الازهر والازهريون . وفاضل هندي

(الرسالة الثانية مما وعده الشيخ عبد العزيز الحريشي الازهرى وأولى نشرت في الجزء ١٠)

(من تقاومه إلى حيدر ابد)

إليك أيها الاخ سلام صديق ضيع قلبه على لا خلاص لك ، وارتبص بأسباب محبتك ، وشكوى شوق قد برح بي برح . لا أستطيع له شرحاً . وبعد فقد ذكرت لك في رسالتي السابقة طرفاً من نغمة مدرسة الازهر وضرقت انتعاجها على وجه الجملة والآن أريد أن آتي بك بعبارة أوسع وتفصيل أشق على كل من رأته من نظامها وسلوكهم مناهج التحصيل مقتفية أثر الغائب في كل دور من عوار طلبه من دين

دخوله فيها حتى يترشح لتيل شهادتها مينا لك قوته وما حصل عليه في كل دور منها
زرت أيها الاخ تلك المدرسة من تاريخ الرسالة الاولى حتى اليوم زورات متعددة
في أوقات مختلفة وقفت فيها على تلك الدروس وقفة العاشق الدنف على الربيع المحيل
وهو يبكي لأناس عاهدوا الرحيل على أن لا يملأوا الذميل

فكانت نتيجة ذلك البحث الدقيق والتتير المتواصل ان ظهر لي ما عليه تلك
المدرسة الواسعة الكثيرة العدد ووقوفني على مواضع خللها وسوء نظامها على ما أنا
عليه من الغربة وبعد الدار . ورأيت أن أجعل كل موضوع رأساً مستقلاً بنفسه
أذكر فيه كل ما استبان لي من النقد كما سيربك ان شاء الله

انتظام الطلبة : وأول أمر رغبت في كشف سره وبيان سببه من أمور هذه المدرسة
هو سبب كثرة طلابها حتى بلغوا التسعة آلاف أو يزيدون وأغلبهم من المصريين كما
قدمت لك في رسالتي السابقة فكان غاية ما وقفت عليه من ذلك ما سمعته هناك من أخ
ثقة خير قال : لا يكاد يمر الانسان ببلدة من البلدان المصرية أو قرية من قرراها حتى
يرى مئات من شبان المصريين حلفاء التربة وضيق ذات اليد وهم يطاردون الجوع
بالفأس والمحراث وتمضية يومهم الطويل في الحقول والمزارع والتعب والتصب تحت شمس
نذيب بوهجها رأس الضب . ومن بينهم أفراد لا يكاد يخلو منهم بلد من البلدان أو قرية
من القرى معطلون عن كل عمل يطلقون عليهم تارة لقب الفقهاء أو الوعاظ وطوراً اسم
المأذونين ترى الواحد منهم في جبة وقباء وعمامة عجراً يأكل جميع ساعات نهاره ما متربعاً في بيته
خالياً من كل عمل أو قاعداً في إحدى الزوايا ينثر من فيه على بسطاء أهل الفلاحة
ما يسمونه وعظاً وارشاداً وما هو الا أقاصيص أو لغو في حكمها يدعوا الناس به الى
حب التواكل والبطالة حتى اذا أتى على آخر الدرس لبث مكانه منتظراً ما تدر به
أيدي أولئك العملة المساكين الذين لم يحصلوا على الدرهم الا طراداً ، ولم ينالوا
اللقمة الا جهاداً ، ومن ذلك يتألف لهؤلاء المعطالين عيشة لاتعب فيها ولا نصب فاذا
رزق الله أحد الفلاحين الفقراء ولداً وقع بين تارين إما أن يدعه يشتغل بما يشتغل
هوبه فيعيش عيشة البؤس والخصاصة وإما أن يدفع به الى الأزهر ويثابر على أن يقسم
له ما يناله من الأجر على أعماله حتى يمضي عليه عدد من السنين فيخرج منه وقد
ترشح لأن يأكل من أوساخ الناس ويعيش عالة على العباد متوسداً الراحة من
عناء كل عمل . فاذا ترجع عنده الامر الثاني دفع به الى الأزهر وأخذ يجري عليه

من النفقة ما يقطع من قوت يومه الضروري . لذلك لا تسكاد تجدد في المائة واحداً من الطلبة من البيوتات الشريفة التي يعمل أهلها لمستقبل شريف كالقضاء والافتاء . فانت اذا سرت في ساحة تلك المدرسة قائماً تشق أجساماً تنبؤ عن رؤيتها النفس وهم محتافون متبعثون ليس لهم نظام ولا ترتيب . ويغلب ان يكون سن الطالب عند اندراجه في سلك الازهرين . ما بين الخامسة عشرة الى الثلاثين ، وقد كان امتحان الدخول في هذه المدرسة بسيطاً قاصراً على معرفة القراءة والكتابة اما اليوم فهم يشترطون مع ذلك حفظ جميع القرآن للكفيف ونصفه لغيره .

ولأجل ان أتمكن من أن أبين لك ادوار الطالب هناك وأوقفك على قوته في كل دور منها اقسماً الى ثلاثة ادوار كل دور ثلاث سنوات فيكون المجموع اثنتي عشرة سنة . وهي أقل مدة أمكن بعض الطلبة نيل الشهادة فيها

الدور الاول : يتقدم الطالب الانتظام في الازهر وهو في السن الذي قدمت لك فان كان من الفلاحين (وهو الاغلب) رأى نفسه قد انتقل طفرة من بين رعاء الشاء الى حلقات المدرسين ومجالس العلماء، وان كان من البيوتات الكبيرة والأسر الخاصة (وقليل ما هم) انتقل المسكين وثبة في يوم واحد من نعيم العيش وحسن الحال الى عيش الشظف والحشونة وبُذل في ساعة واحدة بروية أهله وهم على ما عهد من النظافة وجمال الهندام رؤية أولئك الذين ذكرت لك . وسواء كان الطالب من العامة أو من الخاصة فانه يتساوى مع غيره في الطلب وطرق التحصيل

يدخل الطالب تلك المدرسة وهو لا يذري كيف يحضر ولا ماذا يقرأ ولا على من يتلقى دروسه ولا على أي وجه يسير فيها ولا ما هي الكتب تشرى لذلك الغرض من حيث لا ناظر له هناك ولا رقيب عليه يأمره بشراء كتاب معلوم والاختلاف الى درس مخصوص بل يمكث هناك المسكين أياماً يجول في أركان الازهر وهو على ما ذكرت من البساطة والسذاجة يأخذ كل يوم في التطواف بحلقات الدروس يتساءل من الطلبة المتقدمين عن كتاب يشتريه . ودرس ينتظم في سلك طالبيه ، حتى اذا تيسر له ذلك بعد الذي تقدم من الحيرة والتعب وضياح الوقت وحضر احد الدروس أخذ يقلب طرفه فيما بين يديه . ويحدد أذنيه لسماع ما يلقي عليه ، فلا ينظر الا قوشاً لا مقدرة له الا على النطق بها دون أن يعقل لها أقل معنى . ولا تقع في أذنه الا ألفاظ هي أشبه بالרטانة منها بما يتكلم به الناس فيظل سنته الاولى وهو يروح الى الدروس كما يغدو إليها خالياً من الفائدة مجرداً من

فهم أي شيء مما يتلوه عليه معلمه اللهم الا أن يحفظ بعض كلمات مثل : ضرب زيد •
وقتل بكر عمرًا : وتأبط شرًا : وقال رحمه الله تعالى • الخ .. هذ مبلغ ما يصل اليه
الطالب من اختلافه الى دروس النحو في سنته الاولى — وأريد قبل أن أسلك
بالكلام الى دروس الفقه أن أقول كنت أود أن أطلعك على جميع ما يشتغل به
الطالب من الكتب على المذاهب الاربعة الا اني لا أرى في استقصائها كير فائدة بل
الاحسن ان أفصل كتب مذهب واحد واخترت أن يكون الحنفى لأنه الاشهر •
وان لم يكن الاكثر • ثم أنت تقيس ما بقي من الكتب في المذاهب الاخرى عليه
لما بينها من المشاكلة اقامة في صناعة التأليف وأسلوب التحرير •

وما حصل عليه في سنته الأولى من النحو يحصل على ما يشاكله في الفقه • وأول
كتاب في النحو يسمونه الكفراوى وما يقابله من الفقه يسمي مراقى الفلاح • اما الكفراوى
فقد وضعه صاحبه شرحاً لمتن صغير اسمه الاجرومية مشوش العبارة مختصراً جداً
واما مراقى الفلاح فهو كتاب يقتصر من الفقه على العبادات فقط وهو على
ذلك مجلد ضخم سلك به مؤلفه مسلك اذ سهاب والإطناب • على انه على ما به من
التطويل يعد أحسن كتاب في الفقه هناك • وقصارى القول ان الطالب يقطع شهور
سنته الأولى كلها ولا يعلق بذهنه ما يستحق ان يذكره لك • وانما هي كلمات يسمعها
قمر عليه من الخيال السارى — ثم يدخل في سنته الثانية وهو على هذه الحال فإكل
أيامها وهو بالحيرة والذهول لقصور ذهنه عن ادراك أي شيء مما يسمع أو يقرأ •
وكثيراً ما يلحق الطالب أو أهله القنوط من التجاح فيخرج من هناك ليحترف • ولا
كتب يحضرها في سنته الثانية على الغالب الا ما أمضى فيها سنته الأولى وسيره فيها
لا يميز عن السنة الفاشئة الا بكونه وصل الى أن يعرب جملاً بسيطة معلومة حفظ
اعرابها حفظاً على غير فهم ولا تفكر • ويعرف بعض أسماء الاثمة وشيء من الاصطلاحات
الفقهية في الفقه • ثم يتدرج من هاتين السنتين الى السنة الثالثة وفي أولها يكون قد أثر
في ذهنه كثرة ما يرد عليه من تعقيد الجمل وتشويش العبارات تأثيراً يحمله على الجلد
والتصبر على تلك الاساليب وربما فهم اذ ذاك بعض الجمل بعد ان ينصب نفسه ويتعب
فكره كل التعب وينقل حينئذ من الكفراوى الى كتاب يسمونه (الشيخ خالد)
وهو كتاب أصغر في الحجم من الكفراوى وأسهل منه عبارة ولكن يظهر أن
سهولته لم ترق للاشياخ هناك فانبرى له بعضهم وعلق عليه حواشي من المفروض

على الطالب الازهرى أن يكده ذهنه في فهمها ولم أر - علم الله - كتاباً يكده الفكر ويتعب القارئ في فهم عباراته المشوشة المضطربة مثل ذلك الكتاب . ويقابل هذا الكتاب من الفقه في هذه السنة كتاب (الطائي) أخو تلك الحاشية في فساد العبارة وسماحتها وقبح تحريرها ركب به مؤلفه أسلوباً لم أر ما يشاكله في كل ما وقع لي من مؤلفات العرب فهو يحذف ما يلزم إثباته ويكتب ما من حقه الحذف ويؤخر ماله التقديم ويقدم ما من شأنه التأخير

وأعجل اليك قبل أن أرتقى الى ذكر الكتب الفقهية الكبيرة بيان أن هذا الطالب الضعيف يفاجأ في هذه المدة بتلك الابواب الطويلة المحشوة بالخلاف وتضارب آراء الأئمة فيما لا يعود بأقل فائدة على التلميذ ولا ينتظر أن تكون منه فائدة لغيره مثل أبواب العتق والرق الخ وهناك أبواب أخرى فتحها نافع ولكن توسعتها ضارة لأن مؤلفي تلك الكتب خرجوا بها عن دائرة التشريع الى بيضاء واسعة من الخيال المحض فلا تكاد تنظر في باب من أبواب الطلاق مثلاً حتى ترى الكثير من الصور الغريبة الناتية عما يقصد الشرع في كتاب الله الحكيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جرى عليه أصحابه وأئمة السلف في الصدر الاول من الاسلام .

على ما قدمت ينهي التلميذ من دوره الاول ولو أتى بعلام سليم الفطرة الى معلم حكيم في التعليم وأخذ يعمل عليه كل يوم قليلاً من النحو والفقه وفهمه اياه حق التدهيم ليبلغ في ثلاثة شهور من التحصيل الى أضعاف ما يبلغه طالب الازهر في ثلاث سنوات .

الدور الثاني : اذا خرج الطالب من هذا الدور وهو على ما مر بك وأخذ يدخل في الدور الثاني كان أول شيء يبدأ به أن يضم الى درسي النحو والفقه درساً أو درسين في التوحيد أو المنطق أو البلاغة أو العروض واختيار الطالب أي فن من هذه الفنون أمر موكل الى المصادقات التي تسوقه الى أي فن منها وكثير من الطلبة لا يمد عينيه الى تلك العلوم الا بعد مضي ست سنوات ولا أريد أن أذكر لك الآن ما هي هذه الكتب وما يستفيده الطالب منها بل ادع ذلك لفرصة أخرى وآتي لك قبل ذلك على وصف ما يشتغل به من الكتب في العلمين الأصليين عندهم الفقه والنحو وأول كتاب يفتحون به السنة الرابعة في الفقه كتاب يقال له (منلا مسكين) يقضي فيه الطالب على الغالب سنتين ومنلا مسكين هذا كسائر ما تقدم من الكتب محشوة بالخلافات الكثيرة على غير جدوى والتعمق في فروع تنقضي الاعمار ولا تقع ولا

يحتاج اليها غير أنه يمتاز عن تلك الكتب بالخطأ فيما يورده من تقول أئمة المذاهب الأخرى في معترض الرد عليهم وتزييف أقوالهم . وهو مالا يكاد يخلو منه كتاب أو باب من الابواب . بعد ان يتم المسكين (منلا مسكين) يأخذ في تلقي كتاب بعده يقال له (العيني) وهو كتاب بلغ به صاحبه حد النهاية من الخطأ والفاط والتعجل في تزييف مذهب الامام الشافعي واختراع الصور الفقهية ولا يكاد يأتي الطالب على آخره وفي صدره شيء من جوهر العلم اللهم الا تلك الصور الذهنية والمسائل الخيالية والمباحكات اللفظية وحفظ أسماء أغلب من اشتغلوا بهذا الفن لكثرة ما يرد من اسمائهم في صدد الخلاف . وان تعجب فمجب بل ألف عجب اتفاقاً كثر جماعة الازهر وجل مشايخه على استحسان هذا الكتاب وامتداح كل من حذا حذوه في صناعة التأليف . وعندي ان ذلك كاف لبيان ما هم عليه من الذكاء والتبل وما وصلوا اليه من العلم والفضل . ويشغل الطالب فيما يقابل ذلك من النحو في الدور الثاني بثلاثة كتب — الارهرية والقطر والشدور . أما الازهرية فكتاب سهل العبارة اقتصر من النحو على المبادي الا أنه مبتلى كاخواته بحاشية شط فيها مؤلفها في أغلب المواضع عما هو بصدده . وأما كتابا القطر والشدور فكلاهما درة متلاثة بين اطمار بالية ألفهما ابن هشام رحمه الله غاية في حسن العبارة وانسجام الاسلوب لم يترك قاعدة يحتاج اليها الطالب الا أتى عليها في هذين السكتين . ولو اقتصر الازهريون على قراءتهما متتابعين مجرداً من الحواشي والتقارير لحصل الطالب منهما على الغرض المقصود من النحو . ولكن الأمر على عكس ذلك فقد وضع بعض الأسيخ على كل كتاب حاشية لم يقع طرفي حتى اليوم على عبارة أبرد ولا اسمعج من عبارتها وقد سلك بها طريق التسف والتعقيد حتى صارت سجفاً يحول بين الطالب وما توخى بيانه المؤلف رحمه الله . ومن غرائب الاتفاق ان وقعت في يدي اليوم حاشية القطر فكانت أول جملة وقع طرفي عليها من غير قصد ما كتبه صاحبها تعليقاً على بيت أورده المؤلف وهو :

(الا يا أسلمي يادارمي على البلى ولا زال منهلاً بحر عالمك القطر)

(قال المحشي) الاحرف استفتاح واسلمي فعل امر وامي اسم امرأة والبلى مقصور مكسور المراد به الاندراس والفتاء . اي اسلمي وان كنت قد بليت . ثم قال بعد كلام واعتراض على الشاعر أنه لم يحترس لان دوام المطر يخرب الدار . واجيب بانه قدم الاحتراس في قوله اسلمي وبأن ما زال تهضي ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلاً

لها على حسب قابليتها ثم قال وقد ضمن بعضهم هذا البيت حيث قال
 اليك اشتياقي يا كنانة زائد فإني غناء عنك كلا ولا صبر
 فلا زلت اكلني كل يوم وليلة ولا زال منها لا يجبر عاتك القطر
 (والكنانة) اسمى الحلوى للمصريين . هذا ما يشتغل به الطالب هناك في مدة
 ست سنوات من النحو والفقه وأقسم أيها الاخ اني لم أر حتى ساعتي هذه ممن بلغ
 السنة السادسة وحضر تلك الكتب في النحو من يحسن أن يكتب سطرأ واحداً او
 يقرأ جملتين بغير لحن وغلط وأريد أن أختم هذه الرسالة الآن مقتصراً على ما ذكرت
 وفي الرسالة الآتية ترى البقية الباقية والسلام عليكم ورحمة الله

أشار علي بن أبي شيبة

رسالة الكسائي في لحن العوام

ظفر بها الباحث الألماني (بركن) وطبعها في ألمانيا وأهدى نسخة منها الى
 صديقنا أحمد زكي بك الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار فرأينا أن ننشرها في المنار
 لما فيها من الفائدة للكتاب والطلاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين . اللهم صل على محمد وآله الطاهرين .
 هذا كتاب ما تلحن فيه العوام مما وضعه علي بن حمزة الكسائي للرشيد هرون
 ولا يد لأهل الفصاحة من معرفته .

تقول حرّصت بفلان بفتح الراء . قال الله عز وجل « وما أ كثر الناس ولو
 حرّصت بمؤمنين » ولا تقول تحرّص بفتح الراء . قال الله تعالى « إن تحرّص على
 هداهم فإن الله لا يهدي من يُضِلُّ » . وتقول ما تقمت منه الا عجّلت بفتح القاف
 لا يقال غيره قال الله عز وجل « وما تقمّوا منهم الا أن يؤمنوا بالله » . وتقول دعه
 حتى يسكت من غضبه باتاء ولا يقال بالنون يسكن (١) قال الله عز وجل « ولما

(١) لم نر من عدّى سكت الغضب بمن ولم يستشهد له وإنما الشاهد في الآية
 معدّى بمن . وقد فسر (سكت) الزجاج وغيره بسكن . وقيل إن الكلام على القلب
 أي سكت موسى عن الغضب . وذكر الزمخشري الحرف في مجاز الاساس فقال :

سكت عن موسى الغضب . . . وتقول قد تَقَدَّ المالُ والطعامُ بكسر الفاء قال تعالى
 « قل لو كان الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ » . وتقول عجزت عن الشيء
 بفتح الجيم ومنه قوله تعالى ذِكْرُهُ « أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ »
 وتقول كسرت ظفر زيد بضم الفاء والظاء جميعاً (١) قال الله تعالى « وعلى الذين
 هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ » وتقول قد صرفت فلانا وقد صرف وجهه بغير
 ألف ولا يقال أصرفت فلانا قال الله عز وجل « ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم »
 وتقول قد أَصْرَفْتُ الكلبة إذا طَلَبَتِ المعاطلة . وتقول قد استدَّت البطانة بكسر
 الباء (٢) قال الله جل ذكره « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ »
 وتقول لنا على الماضي الي فلان (٣) بتشديد الياء قال الله تعالى « فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا
 وَلَا يَرْجِعُونَ » . وتقول شكرت لك ونصحت لك ولا يقال شكرتك ونصحتك .
 وقد نصح فلان لفلان وشكر له . هنا كلام العرب قال الله تعالى « واشكروا لي ولا
 تكفرون » . . . ولا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ » . وتقول عَسَيْتُ
 أَنْ أَكَلِمَ زَيْدًا بفتح السين قال الله عز وجل « فَعَلَّ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ
 تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ » . وتقول قد أَرَيْتُ فلانا موضع زيد ولا يقال أوريتَه فإنه خطأ
 قال الله تعالى « وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا » وقال أيضاً « رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ »
 وتقول قد أوريت النار إذا أشعلتها بالواو وقال تعالى « أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ »
 وقال عدي بن زيد في شاهد ذلك :

وُطِفَ حَدِيثَ السُّوءِ بِالصَّمْتِ إِنَّهُ مَتَى تُورِ نَارًا لِلْعَنَابِ تَأْجِبًا (١)

« وسكت عنه الغضب والحزن وكل ماله أثر ناطق » ففهم وجه التجوز وقال السكاكي
 أنه استعارة تبعية . وقرأ معاوية بن قرة في الشواذ (سكن) بالنون فهو ليس خطأ
 (١) هذه هي اللغة الفصحى ويقال ظفر بضم الظاء وكسرها مع سكون الفاء .
 (٢) في اللسان السَّدُّ القصد في القول والوفق والإصابة وقد تسدَّ له واستدَّ . وبطانة
 الإنسان خاصته الذين يفضي إليهم بأسرارهم مأخوذ من بطانة الثوب (٣) الجملة غير ظاهرة
 ولعالمها في الأصل استفهام (١) كذا ضبط (طف) في الأصل والمعنى يقتضي أنه من
 المهموز والمعروف أطفأ النار . ثم رأيت اللسان والتأجج روياء (وأطف) وتأججا
 أصله تتأجج مجزوم وحذف التاء قياس

ويقال وقع القوم في صُعُودٍ وهَبُوطٍ وحَدُورٍ مفتوحات الأوائِلِ وكذلك السَّحُورُ وسَحُورُ الصائم (١) والْفَطُورُ أيضاً على مثالِ قُتُولٍ قال الله عز وجل «سَأَرْهِقُهُ صُعُودًا» وكذلك الرُّكُوبُ قال الله تعالى «فَتَهَا رَكُوبُهُمْ» • وتقول شَدَّ ثَوْبَكَ وشَدَّ عَلَيْهِ بِضَمِّ الشين قال تعالى «فَشُدُّوا الوثَّاقَ» وتقول ذَرَّهْ ودَعَّهْ وذَرَّ الأمر ولا يقال: ودَرتَه ولا ودَعَّتَه قال الله «ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا» ولا يقال منه فملته ولكن تركته • وتقول جَهدت به كل الجُهدِ والجسيم الأولى مفتوحة والثانية مضمومة قال الله • والذين لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ • وتقول دَمَعَت عيني بفتح الميم وبخَصِبَ عينه بالصاد ولا يقال بَخَسَت بالسين (٢) إنما البُخسُ والنقص ان تنقص الرجل حقه • وتقول ودِدْتُ أُنِي في منزلي بكسر الدال الأولى قال بعض الأعراب :

أَحَبُّ بَنَسِيٍّ وودِدْتُ أُنِي . حفرت لها براية قَيِّراً (٣)

﴿ الهدايا والتأريظ ﴾

(الصراط المستقيم) كثرت شكوى الباحثين في الإصلاح — ورأسه إصلاح التربية والتعليم — من كتب القرون المتوسطة وما بعدها ووعورة مسالكها وصعوبة أسلوبها وعدم موافقتها للتعليم فقيض الله تعالى لهم من أنفسهم من يسعى في إحياء كتب السلف ليستعان بها على إحياء اللغة والدين، ومن يشتغل بتأليف كتب جديدة يستعان بها على التربية والتعليم، فينا جميعاً إحياء العلوم العربية تشتغل بطبع المخصص وتسمى باستنساخ مسدونة الامام مالك وكتاب الأم للامام الشافعي لطبعهما ومنثني هذه المجلة يشتغل بطبع (دلائل الإعجاز) بعد طبع (أسرار البلاغة) اذا بالشيخ أحمد زناقي ناظر مدرسة القبة الخديوية وأستاذ العربية والدين فيها يؤلف الكتب القريبة التناول في التعليم القوية التأثير في علم الدين

وأكبر مؤلفاته نفعا، وأحسنها صنعا، كتاب في علم الدين سماه الصراط المستقيم. وقد جعله ثلاثة أقسام قسم في العقائد وقسم في العبادات وقسم في الآداب • وفي

(١) السحور ما يؤكل وبالضم فعل الأكل وقت السحر • ومثله الفطور (٢) أنكر

البخس بمعنى الفقر الأزهرى والمصنف وأتته الأصمعي وقال إنه لغة كالبخر

(٣) كذا ضبطها الطابع ولا يصح ولعلها تصغير قبر • وفي هامش النسخة المطبوعة

لفظ (خَفِيرًا) وهو بمعنى القبر

كل قسم فضول في الواجبات الاعتقادية والعملية والأدبية . يتبدى الفصل بالآيات الكريمة الواردة في الواجب الذي يتكلم عنه فيه ثم يأخذ الحكم مما تهدي اليه مع بيان معناه . فهكذا يجب أن تكون كتب الدين لتطمئن بها القلوب ، وتؤثر في النفوس ، وقد التزم في الكتاب بيان أسرار العبادات والآداب الدينية ، ومنافعها الدنيوية والآخرية ، وبعد فراغ المؤلف من كتابه عرضه على الأمير العباس أيداه الله تعالى فسر به وأمر بأن يطبع على نفقة الخاصة الخديوية فطبع في المطبعة الأميرية طبعاً متقناً على ووق جيد وجعل في جانب كل صفحة منه جدولين يذكر في أحدهما بإزاء الآيات القرآنية التي افتتحت بها الفصول اسم السورة وفي الثاني عدد الآية ولو كان هذا البيان عامّاً لجميع الآيات القرآنية في الكتاب لكان النفع أتم .

وصفحات الكتاب ٤٠٠ ومنه ١٢ قرشاً صحيحاً

(الهداية الى الصراط المستقيم) اختصر المؤلف كتاب الصراط المستقيم بكتاب سماه بهذا الاسم وهو مثل الأول في ترتيبه وأسلوبه الا ان حجمه نصف حجمه والفرض من الاختصار ان يكون المختصر كتاب تعليم يرتقي منه التلميذ الى المطول ويتهدي بتلقي هذا دراسة الى فهم ذاك بنفسه . وقد طبع الكتاب الثاني على نفقة الخاصة أيضاً وفق الله مولانا الأمير ، الى ما فيه احياء العلم والدين . ومنه ثمانية قروش صحيحة فنحت كل من يطلب فهم الدين على مطالعة الكتابين

(حجج القرآن) كتاب من أجل ما كتب علماء الاسلام في خدمة الدين للامام أبي الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي جمع فيه الآيات القرآنية التي تحتاج بها الفرق المفرقة من الاسلام في المسائل المختلف فيها بينهم ليعلم الناظر في الحجج مجتمعة لديه ، ثملة أمام عينيه ، أيها الحق بالقبول ، وأدل على المدلول ، وقد ذكر في فاتحته ان أصل الفرق ثمان — الخيرية وفي مقابلتها القدرية . والمرجئة وفي مقابلتها الوعيدية . والصفاتية وفي مقابلتها الجهمية ، والشيعية وفي مقابلتها الخوارج . قال « ومن هذه الفرق الثمان تشعبت الفرق الثلاث والسبعون » أي التي ورد بشأنها الحديث المشهور . وابواب الكتاب ثلاثون باباً في كل باب فصول كثيرة جمعت المسائل المهمة المختلف فيها . واننا نعتقد انه يعسر على كل عالم ان يفهم الحق في هذه المسائل بدون ان يطلع على هذه الآيات التي يخرج بها كل فريق على رأيه ولا نعرفها مجموعة في غير هذا الكتاب . لهذا نقول ان احياء هذا الكتاب خدمة جليلة للاسلام .

فجزى الله الشيخ أحمد عمر الحمصاني الازهرى خير الجزاء ان طبعه ونشره بين

الناس ثمن بنخس وهو قرشان صحيحان . ومن طلبه من الخارج فليس سلك مع الثمن قرشاً لأجرة البريد . وهو يوجد في إدارة المثار بمصر وفي مكتبة هندية ومكتبة المليجي ومكتبة الرافعي ومكتبة المؤيد ومكتبة الهلال

(حياتنا التناسلية) أو دليل العازب وطبيب المتزوج ، كتاب يدل اسمه على موضوعه مؤلفه الطبيب سعيد ابو جرة الذي تلقى الطب في المدرسة السكليه ببيروت وانه في كلية (ماريون سمس) في الولايات المتحدة . هو يبحث عن اعضاء التناسل في الذكور والاناث وما يعرض لها من العلل والامراض قبل الزواج وبعده . وعبارته سهلة يفهمها كل قارئ ولا غنى لقارئ عنها فان اكثر الناس عرضة للامراض والادواء التي تتولد في هذه الاعضاء او في البدن كله من استعمالها فيما يحرمه الدين والطب (وكل ما ثبت ضرره طبياً فهو محرم شرعاً) ومن ذلك العادات الضارة التي تكون من الشبان في حال الاقتراد وبحسبونها هينة وما هي بهينة وانما هي علة العلل للادواء والامراض القاتلة . ولو علم الناس ما وراءها لأطعمهم العلم على مغالبة الشهوة ، ومحاربة اللذة ، لأنه هو الركن الركين ، بعد تربية الدين ، وأين التربية الدينية من قوم يذكر أطباؤهم ومرشديهم عجائب صنع الله تعالى وحكمه وآياته في الآفاق وفي أنفسهم فيسندونها الى شيء مجهول يسمونه بالطبيعة ، ولا يسندونها اليه جلّت قدرته كما فعل صاحب كتابنا هذا . وانما لا نرى في هذا الكتاب غير هذا العيب . ونقول على كل حال أنه ينبغي لأهل كل بيت اقتناء هذا الكتاب ومطالعة والاستعانة به على تربية الاولاد . وهو مطبوع في مطبعة الهلال وعدد صفحاته مئتان ونيّف وثمنه ١٢ قرشاً مصرياً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر (نيل الأرب في موسيقى الافرنج والعرب) الموسيقي فن من الفنون التحسينية يرتقي في الامم بارتقاء المدنية والحضارة ويتبدل بتدليهما . والميل الى طبيعته في الانسان بل الميل الى حسن توقيف النعم معبود في الحيوان الأعجم . ولقد كان للعرب حظ منه أيام مدنيّتهم فذهب بذهابها . ولما دالت الحضارة الى الأمم الغربية ارتقى عندهم هذا الفن حتى صار ركناً من أركان الفنون الحربية ، كما انه ركن من أركان التربية النفسية . وكان من موضع العجب أن المصريين اشتغلوا بتقاييد الافرنج من زمن طويل وأخذوا عنهم كثيراً من علومهم ولكنهم لم يضعوا لنا كتاباً مصنفاً أو مترجماً في فن الموسيقي حتى ظهر هذا الكتاب في هذه السنة لمؤلفه احمد افندي امين الديك . ومن عرف المؤلف يحكم بأنه انما ألف هذا الكتاب بباعث طبيعي وشعور بأن قومه في حاجة الى هذا الفن وانه

أراد أن يكون البادئ بسد هذه الحاجة. وانما قلنا هذا لأنه شاب بعيد من التفرنج ومذاهبه متهمسك بالدين عملاً وآداباً على أن الشائع في قومه أن الموسيقى من الفنون المذمومة في الدين . وما المذموم في الدين إلا هذا التخت الشائع عندهم في الفناء . أما الموسيقى فهي نافعة في الحرب والآداب والأخلاق . هذا وانما لأنحكم على الكتاب من الجهة الفنية لأننا نعرف مع الحجل بأننا لانعرف الفن . والكتاب مطبوع بالرسوم وأشكال (الونة) بالمطبعة الأميرية وثمنه خمسة قروش

(الأنجار بالنساء) هي القصة العاشرة من (روايات مسامرات الشعب) معربة بقلم حسن أفندي توفيق لدجوي من ضباط البوليس ومعرب كتاب (التربية الحديثة) وقد صدرت القصة صاحب مطبعة الشعب بكلمة للصحافة المصرية يطالبها فيها باستقاد هذه القصص التي يقصد بنشرها خدمة الأمة . وينتقد تقريظ الجرائد بمدح كل كتاب أو قصة تنشر وتمني الزواج لها

الاستقاد واجب وإن كان يسيء ناشر الكتب كما جربنا. وإذا لم يسمح وقت أصحاب الجرائد وكتابتها بقراءة الكتاب كله أو بعضه فلا يجوز لهم تقريظه لأن التقريظ حكم لا بد فيه من العلم بالمحكوم عليه . ولقد طالعتنا قصة الأنجار بالنساء هذه ظناً منا أن الذي حمل ناشرها على تمريرها للتقد هو ثقته بأنها تملو عليه لما فيها من الإرشاد النافع فالفيناها مشحونة بأخبار الفسق والفحش والكيد وسفك الدم والانتقام. ومثل هذه الحوادث التي تشرحها القصة يؤثر الكلام عنها في النفس أسوأ تأثير ويكون غذاء رديئاً للنفوس المستعدة للشروع لأنها لم تقرب تربية صالحة. وأين التربية الصالحة في هذه البلاد؟ يحتج ناشر أمثال هذه القصة بأنها لا تحلو من بيان سوء عاقبة المجرمين . ونحتج عليهم بأن الكتابة في تمثيل عواقب الجرائم والمآثم يشترط فيها أن يكون ما يكتبون فيه شائعاً فيمن يكتبون لهم بحيث تفيدهم الكتابة عظة وعبرة ولا تزيدهم علماً بوجود المنكرات وطرق السيئات. لأن ما لا شبهة فيه أن كل قارئ يوجه فكره إلى ما يناسب طباعه ورغائبه من الكلام ويفعل عن غيره . والحرائم المشروحة في هذه القصة لم تأت على الشرط بخلاف قصة (الحال والمآل) التي قرطناها من قبل فاتها جاءت على الشرط لأنها ذكرت منكراً معروفاً فاشيا في مصر وينت سوء عاقبته لذلك اثبتنا عليها وأنكرنا على هذه ولعل كلامنا في الموضوعين يكون حاملاً على الرغبة عن الضار إلى الرغبة في النافع والله الموفق

(روايات الحداد) أحسن القصص التي تنشر في مصر لهذا العهد عبارة ماعره فقيد التحرير نجيب أفندي الحداد . وقد اهديت إلينا قصتان منها منذ أشهر أضعنا

أحدهما واستعار الأخرى أحد اصدقائنا ولم يعدها فكتبنا هذه الكلمة ثلاثون
المهدي أننا غفلنا تقريرهما اجحافاً بحقه

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(ألقاب التعظيم) سرت الى الكتابة العربية والى أهل العربية عادة من عادات
الأعاجم المفضولة وهي اضافة القاب التعظيم والتبجيل الى أسماء الأشخاص عند ذكرهم
في القول والكتابة . ولقد أسرف الناس في هذه الألقاب حتى ألحقوا بها المفضول
بالمفاضل ، وساووا العالم بالجاهل ، وانما كنا نألم لاتباع عادة الجرائد في ذلك على
تحرينا القصد فيها ونرى النفس تنزع الى اتباع سلفنا فيه ولكتنا نرحي ذلك حتى كان في هذا
الجزء أن كتبنا نبذة من رسالة الكسائي وذكرنا في ترجمتها اسم طابعها واسم المهداة اليه
مقرونين بألقاب التعظيم المألوفة ثم لم نلبث أن نقلنا اسم الكسائي وهو من أئمة العلم
وهرون الرشيد وهو من أعظم الخلفاء بعد الراشدين ولم نرهما مقرونين بلقب .
قنيت النفس الى ما كانت تنزع اليه وأمرت بترميم تلك الألقاب التي كانت كتبت
فَرُمِجَتْ . ونحن بعد اليوم لا نذكر مع اسم أحد الا اللقب الذي يميزه في نفسه
أو صنفه كالشيخ والبك والأفندي . ومن كان غير معروف للقراء بعرفه بجملة خبرية
لا بألقاب مفردة ينعت بها بعتاً ، وتنظم مع اسمه عقداً ، ويدخل في هذه القاعدة
أستاذنا وأمرأؤنا ، فاذا قلنا قولاً عن أستاذنا الأكبر (ولفظ الأكبر هنا بيان للواقع)
نقول : قال الشيخ محمد عبده أو مفتي الديار المصرية . وإذا كان الكلام عن الجمعية الخيرية
نقول : قال رئيس الجمعية . وإذا كنا اذا أسندنا اليه قولاً من غير ذكر اسمه قلنا يشير
اليه بلقبه الذي اشتهر وهو (الأستاذ الامام) بالتحريف . وانما سبق لنا تعريفه بلقبين
لأن لفظ (الأستاذ) وحده ينصرف في كتب الكلام والاصول الى الشيخ أبي اسحق
الاسفرايني وامط (الامام) وحده ينصرف الى خضر الدين الرازي وامط (الشيخ
الامام) أطلقه تاج الدين السبكي في كتبه على والده الشيخ تقي الدين . فعندما استقر
رأينا على أن نجعل لاسمنا الذي يكثر نقلنا عنه لقباً مختصراً يعني عن ذكر اسمه ووظيفته
اخترنا هاتين الكلمتين لأنه لم يشتهر بهما أحد . وقد عرف ذلك قراء المسار في جميع
الاقطار لذلك نقره بشرطه

(كلمة في المنار) قد كتبنا مرات متعددة على غلاف المنار بأنه لاحق لا مشترك

ان يطلب جزءاً من المنار لم يصل اليه بعد صدور ما بعده . ثم رأينا بعضهم يحتاج

بأنه اذا تأخر جزء يتوهم أنه لم يصدر فلا يعرف أنه قد صدر إلا بعد وصول ما بعده إليه . لذلك رأينا أن نمدد في الوقت فنجمناه عشرين يوماً في القطر المصري . فمن طلب الجزء الذي يصدر في أول الشهر مثلاً في الحادي والعشرين منه فما بعده فعليه ان يرسل ثمنه ٢٥ ملياً سواء كان قد صدر الجزء الذي بعده أم لا . ومن وصل إليه الجزء فأضاعه أو وهبه فلا يجوز له ان يطلب بدله الا بالثمن . وربما يمدد بعض القراء هذا تشديداً في موضع التساهل ولكنه اذا علم أن الطالبين للاجزاء المفقودة كثيرون جداً وان كل جزء يرسله يضيع علينا مجموعة سنة كاملة فإنه يعذرنا لاحتالة

(سكة الحديد الحجازية) أخبرنا من شاهد العمل في هذه السكة واختبره بنفسه أن الهمة المبذولة فيه عظيمة وان الآلات والأدوات الحديدية والخشبية التي في بيروت والشام كافية لإيصال الخط الى مكة المكرمة وأن مهندساً ألمانيا هناك قال : ان هذا الخط أمتن وأحسن من خطوط الحديد في انكلترا . ومع هذا كله لا بد لإتمام العمل من أربعة ملايين جنيه . وهو مبلغ لا يرجي له الا سخاء صاحب المشروع الذي يتخذه بتمامه على يديه أشرف الذكر وهو مولانا السلطان وفقه الله تعالى لما فيه خير الأمة والدولة . وما ينتقده جميع الذين شاهدوا العمل أمر التضييق على العسكر المشتغلين به فانهم لا يجدون ما يكفيهم من الغذاء والدواء وهم يعملون بجمل وثبات حير المهندسين الأوربيين والوافدين المتفرجين . وقد علمنا أن الرئيس الذي يدير العمل من خير الناس فمضى أن يوفق للمحافظة على صحة واثك الجنود المساكين . (الأذان السلطاني) بلغنا أن شيخ الجامع الأزهر أنكر في جامع القلعة هذا الأذان في الليلة السابعة والعشرين من رجب التي احتفل فيها بقراءة قصة المعراج . وكاشف بانه نكاره مفتي الديار المصرية واتفقا على النهي عنه فيها فمضى ان يؤثر ارشادهما في محو هذه البدعة السيئة

نصيحه للقارئات , ومن يسمع من الأميات

ان من خلألق الأتى وسجايها ما هو عون للسفهاء على إغواثها وهو انها تحب دائماً ان تكون موضع الاعجاب والاستحسان . ولذلك يتماق اليها المصبصون ويخادعونها بالمدح والغواني يغرهن التاء حتى يستميلوها اليهم ويهينوا شرفها بالمغازلة على الأقل . ومن الضعف في الأتى ان تعتقد ان كل من يرمي ببصره اليها يكون مستحسناً لها . ناهيك بصاحب التحديق ونظر التزييق وهو نظر العاشق المستهتر

طادة والمبصير التملق اختلاباً وخداعاً فانه يمر الفتاة الغيرة ويقع من قلبها موقع السهم .
الذي سقي بالسهم ، وقد ورد في الحديث « النظره سهم مسوم من سهام ابليس فمن تركها
خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يمجده حلاوته في قلبه » رواء الحاكم وصحيح اسناده .
بلغ النساء عندنا من الغرور بتطاع السفهاء اليهن انك تبحر نساءنا يتلفتن في
الاسواق ماشيات ، وينحنين وهن في المركبات ، وقد يكن مع هذا من المحصنات
التزيهات ، وان هو الاحب توجيه الانظار ، وأعجاب النظر ، وترى نساء الافرنج
يمشين قاصرات الطرف ، مستقيبات العطف ، تحسبن في ادبهن الظاهر من الملائكة
المقرين ، وان كان فيهن من هن اغوى من الشياطين ، وما ذلك الا لانهن ترين على
ادب الاجتماع ، وتعلمن ما يبعدهن عن سرعة الانخداع ، وان الظهور في المنكر
ليزيد في ضرره لما فيه من اغواء الناس وتسهيل سبله على من لا يعرفه ولذلك ورد
في الشرع ان المعصية الصغيرة تكون كبيرة بالمجاهرة ونرى القوانين الوضعية عند
الأمم كلها تحظر الجهر بما ينافي الآداب حتى ما يبيحه منه في السر

السبب في هذا التبرج والتعجب ، والتشوف والتقصص ، والانشاء والانحاء ،
الذي يزيد في فساد السفهاء ، هو حب الانثى لان تكون زينة في الاعين وشغلا
للقلوب . وانها تكون كذلك في جميع الاعين وجميع القلوب اذا ظهرت بمظهر
الكمال والعناية ولم تلتفت لكلاب المبصعين ولم تكلمهن اذا تعرضوا لمكالمها
فان هذه الامايج التي تسمعها منهم تنقلب الى ضدها بعد ان تبعد عنهم فلا تسمع
ما يقولون ، فان سفهاء الناس وغوغاءهم لا يزالون يعرفون قيمة الفضيلة ويحترمونها اهلها
هذا اللين في العطف والخضوع في القول قد اطمأنا أصحاب القلوب المريضة في
كل امرأة تمر في الطريق فلا تسكاد تسلم من سفههم او عيبتهم امرأة ولا يعهد مثل
هذا المنكر في مدينة ولا قرية مثلما يوجد في هذه البلدة الظالم اهلها . وانا لتعجب
من ضعف غيرة الرجال التي اباحت لهم التساهل مع نساءهم حتى اباحوا لمن كل هذا
اننا ليسوءنا جداً ان نرى البنات ينشأن على مثال امهاتهن وعماتهن في هذا اللين
المذموم لا فرق بين المتعلقات منهن والجاهلات . وانا ليحزننا ان نرى التلامذة الذين
هم محل الرجاء ، مستتبين بسنة اولئك السفهاء ، حتى انك لاتكاد تجد فرقاً بين من نشأ
في المدارس ومن نشأ في الطرق والشوارع . رايت من ايام تلميذاً يمشي مع اخوانه
في السوق خارجين من المدرسة فر بامرأة فوضع يده على وجهها وعبت برفقها ولم
ار مثل هذه الوقاحة من غوغاء الحماشين ، فهل يمر البنات تطلع امثال هذا التلميذ

اليهن . وتصديه لاغوائهن ؟ وهل كان مغرمًا بتلك المرأة التي عبت ببقعها فكان الغرام هو الحامل له على اهانتها في السوق ؟ وهل مثل هذا الغرام - اذا فرض - مما يرغب فيه ؟ ان ما تقدم من القول هو مقدمات التصيحة التي اقدمها للقارئات والنتيجة المقصودة هي ان الإنسان يؤخذ دائماً من جهة ضعفه ومن الضعف في الانثى الانخداع لمن يظهر لها الحب والاستحسان . وان الرجال دائماً يخادعون النساء حتى ان احدهم ليثبت على النظار بالحب زمناً طويلاً ليصدق . فيجب على الفتاة المتعلمة ان لا تصدق احداً من هؤلاء الشبان الذين يظهرون لها الحب والغرام فان احدهم ليخاتل كل فتاة يراها بمثل هذه المخاتلة . ولو كان صادقاً فيها يظهر من الإعجاب بمحاسنها والرغبة في الاقتران بها وكان اهلاً لذلك لكان يغار عليها من نفسه ومن غيره فلا يعاملها بهذه المعاملة ، من البصيرة والمغازلة ، ولكنه يزيد على هذه الإهانة التي تكون منه في كل طريق ، بان يتحدث بها كل صديق ورفيق .

(الحسود المغمم) كتب ذو عمامة الى صاحب الجامعة يقره بالظلم في صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية) لأن صاحب العمامة حسد صاحب هذه المقالات على ما اوتيته من سعة العلم وقوة التأثير وعلو المكانة فحاول ان يطفى نار حسده بذنوب من ذنوب ذلك الظلم الذي امر به . ولكن صاحب الجامعة اعقل من صاحب العمامة وأعلم منه بقيمة تلك المقالات . وان انكر من قانتها ، ما عرف حكمته في اناسها وخاتمها ، وإنه ليعلم ان مثل صاحب العمامة معه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الخ فهو لا يراه الا بعين النقص ولا يعتقد فيه الا ما يليق به في رقة عقله ودينه . ولا يرضى لنفسه ان يكون مع صاحب العمامة كما كان صاحب الحمار . على ان الظلم في مثل هذه الحال ، على مثل ذلك المقال ، لا يزيد المطعون فيه الاحترام واجلالاً . ولكنه يسلي الحسود لأن عقله صغير ، وفكره قصير .

(مفكرة مطبعة الموسوعات) اخترع الافرنج هذه الدفاتر التي يسمونها المفكرة او المذكرة لاصحاب الاشغال الكثيرة من الحكام والتجار والمحامين . ولما رأت مطبعة الموسوعات ان المصريين يشترون هذه الدفاتر الافرنجية ويتعبون في كتابة التاريخ في كل صفحة منها بالعربية اصدرت في هذه الايام (مفكرة) عربية اسنة ١٩٠٣ وضمت التاريخ الهجري في كل صفحة منها الى التاريخ المسيحي . وجعلت في آخرها جداول لتحويل القود فجاءت خيراً من المفكرات الافرنجية . وجعلت في السخنة ١٢ قرشاً ونصفاً صحيحاً فهي ارخص من المفكرات الافرنجية وتطالب .

من الصعوبة وانتظر ان تصادف رواجاً عظيماً

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٢٠ — ١٧ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

المستقبل للمسلم

(بقلم صاحب المساحة السيد الشيخ محمد توفيق البكري شيخ مشايخ الصوفية (١))

— { الفصل الاول في رأس مال الاسلام } —

(المكان والسكان)

ان مستقبل الأمم يتوقف في الحقيقة على أمرين طبيعيين هما كثرة السكان وخصب المكان فاذا استوفت الأمة حظها من هذين الأمرين عظم مستقبلها بقدر ذلك مهما حرمت في الحل من الاسباب الأخرى الكسبية كالعلم والأخلاق والقوانين والحكومة وغير ذلك فان هذه جميعها يأتي بها دور الزمان ، وان آخرتها آتية طوارق الحدثان ، ولذلك قال (مونتورو) و (تين) وغيرهما ان مستقبل الصين أكبر من مستقبل أية دولة أخرى ومن شاهد رقي اليابان وما كانت عليه روسيا منذ ثلاثة قرون وما هي عليه الآن من ضخامة الساطان لا يشك في صواب ذلك القول المتقدم . وقد أشار ابن

(١) من قراء المارفي الاقطار النائية من لا يعرف البكري . هو من بيوتات الحسب والمجد وقد انخرط في صنفه بتاتي العلوم في مدارس أوروبا العالية وبنيلا رتبة قاضي عسكر من الدولة العالية . وهو في العربية خزنة الأدب ، ولسان العرب ، يشهد له بذلك شعر فحل ، ونثر جزل ،

خلدونه الى شيء من هذا حيث قال ان اتساع نطاق الدولة يكون بقدر اتساع عصيتها في الاصل . وقال الشاعر : وانما العزة للكثرة . فاذا تقرر ذلك علمنا أن مستقبل الاسلام كبير ، وشأنه خطير ، فان حظه من هذين الأمرين وافر ، وقسطه متكاثر ، واليك البيان اذا تأمل المسلم في مصوّر الجغرافية يجد ثلاثة عوالم قد تقسمت الارض وهي العالم الاسلامي في الوسط والعالم المسيحي عن يساره والعالم الوثني عن يمينه على هيئة قلب وجناحين . ويرى ان قسط العالم الاسلامي من هذا الاقسام عظيم ، ونصيبه جسيم ، فهو يمتد في فسحة من الارض يدوّها بحر الأطلنطيق ، ونهايتها رسيّف الباسيفيك آخذة من حواشي سيبيريا شمالا الى جزر المحيط جنوباً . أقاليم متصلة ، وأقطار غير منفصلة ، وأمصار متاخمة ، وأخفاف متلاحمة ، وبين ذلك قصور وخيام ، ودور وآطام ، ووبر ومدر ، ويدو وحضر ، بقاع هي أطيب المعمور رقعته ، وأمرعه نجمة ، فيها النيل والفرات ، وسيحون وحيحون ، فيها أوداء مصر ، وسهول الهند وميطان الصين وسواد العراق ، وبطاح الأناطول وجبالها ، وريف فارس ورمالها ، فيها مرقد النبي العربي الهاشمي ، ووطن المسيح بن مريم ، ومبعث موسى الكليم ، ومهبّط الوحي على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الى غير ذلك من هواء طاق ، وماء عذب ، وجوّ صحو ، حسنات وراء حسنات ، تقصر دونها الأمصار ، وتموت حسرة عليها الأقطار ، ذهب بعض مجوس الهند الى لوندرة فقال له بعض أهلها كيف أنتم تعبدون الشمس ؟ فقال المجوسي : وأنتم لو رأيتموها لعبدتموها



ثم ان هذه السعة في الارض والبسطة في الحصب التي رزقها العالم الاسلامي أصل كبير في نموّ أفراد وحسن حالهم اذ ارتباط المكان بالسكن في السعادة والشقاء والقلّة والكثرة امر مقرر في علم الاجتماع الانساني . قال (لوبون) : « ما دامت الارض القابلة للزراعة كافية للسكان يتأتّى لهؤلاء ان يزيدوا عدداً فيكثرون وينمون بالفعل فان تعادلات موارد الأرض وعدد السكان بقي هؤلاء على حالتهم لا يزيدون ولا ينقصون فان زاد عديدهم عن موارد الأرض وقعوا في افرة الشدائد والضيق وتواترت عليهم المصائب والأزمات الى ان تأتي حروب جارفة او اوثة قاشرة فتعدل الكفتين » . هذه حقائق بسيطة ومع ذلك قد نغيب من افهام كبار الحواص واشهر الكتاب فلا يفتأون يطلبون كل يوم زيادة السكان بأية وسيلة كانت بلا مراعاة لما

تقدم وقد وقع في مثل هذا الخطأ (جول سيمون) وزير معارف فرنسا السابق على سعة علمه حيث قال في خطاب ألقاه على مجمع المعارف سنة ١٨٦٨ : « ان من يمكنه ان يزيد سكان فرنسا مليوناً من النفوس يفيدنا أكثر مما يزيد حدودها بعض فراسخ من الأرض بواسطة الحرب والدم بألف ضعف ، وهذا كلام خلو من الصواب لأن من يزيد مساحة فرنسا يكثر مواردها فيجعل الزيادة في السكان محتملة ، ومن شك في هذه الحقيقة احثاه على قول استاذ لا يشق له غبار في هذا المضمار وهو (بيليج) الشهير قال : « قد اقتضت الحال زيادة السكان في بلدان أوروبا زيادة كثيرة غير طبيعية حتى احتلت النسبة بين عديدهم وبين غلات تلك البلاد فلا يمضي غير حقبة من الزمن حتى تعجز الأرض عما ينفي بحاجاتهم مهما انهكوا قواها بمختلف الأسمدة وعندها لا يحتاج الى نظريات عامية او قياسات قنية لإيضاح التاموس الطبيعي الذي يأمر الانسان بان لا يغفل عن المحافظة على ابواب رزقه ويعاقبه العقاب الأليم عند مخالفة ذلك . ولا يكون ثمة للام الأوربية من حيلة ولا مخلص الا ان تتفانى لتبقى فتري اذن امثال مجاعات سنة ١٣١٦ وسنة ١٣١٧ وحروب بعد ذلك تلها حتى يحمل الأمهات جيف القتلى لا طعام اطفالهم كما وقع ذلك في (حروب الثلاثين سنة) المعروفة فكل ذي دُرية وروية دقق النظر في امر ممالك أوروبا ومستقبلها يجد لها غير قائمة على اسس متينة بل على أسنة الإبر » اهـ



هذا : وربما ذهب بعض العارفين الى أن طبيعة أرض الشرق مفسدة للهمم ، مقعدة للأتم ، فلا تكون ادن هذه الأرضون من التعم ، بل من النقم ، وهذا رأي تفنده الأقيسة الصحيحة ، والآراء النافذة ، قال (فولتر) في دحضه مانصه : « سأل من يذهب الى أن طبيعة الأجواء يتوقف عليها حالة الأمة وأخلاقها لما قل الامبراطور (جوليان) ان الذي اعجب من أهل باريس هو متان أخلاقهم وأخذهم بالجد والصلابة والسكون في طباعهم . وهاهي أجواء باريس كما هي وأهاهي فيها الآن أخف احلاماً وطباعاً من فراشة . أطفال في زي رجال . وصغار وان كانوا كباراً . وهؤلاء المصريون الذين يصفهم لما المؤرخون بقوة الغزائم ومثانة الطباع وعظم الفتوح أصبحوا الآن امة رخوة ضعيفة الغزائم ، طعمة لكل آكل ، ولم لا يوجد الآن في أثينا مثل (أمقريون) و (ارستطاليس) و (زوقسيس) . ولم استعاصت روم . عن (شيشيرون) وعن (قاطون) وعن

(تليف) قوماً بهنا لا يحستون أن يقولوا ولا أن يعملوا . أعظم أمانهم يحصر في أن يكون الزيت وخص الثمن لديهم . وقد كان من عادة (شيشيرون) الخطيب الروماني أن يهزأ بالانكليز ويتنادر عليهم حتى أنه كتب مرة في رسالة لآخيه (أفانتوس) الذي كان ضابطاً مع قيصر في غزوة التي غزاها بانكلترا ينأله مستهزأ أن كان وجد ثمة فلاسفة كباراً أو رياضيين عظاماً . فهلا علم (شيشيرون) أنه نشأ بعده فيها أعظم فلاسفة العالم ورياضيه تحت تلك السماء المظلمة بعينها . هذه كلها أمثلة تدل أن ليس للأقليم أثر يذكر في ارتفاع الأمم وانخفاضها بل العوامل الأخرى مثل الحكومة أو الدين تفعل في ذلك أكثر منها بمائة ضعف .



كأن الله سبحانه وسعدانه أراد أن لا تنزع هذه البلاد الجميلة من أيدي المسلمين إذا أعجزهم الضعف يوماً ما عن صونها حتى يؤوبوا إلى القدرة على حفظها فجعلها شبه وقف عليهم وذلك أن جعل وسطها الطبيعي غير صالح لأن تعيش فيه الأمم المتغلبة الآن وهي الأمم الأوروبية وليان هذا قول :

قد تقرر في الطبيعيات أن الحيوان أو النبات أو الإنسان إذا نشأ في وسط طبيعي لا يعيش في وسط آخر غير مماثل له وأقيم على ذلك هناك البرهان . وعندهم أنه كما لا يمكن للأسماك أن تعيش في اليبس ، ولا للناقة أن تدوم في الماء ، ولا للنخلة أن تنبت بين صخور الجليد ، لا يمكن للانكليزي أن يستوطن الهند ، ولا لابن اللامان ، أن ينبت في السودان ، قال (لويون) في كتاب الفسيولوجي : « ذكر بعض المؤلفين أن الإنسان يمتاز عن الحيوان بكونه يعيش في كل جو وعلى كل أرض . وهذا خطأ عظيم ، وهم كبير ، فقد أثبت التاريخ مراراً أن أهل الشمال لا يمكنهم العيش في أرض الجنوب . انظر إلى البربر من أهل الشمال وبلاد الجليد الذين فتحوا أرض الرومان وسكنوا أقاليمها الحارة كيف لم يمض قرن واحد حتى أقامهم الموت وأتى عليهم القناء فلم يبق من الغوطيين واحد في إيطاليا . وهذه مصر حكمتها عشرون أمة فأكلتهم وبقي الفلاح المصري كما هو على أرضه . وكذلك عجز الرومان عن أن يستوطنوا أفريقية مع أنهم استوطنوا أسبانيا وأرض الجول حتى جعلوها بلاداً لاينية بحثة . ولا ريب أننا سنلاقي في الجزائر ما لاقاه فيها الرومان في سابق الزمان فهلك هذه الأرض ذراري فاتحها مالم يفسدوا كما يفعل الانكليز في الهند من إرسال أبنائهم ليتربوا في أوربا . وبالجملة إن الإنسان

إذا اختلف وسطه الطبيعي هلك وخصوصاً إذا جاء من الشمال إلى الجنوب، اهـ

جميع ما تقدم متعلق بالمكان أي مواطن الإسلام وببلاده. أما السكان وهم الأمم المسلمة فحدث ولله الحمد عن حصى البطحاء، ورمال الدهناء، وأنجوم السماء، كثرة آحاد، ووفرة أعداد، فن هؤلاء في أفريقيا مآري:

في مراکش	٩ ٠٠٠ ٠٠٠
الجزائر	٤ ٥٠٠ ٠٠٠
تونس	١ ٥٠٠ ٠٠٠
طرابلس	١ ٤٠٠ ٠٠٠
مصر	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠
السودان المصري	٦ ٠٠٠ ٠٠٠
الصحراء الكبرى	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
السودان الذي تحت حماية فرنسا	١٣ ٠٠٠ ٠٠٠
السودان الذي تحت حماية انكلترا وفي النيجر	٩ ٠٠٠ ٠٠٠
السودان الاوسط كواداي وباجرمي ونحوهما	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
الكونغو	١ ٥٠٠ ٠٠٠
توبوقامرون	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
الأوغندا	٣ ٠٠٠ ٠٠٠
الأريطرا والحبشة	٣ ٥٠٠ ٠٠٠
موزمبيق ومدغشقر والكاب والزننجبار وأبوك وأفريقيا الوسطى	٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠
مجموع ما في أفريقيا	١٠٥ ٤٠٠ ٠٠٠
وفي أوروبا مآري	
في تركيا أوروبا	٢ ٥٠٠ ٠٠٠
البوسنة والهرسك	٧٠٠ ٠٠٠
البلقار والروماني الشرقي	١ ٠٠٠ ٠٠٠
رومانيا	٦٠ ٠٠٠
المجموع	٤ ٢٦٠ ٠٠٠

٦٠٦ المستقبل للإسلام — المكان والسكان

في الصرب	٢٠ ٠٠٠
الجيل الأسود	١٠ ٠٠٠
اليونان	٣٠ ٠٠٠
روسيا أوروبا والقفقاس	٢ ٥٠٠ ٠٠٠
مجموع ما في أوروبا	٦ ٨٢٠ ٠٠٠
وفي آسيا ما ترى	
في الأناطول	٧ ٠٠٠ ٠٠٠
أرمينية	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
العراق	٢ ٥٠٠ ٠٠٠
الشام	٢ ٠٠٠ ٠٠٠
جزيرة العرب	١٢ ٠٠٠ ٠٠٠
العجم	١٢ ٠٠٠ ٠٠٠
روسية آسيا	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠
أفغانستان	٩ ٠٠٠ ٠٠٠
بلوچستان	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
الهند	٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠
سيام	١ ٠٠٠ ٠٠٠
الهند الصينية	٢ ٠٠٠ ٠٠٠
الصين	٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠
مجموع ما في آسيا	١٩٧ ٠٠٠ ٠٠٠
وفي الأقيانوس ما ترى	
في فيليين	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
سوماطرا	٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠
الجاوا	٣٧٠ ٠٠٠ ٠٠٠
بورنيو	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
ماليزيا وغيرها من الجرائر	٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠
مجموع ما في الأقيانوس	٥١٠ ٠٠٠ ٠٠٠

فهذه ثلاثمائة وستون مليوناً من النفوس خائف لتلك الساف الذين يقول الله سبحانه فيهم « محمدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغَاطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا »



وهذه الأمة الكريمة ان حرمت الآن كثيراً من أسباب العلم والعمل فإنه لم يزل في أمرجتها آثار شريفة وصفات قويمه من أثر دينها وارث سابقها يمتاز به على كثير من الأمم. قال القسيس (اسحاق طيلر) « ان الاسلام يمتد في أفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار الكرم والعفاف والتجدة من آثاره، والشجاعة والإقدام من أنصاره، ومن الأسف ان السكر والفحش والقمار تشر بين السكان بانتشار دعوة المبشرين » وقال (كونتنس) : « يمتاز المسلمون في الصين على مواطنهم من الوثنيين برفعة في السحايا وشرف في الاخلاق قد طبعت في نفوسهم ونفوس آباؤهم وصايا القرآن بخلاف الوثنيين فاتهم في سقوط تام من حيث ذلك »

ومن أهم النعوت التي يمتاز بها المسلم عزه النفس فهو سواء في حال يؤسه وبعيه لا يري العزة الا لله ولرسوله وله. وهذه الصفة التي غرسها الدين في نفوسهم اذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع لها الى التسابق الى عايات المدنية ورقيات الكمال. وان أردت فالح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا تجد من فتور في حركاتهم وقصور في همهم وخصوصاً اذا بي عايتهم الجهل فطخوا أنهم أدنى الملل كضائفة الدهر ومالك.



ثم ان هذه الأمم الاسلامية وان اختلفت بهم البلدان وتبايت البقاع والميطان، وتنوعت الاجناس واختلفت الألسنة فقد وحدتهم وحدة الاسلام وجمعهم جامعة الدين وهي جامعة كبرى تتلانى امامها الحامات الصغرى وتامى الفروق فيكون جميع المسلمين بها اخواناً. قال تعالى : « نَمَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس ما من داء الى عصىة ، فوطن المسلمين هو مجموع الأمة الاسلامية في الدين

وهو الذي قيل فيه : حب الوطن من الإيمان . (١) وایس المراد به حب التربة والمسكن والاهل والعشيرة ولو كان كذلك لما كانت الهجرة في الاسلام . ولما نطق الكتاب بالحث عليها والامر بها . قال الله تعالى : « وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » فمن قال من المسلمين في أية بقعة من الارض (وطني) فقد قال (ديني) وقال تعالى : « إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » وقال سبحانه : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » ولهذا ترى المسلمين مهما تباعدوا او تباغضوا لا تزال تعمل هاته الى الجامعة عملها فيهم يسرون لسرور بعضهم ويحزنون كذلك وان افترقت بهم البلدان ما بين المشرق والمغرب . وقد عظمت الصلابة في هذه الجامعة الدينية والرابطة الاسلامية حتى سماها غيرهم الآن (تعصبا) (٢)

على ان التعريف بالوطن على هذا النحو هو غاية ما ترقى اليه الامم ، وتنبعث نحوه الهمة ، قال آدمون ديمولان : والمهاجر من الانكليز السكسونيين يشعر دائما بأنه انما يرحل عن بلده مستصحباً لوطنه اذ هو يرى الوطن حيث يعيش المرء حراً ثم قال : « والنصر كل النصر للامم التي وطلدت أركان نظامها على دعائم هذه الوطنية » والتعريف بالجامعة أيضاً على مثال ما تقدم سير مع سنة العمران وذلك ان أول اجتماع للانسان كان على شكل جماعات صغيرة جامعتها النسب كبنى دار وبني أسد وبني شيبان الخ ثم ارتقى الى جماعات أكبر من الأولى جامعتها الجنسية وهي التي عليها الامم الآن ويقول العلماء انه سيرتقى الى جنسيات كبرى واحدة جامعتها الانسانية

-
- (١) المار — اشهر ان هذه الكلمة حديث وقد نهينا غير مرة على أنه موضوع
- (٢) ان في مصر من أحداث السياسة من يكتب ويخطب لينسخ هذه الآيات الكريمة ويفرق هذه الجامعة بكلمات سخيفة مثل « الوطنية الحققة » و« الدخلاء » فهذه الوطنية الباطلة لا ترضى الاسلام والمسلمين ولا غيرهم من وطنيين ومهاجرين لأنها هضمت كل حق . أما الجامعة الاسلامية قائما تعطي كل ذي حق حقه « لهم مالنا وعائهم ما عاينا » ولئن وجد شيء من التعصب في بلاد المسلمين قائما وجد بتراخي عرى هذه الجامعة العادلة كما يبناء مرارا

ونرى الأمم تقرب من تلك الغاية النهائية بتأليف الأجناس المتقاربة الى جنس أعم كسبي الجرمان والسكسون والسيلاف واللاتين في ذلك الآن . فإذا تبين هذا كانت الجامعة الإسلامية التي أصعفت بل لاشت جامعات الأجناس ونقاتها الى جامعة عظمى يكون فيها كل مسلم اليوم عبارة عن ٣٦٠ مليوناً خطوة كبرى في السير نحو تلك الجامعة التي ستضم أفراد الانسان والتي يسمى وراءها الاسلام من ثلاثة عشر قرناً . (١) ف شأن الجامعة الإسلامية أشبه بحال الجامعة الأمريكية التي تضم الأجناس المختلفة فيها شرقاً وغرباً لتأييد مبدأ (موزويه)

ولا يقول بعض جيراننا من المسيحيين ان التثبيت بالجامعة الإسلامية يفقد المسامين الارتباط بهم فانهم لو صدقوا في هذا القول لفقد المسامون بذلك عشرة ملايين نفس هم كل المسيحيين الدين في بلاد الاسلام وكسبوا ٣٦٠ مليوناً من اخوانهم . على ان الامر ليس كذلك فان رابطة الذمة تقوم مع هؤلاء المسيحيين مقام الدين فلا يحرم الفريقان من التعاون واتعاصد للعمل وقد أمر القرآن بمزيد الحسنى معهم قال تعالى : « لَا يَنْهَى كُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا تَوَكَّلْتُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » هذا وان الاسلام آخذ في الازدياد والمو في اكفاف الارض بكيفية تستوقف البصر ، ونحير الفكر ، بل هو كلما حزته الاعداء ، وضابقت الأواء . اربى في النماء ، كالشجر اذا شذب منه زاد ، او الأتي ذاتاً طريقه غرق البلاد . وقد جزم العارفون وفي أولهم علماء الأفرنج انه لا يمضي حرس من الدهر حتى يربو على جاريه المسيحي والوثني وعدد الأول الآن (٤٢٠) مليوناً والثاني (٥٠٠) مليون . وذلك لأن نسبة الزيادة فيه والزيادة فيما محلفة جداً حتى تكاد تكون كالفرق ما بين اشي وراكب الهللاج . كان سكان مصر سنة ١٨٨١ ستة ملايين فاصبحوا سنة ١٨٩١ نحو عشرة ملايين وكان مسلماء الهند سنة ١٨٩٢ (٥٧) مليوناً انصاروا سنة ١٩٠١ (٩٠) مليوناً وعلى هذا فقس مسلمي الصين والسودان وغيرهم . وهذا شيء لا يوجد مثله في الأمم الأخرى . قال ديمولان : يتضاعف عدد سكان فرنسا في ٣٣٤ عاماً وسكان ألمانيا

(١) المنار : يراجع القراء مقالة الجنسية والدين الاسلامي في المجلد الثاني من المنار (ص ٣٢١) ومنها يعلم ان الاسلام هو الذي جاء لجمع البشر كما هم فهم يسمعون اليه ولا يعاونون

في ٩٨ عاماً وانكلترا في ٦٣ عاماً واستريا في ٦٢ عاماً
والاسباب في انتشار الاسلام وازدياده في كل صقع وقطر من أحشاء افريقية
الى ميطان الصين الى جزر المحيط كثيرة نذكر بعضها فنقول

(السبب الاول) — سلامة العقيدة الاسلامية وسهولتها . قلت مرة لاسيد جمال
الدين الافغاني ماهودين المستقبل؟ فقال لي هذه الآية من كتاب الله : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِّينَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » . وقال دي كاستري في مؤلفه عن
الاسلام : « هكذا جذب الاسلام قسما عظيما من العالم بما أودع فيه من اعلاء شأن النفس
بتصور الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها خمس صلوات في كل
يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث اباح للناس شيئا مما يشتهون . واعظم
عامل في انتشار الاسلام خصوصاً عند الأمم الزنحية (السود) بساطة مذهبه وسداجة
تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم الطباع . دين لا اسرار فيه
وكلمته (اي كلمة الشهادة) يتناض عنها عند الاحتضار بآشارة تدل عليها كرفع السبابة
الى السماء اشارة الى وحدانية الله تعالى فكلما وجد الرجل الجاهلي امامه دينين
متحدين في حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح — وهما الاسلام ودين عيسى — تراه يختار
الدين الذي لا يزيد شيئا على نيك الحقيقتين ويعتق الاسلام بلا محالة وهي قوة بفضل
بها القرآن الديانة المسيحية في الانتشار وكانت معروفة عند أهل القرن السابع عشر لذلك
قرأ في كتاب القس (ماراشي) الذي سماه (الرد على القرآن) : « ولا يغيب عن ذهن
القارئ ان تلك الطائفة . . . لا تزال حافظة لكل مافي الدين المسيحي من الامور
الظاهرة الواضوح القريبة التصديق مضافاً اليه ما يوافق نظام الكون وقانون النشأة
الدينية فقد أبعد عنه احاجي الانجيل التي نخالها في أول الامر غير صحيحة لا تدركها
العقول كما انه جرد تعاليمه من كل قاعدة يشدُّ بها الحقائق على البشر مما جاء في ذلك
الكتاب وبهذه الوسطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحس كل واحد منا بانهما
الحاجز بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو
السبب في أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في أيامنا هذه يتناضون عنه بالاسلام
دون الديانة المسيحية » اهـ

وقال (اسحق طيلر) : « ليس أمر المسيحية واقفاً عند المعجز عن إحداث

مواطنٌ جديدة لأقدامها فقط ولكن المقام الذي هي فيه قد تعجز عن حفظه أيضاً .
أن دين الإسلام قد انتشر آنفاً من مراكش الى جاوا ومن زنجبار الى الصين وهو
الآن ينتشر في افريقية بسرعة لا يأتي عليها الوصف وانتا ترى الإسلام أوفق ما يكون
لهذيب الأمم المتوحشة وترقيتها . أما الديانة المسيحية فلا تملكها عقولهم وبذا قد دفع
الإسلام المدنية أكثر مما تفعلها المسيحية . اذا دخلت الديانة المحمدية في قبيلة زنجية تحت
عبادة الأوثان وأبطلت أكل لحوم البشر ووآد الأطفال وأنشأت فيهم النظافة وعزة
النفس والوقار وكرم السجاياء فيصير قرى الضيف بمنزلة الفريضة الشرعية ويندر السكر
والقمار والمراقص الخزية وتعد العفة في الأنث من خلائق التقوى ويفشو التناصح
بالاحسان والأخوة بالوجدان » (*)

(السبب الثاني لانتشار الإسلام) — موافقة أحكامه للفطرة الانسانية وابتنائها على
الحكمة العقلية . قال (لوشاتليه) في كتابه المسمى (الإسلام في القرن التاسع عشر) :
« إن نمو الإسلام في الهند أمر لا ينكر وسيه في الغالب حكم المساواة بين
الناس الذي سنته الشريعة الاسلامية وذلك ان أهل الهند بحسب مذاهبهم القديمة
ينقسمون الى طوائف لا ينبغي لطائفة منها أن ترقى الى الطائفة التي فوقها فمن ولد
منهم في طائفة دنيا لا يجد له مخلصاً الارقاء الى الملاء والحلوص من قيد الطائفة الا
اعتناق الإسلام » وقال (لودوفيق دوكتاسون) في كتابه المسمى (النصرى والإسلام) :
« لا يصل أهل الهند الى أن تكون لهم حكومة وطنية مستقلة الا اذا ذهب من بينهم
التخالف في المذاهب والطوائف والاجناس ولا يكون ذلك الا اذا ساد فيهم الإسلام
الذي يبيد جميع هذه الفروق ويقيم اركان المساواة والإخاء والحرية التي هي من قواعد
الديانة الاسلامية » (١)

(السبب الثالث) — وهو أهم الأسباب حذق دعاة الإسلام وهم الصوفية . الصوفية
جمعية في الأمة الاسلامية مرتبة النظام ، منظمة الهندام ، يبلغ عددها مائة مليون من النفوس
فهي أكبر جمعية في الدنيا لا يضارعها البوكسر في الصين ولا الطوائف الدينية في

(*) تراجع مقالات اسحق طيلر وخطبه في المنار (١) إن من أحداث السياسة
في مصر من يحاول إبطال هذه المزايى الاسلامية بضمه وقلبه لغواً بالوطنية ويزعم مع
ذلك انه يخدم مصر والإسلام !!!

أوروبا وغيرها وقد قامت هذه الجمعية بالدعوة الإسلامية مقاماً عجيباً (١) . قال بعضهم : « ان العالم الإسلامي وقف عن التقدم والغلب امام الدول الأوروبية من مدة مديدة فاستطالت هذه الدول على الممالك الإسلامية وغابت الكثير منها بالقوة »

(١) للصوفية (علم وعمل) أما العلم فهو العقائد والقواعد والاحكام المعروفة في كتب التصوف كالفتوحات ، والفصوص ونحوها وأما العمل فهو ارشاد المسلمين ودعوة غير المسلمين الى الاسلام .

وانا نرى في هذه الايام من بعض متوري الكتاب انكاراً وتزيباً على عقائد الصوفية وطلباً لتلاشي هذه الجمعية من بين المسلمين بسبب ذلك قال بعضهم : « ان هذا المذهب دخل الى الاسلام من القرن الثاني مع ما دخله من المذاهب اذ ذاك وانما نقل اليه من الفرس بدليل ان مشائخه الاولين كلهم أعاجم كالجنيد النهاوندي وأبو يزيد البسطامي وإبراهيم ابن أدهم البلخي وبشر الحافي المروزي وسهل التستري الخ وبدليل انهم جعلوا سند الطريق الى علي رضي الله عنه دون غيره ولا يفعل ذلك الا الفرس الذين هم شيعة . وبدليل انه كان مدوناً في كتب الفرس واشعارها قبل الاسلام وقد نقله الفرس عن اليونان اذ كان عندهم مذهباً للحكام الاشراقيين . وأخذ هذه اليونان من الهنود الاقدمين اما بواسطة قنوح الاسكندر أو قبلها . قال ابو الريحان البيروني في كتاب الهند عند ذكر اعتقاد الهنود في الموجودات العقلية والحسية مانصه : (ان قدماء اليونانيين قبل ظهور الحكمة فيهم بالسبعة المسمين أساطين الحكمة وتهذب الفلسفة عندهم كانوا على مثل مقالة الهند وكان فيهم من يرى أن الاشياء كلها شيء واحد (وحدة الوجود) ثم من قائل في ذلك بالكمون ومن قائل بالقوة وان الانسان مثلاً لم ينفصل عن الحجر والجماد الا بالقرب من العلة الاولى بالرتبة والا فهو هو ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لا ستغنائها بذاتها فيهو حاجة غيرها اليها وان ماهو مفقتر في الوجود الى غيره فوجوده كالحبال غير حق والحق هو الواحد الأول فقط . وكانت هذه الآراء (السوفية) أي الحكماء فان سوف باليونانية معناها الحكمة وبها سمي الفيلسوف أي محب الحكمة ولما ذهب في الاسلام قوم الى قريب من رأيهم سموهم باسمهم ولم يعرف اللقب بعضهم فذهبهم بالتوكل الى الصفة وأنهم أصحابها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصيره بعضهم من الصوف وعدل أبو الفتح البستي عن ذلك أحسن عدول في قوله :

العقلية والمادية ولكن الذي أعجزها وضاعت معه قوتها وحياتها هم الصوفية . فالصوفية هم في الحقيقة القوة الدالة على الحيوية والنماء في العالم الاسلامي فزاهم في افريقية

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قدما وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أتخل هذا الاسم غير فني صافي فصوفي حتى لقب الصوفي
وكذلك ذهبوا الى أن الموجود شيء واحد وان العلة الأولى تترأى فيه بصور
مختلفة وتحل قوتها في أبعاضه بأحوال متباينة توجب التغير مع الاتحاد (الحلول
والاتحاد) وكان فيهم من يقول ان التصرف بكنيته الى العلة الأولى منشأ بها على
غاية امكانه يتحد بها عند ترك الوسائط وخلف العلائق والموائق (الرياضة والتجرد) .
وكانوا يرون في الأنفس والأرواح أنها قائمة بذواتها قبل التجسد بالابدان
معدودة مجتدة تتعارف وتتأكر وأنها تكتسب في الأجساد بالخيرورة ما يحصل لها به
بعد مفارقة الابدان الاقتدار على تصاريف العالم ولذلك سموها آلهة وبنوا الهياكل
بأسمائها وقرنوا القرايين لها كما يقول جالينوس في كتاب الحث على تعلم الصناعات
(أصحاب الكرامات) اه كلام البيروني

قالوا والوصول الى المعرفة عند الصوفية ليس من طريق النظر والتجربة بل
من طريق الرياضة وكل ما يفعله الصوفية الآن من الاهتزاز الشديد في الذكر ونحوه
هو لتخليص النفس من الحس حتى تتجلي لها المعرفة بقدر ذلك ولا شك ان هذه
جميعها عقائد وقواعد يجب الماؤها لأنه لم يجيء بها كتاب ولا سنة . اه

أقول هذا تهور وخطل وبعد عن الصواب اذ كيف يجوز لمسلم أن يطالب ايقاف
الحركة التي يعترف الافرنج أنفسهم بأنها الحركة الحية الوحيدة الباقية الآن في الاسلام
والتي فتحت للاسلام الآن قدر ما فتحت سيف الفاتحين الأولين أما الطريقة لاصلاح
حال الصوفية ونفي الضار عنها وإبقاء النافع فيها فهي ان نجعل (العلم) عندهم هو
علم الشرع الاسلامي بلا زيادة ولا نقص و (العمل) يبقى موضوعه على ما هو عليه
فيكون عبارة عن ارشاد المسلمين الى الشريعة المطهرة ودعوة غير المسلم الى الاسلام
وبهذا يكون التصوف عبارة عن (علم بالسر وعمل به) ويقوم مشايخ الصوفية
اذن بركني التعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المذنبين حث عليهما الكتاب
الكريم قل تعالى (ولئن كن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر) وقال تعالى (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

وفي الصين والهند وأواسط آسيا بل في جزائر المحيط يدعون إلى الإسلام ويدخلون الأفواج فيه كل يوم حتى أن الخطوط التي ترسم في أفريقية لبيان حدود الإسلام وراء خط الاستواء تنقل متقدمة إلى الجنوب في كل عام من أثر فتوحات مشايخ الطرق في مجاهل أفريقية . وما دخل الفرنسيين قرية في الكونغو إلا وجدوا الصوفية قد سبقوهم إليها وزرعوا بنض الناس لهم فيها . ومن أطلع على المؤلفات الكثيرة الأوربية التي تؤلف في هذه السنين في أوربا عن أحوال الصوفية وتاريخ الطرق وكيفية سير أهلها في الدعوة علم أن مسألة الصوفية هي المسألة الشاغلة للباحثين عن حالة الإسلام الماضية والمستقبلية

وقد بلغ من العناية بهم أن والي الجزائر كلف جمعية برئاسة (اوكتاف دويون) عن البحث في أحوال الصوفية فعملت وطبعت أعمالها في مؤلف ضخمة ورسمت خريطة عامة يبين منها ما يوجد من الطرق والطوائف في كل بلد من بلاد الإسلام بعلامات مخصوصة حتى تستقصى منها حركاتها وتنقلاتها في الأقاليم اهـ

وقال دي كاستري : « قد فطن المسلمون إلى ما أحرق بهم من الأخطار و أرادوا تمكين الجامعة وتوحيد الروابط بينهم وهي عند المسلمين أشد قوة منها لدى غيرهم من الأمم التي تدين بدين واحد لأن القرآن شريعة دينية وقانون مدني وسياسي ومن ذلك وجدت حركة في النفوس غايتها مقاومة التصراية بجميع الوسائل الممكنة وعلى الخصوص مغالبة التمدن الجديد باسم الإيمان . قال القائد (رين) وتأتي قوة هذه الحركة الإسلامية من تعدد الطرق الصوفية التي وجدت من أول هذا القرن وعظم شأنها في جميع الأنحاء وصار لها تأثير شديد في قلوب الناس ولهم رسل ومريدون يطوفون البلاد الإسلامية التي لا حد لها وغير الإسلامية كمبشرين أو مستعطين أو قاصدين للحج . ويصلون بهذه الكيفية بين الأقطار من مكة إلى جنوبي إلى القسطنطينية وبغداد إلى فاس وتنكتو إلى القاهرة إلى الخرطوم إلى زنجبار ثم كلكتا وجاوه ومنهم التاجر والمنجم وطالب العلم والشحاذ والمجذوب وكلهم يلاقون صدوراً رحيمة ومنزلة كريمة بين المؤمنين اهـ

قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .) وتكون جمعية الصوفية في الدنيا أشبه بمدرسة عظمى فيها المشايخ والخلفاء أساتذة والمريدون من الكافة تلامذة قد وضعوا أنفسهم تحت التعلم ومراقبة العمل به مدى العمر اهـ مؤلف الرسالة

وقال (كونتانسون): نرى حركات كثيرة وأعمالاً كبيرة يقوم بها المهديون أو الأمراء في العالم الإسلامي ثم تزول كأن لم تكن . أما العمل الثابت الدائم فيه فهو عمل الصوفية فالفضل لهم في انتشار الإسلام شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً. وقال (شاتليه) بعد أن اطلال في وصف انتشار الإسلام في الدنيا وعزاه لمساعي مشايخ الطريق : « والخلاصة أن الإسلام مدين بكل فتوحاته السامية وانتشاره في الاقطار لجماعة الصوفية فمشايخ الطريق هم في الحقيقة الذين يديرون حركة الإسلام الحية . ولا يخفى ما في عملهم هذا من الخطر على المصالح الأوربية »

(السبب الرابع) تعدد الزوجات وهو الأمر الذي به يتفق للمسلم الواحد أن ينسل خمسمائة نسمة وفي الحديث « تناكحوا تكاثروا فإني مياء بكم الأمم يوم القيامة » (١) وقال تعالى في حكاية دعاء إبراهيم وإسماعيل : (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ)

قال دي كاستري أيضاً: « ومن الوسائل الناجحة في المسلمين لانتشار الإسلام الزواج فإن سلاطين السودان يتزوجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولا تمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الأسباب لانتشار الدين الإسلامي وقد أشار موسيو (رونان) إلى ذلك في بعض كتبه حيث يقول (من الصعب أن يصم المرء أذنه إذا تقدمت إليه النساء والأطفال ومد كل يديه إليه وطلب منه أن يعتقد بمن نعتقد) على أن الزواج هو السبب في وجود انصار الإسلام الأولين »

(السبب الخامس) — بغض الأمم الوثنية للمسيحيين وميلهم إلى المسلمين بالقطرة قال (كونتانسون): « إن مما أعلی كعب الإسلام على النصرانية في الصين عناية ملوك الصين بالمسلمين من قديم فهم يمنحونهم على الدوام من المراتب والألقاب والمنح ما يؤمنونه النصارى. وقال بعض الكتاب : « قدماً لأوروبيون بلاد الصين بجماهير المرسلين من كل ملة ونحلة وسهلوا لهم سبل التملك ووعدهم بالمساعدة فأدخل هؤلاء المرسلون بعضاً من أهل الصين في دينهم بعد ما وعدوهم بالحماية الأجنبية من كل ساطة للقانون فجرأهم ذلك على ارتكاب ما تحرمه القوانين والاعتداء على أهل البلاد فتجهم عن هذا معظم الأسباب التي أوجبت كره أهل الصين للمسيحيين كرها يشبه التعصب

(١) النار : رواء عبدالرازق في معنفة من حديث سعيد بن أبي هلال مرسلًا بسند ضعيف. ولكن ورد بمعناه في مكاثرة النبي الأمم والأنبياء بأهله ما يقويه

وبالجملة إن الأوروبيين القائلين بالمساواة يعاملون اللون الأبيض من بني الإنسان معاملة الأخ لأخيه واللون الأصفر معاملة الرجل لخدمته واللون الاسمر معاملة السيد لعبده ويطلقون الرصاصة على ذي اللون الأسود كما يطلقونها على الوحش الضاري فالإنسان كلما مال لونه الى السواد كان نصيبه من هؤلاء الخذلان وفاحش الامتهان . ولهذا كان كره الأمم الشرقية لهم متكاثراً وحقدهم عليهم عظيماً .

وقال (فيلكس مارتان) في كتابه عن اليابان مانصه : « وقد استأصل أهل اليابان جميع النصارى فلم يبقوا مبشراً الا شردوه ولا قسيساً الا قتلوه وكان قد تنصر من أهل اليابان ٣٧ ألف نفس قاعدموهم قاطبة » . وقال أيضاً : « ان الصبغة التي تغطي كل مشكلة أو نورة في اليابان الآن لتجمعها مقبولة من الناس هي الحركة ضد الافرنج » . وقال أيضاً : « كل من زار اليابان من الاوربيين يعلمون بان الحالة اليوم كما كانت في الازمنة السابقة وان الافرنج في اليابان كأنهم في دار حرب أو بلد عدو وانه لو كشف الغطاء عن الياباني الحالي وزخرفه لوجد انه ذلك (الساموري) القديم الذي يغلي دمه بعداوة الافرنج عداوة ورائية فيهم لا فرق فيها بين الكبير والصغير والامير والحقير » . وقال هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً في مقالته عن الاسلام : « وقد انبعثت شعبة منه في بلاد الصين فانتشر فيها انتشاراً هائلاً حتى ذهب البعض الى القول بأن العشرين مليوناً من المسلمين الموجودين في الصين لا يباشرون أن يصيروا مائة مليون (١) فيقوم الدماء لله مقام الدماء لساكياموني) و ليس هذا بالأمر الغريب فانه لا يوجد مكان على سطح المعمورة الا واجتاز الاسلام فيه حدوده منتشراً في الآفاق . فهو الدين الوحيد الذي امكن اعتناق الناس له زمراً وأفواجاً وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل الى اتنين به كل ميل الى اعتناق دين سواه . ففي البقاع الافريقية ترى المرابطين وقد أفرغوا على أبدانهم الحلل البيضاء يحملون الى الوثنيين من العبيد العارية أجسامهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك في هذه الدنيا كما ان أمثالهم في القارة الآسيوية ينشرون بين الشعوب الأصفر اللون قواعد الدين الاسلامي ثم هو — أي هذا الدين — قائم الدعائم ثابت الاركان في اوربا عنها — أعني في الاستانة — حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جراثيمه من هذا الركن المنيع الذي يحكم على البحار الشرقية ويفصل الدول الغربية عن بعضها شطرين »

(١) المنار : جاء القاهرة في هذه الأيام تاجر بلوحي مسلم ذهب الى الصين مراراً فأكد القول بان مسلمي الصين يبلغون ٨٠ مليوناً وان عامائهم يهزأون بقول الاوربيين أنهم ٤٠ مليوناً

وقال آخر : ان الاسلام في الصين أربعين مليوناً من النفوس وان للمسلمين عند أهل الصين منزلة عليّة . قال موسيو (وازيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي : ان مصيره القيام مقام مذهب (ساكياموني) (١) وان لمسلمي المملكة السهاوية اعتقاداً جازماً بأن الاسلام لا بد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة وهي مسألة من أهم المسائل اذ الصين آهلة بثلاث العالم او تزيد فلو صاروا كلهم مسلمين لاوجب ذلك تغييراً عظيماً في حالة تلك البلاد باجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الأكبر الهادي ويختفي على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم ان أمة الصين أمة عاملة وان هدأت أخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عمارها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذو البأس القوي لحشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها (٢) وقال موسيو (مونطيط) لقد صار من المحقق ان الاسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية .

وقال شاتليه (ان من تأمل حال الاسلام في القطرين اللذين هما أهل أقطار آسيا بل أقطار العالم — الهند والصين — يجد أن الاسلام وحده يتقدم وينمو على حين يرى غيره من الديانات القديمة تتداعى وتضعف والمسيحية لا تكاد تثبت)

وقال آخر بعد ان وصف فتوح الاسلام في الديانات الأخرى وعجز الآخرين عن الفتوح فيه : (ولم ير المبشرون في طريقهم بلداً قامت في وجههم سدوده وأقفلت دونهم أبوابه مثل بلاد الاسلام ومن الصعب أن يكيف الانسان حالة مسلم يريد أحد المسيحيين أن ينصره حتى لو شبهناه بمسيحي مستير يريد وثني أن يميل به الى عبادة الاصنام لكان التشبيه ناقصاً)

وقد ملأت هذه الفتوحات الاسلامية قلوب الأمم الأخرى وبلبات بلباهم حتى عدوها من الخوارق وبنوا أسبابها على ما وراء الطبيعة

(١) هو احد ملوك الصين تخلى عن الناس في التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العائد او المتور ووضع المذهب الذي اتخذته الصين والهند ديناً وكان ظهوره في القرن الحادى عشر قبل المسيح وقيل في القرن السابع وهو الأرجح (٢) راجع كتاب موسيو دابري المسمى الديانة المحمدية في الصين وتركستان الشرقية المطبوع في باريس سنة ١٨٧٨ هـ من هامش كتاب الاسلام لدي كاستري

قال دي كاستري : « هذه هي أهم الأسباب في انتشار الاسلام ولست أدري ان كانت تكفي لإدراك سر هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية غير ان الاسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الارض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة

« ونحن نعلم ان يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيراً وكرّر له ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى لكونه من أولادك وأعاد يهوذا هذه البشري مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي نجاني الصحراء حيث رمي ليموت عطشاً وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجل الروايات ووصف بادية الظماء ولطف الام على ولدها من ألطف ما يقال (نضب الماء في الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلاً ثم جلست أمامه على مسافة مرمى النبل وقالت لست أصبر ان أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء وقد كان بكاء الطفل سببها الى السماء فناداها الملك من قبل الله : مالك يا هاجر لا تخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذي وضعته فيه فقومي وساعديه على القيام وليشتد ساعدك على حمله فسيكون من ذريته أمة كبرى)

« ولقد ارتعشت يدي عندما مددتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أنقل الآيات التي سطرتها ولولا مقاله الاب بروغلي من أن تقدم الاسلام أمر مندرج تحت مابشر به أبو المؤمنين لما تجرأت ان أطبق تلك الآيات على الاسلام ولا ذهبت الى أن في انتشار هذا الدين سرّاً من الاسرار الربانية » اهـ

هذا ما أردنا بيانه في هذا الفصل ومنه يعلم أن حظ الاسلام من الارض أوفر حظ وان ارضه له لا يمكن أن ينتزعها منه غيره وان عدد المسلمين كثير وان صفاتهم الفطرية قويمة، وجاءتهم الدينية عظيمة، وانهم يزيدون زيادة تستوقف الابصار، وتخير الافكار، وانه لا يتسنى لغيرهم أن يجاريهم في هذا المضمار. واذا كان الامر كذلك كان رأس مال الاسلام من الاصليين الطبيعيين الضروريين مستقبل الامم كيرا في الحال، أكبر من غيره في المستقبل، ولا ينقصه الا الامور الكسبية والاسباب الوضعية التي لا بد أن تدفعه طبيعة العمران لتحصيلها شاء أو أبى. فيصل الى ما قدره له الله من السعادة والعلاء والمجادة والله در القائل:

لى في ضمير الدهر سر كامن لا بد أن تستأه الاقدار

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في أسباب الانحطاط)

« الجهل »

اختلف العلماء واختلف العقلاء في أسباب انحطاط الأمم وارتقائها وانقسموا في ذلك الى فريقين وهما

(الفريق الاول) — يرى هذا الفريق ان الأمم في ارتفاعها وانخفاضها أشبه بالإنسان في أدوار عمره لا تكبره الإرادة ولا تضره الصنعة فهو اذا جاء زمن النشئ مثى وحده واذا جاء زمن النطق نطق كذلك. وان الجمعيات الإنسانية مسيرة بناموس طبيعي كالناموس الذي يسير الكواكب في أفلاكها . وان الجمعية الحالية هي نتيجة ضرورية لماض طويل الأمد ، وأنها حاملة معها جميع بذور التحولات والأطوار التي لابد لها من المرور عليها في رقيها وانحطاطها . وانه بذلك تكون الجمعية كالشخص لا يبلغ سنًا مالم يمر بالأدوار التي تفصله عنه وان تأثير الإنسان في هذا السير هو كتأثير الطبيب في سير المرض أي ضعيف لا يذكر .

[الفريق الثاني] — يرى هذا الفريق ان الأمم مثل الشمعة المذابة تضعها في أي شكل أردت ، وتجعلها في أية صورة صورت ، وأن الإرادة تفعل في كيانها فعل الا كسير الذي يحول التراب تبرا ، ورجال هذا الفريق هم أساطين الحكمة مثل (أفلاطون) و (أرسطو) و (أينيذ) و (ليكورغ) . ولا حاجة في اطالة الكلام لترجيح الفريق الثاني في هذا المقام فان اليابان هي البرهان الذي لا يختلف فيه انسان .

ثبت عند كبار الحكماء أن الأمم يمكن رفعها وخفضها بالإرادة . أما الآلة الرافعة أو الخافضة لها فقد اتفقوا على انها العلم أو الجهل ، قال لينيز الحكيم : « لو كان أمر التعليم موكولا لي لغيرت وجه أوربا في أقل من قرن » وقال أيضا : لو أجلتنا النظر لأفينا ان تسعين في المائة من الناس هم فضلاء أو أرذلون نافعون أو مضررون بالتعليم الذي تعلموه وان كل ما يوجد من فرق بينهم فسيبه ذلك التعليم . وقال (ديدرو) علة العال في ارتفاع أو انحطاط الأمم هو العلم أو الجهل وما عدا ذلك فاسباب ثانوية وعال جزئية ترجع الى تلك العلة الاصلية

هذا وقد يدلنا النظر في حالة العمران ان العلم هو العلة التي تقوى بها أمة على أمة والجهل هو سبب انحطاط فريق عن فريق وبيانه أن هذه الأرض وان تنوعت أسماء أجزائها في المواضع واختلفت ألوان بقاعها في الخرائط فهي بسيط واحد في العاصم والقاصم والأمة فيه كأمة واحدة فيها القوي والضعيف . وقد أوجدت المصادفة بعض هؤلاء في حيز عامر مفعم بالنعم والبعض في حيز غامر مملوء بالنقم وجيل الإنسان على حب الأثرة لنفسه ولو هلك في ذلك أهل الأرض جميعاً . قال سهل بن هارون البخيل : « ليس لي من مالي الا ما منعه الناس ولو أمكنهم لنقضوا يتي حجرا حجرا » فوقع بين القوم بسبب ذلك ما يسمى بتنازع الحياة وهو في الواقع قتال بلا سيوف ورماح كل يطلب الطيبات لنفسه ، ويحرص على نزع ذلك من الآخر بقوة بأسه ، وممعة يعيش فيها الجليد ، ويهلك الرعيد ، ويحجي القوي ويموت الضعيف . فلهذا احتاج كل واحد ان يكون أقوى من قرنه فتراجعوا في الأزمان الأولى الى القوة الجسمية حتى اذا سما العقل واستنبط من الأساليب ما طمس به قوة الجسم فزعوا الى القوة العلمية ولهذا قال بعض السياسيين : « الجاهل الآن كالأعزل في القرون الوسطى » . فمن كان أكثر علماً كان أكثر قوة فكان له الغلب والفلبج على خصمه وقد يكون هذا التنازع جهرياً وهو معروف في تغلب الأمم بعضها على البعض بقوة الآلات المستنبطة والعدد المبتدعة وقد يكون خفياً وهو التناظر في سائر وسائل الحياة ، فالأمة في الحقيقة جيوش متلاحمة ، ومقاتلة متحاملة ، كما قال المتنبي :

إنما أنفس الانيس سباع يتفارسن جهرة واغتيالاً

فالجنود تقاتل الجنود والتجار التجار والصناع الصناع والزراع الزراع وهكذا . وكما ان الجندي اذا غالب الجندي وكان سلاح أحدهما المكسب وسلاح الآخر الرمح غالب الأول لا محالة فكذلك الحال في سائر الأنواع الأخرى . ويقدر ما يكون في جميع طبقات الأمة من سعة العلم يكون غلب مجموعها على غيرها ولا يمكن أن ينحط فرد واحد منها الا أثر ذلك في كونها كما اذا وقفت بعوضة على طرف سفينة عظيمة أثقلتها وأمالها حقيقة وان لم تدرك ذلك مشاعرنا .

ومن هذا يعلم ان جميع أحوال الأمة متوقفة على حالة أشخاصها من الجهل والعلم فان صاغت الأشخاص صاغت الأحوال والعكس بالعكس . وبهذا جاء القرآن الكريم قال تعالى : « إِنْ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ »

وقال تعالى : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْيَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ » وقال تعالى : « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » وقال جل شأنه : « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغْتَبِراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَي قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » وقال صلى الله عليه وسلم : « كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ » (١) وفي معناه قول الحكيم (الأمة تعطى الحكومة التي تستحقها) وقال فولتير : « الظلم الواقع على الأمة عقاب لها على جهالها » .
 ويعلم مما تقدم أيضاً ان الذين يعددون الأسباب الكثيرة في انحطاط الأمم او ارتفاعها إنما يذكرون أسباباً ثانوية لعل أولى هي عللة الملل وهي الجهل أو العلم . فمن جعل السبب محصوراً في الحكومة مثلاً قلنا له ان الحكومة لا تكون الا على نسبة استعداد الأمة وما شذ عن ذلك لاحكم له بل لاقاعدة فيه فقد رأينا ان المصادفة قد توجد حكومة فوق قدر الأمة فلا تلبث ان تبديل بموت القائم بها أو نحوه باخرى تفسد كل ما أتت به الحكومة الأولى . وهكذا من جعل السبب في فشو العقائد الفاسدة في الأمة أو المبادئ التي تزعم انها من الدين وايسر منه نقول له ان السبب هو الجهل بالدين وهلمجرًا



ثم ان العلم له نبعان في الوجود وهما الأنبياء والحكماء أي الدين والحكمة فتأخذه من الدين أولاً ثم ان أردنا التفصيل في الفروع أخذناه من الحكمة . قال ابن مسكويه : « ان تحصيل السعادة على الاطلاق يكون بالحكمة والحكمة جزآن نظري وعملي فبالنظري يمكن تحصيل الاراء الصحيحة وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الافعال الجميلة وبهذين الامرين بعث الله الانبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عليها وهم أطباء النفوس يعالجونها من أسقام الجهالة بالادب الحق لما يأخذونهم به من الاداب الصحيحة والاعمال النافعة ويطالبونهم بالاسنسلام لهم بعد اقامة الحاجة عليهم بالمعجزات فمن تبعهم ولزم محجتهم وقف على الصراط المستقيم . ومن خالفهم تردى في سواء الجحيم ، فأما من أحب ان يعلم حجة مدعوا اليه بانتظر الصحيح فانه يجد ذلك من جهة الحكماء » . ولا يقول قائل انه يوجد تباين بين الدين والعلم يتنافيان به فان ذلك غير صحيح وانما جاء لهم من أنهم حصلوا من الدين ما ليس منه أو خطأ واهتصاده ومعناه . قال شيخ الفلاسفة في هذا الزمان هريزت سينسرفي كتابه (التربية والتعليم) مانصه :

(١) المتار : رواد الديلمي عن أبي بكرة والبيهقي عن أبي اسحق السيمى مراسلا

« العلم عدو الاوهام المتداوله بين الناس باسم الدين واسكنه ايس بعدو للدين الحق الذي كثيراً ما تحاول هذه الاوهام ستره عن الابصار . نعم أنه يوجد شيء من العلم المتداول يظهر عايه مناقضة الدين ومعاداته ولكن هذا أيضاً من قيل العلم الذي اكثروه وهم اذ العلم الحقيقي الذي يغوص وراء حقائق الاشياء لا يناقض الدين كما قدمناه » وقال (باقون) امام الفلسفة الحديثة : « القليل من العلم يبعد من الله والكثير منه يقرب منه » وقال (هكسلي) الحكيم الكبير : « الدين والعلم كتوأمين متلاصقين فصاهما يؤدي الى موتهما . فان العلم ينمو متى كان دينياً والدين يثبت متى كان علمياً . وأهم آثار الفلاسفة انتجتها أفكارهم بسائق ديني في الحقيقة »

ولو تتبعنا جميع رؤساء الحكماء وأساطين الفلسفة العقلاء من سقراط وأرسطو وافلاطون الى كانت وديكارت وليبنز وأمثالهم لوجدناهم من أهل الدين وان لم يتسموا بهذا لانهم يعتقدون بما جاء به الدين ويتخاطون بالحكمة التي أمرها أن تكون . قال (كارليل) الفيلسوف في كتابه (الميرو) : « قال (جوتي) اكبر شعراء الجرمان وقد وصف له الاسلام : ان كان هذا هو الاسلام افلا يكون جميعاً طائشين فيه ؟ (ثم قال كارليل) نعم ان كل واحد منا عنده حظ من الفضيلة والكمال في الحياة طائش فيه » اهـ ولا فرق مثلاً بين قول سقراط : « يجب ان تعرفوا ان إلهكم واحد » وقول المسيح في الانجيل : « وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوا انك أنت وحدك الاله الحي » وقول الله سبحانه وتعالى « قل هو الله أحد »

وكل ما أدخل على الدين من تحريف الاصول الحقيقية والقواعد العامة التي فيه قائما جاء من فساد عرض أو عرام طراً وهو منه براء . وهذه الاصول العامة التي هي عمدة السعادة كما لا يختلف فيها الدين عن الحكمة لا يتباين فيها دين ودين بل الاديان فيها سواء . قال الله تعالى : « قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُهَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَبَيْنَ لَهُ مُشَافِعُونَ » وقال تعالى : « مِائَةً أَلْفًا مِنْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ »



اذا توضح ذلك وانه لاخلاف بين العلم والدين فلنبين هنا ماهية كل منهما ليس العلم هو هذه الابواب المحفوظة فقط التي يتسمى محصلوها بالعلماء عند المسلمين

الآن بل هو أوسع من ذلك رحاباً وأفسح مجالاً ، هو معرفة حقائق الوجود جميعاً . وينقسم الى حكمة نظرية وحكمة عمالية . وتقدم الحكمة النظرية الى ثلاثة أقسام وهي (قسم العلم الإلهي) وهو ما لا يقتصر في الوجود الخارجي والتعقل الى المادة و (القسم الرياضي) وهو علم بأحوال ما يقتصر اليها في الوجود الخارجي دون التعقل و (القسم الطبيعي) وهو علم ما يقتصر اليها في الوجود الخارجي والتعقل . وتنقسم الحكمة العملية الى ثلاثة أقسام أيضاً (قسم الاخلاق) وهو علم بمصالح الشخص و (قسم تدبير المنزل) وهو علم بمصالح العائلة و (قسم السياسة) وهو علم بمصالح الأمة ويدخل تحت كل قسم من هذه الاقسام جملة علوم كالرياضي يدخل تحته علم الحساب والهندسة والجبر والهيئة والطبيعي يدخل تحته الكيمياء والطب والنبات والحيوان والجغرافية والملاحة الى غير ذلك بل كل واحد من هذه العلوم يدخل تحته علوم أخرى كالطب يدخل تحته التشريح والجراحة والكحلة وهكذا الى ما شاء الله . ولو أحصيت العلوم التي تقوم بها أعمال المجتمع الانساني الآن لارت على ألف علم

وكل علم من هذه العلوم له وظيفة لا يقوم بها غيره فتلها في جسم الاجتماع كمثل الاعضاء في الجسم لا تغنى فيه العين عن الاذن ولا اليد عن القدم وهكذا . فالعلم الالهي أو الفلسفة الاولى هو أس العلوم في الحقيقة . سأل (ريسان) السيد جمال الدين عن سبب عقم المدارس في الشرق سؤل فيها القديمة والحديثة فقال له السيد ان سببه فقد الفلسفة الاولى منها اذ هي للعلوم كالسلك للعقد او القاعدة للمسائل فإن فقد السلك تبدد العقد أو عذمت القاعدة تأثرت المسائل

وأما العلم الطبيعي والرياضي فهما باب الارتزاق وسلم المدنية وغنهما يصدر كل ما نراه في الأمم المرتقية الآن من الحركة والعمران
وأما علم الاخلاق فهو طب النفس . ومن العجيب اننا نرى الانسان اذا أصابه دمل في جسمه اسرع الى العلاج والطبيب وفي نفسه عشرون دماً لا ياتفت اليها وان انهكتة في الحقيقة آلامها ولا سبب لهذا الا فقدان هذا الطب من بين المساميين الآن مع نموه عند غيرهم من الأمم وحسبك انه الم في مرض الارادة وحده عندهم كتب ذات أسفار . ويجب ان يكون هذا العلم ملكة في النفس كما كمة النحو في اللسان حتى تطبق أحوال المرء على قواعده ، لا تكلف فتصير امضئل — كما وقوف عند الاعتدال في الاعمال والحق في الاقوال والاعتماد على النفس ونحو ذلك جميعه — خفقانه وسجية طبيعية وأما تدبير المنزل فهو من أهم الأمور الضرورية لسعادة الأمة وذلك ان المنزل

هو المدرسة الأولى وبعده مدرسة التعليم ثم مدرسة الدنيا فان كان عمل الأولى مضافاً للثانية ضاعت النفس بينهما ضياع لب المأمور لا مريد مختلفين

وأما علم السياسة فهو طب الاجتماع الانساني وطالما أدى الجهل به الى شقاء البشر قال لويون: إنك لا ترى أحداً لم يقرأ الفلك أو الجبر ثم يحاول حل مسائل فلكية أو معضلات جبرية ولا ترى أحداً كذلك لم يتعلم التشريع ثم يحاول ان يخطط عرقاً مقطوعاً مثلاً ولكن ترى كل يوم رجالاً لا يفقهون شيئاً من علم السياسة يسوسون الأمم ويضمون القوانين ويسنون التواميس غافلين عن الاخطار والازمات التي تنجم من عملهم هذا مع ان خطأ الجاهل بالطب يؤدي بشخص واحد وهذا الخطأ يؤدي بأمة . وعلى هذا النحو فقس سائر العلوم والفنون

أما الدين فليس هو ايضاً ما يفهم الناس من أنه مجموع حركات بدنية فقط اوليفي أحاجي لا يصل اليها العقل بل هو العلم باقسامه الا انه أبعد غاية . ومقصده هو عين المقصد الذي وجد لاجله العلم اي ارشاد الخلق الى الحق ثم هدايتهم بقواعده الى كل ما فيه السعادة لهم الا ان الدين يمتاز على العلم بأنه يجمع السعادتین سعادة الدنيا والآخرة وان العلم يرغب في الفضيلة فقط وهو يقهر عليها قهراً ويرتب على ذلك ثواباً وعقاباً

ولتقريب فهم المقصود من الدين والانتفاع بما جاء به تفرض على وجه التمثيل أن الكتاب السماوي الكريم هو كتاب علم وحكمة ونقسه في ذهنتنا الى الاقسام السابق ذكرها في تقسيم العلم . فتجد تحت تسمي الإلهيات مفعماً بما لا يصل البشر الى الاتيان بمثله ولا الوصول الى مثل تعبيره وتمثيله . قال سبنسر الحكيم في كتاب المبادئ الأولى : « نعرف للدين الفضيلة الكبرى بأنه أول ما دل على الله وأنه لم يفتأ يعلن ذلك في كل زمان ومكان » . ثم اتينا نجد الدين وان لم يتعرض لقسم الرياضيات والطبيعات فقد حث عليها في جملة ما حث فيه من النظر في الكوان وكذلك وضع العبادات التي تحيي التوحيد في النفوس . أما الاخلاق وتدير المنزل والسياسة المدنية وما يتبع ذلك من الاحكام فقد بلغ فيها غاية ايس وراءها مطلع لناظر وكانت عمومياته هي الاصل الذي فرع عليه الحكماء جميع ما أتوا به في هذه الابواب . وأما ما يقوله السفهاء من عدم موافقة بعض احكام الدين لسير العمران فهو خطأ ووهم اذ نراهم قد قهروا الى الرجوع الى كثير منها بعد أن انكروها قروناً عديدة

واذ قد تبين أن الجهل هو سبب الانحطاط وإن العلم هو سبب الارتقاء على الإطلاق
فيهما فلم يبق خلاف في أن سبب انحطاط الأمم الإسلامية هو الجهل • ولو نظرنا نظرة
واحدة في أحوال المسلمين لتبين لنا مقدار ذلك الجهل وآثاره السيئة فيهم

قلنا إن بابي العلم هما الدين والحكمة • أما الدين فلو حكمناه في نفوس أكثر المسلمين
الآن وطبقناه على عقائدهم وأخلاقهم وأحكامهم لوجدنا لدى أكثرهم في محل كل عقيدة
قرآنية أو خلق ديني عقيدة أخرى أو خلقاً آخر يكاد يضاد الأول على خط مستقيم •
وإذا كان الأول آلة للعلاء كان الثاني علة للانحطاط • ليس الغاية من الدين مجرد
الانتساب إليه فإن ذلك لا يهدي إلى خير ولا يدفع عن شر وإنما العمل والانتفاع بكل
ما جاء فيه هو الذي يرقى صاحبه إلى ذرى الكمال وذلك كالطب فإنه لا يكفي أن يعتقد
الإنسان أنه نافع فيبرأ من مرضه وأوصابه وإنما يحصل على ذلك باستعماله والأثمار بأوامره
والانتهاء عن نواهيه • ولذلك حرصت جميع الأديان على تبيان هذه الحقيقة للناس
قال تعالى • إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا
بِمَاؤَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ • وجاء في الإنجيل • وإنه
ليس الذين يقولون للمسيح ياسيدي ياسيدي يدخلون ملكوت الله بل الذين يعملون
إرادة الله • ومهما قابت بصرك لا تعبد الدين في الغالب مستعملاً فيما وضع له • فهو
عند الخاصة موضوع مناقشات لفظية وصناعة فصاحة كلامية ومجال براءة في اختراع
وجوه وتأويل مناجي وبعد عن مقاصد • وعند العامة دفتر تعاويد ورقى وكتاب ترتيل
وكلام يقال لكي لا يفهم حتى قال بعض الأدباء : فات هؤلاء أن يفهموه الأحياء فهم
يسمعونه الموتى في القبور • أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا •

وأما العلم فخالفهم فيه كحالهم في الدين • فهم كل يوم يبعدون عنه ويقربون من
تقيضه وإلهذا تعبد الكتاب عندهم كلما كان أقدم كان أنفس وأجود بخلاف الأمم العجبة
فإنه لا يقرأ الكتاب فيها إذا مضى عليه عشرون عاماً

منذ كسرت أقلام المسلمين الأولين ترى العلم واقفاً بيتنا لا يتحرك • أين الجماعات
المشتغلة بالعلوم الإلهية ؟ أين منشئو المذاهب والآراء ؟ أين المحامون عن العقائد ؟
أين المؤلفون في الرياضيات ؟ أين المخترعون لعلوم لم تكن كالخبر والكيمياء ؟ أين من
نقل فلسفة أوربا كما نقل أولئك فلسفة اليونان ؟ أين من شرح كتب كانت وديكارت
مثالاً شرح ابن رشد كتب أرسطو وابن كونه كتب أفلاطون ؟ أين من جمع علوم

الأوائل في سفر شامل كما فعل الفارابي في كتاب التعليم الثاني؟ أين من ألف فوق مائة مؤلف في الطب كإبن سينا والرازي؟ أين من سافر لجمع غريب النبات وتدوينه كما سافر ابن البيطار إلى بلاد الأناضول؟ أين من جرب في الحراثة ودون كتابي زكريا الأشيلي الذي رقت تجاربه زراعة الأندلس؟ أين من ساح آسيا وأفريقية والجزر واكتشف البقاع ووصف المواطن كالحسن بن محمد القرطبي المعروف بالاسد الإفريقي والبيروني والتشريف الإدريسي؟ أين أنواع العلوم الكثيرة التي يتداولها المسلمون ويؤلفون فيها والتي حصرها صاحب كشف الظنون في زهاء مائتي علم؟ أين من دون حوادث زمانه يوماً يوماً وأخبار قومه خبراً خبراً باختلاف الروايات وتنوع الأسانيد؟ أين من وقف على حدود العلوم وزاد فيها على ما كان عند الأمم؟ أين من طلب العلم للعلم وأراد به أن يعرف حقيقة يجهلها ولذة عقلية يحصلها؟ أكثر ما عند المسلمين الآن اخلاف في اعراب البسمة وبيان وجوه الصفة المشبهة وأمثالها وشيء من الفقه يعلمونه ولا يعملون به وما عدا ذلك فقشور من العلم في المدارس الحديثة المقصود منها صنع موظفين للحكومات أو اجراء لبعض المهن كالطب والحقوق ونحوها هذه مصر وهي في مقدمة بلاد الاسلام عمرانا وحضارة ورقاهية وشارة - تسعون في المائة من أهلها أميون ولا يوجد الا واحدة في المائتين من نساها تقرأ الخط - فكيف حال المغرب والتركمان والمعجم والسودان؟ حيثما سرت واين انجهمت وقعت عينك على اناسي لو جردتهم في الخيال من القابهم وأوالهم وحليهم لم يبق في يدك شيء - قال المعري :
لو يعرف الانسان مقداره لم يفخر المولى على عبده
لولا سجاياه وأخلاقه لكان كالمعدوم في وجده
الناس أجمع في حركة وعمل والمسلمون في سكون وسكوت كما قال تعالى « وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة » ولله در أبو تمام حيث يقول :

أفكر في احلامكم اين عُزبت فيصر عني طورا وأصرعه الفكر
اذا الوحي فيكم لم يضركم فاني زعيم لكم ان لا يضركم الشعر

الفصل الثالث في وسائل الارتفاع

(العلم)

اذا كان الجهل سبب الانحطاط كان العلم سبب الارتفاع - فلا تصاح أحوال المسلمين حتى تصاح نفوسهم توقف المعلول على العلة

ولكن ربما رأى الانسان الفساد الحال بالمسلمين في أنفسهم في أهلهم في أمتهم في دينهم في دنياهم وقد سكن في كل عضو منهم علة ، وفي كل جارحة ألم ، وأزمنت الادواء واستطردت الى بعضها حتى أصبحت كل علة تسوق عللاً وكل مرض يهيج أمراضاً وغدا بينها شبه الدور والتسلسل . فتيه في هذا التيه ولا يدري كيف يسري وماذا يصلح وماذا يترك وأي دواء يستعمل وقد اختلفت الأمراض وتباينت الآلام فيقف حائراً بارئاً يائساً يرى ان خالق خلق جديد أهون من اصلاح هذا . فامثل هذا الحائر المشتبه أضرب المثل الذي ضرب به (فكتور هوجو) الشاعر الكبير قال : مثل سلطان الاستبداد مثل مصر بني على بطائح (الثيفاء) في روسيا وقد جمد الناجع ماءها فشيدت القرى والمنازل على الجليد وسارت المجلات ودارت حركة المعاش في الأسواق كأكثر ما يكون وضرب الرجل برجله الأرض فوجد أصلب من الصخر لا تعمل فيه المعاول ولا يقطعها الديناوات فليل له ان هذا كله ظل زائل لا يلبث الا عشية أو فصحاً حتى يمحي فلا يكون له أثر فكذب وأنكر وهاله الأمر وبينما هو كذلك واذا بشماعة من الشمس سالت على هذه الدنيا الصغيرة فاذا هي حلم حلم . قال (هوجو) هذه الشماعة هي (الحرية) وأقول انا هي (العلم) وقد بينا أنفاً ماهية هذا العلم الذي ترقى به الأمة اذا أخذ كل منها بنصيبه منه . فذكر الآن الوسائل اللازمة لإدخاله في أرض المسلمين . وهي تنحصر في (كيفية نقله) و (كيفية تعليمه) و (المال اللازم لذلك) و (من يقوم بهذا العمل)

أما نقل العلم وإيجاده بين المسلمين فله طريقان وهما ترجمته الى لغات المسلمين أو تعليم المسلمين لغة من لغات العلم (وهي الآن الفرنسية والانكليزية والألمانية) لتكون هي لغتهم العلمية ومن يقول بالوجه الأول يذكر انه هو السبيل الذي سلكته كل الأمم السالفة في نقل العلم اليها كما فعل العرب في نقل علوم اليونان والسريريان والكلدان وكما فعل الفرنج في نقل علوم العرب حتى أنك لتجد الآن كثيراً من مؤلفاتهم المهمة مترجمة الى اللاتينية مطبوعة بها من قرون عدة مع فقدانها من بلاد الإسلام ويقول هؤلاء : اننا اذا ترجمنا العلم فقد نقلناه اليها وان تعلمنا اللغات فقط فقد نقلنا افراداً منا الى العلم . وأما من يقول بالوجه الثاني فيرى ان سير النقلة وسير العلم في حركته كفرق ما بين راكب الناقة وراكب البخار فان بدءاً من نقطة واحدة الآن فلا يلبث ان يتفارقا فيسبق العلم النقل ويبقى الناقل أبداً لا يبد ذنباً له . وان أريد نقل

ما عند القوم من أول الدهر الى اليوم لم لذلك خمسين عام يكونون فيها قد تقدمونا بمثل هذا القدر من السنين . ويقول هؤلاء : لهذا رأينا الأمم الآن غيرت الطريق الأول في نقل العلم الى هذا الطريق كما فعلت اليابان

وعندي أنه يجب التوفيق بين هذين القولين فنجعل تعليم اللغة العلمية إجبارياً وبهذا نعطي لكل واحد (مفتاح الجفر) ونرفع الستار عن عالم العلم . ثم نجعل التعليم والتأليف بلسان الأمة التي هو فيها . ومتى فعلنا ذلك أمكننا أن نسير مع العلم اذ كتبه وحدوده التي هو عاينها تصبح كتبنا وحدودنا وأمكننا أن ننقل منه ماشاء الله ان نقل منه .

ولا يلزم أن نتعلم اللغة العلمية بحيث نحسن الكتابة والتكلم بها بل يكفينا القدرة على فهمها جيداً والنقل منها كما كان ذلك شأن النقلة الكبار مثل ابن ماسويه وخنين . ابن اسحق ورفاعة بك والرشيدي صاحب المادة وامتاهم . ولو حفظ الانسان في كل يوم خمسة مصادر بمشتقاتها لكان رأسه في ختام السنة قاموساً

وانما يجب اذن أن نجعل اللغات الاسلامية في حالة يمكنها بها أن تكون لغة علمية وذلك بنقل ما جدد من الالفاظ والاصطلاحات اليها وللوصول الى هذا نتخذ أحد المعاجم الموجودة بين أيدينا أصلاً ونذيله بما استجد من ذلك ناقلين ألفاظ العلوم واصطلاحات الفنون كما هي بعد تحوير قليل تنظم به في صيغ اللغة الأصلية . أما الجهد في سد هذا القصر بإيجاد ألفاظ من متن اللغة القديمة تؤدي المعاني الجديدة واستدراك ذلك بواسطة التحت أو الاشتقاق من الجوامد أو نحو ذلك فعبث ولا لزوم له



وأما كيفية تعليم العلم وترتيب ذلك فأهم ما يجب أن يعمل فيه أن يكون التعليم عامّاً إجبارياً على ثلاث طبقات (ابتدائي وثانوي وعال) وان يكون التسلامدة بقدر عشرين في المائة من عدد السكان . منهم واحد في المائة للمدارس العالية وسبعة في المائة للثانوية وما بقي فللمدارس الابتدائية . وان يكون الاساتذة على نسبة واحد لكل خمسة عشر تلميذاً في المدارس العالية وواحد لكل ثلاثين في المدارس الثانوية . ولكل خمسين في المدارس الابتدائية

وعلى هذا يجب أن تكون المدارس الابتدائية منتشرة في كل قرية انتشار المساجد والزوايا . والمدارس الثانوية في كل مركز . والمدارس العليا (أي الجامعة) في أمهات المدن

وينبغي أن تكون الغاية عند الكافة من طالب العلم أن يكون المرء سعيداً في رزقه سعيداً في نفسه وفي فكره وفي بيته وفي أمته لا أن تكون اداء امتحان واخذ شهادة . ثم ان جدول التعليم في المدارس (البروجرام) هو بمثابة الجوهر وكل ماعداه في مقام العرض فعليه يتوقف الفلاح في الحياة أو الحية فيها . وطالما حرص الفلاسفة على تبيان أهمية هذا الامر واهتمت به الحكومات . قال جان جاك روسو : « ان أكثر ما نتعلمه في المدارس كأنما نتعلمه لنساء لاغير ذلك اذ معظمه مما لا نستفيد منه في حياتنا مرة واحدة » وقال آخر : « الفساد في التعليم يفسد أمة بأسرها » وقال هيربرت سبنسر الفيلسوف الانكليزي « لو لم يكن عندنا من العلم الا ما نعلمه في المدارس لكانت انكلترا اليوم على ما كانت عليه في القرون الوسطى . فجميع ما عندنا من المعارف الكبرى التي صرنا بها أمة عظيمة في الدنيا لم تنشأ من المدارس المعدة لذلك بل من أكواخ حقيرة وزوايا مهجورة » وقال (كوريون) عن مدارس الصنائع في فرنسا: ان ثلاثة أرباع الوقت يضيع فيها سدى . وقال (هنري دوفيل) في جلسة عامة باكاديمية العلوم في فرنسا: « اني عضو في المدرسة الجامعة (كلية باريس) من مدة واني اليوم على وشك الاعتزال من الاعمال فأقول لكم قولاً يجب أن يملأ كل أذن وهو انه مادامت هذه المدرسة على هذه الحال فلا تسوق الا الى الجهالة » . واذا كان الامر من الاهمية بحيث استدعى ايراد هذه الاقوال عن مدارس اوربا وجبان نجهلها في المنزلة التصوى من الاهتمام به ولا تقلد تلك الأمم بنقل برجراماتها كما هي وقد سمعنا اقوال الفضلاء في قيمة تلك البروجرامات وقلة جدواها في التربية العامة وليس لي ان اجزم هنا في مسألة هي الآن مشكلة الأمم ومختلف العقلاء وانما رأيي ان يكون التعليم الابتدائي محصوراً في الأمور التي يجب على كل امرئ ان يعلمها وهو علم (ما يحفظ الجسم) كمبادئ قواعد الصحة والفسولوجيا وعلم (ما يحفظ النفس) كالاخلاق وما (يحفظ العائلة) كتدبير المنزل وما (يحفظ الأمة) كمبادئ السياسة والتاريخ ونحوه وما (يحفظ العقيدة) وهو مبادئ الآلهيات والحكمة الأولى التي هي سلك العلوم الحافظ لها من الضياع كما قدمنا ثم لا بد له من علم (ما يحفظ الرزق) وهو الزراعة أو الصناعة أو التجارة ومبادئ علم الاقتصاد والحساب الضابط للعمل واما المدارس الثانوية فيتعلم فيها العلم الذي اختاره المرء لنفسه وما يلزمه من الفنون ولغة اجنية من لغات العلم

ويتعلم التلميذ في المدرسة العليا تفصيل ما أجله في المدرسة الثانوية . وتقسم حينئذ المدارس العليا (الكلية) الى اقسام كل يختص بعلم مخصوص .
والاختصاص بالفن الواحد من اهم الأمور في بلوغ الغايات في العلوم اذ العلم يعطيك من نفسه بقدر ما تعطيه من نفسك . وما يجب تعويد الطلبة عليه السير مع العلم كل يوم وعدم الوقوف طول العمر عند ما يتلقوه في المدارس وذلك بالاطلاع على فهارس (دور الكتب) والوراقين والوقوف على كل ما يجد في الفن . قال برتولو الكياوى المشهور: كنت أقرأ في كل عام فوق مائتي مصنف تنشر في الكيمياء وأحلل ما أجده منها في نفسي تحليلاً كياوياً فيتيسر لي بذلك توسيع دائرة هذا العلم واكتشاف أمور كثيرة فيه



وأما المال اللازم لذلك فهو لا يتجاوز ريالاً واحداً عن كل شخص من الأمة وهو ثلث ما تنفقه أمة كالأمة المصرية على الخمر والدخان في كل سنة . والحصول على هذا المال يكون اما من طريق الحكومة بالطلب منها والالحاح عليها والاستماتة في ذلك . أو من طريق الأمة بالاكتتاب العام الدائم والحث عليه بالخطب على المنابر والجرائد وغيرها . وقد كان السيد جمال الدين رأى في ذلك رأياً وهو أن ينشأ صندوق يسمى (صندوق المسلمين) يوضع في كل قرية وعلى كل طريق ومسجد ويجمع فيه المال لأصلاح أحوال المسلمين . ولا بأس من جعله تحت مراقبة ادارة رسمية لتزداد ثقة الناس به كما جعلوا صندوق التوفير تحت ادارة مصلحة البوسطة مثلاً . على انه لا يعدم الاسلام رجالاً في هذا الزمان يقومون على قدم أبي بكر الصديق رضى الله عنه في سالف العصر من بذل كل أموالهم في تأييد العقيدة التي أخذوا بها والدين الذي انتسبوا اليه . روى مسلم في صحيحه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من أمن الناس علي في ماله وصحبته أبابكر)

أما البحث عنن يقوم بهذا الامر فهو أهم الابحاث وأسن المسائل . الذي يقوم بهذا الامر إما الأمة وإما الحكومة . أما الأمة فما دامت في الطفولية فلا يمكنها أن تميز خيراً من شر أو ان تترك اللعبة وتشترى الكتاب . وأما الحكومة فهي اما حكومة وطنية وهي في الغالب الآن مع الأمم الاسلامية في مقام السيد مع العبد فان تعلمت الأمة وارتقت أصبحت معها في مكان الوكيل مع موكله وهيئات هيئات ان تساعد على ذلك . وأما

الحكومة الاجنبية فهي بمثابة الوصي الطماع مع القاصر الغني فمصلحتها ان تحول بينه وبين الرشد دائما (١) وإذ قد نقضنا أيدينا من هؤلاء جميعا فلم يبق امل يرجي وأمنية تنتظر الامن فتنة قليلة بلغت الرشد فعرفت الحال والمآل اعني بها (عقلاء المسلمين) هذه الفئة هي المساولة وحدها ولا مسؤولية على عامة الأمة « ليس على الاعشى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج » وهؤلاء العقلاء بالنسبة الى بقية الأمة القاصرة في مقام الاولياء فهم المسؤولون عن خيرها وشرها ونفعها وضررها .
 لاسبيل الى نجاة المسلمين وإعلاء كلمة الاسلام الا أن يؤلف هؤلاء العقلاء في كل قطر جمعية يسمونها جمعية (مستقبل الاسلام) وان يؤلفوا جمعية أخرى عامة تضم هذه الجمعيات تسمى (المؤتمر الاسلامي) ينعقد في مكة أو في أي مكان يتفق عليه كل سنتين مرة ويكون أعضاؤه مندوبو جمعيات الاقطار المختلفة ووجهته اصلاح

(١) يقول بعض السذج من البسطاء لا حاجة لاهتمام المسلمين بأحوالهم اذ الافرنج لابد ان يسوقهم دافع المدنية وروابط الانسانية الى أن يحتلوا بلادهم فيصالحوا احوالها وينظموا أعمالها كما ذكر ذلك (روسفلت) رئيس جمهورية الولايات المتحدة في خطبة له قال فيها : (أن داعي الانسانية يضطرنا الى احتلال البلاد الضعيفة والغلب على الأمم المتحطة لترتب احوالهم ونصاح أعمالهم وزرقهم حتى يصبحوا مثانا تماما وما تأخذه في أثناء ذلك من المنافع هو اجر ذلك العمل) . اقول ان هذا تغرير للابصار ، وتضليل للأفكار . اذ الافرنج قد يصلحون الأشياء لا الأشخاص ومثل هذا الاصلاح لا يفيد المسلمين وهم في حالة الانحطاط بل هو اشبه بالثياب المهندمة التي يضعها الباعة على تماثيل الخشب . زخرف على تربة ، ونقش على خربة . فان الأمة لا يمكنها ان تنازع غيرها سبل الحياة الا بنفسها فاذا فقدت نفسها فهي فاقدة لكل شيء . ولا ترجع فائدة هذه الاصلاحات الا على الافرنج انفسهم فتعلم فيه مثل من يعمر البيت بأجرته ثم يسكنه مدة طويلة حتى اذا خرج منه يوما كان البيت قد عاد الى حاله الاولى .
 اما اصلاح الاشخاص الذي هو أس كل اصلاح حقيقي فهو مالا يفعله الافرنج بل ما يبدأون في الغالب لصدده ورده . قال بعض نبهاء التونسيين وقد سئل عن حال بلاده (تقدمت البلاد وتأخر اهلها) ولا عجب في ذلك كله ما دامت سنة الاجتباء قد قضت بان تكون حياة القوي في موت الضعيف اه مؤلف الرسالة .

أحوال المسلمين ونشر التعليم الذي هو وسيلة ذلك
أي دولة قامت. أو راية نصبت ، أو أمة خلصت ، أو وحدة تألفت ، الأبالجيات ،
الجمعية عامل لا يموت وأمة في واحد . هل اجتمعت الوحدة الإيطالية أو تهيأت الجامعة
السلافية والجنسية السكسونية ، الأبالجيات السرية أو الجهرية . هذه الأمة
الارمنية والطائفة المقدونية والفئة الكريتية على صغرهما في الوجود ، وكونها لا تكاد تذكر
بين كل موجود ، تعمل أعمال الحيازة في الخلاص من حضيض الأسر ، إلى أوج النسر ،
والأمة الإسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تنتفض انتفاض الطائر في شباك الصائد
ولا تعمل للنجاة عملاً . وكيف ترجو الوصول إلى الغاية وهي لا تنقل إليها قدماً ، ولا
تحرك شفة ولا قلماً ، ومن طلب شيئاً وجده ، ومن تركه فقد .

ولا يعتذر الحبان المفقود القلب بأن عقد هذه الجمعيات مما يعتذر حصوله في البلاد
الإسلامية الآن إذا أي جمعية انشئت لمثل هذا الغرض فلم تقابل بالكفران ، وتخط
بالنيران ، ولكنها العزيمة التي ترى أن الموت في حياة الأمة خير من الحياة في موتها
وأنه لا محيص من الصدر أو القبر . على أن كثيراً من بلدان الإسلام الآن مفتوحة
الابواب لمثل هذا العمل وأخصها الممالك التي احتلها الإنكليز ويقرب سكانها من
نصف المسلمين (١) على أن الممالك الأخرى متى علمت أن المقصد من العمل هو
التعليم والتربية . لا يكون لها مجال في منعه . فإن منعه في الجهر فهل يمكنها أن
تمنع في السر ؟ وإن أمسكت الأفواه فهل يمكنها أن تضبط القلوب
أما أولئك الآخرون الذين نراهم ينذرون بقاء الإسلام وانتهاء أمدده ويستدلون

(١) أوجه كثيرة كانت تحماني دائماً أن أجزم بأنه من الضروري للمسلمين أن
يتفقوا مع الإنكليز في السياسة العامة سوا في ذلك الذين تحت ساطتهم والذين تحت سلطة
الدول الأجنبية الأخرى والمستقلون .

أما الذين تحت ساطتهم فيجب عليهم ذلك لأسباب كثيرة منها أن الإنكليز
يطلقون في مستعمراتهم حرية الدين والتعليم والقول والتجارة ويكتفون من الفائدة
بأن تكون البلاد سوقاً لتجارهم ومجالاً لارتفاقهم المالية . ولا شيء أنفع وأجدى على
الإسلام من هذه الحرية التي لا توقف نموه الطبيعي ولا ينحني عليه أكثر من وقوف
القوة أمام ذلك النمو .

على ذلك بالأحاديث الموضوعة والاقوال التي لفقها اعداء الدين قديماً لإدخال اليأس على قلوب المسلمين فيجب أن نسد أفواههم ونوجع أفتاءهم ونتلو على أسماعهم قول الله تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وقوله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتيّم نوره ولو كره الكافرون »

أيها المسلمون جدّوا في هذا امر لتجدوا ، وموتوا فيه لتحيوا . واعرفوا قومكم قبل أن ينكروكم ، واحفظوا بلادكم قبل أن تضيعكم ، قد حدثت فيكم حركة عامة فأيدوها

ومنها انه يمكن للأمة الإسلامية إذا ارتقت أن تخلص من نير الانكليز بالاتفاق أو بالقوة اذ قوة الانكليز البرية ضعيفة . وقد صعب عليهم ان يخضعوا ثلاثمائة ألف من البوير أخيراً فكيف يخضعون ثلاثمائة مليون إذا أصبحوا مثل البوير

ومنها انه إذا لم يكن الانكليز بين ظهرانيهم فلا بد أن يكون غيرهم من الأمم الأجنبية اذ الضعف الذي هو علة تسلط أولئك لم يفارقهم فإن تسلط عليهم دول أخرى كالروسيا في آسيا أو ألمانيا وفرنسا في إفريقيا ودمتم بما عندها من الجند الذين لا يقلون عن خمسة عشر مليوناً فقل على المسلمين السلام .

على أنها إذا لم تنكل بهم فأنه تسد ابواب الحرية الدينية والسياسية في أوجههم هذه بعض بلادهم ابطال منها الحج ، وبعضها لا تدخلها جريدة اسلامية حرة كما يؤيدون تركستان لا يقرأ في مدارسها أي الجهاد من كتاب الله ، وجاءه أصبح المسلمون فيها من الضغط والاهانة في مرتبة الحيوان الاعجم .

وأما المسلمون الذين تحت سلطة الدول الأخرى — فللاسباب المتقدمة جميعها ولأن مصلحة الانكليز في خلاصهم من يد تلك الدول وهي أقدر الناس على هذا في الحقيقة اذ هذه الدول (ماعدا الروسية) لاتصل الى ممالك الاسلام الا من طريق البحر ومفاتيح البحر في أيدي الانكليز .

وأما المسلمون المستقلون فيجب عليهم الاتفاق مع الانكليز ايضاً لأوجه منها ان مصلحة الانكليز تفضل بقاء هذه الممالك مستقلة غير محكومة بدولة اجنية وذلك لان روح هذه الأمة التجارة وما دامت للممالك الاسلامية مستقلة قابوَاب التجارة مفتوحة وطريقها مأمونة فإن احتلتها دولة اجنية فهناك الخيانة والخطر . ولهذا

وتحملوا فيها الاذى . هذا صوت القرآن يناديكم . وداعي الله يستدعيكم . ياقومنا احييوا
داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم من عذاب اليم .

﴿ الهدايا والتقاريظ من باب الآثار الأدبية ﴾

(اللؤلؤ النظيم . في روم التعلم والتعليم) كتيب لشبخ الاسلام زكريا الانصاري
المتوفى سنة ٩٢٦ ذكر فيه شروط الاشتغال بالعلم وآفاته . ثم ذكر العلوم المعروفة
في العربية وتعريفاتها . أما ما ذكره من الشروط والآفات فهو حسن جداً . ويأيت
أهل الازهر يتدبرون قوله ويسرون على منهجه كما يقرأون منهجه في الفقه وغيره من
كتبه . فقد ذكر من الشروط أن يقصد بكل علم ما وضع له وهم يقصدون بكل علم
المناقشة بعبارة كتيب . وذكر منها أن يشتغل كل طالب بالعلم الذي يميل اليه طبعه لان
كلما يسر لما خلق له وهم لا يراعون هذا . وذكر منها اجتيار الكتب الحيدة وهم
قد التزموا كتباً مفضولة لاحجة لهم على اختيارها الاتقيد الآخر لمن سبقه في ذلك .
وذكر منها أن لا يدخل علماً في آخر وهذه الحواشي التي التزموها قد اترجت فيها
العلوم اترجاً ، فصارت أخلاطاً وأمشاجاً

وأما ما ذكره في تعريفات العلوم وفوائدها فقد جرى فيه على المعروف عند أهل

السبب كان الانكليز احرص الناس على مساعدة هذه الممالك على التقدم والنجاح
والبقاء ومن رأى مخاطبات السير ايارد سفير انكلترا للباب العالي بعد الحرب
الروسية وجد غيرة كبيرة على مستقبل الدولة

أما استيلاء الانكليز أنفسهم على بعض الممالك الاسلامية فهو في الغالب لتحقيقهم
وشك وقوعها في أيدي غيرهم ان لم يسبقوا اليها . على أنه لولادماء الانكليز وأموالهم
لاستولى الروس على القسطنطينية وعلى العجم والافغان وملكت فرنسا مراکش
والطليان طرابلس وهكذا . ومن هذه الاسباب يعلم ان الممالك الاسلامية محتاجة في كل
وقت الى عضد قوي تنقي به أوربا . والانكليز هم أولى الناس بهذا اذ نجحهم مع الأمة
الاسلامية كراهية أوربا للفريقين وكراهتها لها

هذه هي أفكارى في هذا الموضوع ولولا ان هذه المسألة جوهرية بالنسبة الى

الدين الاسلام لما احتجت للتعرض لها في هذا المقام . اهملوا في الرسالة

عصره في الغالب وفيه خطأ وقصور من اغرب ذلك قوله في الكيمياء : « علم بأصول يعرف بها معدن الذهب والفضة » وقوله : « علم الهيئة علم يعرف به الاجرام البسيطة من حيث كمياتها وكيفياتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها »

(تعريف اصطلاحات علم الاصول) رسالة أو مقدمة للشيخ زكريا الانصاري أيضاً ينبغي لمن يتدبّر بتعلم الاصول الاطلاع عليها فانها تؤنس بتلك الاصطلاحات على ما فيها من خطأ وقصور . ومن غريب ذلك قوله في تعريف المعدوم : « ضد الموجود » مع قوله عقيبه : « الضدان أمران وجوديان يستحيل اجتماعهما في محل واحد » وهذا يفيد أن المعدوم من الامور الوجودية !! ومنه قوله : « الذاتي ما يستحيل فهم ذاته قبل فهمه » ومنه تعريفه العدل والعدالة بالاعتدال والثبات على الحق . وانما نهت على هذه الاغلاط لألفت طلاب الازهر الى عدم التسليم بكل ما قاله الشيوخ المؤلفون لانهم ألفوا وماتوا . هذا وقد طبع الرسائلان أو المقاتلتان أو الكتيبان الشيخ أحمد عمر المحصاني الازهري وجعل لهما مقدمة وخاتمة فكان جميع ذلك ٣٦ صفحة صغيرة ولكن الثمن أصغر من ذلك فهو نصف قرش صحيح

(المعلقات السبع) هي أشهر من أن ينوء بها فما من مشتغل بالعلم الا وهو يعلم أنها أبغ ما يؤثر عن العرب في الجاهلية وأنها يحتاج اليها في اكتساب ما يكتسب فصححة اللسان وذوق اللغة ولكن نسخها التي في الأيدي غير موثوق بضبطها وصحتها لذلك انبرى الشيخ أحمد عمر المحصاني الى تصحيحها وضبطها على الشيخ محمد محمود الشنقيطي وهو كما يعلم القراء امام اللغة في هذا العصر وقد طبع النسخة المصححة مضبوطة بالشكل وذكر في هامشها اختلاف الروايات وأضاف اليها القصيدة المعروفة بلامية العرب مضبوطة مثلاً وجعل ثمن النسخة من الورق الأبيض الناعم قرشين صحيحين والنسخة من الورق الباتي قرشاً ونصفاً فنحت كل مشتغل بالعربية على حفظها بهذا الضبط والتصحيح . ويا حبذا لو كان أضيف الى ذكر الروايات تفسير الغريب (سفينة النجاة في قواعد النحاة) اسم لكتاب تعليمي مؤلف من أجزاء طبع الثالث منها أخيراً طبعاً حسناً مضبوطاً بالشكل على ورق حسن وهو أوسع من كتاب النحو الرابع الذي يقرأ في المدارس الأميرية او مثله لکنه أكثر تمريناً فهو خير كتاب رأيت في تسهيل تعليم النحو . ومما رأيت متقدماً فيه ذكر جمال قسدة في التمرينات لأجل اصلاح التلامذة لها وعندي أن هذا مما يترثه المعلمين ولا يكتب في الكتب . والخطب سهل . ومنه ذكر بعض الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والحكم الماثورة مع تصرف

فيها بالزيادة والتقصان أو التبديل والتغيير والمعنى صحيح . ولعل المؤلف يعتذر بأن هذا من قيل الاقتباس الذي اعتادوا التصرف فيه بالمأثور وهو عذر يقال وإنما انتقدت لأن القارئ يقع في الوهم من ذلك السرد الذي ليس مظنة للاقتباس اذ لم يعتد في مثل هذا المقام ، أما مؤلف الكتاب فهو أحد (الفرير) وقد أشار الى اسمه بهذه الإشارة (ح ط ٥) وأتبعها بهذه العبارة «مفتش اللغة العربية في احد المدارس الكبرى بالقاهرة»

﴿ المنار وجريدة « تربيت » الفارسية ﴾

جاء في جريدة تربيت الفارسية التي تصدر في طهران تحت عنوان (مجلة المنار) ما ترجمته ان العلوم والمعارف في هذا العصر قد بنيت في عمدة أقسام الدنيا كما ينبغي أن تبنى ، وأحكمت كما يجب أن تحكم ، ولم يبق إلا القليل من الأمكنة التي يعيش أهلها بالأوهام الباطلة ، والخيالات الواهية ، جاعلين عنان اختيارهم بأيدي أهواء مختلفة ، ورياح متواحة ، يسلكون المناهج المظلمة عُمياً لا يبصرون

ان معارف الفلاسفة الأقدمين وأفكار العلماء العرفاء من أهل القرون المتوسطة قد أصبحت مفاتيح لحكماء هذا العصر الجديد حتى سهل لهم بها تذليل الأقفال الصعبة ، وفتح الابواب الموصدة ، وأصبح عمر الانسان القصير من جراء هذه الاكتشافات يعد بالألوف من السنين . والعالم يفهم ان معنى العيش وحقيقة الحياة هو العلم ومن فوائد العلم القدرة على العمل ومن لا علم له لا قدرة له

والاشياء التي رومها الجاهل في عمره ويرجو ان يدفع بها آلامه وواجعه هي التي تولد الامراض وتضاعف الالوجاع ، فحكمها حكم الحمرة التي يشربها الشارب في جنح الليل لصدع همومه فيحدث في صباحه ما يكثر همومه من الصداع والكسل قال احد عبدة الخمر : إني لم اشرب في عمري غير جام واحد لترويح النفس وكل ما شربته بعد فأنما كان لدفع ما اورثته تلك الكأس من الخمول والحمود

لأن بعد فالغرض هو العلم اذ به أصبحت أكثر الممالك في هذا العصر جنات دانية الجنى وقد تسلسلت أنهار الفضل ببعضها وصيرت السراب بحراً متدفق الجوانب بالأمواه العذبة . وأحد تلك البحور الزاخرة التي ليس لها ساحل هو وادي النيل وكرسي الفراغة الذي صار حقيقاً بأن يدعى في عصرنا هذا بعرش الحكمة . وأي دليل على ما نقوله أقوى من وجود منبع الفضل العلامة الأوحذ مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية — متعنا الله بطول حياته — في الجامع الازهر في القاهرة

(الجامع الازهر هو مدرسة تحتوي على آلاف من الطلبة مشغولين فيه بتحصيل العلوم) وقبل هذا كثيراً ما تكلمنا عن الجرائد والمجلات المصرية واننا نكرر الحديث فيها حق لانكون مدينين بشئ لشرح هذا المطلب المهم ولا يفوتنا مستحب مؤكدة بل فريضة لازمة .

في هذا الاسبوع وردت على ادارة التربية (مجلة المنار) فغاز رواد المعارف الذين هم في حوزتنا الصغيرة من مطالعة تلك المجلة با كبر المنافع وبها عرفنا منزلة صاحبها سيد الفضلاء الاستاذ الالمى السيد محمد رشيد رضا ومقدار ما عليه حضرة من الفضل والادب أقول : لم يبق في هذا العصر للأمة المصرية شئ يمنعها من بلوغ مقاصدها السامية فإن أسباب الكمال مجموعة لديها فكاتبا مثل السيد ومحرورو أخبارها من ذكرنا قبل ومرشدها فياسوف مثل فضيلة الشيخ الأجل الشيخ محمد عبده (شكر الله مساعيه) ودار كتبها الشهيرة (الكتبخانة الخديوية) لا يحيط بها الوصف . فاذا لم يصل أولئك القوم الى أقصى درجات العلم والحكمة فلا أدري من أي جهة يكون التقصير وما هو السبب فيه

المنار مجلة علمية أدبية تهذيبية مليه وفيها أخبار متنوعة تصدر في غرة كل شهر وفي السادس عشر منه . هي جنس يجب أن يشرى بالروح . ومن زينة الحياة الدنيا أن هذه المجلة الواحدة تكفي وتغني . إن ما يسطر فيها يمزج بماء الحياة ويشرب فهو ينقذ من مخاب الاستسقاء المهلك ويحيي الروح وينجي من الموت ولم يؤلف كتاب ولا رسالة أحسن من مجلة المنار لاجل الوصول الى الحقيقة ومزايا الاسلام . ولو أن ابن خلدون الحضرى كان حيًا لعلم ما أقوله وأثبتته

في كل مقالة من هذه المجلة الغراء أثر من طيب ريحانة الفاضل الخير . والنحرير الذي ليس له نظير ، رئيس معلمي قاموس كل علم ، علم الأعلام ، سند الإسلام ، فضيلة الشيخ محمد عبده دام علاه ، الذي هو كمال المشرق والمغرب وجهاهما . واذا راقى الآراء المعدودة من حكماثنا في اعين العرفاء من الإفرنج قاوول تلك الآراء هي "تصورات ذاك المولى الكبير — أعنى الشيخ محمد عبده جعل الله الى أعلى المقامات منتهاه والى أعظم البحور طريقه ومن هذه المجلة أستنبط حسن حظ المصريين الذين هم اخواننا المسلمون واعلم ان شكر هذه النعمة من الواجب . وبعد الاسف الكثير على حال المسجونين في ظلام الجهل أقول : ينبج لمصر التي منحت فوق دار الكتب ودار الآثار والعاديات والمدارس كنوز معارف من المجلات النضيئة المفيدة . وما أضيف زمن طلاب جامع

الازهر إذ يحكمون مباني عقولهم وأفهامهم وينورون ساحات قلوبهم وأبصارهم بسماع
حكمة تلك الكلمات والآيات وجواهر أحاديث الفيلسوف الأعلم ، الجناب المستطاب
المعظم . الشيخ محمد عبده سلمه الله تعالى . يحسن من أهل بلادنا أيضاً أن يطلبوا
مقداراً من هذه المجلة ويسرحوا النظر فيها وإذا نشأ عن ذلك خطايا فخطاياهم في عنتي .
طالت حياة شيخنا الاجل الشيخ محمد عبده إذ فيها خير للمسلمين . وإن شاء الله

سنزين أوراق « التربية » بشرح ذلك مع الفوائد العظيمة من مجلة المنار

(المنار) لقد سبق أن قرّط المنار من علماء الاقطار وفي خير الجرائد والمجلات
العلمية في مصر وغيرها ولم ننقل من ذلك شيئاً لانتا نرى أن ناقل مدحه كداح نفسه
بنفسه ولكتنا عنيبتا بتعريب ما كتب في هذه الجريدة (تريبت) ونشرناه لأن صاحب
الجريدة من أكابر العلماء والفضلاء ، وخيرة الكتاب البلغاء ، ولأن الجريدة لها
المكانة العالية في نفوس كبراء الفرس وفضلائهم كما أخبرنا بذلك صديقنا ميرزا مهدي بك
صاحب جريدة « حكمت » الغراء ، بل لأن صاحبها على مذهب الشيعة فأحيينا أن يعرف
قراء المنار من أهل السنة أن من فضل الله تعالى على الاسلام والمسلمين أن نزع من
قلوبهم في هذا العصر تلك التعصبات والتحزبات التي خضدت بها من قبل شوكتهم ،
وفرقت كلمتهم ، فذهبت ريحهم ، وخبت مصابيحهم ، تقشمت الظلمات وانجلت الغيايب
عن فضلاء الامة فأبصروا ان مصابيحهم واحدة لان جامعهم واحدة وهي جامعة الدين
الحق الذي جمعهم اخواناً . صار المسلم في فارس يفرح لآخيه المسلم في مصر اذا أحسن
عمالاً ويحزن لآخيه في مرا كش اذا أساء صنعا ، وكذلك حال المصري يتهيج بما يسمع
من حسن حال اخوانه في ايران . ويستاء اذا هضمت حقوقهم في بلوجستان ، الا ما
يلغظ به بعض الاحداث ، وإن لم يصادف أقل اكرات ، فلا وطنية ولا عصية ، في هذه
الديانة الاسلامية ، وعلى كل حال يجب أن نشكر لأخينا صاحب جريدة (تريبت)
حسن ظنه بنا وبالمنار على ضعفنا وتقصيرنا . أمّا مقاله في الاستاذ الامام ، فهو الذي اتفق عليه
ذوو الافهام ، ولكن الشرط في حصول المراد ، هو كمال الاستعداد

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(مدرسة الشوريجي في كفر الزيات) — الناس معادن والاستعداد للخير يظهر
أحياناً في أفراد لا يهتدي أحد من الناس الى السر في ظهوره فيهم لأنهم لم يمتازوا في
تربيتهم امتيازاً يرفعهم عن قومهم فيسند الى تلك التربية ما يندفعون الى القيام به من

الاعمال النافعة والمشروعات العامة . وانما يتعلل علماء النفس والاخلاق في التعليل بأن ذلك الاستعداد جاء من الوراثة لأحد الأجداد السابقين وقامهم ان الله في بعض البشر عناية أزلية ، وفي بعض القلوب الهامات خفية ، وايس هذا وذلك من الشذوذ عن التواميس الفطرية ، ولكن غير معروف بالتحقيق والتعليل الصحيح عند علماء النفس . مصطفى بك الشوربجي تربي في الحقول والمزارع لافي المكاتب والمدارس وهو لا يقرأ الكتب والجرائد التي ترغب في انشاء المدارس والمستشفيات . وقد وفق منذ سنين الى انشاء مستشفى ومدرسة للبنين والبنات في بلده (بمديرية البحيرة) وأوقف عليهما من الارض مايفي ريعه بنفقتهما ثم انه لما صار يتردد الى بلدة كفر الزيات (بمديرية الغربية) لمعاهدة أراضي اشتراها فيها ورأى انه ليس فيها مدرسة للمسلمين شرع في بناء مدرسة للبنين والبنات فيها وبناء بيوت بجانبها توقف عليها . وكان يوم الجمعة الماضي يوم الاحتفال بالتأسيس وكان رئيس الاحتفال عدلي باشا يكن مدير الغربية وحضره كثير من الوجهاء والفضلاء . وبعد ان وضع المدير الحجر الأول في الأساس على الطريقة الأوربية الجديدة دعي كاتب هذه السطور الى الخطابة فقام وقال مافتح الله به من بيان حسنات العلم ومنافعه في الزراعة والصناعة والتجارة وكل أعمال الحياة الاجتماعية لاسيما جمع كلمة الأمة وتوحيد مصالحها ومنافعها الذي يتحقق به معنى الانسانية . ثم بيان أن نشر العلم الذي له هذا الشأن في الحياة هو أفضل الفضائل على الإطلاق حتى ان إنشاء المدارس له أفضل من انشاء المساجد . ثم الانتقال الى حث الاغنياء على انشاء المدارس وبيان ان جميع طبقات البشر متقاربون في اللذات الحسية وان أوهمت المظاهر الصورية خلاف ذلك فلم يبق من قادة للاستزادة من جمع المان الا الشرف وكان في أيام الجهل محصوراً في الاتفاق على احتفالات الاعراس والمآتم ونحوه ولكن أهل هذا العصر لا يرون الشرف الا في العلم والسعي في ثروته أو القيام بثمراته في تقع الناس فعلى من يريد ان يكون شريفاً عزيزاً في الدنيا أن يسعى في انشاء المدارس وعلى من يريد أن يكون سعيداً في الآخرة أن يسعى في ذلك أيضاً

ثم نهت بعد هذا على إقبال القبط على تعميم التعليم وتبقيهم المسلمين فيه مينا ان العلم هو القوة الكبرى فإذا وجدت في فريق من الأمة دون آخر يرى الفريق العالم أنه الأحق بالسيادة والرفعة وينشأ عن ذلك التنازع والتغابن بينه وبين الفريق الجاهل فإذا كان هذا على نسبة قريبة منه في العدد والثروة يسرع اليه الغلب والثلاثي ويسود العلم على الجهل سريعاً كبر شدايه قوله تعالى : " أن الارض يرثها عبادي الصالحون " .

أي الذين يصلحون لعمارتها والعمل بسنن الله في ترقيتها ، وإذا كان للفريق الجاهل قوة من العدد والمال يكون النازع شديداً ، وخراب البلاد وشيكاً ، والنتيجة أن خير البلاد في أن يكون أهلها متفقيين على عمراتها ولن يتفقوا في العمل حتى يتفقوا في العلم بالصلحة .

وذكرت أيضاً العلم النافع وأنه ما يصلح العمل للدنيا أو الدين أو ما يصلح الاعتقاد ويقوم الفكر . ثم حتمت القول بحث وجهاء الغربية الحاضرين على مجاراة وجهاء المتوفية في انشاء المدارس وعلقت الرجاء بسعادة مدير الغربية وسعيه وبالله التوفيق ثم قام ابراهيم بك الهلباوي المحامي الشهير فألقى خطاباً مفيداً بين فيه أن العلم كان حلية وزينة في الزمن الماضي وصار ضرورياً للحياة في هذا الزمن . وأن الناس كانوا يمتازون بالسجيا الفطرية فصاروا يمتازون بالمعارف الكسبية ولذلك صار العلم حياة حقيقية والجهل موتاً حقيقياً وضرب المثل بهنود أمريكا الذين اتقرضوا لأنهم لم بقدروا أن يعيشوا بجهلهم مع المستعمرين العالمين — الى غير ذلك من الفوائد التي اشتهرت بتوحيه المؤيد بها . وقد ضم الخطيب صوته الى صوتي في تعاليق الرجاء بالمدير ثم قام جندي أفندي ابراهيم صاحب جريدة الوطن الغراء فألقى خطاباً قال فيه ان الذي حملاه عليه هو مقاله الخطيب الأول (صاحب المنار) في النسبة بين المساميين والقبط وقال أنه موافق في القول وشاكر عليه . ثم ذكر بآثر المصريين مشيدي الاهرام وذكر ان السبب في سبق القبط المساميين في التعليم هو العناية بتعليم البنات واطال في بيان فائدة تعليمهن فجعله اهم من تعليم الذكور

وكان من محاسن الاحتفال حضور بعض التلامذة والتلميذات من مدرسة الشوريجي في البحيرة فخطبوا وانشدوا الأناشيد في مدح العلم ومؤسس المدرسة . ثم انصرف الناس داعين شاكرين

(المستقبل الاسلام) شغلنا معظم هذا الجزء بهذه الرسالة الجلية ليحيط القراء بفوائدها مرة واحدة . وإذا كان هذا رأي شيخ عامة المساميين في القطر وهم الصوفية وما تقدم في مقالات (الاسلام والنصرانية ..) هو رأي شيخ خواصهم من العلماء والكتاب . وقد اتفقا وبرهنا على أن المستقبل الاسلام والعاقبة لامتقين فلم يبق عذر للمساميين في تقدير القول قدره والعمل في تحقيق حسن العاقبة

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أتى خيراً كثيراً وما
يذكر الأول الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيسمعون أحسنه وأتلك الذين هداهم
الله وأوتلك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في غرة رمضان سنة ١٣٢٠ - ١ ديسمبر (تشرين ١٧) سنة ١٩٠٢)

— أيسر موه ولا يصاوه وهم مؤمنوه —

إذا كان الله تعالى قد منحنا الدين ليهدينا به الى سعادة الدارين ومنافع
الحياتين فلا غرو ان يكون لكل عبادة فيه وجهان احدهما روحاني
ينظر الى توثيق عقدة الايمان وتهذيب الاخلاق والآخر اجتماعي دنيوي
ينظر في احكام عرى الارتباط بين المؤمنين العابدين لتأكيد اخوتهم،
وتبرم جامعتهم، وتحقيق وحدتهم، وقد اهتدى علماء الاجتماع في هذه
المصوّر الى وجوب توحيد عادات الامة لان الوفاق كلما كثر وتعدد ما
به يكون اشتدت الاواخي وأمنت التراخي حتى يكون مجموع الافراد
كالشخص الواحد. فتراهم قد اتفقوا في انواع العادات فهم يلبسون زيّاً
واحدًا ويأكلون في وقت واحد ويتزهون في وقت واحد كما يتعلمون
على طريقة واحدة ويتربون على مثال واحد وبهذا صاروا كأنهم اهل بيت
واحد يتعاطفون ويتعاضدون بل صاروا في مجموعهم كالجسد الواحد كما

ورد الحديث في وصف المؤمنين

الصوم والصلاة عبادتان علمتا المسلمين الاولين مراقبة الله تعالى والتوجه اليه وطلب مرضاته فصلحت نفوسهم وسمت همهم وتهذبت أخلاقهم وعلمتاهم الاجتماع في اوقات معينة والاكل في اوقات متفقة فأرشدتاهم الى النظام وطرق الوحدة فصلحت احوالهم باطنياً وظاهراً فكانوا كما قال الله تعالى في خطابهم: « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » أو كالبنيان يشد بعضه بعضاً كما ورد في الحديث

مضت سنة الاولين من أهل الملل ان الدين يضعف فيهم ويضمحل على هذا النحو - نزول حقيقته المعنوية اولاً ثم نزول بعدها صورته الظاهرة بالتدريج . الجسد الحي بقاءه بقاء روحه فاذا أزهقت الروح منه أسرع اليه الفساد ثم التلاشي والاضمحلال . وإنما تزهد روح الدين بأمراض تعرض لها بعد فقد الأطباء الروحانيين أو إهمال خواص الأمة لهم وتركهم طبهم لا رواحهم عند مرضها . والسبب في رغبة هؤلاء عن مداواة نفوسهم هو أن الأمراض التي تلم بهم مستلذة بل هي لا تعدو الإفراط في اللذة مع الجهل بالعاقبة وما وظيفة الدين الا هداية الانسان الى موقف الاعتدال في استعمال قواه الفكرية والنفسية لتبقى فطرته سليمة معتدلة

الصلاة افضل من الصيام لان سلطانها على الروح اعلى ، وجذبها إياه الى عالم القدس اقوى ، ولان تأثيرها في جمع القلوب والتأليف بين الافراد ابلغ ، وإشعارها نفوس الطبقات المختلفة معنى المساواة أشد ،

الصيام يذكر النفس بالسلطان الالهي عندما تعرض لها الطيبات في النهار فتري انها ممنوعة منها بأمر الله تعالى شأنه وعند الفطر والسحور

إذا ذكرت أن تغيير مواقيت الأكل إنما كان لتحقيق هذه العبادة التي فرضها الباري جل جلاله على عباده ترويضاً لأرواحهم وجسومهم وتهويداً لهم على حكم قوائم النفسية كيلا تَهْرُطَ عليهم وتغني يستعدوا بذلك كله لتقواه جل وعلا . وأما الصلاة فكل قول من أقوالها وكل عمل من أعمالها فهو ينفع هذا الروح الحي فيمن يقيم الصلاة لا في كل من يصلي لأن فصلاً بعيداً بين إقامة الشيء على وجهه وبين الإتيان بصورته كالفصل بين خلق الإنسان وبين رسم صورته على لوح أو جدار

إذا قال مقيم الصلاة : الله أكبر : أعطته هذه الكلمة من تجريد التفضيل في التكبير أن الله تعالى أكبر من كل ما يوجد ويتصور فيطمئن قلبه بالتزيه وتستولي عليه هيئة الكبرياء والعظمة . ثم إذا قال : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض : (وهو مستحضر أنه يعبر عن توجه قلبه ، إلى حضرة معرفة ربه) فإن نفسه تسمو عن الالتفات إلى الدنيا ، وتسمو عن الاشتغال بالخصائس ، وحسبك من الصلاة ما تعطيه هاتان الكلمتان فكيف بك إذا تدبرت سائر الأذكار والتلاوة وفقهت سر ذلك القيام والقعود ، والركوع والسجود ،

كأنني ببعض الممكرين الذين يحكمون على الدين وتأثيره بما يجدون في أنفسهم وما يعرفون من حال معاشريهم والعائشين معهم يقولون : إن هذه الامعاني مخترعة ، وأسرار مبتدعة ، وخواطر سائغة ، وموازن غير راجحة ، وعذرهم في ذلك الحرمان ، وعدم تدبر سيرة الذين سبقونا بالآيمان ، ومن ذاق عرف ، ومن عرف وصف ، واست واقفاً هنا موقف المناظر ، ولم أقصد بهذا القول إقناع المكابر ، وقد سبق للمناظر

القول في بيان فوائد الصوم النفسية والبدنية والاجتماعية (فليراجع في المجلدين الثاني والرابع) وكذلك القول في فوائد الصلاة . وانما نريد الآن أن نذكر امراً غريباً في التصور ولكنه واقع شائع وهو ان كثيراً من الناس يصومون رمضان ولا يصلون الا في رمضان اولا يصلون مطلقاً .

الصوم من آيات الايمان فلا يجمع الكفر والجحود ولكن كيف يكون المرء مؤمناً بدين ثم هو يستبيح ترك افضل عباداته وآكد فرائضه وأعظم شعائره ، وما هي علة هذا الترك المطلق ، والإهمال المستغرق ، اذا كان الايمان هو الذي بعث ذلك الصائم على الصوم فلماذا لم يدعه دعاً الى الصلاة التي تلي الايمان في المرتبة ؟ أيتصور ان يكون لعملة واحدة معلولات فتوجد ويختلف عنها اول تلك المعلولات وأولاهها ، ثم يوجد أضيقها وأقصاها ، هذا موطن من مواطن العجب ، ولا بد من بيان السبب ،

قد يقال : اذا كان ترك الصلاة لا يجمع الايمان وترك الصيام لا يجمع الكفر فلا بد ان يكون من يصوم ولا يصلي في مرتبة بين المؤمن الصادق ، والكافر المارق ، وهو ما كانوا يدعونه المنافق ، فهو مرتاب يصوم لاحتمال صحة الدين ، ولا يصلي لفقد اليقين ، ويمكن ان يقال : ان صوم مثل هذا ليس من ثمرات الايمان ، وانما هو مجارة للاهل والجيران ، فهو عادة لاعبادة . ولو تركه المعاشرون والاقربان ، لما بعث عليه القرآن ، ولذلك ترى الذين لا يصلون بالعادات لقوة عزائمهم في العمل بما يعتقدون قد تركوا الصوم فهم يحاربون الدين جهراً ولا يحترمون اهله ولا يجاملونهم من حيث هم به مستمسكون . ويصح ان يقال : ان من تارك الصلاة المارق ، ومنهم المنافق ، ومنهم من يتركها لمرض الجهل والكسل لمرض

الارتياح او الجحود . ولذلك يصوم هذا صوماً حقيقياً يفيد تقوى الله تعالى في امور كثيرة فهو يظماً وَيَصْدَى ولا يشرب في خلوته لعلمه بأن الله تعالى يراه ولا يرضى له ان يكون ضعيف النفس مغلوباً لشهوة الماء يعصي الله لاجلها . فان لم يلاحظ مثل هذا بالتفصيل فلا أقل من الاجمال

اما الجهل الذي يساعد الكسل على ترك الصلاة فهو ذو شعب كثيرة يوجد بعضها عند ابناء العصر الجديد وبعضها عند ابناء العصر العتيق . يقول ابناء العصر الجديد : ان الله تعالى لا يعذب الناس اذا قصرُوا في عبادته لان الدين لا يصح أن يكون عقوبة للبشر وإنما فرضت الصلاة لتعين على تهذيب النفس ونحن قد تهذبنا نفوسنا فلا نرضى لانفسنا أخلاق هؤلاء المصلين الذين فشا فيهم الكذب والنش والزور والطمع والدناءة الخ :

قول اشتبه حقه بباطله ومسلك الجهل فيه دقيق . وانا ان تقول لهم صدقتم في قولكم ان الدين لا يصح ان يكون عقوبة بل هو رحمة من الله تعالى قال تعالى لَنُبَيِّهَ « وما ارسلناك الا رحمةً للعالمين » وقال في خطاب المكلفين « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ » ولكنه لم يشأ فله الحمد والشكر . وقال جل ثناؤه « يريدُ اللهُ بكم اليسر ولا يريدُ بكم العسر » وفي معناه قوله عز وجل « وما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » ولكن العقوبة على ترك الصلاة ليست من الحرج وإنما هي من الرحمة فان الصلاة منفعة وترك المنفعة ضارٌ لانه وقوع في الضد وهي واقعة في الدنيا ومعقولة فمن الجهل الارتياح فيها . ألا ينظر هؤلاء القائلون في صنفهم والذين تعلموا وتربوا مثلهم كيف تفتك فيهم الفواحش والمنكرات فنذهب بمالهم وبصحتهم وتكبل بالادم بالسلاسل والأغلال

وتسلمها إلى الأجنب . وإذا وجد فيهم أفراد ساعدتهم الاستعداد الفطري وما يسونه (الظروف) والوراثة الطبيعية أسلفهم المصلين على تهذيب نفوسهم فهل استغنوا بهذا التهذيب الذي امتازوا به على العدد الكثير من أمتهم المريضة عن تكميل نفوسهم بمناجاة الله تعالى . أليس لكل واحد منهم أمراض نفسية لو أقام الصلاة لوجد فيها شفاءها . منهم الهلوع الذي يجزع لكل شريعته حتى كأنه امرأة ضعيفة أو طفل صغير والذي إذا أصابه الخير أمسكه عن إعانة الضعيف، وإغاثة للهِف، بل الذي لا يخرج منه الحق الثابت عليه الا نكداً . وإذا فرضنا أن جهله بحقيقة نفسه وحقيقة الصلاة زين له عدم حاجته إليها ولو لشكر الله تعالى وحفظ شعار الدين الذي ينتمي إليه فهل يُزين له أيضاً أن أهله من زوجة وبنين وبنات في غنى عن هذه الصلاة؟ وإذا لم يكونوا في غنى عنها فهل يرى أن إقامتهم إياها من الأمور السهلة إذا كان هو لا يصلي؟؟ أما صلاة فاسدي الأخلاق الذين يمثل بهم هؤلاء فهي شبيهة بصيامهم أي إنها محاكاة وتمثيل لحياة الصلاة الظاهرة

وجملة القول في جواب هؤلاء أن اعتذارهم بعدم العقوبة على ترك الصلاة غير سديد وأنهم لم يفهموا معنى الصلاة فيفهموا معنى العقوبة على تركها، ولو فقهوا تأثيرها في النهي عن الفحشا، والمنكر لفقهوا معنى كونها رحمة تزي النفس فتفلح في الدنيا والآخرة، وكون تركها نقمة تدس النفس وتسهل لها سبل الفواحش والمنكرات فتسلكها فتخسر في الدنيا والآخرة. لو تأمل المتأمل المؤمن بالله معناها وما وصفتها به الكتاب العزيز لفقه ذلك. ولو علم أنها الآلية الكبرى في انقلاب أحوال مسلمي الصدر الأول وتبدل أخلاقهم وسجاياهم لفقه ذلك . ولو كان عندنا اليوم عدد من مقيمي الصلاة

لاستغنيانا عن هذا وذاك في تعليم الجاهل، وتبنيه الغافل، واقناع المجادل، هذا ما يقول لنا أبناء العصر الجديد وما يقول لهم الآن بالايجاز وان لنا لعودة تفصل فيها القول تفصيلا ان شاء الله { وأما أبناء لعصر العتيق فان لهم من الضلال في فهم الشفاعات والمكفرات، والانتساب الى اصحاب الاضرحة والمقامات، ما يصرفهم عن اقامة الصلاة، ويغلث أيديهم عن أداء الزكاة، فكيف إذا أضافوا إلى ذلك الغرور بالله والتشديق بذكر الرحمة والمغفرة . وقد كشفنا من قبل جميع هذه الشبهات وأن أكبر آية على ضلالهم في فهمها سوء تأثير هذا الفهم فيهم حتى انتهى بهمدم أركان الاسلام وترك شعاره فكاد ينطمس مبناه، بعدما جهل معناه، ولكن خطباء الفتنة وعلماء السوء هم الذين يروجون هذه الاضاليل فهم قادة المقلدين، وعونهم على إضاعة الدنيا والدين، وكأنك بغربانهم تنق على اعدوا المذابح هذه المكفرات ومنها المكذوب على الله ورسوله كقولهم: إن الله يعتق في كل ليلة من رمضان ستمئة الف عتيق من النار فاذا كان آخر ليلة منه اعتق بقدر ما مضى : وامثال ذلك. وفي أقوالهم ما تصح روايته ولكن الفساد في جهل معناه. لذلك ترى اكثر العامة يصومون ولا يصلون ولا يزكّون، ومنهم الذين لا يحاؤون ولا يحرمون،

الصوم اسهل على النفس من المحافظة على الصلاة ومن إيتاء الزكاة .

فهو الرسم الباقي عند اكثر المسلمين فاذا درس (والعياذ بالله تعالى) كان دروسه خطرا كبيرا على الرابطة الاسلامية. لهذا نرى ان لذين يجاهرون بالافطار في رمضان من المسلمين الجغرافيين أشد فتكا بالاسلام والمسلمين من كل مخالف يطعن بعقائدهم او يستأثر بسياستهم. ومن العجيب ان يوجد فيهم

من يتشدد بكلمة الوطن او الامة. واعجب العجب ان بعضهم يذكر الاسلام ويظهرانه يتمنى عزته. ويحاول خدمته،

اذا كان تارك الصلاة إنما يتركها ثقلاً من مقدماتها وشروطها وتكرارها فانا أدله على ما يذهب بثقل هذه الامور كلها ويسهل عليه ما عسره اختلاف الفقهاء. وإنما يكون ذلك بالرجوع الى اصل الدين، والعمل بما اتفق عليه جميع المسلمين، فأما الطهارة فالغرض منها النظافة وهي مما يرغب فيه كل كريم النفس ويتجراه بحسب استطاعته واما كون التنزه عن القليل من النجاسة والكثير شرطاً لصحة الصلاة فما اختلف فيه السلف الصالح والائمة المجتهدون فليتجر الانسان التنزه احتياطاً الا اذا عسر عليه ولما اذا احتاط لقول بعض الفقهاء حتى يترك الصلاة احتياطاً ولا يعمل بقول من لا يرى الشرطية وقيم ركن الدين الركن احتياطاً. بل ان الذين اشترطوا طهارة الثوب والبدن للصلاة قالوا ان المشقة تجلب التيسير ولا حرج في الدين فمن صعب عليه الاحتراز من شيء فله رخصة فيه

وأما الوضوء فهو اسهل شيء اذا روعيت السنة ونبذت الوسوسة فقد ورد ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم توضأ ولم يقع شيء من ماء وضوئه على الارض فيسهل على العارف بالسنة ان يتوضأ من كوب ماء (كوبايه) وهو واقف او قاعد لا سيما اذا كان يمسح على ما يستر رجله ولو جورباً من قطن او صوف فان ذلك جائز عند كثير من الصحابة والتابعين وعليه الامام احمد

واما تعدد الصلاة فخير لصاحب الشغل الكثير من الترك ان يأخذ بالحديث الذي رواه مسلم في صحيحه والشافعي في سنته وغيرها وهو ان

النبي صلى بالصحابة الظهر والعصر في وقت واحد والمغرب والمشاء في وقت واحد « من غير مرض ولا سفر » وقد أول أكثر الفقهاء الحديث فحمله الشافعية على وقت المطر والمالكية على تأخير الأولى والتعجيل بالثانية ولكن في بعض رواياته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تعليل ذلك بقوله « لئلا يخرج أمته » فدل هذا على أن هذا الجمع رخصة والعزيمة في أداء الصلاة في وقتها أفضل ولكن الرخصة أولى من الترك كما هو واقع . كل واحد من هؤلاء المترفين الذين يتثاقلون عن أداء الصلاة يغسل أطرافه عند القيام من النوم فإذا جعل ذلك الغسل موافقاً للوضوء الشرعي وصلى ركعتين شكراً لله تعالى وحفظاً لأفضل شعار يربطه بأمته وتعلماً لمن يعيش معهم للدين بالعمل أو حملاً لهم على التأسى به فأي ثقل عليه؟ ثم إذا فعل مثل ذلك في وقت الظهيرة إذ يسكن إلى الراحة أو وقت الاصيل إذا شغل وقت الظهيرة فأي تب في ذلك وهو عمل لا يستغرق ربع ساعة؟ وكذلك وقت العشي عند ما يستريح من عمل النهار

اختتم القول بتذكير أبناء العصر الجديد بمسألة هم أعرف بتفصيلها من سواهم . وهي أن الأمم الحية تحافظ على عاداتها القومية وشعائرها الملية وإن كانت تعتقد أنها وضعية فلا يرضى أهل الرأي منهم بترك شيء من ذلك إلا إذا تبين لهم أنه ضارٌّ ضرراً كبيراً لا يشفع فيه حفظ الرابطة العامة بالثبات عليه ثم إنهم يتروون في ذلك التروى الواجب . فما بالكم وأنتم تقلدونهم في لزي والحركة في الطريق (لا في العمل) وفي الماعون والآثاث لا تقلدونهم في اثبات على شعائركم والمحافظة على روابط جامعتكم ؟ تعلمون أنهم ما تركوا شيئاً إلا بعد أن استبدلوا به ما رأوه خيراً منه فماذا استبدلتم بهذه الشعائر

الاسلامية النافعة ، والروابط المالية الجامعة ، التي تتركونها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ؛ ألا إنكم تستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير تحاون عرى جاهتكم التي فيها عزكم وشرفكم في الدنيا وسعادتكم في الآخرة وأنتم لا تشعرون ، فتوبوا الى الله لعلكم تفلحون ،



﴿ تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس من دروس مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده في الازهر)

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ .

تقدم تذكير بني اسرائيل بالنعمة في آية قبل هذه الآية مقرونا بالامر بالوفاء بعهد الله وبالوعد بالجزاء عليه ثم الامر بالخشية منه وحده وتلاها آيات أمرهم فيها بالإيمان بالقرآن ونهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمانه . ثم أمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم وبخهم على نسيان انفسهم من البر مع امر الناس به وتلاوة الكتاب الداعي اليه ودلهم على الطريق الذي يذهب بهذا النسيان وهو الصبر والصلاة التي فقدوها بفقد روحها وهو الاخلاص والخشوع . وبعد هذا عاد الى التذكير بالنعمة بنوع من التفصيل فان النعمة في الآية الاولى جملة والإجمال ينبه الفكر الى التذكر في الجملة فاذا تلاه التفصيل والبيان كان على استعداد تام اكمال الفهم فيكون التذكر أتم والتأثر أقوى والشكر على النعمة أرجى

بعد ما طلب منهم ان يذكروا نعمة عليهم وتفضيله اياهم احياء لشعور الكرامة في نفوسهم وصله بالامر باتقاء يوم الدين والجزاء . وهذا اسلوب حكيم في الوعظ فينبغي لكل واعظ ان يبدأ وعظه باحياء إحساس الشرف وشعور الكرامة في نفوس الموعوظين استعداد بذلك لقبول الموعظة ولا تستنكف مما يتضمنه الوعظ من التقرير والتوبيخ . هذا الشعور ملازم للانسان لا يفارقه ولكنه يضعف حتى لا يظهر له اثر وفي تحريك الواعظ له اعتراف ضمني بكرامة وفضل للموعوظ يشفعان له بما يستلزمه الوعظ من الإهانة فيسهل احتمالها ويقرب قبوله

قال الاستاذ الامام : شعور العزة والكرامة امر شريف يدعو اليه الايمان بل يستلزمه على وجه اكمل لان ذا الايمان الصحيح الكامل يرى ان له نسبة الى آله عظيم خالق للسماوات والارض وانه سيده وممده وعند ذلك تعلو نفسه وترتفع كما قيل :

قوم يخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه
من كان يشعر بقيمة نفسه تراه اذا خلا بنفسه وتذكر انه أم بقية يتألم
ويهتز ويستعيد بالله من الشيطان الرجيم . واذا تذكر المؤمن ان قلبه لذي
تشرف بمعرفة الله تعالى لا ينبغي ان يكون فيه شيء نجس يزاحم هذا
العرفان فلا شك انه يأنف من هذه المزاحمة وثقل عليه ويسهل عليه التزكي
مما ألم به والى انابة الى الله تعالى . قال : لهذا بدأ الله تعالى تذكير بني اسرائيل بما
بدأوا به بمائتي وهو يتضمن من التقرير والتوبيخ ما يشعر بغاظ طبائعهم وفساد
قلوبهم فان من لا يتأدب باحياء إحساس الكرامة يؤدب بالتأنيب والاهانة
المبد يقرع بالمصا والحر تكفيه الاشارة

ناداهم باسم ابيهم الذي هو اصل عزم وسؤددهم ومنشأ تفضيلهم
واسند النعمة اليهم جميعاً لا اليه ثم طفق يفصل النعمة التي ذكرها مجملة
فيما سبق بذكر امهات انواعها فذكر تفضيلهم على العالمين بمحض كرمه
وفضله فان بني اسرائيل كغيرهم من البشر . والتفضيل هو مناط الاخذ
بالفضائل وترك الرذائل لان الذي يرى نفسه رذلاً خسيساً لا يبالي بما
يفعل . ومن يرى نفسه مفضلاً مكرماً فانه يترفع عن الدنايا والחסاس
التي تدنس شرفه وتذهب بفضله . والحكمة في التذكير بالتفضيل ان
يتذكروا ان الذي فضلهم له ان يفضل غيرهم كمحمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وامته وتنبئهم الى عدم الذهول عن انفسهم ليذكروها عند امر
الناس بالبر ويعلموا انهم أولى بأن يبروا ممن يأمرونهم بالبر لانهم يتلون
الكتاب الداعي اليه وهو آية تفضيلهم . والى انهم احق باستعمال الفكر في
الآيات التي اوتىها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأجدر من جميع الشعوب
بالإيمان به فان المفضل أولى بالسبق الى الفضائل ممن فضل هو عليه
ثم ان الفضل على العالمين ان كان بكثرة الانبياء فيهم فهو ظاهر
على عمومهم لانه لا يعرف شعب من الشعوب يزاحمهم في هذه المزية .
ولا تقضي هذه التفضيلة بأن يكون كل فرد منهم افضل من كل فرد من
غيرهم . ولا تنافي ان يفضلهم اخس الشعوب اذا هم انحرفوا عن هدي
انبيائهم وتركوا سنتهم واهتدى اليها ذلك الشعب الذي كان مفضولاً .
وان كان المراد من التفضيل هو القرب من الله تعالى بمرضاته فلا بد من
تخصيصه بعالمي زمانهم ومن تقييده بمدة الاستقامة على العمل الذي
استحقوا به التفضيل

ثم قال تعالى « واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً » وصف اليوم بهذا الوصف ولم يقل يوم القيمة مثلاً للإشعار بأن التصرف في ذلك اليوم والامر كله لله فليس فيه ما اعتاد الناس في هذه الدنيا من دفاع بعضهم عن بعض . وعبر عن هذا المعنى في اول سورة بقوله « مالك يوم الدين » ثم وصفه هنا بوصف آخر يناسب الاول فقال « ولا يقبل منها شفاعه » اي لانه يوم لا تأثير لاحد فيه ولا كسب ولا ينطق فيه احد الا باذنه تعالى . قال (الجلال) : اي ليس لها شفاعه فتقبل : واستدل بقوله تعالى حكاية عن المجرمين في الآخرة « فمالنا من شافعين » قال الاستاذ الامام ولا دليل في هذا على ان المراد ما ذكر وإنما السياق في الآية وأمثالها يدل على أن المراد بيان ان ذلك اليوم يوم تنقطع فيه الاسباب ، وتبطل منفعة الانساب، وتحول سنة هذه الحياة من انطلاق الانسان في اختياره يدفع عن نفسه بالعدل والقداء ، ويستعين على المدافعة بالشفاعة عند السلاطين والامراء ، وانه يوم لا يتحرك فيه عضو الا بإذن الله . ولا يقدر أحد ان ينسب بكلمة الا باذن الله . « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » كان اليهود والمخاطبون ببيان هذه الحقيقة كغيرهم من أمم الجاهلية وأهل الملل الوثنية كقدماء المصريين واليونان يقيسون أمور الآخرة على أمور الدنيا فيتوهمون أنه يمكن تخلص المجرمين من العقاب بقداء يدفع بدلاً وجزاء عنه (كما يستبدل بعض حكاهم منفعة مالية بعقوبة بدنية) أو بشفاعة من بعض المقرين الى الحاكم يغير بها رأيه ويفسخ إرادته . ولقد اكتسح الاسلام هذه العقائد وآثارها العمالية بالتوحيد الخالص وأتى بنيانها من القواعد . ولكن المسلمين لم يسلموا منها فقد دخل في الاسلام أقوام

يحملون أوزاراً مما كانوا عليه من الوثنية ولم يلقنوا الدين من القرآن ولا كما أرشد القرآن ولكنهم تقلدوه ممن لا يعرفه حق المعرفة وكما ترشد إليه كتب التقليد فكانوا على بقية مما عندهم وعلى جهل بالاسلام وجاء قوم آخرون تعمدوا الإفساد بفعلوا بالتأويل الباطل حقاً، والكذب صدقاً، وذكر الأستاذ الامام بعض العادات المصرية التي يعملونها باسم الدين، وهي من إرث قدماء الوثنيين . كإعطائهم لغسل الميت مالا يسمونه (أجرة المدية)، أي اجرة نقله الى الجنة . وغير ذلك مما يعملونه للأموال ولمن يعتقدون فيهم الولاية والقرب من الله

ثم ذكر المكفرات التي يعتقدها اليهود كقربان الاثم وقربان الخطيئة وقربان السلامة والمحركة والاكتفاء ممن لم يجد القربان بحمامتين يكفر بهما عن ذنبه وقال : وكانوا يفهمون أن هذه الاشياء تكفر الذنوب بذاتها والحق أنها عقوبات لا مكفرات فإن من فهم التوراة حق فهمها يعلم ان المكفر الحقيقي هو التوبة والإقلاع عن الذنب ثم تقديم القربان يكون تربية وعقوبة . وقد أخبرهم الله تعالى في هذه الآية بأن يوم القيامة لا يقبل فيه عدل يفتدي الانسان به قال : وكانوا يعتقدون أنهم بانتسابهم الانبياء لا يدخلون النار اولا تمسهم الايام معدودة لأن لهم الجاه والتأثير يوم القيامة ولا يرضون أن يتركوا أبناءهم في العذاب . ثم زادوا على ذلك شفاعاة الأحرار لمن ينتسب اليهم . ومتى ضعف الدين يوجد من رؤسائه من يروج هذه العقائد في العامة لما تسوق اليهم من المنافع . وكذلك كان اليهود حتى جاء الاسلام بهذه الآية وامثالها فحما هذه العقيدة ليعلم المؤمنون به أنه لا ينفع الانسان يوم القيامة الا مرضاة الله تعالى بالايان الخالص والعمل الصالح

في القرآن آيات ناطقة بنفي الشفاعة مطلقاً كقوله تعالى « لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » وأخرى ناطقة بنفي منفعة الشفاعة كقوله عز وجل « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » وآيات تقيد النفي بمثل قوله تعالى « إلا بإذنه » وقوله « إلا لمن ارتضى » فمن الناس من يحكم الثاني بالاول ومنهم من يرى أنه لا منافاة بينهما فتحتاج الى حمل أحدهما على الآخر لأن مثل هذا الاستثناء (اي الاستثناء بالاذن والمشية) ممدود في أسلوب القرآن في مقام النفي القطعي الاشعار بأن ذلك بإذنه ومشيته كقوله تعالى « سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله » وقوله « خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء ربك » . فليس في القرآن نص قطعي في الشفاعة ولكن ورد الحديث بإثباتها فما معناها ؟

الشفاعة المعروفة عند الناس هي أن يحمل الشافعُ المشفوعَ عنده على فعل أو تركٍ كان أراد غيره - حكم به أم لا - فلا يتحقق الشفاعة إلا بترك الإرادة وفسخها لأجل الشفيع . فأما الحاكم العادل فإنه لا يقبل الشفاعة إلا إذا تغير علمه بما كان أراد أو حكم به كأن كان أخطأ ثم عرف الصواب ورأى أن المصلحة في خلاف ما كان يريد . وأما الحاكم المستبد الظالم فإنه يقبل شفاعة المقرين عنده في الشيء وهو عالم بأنه ظلم وإن العدل في خلافه ولكنه يفضل مصالحة ارتباطه بالشافع المقرب منه على العدالة . وكلٌّ من النوعين محالٌ على الله تعالى لأن إرادته تعالى على حسب علمه وعلمه أزلي لا يتغير فما ورد في إثبات الشفاعة يكون على هذا من المتشابهات وفيه يقضي مذهب السلف بالتفويض والتسليم مع تنزيه الله جل جلاله عن المعروف من معنى التشابه . وأما مذهب الخلف في التأويل فلنا أن نحمل الشفاعة

فيه على أنها دعاء يستجيبه الله تعالى والاحاديث الواردة في الشفاعة تدل على هذا ففي رواية الصحيحين وغيرها أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يسجد يوم القيامة ويثني على الله تعالى بثناء يلهمه يومئذ فيقال « ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع » وليس في الشفاعة بهذا المعنى أن الله سبحانه يرجع عن ارادة كان أرادها لأجل الشافع وانما هي إظهار كرامة للشافع بتنفيذ الإرادة الأزلية عقيب دعائه . وليس فيها أيضاً ما يقوي غرور المغرورين الذين يتهاونون بأوامر الدين ونواهيه اعتماداً على شفاعة الشافعين بل فيه أن الأمر كله لله . وانه لا ينفع احداً في الآخرة الا طاعته ورضاه « فما تنفعهم شفاعة الشافعين . فما لهم عن التذكرة معرضين »



﴿ كيف يكون المستقبل للمسلمين ﴾

قرأت في (المنار) الزاهر مقال سماحة السيد البكري فايقظ في نفسي آملاً كباراً، وهاج من قلبي مرامي بعباداً، ورأيت يتفق معي في الامة؛ ويلقي قلمه قلبي في النهاية، الا انه سار اليها من طرق المعارف التشريعية، وانتهى اليها وجهة علم الظواهر الجوية، وناط ذلك المستقبل بالفواعل الطبيعية، والاحوال الوسطية، من كثرة السكان، وخصوبة المكان، وعدم امكان الانسان المعيشة في كل مكان، وهي قضايا يتناولها النقد، ويمكن فيها الاخذ والرد، والاقبال والصد، إن رضىها (جوستاف لوبون) رفضها (لينيه) و(كاترفاج) و(داروين) و(وروسل ولاس) و(هكسلي) و(لامارك) و(كوفيه) و(بوفون) وغيرهم من إخوانه الفسيولوجيين . على أن تعليق حياة الاسلام على مؤثرات الوسط وعوامل المكان لا

يناسب مجده وعلو شأنه، وأهميته أكبر من أن تدفع الكاتب إلى تحري افكار الافراد لتسكين الحواطر على نجاة بلدانه، وسلامة اوطانه، فان كان الاسلام له المستقبل الباهر، والآتي الزاهر، فليس ذلك الا لكونه الحق الصميم، والنور الصريح، والكلمة العليا؛ والمحجة البيضاء، أنشودة الانسان، وضالة العرفان؛ ونظام العلم والدين؛ وسلك الفلسفة الحسية واليقين، ان كان ينشره الصوفية اليوم بين الشعوب الشرقية؛ المنحطة في درجات المدنية؛ والعلوم الكونية؛ فينشره غداً لهايم الفلسفة الحسية، ويأفخ المعارف الطبيعية. ليس لكونه كما اعتدنا ان نقول ديناً جمع بين المصالح الروحية والجسدية ويربط بين الأمور الدنيوية والاخرية فقط هذه بمض مزايا الاسلام وتابع بسيط لتعاليم نسردها سرداً لبعض العقول البسيطة الى لا تدرك غيرها، ولا تتمسك بالدين الا من أجلها؛ أما غدا وليس بعيد يوم تجي دولة الروح ويخرج الانسان من قهر المادة العمياء وسلطة الطين الاصم وينتهي دور الخراف الحيوانية؛ وتزول سلطنة البطن والامبال البهيمية؛ وينقلب شأن الانسان من حال مادي الى حال روحاني، كما نقلب من حال فطري الى حال فكري عتلي؛ فتشرق الروح في عالمها وتزعج الانسان الى أداء مطالبها؛ وتصيح به لأن يرجع بها الى محتها؛ ويصعد معها الى أوجها؛ كما كانت تزعجه المادة الى القيام برغائبها؛ وتميل به الى عالمها؛ وتطالبه بالركون الى طينها؛ ذلك اليوم تطلب لروح بابا امروجها؛ وترتاد طريقا لصعودها؛ تلفت الى جثمائها فنرا عبيثاً ثقيلاً؛ ومانعاً كثيفاً؛ وأنى له اختراق طبقات اللطافة الملكوية بها؛ وكيف له السبح في العوالم النورانية معها؛ هنالك يكون التنازع بين الروح والجسد لا كما هو الآن تنازع بين مصاب غذائية

وزخارف مادية ؛ وأغذية دهنية وشحمية ؛ وألبسة قطنية او حريرية ، بل
تنازع في كيفية اعتمادهما معاً على السبح في سبحات النور الاقدس ،
والجري يدايد في باحات الكمال الاقدم .

هنالك سيدور الانسان على نفسه دورة اخرى على محور لا يتخيله
الآن الا كبار الافئدة كبار العقول . هنالك سيكون الاسلام قائد تلك
الحركة وسلطان تلك الدولة والداعي الى الكمال بلسان العدالة المطلقة
والمؤاسي بمراحمه الشافية القلوب الياسة . هنالك سيحوم الناس حول
الاسلام كما يحول الفراش حول النور يطلبون نجاة ارواحهم واجسادهم معاً
لا ارواحهم فقط . هذه حقائق لا خيالات الا ان تجليها للاذهان يحتاج
الى كلام كثير بل سفر كبير

فستقبل الاسلام فيما أعلم وأرى من هذا الباب دون غيره وهو اليق
بعلو شأنه وأنسب لرفعة مكانه واولى به ديناً إلهياً ؛ ووحياً علوياً ؛ ولكن
متى نصل اليه ؛ وأي نوع من أنواع الوسائل نعول عليه ؛ هذه جهة الخلاف
بينى وبين سماحة السيد . يرى أن أنجع الوسائل لذلك فتح المدارس وترتيبها ؛
وترجمة الكتب العلمية ونشرها ؛ ومشاطرة الاجانب في لغاتهم والتعمق
فيها ؛ ويرجو لذلك أن تمقد جميات ؛ وتشكل هيئات ، وتنضم أصوات
وتتحد وجهات ، وتتفانى هم أئمة ؛ وتتكاثر عزائم إسلامية ، وتبذل أنفس
عزيزة وأرواح ؛ وتباع في سبيل الوحدة بيع السماح ؛ وكلها مطالب سامية ؛
ورغائب عالية ؛ ولكن هل تحقق ؟

لنجل في إمكانها نظراً ؛ ونعمل في احتمالها فكراً ؛ فإن لاح لنا برق
امل ضممننا صوتنا الى صوته ؛ والا أبدينا فيها رأينا ؛ وعززناه بأسلوبنا ؟

حكم السيد بان لا وطن للإسلام ولا جنسية ؛ وأن رابطتنا الوحيدة هي جامعة العقيدة وآصرة الإيمان ووشيجة اليقين . فلينظر هل تلك الرابطة اليوم صالحة لان تضم اجزاءنا وتلم شعشنا وتوجه عواطفنا الى تيار واحد لنحقق بذلك آمالاً عظيماً ؛ ونرأب بها من جسم هيأتنا صدوعاً جساماً ؛ يضرب لنا السيد مثلاً بالجمعيات الأجنبية التي تألفت للوحدة الإيطالية ؛ والجامعة السلافية ، والجنسية السكسونية ، وعاج من ذلك على ذكر الثورات الارمنية والمقدونية والكريدية ، ثم قال انها « تعمل أعمال الجبارة في الخلاص من حضيض الاسر ، إلى أوج النسر ، والامة الإسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تنتفض انتفاض الطائر في شباك الصائد . ولا تعمل لانجاة عملاً . وكيف ترجو الوصول الى الغاية وهي لا تنقل اليه قدماً ، ولا تحرك شفة ولا قلماً ، ومن طالب شيئاً وجده ، ومن تركه فقد ، » ثم أردف ذلك بقوله : « ولا يعتذر الجبان المنقود القلب بان عقد هذه الجمعيات مما يتعذر حصوله في البلاد الإسلامية الآن اذ اي جمعية انشئت قبل هذه فلم تقابل بالكفران ، وتحط بالنيران ، لكنها العزيمة التي ترى ان الموت في حياة الأمة خيراً من الحياة في موتها وأن لا محيص من الصدر أو القبر . »

نقول ولسنا بجبناء ، ولا منقودي الذاب ولا يائسين ولا مفتونين : لقد سلك السيد في مقاله مسلك الكاتب الحماسي - ولكنه لم يسر سير العالم ولا الفيلسوف العمراني . ولو كان قبل ان كتب مقالته تدبر في ألوف المقالات التي كتبت قبل مقالته بعشرين سنة وكان فيها من ضروب الخوض والحث والتحسيس مالا يمكن المزيد عليه ومع ذلك لم تنتج أثراً ؛ ولم تحقق

لكاتبها ولا لخلافه أملاً، لكان رجع إلى نفسه وعلم أن المانع للأمة من سماع تلك الصيحات، والإصاخة لتلك الهيئات، أمر جلال وخطب كبير. ولتراث له أدواء يجب فحصها وعلل لا ينجم دعاء بوجودها.

قررت العلوم النفسية، وحكمت المشاهدات الوجودية، أن الإنسان لا يعمل عملاً بل ولا يتحرك حركة إلا وهو معتقد صلاحية ما يعمل أو يتحرك من أجله ومتيقن من الوصول إلى غايته فهل لدى فضلائنا الذين يطلب منهم تأليف تلك الجمعيات من العقيدة الراسخة واليقين الثابت ونحن في القرن العشرين ما يحملهم على تشكيل الجمعيات وبذل نفوسهم ونفائسهم دفاعاً عن حقيقتهم وقراءاً دون حريءها؟

أنا أول من يقول بأن المستقبل للإسلام وكتبي ومؤلفاتي تشهد لي بذلك ولكني لا أحب أن أجعل للخيال ساطاناً على قلبي، ولا للحماسة التي تنطفئ بمجرد الكتابة نفوذاً على إحساسي؛ بل أعلم أنني عاش في عصر الفلسفة الحسية. والمدنية المادية. والمعارف الطبيعية. وصرفت زمناً ليس بالصغير في فحص وسطي الذي أعيش فيه وامتني التي أنا بين ظهرانيها ورأيت بالحس أننا إن لم نسع لمداواة عللنا من أصولها تنهنا في تطييرها وضللتنا في علاجها وذهبت كل صيحاتنا أدراج الرياح كما ذهبت صيحات من كان قبلنا. أما داؤنا الوحيد اليوم وسبب عدم صلاحية خاصتنا لأداء وظيفتها الصحيحة فوهن العقيدة وضعف الإيمان وما دامت على هذه الصفة فلا يرجى منها اجتماع على أمر البتة.

مجرد اعتقاد أن الإسلام دين يدعو إلى الفضائل ويحض على الأخذ بالماديات والمعنويات معاً وأنه آخذ في الانتشار بين القبائل الشرقية، أو أنه

مهيب الجانب في بعض البلاد الاجنبية ، كما اعتاد كثير من خاصتنا التفكر به في المجالس اظهارة لغيرتهم على الاسلام وتحسب الكثرة براهينه لا يفيدهم في اليقين شيئاً لان كلهم تقريباً ممن تعلموا اللغات الاجنبية ، ودرسوا العلوم الطبيعية ، والمعارف التشريعية ، ووقفوا على تعاليم (داروين) و (جوستاف لوبون) الذي استشهد به السيد وعرفوا منها ومن أمثالهما ان اصل الانسان قرد وانه لا آدم ولا حواء ولا كتاب سماويا ولا روح ولا نفس ولا حشر ولا نشر ومن يرد أن نعطيه صورة موجزة من فلسفة هذه المدنية التي يقرأها خاصتنا من عرفة اللغات الاجنبية وبعثقدون حقيتها فاليه غير مضمون عليه

يقولون يا معشر المتدينين انكم لو جردتم نفوسكم عن الهوى ، ووجههم وجوهكم شطر الهدى ، لرأيتم أنه ليس دينكم الا اثر آمن اثار الماضين ، وبقية من بقايا أوهام السالفين ، ليس لها من القيمة والقدر الا كما لساثر آثارهم الاخرى من العلوم الطبيعية ، والصناعات اليدوية ، فقد حكم العلم (معاذ الله) بان نواميس الكون كافية في تحليل ظواهره ، وقوانينه قد فسرت اكثر غوامضه ، فلا داعي افرض وجود قوى وراء الطبيعة ، ولا موجب اتوهم عالم علوي بهذه المراتب المحسوسة ، أما الوجود فقديم إن لم يكن بصورته فبمادته الاولى . وأما القوى التي تصرفه فلا ستلال لها في ذاتها بل هي صفة لهيولاه الاصلية فلا مادة بلا قوة ولا قوة بلا مادة بل المادة في نفسها مظهر من مظاهر القوة المتحركة في لا ير من لا زل .

أما الانسان وما نسبتموه اليه من نفس مستقلة عن جسد وما منحتموها من مزية الخلود بعد فناءه وتبعثر ذرانه في تبطاه السواهد العلمية ،

وتحمله البداهة التشريحية ، فقد قرر العلم (معاذ الله) أنه لا فرق بينه وبين غيره من الكائنات السفلية ولا ميزة له على سواه من الأنواع الحيوانية ، بل ليس هو في ذاته إلا حيواناً فاق في قوة التعقل والادراك غيره من أبناء نوعه . على أن أبناء نوعه (الحيوانات) غير محرومة من قسط مناسب من التعقل والادراك . وإذا أردت الدليل فدونك كتب حياة الحيوان ترى من آثار الفكر ونتائج التعقل ما يدل على أن العقل ليس بوقف على الإنسان ولا هو وصفه المميز . فإذا نسبت للإنسان روحاً مستقلة عن الجسد ومنحتها مزية الخلود والبقاء اعتماداً على القوة العقلية فلم لا تحكم هذا الحكم نفسه بالنسبة إلى الحيوانات أيضاً ؟ اليس هذا من آثار المعلومات السابقة النافذة حينما كان الناس لا يميزون بين ما يؤيده الحس والعيان . وبين ما هو من قبيل الخيالات التي تنشأ في الوجدان بلا روية ولا ايمان ؛ أما الفضائل التي ترفعون الأذان بها . وتضربون وجوه مناظريكم بسلاحها مدعين أنكم قادتها وزعماؤها . وإن لكم حق السيطرة على الناس بها . فليست في الحقيقة تبعاً لعلم من العالم القديمة لكتب خاصة يقوم بها رجال ذوو صفات خاصة بل هي تابعة لنواميس طبيعية تظهر في الأمم الحية ظهور سائر آثار النواميس الأخرى فلا علاقة لها بدين البتة . الاترون أن كثيراً من المتدينين بعداء عن الفضيلة . مغدورين في غمرات الرذيلة ودونك الإحصائيات المدققة التي يعتني بجمعها علماء الإنسان ترى أن أكثر أصحاب الجرائم من المتدينين المنشددين في الدين واليك كتب علماء الجرائم مثل (لومبروزو) و (فريرو) و (سيرجي) ترى العجب العجيب . بل انظر بعينيك إلى الأمم التي تزعم أن لها ارتباطاً بالدين

وغيرة على اليتين ألا تراها في حالة من الإيجرام والتسفل تفضل عليها معها الأمم التي تركت الأديان، وجعلتها خيراً أكان، والتفتت للمدنية، والعلوم الطبيعية، فاصلحت شؤونها، ودبرت أمورها، فقامت على قطب الاستقامة والاستقلال، ونحت منحى الكرامة والجلال، فكشفت لها المدنية عن وجهها الباسم، وتجلت لها الحضارة في شكلها الفاتن، فسيطرت على الأمم الأخرى بعلومها وصنائعها، وقهرتهم بقوتها وسطوتها، كما صارت بالنسبة إليهم علماً في فضائلها وآدابها؛ إذا كانت لا فضيلة بغير الدين وأنها لا تخرج عما حددتم لها من القيود في كتبكم فما سبب هذه الآثار المدهشة للمقول المضللة للدرك؟ إذا كان الإنسان كما تقولون خلق مستقلاً بذاته من طيبة علوية، وأنه مستعد لأن يسمو بروحه اسمى منصة للحياة الملكية، فلماذا هبطتم وعلا عليكم أولئك الذين يزعمون أن الإنسان من سلالة القردة وأن بينه وبين الحيوانات أواصر من القربى وشائج من الرحم؟ إذا كانت الفضيلة كما تقولون لا تثبت للإنسان بغير دين ولا تطبع بضميره إلا بطابعه فلماذا حرمت من أصغر أنواعها وسبقكم في باحاتها من يقول أن الفضيلة صفة من صفات الحياة الإنسانية والرزيلة كذلك. تنشأ الأولى عند ما تكون شؤون تلك الحياة جارية على سمت منتظم. لائحة اقوانين الخلقة وتبرز الثانية في ضد تلك الحالة؟

أما ما تزعمون من أن لافوام الأمم بغير الدين، ولا نظام لهم سوى حبله المتين، فما لا نحتاج معكم فيه إلى كبير جدال، ولا كثير قيل وقال، فدوّنكم الأمم الغربية الكبرى قد بنت عظمها بملاشاته وقامت وحدتها بمناذرة أشياعه، ومع ذلك نرى لها كل يوم في سجل المعالي أثراً جديداً،

وفي حداثق الفخار والمجد صرحاً مشيداً، فان كان الحال كما تزعمون فهاذا الاثر المنعكس؛ وما تفسير هذا الامر الملتبس؛ اليس كل هذه البراهين المحسوسة دالة على انكم متمسكون باقوال لا يقوم عليها من عالم الشهود شاهد، ولا ينهض لها من وقائع الحوادث مدافع، لا جرم انكم تتأخرون وتثقلون، وتخضعون وتحنكمن، ولا غرو أن علونا وسفلتم، وتعرزنا وذلاتم، كما لا عجب ان استخدمنا نواميس الكون وأسرتكم، واستغلانا خيرات الطبيعة وحرمتهم.

كل هذه الشبه المتعاصية قد نشأت في وسط العلم الاوروبي ونبع سمها من بين ذرات دسم هذه المدنية المعجية فالثابت باكثر العقول أقذارها. وتسمت القطر بسومها. وقد سرت هذه السموم الى شبيبتنا الاسلامية التي نهلت من دن العلوم الاجنبية نخلتها عن مجموعها وذهبت بها مذهباً لا يجعلها مع هؤلاء ولا هؤلاء. وكفى امة عجزا وضعفا وقصوراً وتأخراً أن لا يكون لشبيتها وجهة تسير عليها، ولا غاية تمتقدها وتتوق اليها، وتدأب للحصول عليها، حلت هذه الشكوك والشبه من قادة النشأة وزعماء التقدم في البلاد الاجنبية محلاً عالياً، وجعلتهم ينبذون. معتقداتهم ظهرياً، ولكن قام مقامها لديهم مؤقتاً غير قومية، وحمية جنسية او لغوية، لمت شعثهم وضمت اجزاءهم حيناً ظنوا فيه امكان قيامهم بدون الدين بل خالوا ان مصدر رفعتهم ومنبع نظامهم والتماسهم، ومنشأ الفهم ووثامهم، هدم تعاليمه وتذريتها في الهواء مع الهباء ثم لما استقاموا على هذه المفازة الخطرة حيناً من الزمان ورأى قادتهم ورؤساء. ما رفهم ان هذه خطة عوجاء، وسراب ليس وراءه ماء، وان بالادمان على متابعة السير في خطهم هذه الهلاك المسناصل والجائحة الكبرى التي

تطلق نور مدنيّتهم ، وتهدم صروح عظمتهم ، وساعد هذا الاثر في نفوسهم الاحساس بالفراغ الذي ألم بصميم معناتهم الانساني وجوهرهم البشري من جراء فقد العقيدة التي هي لازم من لوازم هذه النفس الناطقة تعطشت قلوبهم الى الدين الصحيح وحث فطرتهم اليه حين البائس ينتظر فرجه ويتنسم من شطر الخلاص نسمة . ولكن أين الدين ؟؟ كانت الفلسفة الحسية فلسفة (اجوست كونت) وأشباعه القائلين بأن المعقول اذا لم يؤيده شاهد من الحس جاز أن يكون ضلالاً آخذاً من الافكار مكانة لا يمكن قلعه منها وما دامت أسس الدين من عقيدة وجود الروح وخلودها في دار بعد هذه الدار مما لا يمكن الاستدلال عليها بمحسوس جاز أن تكون وهماً لاحقيقة له في الواقع . فهي على حسب أسلوب هذا المذهب الكثير الأشياء من قيل ما لا يمكن إثباته ، وما لا بد من عدم الخوض فيه ، وما معنى دين بدون روح وخلود وآخرة فيها نعيم مقيم أو شقاء مستديم ؟ كيف الوصول الى الاعتقاد بدين مهما كانت تعاليمه في عصر هذه فلسفة بنيه وتلك مبادئها ؟ ولكن الله سبحانه أكرم من أن يخيب سائلاً وأرحم من أن يطرد طارقاً فأرسل عليهم من جهة فلسفتهم هذه آيات تأخذ بالاعناق خضوعاً ، وبالأبصار والبصائر دهشة وخشوعاً ، فنشأت أبحاث سموها (اينوتزم) و (ماتيزم) التوهم المغناطيسي و (اسبرتزم) استحضر الأرواح وغير ذلك استدلت منها عليهم على ان للانسان روحاً وخلوداً فأنشأوا مثبات من المجلات والجامع وعقدوا لها المؤتمرات والمحافل ، وألقوا فيها الكتب والرسائل ، وبلغ عددهم من العلماء الأعلام . وقادة المعارف العظام ، والمحامين البارعين . والكتاب المتفنين ، ما يزيد عن عشرين مليوناً كما سنوضحه بعد ان شاء الله . فهم على هذا لم يقفوا حتى نهضوا ولم يصلوا حتى أوشكوا يهتدون . ولكن شيئا التي جرعت من حوض علومهم وشحنت في أذهانها صور معارفهم لم يشاؤا أن يوسعوا دائرة معارفهم وكأنهم لم يعلموا أن ما يدرس في المدارس من العلوم الطبيعية والرياضية ليس الا قطرة من بحر لا تنقح صدى ولا تروي غلة . بل كأنهم يعتقدون أن العلم واقف حيث هو من عهد (اموازيير) و (توسيلي) و (ماريوط) و (قواطلا) وان باب الرحمة الالهية أغلق في وجه بني آدم (معاذ الله) فلا مرمى بعد مرماهم ولا مذهب بعد مذهبهم ثم نسوا ما تعلموه أيضاً ولم تحفظ ذاكرتهم منه الا شكلاً مشوهاً من استنتاجات عرجاء ليس لها أصل ترتكن اليه ولا أساس تعتمد عليه فهم على مذهب (اجوست كونت) و (داروين) بدون أن

انهموا أنفسهم معرفة ماهية مذهبهما ، ولا أصول نظريتهما ، وكأنهم كفاهم في أن يكونوا (أوجوستيين) و(داروينيين) ان يروا في بعض المجلات نبأ من فلسفتها لم يرد على أسلوب صحيح ولا سلك فيه كاتبه ، سلك الاستقراء والتحليل . ثم انهم على فرض تعمقهم في فلسفة علماء هذا العصر وتغلغلهم في مناحيها تدقيقاً وتمحيصاً لم يكلفوا أنفسهم النظر في ماهية الاسلام وأصوله ليروا ان كانت مبانيه مما تهدمها هذه الابحاث ، وهي بالعكس تقويها وتؤيدها .

أقول هذا ولا أنكر ان لدينا افراداً من رجال هذه النشأة صاروا لهامة علوم العصر تاجاً وفي ذروة الملاء الاسلامي علماً ، ولكنهم وبالإسف قليلو العدد مبغضون في الجهات مشغولون بالوظائف يتألمون لهذه الحالة مثل ماتالم ويرون أدواءنا مثل ما نرى . هذه صورة مصغرة من الشبه والشكوك التي جرقها اليينا مدنية اوروبا والصقها باذهان كثير من رجال نشأتنا التي استقت منها معلوماتها ، واخذت عنها لغاتها ، فهل بعد هذا يطوف بفكر عمراتي باحث أو تحليلي مدقق انه يمكن جمع جمعية عصيتها الدين وجامعتها العقيدة وسلاحها اليقين ويكون من أثرها تشييد معالي الاسلام وإرجاع مجده اليه ولو ببذل الارواح ، وبيع المهج ببيع السماح ؟ اللهم لا . أذن فلنتختر احد أمرين اما أن نقلب شكل هيئتنا الاجتماعية من شكلها الحالي الى شكل آخر روابطها الوطنية أو الجنسية أو أي امر غيرها واهمات ان يتم لنا ذلك في ألفي سنة . وإما ان نتعهد رابطينا الأصلية وهو الدين ونجليه لتلك الازهان ، في شكل يذهب شكوكهم وشبههم ، ويرجع الى تلك الفطر الاسلامية النათية نورها الصافي حتى تدور على نفس القطب الذي كانت تدور عليه تلك الأرواح الطاهرة والنفوس الكريمة روح سيد ولد آدم واصحابه الذين كانوا حجة الحق الدامغة ، وانوار الفضائل الساطعة ، وخلفاء الله في ارضه وجيرانه في عالم قدسه . صل اللهم عليه وعاليهم وتابعيهم آمين

محمد فريد وجدي

(المنار) : ما دخل هذا القرن الميلادي الا وكان شغل طائفة من كبار كتاب أوروبا البحث عن مستقبل الاسلام فيه فكتبوا في ذلك المقالات الطويلة كل يظهر رأيه فمنهم من بشر ومنهم من أنذر . وقد كنا شرعنا من عدة أشهر بكتابة مقالة في ذلك عنوانها « مصير الأنام » ومستقبل الاسلام ، ولكن شغلتنا عنها مقالات « الاسلام والنصرانية » مع العلم والمدنية ، ثم مقالة السيد البكري في الموضوع ثم

هذه المقالة . السيد البكري أحسن في بيان الاغراض التي رمى اليها ونتائج صحيحة وان كان بعض البحث في المقدمات لا يسلم من النقد كما قال صاحب هذه المقالة ولكن لم يكن للتخيلات في كلامه ذلك السلطان الذي نسب اليه بل التخيلات الخطائية والشعرية في هذه المقالة أكثر ولا بأس بذلك اذا أريد به التأثير فيما يحمد وإتباعه يذم اذا كان خلاصة وخداعاً . وأما قوله : ان الجامعة الاسلامية لا ترجي لما رجاه السيد منها وان عقلاء المسلمين الذين طابهم السيد بالعمل لا يمكن ان يعملوا واستدلالة بعدم تأثير المقالات الطويلة التي كتبت منذ عشر من السنين : فهو غير سديد فان كل ما كتب بحق واخلاص قد أثر حتى احدث حركة عظيمة في العالم الاسلامي وان عقلاء المسلمين يشتغلون الآن بمطالبهم به السيد وانما مطالبته لزيادة البيان والتنشيط والكمال . وانما لم يظهر أثر كبير لسعيهم لضعف الاستعداد لكل أجل كتاب ، وفي هذه المقالة موافقة على هذا فان الكاتب طالب المسلمين في آخرها بأحد أمرين وهم قائمون بالتثاني . منهما وهو السيد . ولتعلن نبأه بمدحين ، التوهم واستحضار الأرواح لم يزل أمرهما مبهماً ، ومستقبل أثرهما مجهولاً . وتعليق مستقبل الاسلام عليهما لا يحث المسلمين على عمل ، ولا يحثي في نفوسهم هيت الأمل ، نعم اننا نرجو من كل ما يكشفه العلم من اسرار الخليفة تأييداً للإسلام سواء كان السر روحانياً او مادياً والقول الذي لا ريب فيه هو ان المستقبل للإسلام لأنه دين الفطرة والاجتماع المرشد الى صالح الروح والجسد والمهادي الى الوفاق بين وطائف العقل ووطائف القلب . فلا بد ان يكون الاسلام هو الحاكم الأعلى في المدنية العالما عند ما تكمل هي ويظهر هو خالياً من التقاليد التي اضيت اليه كما قلناه مراراً . وسنزيده بياناً . اما ما ذكره الكاتب من شهادات اوربا على الدين فهو لا يمس الإسلام لأن عقائده مؤيدة بالعقل وسيرة المسلمين اطهر سير البشر عند ما كانوا على الإسلام السليم من البدع . وعلى كل حال نشكر للكاتب الاول وللکاتب الثاني اعمال قلميها في هذا الموضوع الشريف وكل منهما احسن في الوجه الذي كتب فيه ولا تنافي بينهما ولا تناقض في الحقيقة وكل ما كتبنا لا يمتنعنا من نشر ما كنا نرغبنا فيه ولكنه كفانا مؤنة التطويل . والله يقول الحق وهو يهدي السيل ،

﴿تمة الاجتماع السادس لجمعية أم القرى﴾

(تابع لما في الجزء ١٣)

ثم قال (الاستاذ الرئيس) للخطيب القازاني: ان الاخوان يترقبون منه ايضاً ان يفيدهم بما يلهمه الله مما يناسب موضوع مباحث الجمعية

قال (الخطيب القازاني): ان الاخوان الأفاضل لم يتركوا قولاً لقائل ولذلك لا أجد ما اتكلم فيه وانما أقص عليهم مساجلة جرت في الاستهداء بين مفتي قازان وافرنجي روسي من العلماء المستشرقين العارفين باللغة العربية المولعين باكتشاف وتتبع العلوم الشرقية ولا سيما الاسلامية وقد هداه الله الى الدين المين فاجتمع بمفتي قازان وقال له انه اسلم جديداً وهو بالغ من معرفة لغة القرآن والسنة مباناً كافياً وعالم بموارد ومواقع الخطاب علماً وإفياً فيريد ان يتتبع القرآن وما يمكنه ان يتحقق وروده عن رسول الله فيعمل بما يفهمه ويمكنه تحقيقه على حسب طاقته لانه لا يرى وجهاً معقولاً للوثوق بزيد او عمرو او بكر أصحاب الأقوال المتضاربة المتناقضة لان حكم العقل في الدليلين المتعارضين التساقط وفي البرهانين المتباينين التهاثر فهل من مانع في الاسلامية بمنعه من ذلك فاجابه (المفتي) ان اكثر الامة مطبق منذ قرون كثيرة على لزوم اعتماد ما حرره احد المجتهدين الاربعة المنقولة مذاهبهم فاطباق الاكثرية دليل على الصحة فلا يجوز الشذوذ فقال (المستشرق) لو كان الصواب قائماً بالكثرة والقدم وان خالف المعقول لاقتضى ذلك صوابية الوثنية ورجحان النصرانية ولاقتضى كذلك عكس حكم ماصح وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان امته تفرق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة هي التي كان هو وأصحابه عليها وقد وقع ما اخبر به وكل فرقة تدعي انها هي تلك الواحدة الناحية ولا شك ان الاثنين والسبعين فرقة اكثر من اي واحدة كانت منها فآين يبقى حكم الأكثرية .

فاجابه (المفتي) انه قد سبقنا من اهل التحقيق والتدقيق الذين تشهد آثارهم بمزيد علمهم ألوف من الفضلاء وكلهم اعتمدوا لزوم اتباع احد تلك المذاهب القديمة حتى بدون مطالبة اهلها بدلائلهم لأن مداركنا قاصرة عن ان توازن الدلائل وتميز الصحيح والراجح من غيرهما ومثلنا في ذلك كالطبيب لا يلزمه ان يجرب طبائع المفردات كلها ليعتمد عليها بل يأخذ عامه بطبائع اعمادونه أئمة الطب .

فقال (المستشرق) نعم ان الطيب يعتمد على ما حققه الأولون ولكن فيما اتفقوا عليه واما ما اختلفوا فيه على طرفي تقيض بين نافع اوسام فلا يعتمد فيه على احد القولين بل يهملهما ويجدد التجربة بزيادة الدقة والتحقيق لان اعتماده على احدهما يكون ترجيحاً بلا مرجح . هذا وإنا لنرى ببادئ النظر ان هؤلاء الأئمة الأقدمين لم يقدرُوا ان يطلعوا على ما لا يقدر المتأخرون ان يطلعوا عليه ويكفينا برهاناً على ذلك (أولاً) تخالفهم في كل الاحكام الا فيما قل ونذر تخالفاً مهماً ما بين موجب وسالب ومحلل ومحرم حتى لم يمكنهم الاتفاق في نحو مسائل الطهارة وستر العورة وما يحل أكله وما لا يحل . (ثانياً) ترددهم في الاحكام وتقلبهم في الاراء وذلك لحكم أحدهم في المسألة ثم عدوله عنه الى غيره كما يقول اصحاب الشافعي انه كان له مذهبان رجع بالثاني منهما عن الأول (ثالثاً) اختلاف أتباعهم في الرواية عنهم كاصحاب أبي حنيفة الذين قلما يتفقون على رواية عنه ويأول ذلك لهم بعض المتأخرين بتمدد مذاهبه في المسألة الواحدة . والحاصل ان الانسان الذي يتقيد بتقليد أحد أولئك الأئمة ولا سيما الامام الاعظم منهم لا يخلص من قاق الضمير أو يكون كخاطب ليل وعلى ذلك لا بد من تحري في دينه من ان يهتدي بنفسه لنفسه أو يأخذ ممن يثق بعلمه ودينه وصوابية رأيه ولو من معاصريه لان الدين أمر عظيم لا يجوز العقل ولا النقل فيه المماشاة واتباع التقليد .

أجابه (المفتي) نحن لا ننحتم بأن الصواب مقطوع فيه في جانب احد تلك المذاهب بل المقلد منا اما أن يقول باصالة الكل أو يرجح الخطأ في جانب من ترك مع احتمال الصواب . فقال (المستشرق) هذا القول يستلزم تعدد الحق عند الله أو القول بالترجيح بلا مرجح لانكم تتحامون المفاضلة بين الأئمة واعترافكم باحتمال المذاهب للخطاء يقتضي جواز تركها كلها مع انكم توجبون اتباع أحدها أفليست هذه قضايا لا تتطابق ولا تعقل فلماذا لا تجوزون وانتم على هذا الارتباك ان يستهدي المبتي لنفسه فذا تحقق عنده شيء عن يقين أو غلبة ظن اتبعه والأ كان مختاراً ولا يكف الله نفساً الا وسعها . أجابه (المفتي) اننا لبعده العهد لم يبق في امكاننا التحقيق فما لنا من سبيل غير اتباع أحد المتقدمين ولو كان تحقيقه محتمل الخطاء .

قال (المستشرق) ما الموجب لتكليف النفس ما لم يكلفها به الله ؟ أليس من الحكمة أن يحفظ الانسان حريته واختياره فيستهدي بنفسه لنفسه حسب وسعه فان أصاب كان مأجوراً وان أخطأ كان معذوراً ويكون ذلك أولى من أن يأسر نفسه

للخطأ المحتمل من غيره .
أجابه (المفتي) ان هذا الغير أعرف منا بالصواب واقل منا خطأ فتقليده
أقرب للحق .

قال (المستشرق) هذا مسلم فيما اتفق عليه الاقدمون اما في الخلافات فالمقل
يقف عند الترجيح بلا مرجع ولا سيما اذا كنتم لانجوزون أيضاً البحث عن الدليل
ليحكم المبتلى عقله في الترجيح بل تقولون نحن أسراء النقل وان خالف ظاهر النص .
أجابه (المفتي) اننا اذا أردنا ان لا نعد من شرعنا الا ما تحقق بانفسنا دليله من
الكتاب أو السنة أو الاجماع تضيق حينئذ علينا احكام الشرع فلا تفي بحل اشكالاتنا في
العبادات ولا تعين احكام حاجتنا في المعاملات فيحتاج كل منا ان يعمل برأيه في
في غالب دقائق العبادات والمعاملات ويصير القضاء غير مقيد بمجبات شرعية وهل من شك
في ان اطراد الآراء وانتظام المعاملات اليق بالحكمة من عدم الاطراد والانتظام .

قال (المستشرق) لاشك في ذلك ولكن أين الاطراد والانتظام منكم ولا يكاد
يوجد عندكم مسألة في العبادات أو المعاملات غير خلافية ان لم تكن في المذهب الواحد
فين مذهبين أو ثلاث . هذا وربما يقال ان توفيق العمل على قول من اثنين أو أكثر
أقرب للاطراد من الفوضى المحضة في تفويض الامر لرأي المبتلى أو تفويض الحكم
لحرية القاضي فيجيب عن ذلك بأن الامر أمر ديني ليس لنا أن نتصرف فيه برأينا
ونعزوه الى الله ورسوله كذباً وافتراءً وافساداً لدين الله على عباده ولو ان الامر نظام
وضعي لما كان ايضاً من الحكمة ان يلتزم اهل زماننا آراء من سلفوا من عشرة قرون
ولا أن يلتزم اهل الغرب قانون اهل الشرق وعندي ان هذا التضيق قد استلزم ما هو
مشاهد عندكم من ضعف حرمة الشرع المقدس .

ثم قال (المستشرق) واعيد قولي انكم تحبون أن تكلفوا انفسكم بما لم يكلفكم
به الله ولو ان في الزيادات خيراً لا تخارها الله لكم ولم يمنعكم منها بقوله تعالى : (مَا فَرَّطْنَا
فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) أي مما يتعاق بالدين (١) وقوله تعالى (الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) وقوله تعالى
(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأَلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ولكن
علم الله الخير في القدر الذي هداكم اليه وترك لكم الخيار على وجه الإباحة في باقي

(١) يريد ان القرآن محيط باحكام الدين وما يناسبه لا بكل علم الله كما يتوهم الكثيرون

شؤونكم لتوفقوها على مقتضيات الزمان إبي الغير وموجبات الاحوال التي لا تستقر فناء عليه اذا أتيتكم اكثر انمالكم الحيوية باطمئنان قلب باباحتها يكون خيراً من أن تأتوها وأنتم حيارى لاتدرون هل اصبتم فيها ام خالفتم امر الله فتعيشون وأفقدتكم مضطربة تحاذرون في الدين شؤم المخالفة وفي الآخرة عذاباً عظيماً . وليس هذا من مخافة الله التي هي راس الحكمة ولا من مراقبة الوازع التي هي منزلة الدين بل هذا من الارتباك في الرأي والاضطراب في الحكم ونتيجة ذلك فقد الحزم والعزم في الامور

ثم قال : اعلم أيها المفتي المحترم ان هذه الحالة التي أنتم عليها من التشديد والتشويش في أمر الدين هي أكبر أسباب انحطاط المسلمين بعد القرون الأولى في شؤون الحياة كما انحط قبلهم الاسرائيليون بما شددوه وشوشه عليهم أهل التلمود وكما انحطت الامم النصرانية لما كانت (ارتوذ كسية) مغلفة أو (كاثوليكية) متشدة يتحكم فيها البطارقة والقسيسون بما يشاؤون تحت اسم الدين فكانوا يكلفون الناس أن يتبعوا ما يلقنونه من الاحكام بدون نظر ولا تدقيق حتى كانوا يحظرون عليهم أن يقرأوا الانجيل أو يستفهموا عن معنى التثليث الذي هو أساس النصرانية كما ان التوحيد أساس الإسلامية . وبقي ذلك كذلك الى أن ظهرت (البروتستان) أي الطائفة الانجيلية التي رجعت بالنصرانية الى بساطتها الاصلية وأبطلت المزيادات والتشديدات التي لا صراحة فيها في الانجيل والى أن اتسع من جهة أخرى عند الامم النصرانية نطاق العلوم والفنون رغماً عن معارضة رجال الكهنوت لها فقاطفت أيضاً الكاثوليكية والارتوذ كسية عند العوام واضمحلتا بالكلية عند الخواص لان العلم والنصرانية لا يجتمعان أبداً كما ان الإسلامية المشوبة بحشوا المتفتنين تضلل العقول وتشوش الافكار . أما الإسلامية السمحة الخالصة من شوائب الزوائد والتشديد فان صاحبها يزداد ايماناً كلما ازداد علماً ودق نظراً لانه باعتبار كون الإسلامية هي أحكام القرآن الكريم وما ثبت من السنة وما اجتمعت عليه الأمة في المصدر الاول لا يوجد فيها ما يباه عقل أو يناقضه تحقيق علمي

وكفى القرآن العزيز شرفاً انه على اختلاف مواضعه من توحيد وتعليم وانذار وتبشير وأوامر ونواه وقصص وآيات آلاء قد مضى عليه ثلاثة عشر قرناً ثم خضعه أفكار الناقدين المعادين ولم يظفروا فيه ولو بتناقض واحد كما قال الله تعالى فيه : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » بل الأمر كما تنبه اليه

المدققون المتأخرون أنه كلما اكتشف العلم حقيقة وجدها الباحثون مسبوقة التلميح أو التصريح في القرآن . أودع الله ذلك فيه ليتجدداً عجازه ويتقوى الإيمان بأنه من عند الله لأنه ليس من شأن مخلوق أن يقطع برأي لا يبطله الزمان .

فهذه القضايا التي قررها حكماء اليونان وغيرهم على أنها حقائق ولم تردّد فيها عقول عامة البشر ألوقا من الننين أصبحت محكوماً على أكثرها بأنها خرافات .

وكذا يقال كفى السنة النبوية شرفاً أنه لم يوجد في أعظم الحكماء المتقدمين والمتأخرين من يربو عدد ما يعزى إليه من الحكم التي قررها غير مسبوق بها على عدد الأصابع مع أن في السنة المحمدية على صاحبها أفضل التحية من الحكم والحقائق الأخلاقية والتشريعية والسياسية والتعليمية ألوقا من المقررات المتكررة يجلى عظم قدرها مع تجدد الزمان وترقي العلم والعرفان .

وكفى بذلك ملزماً لأهل الإصاف بالإقرار والاعتراف لصاحبها عليه السلام بالنبوة والأفضلية على العالمين عقلاً وعلماً وحكمة وحزماً وأخلاقاً وزهداً واقتراراً وعزماً وكفى أيضاً بهذه المزايا العظمى ملزماً بتصديقنا في كل ما جاء به واتباعه في كل ما أمرأ ونهى لأن الدهر لم يأت بمُرشد للبشر أكمل وأفضل منه (مرحى)

ثم قال (المستشرق) للمفتي وهذا مبدعاني إلى الإسلام فليت والحمد لله وعندى أن لو قام في الإسلام سراة حكماء دعاة مقدمون لما بقي على وجه الأرض عاقل يكفر بالله . ثم قال : واني أرى أنه لا يمضي قرن إلا ويكثر المهندون من المستشرقين ويرسخون في الدين فيتولون تحرير شريعة الإسلام ، ويفضون بها على الأنام ، حتى على أهل الركن والمقام ، ولا يبعد أن تأتي الأيام بالبرنس محمد المهدي الروسي أو الانكليزي مثلاً قائماً مقام الإمام ، معيداً عن الإسلام بأكل نظام .

أجاب (المفتي) : لا مانع مما ذكرت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ودين الله دين عام ، لا يختص بقوم من الاقوام .

ثم قال (المستشرق) : أيها المفتي المحترم لا يطاوعني لساني أن ادعي الغيرة على الملة البيضاء الأحمديّة أكثر منك أنما أناشدك بالله وبجبك لدينك أن تترك هذه الأوهام التقليدية القائمة في فكرك وتعيّني على تأليف كتاب يصور حكمة دين الإسلام وسماحته ليكون سعيها هذا ذخراً عظيماً نال به نحر وثواب هداية عشرات الملايين بل مئات الملايين من الناس إلى هذا الدين المين . ولا يكبرن ما أقول على فكرك فإن أهل هذا الزمان

المستبشرين الاحرار لا يقاسون بأهل الازمنة المظلمة الغائرة . نعم وننال أيضاً ثواب حفظ الملايين الكثيرة من أبناء المسلمين العريقين تلامذة المدارس العصرية من هجر الاسلامية على صورتها الحاضرة المشوهة باختلاط الحكم بالخرافات المعطلة بثقل التشديدات المبتدعة فالبدار لآ ن تفوز بهذه الخدمة التي (يكاد) يعادل أجرها أجرني مرسل والله المعين الموفق .

اجابه (المفتي) أصبت فيما تفكرت ولعم ما أشرت به ولكن هذا عمل مهم يحتاج القيام به لعناية جمعية يتكون من تضلع أعضائها في فروع العلوم الدينية علم كاف للإحاطة وخصول الثقة ولسوء الحظ لا يوجد من فيهم الكفاءة في هذه البلاد ولذلك يتحتم علينا أن نترك هذه الفكرة آسفين وندعو الله تعالى أن ياهم علماء مكة أو صنعاء أو مصر أو الشام القيام بأداء هذا الواجب .

ولما انتهى (الخطيب القازاني) الى هنا قال هذه هي المساجلة وقد سمعت المفتي يقول انه اجتمع بكثير من المستشرقين فوجدهم كلهم يحسنون العربية أكثر من علماء الاسلام غير العرب مع أنهم يشتغلون في علوم اللغة عمرهم كله وما ذلك الا من ظفر مدارس اللغات الشرقية الافرنجية بأصول لتعليم العربية أسهل من الأصول المعروفة عندنا .

قال (المجتهد التبريزي) اني أرى ان الاسلام اصابه قنتان عظيمتان ولولا قوة أساسه البالغة فوق ما يتصوره العقل لما ثبت الدين الى الآن . أما الفتنة (الأولى) فقد قدرها الله ومضت على وجهها وهي حين تشاجروا في الخلافة والملك واتقسموا على أنفسهم بأسهم بينهم يقتل بعضهم بعضاً وتفرقوا في الدين لتفرقهم في السياسة .

وأما الفتنة (الثانية) فلم تزل مستمرة وهي ان الخلفاء الباسيين مالوا الى تعميق النظر في العقائد فخدمهم من خدمهم من علماء الاعاجم تقريباً اليهم في علم الكلام وأكثروا من القيل والقال ثم سرت العدوى الى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من المذاهب فاقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافات بين أبي حنيفة والشافعي وأثاروا بينهما فتنة عمياء وحرباً صماء وتركوا بقية المذاهب فاندurst ولم يبق منها سوى مذهب زيد وأحمد في جزيرة العرب ومذهب مالك في الغرب ومذهب جعفر في بلاد الخزر وفارس فأكثروا التأليف والتصنيف في هذه المذاهب كل مؤلف يحب ان يبدي ما عنده ليشتهر فضله وينال حظه من دنياه زاعماً ان غرضه استنباط دقائق الشرع

وتقرير علل المذاهب فتزاحوا وتجادلوا وناقض بعضهم بعضاً وكان من العلماء بعض الصلحاء المغفلين شاركوهم في الفتنة وهم لا يشعرون كما قال الله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) وقوله تعالى (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) .

وهكذا اتسعت دائرة الاحكام في الشرع فصار الحلف عاجزين عن التقاط الفروع فضلاً عن الرجوع الى الأصول فاطمأنت الأمة للتقليد وأقبل العلماء على التعمقات في الدين يغرب المفسر ويتفنن ولو بحكايات قاضي الجن لأنه غير مطالب بدليل ويتفحص المحدث عن نوادر الاخبار والآثار ولو موضوعة لأنه غير مسئول عن سنده ويستتبط الفقيه الحكم ولو بالشبه من وجه للآزم اللازم للعلة لأن مجال التحكم واسع وهذه الفتنة لم تزل مستمرة الى أن أوقفها قصور الهمم عند الأكثرين .

على ان هؤلاء المتأخرين اخلدوا الى التقليد الصرف حتى في مسألة التوحيد التي هي أساس الدين ومبدأ الايمان واليقين والفارق بين الكفر والاسلام وجعلوا أنفسهم كالعميان لا يميزون الظلمة من النور ، ولا الحق من الزور ، وصاروا يحسنون الظن في كل ما يجدونه مدونا بين دفتي كتاب لانهم رأوا التسليم أهون من التبصر ، والتقليد أستر للجهل ، وصار أهل كل اقليم أو بلد يتعصبون لمؤلفات شيوخهم الأقدمين ويتخذون الخلافات مداراً لتطبيق الاحكام على الهوى لا يبالون بحمل أفعال الناس في الدين على عواقبهم يزعمون ان التسليم أسلم وانهم أسراء النقل وان خالف ظاهر النص ويتوهمون ان اختلاف الأئمة ، رحمة الأمة .

نعم ان اختلاف الأئمة يكون رحمة اذا حسن استعماله ويكون نقمة اذا صار سبباً للتفرقة الدينية والتباغض كما هو الواقع بين أهل الجزيرة السفليين وبين أهل مصر والغرب والشام والترك وغيرهم من المستسلمين وبين أهل عراق المعجم وفارس والصفى الممتاز من أهل الهند الشيعيين وبين أهل زنجبار ومن حولهم من الأباضيين فهذه الفرق الكبرى يعتقد كل منهم انهم وحدهم أهل السنة والجماعة وان سواهم مبتدعون أو زائغون فهل والحالة هذه يتوهم عاقل ان هذا التفرق والانشقاق رحمة لا نقمة وسببه وهو التوسع في الاحكام سبب خير لا سبب شر .

وكذلك اختلاف المجتهدين في كل فرقة من تلك الفرق لا يتصور العقل ان يكون

راحة الا بقيد حسن استعماله والا فيكون تفتة حيث يوجب تفرقة ثانية بين مالكي وحنفي وشافعي مثلاً .

والمراد من حسن استعمال الخلاف هو ان كل قوم من المسلمين قد اتبعوا مذهباً من المذاهب ترجيحاً أو وراثه أو تعصباً ولا بد أن يكون في المذهب الآخذ به كل قوم بعض الأحكام الاجتهادية التي لاتناسب أخلاق أولئك القوم أولاً تلائم أحوالهم المعاشية أو طبائع بلادهم فيضطرون الى الإقدام على أحد أمرين أما التمسك بتلك الأحكام وان أضرت بهم أو الجنوح الى تقليد مذهب اجتهادي آخر في تلك الأحكام فقط وقد كان أكثر علماء وفقهاء المسلمين الى القرن الثامن بل التاسع يختارون الشق الثاني فيقلدون في هذه الحالة المذاهب الأخرى ولكن بعد النظر والتدقيق في الأدلة كما كان شأنهم في نفس مذاهبهم الأصلية لئلا يكونوا مقلدين تقليداً أعمى لا يجوز الدين أساساً الا للجاهل بالكلية .

وهذه الطريقة هي الطريقة المتبعة الى اليوم في بلاد فارس والعلماء المتصدرون لذلك هم أفراد من نوابغ العلماء المتضلعين في علوم مأخذ الدين وأكثرهم ولاسيما الإيرانيون منهم متفقهون ومتخرجون على مذهب الامام جعفر الصادق (رضي الله عنه) المدون عندهم ويطلق اهل فارس على هؤلاء العلماء اسم (مجتهدين) تجوز أو اتباعاً لعادة الاعاجم في التغالي في التبجيل ونعوت الاحترام ومن ذلك يعلم ان ما يظنه فيهم اخوانهم المسلمون البعيدون عنهم غير الواقفين على احوالهم الامن تفوهات السياسين غير صحيح فها هم كما يقولون عنهم مجتهدون في أصول الدين مجوزون الرأي في الإجماعات مخرجون الأحكام اخذاً من الدلائل الظنية ولو لم يقل بها احد من علماء الصحابة والتابعين واعظم أئمة الهداية الأولين فما احرى مجتهدي فارس بأن يلقبوا بمرجحين او مخرجين او فقهاء مدققين

ثم ان بعض الناس دعوا المقلداً أحد المذاهب اذا اخذ في بعض الأحكام بمذهب آخر ملفقاً وسموا اخذه تافيقاً واستعملوا لفظة تلفيق في مقام التلاعب في الدين او الترقيع القبيح والحال ان ماسموه بالتلفيق ليس الا عين التقليد من كل الوجوه ولا بد لكل من اجاز التقليد ان يميزه لانه اذا تأمل في القضية بمجد القياس هكذا يجب على كل مسلم عاجز عن الاستهداء في مسألة دينية بنفسه ان يسأل عنها من اهل الذكراي بقايد فيها مجتهداً وكل مقلد عاجز طبعاً عن الترجيح بين مراتب المجتهدين فبناءً عليه يجوز له ان

يقلد في كل مسألة دينية مجتهداً ما

وما المانع على هذا الاعتبار للمسلم المقلد ان يتعلم كل مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة من مجتهد أو فقيه تابع لمجتهد فإذا اغتسل بماء دون قلتين لحقته قطرة خمر واعتبره طاهراً كما علمه عالم مالكي غسلاً بدون ذلك كما علمه عالم حنفي وبعد حدث موجب توضاً ومسح شعرات من الرأس كما علمه عالم شافعي وصلى بعد خروج دم قليل منه كما علمه عالم حنبلي صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علمه عالم زيدي ووصل الفرض بصلاة أخرى بدون خروج من الأولى كما علمه عالم جعفري أفلا يكون هكذا المقلد صلى صلاة نمجزه عند الله ؟ بلى ثم بلى تجزئه بالضرورة حتى لا يقوم دليل على ان ذلك خلاف الأولى كما يقال في حق الخروج من الخلافات لانه لا يعقل أن يكلف هذا المقلد بأخذ دينه كله من عالم واحد لان الصحابة رضى الله عنهم مع اجتهادهم وتخالفهم في الاحكام كان يصلي بعضهم خلف بعض مع حكم المؤتم منهم على حسب اجتهاده بعدم صحة صلاة امامه واشتراطه صحة صلاة المأموم بصحة صلاة الامام . وهل يتوهم مسلم ان أبا حنيفة كان يتمتع أن ياتم بمالك أو يأتى أن يأتى كل ذبيحة جعفر كلا بل كانوا أجل قدراً من ان يخطر لهم هذا التعصب على بال وما كان يخالفهم الا من احتياط كل منهم لنفسه

ويوجد في كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الامام او الفقهاء المعروفين بالمرجحين كل منهم كان مجتهداً لم يتقيد بمذهب امامه تماماً وخالفه في كثير او قليل من الاحكام مخالفة اجتهاد بسبب اطلاعه على ادلة مجتهد آخر او الفتح عليه بما لم يفتح به على امامه ولان الدين يلزم المسلم بأن يتبع في كل مسألة منه الشارع لا الامام وان يعمل في مواقع الاجتهاد باجتهاده لا باجتهاد غيره وان كان افضل منه .

وهذا ابو حنيفة وامثاله رحمهم الله تعالى كانوا افضل من ان يعتقدوا في انفسهم الأفضلية على ابي بكر وعمر رضى الله عنهما ومع ذلك خالفوها في كثير من الاحكام الاجتهادية وفقهاء كل مذهب من المذاهب لم زالوا الى الآن يجوزون الاختذارة بقول الامام وتارة بقول احد اصحابه مع ان ذلك هو عين التلفيق فلماذا لا يجوز الحنفية مثلاً التلفيق بين اقوال ابي حنيفة والشافعي او غيره وليس فيهم من يقول ان اصحاب امامهم افضل من الشافعي ومالك وابن عباس فما هذا الا تفريق بلا فارق وحكم يعكس الدليل .

وقد نتج من التفريق بين المسلمين والتشديد عليهم في دينهم ومصالحهم بدون موجب غير التعصب المخالفة لأمره تعالى (اقیموا الدین ولا تتفرقوا فيه). «مرحي» ثم ختم (المجتهد التبريزي) مقاله بقوله : وليس مقامنا الآن مقام استيفاء لهذا البحث وإنما أوردت هذا المقدار منه بقصد بيان جواز التلقيق اذا كان عن غرض صحيح كما جوزه كثير من فقهاء كل المذاهب . ولا شك ان ضرورة التلقيق أهم من الضرورة التي لأجلها جوز الفقهاء الحيل الشرعية مع انها وصية عار على الشرع حيث لا يعقل ان يقال مثلاً ان الشفعة مشروعة دفعاً للضرر عن الشريك أو الجار ولكن يجوز هذا الإضرار للمحتال . أو ان الربا حرام ولكن اذا أضيف للقرض ثمن مبيع خسيس بنفيس جاز استباحة مقصد الربا . أو ان إيتاء الزكاة فرض ولكن اذا أخرج رب المال ماله قبل الحول ثم استعاده سقطت عنه — الى غير ذلك من ابطال الشرع وجعل التكليف تخيراً والتقييد اطلاقاً . ولا حجة لهم في هذا غير ما رخص الله به لايوب عليه السلام من التوصل للبر باليمن في قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث) وما أبعد القياس بين الحنث وبين ابطال الشرع . ولا شك ان المسلمين بذلك صاروا كأنهم لا شرع لهم وقد غضب الله على اليهود لتحيلهم على صيد السبت فقط ونحن نجوز ألف حيلة مثاها بضرورة وبلا ضرورة .

بناءً عليه من الحكمة أن نلتبس للضرورات أحكاماً اجتهادية فيأمر بها الإمام إن وجد والا فالسلطان ليرفع الخلاف فعمل بها الأمة مادام المقتضي باقياً فاذا ألجأ الزمان الى تبديلها بقول اجتهادي آخر فكذلك يأمر به الإمام أو السلطان رفعاً للخلاف . ويمثل هذا التدير الذي لا يأباه شرعنا ولا تنافيه الحكمة نستبدل بتلك الحيل المعطلة للشرع المسلمة لترقيعات كل فقيه ومتفقه أحكاماً شرعية ايجابية لازية فيها ونحو ذلك يسلم شرعنا من التلاعب والتضارب ويخلص القضاء والإفتاء من التوفيق على الأهواء وحينئذ يتحقق أن الخلاف في الفروع رحمة . والحاصل أنه يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصب لمذهب دون آخر فيكون سعيهم هذا منتجاً للتأليف وجمع الكلمة في الأمة

قال (الاستاذ الرئيس) انا نشكر أخانا المجتهد التبريزي على بيانه لنا حالة اخواننا أهل فارس وعلى غيرته لادين وقصده التأليف بين المسلمين أما تقريره بخصوص أن حكم الامام ان وجد والا فالسلطان يرفع الخلاف وبخصوص ان التلقيق هو عين

التقليد فتقرير يحتاج الى نظر وتدقيق وستقوم بمثل هذه التدقيقات في المسائل الدينية التي بحث فيها الاخوان الكرام الجمعية الدائمة التي ستشكل ان شاء الله . واليوم قد قرب وقت الظهر وآن أوان الانصراف

— باب الاخبار والآراء —

(رمضان - المنكرات فيه) هو شهر الصيام ، والتلاوة والقيام ، والاقبال على الله ، والاعراض بقدر الامكان عن سواء ، وان تأثيره ليظهر في جميع بلاد المسلمين بترك معاهد اللهو والعكوف في المساجد وتغيير العادات الا ان هذا التأثير في هذه المدينة (القاهرة) اضعف منه في سائر بلاد الاسلام فيما أعلم وأظن الا ما تمتاز به من كثرة المرتلين للقرآن في البيوت ترى اكابر العلماء في غير القطر المصري قد انتدبوا فيه لقراءة الدروس الدينية وإلقاء المواعظ المؤثرة منتشرين في المساجد وترى مساجد القاهرة التي عدد علمائها يزيد على عدد العلماء في كل مدينة سواها خالية منهم الا قليلا كالمسجد الحسيني والمسجد الزنبلي . وأكثر من يتصدى للوعظ الجاهلون الذين يغرون الناس بالاماني ويقصون عليهم القصص الخرافية والأساطير الوضعية . وفي كل سنة نذكر الشيخ عليا البيلوي شيخ المسجد الحسيني بوجوب منع هؤلاء القصاصين منه ولعله يفعل في هذا العام كما يفعل شيخ الأزهر في المسجد الزنبلي لا يأذن لأحد بالوعظ فيه الا اذا وثق بعلمه اذا كانت معاهد العلم والإرشاد ليست عامرة في القاهرة فلا عجب اذا عمرت معاهد اللهو والفسق حتى في رمضان فقد اطلعنا منذ أيام على (إعلان) ينشر في الطرق والشوارع فاذا فيه أن زعيما من زعماء الملاحية قد استحضر مغنية شهيرة وراقصة بارعة لاجل احياء ليالي رمضان الشريف !!! ولو بقي عند هؤلاء المسلمين الجغرافيين الذين يخربون بيوتهم بأيديهم ليعمروا بيوت أعدائهم بقية من الغيرة المالية والشهامة الاسلامية لكافؤا هذا المستهين بهم والمستهزي بدينهم بالاعراض على قنيتهم وراقصتهم وان لم يتوبوا عن الفسق توبة نصوحا

— الجرائد ورمضان — أو — المنار والمنارات —

سمعنا من بعض أصحاب الجرائد المنتشرة الشكوى من بخل رمضان عليهم وهو أبسط الشهور في الاتفاق بدا ، وأكثرهم في التوسع مددا ، ولكن هذا البسط هو السبب في ذلك القبض أعني قبض الأيدي عن دفع اشتراك الجرائد لأن الناس يحبون الاتفاق في رمضان على المآدب لا على الآداب وفي القربات الدينية ، لافي

الكربات السياسية ، ولهذا لم يكن النار من الشاكين ، وإنما هو من الشاكرين ، لأن حظه في رمضان كحظ أخواته منارات المساجد كما أن وظيفته كوظيفتهن . كل منهما وضع لدعوة المسلمين الى الصلاة والصيام ، وكل منهما يزيد مدده في هذه الايام ، أما المنارة فمددها الزيت والقناديل ، وأما النار فمدده الدراهم والدنانير ، وحق المنارة أكد وأثبت من حق المنارة لأن دعوته عامة تشمل العقائد والأخلاق ، ودعوتها خاصة بالصلاة والصوم ، ودعوته يسمعها الألوف ، ودعوتها يسمعها نفر قليل ، ودعوته مؤيدة بالبرهان ، ودعوتها تذكير بمجرد لاهل الإذعان ، ودعوته متوقفة على مدد القراء ، ودعوتها لا تتوقف على الزيت ولا الكهرباء ، ولهذا كان إمدادها هذا متقدماً عند المتورعين ، وترك إمداده متقدماً عند المتدينين . وقد سبق الى العمل بهذا الحكم أهل المنصورة والسنبلاوين ، وستلوهم الفيوم وشين ، اللهم آمين

(بدعة جديدة في مسجد جديد) جدد ديوان الأوقاف مسجداً من المساجد المدعثة في الفيوم وقد احتفلوا بافتتاحه في يوم الجمعة الماضية بالصلاة فيه وكان الاحتفال بعد الصلاة وسمع خطبة الخطيب الخرافية التي مدح واضمها فيها المسجد مدحاً استبطله من حروفه . وبالله كيف يرضى المسلمون بأن يقول خطبائهم مثل هذا الكلام اللغو الذي أمر الله تعالى بالاعراض عنه كما أمر بالاسماع للخطبة حتى ان حاضر مثل هذه الخطبة لا يدري أهو مطالب بأن يكون ممن قال الله تعالى فيهم « والذين هم عن اللغو معرضون » وقال فيهم « واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » أم هو مطالب بامثال قوله عز وجل « واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا » على قول المفسرين انها نزلت في الخطبة ؟ أما كون ذلك من اللغو فيعرفه العامي اذا لاحظ ان كل حرف يكون مبدأ كلمات تدل على معاني شريفة وكلمات تدل على معاني خسيصة فالدال أول حرف من كلمة الدين والدعاء والدراية وكذلك هو أول حرف من كلمة الدنس والدناءة والدعارة ثم قام خطيب الاحتفال بعد الصلاة وقال « أفتتح المسجد باسم الخديو » الخ ثم مضى في كلامه والناس تصفق له لاسيما عند ذكر الامير حتى كأنهم انقلبوا عن الاسلام الى عبادة الجاهلية التي نزل فيها قوله تعالى « وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » والتصدية هي التصفيق . فليعلم الغافلون ان بيوت الله تفتح باسم الله والخشوع له وتجتنب فيها عبادات الجاهلية ، وبدع المدنية ، فمن كان مخلصا لسلطانة واميره فليدع الله تعالى فيها بان يصالح شؤنها ويوفقهما لما فيه خير الملة والامة وليعلم أنها بيوت يستوي فيها المأثور والامير ، في الخضوع لله العلي الكبير

(استشارة في أمر ذي بال) - رأى القراء فيما قرأوه من مباحث جمعية أم القرى في الاجتماعات الستة أن كل ما ذكره أعضاؤها من أسباب قنور المسلمين وضعفهم يرجع الى الدين والشؤون الاجتماعية والسياسة العامة . وفي الاجتماع السابع الآتي تفصيل أسباب القنور في سياسة الدولة العلية العثمانية وإدارتها وهي عشرون سبباً . وقد كنا ذكرنا عند التوييه بسجل الجمعية وذكر العزم على نشره في المنار أن مافيه من القول بسيئات الدولة العلية يؤلم أكثر القارئین وأتينا نختار حذفه عند الوصول إليه . ولكننا رأينا كثيراً من الناس يفند هذا الرأي ويقول ان قراء المنار كلهم أو جلهم من خواص الناس وأهل الفضل الدين يزيدهم العلم بعيوب دولتهم حرصاً على بقائها وسعياً في اصلاح حالها ان استطاعوا فيجب أن لا يحرّموا من الاطلاع على الآراء والمباحث التي دوت في سجل الجمعية . فلم يقفنا هذا القول تمام الإقناع وأحيثنا أن نستشير قراء المنار الآخرين من كان يرى نشر السجل برمته وذكر كل ما فيه عن الدولة والترك فحسبه سكوتة دليلاً على رأيه . ومن كان يرى وجوب حذف ما يشق على الدولة فعليه أن يذكر لنا رأيه قولاً أو كتابة واننا نرجح هذا الرأي اذا كان عليه عشر المشتركين ولا يصح لمن يسكت قبل النشر أن يلوم بعده .

(أشهر مشاهير الاسلام) صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب في سيرة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه) وفيه أبواب من العبرة واسعة ، ومباحث في التاريخ والسياسة الاسلامية نافعة ، منها بحث « حكم الاسلام في المسيحيين وحكم الاوربيين في المسلمين » ومنه يعلم أي الفريقين أعدل . وبحث الردة وحقيقتها . وبحث كون دمشق كانت قاعده الفسائيين أو كون سوريا كانت وطنهم . وبحث شجاعة المسلمات ومساعدتهن للرجال في الفتوح . وبحث الحكم الثباتي والشورى في الاسلام . وبحث الاستعمار . وأبحاث تدوين الدواوين وترتيب العمال وضرب النقود ووضع البريد والحكومة العسكرية والحكومة القانونية وبيت المال وغير ذلك مما يؤخذ من سياسة سيدنا عمر وسيرته العادلة التي تصرّب الائم بها الامثال ناهيك بذكر الوقائع والفتوح والقضاء . واننا نشكو من كثرة اغلاط الطبع فيه ولكتنا واقعون على سببه وهو ان معظم الكتاب طبع ومؤامره (رفيق بك العظم) غائب في الشام ولما علم منع إصداره حتى استخرج له جدولاً أحصى فيه الاعلاط وألحقه به ولولا ذلك لصدر من بضعة أشهر . وصفحاته تزيد على ٣٠٠ ونمته ١٠ قروس صحيحة وأجرة البريد قرشان وهو يطالب من ادارة مجلة المنار بمصر ومن المكاتب المشهورة

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و د مناراً ، كمنار الطريق)

(مصر الثلاثاء في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٠ - ١٦ ديسمبر (٣ كانون اول) سنة ١٩٠٢)

مسير الانعام . وعصير الاسلام

كتب الباحثون من أهل اوربا مقالات كثيرة في مستقبل الاسلام
في القرن العشرين تخاضوا فيه من الجهة الدينية والجهة الاجتماعية والجهة
السياسية حتى ضربوا في كل فج ، وهاموا في كل واد ، فمن زاعم ان
المسلمين سائرون الى العدم والانقراض لأنهم اعداء المدنية الحديثة القائم
بناؤها على سنن الكون ونواميسه التي لا تتبدل ولا تتحول فهم بذلك
أعداء الوجود ومن عادى الوجود فالعدم أولى به . ومن قائل ان هذه
الامة الكبيرة لا تنقرض كما انقرض هنود امريكا لانهم أرقى منهم بما
سبق لهم من المدنية ولكن يزول سلطانهم فلا تبقى لهم حكومة فتخطفهم
الأمم القوية ويعيشون أذلاء مستضعفين ، الى أبد الآبدين ، ومن ذاهب
الى أنهم سينهضون ، ومن بعد غلبهم سيغلبون ، وأختلف هذا الفريق في

هذه النهضة كيف تكون وأين توجد . فظن بعضهم أن ستكون بالآخذ بمدينة أوربا وتنشأ في الهند وفارس والامستان ومصر ورجح بعض أنها تكون بالعصبة الدينية والقوة الحربية وتنشأ في إفريقيا أو الصين . وغفل كل من المختلفين عن منبتين آخريّن لمجلد الإسلام المستقبل وهما أوربا وأمريكا إذا أسرع بهما العلم ونظام الاجتماع الى الإسلام ، الذي لا بد أن تنتهي تلك الأمم اليه في يوم من الايام ، أو جزيرة العرب اذا أبطأ بهما سير العرفان ، وسنن العمران ، فظلت أوربا تطارد المسلمين وتضطهدهم حتى يأرز الاسلام برجالاته المحنكين الى جزيرة العرب كما تأرز الحية الى جحرها ومن ثم ينفثون سموم التعصب في الشرق كله فما ينظر الأوربيون فيه إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون

أراني عجبت برأي قبل التمهيد له وذكرت نتيجة لمقدمات مطوية ودلائل خفية ، فلا غرو أن ينكرها عليّ المسلمون ، قبل أن يعرفها الاوربيون ، الا من بعد نظره ، وغاص في أعماق المسألة فكره ، فترك المنكر في انكاره ، وانسأى المتفكر في أفكاره ، باحثين معه في مسير الأنام ، ومستقبل الاسلام ،

أين تذهب الأمم المتقدمة دائماً الى الأمام ، وإلى أي غاية ينتهي سيرهؤلاء الافوام ، وهل تزداد الشعوب المتقدمة تقدماً ، وتزداد الشعوب المتخلفة تخلفاً ، وتزداد الأمم الحية حياة والماتة موتاً ، حتى تكون الثانية غذاء للأولى كما قال اللورد سالسبوري سياسي انكلترا الكبير ؟

هل تبقى هذه المدنية الاوربية مادية حيوانية تبيح الفحشاء والمنكر ، وهل يحرف سيلها ما في بلاد الاسلام من بقايا العفة والصيانة والتراحم

والتواصل حتى لا يبقى للمسلمين - وقد أخلقت فيهم احلاق العمران -
 من الصفات ما يستحقون به رحمة الله تعالى فيكونوا من الهالكين ؟
 هل تظل أوربا تواب الدين كلما قلت حاجة السياسة اليه ، وعدت
 العلوم السكونية عليه ، وهل يكون حظ الاسلام عند المتعلمين الآتين ،
 كحظ النصرانية عند المتعلمين الحاضرين والغابرين ، يذللون منه لو اذا ،
 ويمرقون منه زرافات وافذاذا ؟

هل تنبت المدينة المصرية في ارض الاسلام كما نبتت في المغرب
 وتنمو كما نمت وثمر كما اثمرت سواء بسواء فيرجع المسلم القهقري الى القرن
 السادس عشر الميلادي فيبتدى منه ؟ أم يكون اول سيره من نهاية
 القرن التاسع عشر فتكون مدينته اسرع واعجل ، ومعارفه أتم واكمل ؟
 اذا اراد الناظر ان يستنبط الجواب من سيرة المسلمين الذين ولوا
 وجوههم شطر المدينة ، ولقفوا هذا اللأج من العلوم الاوربية ، لا يسهه
 الا ان يقول : ان حال هذه المدينة ستكون (او هي كائنة منذ اليوم)
 دون حال الاوربيين وانهم سينبذون الاسلام باسرع مما نبذ اولئك
 النصرانية لان رؤساء الدين في النصرانية دولة لها في كل فرقة رئيس عام ،
 وموظفون يسيرون بقانون ونظام ، وهم مستقلون في ذلك عن الحكام ،
 ولذلك تيسر لهم محاربة العلم زمناً طويلاً ولما دالت للعلم الدولة وقاز بالنصر
 سالموه واستعانوا به على حفظ الدين حتى ان أزمة المدارس اصبحت في
 أيديهم فلم يتركوا مدرسة بدون كنيسة . ومن عجزوا عن إقناعه بقضايا الدين
 والزامه بالعمل به والدعوة اليه لا يعجزون عن إقناعه باحترامه والدفاع
 عنه باعتبار أنه رابطة للجنسية ولا يزال لهم من السلطان في الامم المسيحية

حتى اكفرها بالدين كفر تساماً يخيف الحكام منهم فيضطهدونهم . وليس للمسلمين مثل هذه الرياسة المنتظمة في فرقة من الفرق ولا في قطر من الاقطار وما عند الشيعة من المجتهدين ليس لهم من النظام والثروة ما للاكليروس عند النصارى ولا يرجى منهم مثلاً كان من اولئك

ترى رئيس علماء الدين في مصر — وان لقبوه بشيخ الاسلام — لا يرجع اليه بشيء من أمور المسلمين ولا يستشار في كيفية تعاليمهم وتربيتهم وليس له سلطان ما على اوقافهم الخيرية ، ولا إشراف على اعمالهم الاجتماعية ، وكذلك شيخ الاسلام الرسمي في دار السلطنة العثمانية لا وظيفة له الا تعيين القضاة والمفتين وعزلهم فهو موظف تحكم عليه السياسة ويعزله السلطان متى شاء وليس له من الاستقلال في عمله مثلاً لرؤساء الديانة النصرانية على ان عمله للحكومة لا للامة . واكبر من هذا كله ان رجال الدين الاسلامي لا يعهد اليهم بشيء يستقلون به دون الحكومة ولا خدمة المساجد فالحاكم السياسي هو الذي يجعل امام الصلاة اماماً وخطيب الجمعة أو الحج خطيباً فهو عند المسلمين رئيس ديني مستقل وان شرع لحكومته غير ما شرع الله ، وصار يحكم بين المسلمين باسمه دون اسم الله !!!

يقول الناظر : اذا كان حال الحكام المسلمين ما نرى من البعد عن الدين وصاروا كما قال الله تعالى « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » . واذا كان المسلمون على هذا راضين عنهم وخاضعين لهم مع علمهم بأنهم إياهم خاضعين للأجانب إما ظاهراً وباطناً وإما باطناً فقط . وإذا كان علماء الدين لا يرجع اليهم بشيء من سير الامة الاجتماعية والادبي ولا هم يتدبّون لذلك من أنفسهم ويجعلون الامة مضطرة الى الرجوع اليهم

والاعتماد في تربيتها عليهم . واذا كان المتعلمون على الطريقة الاوربية من المصريين والأتراك كثيراً ما ينددون الدين ظهرياً، ويحسبونه شيئاً فرياً، ويستحلون الخمر، ويستمرعون مرعى الفجور، ويفضلون الظلمة على النور، واذا كان هؤلاء المتعلمون هم الذين يتولون الاحكام، يأخذون من الامة بكل زمام، واذا كان الناس على دين ملوكهم . والرعايا تبعاً لحكامهم . وناموس الاجتماع قاض بتقليد الناس لاصرائهم وكبرائهم . أفلا يحق لنا ان نحكم بأن المسلمين سيكونون أسرع في ترك دينهم ممن سبقهم . فان كان الجهاد بين العلم والدين في اوربامدة خمسة قرون قد أنجم ببقاء الدين في نمو، وسلطانه في نفوذ وعلو، فلا يمضي على المسلمين قرن أو قرنان، الا وهو في خبر كان، واذا لاحظنا انه ليس للمسلمين جنسية ولا وطنية تقوم مقام الرابطة الدينية . وأن الذين أحبوا الامتياز فيهم والانتفاع منهم بدعوتهم الى « الوطنية » لم ينجحوا لان تأثير الدين لم يجعل لهم تأثيراً بل عدّهم الذين يفهمون حكم الاسلام وأسراره أعداءاً للاسلام وان كانت اسماؤهم اسماء المسلمين - فلنا ان نحكم بأن المسلمين سيفقدون بانحلال الرابطة الدينية كل استقلال، ويكون مصيرهم الى الزوال، فلا تفيدهم سعة البلاد، ولا كثرة التعداد، إذ لا كثرة مع فقد الرابط العام، كما لا يكون العقد بغير نظام .

هذا ما يقول الناظر بإحدى عينيه، الى ما بين يديه، واعني بإحدى العينين العين التي تنظر الى السوءى دون الحسنى والى منافذ الخوف دون ابواب الرجاء . واعني بما بين اليدين الظاهر الشائع من حال الامم دون الخفي الذي لا يرى الا بالتحديق، وبنفوذ اشعة البصر من الحجاب الصفيق،

ذلك ان كل انسان يدرك مما يشاهده ويمر به ما هو مستعد لا يدركه وينبو طرفه عما سواه وان كان واضحاً جلياً . فما بالك اذا كانت ما يملو استعداد الناظر المسير خفياً سره ، مجهولاً عند امره ،

إن سير الآنام يشبه سير الظل لا تعد له الخطوات ، وانتقالها يحاكي انتقال النجوم السيارة لا تدركه الا وقفات ، والوليد يعذر اذا انكر سير الظل وجزم بأنه واقف لانه لا يرى حركته . والجاهل بعلم الفلك يعذر اذا انكر بديان السيارات تسير من الغرب الى الشرق لانه يراها تنيب في جانب الغرب فهو يرى أثر حركة الارض لانه قريب يكون كل يوم ولا يلاحظ سبب تأخر طلوع القمر كل ايلة فضلاً عن غيره من السيارات . كذلك يعذر الماجن اذا جاء باريس فمكف فيها على الحانات والمواخير اذا قال ان غاية مدينة أوربا إباحة النواش وانجور ولا غاية وراها . ويعذر كليل النظر اذا جاء مصر فرأى فيها كل شيء . درن ما كان يسمع اذا حكم على مستقبلها بضد ما كان يحكم به وهو بيد عنها ويثس من مستقبل الاسلام بالنسبة اليها

يعذر باليأس اذا دخل الازهر فرآه كعالم الخيال لا أثر لحال الناس في علمه ولا أثر لعلمه فيما عليه الناس في سيرهم ورأى أن الآثار القلمية التي تصدر عن مصر ليست منه في شيء ولا هي مرضية في الغالب عند اهله وانما جل علمهم مناقشة في أساليب المؤلفين وتدقيق في تحليل عبارات كتب مخصوصة اختاروا تدريسها . ثم رأى أن أهله غير محترمين عند طبقة من طبقات الأمة حتى ان الحوذني (سائق المركبة) ليسخر من المجاور في الازهر ومن العالم أيضاً إلا بعض الوجهاء الذين يحترمون

لنأصحبهم التي بقيت لهم أو ثروتهم وقليل ما هم
ويعذره إذا غادر الأزهر إلى المدارس فرأى فيها العناية باللغة
الانكليزية، أضعاف العناية باللغة العربية، ورأى التلامذة يتلقون تاريخ
الدين، عن المدرسين الأوربيين، ورأى علم الدين كالرسم المدارس، لا
يحفل به المدرس ولا الدارس، وظن لذلك أن الانكليزية سوف تستبدل بالعربية
ويعذره إذا شاهد الجريدة الهزلية البذيئة تطبع منها الوف من النسخ
فتباع بالنقد يدأيد وتهافت عليها القارئون والقارئات من جميع الطبقات،
يلغون بها مقهقهين ولا مثار للقهقهة والكركرة، ولا للإيهلاس والهرنفة، ثم
يرى قراء المجلات العلمية والتهذيبية على قلوبهم يلوون ويمطلون ولا يخرج منهم
حقها الا نكد، ويعذره إذا لاحظ حال تلامذة المدارس وبلا أخبارهم،
واكتشف ضمائرهم وأسرارهم، فرأى أكثرهم مشغولين بالسفاسف فاسدي
التربية قصيري الآمال لاهم لأحدهم الا أن يكون موظفا في الحكومة لا
يرفع شأن أمته ولا لخدم مصلحة بلاده ولكن ليكون رزقه مضوونا فلا
يتكلف عناء الاعمال، وان كان وراءها زعيم الاستقلال، - ويعذره إذا
رأى الأغنياء والوجهاء لاهم لهم الا التمتع بالذات تنبسط أيديهم في
الإسراف والمخيلة، وتنقبض عن الاعمال الجليلة

ويكون أعذر باليأس والقنوط إذا رفع بصره إلى الحكام والأمراء
ورآهم المعوبة في أيدي الأجانب. وقد أخذتهم الفتن من كل جانب
هذا ما يراه الطرف القصير، والبصر الحسير، ويبنى عليه حكمه الجائر
واكن الاسلام يسير من وراء مدى طرفه سيرا طبيعياً، ويتقدم تقدماً
تدريجياً، يسير بلغته وعلومه سير الظل الوارف وينتقل انتقال السكواكب

من الغرب الى الشرق في الباطن ومن الشرق الى الغرب في الظاهر بل كل واحد من الخافقين يسير نحو الآخر كلما خطا المسلم الى المدينة الاوربية المسرفة خطوة خطا مثلها الاوربي الى الاسلام أو أبعد منها وأقرب ولا ندري وهما في مبدأ السير أيهما يكون الاسبق الى تحكيم الاسلام في هذه المدينة المسرفة المائلة ليرجعها الى الاعتدال الذي هو غاية الكمال الممكن ولكننا نعلم أن التلاقي هو نتيجة هذا التقرب المستمر وإن ذلك لواقع ماله من دافع .



ندع الكلام الان في الحركة الاسلامية العامة الى التقدم في كل قطر من الاقطار وتقرب الشعوب المسلمة بعضها الى بعض ونداء الشيعي والسني السلفي والمتنزهة الى الاصلاح وفي امتداد هذا النداء وتأثيره . وفي الجمعيات الاسلامية وفي ترقى لغة الدين (العربية) ونقدمها السريع من غير نصير من الحكومات الاسلامية والجمعيات العلمية -- ندع هذا لفرصة أخرى ونقول كلمة وجيزة في تقرب أوربا الى الاسلام بطبيعة العلم والعمران فيها لان هذا أغرب عند أكثر القارئین من الاول .

كانت أوربا في القرون الماضية تعتقد أن الاسلام دين وثني نشأ بالسلب والنهب والاعتداء وإياحة القواش والمنكرات وأن أهله قوم متوحشون يتقربون الى أصنامهم وأوثانهم بسفك الدماء وكانوا يبنون على هذا الاعتقاد أنه يجب على أوربا السعي باستعبادهم أو محوهم من بلادهم ليسلم سائر الناس من شرورهم . والشواهد على هذا كثيرة في كتبهم فعندهم كتب كثيرة مؤلفة في سوء حال الاسلام والمسلمين ألفها القسيسون والسياسيون لتفجير الشعوب الأوربية من العالم الاسلامي حتى أنهم ترجحوا

القرآن الحكيم ترجمة مبدلة محرفة بل القوا كتباً وضعية منها ترجمة للقرآن لو قرأ المسلم منها سموه سورة الفاتحة (وهي التي لا يفهمها مسلم) ولم يذكر له ان هذا ترجمة القرآن لما خطر في باله القرآن عند قراءتها مطلقاً لانه ليس فيها معنى جملة واحدة من اجل الفاتحة الشريفة . ولو شئت أن أسرد الشواهد من كلام الاوربيين في ذم الاسلام ، ونيبه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، لأحتجت الى تأليف مستقل . وأهوز ووصف وصفه به الفيلسوف رنان الفرنسي ^(١) في كتابه (ابن رشد) قوله فيه « دين الخنازير أو القوم المنهمكين في الشهوات » ومن التحريض عليه تلك الكلمة الخبيثة التي جاءت في مقال للموسيو هانوتو وهي الاقتراح على فرنسا بان تهدم الكعبة المشرفة وتنقل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى قصر اللوفر في باريس . ومن أراد الزيادة على ذلك فليقرأ كتاب (الاسلام) للكونت هنري دي كاستري الذي عربه احمد فتحي بك زغلول وطبع بمصر سنة ١٣١٥

هذه إشارة الى اعتقاد أوربا في الاسلام وقولها فيه وأما العمل فمازال الاوربيون يسومون المسلمين الخسف في كل بلاد لهم استولت عليها دول أوربا حتى خفت انكلترا ثم روسيا وطأتهما عنهم من عهد قريب فاذنت روسيا لهم بطبع المصاحف وكتب الدين وأعطتهم شيئاً من الحرية يتمتعون به الآن وكان ممن سعى بذلك لدى القيصر السيد جمال الدين الافغانى (رحمه الله تعالى) . وهذه انكلترا التي كانت ولا تزال أبعد أمم أوربا

(١) هذا هو رنان وهذا كتابه الذي اعتمدت عليه مجلة الجامعة في ترجمة ابن رشد

فيلسوف الاسلام العظيم . فهل يوثق قول منعصب على الاسلام هذا التعصب المشوه في أمر ما يتعاقب بالاسلام وتاريخ رجاله العظام ؟

وحكوماتها عن التعصب وأقربهم إلى التسامح كانت قاعدة الوظائف عندها في الهند أن تكون للانكليزي فالأوربي فالوثنى فالمسلم فما كان يوظف مسلم إلا إذا لم يقبل الوظيفة التي يتولاها أحد من هؤلاء

انقلبت الحال بعد هذا في الاعتقاد وفي القول والعمل وفي السياسة فقد أقبل العدد الكثير من الأوربيين على دراسة لغة القرآن وعلوم الإسلام فظهر لهم فضل هذا الدين في الجملة وألقوا كتباً كثيرة في فضله وصار أكثر الباحثين فيه يعتقدون بأن نية كان يدعو إلى هذا الدين محتقداً بأنه ملهم من الله ومؤيد من لدنه سبحانه وتعالى وأن ما جاء به إصلاح عظيم للبشر عقائده نافعة وأخلاقه محمودة وشريعته عادلة . ثم إن منهم من اجتهد في كشف الشبهات التي يوردها علماءهم على الإسلام وهي منه حقيقة كإباحة تعدد الزوجات بشرطها والرخصة في الطلاق والجهاد . وإن لبعضهم من الأجوبة عن هذه الأمور المنتقدة في نظر قومهم أشد الانتقاد مالا تجد مثله لعالم من علماء المسلمين . وقد قام بعض القسيسين منهم بمحاول الجمع بين الديانتين كاسحق طيلر الذي نشرنا بعض خطبه ومقالاته من قبل

لم يقف التحول عند حد اعتقاد بعض الباحثين وأقوال بعض المؤلفين بل قضت طيمة الاجتماع بالعمل ببعض ذلك ومخالفة دينهم إليه لأنه ظهر لهم أنه ضرورة لا بد منها وذلك كالطلاق الذي صار مشروعاً عندهم وشائعاً فيهم . وكذلك ظهرت فيهم بوادر الحاجة إلى تعدد الزوجات حتى قام من الكاتبات من يدعو إليه في جريد (راجع مقالة « الرجال والنساء » ص ٤٨١ م ٤) وكأنك بهم وقد عادوا إلى ذلك بعد حين وسيجدون في الإسلام الطريقة المثلى لحل المشكلة الاجتماعية الكبرى التي من آثارها الفوضوية

والاشتراكية وتعصب المال الذي تفاقم خطبه في هذه الأيام
ان ما كشفه العلم في الخلق والتكوين يوافق ما ينطق به القرآن . ان
الآيات الكونية التي يفصلها القرآن في اثبات الالهية هي أقرب الى العلم
الحاضر والفلسفة الحاضرة منها الى فلسفة اليونان . ان الوحي الذي يطالب
القرآن بالايان يمكن ان يقبله حتى العالم المادي من غير حاجة الى إبطال
مسئلة ثابتة من مسائل علمه أو فلسفته . ان الاخلاق التي يدعو اليها
القرآن هي أخلاق الاجتماع والعمران ، والعزة والسلطان ، ان أصول
الاحكام والشرائع السياسية والمدنية والقضائية والحربية في الإسلام منطبقة
على ما ثبتت فائدته الأمم الغربية وفيها لم يصلوا اليه ، ولو عرفوه لعولوا عليه ،
ان لكل داء من أدواء العمران وكل مرض من أمراض الاجتماع البشري
دواء شافياً في القرآن يعرف ذلك الراسخون في فقه القرآن من علماء
الاجتماع . وان من هذه الادوية ما ينفع بدين الايمان ومنها ما لا يتم الا
به كدواء الزكاة لأدواء المسألة الاجتماعية الكبرى كما قال تعالى « ونزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للؤمنين » وان المدنية الكاملة التي تسير اليها الأمم
الراقية لا تكون الا بدين يجمع هذه الاصول الإلئية التي أجمعناها الان ،
وقد جاء في المنار بعض التفصيل لها وسنزيدها تفصيلاً اذا أمهلنا الزمان
ان المسلمين الاولين أخذوا هذه لاصول بالايان والتسليم فأسرعت
اليهم بالسيادة والسعادة واكن لم يلبث العلم بها أن ذهب وحل محله التقاليد
الأعشى فتركوا الأخذ بحكمة القرآن الى أقول . قلديهم ولا غناء فيها عن كتاب
الله تعالى فجعلوا في مجموعهم فقه هذه الاصول وزادوا عليها لا يوضحها ما
أخضاها فساروا الى الوراء ، يخبطون خبط العشواء ، ولما تكمل مدتيهم ،

الاترى مقلديهم في العقائد كيف تركوا في العلم الالهي طريق القرآن، الى نظريات اليونان تأثراً بذلك الزمان، الاترى مقلديهم في السياسة والأحكام كيف تركوا أصول القرآن وما يوضحهما من السنة وأستبدوا بالعمل. الاترى الأئمة بين هؤلاء الرؤساء، من الملوك والعلماء، قد فقدت الاستقلال الاجتماعي وعومت معاملة السوائم من الانعام؟ هذا هو سبب ضياع أثر تلك الاصول في سبيل الوصول الى المدنية الكاملة

الاوربيون يسرون الآن الى الاسلام من طريقه فقد بدأوا بالبحث في الآفاق فعرفوا من آيات الله فيها ما لم تعرفه الامم من قبلهم وثنوا بالبحث في أنفسهم فاهتدوا الى كثير من سنن الله تعالى في قواها وفي عملها الحيوي والاجتماعي. ثم أنهم يقرنون العلم دائماً بالعلم بل لا علم عندهم الا ما أيده التجربة العملية. وكل ما علموه كان مقرباً من القرآن فما عليهم الا أن يفهموه وقد أنشأوا في هذه السنين يدرسون لغته ويدرسونه بقوة واجتهاد وقام فيهم من أنفسهم دُعاة اليه وقد كاد يأتي فيهم تأويل قوله تعالى « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

أما نحن المسلمين فانا نعتز بالتقليد انه الحق ولكننا تركنا من عدة قرون البحث في الآفاق وفي أنفسنا الذي علق عليه كتابنا بين الحق والآن توجه الكثيرون منا الى علم الآفاق وعلم النفس تقليداً للذين سبقونا فاذا ضللنا في هذا السير الجديد فانا نقدم من بدايتهم فنترك الدين وآدابه وليس عندنا شيء يقوم مقامه كما كان عندهم فنكون من الهالكين ويكونوا هم السابقين الى الاسلام فلا يزالون يقبلون عليه ونحن مدبرون عنه الى أن يصلوا بحشهم واجتهادهم الى الحق ونحن عثرة في طريقهم وعند ذلك نرجع

الى تقليد في الدين كما قلنا في مبادئ العلم وما تبعها من التعطيل وما تقليد
الا اجتهاد فتعلم منهم كيف نفهم ديننا بروية آيات الله في الآفاق وفي
أنفسنا لا بقول فلان ورأي علان.

وأما اذا اهتدينا في هذا السير واندفعنا الى هذا العلم بإحساس الحاجة
اليه الا بالتقليد وأخذناه كاليابان من حيث انتهى اليه لا من حيث بدأ منه
وسابقناهم الى ما نحن أجدر به من إحياء لغة القرآن وفهم الدين من القرآن
وما يبينه من السنة النبوية فيقرب ان نسبهم اليه ، ونساعدهم عليه ، ونسير
بعد أن يفهم بعضنا بعضاً متعاضدين متساندين ، حتى نصل جميعاً الى الحق
اليقين ، ونكون السابقين وسائر الامم من اللاحقين ، ويظهر فينا معنى حديث
أنس عند الترمذي وغيره « أمتي كالطير لا يذري أوله خيراً آخره »
ويأتي فينا جميعاً تأويل قوله عز وجل « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »



باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس مفتي الديار المصرية في الازهر)

« وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ »
هذه الآية كالتي قبلها واللواتي بعدها تفصيل لنعمة الله على شعب
إسرائيل التي ذكرت من قبل جملة وابتداء التفصيل بذكر التفضيل لما
تقدم من الحكمة في ذكره وهو نهوض الأمة الى التخلق بالاخلاق

الفاضلة والترفع عن الرضى بما دون المقام الذي رفعهم الله اليه وتوطين النفس لقبول الموعدة الخ ما تقدم . ثم ذكرهم بما حل بهم من البلاء والعقوبات جزاءا على جرائمهم وبلطف الله تعالى بهم وانجائهم من البلاء وتوبته عليهم المرة بعد المرة ليعرفهم مقدار فضله وعقوبته

خاطب الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بما كان لا يأتهم لأن الإِنعام على أمة بعنوان أنها أمة كذا هو إِنعام شامل للأمة من أصابه ذلك الإِنعام من أفرادها ومن لم يصبه وبصح الامتتان به على اللاحقين منهم والسابقين كما يصح الفخر به منهم أجمعين . كما أن الإِنعام على شخص بشيء يختص بعضو من أعضائه كلبوس يلبسه أو أكل يطعمه يكون إِنعاماً على الشخص ولا يقال أنه إِنعام على لسان فلان ولا على رأسه أو يده أو رجله . ولأن ما وصل الى مجتمع بعنوان ذلك الاجتماع والرابطة التي ربطت أفراد بعضهم ببعض يكون له أثر في مجموع الأفراد لاسيما اذا كان الواصل من بلاء أو نعمة مسيئاً عن عمل الأمة شراً أو خيراً . ويكون لذلك أثر في الأمة يورثه السلف الخلف ما بقيت الأمة . وأنواع البلاء التي ذكر بها اليهود في القرآن كانت لشعب إسرائيل من حيث هو شعب إسرائيل لأن الجرائم التي كان البلاء عقوبة عليها إنما كانت من مجموع الشعب من حيث هو شعب إسرائيل . ثم إن الله تعالى كان يتوب على الشعب بعد كل بلاء ويفيض عليه النعم فتكون العقوبة تربية وتعلماً تفيد المعتبرين بها نعمة وسعادة

لأقول إن هذا الخطاب إِيحاء أو إشارة للمخاطبين بأن يستحضروا تاريخ أمتهم الماضي ليتذكروا صنع الله تعالى فيهم فيعتبروا بما أصابهم من

بلاء ونعماء ، وسعادة وشقاء ، ويتفكروا فيما حل بهم من بعدهم ، وما ينتظر أن يحل بهم ، وإنما الكلام نص صريح لا يحتاج إلى التأويل . قال روابط الاجتماعية بين افراد الامة وجماعاتها كالروابط الحيوية بين أعضاء الشخص الواحد بلا فرق . تعثر الرجل فتخدش أو توثأ والام يلُمُ بالشخص كله من حيث هو شخص حي بحياة واحدة تستوي فيها رجله وسائر أعضائه ولذلك يسعى بجملته لإزالة ألم الرجل ويتوق أسباب العثار بعد ذلك مستعيناً بكل أعضائه وقواه

علمنا الله تعالى هذا بما قص علينا من أخبار الأمم وأنهم على أمتنا (التي لا تختص بشعب ولا جنس) بهذا القرآن الكريم فكان لهم به نعم لا تحصى تعرف من الكتاب والسنة . منها أنهم كانوا أعداء أقاليم بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً . ومنها أنهم كانوا مستضعفين فمكن لهم في الارض وأورشهم أرض الشعوب القوية وديارهم وجعل لهم السلطان عليهم . ومنها أنه جعلهم أمة وسطاً لا تقريظ عندها ولا إفراط ليكونوا شهداء على الناس الذين غلّوا وأفرطوا ، والذين قصرُوا وفرطوا ، ثم لما كفرت بأنهم الله أنزل بها ألواناً من البلاء والنقم بعنوان الامة فان التثار إنما نكلوا بها وتبرّوا ما علوا تتييراً لأنها الامة الاسلامية . ثم زحف عليها الغريون أيام حروب الصليب وجاسوا خلال الديار لأنها الامة الاسلامية . ثم إن القتل لا تزال تحل بديارها ، وتنقصها من أطرافها ، وسوط عذاب الله يصيب عليها بعنوان الامة الاسلامية . وقد صرت عليها قرون وهي لا تعتبر بزمانى ولا تترى بما حضر بل جهلت الماضي فخارت في الحاضر لا تعرف سببه ولا المخرج منه أليس من العجيب أن الجمهور الاعظم من المشتغلين بالعلم منا هم أجهلنا

بتاريخ الامة لا يعرفون شيئاً من ماضيها ولا حاضرها ولكنهم يعترفون بان الامة في بلاء كبير ويعتدرون بالقضاء والقدر عن معرفة الاسباب ويكون الى القضاء والقدر النجاة منه أو البقاء فيه

ان هذه الامة أمة واحدة وان اختلفت ديارها وتعددت اجناسها ولا يمكن أن تعرف حقيقتها الا بعد معرفة تاريخها الماضي فلا بد من تتبع السواقي والجداول الى ينبوع الاول الذي هو الاصل .

كان سلفنا رضي الله تعالى عنهم يضبطون أحوال من قبلهم من أمور الدين والدنيا بكل اعتناء ودقة حتى كانوا يروون البيت من الشعر أو النكتة بين العاشق ومعشوقه بالاسانيد المتصلة وليست هذه المبالغة منتقدة فان الامة انما تكون أمة بدينها ولغتها وأخلاقها وعاداتها فاذا لم يحفظ خلقها عن سلفها هذه المقومات يحفظ تاريخها تكون عرضة للتغير بتأثير حوادث الزمان وتقلبات شؤون الاجتماع مع جهل المتأخر بما كان عليه المتقدم وبكيفية حدوث التغير الضار للجهل بالتاريخ . بهذا تفعل فواعل الكون بالامة الجاهلة أفاعيلها حتى تقلب كيائها وتقوض بنيانها وتقطع عرى الربط العامة بين افرادها فلا يكون لهم عمل الا للمصلحة الشخصية وهي لاحفاظ لها في مجموع الامة الا بالمصلحة العامة فاذا أهملت تكون الامة من الهالكين عنيت أمتنا بالتاريخ عناية لم تسبقها به أمة فلم تكتم بضبط الوقائع وتلقيها بالرواية كالسنة النبوية بل تفننت فيها فصنفت في تاريخ الاشخاص كما صنفت في تاريخ البلاد والشعوب ثم نوعت تاريخ الاشخاص فجعلت لكل طبقة تاريخا فترى في المكاتب طبقات المفسرين وطبقات المحدثين وطبقات النحويين وطبقات الأطباء وطبقات الشعراء الى غير ذلك . ثم اهتدى بعضهم الى

استنباط قواعد العمران وأصول الاجتماع من التاريخ فصنف ابن خلدون في ذلك مقدمة تاريخه . ولو لم تنقطع بنا سلسلة العلم من ذلك العهد لكنا أتمننا ما بدأ به سلفنا ولكنا تركناه وسبقنا غيرنا إلى إتمامه واستثماره . فالتاريخ هو المرشد الأكبر للأمم العزيزة اليوم إلى ماهي فيه من سعة العمران ، وعزة السلطان ، وكان القرآن هو المرشد الأول للمسلمين إلى العناية بالتاريخ ومعرفة سنن الله في الأمم منه وكان الاعتقاد بوجوب حفظ السنة وسيرة السلف هو المرشد الثاني إلى ذلك فلما صار الدين يؤخذ من غير الكتاب والسنة أهمل التاريخ بل صار ممقوتا عندا كثر المشتغلين بعلم الدين ، فان وجد من يلتفت إليه فأنما يكون متبعاً في ذلك سنة قوم آخرين ،

نكتفي الآن بهذا التنبيه ونعود إلى اتمام تفسير الآية التي صرفتنا إليه بمخاطبة بني إسرائيل في زمن تنزيل القرآن بما كان من تعذيب آل فرعون لسلفهم وإنعام الله عليهم بالإنجاء من ذلك العذاب

أول من دخل مصر من بني إسرائيل هو يوسف عليه السلام ونما نسله فيها وكثر حتى قيل انهم كانوا يوم خرجوا من مصر ست مئة ألف وهذا النمو كان في مدة اربع مئة سنة . وكان المصريون من آل فرعون لا يحبون مساكنة الغرباء ^(١) فلما رأى فرعون نمو شعب إسرائيل خاف

(١) يوجد في المصريين الآن من يكتب ويخطب لإحياء سنة آل فرعون يبغض المهاجرين إلى مصر ويبغض فيهم ولو كانوا على لغة ومن أتباع حكومته العنانية بل ولو كانوا من أهل الدين الذي ينتهي إليه ويوجد شرفه من المصريين تناقض بالفظ المصريين والدخلاء اتخذوا بالدعوة إلى السنة الفرعونية التي تبطل إذا نجحت (ولن تنجح) سنة القرآن الذي أرشد إلى أن الله جعل إنسان شعوباً وقبائل ليتعارفوا وية زجوا وجعل أكرمهم أقرهم وأنفعهم لعباده وقد اتهدى فلاسفة أوربا إلى أن هذه السنة غاية كمال البشر

منفعة الأمر لأنه كان يعلم أنهم إذا كثروا يتبسطون في الأرض ويذاحمون
المصريين فطفق يستذلهم ويكلفهم بالأعمال الشاقة كصنع الطوب لبناء
الهيكل والبرابي لعلمه بأن الذل يقلل النسل ويفضي بالامة الى الانقراض .
ولكنهم ظلوا مع الاستذلال يتناسلون ويكثرون فلما رآهم الحكماء
المصريون يزدادون نسلا وأنهم مع هذا محافظون على عاداتهم وتقاليدهم
ولا يمازجون المصريين وعندهم الاثرة والاياء لا اعتقادهم أنهم شعب
الله وأفضل خلقه خافوا ان يقووا بالكثرة فيعدوا عليهم ويغلبوهم على
بلادهم كلها او بعضها

وانما كانوا يزدادون على الذل نسلا لأن الذل لا يؤثر الا في الزمن
الطويل وذلك بأن الذليل الذي لا تطلق إرادته في أعماله هو بمنزلة الشخص
الذي يضعف عن تناول الغذاء الذي يمدد حياته فهو يذبل رويداً رويداً
حتى ينحل ويموت . والقوة الممنوية التي تحفظ حياة الأمم هي قوة الارواح
والإرادات لان الجسم محمول بالروح . والعمل النافع إنما يكون بالارادة
فتي خذلت النفوس بالتسلط على ارادتها تبعها الجسم فيضعف بضعفها .
والضعيف يأتي بنتاج ضعيف ويكون نسل نتاجه أضعف من نسله
ويتسلسل هكذا حتى يكون من لوازم ضعف النسل اسراع الموت الى
صفاره قبل بلوغ سن الرشد . وبهذا ينقرض النسل كما حصل لهنود
أمريكا وسكان شمالي أستراليا .

استبطل المصريون أثر الاستذلال في الاسرائيليين فعملوا على انقراضهم
بقتل ذكرانهم واستحياء إناثهم فأمر فرعون القوابل بأن يقتل كل ذكر
لبنى اسرائيل لان من سنة الله في الخلق أن قوام الشعوب والقبائل وحفظ

الاجناس انما يكون بالذكور . وقال مفسرنا (الجلال) تبعاً لغيره إن سبب العذاب وتقتيل الابناء دون البنات هو أن بعض الكهنة أخبر فرعون بأن سيولد من بني اسرائيل ولد ينزع منه ملكه ويكون على يديه هلكه (قال الاستاذ الامام) وليس لهذا القول سند صحيح ولا يعرف في التاريخ وما قلناه هو الذي يعرفه بنو اسرائيل ويتناقلونه في كتبهم المقدسة وغير المقدسة وهو المعقول في نفسه أيضاً

باب الاسر والامهنة

(تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) مصطفیٰ اُفندي رشدي المورلي بالقازيق : ما هي الحكمة في تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما أباحه القرآن الشريف لساثر المؤمنين وهو الزوج بأربع فما دونها وتعين الواحدة عند خوف الخروج عن العدل ؟

(ج) إن الحكمة العامة في الزيادة على الواحدة في سن السكولة والقيام باعباء الرسالة والاشتغال بسياسة البشر ومدافعة المعتدين دون سن الشباب وراحة البال هي السياسة الرشيدة . فأما خديجة وهي الزوج الأولى فالحكمة في اختيارها وراء سنة الفطرة معروفة وليست من موضوع السؤال . وقد عقد بعد وقتها على سودة بنت زمعة وكان توفي زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية . والحكمة في اختيارها أنها من المؤمنات المهاجرات لأهلبن خوف الفتنة ولو عادت الى أهلها بعد وفاة زوجها (وكان ابن عمها) لعذبوها وقتوها فكفلها عليه الصلاة والسلام وكافأها بهذه المنة العظمى . ثم بعد شهر عقد عى عائشة بنت الصديق والحكمة في ذلك كالحكمة في الزوج بمحفصة بنت عمر بعد وفاة زوجها خنيس بن حذافة بيدر وهي اكرام صاحبيه ووزيره أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) واقرار عينهما بهذا الشرف العظيم . وأما الزوج بزينب بنت جحش فالحكمة فيه تعلو كل حكمة وهي إبطال تلك البدع الجاهلية التي كانت لاحقة ببدعة النبي كتحریم التزوج بزوجة متبني بعده وغير ذلك . وقد نشر في المجلد الثالث من اثنار مقالان في هذه المسئلة احدهما الاستاذ الامام فليراجعهما

السائل هناك . ويقرب من هذه الحكمة الحكمة في التزوج بجويرة وهي برة بنت الحارث سيد قومه بني المصطلق فقد كان المسلمون أسروا من قومها مثنى بيت بالنساء والقراري فأراد عليه الصلاة والسلام أن يعتق المسلمون هؤلاء الأسرى فتزوج بسيدتهم فقال الصحابة عليهم الراضون أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي أسرهم واعتقوهم فأسلم بنو المصطلق لذلك أجمعون وصاروا عوناً للمسلمين بعد أن كانوا محاربين لهم وعوناً عليهم وكان لذلك أثر حسن في سائر العرب

وقبل ذلك تزوج عليه السلام بزينب بنت خزيمة بعد قتل زوجها عبدالله بن جحش بأحد وحكمته في ذلك أن هذه المرأة كانت من فضليات النساء في الجاهلية حتى كانوا يدعونها أم المساكين لبرها بهم وعنايتها بشأنهم فكافأها عليه التحية والسلام على فضائها بعد مصابها بزوجها بذلك فلم يدعها أرملة تقاسي الذل الذي كانت تحير منه الناس وقدمات في حياته . وتزوج بعدها أم سلمة (واسمها هند) وكانت هي وزوجها (عبدالله أبو سلمة بن أسد بن عمة الرسول برة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاعة) أول من هاجر إلى الحبشة وكانت تحب زوجها وتجاهله حتى إن أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته فلم تقبل . ولما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم «سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيراً» قالت : ومن يكن خيراً من أبي سلمة : فمن هنا يعلم السائل وغيره مقدار مصاب هذه المرأة الفاضلة بزوجها وقد رأى عليه الصلاة والسلام أنه لا عزاء لها عنه إلا به فخطبها فاعتذرت بأنها مُسِنَّة وام أيتام فأحسن عليه السلام الجواب — وما كان إلا محسناً — وتزوج بها . وظاهر أن ذلك الزواج ليس لأجل التمتع المباح له وإنما كان لفضلها الذي يعرفه المتأمل بمجودة رايها يوم الحديبية واتعزتها كما تقدم

وأما زواجه بأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب فعمل حكمته لا تخفى على انسان عرف سيرتها الشخصية وعرف عداوة قومها في الجاهلية والإسلام لبني هاشم ورغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تأليف قلوبهم . كانت رملة عند عييد الله بن جحش وهاجرت معه إلى الحبشة الهجرة الثانية فتصر هناك وثبتت هي على الإسلام فانظر إلى إسلام امرأة يكافح أبوها بقومه النبي ويتصر زوجها وهي معه في هجرة معروف سبها . أمن الحكمة أن تضع هذه المؤمنة الموقفة بين فتنين ؟ أم من الحكمة أن يكفلها من تصالح له وهو أصاح لها ؟

كذلك تظهر الحكمة في زواج صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير وقد قتل أبوها مع بني قريظة وقتل زوجها يوم خيبر . وكان أخذها دحية الكلبي من

سي خير فقال الصحابة يا رسول الله أما سيدة بني قريظة والتضير لا تصاح لك فاستحسن رأيهم وأبي أن تذل هذه السيدة بأن تكون أسيرة عند من تراه دونها فاصطفاهما وأعتقها وتزوج بها ووصل سيده بني إسرائيل وهو الذي كان ينزل الناس منازلهم وآخر أزواجه ميمونة بنت الحارث الهلالية (وكان اسمها برّة فسماها ميمونة) والذي زوجها منه هو عمه العباس (رضي الله عنه) وكانت جعلت أمرها إليه بعد وفاة زوجها الثاني أبي رهم بن عبد العزى وهي خالة عبد الله بن عباس وخالد بن الوليد فلا أدري هل كانت الحكمة في تزويجها تشب قرابتها في بني هاشم وبني مخزوم أم غير ذلك وجلة الحكمة في الجواب أنه صلى الله عليه وسلم راعى المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه (عليهن الرضوان) في التشريع والتأديب فحذب إليه كبار القبائل بمصاهرتهم وعلم أتباعه احترام النساء وإكرام كرائمهن وقرر الأحكام بذلك وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم من الأحكام ما يليق بهن مما ينبغي أن يتعلمنه من النساء دون الرجال ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغني في الأمة غناء التسع . ولو كان عليه السلام أراد بتعدد الزواج ما يريد الملوك والأمراء من التمتع بالحلال فقط لا خوار حسان إلا بكار على أولئك الثيبات المكتهلات كما قال لمن استشاره في الزواج بأرملة « هلا بكراً تلاحها وتلاعبك » هذا ما ظهر لنا في حكمة التعدد وإن أسرار سيرته صلى الله عليه وآله وسلم أعلى من تحيط بها كلها أفكار مثلنا .

﴿ ترك الملوك والأمراء فريضة الحج ﴾

(س ٢) ١- ع بالازهر: « من المعلوم أن الحج آية الله الحرام فريضة عينية على كل مسلم استطاع إليه سبيلاً وبديهي أن أمراء مسلمين وحكامهم هم أقدر على الاستطاعة فلم لا يحجون وهل هناك مانع شرعي أو ما يوجب سقوطه عنهم سي وقدمضي نحو الثلاثة قرون ولم نسمع بملك منهم حج أو اعتمر أفيدون الجواب والكم لا جروا ثواب » (ج) لانعلم لأحد منهم عذراً في ترك هذا الركن الديني العظيم وقد كنا شددنا التكثير في هذه المسئلة في الصفحة ٣٨٦ من منار السنة الأولى . واتنا نرى العقلاء من صاروا يلهجون بهذه المسئلة ويقولون ما يابك بعض ملوكنا وأمرنا كشاه المعجم وخديو مصر يذهبون إلى أوروبا مرة بعد المرة ولا يذهبون إلى مكة المكرمة قاذ كان الساطن عبد الحميد يخاف على نفسه من قومه الترك أو من الأرم (دون سواهم من رعيتة) إذا خرج حاجاً لأنه لا يتيسر له من الاحتياط في السفر ما يتيسر له في قصره . وإذا كان

سلطان المغرب الاقصى وأمير الافغان يخافان على بلادها من الفتن أو اقامة
غيرهما في مكانهما اذا خرجا من بلادها فما بال غيرهم ممن لا يخشى على نفسه ولا
على بلاده لا يحج . نعم ان الحج مفروض على التراخي فلا يعترض على شخص
بعينه أنه لم يحج لجواز أن يكون لم يؤثر الحج الا وهو عازم عايد ولكن
يظهر من حال ملوكنا وامرائنا الحاضرين أن سيكونون كمن سبقهم من عدة قرون .
ويعتقد المشتغلون بالسياسة أن السلطان عبد الحميد لا يرضيه أن يحج شاء العجم ولا
أمير مصر وأنه يمنعهما اذا أرادا ذلك ما استطاع وكذلك سلطان مراکش لأنه
يخاف أن يعملوا في البلاد المقدسة عملاً سياسياً كتحويل الخلافة الى أنفسهم فهذا
كل ما نعلمه في اعتذار المعتذرين والله أعلم بالسرائر . أما الفوائد التي تكون من حج
الامراء والسلاطين لانفسهم وللمسلمين فهي كبيرة جداً فان الاجتماع في تلك البقاع
المقدسة هو خير سبيل في تعارفهم وتحالفهم على ما فيه مصلحة الملة والامة مع بقاء
كل منهم في امارته او سلطته . ونعيد ما قلناه في المنار من خمس سنين وهو انه لو كان
لعواهل أوروبا وقياصرتهم وملوكهم مثل هذا المجتمع العظيم لما تركوا الاختلاف اليه
(اختلاف الشريعة باختلاف الزمان والمكان)

(س ٣) م . ر . ب . مدرسة الحقوق بمصر : يقول أرباب الشرائع والفوائين إنه يجب
في تحقيق عدالتها أن تكون موافقة لاخلاق الامم وعاداتهم وطبائعهم ودرجة تربيتهم
واقاليمهم واحوالهم المعاشية والاقتصادية . فاذا كان الامر كذلك فلم نشاهد سوى
قانون واحد لدى الامم الاسلامية (الشريعة الغراء) مع أنه يوجد اختلاف عظيم بين
تلك البلاد في العادات والاخلاق والاقايم ؟

(ج) ان علماء الحقوق والقوانين الوضعية انما يضعون قوانينهم لاهل السياسة
وهم انما يهمهم من رعاياهم جباية الاموال والأمن من الخروج عليهم لاسيما اذا كانوا
من غير جنسهم وما يساعد على ذلك من منع التعدي . فوضع القانون يحترم عادات
كل قوم وان كانت ضارة كالسكر والزنا ويخص أحكامه بحفظ النظام فيها . منع التعدي .
واما الشريعة الالهية فاصلاح الاخلاق والعادات فيها . مقصود بذاته واساس هذه الشريعة
درء المفسد وحفظ المصالح سواء كان ذلك في الافراد أو الجماعات وما بينهم من الروابط
والصلات . وقد وضع الاسلام على هذا الاساس اصولاً عامة للاحكام لا تختلف باختلاف
الزمان والمكان كالمساواة في الحقوق وإقامة القسط . ولو على أنفسكم أو والوالدين
والأقربين . . . وكون ردة المفسد مقدماً على جلب المصالح . وارتكاب أخف

الضريين . وجعل البيئة على المدعي وهي كل ما يتبين به الحق . وجعل الحاكم مستقلاً مجتهداً يستنبط الاحكام مع فرض الاستشارة عليه . الى غير ذلك من الاصول العادلة وبعد هذا كله جعلت العرف محكماً كوضع الشرع ليراعى فيما يختلف من أحوال البلاد والعباد التي لا تحل بمقاصد الشريعة والدين في التهذيب وتقريب الشعوب بعضها من بعض لتكون الأمم كلها أمة واحدة

لهذا الذي أجملناه لم تلزم الشريعة الاسلامية اتباعها بالتزام جزئيات الاحكام التي صدرت في عهد التشريع كما هي بدون مراعاة أساس درء المفسد وحفظ المصالح وقد تقدمت الادلة على هذا في مقالات « محاورات المصلح والمقلد » فأبراجعها السائل في أواخر المجلد الثالث وأوائل الرابع من النار ومنها يعلم ان هذا الوضع من أسباب جعل الشريعة خاتمة الشرائع ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين كما بيناه مراراً بالتوضيح (طهارة السيرتو او الكحول)

(س ٤) علي اقندي حسني بكمر ك السويس : قد الجأت حالة الوقت الى (السيرتو) في إزالة ما على الملابس والطرايش من الوسخ والدهن وقد تردد الناس في طهارته ونجاسته للشك في أصابه فان كان نجساً فهل تطهر الطرايش المنظفة به بحرارة النار عند كها أو بكونه سريع الطيران كما يقال ؟

(ج) قد أثبتنا من قبل طهارة الكحول بأنواعه في النار بالادلة بل هو أقوى المطهرات على انه سريع الطيران ولو لم يعرض الثوب على حرارة النار . والقول بنجاسته ونجاسته تشديد مبني على فاسفة غير صحيحة [راجع ص ٥٠٠ م ٤]



الاجتماع السابع لجمعية أم القرى

(في مكة المكرمة يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦)
في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية وقرئ الضبط السابق حسب القاعدة المرعية قال (الاستاذ الرئيس) مخاطباً السيد القرآني ان الجمعية تنتظر منك فوق همتك في عقدتها وقيامك بمهمتها التحريرية ان تفيدها ايضاً رأيك الذاتي في سبب الفتور المبحوث فيه وذلك بعد ان تقررها بمجل الآراء التي اوردتها الاخوان الكرام اذ احطت بها علماء مكرراً بالسمع والكتابة والقراءة والمراجعة فأنت اجمعنا

لهافكراً . هذا والجمعية ترجو الفاضل الشامي والبلغ الاسكندري ان يشتركا في ضبط خطابك بأن يتعاقبا في تاتي الجمل الكلامية وكتابتها لانهما كباقى الاخوان لا يعرفان طريقة الاختصار الخطي المستعمل فى مثل هذا المقام
نظر (الفاضل الشامي) الى رقيقه واستلمح منه القول ثم قال اننا مستعدان للتشرف بهذه الخدمة

قال (السيد الفراتي) حياً وطاعة وان كنت قصير الطول ، قليل القول ، قليل البضاعة . ثم انحرف عن المكتبة فقام مقامه عليها الفاضل الشامي والبلغ الاسكندري وما لبث ان شرع فى كلامه فقال : يستفاد من مذاكرات جمعيتنا المباركة ان هذا الفتور المبحوث فيه ناشئ عن مجموع اسباب كثيرة مشتركة فيه لا عن سبب واحد أو أسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة . وهذه الاسباب منها أصول ومنها فروع لها حكم الاصول وكلها ترجع الى ثلاثة أنواع وهي اسباب دينية واسباب سياسية واسباب اخلاقية . واني أقرأ عليكم خلاصتها من جدول الفهرست الذي استخرجته من مباحث الجمعية رامزاً للأصول منها بحرف (الالف) وللفروع منها بحرف (الفاء) . وهي

(النوع الاول الاسباب الدينية)

- (١) تأثير عقيدة الجبر في أفكار الامة (١) (٢) تأثير المزهديات في السعي والعمل
- وزينة الحياة (ف) (٣) تأثير فتن الجدل في عقائد الدين (١) (٤) الاسترسال في التخالف
- والتفرق في الدين (١) (٥) الذهول عن سماحة الدين وسهولة الدين به (١) (٦) تشديد
- الفقهاء المتأخرين في الدين خلافاً للسلف (١) (٧) تشويش افكار الامة بكثرة تخالف
- الآراء في فروع احكام الدين (ف) (٨) فقد امكان مطابقة القوة للعمل في الدين
- بسبب التخليط والتشديد (ف) (٩) ادخال العلماء المدلسين على الدين مقتبسات
- كتابية وخرافات وبدعا مضرة (١) (١٠) تهوين غلاة الصوفية الدين وجعلهم اياه
- لهواً ولعباً (ف) (١١) افساد الدين بتفنن المداحين بمزيدات ومتروكات وتأويلات
- (ف) (١٢) ادخال المدلسين والمقاربة على العامة كثيراً من الاوهام (١) (١٣) خلع
- المتجمين والرمالين والسحرة والمشعوذين قلوب المسلمين بالرهبات (ف) (١٤) ايهام
- الدجالين والمداحين ان في الدين اموراً سرية وان العلم حجاب (١) (١٥) اعتقاد
- منفعة العلوم الحكمية والعقاية للدين (١) (١٦) تطرق الشرك الصريح أو الخفي
- الى عقائد العامة (ف) (١٧) تهاون العلماء العاملين في تأييد التوحيد (ف) (١٨)

الاستسلام للتقليد وترك التبصر والاستهداء (ف) (١٩) التعصب للمذاهب والآراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلك السلف (ف) (٢٠) الغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة وجمعية الحج (أ) (٢١) العناد على نبذ الحرية الدينية جهلاً بمنزيتها (ف) (٢٢) التزام ما لا يلزم لأجل الاستهداء بالكتاب والسنة (ف) (٢٣) تكليف المسلم نفسه ما لا يكلفه به الله وتهاونه فيما هو مأمور به • (ف)

(النوع الثاني الأسباب السياسية)

(٢٤) السياسية المطلقة من السيطرة والمساواة (أ) (٢٥) تفرق الأمة الى عصبيات وأحزاب سياسية (ف) (٢٦) حرمان الأمة من حرية القول والعمل وفقدانها الأمن والأمل • (ف) (٢٧) فقد العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الأمة (ف) (٢٨) ميل الأمراء طبعاً للعلماء المدلسين وجهالة المتصوفين (ف) (٢٩) حرمان العلماء العاملين وطلاب العلم من الرزق والتكريم (أ) (٣٠) اعتبار العلم عطية يحسن بها الأمراء على الأخصاء وتفويض خدم الدين للجهلاء (أ) (٣١) قاب موضوع اخذ الأموال من الأغنياء واعطائها للفقراء (أ) (٣٢) تكليف الأمراء القضاء والمفتين أموراً تهدم دينهم (ف) (٣٣) إبعاد الأمراء النبلاء والاحرار وتقريبهم لمتماقين والاشرار (أ) (٣٤) مراغمة الأمراء السراة والهداة والتكيل بهم (ف) (٣٥) فقد قوة الرأي العام بالحجر والتفريق (ف) (٣٦) حماقة أكثر الأمراء وتمسكهم بالسياسيات الخرقاء (ف) (٣٧) إصرار أكثر الأمراء على الاستبداد عناداً واستكباراً (ف) (٣٨) انغماس الأمراء في الترف ودواعي الشهوات وبعدهم عن المفارقة بنسب الفخفة والمال (ف) (٣٩) حصر الاهتمام السياسي بالحياة والجندية فقط (أ)

النوع الثالث الأسباب الأخلاقية

(٤٠) الاستغراق في الجهل والارتياح اليه (أ) (٤١) استيلاء اليأس من التحقيق بالفائزين في الدين والدنيا (ف) (٤٢) الإخلاق الى انحسار ترويحاً لنفس (ف) (٤٣) فقد التنصح وترك البغض في الله (أ) (٤٤) انحلال روابط الدينية لاحتسابية (أ) (٤٥) فساد التعاليم والوعظ والخطبة والارشاد (ف) (٤٦) فقد التربية الدينية والأخلاقية (أ) (٤٧) فقد قوة الجمعيات وثمره دواء قيامها (أ) (٤٨) فقد اتقوة المالية لاشتراكية بسبب التهاون في الزكوة (أ) (٤٩) ترك الأعمال بسبب ضعف الآمال (ف) (٥٠) إهمال طالب الحقوق العنة جبناً وخوفاً من اتخاذ (ف)

(٥١) غلبة التخلق بالتملق تزلفاً وصغاراً (ف) (٥٢) تفضيل الارتزاق بالجندية والخدم الأميرية على الصنائع (٥٣) توهم ان علم الدين قائم في العثمانيين وفي كل ماسطر في كتاب (ف) (٥٤) معاداة العلوم العالية ارتياعاً للجهالة والسفالة (١) (٥٥) التباعد عن المكاشفات والمفاوضات في الشؤون العامة (١) (٥٦) الذهول عن تطرق الشرك وشؤمه (١)

ثم قال (السيد الفراتي) هذه هي خلاصات اسباب الفتور التي اوردها اخوان الجمعية وليس فيها مكررات كما يظن • وإذ كان للخلل الموجود في اصول ادارة الحكومات الاسلامية دخل مهم في توليد الفتور العام فاني اضيف الى الاسباب التي سبق البحث فيها من قبل الاخوان الكرام الاسباب الآتية اعددها من قيل رؤس مسائل فقط إذ لو اردت تفصيلها وتشرحها لطلال الامر ولخرجنا عن صدد محفلنا هذا والاسباب التي سأذكرها هي اصول موارد الخلل في السياسة والادارة الجاريتين في المملكة العثمانية التي هي أعظم دولة بهم شأنها عامة المسلمين • وقد جاءها أكثر هذا الخلل في الستين سنة الأخيرة أي بعد أن اندفعت لتنظيم امورها فعطلت اصولها القديمة ولم تحسن التقليد ولا الابداع فتشتت حالها ولا سيما في العشرين سنة الأخيرة التي ضاع فيها ثلثا المملكة وخرب ثلث الباقي واشرف على الضياع لفقد الرجال وصرف السلطان قوة ساططته كلها في سبيل حفظ ذاته الشريفة وسبيل الاصرار على سياسة الافراد واما سائر الممالك والامارات الاسلامية فلا تخلو أيضاً من بعض هذه الاصول كما ان فيها أحوالاً أخرى اضرّ وامرّ يطول بيانها واستقصاؤها والاسباب المراد الحاقها ما يخصه • هي •

﴿ الاسباب السياسية والادارية العثمانيتين ﴾

(٥٧) توحيد قوانين الادارة والمقوبات مع اختلاف طبائع اطراف المملكة واختلاف الاهالي في الاجناس والمادات (*) (١) (٥٨) تنويع القوانين الحقوقية وتشويش القضاء في الاحوال المتماثلة (١) (٥٩) التمسك بأصول الادارة المركزية مع بعد الاطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الادارة في المركز على أحوال تلك الاطراف

(*) من أهم الضروريات ان يحصل كل قوم من أهالي تركيا على استقلال نوعي اداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم كما هي الحالة في امارات المانيا وولايات أمريكا الشمالية وكما بفعله الانكليز في مستعمراتهم والروس في املاكهم ومن هامش الاصل

المتابعة وخصائص سكانها (ف) (٦٠) التزام أصول عدم توجيه المسئولية على رؤساء الادارة والولاية عن أعمالهم مطلقاً (*) (ف) (٦١) تشويش الادارة بعدم الالتفات لتوحيد الاخلاق والمسالك في الوزراء والولاية والقواد مع اضطرار الدولة لاتخاذهم من جميع الأجناس والاقوام الموجودين في المملكة بقصد استرضاء الكل (ف) (٦٢) التزام المخالفة الجنسية في استخدام العمال بقصد تعسر التفاهم بين العمال والاهالي وتمذر الامتزاج بينهم لتأمن الادارة غائلة الاتفاق عليها (ف) (٦٣) التزام تفويض الامارات المختصة عادة ببعض البيوت كإمارة مكة وامارات العشائر الضخمة في الحجاز والعراق والفرات لمن لا يحسن ادارتها لاجل ان يكون الامير منفوراً منه بمن ولي عليهم مكروهاً عندهم فلا يتفقون معه ضد الدولة (ا) (٦٤) التزام تولية بعض المناصب المختصة ببعض الاصناف كالشيخ الاسلامية والسر عسكرية لمن يكون منفوراً منه في صنفه العلماء أو الجند لاجل أن لا يتفق الرئيس والمرؤس على أمرهم (*) (ف) (٦٥) التمييز الفاحش بين اجناس الرعية في الغنم والغرم (*) (٦٦) التساهل في انتخاب العمال والمأمورين والإكثار منهم بغير لزوم وانما يقصده اعادة العشيرة والمحاسب والمتماقين للمالحين • (٦٧) التسامح في الذكافة والمجازاة لها وما بشئون الادارة حسنت أم ساءت كأن ليس لاهالك صاحب (٦٨) عدم الالتفات لرعاية الشؤون الدينية كوضع نظمات مصادمة للشرع بدون لزوم سياسي مهم أو مع اللزوم ولكن بدون اعتناء بتفهم الامة والاعتذار لها جالباً للقناعة والرضاء • (٢) (٦٩) تضييع حرمة الشرع وقوة القوايين بالترام عدم

(*) ولذلك كانت الحالة في الدولة قبل التنظيمات الخيرية خيراً منها بعدما حيث كان العمال مسؤولين لدى حضرة السلطان ثم أطلق سراحهم في عهدنا من كل مسؤولية الا في الافعال بل الاقوال بل الخواطر التي تتعلق بحقوق الساطنة من هاشم الاصل (*) هكذا تكون احتياطات الحكومات العاجزة (*) كهضم الدولة العثمانية حقوق العرب في المناصب والارتزاق من بيت المال هضم الانسبة فيه لأنها مميزة عليهم حال كونهم ثائي رعيها كلها من الجركس وابيشناق ولا كرا دون لا رناؤط والروم والارمن والخروات والبلغار والعربكبر وكاستثناء اهل العاصمة والحجاز وغيرهم حتى بعض البيوت من الخدمة العسكرية واتكاثيف الشرعية والعرفية • وكاستثناء غير المسلمين من الخدمة العسكرية لمجرد كونهم لا يتحملون حاة الضنك التي عليها جيشها (٣) كاستخدام ايوود قابضي مال أي أمراء صناديق وقابضي اعشار السواثم وفي ذلك عدم

اتباعها وتنفيذها والإصرار على ان تكون الادارة نظامية اسما ارادية فعلا • (١)
 (٧٠) التهاون في مجاراة عادات الاهالي وأخلاقهم ومصالحهم استجلاباً لمحبتهم القلبية
 فوق طاعتهم الظاهرية • (٧١) الغفلة او التغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الحيران
 وترقية السكان بسبب عدم الأهتمام بالمستقبل (٧٢) الضغط على الأفكار المتنبهة بقصد
 منع نموها وسوءها واطلاعها على مجاري الأدارة محاسنها ومعاييها وان كان الضغط
 على النمو الطبيعي عبثاً محضاً ويتأتى منه الإغراء والتحفز وينتج عنه الحقد على الادارة
 (٧٣) تمييز الاسافل أصلاً وأخلاقاً وعالماً وتحكيمهم في الرقاب الحرية وتسليطهم
 على أصحاب المزايا وهذا التهاون بشأن ذوي الشئون يستلزم تسفل الادارة • (٧٤) ادارة
 بيت المال ادارة اطلاق بدون مراقبة وجزاف بدون موازنة واسراف بدون عتاب
 واتلاف بدون حساب حتى صارت المملكة مديونة للاجانب بديون ثقيلة توفي بلاداً
 ورقاباً ودماءً وحقوقاً • (٧٥) ادارة المصالح المهمة السياسية والملكية بدون استشارة
 الرعية ولا قبول مناقشة فيها وان كانت ادارة مشهودة المضرة في كل حركة وسكون •
 (٧٦) ادارة الملك ادارة مداراة واسكات للمطالعين على معاييها حذراً من أن
 ينفضوا ما في الصدور فتعلم العامة حقائق الامور والعامة من اذا علموا قالوا واذا قالوا
 فعلوا وهناك الطامة الكبرى • (٧٧) ادارة السياسة الخارجية بالتزلف والإرضاء والمحابة
 بالحقوق والرشوة والامتيازات والنقود تبذل الادارة ذلك للجيران بمقابلة تعاميمهم
 عن المشاهد المؤلمة التخريبية وصبرهم على الروائح المنتنة الادارية • ولولا تلك المشاهد
 والروائح لما وجد الحيران وسيلة للضغط مع ما ألقاه الله بينهم من العداوة والبغضاء
 الى يوم القيامة •

ثم قال (السيد المرتضى) ان بعض هذه الاسباب التي ذكرتها هي أمراض قديمة
 ملازمة لإدارة الحكومة العثمانية منذ نشأتها أو منذ قرون وبعضها أعراض وقتية
 تزول بزوال محدثها وربما كان يمكن الصبر عليها لولا ان الخطر قرب والعياذ بالله من
 القاب كما أشار اليه الاستاذ لرئيس في خطابه الأول (٢)

رعية امذاهب اني تستوجب ان لا اسقط اركة عن الدافعين وكاستخدام قضاة بالرسوم أو
 بروتب جزئية جداً • (١) تعجيل بعض احكام النزع كاف لخرق حرمة • وأما لاحكام
 النظامية مع كبرتها ايامه عشرات لوف قضاي لم يتفق الى الآن اجراء شئ منها الا
 بعض ميتعاقق بساب الاموال (٢) أشار حضرة الرئيس وهو الاستاذ المكي في خطابه

ثم قال ويلتحق هذه الاسباب بعض اسباب شتى افصلها بعد تعدادها الحاقاً بالخلاصات . وهي

﴿ أسباب شتى ﴾

(٧٨) عدم تطابق الاخلاق بين الرعية والرعاة (٧٩) الغرارة أي الغفلة عن ترتيب شئون الحياة (٨٠) الغرارة عن لزوم توزيع الاعمال والاوقات (٨١) الغرارة عن الإذعان للاتقان (٧٢) الغرارة عن موازنة القوة والاستعداد (٨٣) ترك الاعتناء بتعليم النساء (٨٤) عدم الالتفات للكفاءة في الزوجات (٨٥) الخور في الطبيعة أي سقوط الهمة (٨٦) الاعتزال في الحياة والتواكل

أما عدم التطابق في الاخلاق بين الرعاة والرعية فله شأن عظيم كما يظهر للمتأمل المدقق في تواريخ الأمم من أن أعظم الملوك الموفقين والقواد الفاضحين كالاسكندرين وعمر وصالح الدين (رضى الله عنهما) وجنكيز والفتح وشر لكان الألماني وبطرس الكبير وبونابرت لم يفوزوا في تلك العظام الا بالعزائم الصادقة مع مصادقة تطابقهم مع رعاياهم وجيوشهم في الاخلاق والمشارب تضاباً تاماً بحيث كانوا رؤساً حقاً لتلك الاجسام لا كراس جمل على جسم ثور أو بالعكس . وهذا التطابق وحده يجعل الأمة تعتبر رؤسها رؤساً فتتغنى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها حيث لا يكون له في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المتى

أما الناس بالملوك وهل يحتاج عرب ملوكهم عجم

ومما لاخلاف فيه ان من أهم حكمة الحكومات أن تتحلى بأخلاق الرعية وتتخذ معها في عوائدها ومشاربها ولو في "موثد غير مستحسنة في دتها . ولا أقل من أن تجاري الحكومة الاجنبية اخلاق اريعية ولو تكلماً وقتياً إلى أن تتوفق لأجتنابهم

الاول للاحالة السيئة في الحجاز من فقد الأمن في بلاد الله الامين . و لجور المضييع الذي يقع على أهل الحرمين وزوارها من تسرع الساعات ثلاث لأمارة ولولاية والعسكرية وغير ذلك من الاحوال التي لاتعاق وصر يشكى منها عامة الخجاج لأسباب الداهين تحت سيطرة الاجانب وهو "سود" الأعصم من المسلمين ولا غرو ان هذه تحت استدعيتهم لان يدعوا حكوماتهم للمداخلة في شئون ادارة حيدر لأجل حصولهم على الأمن والراحة وحيث لا قدر الله يتمنى العرب دون حمض بيضة "لاسلام" كما تهنوا قبلاً وحدهم في دفع الصايبيين عن مسجد لأقصي . اهن هاشم لأصل

الى اغتها فاخلقها فجنسيتها كما فعل الامويون والعباسيون والموحدون وكما تهتم به الدول المستعمرة الافرنجية في هذا العهد وكما فعل جميع الاعاجم الذين قامت لهم دول في الاسلامية كال بويه والسلجوقيين والايوبيين والغوريين والامراء الجراكسة وآل محمد علي فانهم ما لبثوا أن استعربوا ونحلقوا باخلاق العرب وامتزجوا بهم وصاروا جزءا منهم وكذلك المغول التتار صاروا فرساً وهنوداً فلم يشذ في هذا الباب غير المغول الاتراك أي العثمانيين فانهم بالعكس يفتخرون بمحافظتهم على غيرة رعاياهم فلم يسعوا باستراكمهم كما انهم لم يقبلوا أن يستعربوا والمتأخرون منهم قبلوا أن يتفرسوا أو يتأمنوا . ولا يعقل لذلك سبب غير شديد بغضهم للعرب كما يستدل عليه من أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الامثال في حق العرب

ذلك كاطلاقهم على عرب الحجاز (ديانجي عرب) أي العرب الشحاذين واطلاقهم على المصريين (كور قلاح) بمعنى الفلاحين الاجلاف و(عرب جنكنه سي) أي نور العرب و(قبطي عرب) أي النور المصريين . وقولهم عن عرب سوريا (نه شامك شكرى ونه عربك يوزى) أي (دع الشام وسكرياتها ولا تر وجوه العرب) وتعييرهم بلفظة (عرب) عن الرقيق وعن كل حيوان أسود وقولهم (بيس عرب) أي عرب قدر و(عرب عقلي) أي عقل عربي أي صغير و(عرب طييتي) أي ذوق عربي أي فاسد و(عرب چكه سي) أي خنك عربي أي كثير الهزر وقولهم (بوني بيارسه م عرب اوله يم) أي ان فعلت هذا أكون من العرب وقولهم (زده عرب رده طنوره) أي أين العرب من الطيور .

هذا والعرب لا يقابلونهم على كل ذلك سوى بكلمتين الأولى هي قول العرب فيهم (ثلاث خاقن للجور والفساد اقمم والترك والجراد) والكلمة الثانية تسميتهم بالاروام كناية عن الريبة في اسلامهم وسبب الريبة ان الاتراك لم يخدموا الاسلام بغير اقامة بعض جوامع لولا حظ نفوس ملوكهم بذكر أسماهم على منابرهم لم تقم . وانهم أتوا الاسلام بالطاعة العمياء للكبراء وبخشية الفلك أبي المصائب وباحترام مواقد النيران (أوجاقات) فزادوا بذلك بلاد في طين الخرافات

ثم قال (السيد الفراتي) أرجو المعذرة من المولى الرومي لانه يعلم اني ما أفرطت ولولا الضرورة الدينية التي يعلمها ما صرحت والناصح الغيور من يبكيك لا من يضحكك . قال (الاستاذ الرئيس) ان أخانا السيد الفراتي خطيب قوال وفارس جوال والابحاث التي أشار إليها ذيل طوال واليوم قد قرب وقت الزوال فوعدنا غدا ان شاء المولى المتعال

كتاب التربية والتعليم

السّرة التاسعة منه جريدة الدكتور راسم^(١)

﴿ تعليم الاطفال اليونانية واللاتينية واقرائهم كتبهما ﴾

تناظرت مع هيلانة غير مرة في ضرورة تعليم « اميل » تينك اللغتين وإقراءته ما ألف فيهما من الكتب واست ذاكر لك من هذه المناظرات الا ما خصها فأقول :
الواجب أن يربي كل طفل تربية من ينبغي ان يكون من كبار الرجال فذلك هو الوسيلة التي يفضل بها عامة الناس ويمتاز عنهم في مستقبله ولهذا كان حقاً على المربي ان يعرف طبيعه ويبحث في ضروب ميله ويخبر أنواع استعداده العقلي . ولما كان الفضل والامتياز يحصلان في هذه الدنيا بكيفيات مختلفة وينالان بطرق شتى كان أول فرض عليه ان يبحث في هذه الطرق عما يلائم طبيعه ويناسب استعداده

فالذي أعياه في طريقة المربين عندها هو إغفال ما للناشئين من القوى وضروب الاستعداد الذاتية وعدم اعتبارها في شيء من التربية . ذلك أنك ترى بعض الناشئين مثلاً قد ولد رحالة ليضرب في الارض ويحجوب آفاقها وأخص حاجة له فيها خلق لأجله هي معرفة اللغات الحية ليتفاهم بها مع الأجانب في بلادهم فيبدأ المربون بتعليمه لغتين مهماتين انقطع التخاطب بهما من على وجه الأرض . وترى آخر خلق ميالاً الى معرفة علم القوى المحركة وقوانين التوازن (الميكانيكا) يلقون به في بحر من الكتب ما له من قرار . وتجد ثالثاً أعد للتجارة ورابعاً سخر للزراعة لا يراعى ما اكل منهما من الميل الى ما أعد له بل يتبع في حقهما ما قضت به العادة وجرى عليه العرف وهو انه لا بد لمن يريد الاشتهار بالعلم في هذه الدنيا من سجنه في المدرسة ثمان سنين . كم رأينا من متعلمي اللاتينية واليونانية من يقضى عليهم بأن لا يستعلموه في حياتهم لأنهم متى خرجوا من المدارس واشتغلوا بمصالحهم قلّ وايمّ الحق ان ينحصر ببالهم تصفح كتاب فرجيل (١) أو ديوان عمير (٢) والنظر في صحفهم البالية التي قضوا في مطالعتها كثيراً من ساعات النصب والسآمة واست أقصد بقولي هذا تجريد أي معرفة من

(١) معرب من باب تربية اتياقع من كتاب 'ميل التمرن التاسع عشر

معارف العقل كائنة ما كانت من الفائدة مطلقاً ولكن لا حرج علي ان ارتبت في ان ما ينحصره كثير من التلامذة من زمهم في تعلم تلك الكتب لا يساويه ما يعود عليهم من الفوائد بتعلمهما

أنا اعلم كل ما للمتصبر لهما من وجوه الاحتجاج على ضرورة تعاليمهما فله ان يقول ان معرفتهما حاسة سادسة لنا ندرك بواسطتها دقائق آداب لغتنا وانه لا يسع احد من الناس انكار ما كان لمطالعة الكتب القديمة المؤلفة بهما من التأثير المبارك في عقول الناشئين الذين تغذوا ببيان معارف الاقدمين حق التغذية وان مطالعة هذه الكتب تخلصنا من شواغل وقتنا المادية وتعارض عصرنا الذي تساوت فيه الناس وانتمحت درجات انتفاضل بينهم واشتعل اهلها بالحقائق الثابتة دون غيرها كعصور الابطال وما بها وافاد من محترعات الخيال وتستمر مواضع الضعف فينا بحجاب الجمال الظاهر بدون ان تعير من طبيعتنا شيئاً. ثم ان بعد اهل تلك العصور عناومبايتهم لنا في الاخلاق والعوائد مما يساعدنا ايضاً على ان نبصر من خلال كتبهم الشعرية صياء منتهى الكمال المطلوب وفوق ذلك فان هذه الكتب حافلة بالاناشيد الوطنية التي كان من آثارها ما تراه في عهد الجمهورية الجميل من احتقار الملوك وجر ذيل الخيلاء عليهم فلقد كفت نفحة هبت من رومة او من أثينا في إثارة بغض السلطان المطلق بقلوبنا في القرن الثامن عشر فان حكماء هذا القرن وزعماء الفتنة الفرنسية فيه قد استمدوا مما دعوه من الكتب المدرسية اصاح الصور لا يقاط العقول وبث روح الحياة السياسية في النفوس وكان لحيالات الغابرين في ذلك الجهاد الذي قام في سبيل الحق من البلاء ما كان الاحياء انفسهم فلا تقل لابي عراقوس (٣) وروتوس (٤) وقانون اوتيقا انهم قد ماوا بل هم احياء يعينوننا على كفاحنا ويماضدوننا في جهادنا ويسمعوننا من اصواتهم ويشهدوننا من اساهم ما يقوي عزيمتنا على السعي وراء الحرية التي هي غاية النفوس الالوية لا انازع في ان معرفة اليونانية واللاتينية قد تكون من الرياضات النفسية المفيدة

(١) فرجيل هو شاعر لابي شهر ولد سنة ٧٠ ومات سنة ١٩ قبل المسيح

(٢) عمير هو اشعر شعراء اليونان الاقدمين لا يعلم مكان ولادته ولا تاريخها .

كذلك كتب العرب والمعربون السوربونه يعربون « هو.ير » ويكتب بالقلم الافرنجي هكذا

Homere « ٣ » عراقوس حاكم روماني اشتهر في اسبانيا ورزق بولدين سميا

« قيس » وكان من فصاة الشعب « ٤ » بروتوس أحد قتلة القيصر الروماني

ولكني أقول إن لرياضة النفس وتربية العقل طرقاً شتى وإن من الظلم الفاحش قصر معنى التعليم على فرع واحد من العلوم فقد يكون الانسان عالماً يشار اليه بالبنان وخطيباً باهر البيان وسياسياً حصيف الجنان (وفي أمريكا ما يشهد اصحة ذلك) وهو لم يقرأ في حياته كتب أرسطو « ١ » ولا ديموستين « ٢ » ولا شيشيرون « ٣ » باللغة التي ألقت بها . ذلك ان مراقبته بنفسه الامور ومعاملته للناس واختلاطه بهم ودراسته لآداب لغته واستعداده الفطري كثيراً ما تغنيه عن الزخارف المدرسية فرائي هو ان الاحوال التي تحتفُّ بالطفل وما يكون فيه من القوى والملكات الذاتية هي الواجب التعويل عليها في تحديد الطريقة التي ينبغي سلوكها في تربيته فان طرق التعليم انما أوجدت للاحداث ولم توجد الاحداث لها

لما أعظم حق العلم ضرور استعداد « اميل » ولا حالة عقوله حتى أحكم على اليق أنواع التعليم به وأشدّها ملائمة لطبيعته والذي أتمناه له هو ان لا يكون بعيداً عن العلوم ولا عن آداب اللغة ولست أرى من وجوه الاعتراض على الجمع بين هذين النوعين من المعارف سوى ما يقتضيه تعلم اليونانية واللاتينية من الزمن فان اتفق سبع سنين أو ثمان من العمر في تحصيل لغتين مهمتين تحصيلاً في غاية التقص غالباً هو اسراف كبير في عصر لا يحصل الانسان فيه متوسط المعارف الضرورية إلا بانفاق معظم حياته واني باحث الآن فيما اذا كانت اضاءة ذلك الزمن الطويل في تحصيلها لازمة لطبيعة الصعوبات التي يصادفها المتعلم فيه أو انها ليست من لوازمها وان من اليسور التغير فيها والتقليل منها

أول سبب فيما أرى لطول مدة تعلم هاتين اللغتين هو إفراط المعلمين في تعجيل تعليمهما الأطفال لانهم يبدأونهم به قبل ان يكونوا تعلموا أو رقبوا شيئاً بأنفسهم فتراهم لجهاشهم كيفية صوغ الالفاظ وتركيب الاساليب التي هي قوالب المعاني لا يكادون يتممون باغتهم نفسها مضبوطة ولحسبهم بين جدران المدرسة من نعومة أظفارهم اعتدوا اعتبارها سبباً تتعاقب عليه الاحياء الناشئة تكفيراً لسيئة جهل آبائهم الاواين فهم

واما قانون اتيقافهم وحفيد قانون القديم وهو ضابط روماني شهير كان من حزب بومباي وبعد ان شهد معه واقعة فرسالا اطلق الى أفريقيا وقتل نفسه « ١٠ » أرسطو حكيم يوناني مشهور « ٢ » ديموستين أشهر خطيب يوناني أثار مقدونيا على فليبوس وأب أثينا على الاسكندر « ٣ » شيشرون أشهر خطيب روماني

لا يعرفون شيئاً من الكون وقد حالت المدرسة بينهم وبين المحابة البيتية والجواذب الالهية وهي التي كانت تحب العمل اليهم وتشعر قلوبهم قدرة فأصبحوا لا تصلهم حرارتها الا من بعيد جداً ففي أول عمل لهم يمرنون به قواهم الناشئة تفاجئهم الفاظ وحشية وصيغ نحوية وتراكيب مجهولة فيتصيدون اتفاقاً بأيديهم العسراء من محارهم الكدراء ضروباً من مخالفة القياس وأنواعاً من ضعف التأليف تجري بها اقلامهم ، ولا تدركها افهامهم ، فترخصي لهم من حيارى ذاهلين لا ينفعهم تعاقب التمارين ولا تتابع الامثال فليس تكرار الاغلاط والخطئات الواحدة في تعلم لغة مجهولة هو الوسيلة إلى اصلاحها

انا أحب ان يرى ولدي قبل تعلم اللاتينية شيئاً من العالم وان ينفتح ذهنه باحتكاكه بالصناعة ودراسته تاريخ الموجودات فان كل واقعة روقت تولد في نفس مراقبها لذة وتتمي فيه الحاجة الى المعرفة فاذا حصل له بكسبه بعض معان بينة صار بهذه الوسيلة أحسن استعداداً لفهم ما يتلقاه عن غيره من المعاني ولو ظهرت في صيغ مبهمه من الالفاظ ثم ان من اسباب طول المدة التي تقضى في تعلم اليونانية واللاتينية على ما أرى ان المربين يعلمونهما الاطفال قبل ان يطلعوهم على شيء من احوال الرومان واليونان والانسان لا يحسن تعلم لغة قوم الا في بلادهم ومن أجل ذلك سأهتم عند تعليمهما «أميل» بان اجعل له من آثار اياهما بلاداً يتعلمهما فيها. وفي هذا المقام تظهر فائدة انشاء معاهد التعليم التي من قبيل القصر البلوري نعم اني على يقين من ان مشاهدة ما يكون في مثل هذه المعاهد من التمايل والصور ومثل المعابد والمباني الالترية العامة لا تعين التلميذ على فهم شعر عمير وفرجيل ولكن اليونانية واللاتينية اذا اقترن تعليمهما بتعليم تاريخ قوميتهما وما يشهد لهم من دلائل التقدم القديم لا تبقيان لغتين مندرجتين اندثاراً تاماً كما لو علمتا مجردتين

ذلك ان لفنون الرسم من التأثير في نفوس الناشئين ما هو فوق المظنون بها كثيراً بسبب اجالها العقل في آثار الغابرين وسياحتها بالنفس في اعمال الماضين ولان سن الإيفاع هو السن الذي يسهل فيه اندماج اليافع في شخص غيره لسبب سهل الادراك وهو ان معنى الاستقلال الذاتي لا يظهر الا قليلاً في هذا الطور من الحياة فبكثرة هذا النوع من المعيشة مع اليونان والرومان فيما بقي من آثارهم ينتهي التلميذ بان يهتم باخلاقهم وعاداتهم وشؤونهم قبل ان يعرف لغتهم فتتبع بعقله الاسطولوج اللاتيني

في سلامين « ١ » ويشهد خلف بومباي « ٢ » واقعة فرسالا . ولا يسبقن الى خاطرك ان هذا لوجود الفكري فيما غير من الزمن ليس هو الا وهما محضاً فانه لاشيء مما كان في الماضي قد مات موتاً تاماً

لم نجد طريقتنا في تعليم اللغتين اللتين نحن بصدد الكلام عنهما نفعاً فانها لا تزال عليها مسحة من تعليم القرون الوسطى وهي التي طبعها عليها القسيسون والرهبان اذ لا تزال العقبات تقوم في سبيل دراسة آثار الاقدمين دراسة صادقة واولها ما للدين المسيحي من الاوهام والوساوس في آلهتهم التي تراءى على قهرها اياها لا يزال يعتقد انها مضرّة حتى في انهزامها امامه فان رجال هذا الدين مع استئثارهم على توالي القرون باللاغات القديمة واحتكارهم معرفتها كانوا يُعَنُّون في تعليمهم بازهاق ذلك الروح الذي ألهم الصناعات ما ظهر على أيديهم من تحف الصنائع وطرفها وكانت فنون الوثنيين وآداب لغاتهم من الغنائم التي اهتم أولئك الرجال بحفظها غير انهم كانوا يحترسون كل الاحتراس من اظهار آخر ما اكتشفوه من أسرارها للأحداث وكان من مصاحبتهم ان لا يزيلوا عن تلك الأسرار الا طرقاتاً من حجابها لانه كان لا بد لما يبيع الحلف من آثار السلف ان يردهم يوماً ما الى عبادة الطبيعة وجمالها ومن أجل ذلك كان رؤساء الدين لا يفتأون يذكرون الناشئين بأن آلهة الوثنيين آلهة باطلة لا أصل لها الا الكبرياء والكذب وانه لا ينبغي النظر اليها الا من بعيد مع الاسترشاد في ذلك بهدي الدين المسيحي أنا لا أحترس كل هذا الاحتراس في تعليم « اميل » تينك اللغتين واقراءته كتبهما فانه لا بد لمن يزاول دراسة أمر من الأمور ان يكون له فيه شيء من الاعتقاد فما ضره لو انه أخلص في الاشتغال بهرقل (٤) وأعماله ومن ذا الذي ينقم منه ان قدم قرباناً للآلهات العفيفة (٥) ولمنوعة (٦) الحكمة الابية فان في كشف حقيقة الاشخاص الخرافيين الذين وجدوا في خيال الاقدمين وكانت حياتهم ملائمة كل الملائمة لحيات الخرافيين

« ١ » سلامين وتسمى الآن كولوري هي جزيرة في خليج أثينا « ٢ » بومباي قائد روماني شهير له غزوات كثيرة كان فيها ظافراً « ٣ » فرسالا مدينة باقليم تسانيا القديمة من بلاد اليونانية هزم فيها قيصر الروم القائد بومباي (٤) هرقل بطل خرافي مشهور بأعماله العجيبة (٥) الآلهات العفيفة في أساطير اليونان هي الآلهات الفنون التسعة بنات المشتري (٦) منوعة هي في الأساطير المذكورة آلهة الحكمة والفنون والحرب

اليافعين وازالة الوهم من عقول هؤلاء في شأنهم في ذلك تعجيباً بزعة عقيدتهم في النوع الانساني . ولا يظن ظان اني أقصد بما أقول ان أوقف « اميل » عند الوثنية فاني اما أريد بهذا القول انه لا بد لمن يريد النهوض الى أسرار لغة قوم من احتلاس آلهتهم . اهـ

﴿ مقدمة كتاب الاسلام والنصرانية ﴾

« اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَاقِيَ هِيَ أَحْسَنُ .
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »
ظهرت في العالم مَدَنِيَّاتٌ ثم خفيت ، وَدُرِستَ فيها العلوم والفنون ثم دَرَسَتْ ،
وصلحت أحوال الأناسي ثم فسدت ، وطلعت فيهم أقمار الهداية الدينية ثم خسفت ،
ولم يزل الناس في قيام وقعود ، وهبوط وصعود ، والأثم في تلاش وفناء ، ونشوء
وارتقاء ، حتى استعدَّ المجموع في جملته للرفق العام ، ففتح الله تعالى دين الاسلام ،
جاء الاسلام والعالم كله في تأخر من جميع الوجوه — من جهة الدين . من جهة
العلم . من جهة المدنية . من جهة السياسة . فلم يمر قرن واحد حتى جدد للعالم كله
ديناً قيماً ، وعالماً محكماً ، ومدنية سعيدة ، وسياسة رشيدة ، ونشر ذلك كله في مشارق
الأرض ومغاربها بقوة الحق . وسرعة البرق ، فتغير به وجه الأرض وتفتح في الانسان
روحاً جديداً أعطاه من جراثيم الحياة ما لا يقبل الفناء ، مادامت الأرض والسماء ، (١)
ينبوع تفجر في أرض وفاض ماؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد موتها ولكن
القائمين على حراسته وتماهده وضعوا فوقه أنقاضاً من خرائب جيرانهم ففيض الماء
وما بقي منه صار مستنقعات تُجْتَوَى . لم يابث بعد ما غاض أن فاض منه شيء في

(١) بينا ان اركان الاصلاح الاسلامي غير قابلة للهدم في مقالات متعددة نشرناها
في مجلدات المار كمقالات « الاصلاح الديني » والمقالة التي فاتها « وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم وأهلها مصاحور » ومقالات « ساطة مشيخة الطريق الروحية » وفيها
الكلام على تقييد الاسلام الساطين السياسية والدينية وجعل الناس سواء . وكل هذا
في المجلد الأول . ومقالة « الجنسية والديانة الاسلامية » في المجلد الثاني ومقالة
« اعادة مجد الاسلام » ومقالات « مدنية العرب » في المجلد الثالث ومقالات الحكومة
الاسلامية والقضاء في الاسلام في المجلد الرابع

مواضع أخرى فانتفع أهلها به وحافظوا عليه ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما أن أكثر أهل النيبوع المنتسبين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر في تلك المواضع فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم. وأنهم لو أزالوا عنه تلك الاتقاض لفاض ورجع اليهم خصبهم ونماؤهم كأحسن ما كان. لأنهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للأحياء.

ذلك مثل المسامحين اليوم مع الأمم الغربية الحجة الراقية. أخذ الغربيون من الاسلام كل أصول الإصلاح الذين هم فيه وهم يقولون: الاسلام عقبة في طريق كل اصلاح. يقولون للمسامحين: ان ماءنا صاف تقي بحمي البلاد والعباد وماءكم آسن أجاج أحدث مستنقعات أهالكت الحرث والنسل. فكيف يستوي المآآن، وقد اختلف الاثران،؟ منهم من يقول هذا معتقداً. ومنهم من يقوله متقداً، ونحن ساكتون عنهم، لأننا جاهلون بأنفسنا وهم

ما كان الله ايزر المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب. ويظهر الحق من الباطل، فتقوم الحجة على الجاهل بدينه ونفسه، والمكابر لوجدانه وجسده، لعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً، فيرجعوا الى أصول دينهم وهو الأولى بهم والأحرى. فقد أعدم بنوائب الزمان، وصروف الحدان، لأن يمتزفوا بذبهم، ونبوا بالتدريج الى رهم، اذا طهر فيهم علماء ربايون، وأطباء روحانيون، يعرفونهم بحقيقة الداء، ويصفون لهم الدواء، وما طاب الاسان لسان استعداده شئ من مولاه، الا تفصل عليه به وأعطاه إياه (١)

لهذا سحر الله للمسامحين حكماً من الاعلام، واماماً من أئمة الاسلام، يطب لدائهم، ويجمع ما تفرق من آرائهم. وقد كتب في هذه الايام كتيبة جالية في العلم والمدينة، بالنسبة الى الديانتين النصرانية والاسلامية. رد فيها على أحد كتب المسيحيين قوله ان المسيحية كانت أكثر تسامحاً مع العلم من الاسلام وان الاسلام أكثر اضطهاداً للعلم والفلسفة من النصرانية، وتبين في آخر ما كتبه ح المسمامحين سوءى وعدم موافقتها لما تقتضيه طبيعة دينهم فقرأ الاسلام وسامعه من اعلام ولكنه لم يرى المسامحين المتأخرين بل دهم على حقيقة دائهم وهداهم الى طريقة معالجته واخرج منه مادن الله تعالى. وامرني انه أندر فأعذر وبرئ من وعيد الكتمن من اهتدى وعلمتهدي لنفسه ومن ضل فأنما يضل عليها.

(١) راجع، مقالة، «الاصلاح والاسعاد»، على قدر الاستعداد، (ص ٦٨١-٤٦٨)

وبلي هذا في المقدمة إلماع لشبهات ذلك الكاتب وقد عرفها القراء من قبل كما عرفوا الرد عليها فلا حاجة لذكرها. وقد تم طبع الكتاب بإصداره وبعثه ٥ قروش صحيفة وأجرة البريد في مصر ستة اعشار القرش (٦ مليات) ويطلب من ادارة المنار بمصر

باب الاخبار والادراء

سعي في الوفاق الاسلامي الانكليزي

علم القراء من المقالة الافتتاحية في هذا الجزء أن من الفائدة الكبرى للإسلام والمسلمين أن يعرف أهل أوروبا حقيقة الاسلام لانهم متى عرفوا حقيقته يعرفون حقيقته وفضله فيكونون نصراء له وتقل مقاومة حكامهم لأهله . ولا ريب أن من عرف منهم هذه الحقيقة يكون أقدر منا على تعريفهم إياها بصورة يقبلونها . كما لا يرتاب طاق في أن معرفة الانكليز بالاسلام تكون أضع للمسلمين من معرفة غيرهم من الاوربيين لان للانكليز سلطاناً على الشعوب الاسلامية ليس لتغيرهم مثله أو ما يقاربه ولأنهم أقرب الأمم الأوربية الى أخلاق الاسلام وفضائله وأرجاهم لفائدة أهله

بعد التذكير بهذا نقول ان الحاج عبد الله براون الانكليزي الذي اهتدى الى الاسلام من عدة سنين ونبت عليه ومازج أهله توجهت نفسه الى القيام بخدمة صالحة لأهل دينه الذي اهتدى اليه ولأبناء جنسه الذين نبت فيهم وذلك بأن ينشئ جريدة انكليزية في مصر غرضها الاول التوفيق بين مصلحة الانكليز ومصلحة المسلمين في مصر وفي المستعمرات الانكليزية كالهند وغيرها . وقد سافر الى الهند بمساعدة أهل الغيرة والتجدة من المسلمين الذين يعرفون قيمة هذا السعي ليعرض رأيه على كبراء المسلمين هناك ويستمددهم في الإسعاد عايه . وقد بلغت ان الاورد كرومر مرتاح الى هذا العمل ومساعد عايه ويرجى من كبراء عقلاء المسلمين في الهند أكثر مما يرجى من عقلائهم في مصر إسعاداً وإرفاقاً .

ومما يدلنا على ان هذا العمل يرجى نجاحه أننا رأينا الحوادث قد أعدت النفوس من الفريقين له كما علم من الكتابات الكثيرة التي دلت على توجه حكام الانكليز وكتابهم الى مساعدة المسلمين على التربية المالية الاستقلالية والتعظيم النافع وقد عرّب المؤيد كثيراً منها فعرّفه المصريون كما عرفوا بالاختبار سوء مغبة ماجرى عايه أحداث السياسة عندهم من اللغط بسبب الانكليز وشتهم وجعل حسناتهم

سيئات فرجع المصريون الى رأي اخوتهم مسامي الهند الذين جربوا قبلهم معاداة القوة ثم رجعوا فعرفوا فائدة المسالمة وهو أنه لا أنفع للمسلمين من التوفيق بين مصالحهم ومصالح الانكليز والعمل معهم بالصدق والإخلاص . وكل هذا من مقدمات مجد الاسلام المستقبل « والعاقبة للمتقين »

﴿ مابعد الاستشارة ﴾

استشرنا قراء المنار في نشر ما جاء في سجل جمعية ام القرى من معايب السياسة والادارة في دولتنا (ايدها الله تعالى) فكتب اليانا بعضهم يحزم بوجوب نشر السجل كله ليعرف محبو الاطلاع اسباب الفتور السياسية كما عرفوا غيرها . ولم يكتب اليانا احد قط باستحسان عدم النشر ولكن بعض امصدقائنا قالوا لنا شفاهاً أنهم يرجحون عدم النشر لئلا ينفر المحب الجاهل الراغب في بقاءه على جهله من المنار ويظن أنه ينفر عن الدولة العميلة التي هي أعظم دولة إسلامية . ولكنتا رأينا ان انتفاع الجمهور بعلم كل ما يقال عن الدولة أولى بأن يرجع على انتفاع ادارة المنار من رضاء محبي الجهل عنها . اما الانتفاع بما نشر فهو ان نشر مثل هذه الافكار هو الذي يقنع الترك والعرب وسائر المسلمين بأنه لاشي اضر عليهم من حل الرابطة الإسلامية استغناء بالروابط الجنسية . ويظهر ان مولانا السلطان عبد الحميد (وفقه الله تعالى) مقتنع بهذا المعنى كما اقتنع به من قبل اعظم سلفه (السلطان سليم ياوز) ولذلك تراه يعتمد في مهماته على ابناء العرب اكثر من غيرهم ولو كان قادر على ازالة الجنسية التركية لأزالها فيما يظهر وقد رأينا كثيرين من عقلاء الارك مقتنعين بهذا الرأي اعظمهم المشير مختار باشا الغازي . ولولا أنهم عرفوا مضرة الجنسية وعرفوا ان عقلاء العرب عرفوها لما اقتنعوا بها . ولا يجوز ان يحملنا ماورد في سجل الجمعية على بغض الترك فزيد في ضرر الجنسية وإنما يجب ان نسي في ازالة الجنسية والرجوع الى الرابطة الإسلامية وحدها . على ان ماذكر من بغض الترك واحتقارهم للعرب ليس عامافهم وإنما هو شنتنة من افسدتهم السياسة الفاسدة وكثرهم اخلاط في الأصل من الأجانب والعناصر الغريبة . وقد بلغنا ان الترك العريقين في الاناطول يتبركون بالعربي اذا رأوه ويحلقونه لأنه من بلادنا نبي صلى الله عليه وسلم وان كان في شخصه وضيقاً سافلاً . ويكادون يعبدون من يتسبب في آت البيت عليهم السلام

﴿ الجرائد والمجلات والمشاركون ﴾

يكتب اليانا كثيرون طالين الاشتراك بالمجلة بما دون القيمة المعروفة لانهم تلامذة

ولأنهم فقراء ومنهم من يصف حاجته الى النار وضيق ذات يده المانع من دفع جميع الاشتراك وصفاً غريباً ولا شك ان منهم من يستحق ان يسمح له بما ياب لانه صادق في استئصال دفع خمسين قرشاً مرة واحدة لانه فقير اليـد ومنهم من يحرم ان يساعد على اطاعة شحة لانه فقير النفس غني اليـد وقد يشبه هذا بذاك فان لم يشتهبها فان الثاني يجني على الاول

كنا جعلنا قيمة الاشتراك لطلاب العلوم ٤٠ قرشاً فرأينا العلماء وأساتذة المدارس ونظارها لا يدفعون الا ٤٠ قياساً على التلامذة والطلاب بجامع الاشتغال بالعلم ورأينا القضاة الشرعيين وجميع من يخرج من المدارس الى الوظائف بأنواعها لا يدفعون الا ٤٠ عملاً بقاعدة الاستصحاب الفقيهية أو جريباً مع حركة الاستمرار الطبيعية . وبهذا يضيع حق النار بين القاعدة الفقيهية والناموس الطبيعي بسوء التطبيق . واذا جعلنا الفقير سبباً للرضى بنصف الاشتراك وكان كل انسان هو المعترف للفقير واذا كان أكثر الاغنياء الحقيقيين مع هذا لا يحفلون بالعلم والدين ولا يعضدون من يخدمهم فلا شك أنه لا يسلم لصاحب الجريدة خمسة في المئة من المشتركين يدفعون قيمة الاشتراك كاملة واذا علم بعد هذا ان الغني والفقير والمعلم والتلميذ سواء في المثل أو الارجاء في دفع قيمة الاشتراك ولو الى آخر السنة وأن بعضهم يستحل أكل ثمن الجرائد والمجلات وأن المحصلين للجرائد منهم من يقتدي ببعض المشتركين باستحلال أكل ما يحصله كما وقع لنا مراراً ومنهم من يشارك صاحب الجريدة بالتمس حتى كأن المال غنيمة والمحصل هو السلطان أو بيت المال — فان العالم بذلك يحجل أن يطلب الاشتراك بنصف القيمة في مجلة يباغ صفحات مجلداتها في السنة نحو ألف صفحة ويصرف صاحبها في تأليفه سنة كاملة (النار) أقل مجلات القطر الشهيرة ثمناً ثمانية في السنة جنيه ومنها ما ثمنه ٨٠ وما ثمنه ٧٠ وما ثمنه ٦٠ وبعض هذه المجلات أصغر من النار حجماً وربما كان التعب فيها أقل فأننا ربما نشغل عدة ساعات في البحث عن حديث واحد لنعرف جميع مخرجه وما قيل فيه فلهذا وللمجموع ما تقدم شرحه يعذرنا الذين طلبوا الاشتراك بنصف القيمة على عدم مجاوبتهم والاعتذار لكل واحد منهم . وقد كتبنا هذه التبعة بقلم الخجل ليعلم المطلعون على النار او يسمعون ممن يطلع اننا لا نقبل من احد الاشتراك بأقل من خمسين قرشاً في السنة فيستريحوا ويريحونا . ومن نعلم باليقين انه يعسر عليه ان يوفر من نفقته في السنة خمسين قرشاً يجعلها ثمناً لمجلة يحب ان يقرأها ويرجى ان يتفجع بها فإتينا نرسل اليه النار بلا ثمن

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه وأولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر الخميس ١٦ شوال سنة ١٣٢٠ — ١٥ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣)

القسم الدينى

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس مفتي الديار المصرية في الازهر)

« وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ .
وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ .
ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى
الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ »

جاء في الآية السابقة ذكر تنجية بني إسرائيل من آل فرعون وهو
محمل يشمل النجاة من كل أنواع العذاب . وذكر في هذه الآية نعمة
الإنجاء بالتفصيل بعد الإجمال لبيان عناية الله تعالى بهم فيه إذ جعل وسيلته
من خوارق العادات وجعل فيه هلاك عدوهم . وقد يقال ان هذه نعمة
مستقلة من نعمه تعالى عليهم لا انها بيان لإجمال في التي قبلها

لما أرسل الله تعالى موسى عليه السلام الى فرعون وملائه يدعوه الى
توحيد الله والى أن يخلي بينه وبين شعب إسرائيل بعد إطلاقهم من ذلك
الاستعباد والتعذيب لم يزد فرعون الا تعديبا وتعيدا. وفي سفر الخروج
من تاريخ التوراة أن الله تعالى أنبا موسى بأنه يقسي قلب فرعون فلا
يخفف العذاب عن بني إسرائيل ولا يرسلهم مع موسى حتى يريه آياته. وأنه
بعد الدعوة زاد ظلما وعنوا فأمس الذين كانوا يسخرون بني إسرائيل في الأعمال
الشاقة بأن يزيدوا في القسوة عليهم وأن يمنعهم التبن الذي كانوا يعطونه
إياه لعمل اللبن (الطوب) ويكلفهم بأن يجمعوا التبن ويعملوا كل ما كانوا
يعملونه من اللبن لا يخفف عنهم منه شيء. فأعطى الله تعالى موسى وأخاه
هرون الآيات اليناث فكان فرعون يحاول معارضتها بسحر السحرة فلما
آمن السحرة برب العالمين رب موسى وهرون لعلمهم أن ما جاء به ليس من
السحر وإنما هو تأيد من الله تعالى سمح فرعون بخروج بني إسرائيل
بل طردهم طردا وفي سفر الخروج أنهم خرجوا في شهر أبيب وكانت
إقامتهم في مصر ٤٣٠ سنة. ثم أتبعهم فرعون بجنوده فغشاهم من اليم
ماغشاهم وأنجى الله بني إسرائيل وأغرق فرعون ومن معه

قال الاستاذ الامام: فلق البحر كان من معجزات موسى وقد قلنا في
رسالة التوحيد ان الخوارق الجائزة عقلا أي التي ليس فيها اجتماع النقيضين
ولا ارتفاعها لا مائع من وقوعها بقدرة الله تعالى على يد نبي من الأنبياء
ويجب أن نؤمن بها على ظاهرها ولا يمنعنا هذا الايمان من الاهتداء بسنن
الله تعالى في الخلق واعتقاد أنها لا تبدل ولا تتحول كما قال الله في كتابه
الذي ختم به الوحي على لسان نبيه الذي ختم به النبيين فانهى بذلك زمن

المعجزات ودخل الانسان بدين الاسلام في سنّ الرشدي فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له الى الايمان وتقويم ما يعرض للفطرة من الميل عن الاعتدال في الفكر والاخلاق والاعمال كما كان في سن الطفولية بل أرشده تعالى بالوحي الاخير (القرآن) الى استعمال عقله في تحصيل الايمان بالله وبالوحي ثم جعل له كل إرشادات الوحي مينة معللة مدللة حتى في مقام الأدب كما أوضحنا ذلك في رسالة التوحيد. فإيماننا بما أيد الله تعالى به الأنبياء من الآيات لجذب قلوب أقوامهم الذين لم ترتق عقولهم الى فهم البرهان لا ينافي كون ديننا هو دين العقل والفطرة وكونه حتم علينا الايمان بما يشهد له العيان من أن سنته تعالى في الخلق لا تبديل لها ولا تحويل:

وجملة القول ان الذي يمنعه العقل هو وقوع المحال فلا يمكن أن يؤيد نبي بما هو مستحيل عقلا لأن ذلك مما لا تتعلق به قدرة الله تعالى ولذلك سمي المتكلمون المعجزات «خوارق المعادات» ومنهم من كان يقول إن لها أسباباً خفية روحية لم يطلع الله الامم عليها ولكنه خص بها الأنبياء عليهم السلام والمشهور ان الله يخلقها بغير سبب لتدل على أن السنن والنواميس لا تحكم على واضعها ومديرها وإنما هو الحاكم المتصرف بها. وإنما كان هذا هو المشهور لأنه الظاهر وإلا فمن يستطيع أن ينفي ذلك النفي المطلق عن عالم الغيب. وقد ذكر القولين الامام الغزالي وأشار اليهما الاستاذ الامام في رسالة التوحيد

قال: وزعم الذين لا يحبون المعجزات من المشهورين ان عبور بني اسرائيل البحر كان في إبان الجزر فان في البحر الاحمر رقارِق اذا كان الجزر الذي عهد هناك شديداً يتيسر للانسان أن يعبر ماشياً. ولما اتبعهم فرعون

بجنوده وراهم قد عبروا البحر كأنهم يمشون على اليبس تأثرهم وكان المدة
يفيض ثوابه (المياه التي تجيء عقيب الجزر) فلما نجا بنو إسرائيل كان المدة
قد طنى وعلا حتى أغرق المصريين . وإذا كان تحقق إنعام الله على بني إسرائيل
يتم بهذا التوفيق لهم والخذلان لعدوهم ولا ينافي الامتنان به عليهم فإنه ينافي كون
فرق البحر كان آية لموسى وينافي وصف كل فرق منه بالطود العظيم . وإذا تيسر
تأويل كل آيات القصة من القرآن فإنه يتيسر تأويل قوله تعالى « فانفرق فكان
كل فرق كالطود العظيم » وهو الموافق لما في التوراة .

ويقول المأولون إنهم لما عبروا وانفرق بهم وكانوا لا استعجالهم واتصال
بعضهم ببعض قد جعلوا ذلك الماء الرقارق فرقين عظيمين ممتدين كالطودين وان
هذه الآية تشعر بذلك فإنه يقول (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ) ولم يقل : فرقنا لكم
البحر : والظاهر أن الباء هنا للآلة كما نقول : قطعت بالسكين : وأما قوله
تعالى « وأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفرق » فإنه لا ينافي
ان الانفراق كان بهم كما في الآية الاخرى لا بالعصا وذلك أن الذي أوحاه
الله تعالى إلى موسى هو أن يخوض البحر ببني إسرائيل وقد عهد أن من كان
بيده عصا إذا أراد الخوض في ماء كترعة أو نهر فإنه يضرب الماء أولا
بعصاه ثم يمشي فهذه الآية معبرة عن هذا المعنى أي ألهمه الله عندما وصل
إلى البحر أن يضربه بعصاه ويمشي ففعل ومشى وراءه بنو إسرائيل
بجمعهم الكبير فانفلق بهم البحر . وأما قوله تعالى « فكان كل فرق
كالطود العظيم » فهو تشبيه معروف مثله في مقام المبالغة كقوله تعالى (وهي
تجري بهم في موج كالجبال) وقوله « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام »
فالأمواج والسفن الجوارى لا تكون كالجبال الشاهقة، والأعلام الباسقة،

وانما نقضي البلاغة بمثل هذا التعبير ، لكمال التصوير و ارادة التأثير ،
 هذا ما ينتهي اليه تأويل المأولين ولم يبسطه الاستاذ الامام في الدرس
 وانما قرر أن فرق البحر كان معجزة لموسى عليه السلام وحكى عن
 المهوورين من الذين لا يحبون المعجزات خلافه وهو انهم يزعمون أن عبور
 البحر كان في وقت الجزر . وانما بسطنا تأويلهم لثلاثتهم أننا لم نقل به
 لأننا لم نهتد لتوجيه مثلهم ولا يهمننا أن ننازعهم في تأويل آية بخصوصها
 اذا علمنا أنهم يثبتون الآيات الكونية تأييداً للانباء عليهم الصلاة والسلام
 فاذا كانوا ينفونها كلها فالأولى لهم أن لا يتعبوا في تأويل جزئياتها لأن
 الكلام يكون بيننا وبينهم أولاً في قدرة الله وإرادته ثم في إثبات أصل الوحي
 وإرسال الرسل . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . ولنا أن نقول
 هنا أن الباء في قوله « بكم » للسببية أو للملابسة لا للآلة . وقد أشار البيضاوي الى
 ذلك كله بقوله « فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك
 لسلوككم فيه أو بسبب انجائكم أو ملتبساً بكم »

قال الاستاذ الامام : بعد ان قرر نعمة الانجاء من استعباد الظالمين ، والبعد
 من فتنه القوم الضالين ، ذكر النعمة التي وليتها وذكر بما كان من كفرهم إياها فقال
 « واذا واعدنا موسى أربعين ليلة » وقد كانت هذه المواعدة لاعطائه التوراة ولما
 ذهب لميقات ربه استبطؤه فأتخذوا عجلاً من ذهب فعبدوه كما هو مفصل
 في غير هذه السورة (وسيأتي هناك تفسيره ان شاء الله تعالى)

والمراد هنا التذكير بالنعمة وبيان كفرها يظهر أن تكذيبهم بمحمد
 صلى الله عليه وآله وسلم ومعاندته ليس ببدع من أمرهم وانما هو معبود
 منهم مع رؤية الآيات وبعد إغراق النعم عليهم ولذلك اكتفى بالإشارة اليه

بقوله « ثم اتخذتم العجل من بعده وأتم ظالمون » أي اتخذتموه إلهًا ومعبودًا وبعد ان ذكرهم بذلك الظلم ذكرهم بتفضله عليهم بالتوبة ثم بالعفو الذي هو جزاء التوبة فقال « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون » هذه النعمة بدوام التوحيد والطاعة . وقضى هذا بذكر إيتائهم الكتاب وهو المنة الكبرى فقال « وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون » قال المفسر (الجلال) غيره ان الفرقان هو التوراة وقال بعض المفسرين ان الفرقان هو ما اوتي به موسى من الآيات والمعجزات قال الاستاذ الامام بعد حكاية القولين : ولكن ذكره بعد الكتاب معطوفا عليه دليل على أن المراد به ما في الكتاب من الشرائع والاحكام المفرقة بين الحق والباطل والحلال والحرام ، ومعنى قوله : لعلكم تشكرون لعلكم تهتدون : اي ليعدكم بهذا العفو للاستمرار على الشكر ويعدكم بهذه الاحكام والشرائع للاهتداء . ويهشكم للاسترشاد فلا تقفوا في وثنية اخرى . وان من كمال الاستعداد للهداية بفهم الكتاب أن يعرفوا ان ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام هو هدى ونور يرجعهم الى الاصل الذين تفرقوا عنه واختلفوا فيه . وكذلك اهتدى به منهم المستبصرون ، وعانده المقلدون الذين لا يعقلون

﴿ باب العقائد ﴾

﴿ رأيي في علم الكلام . وطريقة في اثبات الوحي ﴾

(العالم عامل وكاتب فاضل)

سلامٌ عليكم أيها القارئون ورحمة الله وبركاته . وانعامه واكرامه .

هذه كلمات قليلة قدمتها لكم على صفحات هذه المجلة النافعة . اشير فيها لبيان شيء من حال علم الكلام وأختتمها بذكر طريقة سهلة للسالك قريبة للآخذ في اثبات الوحي .

— الذي دعاني لتحرير هذا —

كيفما التفت الإنسان بحسه أو فكره لا يجد شيئاً إلا وشيء آخر يقابله هو ضد له . وكيفما تقلّب لا يلقي نفسه إلا بين شيئين يسحق أحدهما « المحبة » والآخر « النفرة » . وكيفما تحرك فهو إما طالب لما يحب وإما هارب مما ينفر . يا ويح الإنسان الذي يشغل مدة حياته بالطلب والهرب . ثم يا ويحه حين يرى لما يطلبه طلاباً كثيرين يزاحمونه وينازعونه . ثم حين يجد نفسه غير مستقلٍ فيما يحب وينفر . يحب شيئاً ، فيعاقب ، ويكره شيئاً فيعاقب ، ثم يا ويحه حين يعلم أفراد نوعه متضادين ومتجادلين من أجل التضاد . هذا الجدال قد يحتدم بين الأخوة بني النوع من أجل الاحتياج الذي فطروا عليه وقد يكون الاحتياج دواءً مسكناً من هذا الغليان . وطالما شوهدت أشياء مثل الاحتياج تكون داءً ودواءً

من أجل الاحتياج يفرق النوع ويتخاذل ، ومن أجله يلتئم ويتعاون ، وليس كل احتياج منشأ الضرورة بل كثير منه منشأ حب التميز . ومن فضل الخالق أن جعل كلاً محتاجاً ومحتاجاً إليه . المطعمون محتاجون للكاسين ، والكاسون محتاجون للمطعمين ، والفريقان محتاجان للبائنين ، والثلاثة محتاجون للبائنين ، والأربعة محتاجون للحافظين ، وخول الكل محتاجون للآثبات ، وآثبات الكل محتاجون للفحول ، والكل حريصون على تحصيل الأولاد وانماهم . والكل محتاجون للشارعين الذين يبينون

الحدود والحقوق ، والكل محتاجون مع العمل الى العلم والمعلمين ، وفي هذا كله حكم عرفها من عرفها . وجهلها من جهلها

ما احوجنا مع هذا الاحتياج والتعاون في لوازم الحس الى التحاب والتعاون في لوازم العقل فياللاسف لم نر انفسنا الا على هذه الحالة متفرقين وما نحن ابتدعنا التفرق بل كان قبل ان كانت اشخاصنا وسيبقى الى من بعدنا ليس علينا رفع الخلاف ولا تقوى نحن عليه . ولكن علينا ان لا نزيده كما زاده المتعاملون المطاعون في حياتهم والمتبعون بعد موتهم . اولئك الذين يكدرون على الناس صفاء فطرتهم ، ويفسدون عليهم سلامة تصورهم ، بل علينا ان نجتهد في تخفيفه وذلك لا يكون الا بصقل العقول من صد الاوهام فعلىنا مجاهدة الاوهام واهلها مبلغ جهدنا . وما اجل هذه من وظيفة نشكر عليها المحيط المقسيم المجد الذي جعل لنا منها نصيباً . وآثانا عليها عوناً . واحسن جلاء للعقول هو ازالة سيطرة المتعلمين عنها (فهو الصدا العظيم) واستعمالها في فهم اسرار الكائنات وحكم الشرائع . وافضل عون لها في بلوغها في هذا السيل هو الدين الخالص من شوب الناس . ذلك لان البشر منذ القديم كدروا العقل بتصورات سقيمة في شان الموجد الاول فالدين يرشد لا سلم . وحملوا النفوس على عادات قبيحة ضارة سموها عبادات فالدين يهدي لأجل وانفع . وحملوها اثقالاً من القوانين الجائرة فالدين يوصي بأعدل . وزينوا لها اخلاقاً فاسدة فالدين يدل على اصالح . لكن الناس اصناف مصنفة اكثرهم يميلون لما هو ضد الخير ونحن نفوسهم الى الرذائل الخارجة عن حد الاعتدال في كل شيء كما هو داب الذين خلوا من قبل . فن لم يتمسك بالدين البتة فلا كلام فيه ههنا . ومن تمسك

فيه تراهم في مغايرته على نوعين — نوع يغيرونه بالفعل ويتمسكون منه بالاسم وهم الاكثرون ونوع يغيرونه بعلوم يحدثونها يَبْصِرُونَ الناس فيها انهم اولياؤه . فاما الذين يغيرونه بالفعل فالوظيفة معهم الوعظ والتذكير . واما الذين يغيرونه بما يحدثونه فالوظيفة معهم وظيفة العاقل مع العاقل في الدعاوي والبيّنات . وتحقيق الحقيقة ويبطل الغلط .

ولما عرفت ان الدين كلام يفهمه العاقلون ، ولا يحتمل ما يعزوه اليه المتفردون ، حرصت نفسي على كشف حال كثير من العلوم المحدثه فأقول مالها وما عليها ليعلم طلابها ما يضرهم وما ينفعهم . ذلك منذ علمت ان سعادتني في ان اكون مُخلص القلب للمجتمع الانساني ، القائم على ناموس رباني ، وان اكون شاكرًا انعم العاملين بما ينفع الناس . مستمع من عرفوا النعم فشكروها ، اوجهاوها فاسن عرفوها ، نافرا عما كفروا بها واستيقنتها انفسهم . فهذا ما دعاني اليوم لتحرير هذه الكلمات الشارحة رأياً في علم الكلام . وطريقة في إثبات الوحي .

﴿ تمهيد وتقسيم ﴾

هذا الإدراك الذي اوتي به الإنسان لم يقف به عند استعراف ما يَطْعَمُهُ ويكتسبه ويأوي اليه بل ساءح به من عالم الشهادة الى عالم الغيب = من عالم الحس الى عالم الخدس =

يسأل الانسان نفسه بنفسه ما هو الموجد الأول او ما هو الموجود الأول ، مَنْ صنع هذه الكواكب الزاهرة ، مَنْ اوجد هذه البحار الزاخرة ، مَنْ انتأ هذه الأرواح العاقية ، مَنْ خلق هذه الاسباب الظاهرة والباطنة ، مَنْ سوى هذه الربط النابتة ، مَنْ صور هذه

الصور المتغيرة ، من يدبر هذه الكائنات المتنوعة ؟

ثم ينتقل من هذا السؤال الى سؤال آخر فيقول : ما هي نفسنا ما هو ادراكنا . لماذا افرادنا متفاوتون فيه . ما هي هذه الحياة التي نحياها . ما الفائدة لنا منها . ما الحكمة للذي سوى فيها . ما الذي يجب ان نعمله معها . اين تذهب ارواحنا عند اضمحلال هذه الحياة . لماذا نحيا وهي مع قصرها مرة المذاق . كدرة الموارد . لماذا نتزاحم . لماذا نتجادل . ما السبيل لسلامتنا بعضنا من بعض ؟

هذه الأسئلة وامثالها شغلت فكر هذا النوع من زمن قديم ليس لنا ولا لغيرنا علمه . وما زال الناس ولا يزالون يتساءلون ويتجادلون في هذا الى ما شاء الله . وليس البحث في هذه شأن كل فرد من الأفراد بل هو شأن نفر من كل امة من هذه الأمم المتفرقة . وقد يعقب البحث والتفكر تصور ويعقب التصور عقد . ويحمل العاقد بشيء غيره ان يعتقد كما اعتقد فكذا تكونت نحل الناس ومملهم .

والذين اشتغلوا بتدوين العلوم قد تقيدوا باصطلاحات خاصة زعم ان بها يمكنهم تعميم فائدتها . واما الذين عرفوا كيف يقرب العلم من افهام الطبقات المختلفة فيحبون ان تتجافى عباراتهم عن الاصطلاحات مما يمكنهم . ذكرني بذكر هذه القضية أنني رأيت مدوني هذه المباحث في لغتنا قد تباعدوا بها عن أفهام الاكثرين بكثرة ما جاؤا فيها من الاصطلاحات وهم ما قصدوا الا التفهيم بل زعم بعضهم أن الناس أجمعين مكلفون أن يعلموا علمهم ذلك . ولا بد من أن يزعم هذا ان اصطلاحاتهم يفهمها كل أحد من أهل اللغات المختلفة . ولعل عذرهم أنهم دونوها كما وجدوها على اصطلاح

الباحثين من أئمة أخرى . وهو عذر مقبول في الجملة
 هذه المباحث يقال لمجموعها في اصطلاح المدونين (فلسفة) وهي كلمة
 منحوتة من اليونانية قالوا معناها (حب الحكمة) . ومن أجل شيوع
 هذه الكلمة بهذا المعنى ظن البعض أن الفلسفة اليونانية هي أول فلسفة
 ومن أجل أن علم الكلام (الآتي ذكره) يرد كثيراً من آراء فلاسفة
 اليونان كما يرد الفلاسفة بعضهم على بعض ظن أن علم الكلام إنما جعل
 لنقض الفلسفة . والظن الأول يزعمه التدقيق في التاريخ العام للأزمنة
 القديمة التي يجمل منها أكثر مما يعرف . والظن الثاني يزعمه معرفة أن
 علم الكلام فلسفة يعرف بها صحة الدين . وليست كل الفلسفة مناقضة للدين
 حتى يحتاج الدين إلى علم به تنقض الفلسفة كما أنه ليس كل كلام أهل الكلام
 مقبولا عند الدين بل كثير منه مردود بشهادة بعضهم على بعض . والمدقق
 يعلم أن ليس علم الكلام الا قسمين قسما يجمعون فيه نظريات على طريقة
 الفلاسفة القدماء يوافقونهم في أشياء ويخالفونهم في أشياء . وقسما يجمعون
 فيه خلافات ومنازعات بينهم أنفسهم
 ويعلم أيضاً أن الدين انتصر بروحه لزكية السالمة من الشوائب قبل
 أن يجيء علم الكلام ناصراً له وناقضاً للفلسفة . ولكي يعلم الناظر ههنا
 آراء الناس في الإلهيات قبل الاسلام وقبل علم الكلام أذكر نموذجاً
 يسيراً منها في فصل . ومنه انتقل لعلم الكلام في فصل آخر

الفصل الاول

— الفلسفة الالهية عند الأمم السالفة —

كان الصابئة (وهم طائفة منبتها بلاد فارس منها انفصل ابراهيم النبي الذي هاجر الى فلسطين وتسلسلت النبوة في عقبه) يقولون ان للعالم صانعاً فاعرفاً حكيماً مقدساً عن سمات الحداثات والواجب علينا معرفة المعجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرآ وفعلاً وحالة وهم ينكرون نبوة البشر ولكنهم يعترفون بمعلمهم الأول هرمس (قيل هو ادريس) ويثبتون عالمآ روحانياً على نحو ما يسميه الكتايبون الملائكة . وقسموا هذا العالم الروحاني الى طوائف منها مدبرات الكواكب التي هي هياكلها اذ لكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الى ذلك الهيكل نسبة الروح الى الجسد فهو ربه ومدبره ومديره . وربما يسمون الهياكل أرباباً وربما يسمونها آباء والعناصر أمهات . فوظيفة هذه المدبرات تحريك الكواكب على قدر مخصوص ويحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في المركبات فيتبعها قوى جسمانية ويركب عليها نفوس روحانية مثل أنواع النبات والحيوان ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي فمع جنس المطر ملك ومع كل قطرة ملك واتخذ هؤلاء صوراً وتماثيل على صور الكواكب وأمثلتها وبنوا لها البيوت وأقاموا لها الهياكل واحتفلوا من أجلها بفروض ومراسم شرحها يناسب كتب الجدل وكتب التاريخ . وليس غرضنا الا النموذج اليسير

وكان « الزروانية » (وهم طائفة من الفرس) يقولون ان النور أبدع اشخاصاً من نور كلهما روحانية نورانية ربانية لكن الشخص الذي اسمه « زروان » شك في شيء من الاشياء فحدث « اهرمن » (الشيطان) من ذلك الشك ولهم في ذلك اساطير لم نجوز سردها لقلة فائدتها.

وكان « الزرداشتية » (وهم طائفة فارسية اخرى زعيمهم زرداشت) يقولون ان النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك « يزدان » و « اهرمن » وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور المختلفة والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولا ندو يدعي اصحاب (زرداشت) معجزات كثيرة له وكان (طاليس) اليوناني — الذي تعلم الالهيات والهندسة والهيئة في مصر وهو اعظم مؤلفي الفلسفة المسماة يونانية — يقول ان جميع ما في الكون لا يخلو عن احساس ما وانه مملوء بما لا يدركه الطرف من المخلوقات وكلها متحركة ذات ارواح

وكان (فيثاغورس) يقول ان العالم له روح وإدراك وان روح هذا الدولاب العظيم هو الاثير فنه جميع الارواح الجزئية وكان يقول ان الارواح لا تفنى فهي تسيح في الهواء الى ان تصادف جسماً فتدخل فيه ولذلك كان يشدد في منع اكل الحيوانات . وادعى فيثاغورس معجزات كثيرة جلها لتأييد مذهبه في تناسخ الارواح ومما فعل انه بنى له تحت الارض حجرة صغيرة وعاهداه ان تكتب له كل ما يكون ويحدث فقاب فيها سنة ثم خرج نحيفاً أشعث أغبر وجمع الناس واخبرهم انه كان في جهنم ولاجل ان يصدقوه شرع يخبرهم بما حصل في غيبته فظنوا انه

فوق جميع البشر (تأمل)

وكان (هيرقليس) يقول ان الكون ممتلي من الجن والعقول وان
الآله لما قضى أزلاً بوجود الاشياء تركها لتدبير خلقه (تأمل)

وكان « انكسنوراس » يقول بالعقل الذي يفيض على كل مادة ما
يليق بها من الصورة وكان يقول لافراغ في الجو بل هو مملوء وان
جميع الاجسام تقبل القسمة الى مالا نهاية له ولو كان الجسم صغيراً جداً
بحيث لو وجد قاسم ماهر وآلة تقسيم لا يمكن ان يستخرج من رجل
البعوضة اجزاء لو وضعت على الف الف سماء لسترتها من غير تنهاهيا في
نفسها بل لا تزال قابلة للقسمة (تأمل)

وكان « افلاطون » يقول الأصول ثلاثة الآله والمادة والإدراك
فالآله يشبه عقل العقول والمادة تشبه السبب الأول للتولد والفساد .
والإدراك كجوهر روحي قائم بذات الآله . كان الناس يلقبون
افلاطون بالالهي وكانوا يقولون ان افلاطون يعرف الآله الحقيقي معرفة
جيدة وهذا إما من جودة ذهنه او مما أطلع عليه من كتب العبرانيين
(تأمل) ووقع من افلاطون أنه نوع الالهة مراتب ثلاثاً علويين مسكنهم
السماء ومتوسطين يسمون جنأ كوزراء للعلويين مسكنهم الهواء وسفليين
مسكنهم الماء سماهم انصاف آلهة (تأمل) وقال ان جميع عناصر العالم
وسائر اجزائه ممتلئة بهذا النوع اثنان وقد يظهرون في بعض الاحيان
لأبصارنا ويختفون احياناً . وتبع افلاطون فيثاغورس في تناسخ الأرواح
وكان « ارسطاطاليس » يقول : الأصول ثلاثة العدم والمادة والصورة :
وعرف المادة بتعريفين مختلفين سلباً وإيجاباً فقال في الاول : المادة هي ما

ليست جوهر ذلك الشيء ولا امتداده ولا عرضه ولا نوعاً آخر من الامور الوجودية العارضة له : وقال في الثاني : المادة هي مبدأ تركيب الاشياء ومنتهى تغيراتها : وليس في الاثنين ما يفيد حقيقتها (تأمل)

وكان « ابيقور » يقول بأن الروح جسمانية معللاً ذلك بأنها محركة لا بجسامنا مشاركة لها المآ ولذة واننا في حالة ثقل النوم نتيقظ بها بغتة وبها تتغير الواننا على حسب ما يعرض لها من الحركات والاعراض

هؤلاء من مشاهير اليونان الذين تكلموا في الإلهيات وهذه مشهورات من آرائهم فيها (وأما علومهم الرياضية والمنطقية فليست من صدد موضوعنا ولا تنقضها الالهيات والعلوم الخادمة لها ولا تأمر بنقضها بل بإبرامها لانها لازمة نافعة واما علومهم الطبيعية فلا ننكرها عليهم أيضاً الا ما انكروا فيها الصانع وصنعه)

وكان « اليهود » يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويقولون إن عيسى بن مريم الذي خلق من غير اب زنت به امه واتى من الزنا وخالف بعمله النواميس الشرعية فقتلناه وصلبناه

وكان النصارى يقولون لابل عيسى هو ابن الله بعثه ليخلص الناس من خطيئة آدم التي لحقت بأولاده وجعله فداءً لهم من 'خطيئة التي لم يسكن غضب الرب من اجلها ثم اختار أن يكون سكون غضبه وتخليص الناس منه بواسطة اراقه دم ابنه ولا تنس أن النصارى يقولون أيضاً بأصول ثلاثة الاب والابن وروح القدس

وكان العرب أصنافاً منهم من انكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحي والدهر المفني كما حكى ذاك القرآن عنهم « وقالوا ما هي الا حياتنا

الدنيا نموت ونحي . وما يهلكنا الا الدهر ، اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة على تركيبها وتحللها . فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر ومنهم صنف أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة وهم الدهماء من العرب الا شراذم منهم

ومن العرب من كان يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان أوقتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيراً هامة

ومنهم من كان على ملة ابراهيم كزيد بن عمرو بن نفيل . ومنهم من تهود . ومنهم من تنصر ومنهم من تفاسف وأدرك بعقله الحشر والجزاء قال « قس بن ساعدة » وهو أحد حكماء العرب : كلا ورب الكعبة ايعودن ما باد . وقال أيضاً : كلا بل هو الله اله واحد . ليس بمولود ولا والد . أعاد وأبدى ، واليه المآب غداً ، وقال « عامر بن الظرب العدوي » وهو من حكماء العرب أيضاً اني ما رأيت شيئاً قط خلق نفسه ، ولا رأيت موضوعاً الا مصنوعاً ، ولا جائياً الا ذاهباً ، ولو كان يميت الناس الداء ، لاحياهم الدواء ، ثم قال : اني أرى أموراً شتى وحتى : قيل له وماذا ؟ قال : يرجع الميت حياً ، ويعود الاشياء شيئاً ، ولذلك خلقت السموات والأرض : وقال علاف بن شهاب التيمي

وعلمت أن الله جازع عبده يوم الحساب بأحسن الأعمال

— طهور محمد عليه السلام —

فبينما حال الناس عامة والعرب خاصة على ما قصصناه ظهر « محمد » من العرب بين أظهرهم بهدى عظيم ، ودعا الى صراط مستقيم ، صدقه

بدعوته الواحد والاثنان، وكذبته الشعب الكبير المتشعب الى جماجم وبطون وأنفاذ، صدقه من صدقه لنور قذف في قلبه، رأى به وجهه وجه صادق، وخطته خطة مرشد، ودعوته دعوة مويد من عالم الغيب، وكذبته من كذبه لشبهة عنت له، وحجاب أسدل على بصيرته، ثم صدقه آخراً من كذبه أولاً، ولم يفارق هذه الدار وفي جزيرة العرب جماعة مكذبون

كيف آمن جمهور العرب به من بعد أن أورد متعاقلوهم كل شبهة عنت لهم، من بعد أن قالوا ساحر كذاب، من بعد أن قالوا شاعر مجنون؟ هل آمنوا رهبة من سيفه؟ فكيف أُرهب سيف هذا الواحد قلوب تلك القبائل الكثيرة؟ هل آمنوا رغبة في المنائم؟ فكيف سرى هذا الخاطر الواحد في أفكار الكل بعد أن صدوا أعظم الصدود وحارب بعضهم بعضاً من أجل أن ينصره قوم ويكيدهم قوم؟

انما آمن العرب بعد حين من دعوته تربصوا فيه ان تظهر لهم أعلام صدقه فظهرت (كما سيظهر لك) ويومئذ دخلوا في دينه أفواجا، ووفدوا على حضرته زمراً، يبايعونه على التصديق والاتباع، ويستعلمون منه الوظائف والواجبات، ويرجعون عنه بأفئدة مسرورة، وعزائم مشتدة،

أما العقيدة التي كان هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوصي بها فهي أن يشهد الرجل أن « لا اله الا الله » وأن « محمداً رسول الله » . كلمة « الله » عند العرب علم على الخلق كانوا يقولون به ولكنهم لا يعرفون كماله كما يجب فكان منهم من يظن أن الملائكة بناته وان لأصنام شركاؤه في بعض ملكة فعرّفهم أن لله لا يشبه المخلوقات فلا يد ولا يولد ولا يس له شريك في الملك ولا اله غيره ولا معبود سواه ولا ينبغي أن يرجى

ويخاف من غيره . فكل هذه المعاني مجموعة في كلمة « لا اله الا الله »
وأما الكلمة الثانية فالمقصود منها التسليم بما جاء به في الكتاب والخضوع
لما يحكم به ويمضيه واعتقاد أن هذا الكتاب كلام الله أوحاه اليه بواسطة
ملك من الملائكة الذين هم خلق مدركون لا يعصون الله تعالى ويندرج في
هذه العقيدة الايمان باليوم الآخر

هذه هي العقيدة التي يصير بها المصدق محمدياً وقد ورد تفصيلها في
القرآن كصفات الله تعالى والاحتجاج على المكذبين والوعد والوعيد
في الدار الآخرة . ويعلم القارىء أن الرب المدعوي لما آمنوا ما كانوا يعلمون
القرآن كله لأنه لم يكن قد تم نزولاً . بل أكثرهم ما كانوا يعلمون غير
الآيات القليلة وكان أعلمهم به (أي الذين يعلمون كثيراً من الآيات) لا يجد
في الألفاظ شيئاً غريباً في مدلوله ليتساءلوا عنه ويتباحثوا فيه (الاماروي نادراً)
بل كان هذا التباحث من قسمة الذين أتوا بعيدهم

أتى بعيد عصره أناس قرأوا القرآن فعلموا شيئاً وجهلوا شيئاً . وأناس
استمعوا لآراء الناس في الإلهيات من نحو ما قصصناه عليكم وانقسموا فيه
فرقتين محبة وكارهة . ثم انقسمت المحبة فرقتين مصوبة ومخطئة . ثم
انقسمت المصوبة طائفتين مؤولة للدين على مقتضاها وتاركة له على حاله .
ثم انقسمت المؤولة زمريتين معتدلة وغالية . فهذا هو مبدأ نشأة الفلسفة
في الإلهيات عند المسلمين وعلى هذا الشكل كان تفرق أهل هذه الفلسفة

❦ الفصل الثاني ❦

— الفلسفة الإلهية عند المسلمين — أو — علم الكلام —

لا يصح أن نقول أن العصر الأول للإسلام كان خالياً من بذور

البدع التي حدثت بعده في الأصول والفروع . نحن لا نقول هذا القول لأن أقوال المعاصرين للرسول كثير منها محكي في القرآن ونرى في بعضها ما يدل على أنه كمذهب الجبرية وفي بعضها ما يدل على أنه كمذهب القدرية وغير ذلك . ولكننا نقول لم تنبت تلك البذور الا في اواخر أيام الصحابة حين أظهر معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري القول بإنكار اضافة الخير والشر الى الخالق سبحانه . ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وكان هذا تلميذاً للحسن البصري . ويحكى أنه دخل واحد على الحسن فقال يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبار والكيرة عندهم كفر يخرج بها صاحبها عن الملة . وجماعة يرجئون أصحاب الكبار والكيرة عندهم لا تضر مع الايمان فكيف تحكم انا بذلك اعتقاداً ؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل أنا لا أقول ان صاحب الكيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المتزايين لا مؤمن ولا كافر . ثم قام واعتزل الى اسطوانة في المسجد وأخذ يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمي هو واصحابه « معتزلة »

وقال « واصل » هذا بقول معبد وغيلان في مسألة افعال العباد وانكر مثلها قضاء الله تعالى وقدره . فسموا « قدرية » (سماهم بهذا خصومهم) . قال ان الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمرهم به . وأن يحكم عليهم حكماً ثم يجازيهم عليه .

وقال « واصل » واصحابه يستحيل وجود إلهين قديمين ازلين ولذلك نفوا صفة العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام عن

الباري اي لم يقولوا هذه صفات للباري قديمة ازلية بل ان الله عالم حي قادر وليس علمه ولا حياته ولا قدرته الا ذاته .

هذا رأس الطائفة « المعتزلة » وطالع بعده الشيوخ الذين اتبعوه كتب الفلسفة فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وافردتها فنا من فنون العلم وسمتها باسم « الكلام » إما لان اظهر مسألة تكلموا فيها هي مسألة الكلام فسمي الفن باسمها واما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان . (كذا قيل)

وتقن « المعتزلة » في هذه المباحث وزاد الآ خر على الاول وتروى كلامهم في أيام المأمون والواثق والمعتصم :

أما مسألة الكلام المشار اليها في القول بأن القرآن مخلوق وممن اشتهر بهذا القول جهم بن صفوان وكان هذا جبرياً اي يقول أن العبد مجبور في أفعاله . وهذا المذهب ضد مذهب المعتزلة الذي معناه ان العبد حر في افعاله أي ليس مسلوب الاختيار بإرادة الله وحكمه .

وكان بين « المعتزلة » العلماء العقليين وبين أهل الرواية في كل زمان اختلافات ومنازعات في مسألة الصفات وكان العلماء النقليون يناظرون الآ خرين لا على قانون منطقي بل على طريقة المفتين في الدين . وكان من احسنهم اتقاناً ابو العباس القلانسي والحارث المحاسبي . وجرت مناظرة بين ابي الحسن الأشعري وبين استاذه ابي علي الجبائي في بعض مسائل والزمه اموراً لم يتخلص عنها بجواب فأعرض عنه وانحاز الى النقليين السالكين طريقة السلف ونصر مذهبهم على قواعد منطقية واساسات نظرية فصار ذلك مذهباً منفرداً وهو المشهور اليوم بأنه مذهب اهل

السنة والجماعة . ويظن البعض بأنه بقي في مذهبه بقايا من مقالات اساتذته قبل ان تركهم وهم من شيوخ الاعتزال . وقرر طريقته جماعة من الاذكياء كالقاضي ابي بكر الباقلاني والاستاذ ابي اسحاق الاسفرائيني والاستاذ ابي بكر بن فورك على اختلاف بينهم قليل .

ومن يطالع مقالات المعتزلة بامعان يتبين له ان مقاصدهم التوفيق بين الدين والفلسفة ولم يتيسر لهم ذلك لامرين الاول ان الفلسفة التي طالعوها اكثرها غير صحيحة فلذلك لم تلتم مع الدين . الثاني ان المقصد الاصلي من الدين هو العمل وهؤلاء افرطوا في الجدل فشطوا عن مقصد الدين كما شط مجادلهم من الجبرية الخالصة والجبرية المتوسطة والمرجئة .

لكن القوم بما صنعوه في احتجاجاتهم وبما اضطروا مناظرهم ان يقدوهم في النظر والاستدلال قد رفعوا شأن العقل كما يجب له ووسعوا ميدان نظره وقرروا آداباً مهمة وقوانين محكمة في المناظرة من حيث هي وفي المناظرة في موضوعهم هذا بخصومه . من اهم تلك الآداب معرفة كل منهم ان مناظرهم نظيرهم . وعدم تكفير بعضهم بعضاً لمجرد المباينة بالفهم . ولا يفتنك عن تسليم هذا شذوذ البعض عن هذا الادب المرعي، المعتمد على اصل شرعي، ومن اهم تلك القوانين تقريرهم جميعاً ان الدليل العقلي القطعي يقدم على الدليل النقلي عند التعارض ويستعان له بالهجاز والتأويل لئلا يذهب سدى كذا قال بعض الاذكياء . واقول ياليتنا استفدنا هذه الفائدة التي اشار اليها من غير باب الجدل في الدين . والتجربة ترينا ان هذه الفائدة لم تتم الا في اقل الباحثين واكملهم قصداً واوفرهم حكمة وليس هؤلاء بكثيرين حتى نقول ان مختلفهم قد شذ . نعم ليس بمنكور

عندي ان صنيعهم ذلك رفع شان العقل وكاد ان يبلغه اشده في هذا الباب ويسير به الى ابواب اخرى من استعراف اسرار الكائنات وحكم الشرائع عامة والشريعة المحمدية خاصة ويومئذ كان يرجى للدين دوام سيره وانتشاره على السيرة الاولى ولكن هو الخطأ في الدين يقف به ويمنع سيره ان كان قوياً ويزهقه ان كان ضعيفاً .

نرجو أن تكون قد عرفت مما تقدم ان مدار الفلسفة الإلهية الإسلامية على آراء «المعتزلة» ومناظريهم . أما مناظروهم فالتكلمون من أهل السنة (وأشهرهم الأشاعرة) والقيون من أهل السنة والفلاة من الفريقين كالجبرية والحشوية والمشبهة والمرجئة . والفلوفى كل شيء مذموم .

وقد أجعلنا هذه الفلسفة عن أن نعد في أهلها أولئك الذين يتشيعون لرجل بعينه أو يتعصبون عليه وان عدم الناس الباحثون في فرق المحدثين . اذ الشرط أن نحكي ماله علاقة بالفلسفة دون مالا علاقة له إلا بالهوى والسياسة .

وهذه أول كلمة نوجهها لعلم الكلام وعلمائه متأسفين على اشتغال أفاضل أهل هذه الصناعة من المعتزلة ومناظريهم في هذه المسئلة التي أومأنا اليها . ولئن كان للمتقدمين منهم عذر لأن الزمان زمانها فليس للمتوسطين فضلاً عن المتأخرين وجه من الوجوه المزيينة أو سبب من الاسباب الحاملة اللهم الا هوى البعض وتقليد البعض ولا يؤلم قلبي الا المتبعون على عمه الذين نزلوا أنفسهم منزلة القاصرين .

والكلمة الثانية أوجهها لجمهورهم أيضاً على عدم تروي كل منهم في كلام الآخر . لأننا حين التأمل والتروي نجد اختلافهم انما هو على الاصطلاحات دائر . وقلما نجد بينهم اختلافاً عظيماً في حقيقة من الحقائق بل اختلافاتهم

مع الفلاسفة يمكن القول فيها هكذا أيضاً. ولتوضيح هذا نورد ههنا أمثلة:

(١) هل بين العقول السابعة اختلاف في أن الموجودات ترجع الى مبدأ. هل بينها اختلاف في أن مبادئها يجب أن لا يكون قبله شيء. هل بينها اختلاف في أن النفوس مستشرفة دائماً أن تعرف ماهو ذلك المبدأ؟

٢٠ ماهو ذلك الشيء؟ ههنا الاختلاف اذا لم يتروا الناس مع بعضهم واذا ترووا فلا خلاف. نحلل هذا السؤال الى أربعة: (١) ماهي ذاته (٢)

ماهي صفاته (٣) ماهي أفعاله (٤) ما هو اسمه؟. اما السؤال الأول فاجواب كل عاقل فيه لا نعلمها. لا يخالف في ذلك عقلاً مليّ ولا فيلسوف على اختلاف فرق المليون والفلاسفة الا أنهم لا يتدبرون. واما الثاني فالجواب فيه لا يحد لأنه لم يحس، ولا يوصف لأنه لم يعرف، لا يخالف في هذا أيضاً أحد. ومن يصفونه من المليون لا يصفونه بعقلهم بل يتبعون فيه الوحي ويفوضون الأمر في علمه. ومن يصفونه من الفلاسفة فأنما يصفونه بما هو مقتضى وجوده كقولهم: واجب الوجود: بل جعلوا ذلك علماً عليه. وأنت خير أن هذا ليس وصفاً. وأما الثالث فالجواب فيه ان فعله البدء والتصوير. وهذا لا يخالف فيه أحد أيضاً اللهم الا الجاهلون جهلاً مركباً. ولا يمد خلافهم خلافاً ولا يجدر بعاقل أن يتصدى للرد على من يقول وُجدت الاشياء بنفسها. وقامت منتسقة لحالها.

جهلنا فلم نعلم حقيقة نفسنا وقلنا بأن الكون قام بنفسه!!!

واما الرابع فالجواب فيه بالاتفاق ان هذا يختلف باختلاف اللغات ولا يعرض هذا الاختلاف للتصور تبعاً للاختلاف في الانضكاك لا تختلف النفوس في معرفة الايض لكون الدائم عيه مختلف. ولا يرى العقلاء

الا متفقين على ان اختلاف الاصطلاح كاختلاف اللغة فلا يجب تجنباني
الملي عن اصطلاح الفيلسوف ولا تجنباني هذا عن اصطلاح ذاك . هذه الكلمة
تعنيك عن اكثر ما في علم الكلام الذي ولع أهله بتشعيب الاختلافات التي
منشأها اللفظ لا التصور كما ستري في الامثلة الآتية وانت قس عليها .

(٢) كيف بدأ ذلك الشيء غيره ؟ أي عاقل يتجاسر على ادعاء معرفة هذا من
طريق العقل على وجه اليقين . هل ثمة من يتجاسر على هذه الدعوى . وهل
من يتجاسر عليها عاقل ؟ مع صعوبة هذه المسألة لا تجد الناس سكتوا في
جوابها . أما المليون فخلهاهم الوحي فقالوا أراد ان يوجد فأوجد . وقال
ناس من الفلاسفة نشأ عنه غيره وجوباً (أو عبارة هذا مآلها) وللفريقين
كلام كثير . ولئن سألت الملي هل تعرف ارادته ؟ وهل يمكنك أن تشبها
بأرادتك التي تعرفها ؟ ليكون جوابه لا ، ولئن سألت الفيلسوف ما الذي
أوجب أن ينشأ عنه غيره وهل تعرفه ؟ ليقولن لا اعلم أو يمتنع أسماً يجوز
ان يكون بمعنى الإرادة التي يقول بها الملي ، فكلاهما بالعجز عن الإدراك
مشتركان ، وعلى وجود غيره بتأثيره (المجهول عندهما) متفقان ، على أن
المتكلمين صرحوا بان الإرادة القديمة (نلك التي لا يعرفونها) توجب المراد ،
(٣) متى اوجد ذلك الشيء غيره ؟ لم يجب عن هذه المسألة المتفلسفون ولا

اللاهوتيون المحمديون . ولكن قال اللاهوتيون (المتكلمون) ان ذلك
الموجد قديم وفسروه بأنه غير مسبوق بعدم وان الموجودات حادثة أي
مسبوقة بعدم ، وقال المتفلسفون هو قديم وهي قديمة ، وللفريقين كلام
كثير ، وهذه المسئلة لا خلاف فيها أيضاً ؛ لأنهم متفقون على أنه أوجدها
وعلى انهم يجهلون متى أوجدها ، وما كان للملي أن يفتقروا ما ليس له به علم

من العقل، ولم يسمع فيه كلاماً من الوحي، فليس في الدين ما يحمله على الخوض في هذه المزال، وما كان للفيلسوف أن يجزم بشيء لم يطمع عليه دليل يقيني، فهما متفقان على العجز هنا إن تقارباً للحق، كما اتفقا على العجز عن معرفة كيف أوجدها،

هذا والمليونون (نقليوهم وعقليوهم) قد يسألون عن أشياء لا يسأل عنها الفيلسوف الذي لم يتبع ملة. يسأل هؤلاء عن معنى نصوص لا يستطيعون إبقاءها على ظاهرها كالنصوص القائلة أن السموات والأرض خلقت في ستة أيام. يقال لهم هل هي أيام مثل التي تعرفونها أم أيام أخرى لا تعرفونها؟ إن قلم بالاول فالايام هذه انما عرفت بعد خلق السموات والارض. وان كان المقصود مقدار مدتها دل ذلك على ان هنالك مدة وزماناً. وان قلم بالثاني (وهو الذي نقوله) فقولوا نعرف انه خلقها. ولكن لانعرف كيف خلقها. ومتى خلقها. ومم خلقها. ونؤمن بقول الله تعالى «ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض أئتيا طوعاً او كرها قالتا اتينا طائعين.»

(٤) لم اوجد ذلك الشيء غيره؟ وهذه محارة ايضاً للعقل وينبغي أن يجتصم هنا ايضاً على العجز عن المعرفة. على أن المليون يقول: لحكمة خفية: فيصح ان يقول الفيلسوف مثله «وما اوتيتم من العلم الا قليلاً»

(٥) ما هي صفات ذلك الشيء؟ قلنا ثمة الجواب مختصر او امكن هذه المسألة جدرة بزيادة البيان لأن الخلاف العظيم فيها بين المليون انفسهم. بين النقلين منهم والعقلين اولاً. وبين المعتزلة من العقليين والاشاعرة ثانياً. واحب أن أنفي الخلاف الحقيقي هنا كما نفيت بينهم وبين الفلاسفة في الأمثلة المارة.

قال النقليون ومتبعوهم من المتكلمين ان الله قديم وعلمه قديم وحياته قديمة وسمعه قديم وبصره قديم وكلامه قديم وارادته قديمة وقدرته قديمة وفعله قديم . وقال المعتزلة هذا يوجب تعدد القدماء قاله ذات مستجمعة لصفات فهو عالم مرید قادر حي سمیع بصیر متكلم . وهو قديم . وصفاته عينه . وقال الأشاعرة هي امور زائدة على ذاته لاهي عينه ولا هي غيره . ولكل كلمات سموها ادلة معروفة في محلها . ونحن نقول اذا ترؤوا فلا خلاف . وتوضيحه ان الكل قائلون هو حي عالم مرید قادر سمیع بصیر متكلم والكل قائلون ان معنى الحي ذو حياة والعالم ذو علم الى آخره . والكل قائلون هو واحد بلا تعدد . فاذا لم يبق الا ان هذه الصفات زائدة او غير زائدة؟ بقي الخلاف لفظياً عند المدققين ولا يلزم من القول بها تعدد القدماء كما توهم البعض . ولا من عدم القول بها نفياً كما توهم البعض وليس للحس هنا مبلغ من العلم ، ولا للعقل سند في الحكم ، ولا في الدين قول يحمل على الجزم

اما الخلاف بين النقليين والعقليين فهو في فهم بعض الاشياء التي وصف بها البارئ وبعض الأجزاء التي نسبت اليه وهو في الظاهر خلاف مهم جداً . وقد ظهرت آثاره من القول الى الفعل وخلاصته أن كل طائفة من هذين الفريقين تنقسم طائفتين معتدلة وغالية فنحن لا ننكر وجود الخلاف حقيقة بين الغاليتين منهما ولكن الخلاف بين المعتدلتين نرجعه لا الى شيء . توضيحه ان المعتدلين من النقليين قالوا : ورد الوحي بصفات للبارئ فنحن نقف مع عبارة الوحي وقفة المتأدب الحكيم ونصفه بما وصفه لا ننفي معانيها ولا نعتقد أنها كالمعاني المخصوصة بالمحدثات وهذه هي طريقة

الصحابة ومن تابعهم عليها (قلت وليس على هذه من غبار) ثم المعتدلون من العقليين قالوا: إننا قد علمنا انه ليس كمثل شيء فعلنا من هذا العلم ان الكلمات الموهمة تشبيهاً لا يصح اعتقاد معانيها كما يعتقدي المعاني المخصوصة بالمحدثات فاستفدنا لها معاني قريبة راعينا فيها قرائن اللغة وقرائن كلام الوحي (قلت وهذه ايضاً ليس عليها من غبار) ولقد لاح من هذا ان لا خلاف بين الفريقين . غاية الامر أن اولئك احجموا عن ادعاء التفسير وهؤلاء اقدموا ولم يأتوا في تفسيرهم منكرآ من القول ولا تباعدوا عن القرائن ولا تعدوا حدود ما ورد من الكلمات . فهذا لا يعد خلافاً .

اما الغالية من النقليين فاعتقدت الكلمات على ظاهرها وربما تعدتها الى غيرها . وأما الغالية من العقليين فلم تعتقد شيئاً على ظاهرها فلام منكرون للنصوص ولا هم واقفون بمعاقط . وهم مختلفون ايضاً . قالبون انما هو بين هذين الفريقين . وقد اشتبه على الناس الذين لم يعرفوا هذا التقسيم فاعتقدوا بالسلف ومعتدلي الخلف مالا يجوز اعتقاده . هذا هو تحقيق الامر في هذه المسألة ونحن من الغاليتين برآء . ومع المعتدلين سواء .

(٦) ما هي افعال ذلك الشيء؟ مر الجواب عن هذا آنفاً مختصراً والكلام هنالك مع الفلاسفة من غير المليين وأعدناه ههنا لخلاف في الظاهر بين المليين والفلاسفة ومناظرهم . قال النقليون ومتابعوهم من المتكلمين ان الله تعالى يفعل كل شيء يقع في هذه الدنيا . وقال العقليون ان الله تعالى خلق خواصاً واسباباً واسند اليها الفعل . قلت هذا اصل لمسئلة مهمة . وهي ان الانسان من جملة الأشياء وفعله من جملة الأشياء فعلى رأي الاولين ان الله يفعل الانسان وفعله . وعلى رأي الآخرين ان الانسان يفعله الخاصة التي

خلقها الله . وفعله يفعله هو بالخاصة التي آتاه الله اياها . واقول هل ثمة من لا يعجب من عدم تروّي الفريقين في هذه المسألة التي كل كلام فيها يرجع الى نقطة واحدة . ألم يأن للذين آمنوا ان يعلموا ان الله خلق الانسان عاقلاً متصرفاً في هذه الدار بغيره من جماد ونبات وحيوان . ومحاسباً على عقله وتصرفه . ومهاناً او مكرماً بعمله فليقولوا كيفما شاءوا ان يقولوا . افهام بمؤمنين بأن الانسان محاسب على عمله ومجزى عليه ؟ أراد الممتزلة ان ينفوا الشرور والقبائح عن الباري فقالوا الانسان هو يفعل فعله . واراد اهل السنة ان لا يثبتوا في الوجود معه فاعلوا فقالوا الله هو الذي يفعل كل شيء . إطو المراتب في أعين الاولين ، وابسطها في أعين الآخرين . تجدهم متفقين كاتفاقهم على أن المرء مأخوذ بعمله وهي المرتبة الاخيرة . وفي هذه المسئلة تولد من البحث غلاة من الفريقين غالية قالوا بالجبر المحض وأفرطوا في تقريره ابتغاء تعطيل الشريعة . وغالية قالوا بالاستقلال المحض وأفرطوا في تقريره ابتغاء التوصل لفصل الكون عن المكون في كل الشؤون . ويومئذ لا يتقى ولا يرجى ولا يدعى وفي هذا مصادمة لنصوص الدين واسراره . على ما فيه من الرجم بالغيب واتباع الظن المحض الذي لا يليق بالعلاء لانه يضرهم ولا ينفعهم^١

في هذه الامثلة الستة قد اوضحنا تصديهم للمجادلة فيما لا خلاف فيه وفيما التبس عليهم من الامر ولا اريد أن اتكلم على اختلافهم في خلود اصحاب الكبائر وعدم خلودهم . بل ولا في اختلافهم في خلود الكفار وعدم خلودهم . واكتفى في هذا المحل بكلمة خرجت من بيت النبوة قالها احد ائمة اهل البيت وهي « ان الله اراد منا اموراً . واراد بنا اشياء .

فحجب عنا ما اراده بنا . وبين لنا ما اراده منا . فالاجدر بنا أن نشتغل
ونتعاون فيما اراده منا . ولا تتجادل وتتخاذل فيما حجبه عنا مما اراده بنا .
هذا والكلمة الثالثة من اللاتي أردنا ان نقولهن اوجهها لناس من أهل
عصري لايزالون يحرصون على دراسة الكتب المدونة في علم الكلام
ويجتهدون في حلها وتفسيرها . ولا يسمحون لأنفسهم ان ينظروا في
غيرها من كتب الفلسفة العصرية . ولا ان يتعدوا حدود ما كتب لهم
الاولون من اصطلاحات وتعريفات . وما قرروا لهم وكتبوا عليهم من
مذهب واعتقاد . أقول لهؤلاء : ^(١) ان تلك الكتب كتبت على أسلوب
الفلسفة القديمة . والآن قد تغيرت الرسوم ، ودرست الرقوم ، وحدثت
بعد تلك العلوم علوم ، فاقروا مايسر فم وجدتموه موافقاً للدين وهو
الاكثر فاحمدوا الله على هذا التوافق ، وما وجدتموه مبيناً فاسمعوا في معرفة
أسباب التباين . ^(٢) علم الكلام فائده على ماقالوا الترتي من حضيض
التقليد الى ذروة الايقان وأنتم في هذه الكتب تلتزمون مذهب رجل
معين وتحفظون حدوداً وتعاريف ما أنزل الله بهام سلطان . ولا شهد لجلتها العقل
بتبيان . فالذي تزعمون الخلاص منه هو الذي أنتم فيه . ^(٣) ان الشبه التي
تقرأونها في كتبكم هذه قد تسمعون خلافها فينبغي ان تكونوا مستعدين
للاحتجاج على كل شبهة كما هو مطلوبكم من هذه الكتب وهي لا تفي بمطلوبكم هذا
والكلمة الرابعة اوجهها لناس آخرين من أهل عصري دأبهم
الاستهداء بالذين ماتوا . أقول لهؤلاء ^(٤) ان الذين ماتوا لم يختبروهم .
ولم تعلموا السبب في كثير من مقالاتهم ^(٥) ان الناس قد يحدثون مقالات
بحسب زمانهم ومكانهم وغرض أنفسهم او حاكمهم ^(٦) ان الحلي شخصه

محسوس . وحاله محدود . يقتدر المرء ان يعرف الحكمة في مقالاته
والناس منهم مخلصون لاحكمة في مقالهم ولا سر ولا غرض الا قول
الحق وبذل النصيح ومنهم ضد ذلك ^(١) ان أخذ الادلة عن الاحياء
المخلصين والاستهداء بهم في دفع الشبه أولى من الاستهداء بالذين لانعلم
من أمرهم شيئاً . واعنى بهذا ان يعالج المصريون أنفسهم من بعض الجلود
والكلمة الخامسة أوجهها لناس آخرين من أهل عصري قد قرأوا
شيئاً من الفلسفة وما قرأوا شيئاً من الدين فإمام حيارى في الامر وإمام
مارقون من الملة . أقول لهؤلاء ان طريقة الدين حنيفة سمحة . أركان
اعتقاده معرفة ان لهذه الموجودات موجدآ هو « الله » . وانه لا يشبه
شيئاً من الموجودات . وانه متصرف فيها مدبر لها . وان الانسان الذي
ميزه في عوالم الارض بالعقل مسئول عنده عن عقله وعما عمل بعقله . وان
محمدآ (صلى الله عليه وسلم) النبي العربي أرسله ليتم مكارم الاخلاق .
ويرشد الناس على الاطلاق . وأركان عبادته ذكر الله تعالى بصلوات خمس
في اليوم لتخف الغفلة المهلكة . وصوم شهر في السنة لتغلب الهمة المتعبة،
وحج في العمر الى حيث يتلاقى الاخوان في البيت الحرام والمشاعر
المعلومة لتؤكد الوحدة المليّة وتزداد الالفية . وإيتاء الزكاة في الحول
للفقراء والضعفاء لتجبر الحاجة المضطرة . وبناء أحكامه على العدل في
الحقوق ، وبناء آدابه على الاحسان للمخلوق ،

هذه جملة الدين ولا والله لاتند فروعه عن قيود هذه الجملة فيجدر بكم
أيها الاذكياء ان تعرفوا بالدين وأسراره لتجمعوا بين فائدة الفلسفة التي
تنور عقولكم ، وبين فائدة الدين التي تزكي نفوسكم . وان سألتوني ما الدليل

على صحة الوحي الذي هو أساس الأديان . وما الدليل على صحة دعوى النبي العربي (صلى الله عليه وسلم) فأقول اني لست بأعلم منكم فتفكروا يظهر لكم سر هذا الامر العظيم على اتني لأضن عليكم بيماني مما عرفت

طريقة في اثبات الوحي

اني تفكرت أولاً (والانسان خلق متفكراً) في : ماهو العقل الانساني الذي ميزه على الحيوانات المدركة بحواسها فقط بل ماهو الادراك ؟ فلم أستطع علم هذا . سألت أعالم الناس الذين اجتمعت بهم من عرب وترك و فرس وهنود وافرنج فلم اهدل علم هذا

رجعت الى آثار الموتى قلبت في الكتب أوراقاً تعد بالآلاف فلم الف المطلوب . فسكنت اعياء عن طلبه سكوناً حالياً . واكتفيت بمعرفة انه قوة عظيمة قد رفعت الانسان الى طبقات الكواكب وهو لم يتحرك لجهتها فأرته بغير عينه بدائع صنعها ، واتقان نظامها ، وصورة دورانها ، وشكل تقابلها بعضها مع بعض . وهبطت به الى طبقات هذا الكوكب الذي هو فيه (الارض) فأرته بعينه وبغير عينه بدائع كونها ، وخزائن أسرارها ، وانتظام سيرتها ، وبصرته انه (أي الانسان) هو سلطان عوالمها ، تنقاد كلها لتصرفه ، وتصبر تحت أمره ، فهو المنفرد في الارض بحياة جامعة للعلم (بالشاهد والغائب) والقدرة (على التصوير والتشكيل) والارادة (لما يلزم البدن وما يلزم العقل) والكلام (الذي يبلغ به ارادته للحاضر معه بواسطة الآلة البدنية الطبيعية ، وللغائب عنه بواسطة الآلات الجمادية الصناعية ، منها هذه الكتابة التي تبلغ كلام من قبلنا من أهل الأدوار ، وتبلغ كلامنا للنائي عنا بالدار ، والآتي بعدنا في الاجيال ، ومنها

هذا التلغراف الذي يسمع به المشرقي ما يريد المغربي في لحظة من الزمان) والسمع (الذي نفهم به إرادة غيرنا .) والبصر (الذي يطبع في فكره صور الاشياء) فبمجموع مزايا هذه الحياة كان له السلطة والتصرف في عوالم هذه الارض تصرفاً تابعاً لنواميس هي فوق ارادته . وفوق سمعه وبصره . وفوق علمه وقدرته . وفوق أمره ونهيه

هذا القدر عرفت بادئ بدء من آثار تلك القوة العظيمة التي هي العقل وبهذا القدر تم لي معرفة ان هذه القوة هي أكمل وأعظم قوة في العوالم الارضية . وان تلك النواميس التي هي فوقها وحاكمة عليها يجب ان تكون من عالم آخر

ما هو ذلك العالم ؟ هذه نقطة ثانية عرج اليها فكري وفي هذه الدرجة وقف عقلي زماناً كثيراً يلتبس الدليل في معرجه هذا ثم اتاه الدليل من نفسه . فقال ان ذلك العالم هو العالم المحجوب عن حسنا المعروف المؤلف عند تصورنا . هو عالم الحقائق والقوى والطبائع التي نعرفها بآثارها ونجهل كنهها وذواتها . هو عالم الغيب وهو بحر عظيم لا ساحل له والذي ظهر لنا منه نقط قليلة بعد ظهور امثلتها في عالم الشهادة . قال بعض الاذكياء دكنا لا ندرك السر في قيام هذه الكرة في الفضاء ثم علمنا من امثلة ظهرت للحس ان هنالك قوة تمسكها ، لا نرى تلك القوة بأبصارنا ، ولا نسمعها بآذاننا ، ولا نحسها بأيدينا ، ولا نشمها بانوفنا ، ولا نذوقها بفمنا ، ولم تبلغها عقول الاكثرين منا من المتقدمين والمتأخرين ، واليوم ادركها بعض اقطاب العلم الباحثين في اسرار الوجود وقرب ادراكها لعقولنا فصرنا نقول بها . ونلجج بالاسم الذي وضع لها (الجاذبية) وكذلك كنا لا

ندرك السرفى حركتها ثم ظهر . وكنا لانعلم كيف تكونت ومتى تحركت
ويدعى البعض اليوم انهم يعملون ذلك . وكذلك كنا لاندرك طبائع
الأجسام البسيطة والناس اليوم انما يعرفونها بآثارها وبخواصها في البساطة
وبعد التركيب - كل ذلك يرشدنا الى ان عالم الغيب (اي الأسرار التي حجب
عنا) واسع . وقلة ما انكشف لا ترشدنا الى انحصاره فيها واحاطتنا بمجموعها
بل ترشدنا الى ان ما جهلناه كثير بالنسبة الى ما عرفناه وتأمرنا ان نقف
عن تعيين طرف لهذا الميدان لذي خوات البصيرة ان تجول فيه وحرّم البصر
قلت في فكري ان الانسان محكوم في خلقه لنواميس تُحدث
خواطره وخواطره متضادة متازعة كمال التضاد والتنازع . فإما ان هنالك
قوتين متضادتين (من جنس القوة التي هي العقل) مسلطتين عليه وتصرفه
تابع لنفوذها على النسبة . وإما ان الأثرين المتضادين منفعلان عن المزج
الإنساني المركب من متضادات . وعلى الرأي الأول فالقوتان إما لهما
وجود خارج الجسد . أو لا وجود لهما الا في الجسد . وان وجد خارج
الجسد فالمادة التي تقوم بها اما بسيطة واما مركبة . هذه أسئلة تخطر
في بال الذين يريدون ان يتوصلوا للحقائق من طريق كونيته لا من طريق
اسميتها . والعقل السليم يعلم ان هذه الاحتمالات كلها جائزة . والقول
بكل واحد ينفع في الدلالة على ان النواميس التي تُنفذ على الإنسان
هي أمور وجودية لها العلاقة العظمى في تفاوت أفراد النوع العقل هذا
التفاوت العظيم الذي يرينا رجلاً يعبد أفضل شرع وكمال آداب . ورجلاً
يكشف لنا سر البخار والكهرباء وما يفعلا من سحر لا يُب برؤس
آثارها وبدائعها . ورجلاً يستحوذ على قلوب الأتوف مؤانة بيده

ويستنزل النفوس عن محبة الحياة فيقذفها بين القواصف والقواذف .
ورجالا كثيرين لا يعرفون من الامر الا حيوانية وموتانا .

ولنا ان تقول ان النسبة بين الانسان وبين من هو دونه محفوظة
بواسطة قريبة منه ومن التي هي دونها (كالنبات مثلا هو قريب من
الحيوان لنموه مثله ومن الجماد لعدم تحركه بالارادة مثله) ونعلم قطعا ان
الانسان على عظمته في الارض غير كامل . اما من حيث الصورة فلقنائها
وأما من حيث الخاصة فلتردده في تحصيل ما يعتبره سعادة (ولذلك يعيش
الانسان في هذه الدار شقياً على كل حال اما بالآلام والأتعاب الجسدية
واما بالآلام والأتعاب الفكرية واما بهما معاً) فيجب ان نكون النسبة
المحفوظة بالتسلسل مع من دونه محفوظة أيضاً مع من فوقه . وليس في
عالم الحس فوقه شيء

ففي عالم الغيب خلقان متضادان (تضاد المليح والقيح) لهما علاقة
بالانسان كملاقة الانسان بمن دونه . وعلاقة الانسان بمن دونه هي
احتياجه اليها اكمال خاصته واحتياجها اليه لظهور خواصها فعلاقة هذين
هكذا : يحتاجان اليه (بسنة الله في الخلق) لتكميل خواصهما ويحتاج اليهما
لظهور خاصته . هذا القدر يكفيني ويكفيك ولا تسلي عن اسميهما
وكنيههما فاني اكره جداً ان يختلف العقلاء بسبب الأسماء وأحب يتقاربوا
من صوب المعاني ويعتبروا الدلالات عرضاً تابعاً ويتساهلوا مع بعضهم
في الاصطلاحات كيلا تكون سبب اختلافهم

أما خاصة الانسان التي يطالب نكياها مادام حيأفهي التصرف بعوالم
هذه الارض . فأما الذين تغلب فيهم قوة محبة الخير فيلهمون تصفية العقل

الغريزي (القابل للصفاء والكدورة) فتظهر في مرآتي أفكارهم صور المعقولات . وتشرق عليهم من عالم الغيب أسرار ومعارف يحسن بها تصرفهم وتحمد آثارهم ويبقى ذكرهم حياً إذا اضمحلت صورهم يوماً من الأيام . وأما الذين تغلب فيهم القوة الأخرى المضادة فتكدر عقولهم وتتشوش بكثرة الوسواس والتردد ويكثر شقاؤهم في طلب المشتبهات المادية ولن تنتهي وحرمانها أكثر من حصولها والم التزاحم عليها والتدابيح لا توازيه ولا تسكنه لذتها . فبسوء تصرفهم تدم عقباؤهم ويموت ذكرهم كما يموت ذكر الأنعام التي تحيي زماناً ثم تهلك .

ولما كان الإنسان على هذه الصورة من التضاد المحسوس الذي يتبدى في النفس على وجه التردد ثم يفرج وتتمادى به الخطوط المتباينة وكان بحكم هذا التضاد منقسماً إلى أبرارهم وأشرارهم أكثر ثم يستغن عن قانون عام عادل وآداب جميلة . مهذبة للنفوس ومهيئة للقانون وعند قراءتنا في ماضي الإنسان نجد أن الله جبر نقصه هذا فاصطنع من البشر ناساً هداماً ، أوحى إليهم ، عليهم شرائع وآداباً كما اقتضته حاجة الناس . وما وجدنا قط أمة مرتقية ليست على أساس واحد من أسس الدين الذي جاء به المصطفون .

وهذا التضاد كما هو دلائل (أول) على ، ذكر نادهو دلائل (ثاني) على أن الباري تعالى هو المدير للموجودات . لأن نصرف لأنسان الذي نوهنا به نصرف ناقص كما هو محسوس ، ونصرف حدى القوانين نقص أيضاً كما هو معقول ، ولا بد لنا من نصرف اكمل لأنه ظهر لنا شيء شاهدان هناك فوقه ، ما هو اكمل فالتصريف الاكمل هو لا كمال شيء فيجب أن يكون

هو الباري تعالى رب العالمين . فكان الله تعالى خلق الانسان خلقاً خاصاً مدركاً ليعرفه بنفسه وخلق فيه امثلة من الكمال ليعلم كمال الله ويعرف ان يعجده - وهو الغني - بمبارات يستعيرها . واوصاف يستعين بها مما عرف من الكمال المتجلي بنفسه المصنوعة على ابداع مثال في المحسوس ، وأقرب مثال في المعقول ، ثم ليدل بنقصه على كماله لم يجعله جازماً مستقلاً في ارادته ولا دائماً مستمراً في حياته ، ولا متحداً منتظماً في كلامه ، ولا مجيداً في كل تصرفه ، ولا كاشفاً لكل شيء في علمه ، بل لم يجعل افراده وهم واحد في النوع على نسق واحد في الإرادة والحياة والكلام والقدرة والعلم . فكانه اراد ان يبين بهذا التفاوت في الأحوال والدرجات ناقصاتهم وناقص وكاملها واكمل لتجلي برهانه ان له السلطان والملك وبيده الامر كله والحكم وهو دايد (ثالث) على ان الشرائع والاداب التي جاء بها المصطفون انما هي بوحى منه لانها معرفة به باديء بدء نصاً على وفق ما تعرف به خلقه الانسان حالا واسارة وهذا اكمل تعريف وهيئات ان يستقل به عقل الانسان الناقص المتردد والتعريف الحق به هو اول ركن من اركان الشرائع التي يراد بها زجر النفوس

و « محمد » ذلك الرسول العربي (عليه الصلاة والسلام) قد لبث في الاميين زمناً طويلاً من عمره . ثم ظهر عليهم وهو الانبي بعمارف من عالم الغيب يملاً شرحها على اسلوب الفلسفة دفاتر ، وأتى من القواعد العامة التي تصلح شرعاً لكل زمان ومكان بما يملاً التفريع عليه أسفاراً ، ومن الآداب الجميلة بكلمات يسيرة ، بما يعجز أساطين علم الأخلاق عن ترتيب مثلها بدواوين ، فام بالامر وحيداً . وصدع بالهدي على رؤوس

الملا فقول بالرد والدفع . فصبرت نفسه ولم تجزع ، وكبرت همته ولم
تصغر ، واشتد عزمه ولم يضعف ، وما زال يخطب ويدعو ، ويؤنب
طوراً ويترفق مرة ، حتى انتصر وأمر أمره . وتهذب على يديه جماعة
منهم يقولون ان يتسلطوا بسلطاني العدل والاحسان على الأرواح والاشباح
وما زال اسمه يسمو ، ودينه ينمو ، حتى طاف المشارق والمغارب ، واستقر
في نفوس الاعاجم والأعارب ، فمافي دينه من الأدب الرافع ، والنظام
النافع ، ومافي قومه الذين رباهم وأرشدتهم من علو الهمة ، ومضاء الزئمة ،
ومافي انتشار دعوته في حياته وبعد مماته هذا الانتشار العجيب ،
وما في سيرته الخصوصية من الكمال الانساني البديع ، وما في بقاء
قرآنه على الحفظ من التبديل ، وما في وعوده التي وعد بها المؤمنين
(كتمكنهم في الارض وصيرورتهم خلفاء في الارض) من الصحة ، كل
هذه تكني من سلست قدرته ، وصحت فطنته ، ان يعلم صحة دعواه ،
وفضيلة هداه ، ولا ينكر هذا الا مقلد أو مائد . اللهم صلي وسلم عليه
ماشرك الشاكرون ، وذكروه الذكرون

—اليوم الآخر—

بين الفلاسفة والمتكلمين اختلافات كثيرة في امكان الحس وعدمه
وفي وقوعه وعدمه . وفي لزومه وعدمه . وفي كيفيته . ونحن نختم هذه
الرسالة بهذه الكلمة :

العقل حين يرى ان لانساني لم يبلغ في هذه الحياة غايته من سبيل
الارتقاء . لامن حيث الصورة لأنه يموت . ولا من حيث حال لأنه
في شقاء الطلب والهرب . وفي شقاء التردد بين الحصول والحرمين

والتوفيق والخذلان ، ولا من حيث العقل لانه مخجوب عن عالم الغيب ،
 يمنح الى انه لا بد من يوم آخر ليبلغ فيه الانسان غايته من حيث عدم
 الفناء ، ومن حيث عدم الحجاب ، ومن حيث التخلص من الازدحام ، فينقسم
 فيه الناس الى صنفين متباينين قسم في جنة نعيم البال وسعادة الرضاء بما
 كسبوه في حسن تصرفهم ونعم المصير . وقسم في سعي شقاء الحال وشفاء
 الندم على ما اجتروا به بسوء تصرفهم وبئس المصير .

لنعي هذا أوجه حسك وعقلك الى انتهاء الاجسام المركبة الفانية الى
 اجسام بسيطة باقية سواء رجعت بها الى المبدأ او ذهبت بها الى
 المصير بتصوير ما . فهذا يرشدك الى امكان ان يرجع الشيء الباقي لاصله
 مهما امتزج بغيره . والروحانيون من الفلاسفة لا يقولون بفناء الروح كما
 لا يقول الماديون منهم بفناء البسائط . فالروحي ان يلزمه ان لا يستبعد
 رجوع هذه الروح يوماً من الايام كما جاءت اولا للماهية التي عرفت بها لتبلغ
 تلك الماهية بهذه الروح في ذلك اليوم غايتها التي اعدت لها . والمادي
 يلزمه ان لا يستبعد امتزاج تلك البسائط امتزاجاً دائماً في يوم آخر كالا امتزاج
 الاول الذي حصلت منه ماهية حي من الاحياء ليلعب هذا الحي بهذا الامتزاج
 الثاني (الذي يحصل على كيفية انية) في هذا اليوم الاخر غايته التي اعدت
 له . وعاز على من يعلم ان الماس (هذا الجوهر الكريم عندنا) قد استخلص
 من جنسه الفحم حتى صار كما يرى ان يستبعد ان يستخلص الانسان
 (هذا المخلوق المدرك الكريم عند فطره تعالى) من جنسه الحيوان .
 وفريق منه من نوعه الانسان بأعظم من هذا المثال . اما اذا لم نقل باليوم
 الآخر فأن تميز الانسان على الحيوان اذا ماتا مينة واحدة واين تميز

الابرار على الاشرار اذا كان الامر مقصوداً على هذه الحياة .
 اقول قولي هذا واستغفر الله وانيب اليه واسأله لي ولكم الهداية
 والتوفيق الى سبيل السلام . اهـ في رمضان سنة ١٣٢٠ (ع . ز)



❦ باب شبهات المسيحيين . وحجج المسلمين ❦

« يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ
 مُسْمَعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَا بَالْسِتِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
 وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ . . . »

قد علم قراء المنار أننا لم نفتح هذا الباب للطعن في دين النصارى أو
 غيره ابتداءً وإنما فتحناه لرد شبهاتهم الى ربما تشكك الجاهل بالاسلام
 في الدين مطلقاً فتفسد أخلاقه ويكون مصيبة على نفسه وعلى الناس . ولا
 غرض اطعن الطاعنين بالاسلام الا هذا التشكيك الذي يحل الرابطة
 الاسلامية ويضعف المسلمين لانه يخرجهم عن كونهم أمة فيكونون أفراداً
 مقطعين ، لا جنسية لهم ولا دين ، ولو أنهم كانوا يضعون في تنصيرهم
 لكان لهم عندنا بعض العذر . ولكن التجربة أفادت التاريخ ان ملايين
 من النصارى صاروا مسلمين ولا يوجد بازاء كل مليون من هؤلاء واحد
 من المسلمين تنصر الا ما كان من أفراد ليس لهم من الاسلام لا وراثه
 الاسم عن آباءهم الأولين .

قيل للسيد جمال الدين لأفغانى الحكيم السهر (رحمه الله تعالى) .
 ما سبب الدعوة الى مذهب الدهريين في الهند وعدم لاقصا ر على الدعوة

الى النصرانية ؛ فقال إن المسلم يستحيل ان يكون نصرانياً لأن الاسلام نصرانية وزيادة فهو يأمر بالاعتقاد بنبوة عيسى وحقية دعوته ويرفض الخرافات والبدع التي زادت بها الجمعيات النصرانية في دينه . فلما جرب الدين يبنغون حل الرابطة الاسلامية الدعوة الى النصرانية فلم تنجح عمدوا الى تشكيكهم في أصل الدين المطلق بالدعوة الى الدهرية ،

وكذلك لما رأى مثل صاحب الجامعة أن تشكيك المبشرين بالنصرانية لم ينجح في المسلمين من الطريق الديني انبرى لتشكيكهم من الطريق العلمي وبذل جهده لإقناعهم ^(١) بأن دينهم كغيره عدو للعقل والعلم و ^(٢) أن أئمتهم في العقائد (المتكلمين) ينكرون الاسباب و ^(٣) أن جمع السلطة الدينية والسلطة السياسية المدنية في خليفة الاسلام ضار بالمسلمين وموجب لتأخرهم . ومن رأى صاحب الجامعة أن المسلمين اذا أرادوا الترقى والنجاح فلا بد لهم من سماع نصيحته وهي ^(١) أن يضعوا دينهم في جانب من العقل والعلم لانهما قاضيان بهدمه كقضائهما بهدم النصرانية فاذا حاولوا الجمع بين الدين والعلم كما ينصح لهم بعض أئمتهم بما ينشر في المنار وغيره فانما يحاولون محالاً بل انما يهدون دينهم فيخرجون بلا علم ولا دين . و ^(٢) أن يعتقدوا أن سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات مطردة في الواقع خلافاً لما يحكم به الدين وعلماء الكلام فاذا صدقوا بالواقع فعليهم أن يكذبوا أئمتهم والعكس بالعكس . و ^(٣) أن يجعلوا خليفة لهم حاكماً مدنياً يخرج الشرائع والاحكام ويتركوا ما شرعه الله لما شرعه السلطان ويجعلوا الدين خاصاً بالعبادة لله تعالى . أي أنه يجب على المسلمين في رأي صاحب الجامعة أن يتركوا نصف دينهم وهو أحكام المعاملات الدنيوية ويجعلوا

التصنيف الثاني لمن يريد أن يترك العقل والعلم والاسباب لاجل البهانة .
 هذا ملخص نصيح صاحب مجلة الجامعة للمسلمين ولاجل أن يجعله
 مقبولا اوردهم كلمات من بعض ثقتهم حرفها من . منها ما يحذع البسطاء
 بها وانما نشرح هذه المسائل ونبين الحق فيها ليكون حجة على هؤلاء المستدين
 الذين يريدون ليطعنوا نور الله ما هو اهلهم والله منهم نور ونوكره الكافرون .

﴿ الاسباب أو سن الله تعالى في الخلق ﴾

ولدت الامم النيران لها

ذكر صاحب الجامعة في كتاب لفته أننا اوردنا قوله تعالى « ولن نجد
 استعانة عند بلا » لاثبت أن التوهم ليس الطبيعي لا تغير ولا قبل ثم قال :
 « مع انه لو قام حجة الاسلام الامام الترمذ من قبره وسمع هذا القول
 لكسر قلم صاحب تلك المجلة وضحك من بساطته وعدم اعتنايه على
 الشؤون التي يفت فيها لأنه استشهد بتلك الآية للفرص الذي ذكره مع
 أنها لم ترد في القرآن لهذا الامر بوجه الاعلاق .

يقول هذا صاحب الجامعة تيمنا خلافة المسلمين بأن « فحكم هو به
 من الحكم تفسير كتاب الله برأيه لأعين متنبس من الامام الترمذي
 الذي حرف قوله عن موضعه وذهبههم سرده منه .

اذ كان الترمذي يضحك من (بساطته) ان اخذ معظم علمه في الدين
 من كتابه إحياء العلوم اعتصاما وعملا ودرسه من أول نشأته المرة بعد
 مرة كما درس كل ما اطلع عليه من كتبه بأعين وخلص فهل يصحك
 او يكتفي من (تركيب) واحد « ند الشمس « كلاءه كلمة يجردها عن موصفها

ايغش المسلمين بشيء يخالف دينهم محجباً بكلام امام من انتمهم ولا موضع للاحتجاج ؛ تترك مثل هذا ونسرد مذهب الغزالي في الاسباب وسنن الله تعالى ونين الحق في المسألة التي اشتبه فيهما على كثير من الناس حتى صار التشكيك فيها متيسرا لمثل صاحب الجامعة مع عوام المسلمين الذين لا يزال فيهم من يقرأ ما يكتبه ذهبا مع سماحة الاسلام

مذهب الغزالي : قال حجة الاسلام في الفصل الثالث من كتاب التوكل مانصه : « الاسباب التي يجلب بها النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظناً يوثق به وموهوم وهما لا تشق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه . (الدرجة الاولى) المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسيات بها بتقدير الله ومشيته ارتباطاً مطرداً لا يختلف كما ان الطعام اذا كان موضوعاً بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليه وتقول : انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وأبتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله : فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء . فانك اذا انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شعباً دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكاً لمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهات سنة الله تعالى . وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتاً من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل هذا جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه ، اه بحروفه

وبعد ان قرر ان هذه الدرجة لا يأتي فيها التوكل بترك العمل تكلم عن الدرجة الثانية وهي ما كان السبب فيها مظاهرنا وبين ان التوكل لا يأتي

فيها أيضاً قال مانصه: « فاذاً التباعدا عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض التوكل »

هذا التفصيل في جلب المنافع وقد أورد مثله في منها وفي دفع المضرات التي أسبابها قطعية أو ظنية وبين ان التوكل انما يكون في ترك الاشياء الوهمية كالرقية والطيرة والسحر التي ورد بها الحديث . ومما صرح فيه بذكر السنة الالهية هنا قوله : « وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقض التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً » ثم أورد الشواهد من الكتاب والسنة وهي مشهورة .

وقال في الكلام على التداوي وهو من منع المضار هذه الكلمة الجائلة : « ليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلاً » . وقال أيضاً في تداوي النبي صلى الله عليه وسلم « وإنما لم يترك الدواء جرياً على سنة الله تعالى وترخيصاً لأمنه فيما تمس اليه حاجاتهم »

وأظهر من هذا قوله بعد شرح طويل بالاسباب : « فبهذا تبين أن مسبب الاسباب أجرى سنته برابط المسببات بالاسباب إظهاراً للحكمة والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما أن الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجيين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه لا في أحد من أحدهم أنت . ما جنة جوع والعطش بالماء والخبز جي واضح يدركه كافة الناس ومما جنة الصفراء بالسكنجيين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بتجربة التحق في حقه

بالأول . والثاني ان الدواء يسهل والسكنجيين يسكن الصفراء بشروط
 آخر في الباطن وأسباب من المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها
 وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال . وأما زوال
 العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطاً كثيرة وقد يتفق في الموارد
 ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر . واختلال
 الأسباب أبداً ينحصر في هذين الشيئين والا فالسبب يتلو السبب لا محالة .
 تمت شروط السبب ، اه بحروفه

فأي نص في التلازم بين الأسباب والمسببات أقوى من هذه الجملة
 الأخيرة ؟ فهذا هو الامام النزالي الذي يؤم المسلمين صاحب الجامعة
 بأنه ينكر الأسباب وينكر ان معنى سنة الله التي لا تبدل ولا تحول
 الأسباب وارتباطها بالمسببات . فهل بعد هذا يوثق بقول صاحب الجامعة
 أو بحسن قصده ؟ وهل يجوز لغير العالم الراسخ ان ينظر في قول هذا
 المشكك الذي يريد ان يفسد على عوام المسلمين عقائدهم ؟؟

(التوفيق بين هذا وبين مقاله في تهافت الفلاسفة)

مسألة الانسباب التي شرحها الامام النزالي في كتاب التوحيد
 والتوكل هي ما يعتقده المسلمون وانما كتبها للمسلمين لانه يبين في هذا
 الكتاب مقام التوكل الذي هو أعلى مقامات الايمان . وله كلام آخر
 في هذه مسألة مع الفلاسفة لا مع المساميين . وكلامه هناك يجب ان
 يكون بلسان يخالف هذا اللسان ولكن لا يناقضه ذلك انه هنا يشرح
 الواقع الذي يدل عليه الوجود وينطق بموافقة الشرع وهناك يتكلم
 على العال والتأثيرات الحقيقية في اليجاد والاعدام وما قاله في الموضوعين

هو الحق الذي لا محيد عنه كما بينه

ولا بد قبل الخوض في القسم الثاني من كلمة تمهيدية في الموضوع وهي ان المغرورين بالظواهر من الفلاسفة المتقدمين كانوا ينزلون الاسباب العادية الظاهرة منزلة الملل العقلية القاطعة وينسبون اليها التأثير ويزعمون أنها مطردة اطراداً ضرورياً يستحيل انفكاكه . ولو نهضت لهم الحجة البالغة على ذلك لما خالفهم المسلمون لان القاعدة المتفق عليها عند المتكلمين هي ان قدرة الله تعالى وارادته لا تتعلقان بالمستحيل وإنما تتعلقان بالممكن فقط . ولكن لا حجة لهم على ذلك وإنما هي شبهات كشف الحجاب عنها الغزالي وغيره . وتلك الاسباب التي مر القول في اطرادها ممكنة فهي مطردة بفعل الله تعالى

ولو سلم الناس بقول اولئك الفلاسفة لوقفت حركة العلم عند تلك الظواهر التي كانوا يرون تغييرها محالاً عقلياً وإنما المحال العقلي شيء واحد وهو اجتماع النقيضين او الضدين المساويين للنقيضين او ارتفاعهما . ولو ان هذه الغرائب التي كشفها العلم في عصرنا ذكرت لاولئك الفلاسفة القاصرين لجزء وباستحالتها ووردوا على ذلك من الشبهات النظرية مثلما اوردوه على القول ببعث الاجساد . وأمثلة ببعث الاجساد ظاهرة اليوم لعلماء الكيمياء ظهوراً تاماً قال الامام الغزالي في كتاب تهافت الفلاسفة ما نصه : « هذا ما اردنا ان نذكره في العلم الملقب عندهم بالآبي ، اما الملقب بالطبيعات فهي علوم كثيرة نذكر أنواعها لتعرف ان الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا انكارها الا في مواضع » . ونبه القاري على عطفه الانكار على المنازعة لتغايرها فالانكار هو القول ببطلان الشيء مرة واحدة والمنازعة هي

المباحثة في دليله ليظهر الصواب مأخوذة من منازعة الثوب بين اثنين .
ثم قال الامام بعد سرد انواع العلوم الطبيعية المعروفة الى ذلك العهد «وانما
نخالفهم من جملة هذه العلوم في اربع مسائل (الاولى) حكمهم بان هذا
الاقتران المشاهد في الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة
فليس في المقدور ولا في الامكان إيجاد السبب دون المسبب ولا وجود
المسبب دون المسبب وأثر هذا الخلاف يظهر في جميع الطبيعيات » الى
ان قال ما نصه « وإنما يلزم النزاع في الأولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات
المعجزات الخارقة للعادة من قلب العصا ثعباناً وإحياء الموتى وشق القمر .
ومن جعل مجاري العادات لازمة لزمه ما ضرورياً أحال جميع ذلك . واولوا
مافي القرآن من إحياء الموتى وقالوا اراد به إراله موت الجمل بحياة العلم
واولوا تلقف العصا اسحر السحره بإبطال الحجة الإلهية الظاهرة على يد
موسى شبهات المنكرين . وأما شق القمر فربما أنكروا وجوده وزعموا
أنه لم يتواتر » اهـ بنصه

واينظر طلاب الحقيقة الى تحريف صاحب الجامعة النصرانية قول
الامام كيف كان . الامام قال هو ايدى النزاع في الاولى من حيث أنه ينتفي عايتها اثبات
المعجزات ، ومعناه ان محل النزاع في المسئلة الاولى هو إنتفاء إثبات المعجزات
بجعلها من المحالات العقلية الي لا يمكن وجودها ولا تتعلق قدرة الله بها .
وصاحب الجامعة يقول عن ان هذا الامام ما نصه : ثم قال وانما يجب علينا
إكراه هذا القول لانه ينتفي به اثبات المعجزات ، فجعل (الانكار) محل (النزاع) وزاد عليه
جعله واجبا . وقد بينا الفرق بين الانكار والنزاع آنفا . فاذا كان نقل
صاحب الجامعة عن رنان وعن غيره على هذا النحو من الفهم والامانة

فاننا نهني من يقرأ ما يكتبه بأن علمه عين الجهالة ، وهدايته نفس الضلالة
ثم قال الامام الغزالي في بيان الحق في المسئلة من طريق العلم المؤيد
لما يعتقده المسلمون ما نصه : « الاقتران بين ما يتقد في العادة سبباً وما
يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا
ولا إثبات احدهما متضمن لإثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر
فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم
أحدهما عدم الآخر مثل الري والشرب . والشبع والاكل . والاحتراق
ولقاء النار . والنور وطلوع الشمس . والموت وجز الرقبة . والشفاء
وشرب الدواء . واسهال البطن واستعمال المسهل . وهلمجراً الى كل
المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف . وإن
اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه خلقها على التساوق لا يكونه ضرورياً
وفي نفسه غير قابل للعرق بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت
دون جز الرقبة وإدامة الحياة مع جز الرقبة وهلمجراً الى جميع المقترنات
وانكر الفلاسفة ما كانه وادّعوا استحالة ثم ضرب لذلك مثلاً واضحاً لا حاجة لذكره
وما ذكره الامام الغزالي هنا هو ما عليه فلاسفة هذا العصر فانهم
لا يقولون بأن شيئاً من هذه المقترنات في العادة المعروفة بالاسباب
والمسببات هو ضروري وجب عقلاً وانفكاً كهحال لا يتصوره العقل
بل كل هذه الاشياء عندهم ممكنة . وانفكاً كالتلازم وقع كثير ويسمون
مالا يعرفون له منه علة « لذات الطبيعة » وبعض لانفكاً كان بم
اكتشفه العلم من اسرار الكون وتوقعون بهذه لاكتشافات ما يقع
كاحياء الموتى ولو كان في نظرهم محالاً لا يوقعوه . ولكن صاحب جماعة

لا يميز بين الضروري والممكن فيخلط المسائل بعضها ببعض . وقد صرح الغزالي فيما تقدم آنفاً بان المتلازمين في العقل تلازماً يثبت به أحدهما بثبوت الآخر وينتفي بانتفائه هما اللذان يستحيل انفكاك تلازمهما لان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل

(الوفاق بين قولي الغزالي ومذهب باكون)

تقدم ان الغزالي قال في كتاب التوكل ان سنة الله في نظام الكون هي ان الاسباب مرتبطة فيه بالمسيبات ارتباطاً كلياً لا يختل الا اذا لم تستوف الشروط التي يتحقق بها السبب حتى قال ان السبب يتلو المسبب عند عدم المانع والاحالة، وفسر مثل قوله تعالى « فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً » بهذا النظام في الارتباط بين الاسباب والمسيبات وهو التفسير المتعين . وقال في كتاب تهافت الفلاسفة ان هذا الارتباط بين الاسباب والمسيبات العادية على اطرافه ليس بضروري في نظر العقل وعدمه ليس محالاً وانما هو ثابت في الواقع ونفس الامر بحكمة خالق الكون ومدبره واذا كان الله قد أحكم بحكمته الروابط بين حوادث الكون فينبغي للناس أن يبحثوا عنها ويهتدوا بها في مصالحهم ومنافعهم ولا يتوقف هذا الاهتداء على كون كل ما يظهر في العادة سبباً لشيء ان يكون انفكاكه عنه محالاً عقلياً ويعلم الناظر في فلسفة القدماء أنهم كانوا يعتمدون على الادلة النظرية في الحكم باستحالة الشيء أو إمكانه أو وجوبه عقلاً فالغزالي وغيره من أئمة علم الكلام بينوا ان المستحيل العقلي هو ما كان بمعنى اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما أو اجتماع الضدين بمعنى النقيضين . وقالوا ان المستحيل والواجب الضروري في نظر العقل لا يتعلق بهما قدرة الله تعالى وإنما تتعلق

قدرة الله تعالى بالممكن فقط . فكانت فائدة قول المتكلمين في أمرين عظيمين هما أساس لترقي البشر (أحدهما) ان ما ثبت أنه ضروري (واجب) أو مستحيل لا يطمع فيه الطامع لا من جهة الكسب ولا من جهة الالتجاء الى الله تعالى لانه لا يتغير . (ثانيهما) ان للممكنات سناً منتظمة ينبني للانسان ان يعرفها وينتفع بها ولكن لا ينبني أن يوقف حركة استعداده عند ما يظهر له بادي الرأي أنه لا يتغير بل عليه أن يبحث لعله يقف على سنة إلهية أخرى تكون السنة التي ظهر له اطرادها مشروطة بها فيجمع بين الانتفاع بالسنتين معاً . مثال ذلك أن السنة الإلهية الظاهرة في النار أنها تحرق ما يقبل الاحتراق . فلا ينبني للانسان ان يجزم بأنه لا يمكن ان ينفي هذا الاحتراق لأنه ضروري بل عليه أن يبحث لان الاحتراق ممكن وربما يكون حصوله مشروطاً بانتفاء وجود مادة من المواد لو عرفت بمنع الاحتراق بها . وقد اكتشِفَ الآن ما يمنع الاحتراق في الجملة وانتفع به في وقاية المكاتب العمومية

فهذا التقرير أتي حجة الاسلام على تلك الفلسفة النظرية من القواعد (وإن أساء ابن رشد في فهم بعض قوله وكأبره في بعضه) وأظهر حكم الدين الاسلامي في إطلاق العقل الانساني من تلك القيود النظرية ليسبح في ملك الله مهتدياً بسنن الله فيه . وقد جرى (باكون) على هذا الأثر فقرّر ان الأدلة النظرية لا يتمد عليها في إثبات المسائل العلمية مالم تؤيد بالتجربة والاختبار . قال باكون هذه الكلمة التي يعدونها أساس النهضة العلمية الجديدة في أوروبا وقد كانت معروفة عند المسلمين من قبله (كما تقدم في مقالات الاسلام والنصرانية) وما كانت عنده أكثر جلاء

ووضوحاً لأنه كان يعتقد بخلافها كالتنجيم والكيمياء القديمة وحجر الفلاسفة وهي أمور وهمية لا ترتقي إلى أن تكون نظرية مبنية . ولكن لوربا كانت مستعدة بارتقاء العلم فيها إلى الأخذ بما قال من وجوب الاعتماد على التجربة والاختبار فعملوا بذلك وارتقى العلم به وعد باكون إمام هذه الطريقة التي قررها المسلمون وعملوا بها من قبله

والنتيجة أن صاحب الجامعة أخطأ في زعمه أن الامام النزالي أنكر الأسباب . وفي زعمه أن مذهبه في السنن الإلهية غير ما قلناه في « المنار » وندعو إليه دائماً . وفي زعمه أن بينه وبين قاعدة باكون سوراً عالياً . وفي زعمه أيضاً أن التلازم بين الأسباب والمسببات أو النواميس إذا لم يكن ضرورياً (أي واجباً عقلياً يستحيل عدمه) تصير النواميس فوضى فإن خالق الكون وواضع نواميسه إذا كان حكيماً لا يفعل شيئاً إلا بنظام كما دل على ذلك كتابه العزيز ودل عليه الوجود فكيف يكون الأمر فوضى . ومن قال أن النظام في الكون مشروط بكون الله تعالى غير قادر وغير حكيم ؛ ما قال بهذا إلا صاحب الجامعة النصرانية يثبت أن مذهب المتكلمين المسلمين باطل في نفسه ومؤيداً إلى إنكار حكمة الله تعالى وقدرته . ولم نر من المنكرين على الذين أشد تهافتاً في طعنه بالاسلام وأئمة الاعلام مثل هذا الكاتب الجديد الذي حاول الشهرة والنجاح من غير طريقهما كما فعل ذلك المعتوه الذمسي تخلي في مذهب تلك الكنيسة العظيمة ليشتري اسمه . فبئست الشهرة بمكابرة الحق وتحريف كلام الأئمة لأجل دريهمات تيجي . من عدوا الاسلام ، يجب أن يتشنى من أهله ولوبزور الكلام ، وهو أعلى من أن أخرج إليه الأوهام ،

القسم العمومي

الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى

في مكة المكرمة . يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦
 في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية وقرأ البليغ الاسكندري ضبط اليوم السابق
 على العادة المألوفة وأذن الأستاذ الرئيس لاسيد القرآني بإتمام بحثه
 فقال (السيد القرآني) ان من أعظم أسباب القصور في المسالمين غرارتهم أي
 عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لانه ليس فيهم من يرشدهم الى شيء من
 ذلك بخلاف الامم الأخرى فان من وظائف خدمة الأديان عندهم رفع الغرارة أي
 الارشاد الى الحكمة في شؤون الحياة . وأما الأتقوا الذين ليس عندهم خدمة دين أو
 شراذم الذين لا ينتهون لخدمة دينهم فستقنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو
 التربية المدرسية والأخذ من كتب الأخلاق وكتب تدبير المنزل ومفصلات فن
 الاقتصاد والتواريخ المتقنة والرومانات الاخلاقية والتمثيلية أي كتب الحكايات الوضعية
 ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسالمين
 على ان الخاصة السالمين من الغرارة علماء لا يقوون غالباً على العمل بما يعلمون
 لأسباب شتى منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت العنقواية
 والصبوة ومنها عدم التمرن والالفة (١) ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطات بهم الإستمرار
 على نظام مخصوص في معيشتهم
 ثم قال ولا أرى لزوماً الاستدلال على استيلاء غرارة عاين لأنهم مدركة مساهمة
 عند الكافة وهي ما ينطوي تحت أجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحان يقوتنا : ان
 المسلم مصاب . وان الله اذا أحب عبداً ابتلاه . وان أكثر أهل الجنة ابه . وحسب
 ابن آدم اقيبات يقمن صابه . وان غيرنا مستدرجون . ونهم كلاب تدين . ونهم
 يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا . ونهم في غفلة عن الموت وغفلة عن الدنيا شاخت .
 ثم قال فمن الغرارة في طبقاتنا كافة من الملوك الى الصعاليك انت لا ترى ضرورة
 الاتقان في الأمور وقاعدتنا ان بعض الشيء يعني عن كله . والحق ان الاتقان ضروري
 ١ . كما يتربى أولاد أكثر أمراءنا على أيدي اللات أو خادمت وما أدراك
 ما تلك الحيوانات . اه من هامش الأصل

للتجّاح في أي أمر كان بحيث إذا لم يكن مستطاعاً في أمر يلزم ويتحتم ترك ذلك الأمر كلياً والتحوّل عنه إلى غيره من المستطاع فيه إيفاء حق الإِتيقان .

(ومن الغرارة) توهمنا أن شئون الحياة سهلة بسيطة فنظن أن العلم بالشيء اجمالاً ونظرياً بدون تمرّن عليه يكفي للعمل به فيقدم أحدهنا مثلاً على الإمارة بمجرد نظره في نفسه أنه عاقل مدير قبل أن يعرف ماهي الإدارة علماً وتمرّن عليها عملاً ويكتسب فيها شهرة تعينه على القيام بها .

ويقدم الآخر منا على الاحتراف مثلاً ببيع الماء للشرب بمجرد ظنه أن هذه الحرفة عبارة عن حملة قريبة وقدحاً وتعرضه للناس في مجتمعاتهم ولا يرى لزوماً لتلقي وسائل الإِتيقان ذلك عمن يرشده مثلاً إلى ضرورة النظافة له في قربته وقدحه وظواهر هيئته ولباسه وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه (كذا) ويوهم بصفاته لبشهي به ومتى يغلب العطش يقصد المجتمعات ونحري منها الحباية له عن المزاحمين وكيف يتزلف للناس ويوهم بلسان حاله أنه محترف بالإسقاء كفاً لنفسه عن السؤال إلى نحو هذا من دقائق الإِتيقان الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها وإن كانت صنعة بسيطة حقيرة .

ومن الغرارة ظننا أن الكياسة في: أدري وأقدر: جواباً للنفس في مقاصد كثيرة شتى والحقيقة أن الكياسة لا تحقق في الإنسان إلا في فنٍّ واحد فقط يتولع فيه فيتقنه حق الإِتيقان كما قال تعالى « مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ » فالعاقل من يخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره: لا أدري ولا أقدر: لأن الأول يتكلف أعمالاً لا يحسنها ففسد عليه كلها والثاني يحري لكل عمل لازم له من يحسنه فتنتظم أموره ويهنا عيشه .

فالملك مثلاً وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يشق بأخلاقه ويعتمد على خبرته في انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكليات فالملك مهما كان عاقلاً حكيماً لا يقدر على إِتيقان أكثر من وظيفته المذكورة . فالملك إذا تفرّج وتنزل للتدخل في أمور السياسة أو الإدارة الملكية أو الأمور الحربية أو القضاء فلا شك أنه يكون كربت يت يداخل طباخه في مهته ويشارك بستانيه في صنعة فيفسد طعامه ويبور بستانه فيشتكي ولا يدري أن آفته من نفسه .

ومن « الغرارة » اللوث في الأمور أي تركها بلا ترتيب والحكمة قاضية على كل إنسان ولو كان زاهداً منفرداً في كهف جبل فضلاً عن سائس رعية أو صاحب عائلة

ان يتخذ له ترتيباً في شئونه وذلك بأن يرتب

(اولاً) أوقاته حسب أشغاله ويرتب أشغاله حسب أوقاته والشغل الذي لا يجد

له وقتاً كافياً يهمله بالكلية او يفوضه لمن يفي حق القيام به عنه .

(ثانياً) يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه فان ضاق دخله عن المبرم من

خرجه يغير طرز معيشته ولو بالتحول مثلاً من بلدة الغالية الأسعار او التي مظهره

فيها ينمحه من الاقتصاد الى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه .

[ثالثاً] يرتب قليل غائلة عائلته عند أول فرصة ملاحظاً اراحة نفسه من الكد في

دور العجز من حياته فيربي أولاده ذكوراً وإناثاً على صورة ان كلاً منهم متى بلغ

أشده يمكنه ان يستغني عنه بنفسه معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه .

(رابعاً) يرتب أموره الادبية على نسبة حالته المادية أعني يرتب أموره الدينية

ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً فلا يحمل نفسه منها ما لا تطيق الاستمرار عليه .

(خامساً) يرتب ميله الطبيعي للمجد والتعالي على حسب استعداده الحقيقي فلا

يترك نفسه تتناول الى مقامات ليس من شأن قوة المادية ان يبلغها الا بمحض الحظ

اي المصادفة . وخلاصة البحث ان الفرارة من أقوى اسباب الفتور وقد اطلت في

وصفها وإيضاحها ليتأكد عند السادة الاخوان ان ازالة اسباب الفتور الشخصي

ليس من عقبات الامور .

ثم قال ان لانحلال اخلاقنا سبباً مهماً آخر ايضاً يتعلق بالنساء وهو تركهن

جاهلات على خلاف ما كان عليه اسلافنا حيث كان يوجد في نسايتنا كأم المؤمنين عائشة

رضي الله عنها التي اخذت عنها نصف علوم ديننا وكلمات من الصحابييات والتابعيات

راويات الحديث والمتفقهات فضلاً عن 'لوف من العالمات وانشاعرات' — اللاتي في

وجودهن في العهد الاول بدون انكار — حجة دامغة رغم انك غير المؤمن يزعمون

ان جهل النساء احفظ لعفتن فضلاً عن انه لا يقوم لهم برهان على ما يتوهمون حتى

يصح الحكم بان العلم يدعو للفجور وان الجهل يدعو للعفة . نعم ربما كانت العامة اقدر

على الفجور من الجاهلة ولكن الجاهلة اجسر عليه من العامة . ثم ان ضرر جهل النساء

وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات امر واضح غني عن البيان وانما سوء تأثيره في

اخلاق الأزواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث فاقول .

ان الرجال ميالون بالطبع الى زوجاتهم والمرأة اقدر مطلقاً من الرجل في ميدان

التجاذب للاخلاق ولا يتوهم عكس ذلك الأمن استحکم فيه تغریر زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته حل كون حقيقة الأمر انها قابضة على زمامه تسوقه كيف شامت . ويتغير آخریغره انه أمامها وهي تتبعه فيظن انه قائد لها والحقيقة التي يرها كل الناس من حولها دونها انها انما تمسني وراءه بصفة سائق لا تابع . وما قدر قدر دهاء النساء مثل السريعة الاسلامية حيث أمرت بالحجب والحجر السريعين حصراً لسلطتهن وتفرغهن لتدیر المنزل فأمرت باحتجابهن احتجاباً محدوداً بعدم ابداء الزينة للرجال الاجانب وعدم الاجتماع بهم في خلوة أو لغير لزوم . وأمرت باستقرارهن في البيوت الا لحاجة ولا شك انه ما وراء هذه الحدود الا فتح باب الفجور . وما هذا التحديد الا مرحلة بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة .

والصينيون وهم أقدم البشر مدنية التزموا تصغير أرجل البنات بالضغط عليها لاجل ان يعسر عليهن المشي والسعي في افساد الحياة الشريفة ذاك الشرف الذي هو من أهم مقاصد الشرفيين بخلاف الغربيين الذين لا يهتمون غير التوسع في الماديات والملاذات وقد أمرت السريعة برعاية الكفاءة في الروح وذلك ايضاً مرحلة بالرجال واكثر الأئمة المجتهدين أغفلوا لزوم تحري الكفاءة في جانب المرأة للرجل وأوجبوا ان يكون هو كفواً لها فقط لكيلا تهاك بفخارها وتحكمها على ان لرعاية الكفاءة في المرأة بالنسبة الى الرجل ايضاً . وجبات عائلية مهمة منها التحير للاستسلام والتخير اترية السبل . وللتساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الاخلاق في المدن لان الزوج بمجهولات الاصول او الأخلاق او سافلات الطماع والعمادات او بالغريبات جنساً او الرقيقات معاسد شتى لأن الرجل ينحرف طوعاً أو كرهاً لأخلاق زوجته فان كانت سافلة يتسهل لالحالة وان كانت غريبة بنضت اليه قومه وحرته الى موالاته قومه والتخلق بأخلاقهم ولا شك ان هذه المفسدة تستحكم في الاولاد اكثر من الأزواج

وربما كان أكبر مسبب لانحلال اخلاق الامراء من المسلمين اتاهم من جهة الامهات والزوجات السافلات اذ كيف يرحى من امرأة شأت سافلة رقيقة دليلة (١) أن تترك بعابها وهو في العال أطوع لها من خلجها أن يحيب داعي شهامة أو مروءة أو أن تغرز في رؤس صيتهام مقاصد سامية أو تمسهم على أعمال خطيرة كلاً لا تفعل ذلك أبداً انما تفعله الشريفات اللاتي يحدن في أنفسهن عزة وشهامة (٢) وهذا هو

(١) كالكرجيات الارمنيات والرقائق الحركسيات امهات اكثر الامراء وروحانهم

(٢) كبنات بيوت المجر الحريصات على الفجر وبنات أهل البادية والقرى الايبات النفوس

سرّ ان أعظم الرجال لا يوجدون غالباً الا من أبناء وبعول نسوة شريفات أوبيوت قروية وهذا هو سبب حرص امراء العرب والافرنج على شرف الزوجات

(ثم قال السيد الفراتي) أيضاً: واني أرى ان هذا القصور مانع في غاب أهل الطبقة العليا من الامة ولا سيما في الشيوخ مرتبة (الخور في الطبيعة) لاننا نجدهم يتقصون أنفسهم في كل شيء ويتقاصرون عن كل عمل ويحجمون عن كل إقدام ويتوقعون الحية في كل امل . ومن أفصح آثار هذا الخور نظرهم السكالي في الاجاب كما ينظر الصبيان السكالي في آبائهم ومعلمهم فيندفعون اتقايد الاجانب واتباعهم فيما يضنون رقة وظرافة وتمدناً وينجدعون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتحار به فمنهم من يستحي من الصلاة في غير الحلوات . وكإهل التمسك بالعمادات القومية فمنهم من يستحي من عمامته . وكالبعده عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قومهم من سقط البسر . وكبند التحزب للرأي كأنهم خاقوا قاصرين . وكاغفلة عن ايثار لاقرين في المنافع . وكالعود عن التناصر واتراح بينهم كي لا يسم من ذلك رائحة التعصب لدين وول كان على الحق — اني نحو ذلك من اخصال السمية في أهل خور من المسلمين حميدة في الاجاب لان الاجانب يموهون عليهم بأنهم يحسنون التحلي بها دونهم

وهؤلاء الواهنة بحق لهم ان تشق عليهم مشاركة حالات الموهة عمرهم كما قد يألف الجسم السقم فلا تبد له العافية فانهم منذ نعومة أظفارهم تعلموا لأدب مع الكبر يقبلون يده أو ذيله أو رجليه . وأنمو الاحترام فلا يدوسون اكبر وودس رقابهم . وأنفوا الثبات ثبات الأوتد تحت المطارق . وأنمو لانتقاد وولي الملهات . وأنمو ان تكون وظيفتهم في الحياة دون انبات ذل بتصاوب وهم يتقاصرون . ذلك يعيب السماء وهم يطالبون الارض كأنهم لمدوت مشتقون . وهكذ طون الامة على هذه الحصال قاب في فكرهم الحقائق وحمل عندهم محزى مفاخر محسرو يسعون التصاغر أدماً وانتدال اطماً وللملق فصاحة وللكنة رزية وترث حقوقهم حقوقيون الالهانة تواضعا والرضاء بالصد طاعة كما يسعون دعوى لاستحقاق غرور وخروج عن الشأن الذاتي فضولاً ومد نصر الى اعدائهم ولاعد . تهوراً وحمية حمقة والشهامة شراسة وحرية انقوب وقحة وحب بوح جنون

ثم قال وليعلم ان شيء الدين بعد لامة آمها باحلالهم عسى يصدق من شيء

وتتعلق الاوطان بحبال همتهم عساهم يأتون فعلاً مذكوراً هم اولئك الشبان ومن في حكمهم المحمديون المهدبون الذين يقال فيهم ان شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون بدينهم فيحرصون على القيام بمبانيه الاساسية نحو الصلاة والصوم ويحجبون مناهيه الاصلية نحو اليسر والمسكرات الذين لا يقصرون بناء قصور الفخر على عظام فخرها الدهر ولا يرضون ان يكونوا حلقة ساقطة بين الاسلاف والاخلاف الذين يعلمون انهم خلقوا احراراً فيأتون الذل والاسارة • الذين يودون ان يموتوا كراماً ولا يحيون لثاماً • الذين يجهدون ان ينالوا حياة راضية حياة قوم كل فرد منهم سلطان مستقل في شؤنه لا يحكمه غير الدين وشريك أمين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والهناء وولد بار بوطنه لا يخل عليه بجزء طفيف من فكره ووقته وماله • الذين يحبون وطنهم حب من يعلم انه خلق من ترابه • الذين يعشقون الانسانية ويعلمون ان البشرية هي العلم والبهيمية هي الجهالة • الذين يعتبرون ان خير الناس انفعهم للناس الذين يعرفون ان القنوط وباء الآمال، والتردد وباء الاعمال، الذين يفقهون ان القضاء والقدر هما السعي والعمل • الذين يوقنون ان كل ما على الارض من اثر هو من عمل أمثالهم البشر فلا يتخيلون الا المقدرة ولا يتوقعون من الأقدار الا خيراً • وأما النشء المتفرج فلا خير فيهم لأنفسهم فضلاً عن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئاً وذلك لأنهم لا خلاق لهم تجاذبهم الأهواء كيف شاءت لا يتبعون مسلكاً ولا يسرون على ناموس مطرد لانهم يحكمون بالحكمة فيفتخرون بدينهم ولكن لا يعملون به تهاوناً وكسلاً (١) ويرون غيرهم من الامة يتباهون بأقوامهم ويستحسنون عاداتهم ويميزاتهم فيميلون لمناظرتهم ولكن لا يقرون على ترك التفرج كأنهم خلقوا أتباعاً (٢) ويمجدون الناس يعشقون أوطانهم فيندفعون للتشبه بهم في التشيب والاحساس فقط

(١) اكبر ما يشق عليهم ويتكاسلون عنه الصلاة التي هي عماد الدين • ولئن خاطبهم بأسانهم فنقول : ان الطهارة والوضوء هما عين (التوالت) أو بعضه وتمكن بدقيقتين أو ثلاث وأفعال الصلاة هي عين (الجنسيتك) واكمل منه لانها موزعة ولا تستغرق الركعة منها اكثر من دقيقة فأطول صلاة تطول عشرة دقائق • بناء عليه فليكن على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم اللذين لو لم يكن فيهما حكمة غير أنهما شعار يعرفهما المسلم أنه • لكفى • (٢) هذه حكمة الشرع في حظره ترك سنة الاسلاف وتقليد الاغيار ولو في اللباس وهذه الامة الافرنجية تنفر من التقليد حتى في القياسات والموازين

دون التثبت بالاعمال التي يستوجبها الحب الصادق. والحاصل ان شؤون النشء المتفرج أيضاً لا تخرج عن تذبذب وتلون وفاق يجمعها وصف « لاخلاق لهم » والواحدة خير منهم لانهم متمسكون بالدين ولوربها وبالطاعة ولو عمياء على انه يوجد في المتفرجة أفراد غيرون كالراسخين من أحرار الأتراك الملتهمين غيرة يقتضي احترام منيتهم

ثم قال (السيد الفراتي) ان الحور المبحوث فيه علة معدية تسري من الشيوخ الى الشبان ومن الطبقة العليا الى العامة وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة والحمول وسقوط الهمة والدناءة والاستسلام فيتركوا أهل النشأة الجديدة وشأنهم لا يستهزؤن ولا يعطلون ولا يسفهون ولا يتبطون وما أظنهم بفاعلين ذلك أبداً الا ان تنصدي لهم جرائم مخصوصة تقابلهم بالوم والتبكيك وتتسلط عليهم أقلام الأدباء والسنة الشعراء بوضع أهاجي وأناشيد بعبارة بسيطة محلاة بنكت مضحكة لكي تنتشر حتى على السنة العامة . وبمثل هذا التدبير تنور حرب أدبية بين النشء والواحدة لا تلبث أن تنتهي بانكسار الفئة الثانية أولئك البائسين المتفاشلين انتوا كلين المتعاسين المتخذين المتشاكسين العاجزين عن كل شيء الا التعطيل

ومن راجع تواريخ الأمم التي استرجعت نشأتها والدول التي جددت عصيتها يجسد من حكماؤها ونجياتها مثل حسان قريش وكبت العباسيين ولوتر الأمانييين وقواتر الفرنساويين قد تغلبوا على الفكر الواهن وأنصاره من الأشراف والشيوخ وأهل الغناد والفساد بحمل لواء النشء . واثارة حرب أدبية حماسية بين الفتيين على انسان نحن تكفيها الضوضى ولا نحتاج قط للفضى لأن واهنتنا أضف من أن نحوجنا أن نتظر أم حسان تلد حسناً ورب حيلة أنفع من قبيلة (٢٤١١١٨٤٩٩٨٤٧٧١٢٤٠٤٣٣٣٢١)
٣٥٤٢٩٣٤٨٤٧٢٢٦٤٢٥٥٤٢٤٢٤٨٢٢١٣٠٧١٩٢٣٤١٧٤٦١٦٨٢٤٢١٣١١
١٩٠٥٠٥٣٣٤٧٨٦٦٢٤٥٥٢٤٤٣٨٩٢٤٢٤٤٢٣٩٤١٧٧٦٦٨٧٥٣٩٣٧٤٢٣٥
٢٥٩٤١٤١٠٢٦١١١٨١٠١٤٩٧٨٥٥٥٨٤٣٢٢٨٨٩٣٥٧٤٥
والله ولي النيات

ثم ختم (السيد الفراتي) كلامه بقوله هذا ما سنج لي في هذا المراء وقام . وتبادل مع مع الفاضل الشامي والبالغ الاسكندري انقام

قال (الأستاذ الرئيس) ان مباحث الجمعية قد استوفت حقتها وكفاني السيد الفراتي تلخيص أسباب الفتور منها ولا أرى لزوماً تلخيص بقية المباحث الدينية

وقد أعطاني أخونا المدقق التركي رئيس لجنة القانون (السانحة) التي وضعها اللجنة مطبوعة في نسخ على عدد الاخوان لتوزع عليهم فيطالعها كل منهم ويدققها قبل وضعها في اجتماعنا غداً في موقع المذاكرة حيث يبحث فيها قضية فقضية بدون جزاف وأما اليوم فقد حل أوان الانصراف
بإدراك (السيد القرائي) وفرق على كل واحد من أعضاء الجمعية نسخة من سانحة القانون فأخذوها وتفرقوا

باب التبرير والتعليل

الشذرة العاشرة منه جريدة الدكتور راسم (*)

التقليد والمذاكرة

مثل هاتين القوتين في فته العقل والتغريب به كمثل الفئات الخرافية التي كانت تظهر في بحر صقلية وتسهيوي الملاحين بشجي صوتها فتوردهم في شمابه مورد الهلكة فانهما بعلو مكانتهما وجلال خطرهما في دراسة اللغات ويخداعهما العقل أحياناً في آدابها بما يأخذانه عن الغير من محاسن القول وطرائقه يأكلان الاستعداد الحقيقي أكلاً . وقد يكون الذنب في ذلك على المرين دونهما لما ينهجونه من طريقة التربية فان أحداً لا يرتاب في كون تينك القوتين من المواهب الخلقية الميمونة بيد أن هذا لا ينبغي أن يكون سبباً للافراط في تميمها فإليك ترى التلميذ الذي تربي على طريقتنا يصف لك بما قرأه في الكتب أشياء لم يرها في حياته ويفوه أمامك بجمل من القول المنشور أو المنظوم تدل على ضروب من الوجدان هو لم يشعر بشيء منها قط ويبيدي من الهيج والافتعال في بعض أحوال لا علاقة له بها من حياة غيره ما لا أثر له في نفسه ولو أنك سألته أن يتغنى بذكر الاشجار وظلالها والانعام ورعاتها والربيع وأزهاره لوجد فيما يذكره من محفوظاته جميع ما قاله فيها فرجيل (١) وهوراس (٢) من النعوت والوصاف

(*) معرب من كتاب أميل القرن التاسع عشر (١) راجع عدد (١) من تعليقات الشذرة

الأسعة (٢) هوراس شاعر لاتيني مشهور ولد في سنة ٦٧ ومات سنة ٨ قبل المسيح

ومع انه قد يكون خيراً له أن يذهب الى المزارع ويرى بنفسه ما يحصل فيها وكيف يحصل تراه شديد الاحتراس من موافاتها خشية أن ينحسر فيها اللاتينية وما تواضع عليه الاقدمون من الصور اللفظية لتأدية ما كان يعرض لذهنهم من المعاني والأفكار وإذا استوصفته قتالا انبرى يصف لك ما استعمل فيه من الآلات وكيف كان اصطدام الجيشين بالفاظ مطبوعة وعبارات مجلجلة وهو لم يشهد شيئاً من ذلك أبداً فإذا كان مرادك اختباره في محاصرة العدو وجدته قد انتهى من حصاره كما انتهى فرتوت (١) ولقد عرفت فيما سبق تلميذاً كان يبدو عليه كثير من مخايل التجابة نال اقليلاً مكافأة له على قرضه شعراً وصف فيه زج سفينة في البحر وهو لم ير في عمره سفينة ولا بحراً.

نعم ان الشبان في هذه الايام لا يكادون ينقلتون من المدارس الا وهم رافضون لآثار السلف نابذون لما ظهروا به غير انه لا معنى لهذا الا أنهم يعتاضون عن مثل الغابرين مثل الحاضرين لان محو طيات التقليد وغضونه من النفس وارجاعها الى صقلها الفطرية ليس من السهولة بالمقدار المتوهم فاننا كل يوم نقرأ في وصف الكتاب والشعراء المبتدئين قول واصفيهم في الواحد منهم انه نابغة يفتش على نفسه فايقل لي بربه هذا الفتاش أين أضل نفسه حتى أصبح ينشدها

ان تربية تكون بدايتها إضلال وجدان الاستقلال الى حد انه ينبغي لأجل الاهتداء اليه تلمسه سنين طويلة لمن الغرابة بمكان

أنا لا أشتي ولا أرجو أن يكون «أميل» ميلاً الى وقف نفسه على دراسة آداب اللغة ولو أنني وهيلانة دأبنا في تحييدها اليه وأفاحنا في حجب حالة عقله بزخارف الذاكرة لأخفقنا في مسعانا الى غايتنا المطلوبة فاتقاء لهذا لخطر تراني مصمماً على ارجاء تعليمه اللغات القديمة واقرائه كتب مؤلفيها وقد جمعت له مشاهدة الأشياء مقدمة على علم الالفاظ فاصبحت علومه على ما فيها من النقص لها أصون في "الخارج" ترجع اليها ودعائم في الواقع تستقر عليها وسعيت في ايتائه من آلات الضبط والدقة

(١) فرتوت هو اسقف مؤرخ من الفرنجة ولد سنة ١٦٥٥ ومات سنة ١٧٣٥

ق. م. وهو مؤلف كتاب الفتنة السويدية والفتنة الرومانية وتاريخ الاشراف الكرام والمؤرخ يلمح الى واقعة هذا المؤرخ وهي انه كان يكتب تاريخاً لحصار رودس وانتظر طويلاً ورود أنباء صحيحة له عنه فلم تحضر فتبم تاريخه قبل ورودها ثم قال اني متذكر من ذلك ولكن قد انتهت من حصاري

العقلية ما هو لازم للانسان في بحثه عن الحسن والحق أكثر جداً من سعيه في الافضاء اليه بما لي أو ما يغري من المعاني

وقبل ان اجعل البحث في مثل الاقدمين في مكنته ساعى كل العناية بتبنيه الى ان هذه المثل لا تقلد فانه من السخف المحقق ان نباري الغابرين مباراة نحن على يقين من غلبتنا فيها من قبل ان ندخلها وكيف لانكون مغلوبين لهم ونحن نرضى لانفسنا طريقتهم في الكلام والكتابة والذي لاغضاضة علينا في أخذه عن كتاب اليونان والرومان انما هو روح آداب لغتهم وما يناسب كل زمان وكل قوم من أساليب الانشاء وتزيب المعاني والدقة في التعبير عنها وانتقاد الالفاظ اللائقة بها فكما ان من يعاشر بعض خواص الأجانب يقتبس شيئاً من خصائصهم بغير ان يكون ذلك موجباً لمشايمته لهم بحال من الاحوال كذلك معاشره الاقدمين بواسطة ما تركوه من آثارهم توحى اليها شيئاً من عوائد العقل واللسان المناسبة لكافة الاقوام المستضيئين بضياء العرفان .

التقليد الخسيس سواء قلده فيه الغابرون أو الحاضرون لا يقتصر سوء أثره على إضفاف الذوق والميل الى الفنون بل انه يسلب انماشئين شرف النفس وكرامتها فلشد ما يتخذعون بما تؤديه لهم الالفاظ عند قبولهم اياها من المعاني صحيحة أو فاسدة لان أساليب الانشاء والالفاظ والجمال تفعل في نفوسهم مايفعله السحر الحقيقي فتراهم يتوهمون انهم يتفكرون فيما يقولون ويكتبون والحق انهم يرددون ما فكر فيه المفكرون ولعمري ان هذا هو أصل بعض الاباطيل التي تحاول من قرون عديدة اطفاء نور العقل . ذلك ان ضروب الاستعباد متلازمة فمن قبل واحدا منها فقد أخذ على نفسه الرضوخ الى جميعها الا ترى الشاب المتعلم الذي اعتاد تقليد ما يصفه المقلدون بالمثل الحسنة يصاحبه في سيرته وأطواره روح اللين والالتقياد الذي ألفه من التقليد فتجده يحين ويفزع عند كل عزيمة ذاتية

نعم انه قد يخاطر بحياته في براز أو يعرضها للهلكة في ساحة قتال لانه يرى ذلك مستحسناً في نظر الناس ولكنه اذا دعي الى مقاومة عادة بربرية او تأييد حق قل ناصر وه وراى أن من وراء ذلك الاستهداف للسخرية والزراية عليه نكص على عقبيه نكص الحيان وفر فرار الرعديد

مثل هؤلاء المخلوقين المجردين عن ذواتهم يمدون طريق عيشتهم ذلولا ويأتهم

رزقهم بلا نصب ولكن ما أكثر ما يسومون أنفسهم من الخسف وما احط ما يسفلون بها اليه من دركات الذل . عرفت امرأة بَرَزَّة (١) محبوبة حسنة المحاضرة وكانت ارملة ولها ولد كان قبله آمالها فبدالها يوما من الايام ان تنشئه على أحسن آداب المواضعة المعروفة فرأت ان الاستشهاد باقوال الكتاب اللاتينيين في المقامات المناسبة من المحاورة والتمثل بأشعارهم وايراد أمثالهم من الامور التي لا بأس بها بل انه يكسو المحاور اذا كان حسناً بُرْدًا من البخطر ويأتي عليه مسحة من جلال القدر فارسلت ولدها الى المدرسة فتأدبها كيوم كدخلها خفيف العقل لم يستفد من العلم الا قشورا محبوبة عند الناس ولكونه أوتي ذاكرة مباركة كان يتكلم في كل موضوع ويناقش في كل شيء ولا يبدي رأيا الا قبول بالاستحسان لانه يسهل على كل انسان أن يرضي الناس عنه اذا سلم لهم ما يقولون ولم يعارضهم في شيء من آرائهم فكان ثرثاراً عديم الخلق حسن الصورة عقيم الفكر أرادت والدته أن تصيره رجلا من الأكياس أو نائباً لأحد الحكام او معتمداً سياسياً لحكومته في بعض البلدان وان أحييت أن تعرف ماذا صيرته قلت انها صيرته طفلياً .

ان طريقتنا في التربية تظهر بادي الرأي سخيفة مضحكة وان جاز أن تكون مما يتعاضى على الافهام ادراكه وربما لا تطابق أي طريقة غيرها . مطابقتها مقاصد حكمانا ونظامنا السياسي

التلامذة في مدارسنا . مقررعون مدينون ت بكر الحكومة بتأهياهم لوظيفتهم على نظام معنوي يشف عن حذق واضعه فأنت ترى القائمين على تربيتهم يوزعون عليهم متاعا من الآراء والعلوم التي يجب عليهم تقليدها في مستقبلهم مراعين في ذلك الدقة العسكرية التي تراعى في توزيع متاع الجند وينادونهم : « الهويناء أيها الأحداث وياكم ان تحيدوا عن الخطة المضروبة لكم . نعم ان منهم من يولونهم أدبارهم ولا يصغون الى نداءهم وان كثيراً من هؤلاء ينجحون الى فئة الآخذين بحرية النظر ويتضاعف عددهم كل يوم ولكن لشدة ما يلاقون على ذلك من العقاب يحرمون من تقلد وظائف العلمية في المدارس الجامعة ومن القيام بالوظائف الادارية في الحكومة فلا يؤولي أحدهم شيئاً منها وفوق ذلك تراهم ان لم يسيروا سيرة مرضية وقد أخذت الحكومة على نفسها تعليمهم كيف يسرون بما تتابعه لهم من ضروب الايذاء وما تبوهم به من العقوبات والتكبات

(١) البرزة المرأة الجميلة التي تظهر للناس ويختلف اليها القوم

السياسية ولا جرم قاتهم في قبضة حاكم ملهم والذنب عليهم في أنهم لم يعرفوا من قبل ان لهم والياً يقوم عليهم واستاذاً يرشدهم
ولما لم يكن هذا هو الفلاح الذي أرجوه « لامليل » وكان الذي يعني من أمره قبل كل شيء إنما هو حفظ كرامته وشرفه من حيث هو انسان كان نصيب هذه الطريقة مني محض الإعجاب بها دون ان أرضاها لتربيته

﴿ السّرة الحادية عشرة ﴾

في المؤلفات المفيدة للناشئين واختيارها

أجد في نفسي انبعثاً كثيراً الى اعتقاده لا شيء أضرّ على كتاب الاقدمين وأدعى الى هجر مؤلفاتهم من اطراء المعلمين اياهم واعتيادهم الإعجاب بما كتبوا ذلك ان هؤلاء بالزامهم الطفل حفظ ما يختارونه له من هذه المؤلفات وارشادهم اياه الى ما يجب عليه ان يراه فيها من ضروب المحاسن خشية ان يقصر في احترام آثار سلفه واكرامهم له على ملاحظة جميع ما فيها حتى علامات الفصل والوصل بذلك كله لا يفاجحون غالباً الا في ان يكرهوها اليه وهي أحسن أعمال عقل الانسان فلا يفرط في الوقاية من جانب المعلم بصير سبباً للضعف من جانب المتعلم وافراط ذلك في إعجابه بما يعلمه يذهب بالحمة من نفس هذا فيما يتعلمه والمقصود من اتعليم على أي حال إنما هو انشاء القوة الحاكمة في نفس الطفل وأنا في شك من بلوغ هذه الغاية بالجري على تلك الطريقة فإنه على فرض وجود التلامذة الذين يكون فيهم من الامثال ما يكفي لان يروا الحسن فيما يمدح لهم والقبح فيما يذم (وفي التلامذة من هم كذلك) لانكون أذواقهم من أجل ذلك أسلم من أذواق غيرهم ولا اكثر منها دربة بل ان هذا مما يدعو الى سلبهم قوة تمييزهم الامور بأنفسهم فتكون همهم في مستقبلهم مصروفة الى تاتي آراء من تعتبر آراؤهم حجة من الناس لا الى النظر في الامور والحكم عليها حكماً مستقلاً

سأدع ابني وشأنه في استقاء كتبه فلا اجتنب الا ما يكون منها ضاراً بالاخلاق لاني اود ان يكون هو صاحب الخيار فيما يفضل في نظره من كتب الآداب فاذا ضل ذوقه في الاختيار عولت في رده الى الصراط السوي على ضروب نمو عقله لا على ما يدعو اليه كدري من انواع التوبيخ والتأنيب ومع كوني لا اضمن عليه بالارشاد مني سأني اياه بتجديني اقصد ان يلتبس في ما يطالعه تنمية افكاره وربية ضروب وجدانه الذاتي

نعم اني قد اشتهي ان اقدم له بعض كتب مخصوصة واغبط لو انه افق معي في التأثير بما فيها غير اني لا اجدني محققاً في اقتضاء ذلك منه لان الاعجاب بالشيء من اجل ان يكون مفيداً لا بد ان يصدر عن نفس المعجب ولان الانسان في كل طور من اطوار حياته منفرداً كان أو مجتمعاً يتصور للحسن كما يطابق بالضرورة بعض أحوال تتلاق بنفسه أو بوظائف أعضائه • يدلك على ذلك اننا لانكاد نعرف الآن ما قرأناه في عهد شبيبنا من الكتب ولا مؤلفيها ولا نحس بشيء من الميل الى كتب الادب التي طالعناها في ذلك الزمن ولم يبق من الشعراء والكتاب الذين كانوا أساتذتنا فيه بكتبهم من يصحبنا في شيخوختنا الا التزر اليسير •

آثار علمي البشرية

(الاسلام والنصرانية • مع العلم والمدنية) لقد أقبل الناس على هذا الكتاب اقبالا لم يعهد في هذه البلاد وأمثالها حتى إننا لتتوقع نفاد نسخة المطبوعة كلها في زمن قريب جداً • وقد قدمنا نسخة منها الى رئيس علماء الدين في مصر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر فقبلها بأحسن قبول وأظهر لنا غاية الارتياح لطبعه وأثنى بما هو أهله ثم انه لم يرض إلا أن كافأنا بما هو أضعاف ثمن الكتاب وألزمنا بقبول المكافأة وحسبنا رضاه عن هذا الأثر أدامه الله نصيراً للاسلام

وقد نشرنا في آخر الكتاب أبياتاً من قصيدة في تقريره لأحمد أفندي الكاشف وأنا نشرها أيضاً في المثار وهي

ورضواناً رجاء المسلمين	سلاماً حجة الإسلام فينا
يؤيد وحي مايمتد لنا	عنيت بما كتبت فكان وحي
يرى فيه التزاعم ونحن	فلم تترك لمتهم مكانا
فما يدعو بأخر مستعينا	فما بطل ينخوض الحرب فرداً
بمهجة المواطن أن تهونا	جهاداً في سبيل الله يفدي
وقدراً في قلوب المأمنين	بأبقى منك آثاراً وذكر
وكان كتابك الدرع الحصين	وكان يراعك المنصور سيفاً

ملكته به معاقل عاليات نبت عنها سيوف الفاتحينا
وماضى الضلال المخلق حتى نفعته وأوضحت اليقيننا
فرققاً بالمكابر قد كفاه مجادلة وأوشك أن يدينا
ودعه في تأمله عساه يحثك باعتراف المهدينا

باب التقرير

رحلة صادق باشا العظم الى صحراء افريقية الكبرى

الفريق صادق باشا المؤيد العظم أحد حجاب مولانا السلطان عبد الحميد خان كاتب أديب وقائد شجاع وأمين عند مولاه يبعثه في المهمات السياسية والفنية العملية . فكما عهد إليه بأمر مد الاسلاك البرقية في الحجاز ثم بأمر النظر في سكة حديد الحجاز من الأمور الفنية عهد إليه من قبل بالرحلة الى صحراء افريقيا واكتناه شؤونها عامة وشؤون السنوسي وجماعته خاصة فقام بذلك وعهد إليه من بعد بالذهاب مع بعثة الى روسيا لمقابلة قيصرها في أمر سياسي . أما سفره الى الصحراء بأمر السلطان فقد كان مرتين وكتب فيما شاهد في المرة الثانية رحلة باللغة التركية أودعها وصف ما رآه واحتره من أحوال المكان والسكان . وقد عرب الرحلة جميل بك العظم وطبعت في كتاب مستقل بعد طبعها في جريدة « معلومات » ولا شك ان قراء العربية كلهم يحبون الاطلاع على مثل هذه الرحلة الا من لا يحب التاريخ ولا يحفل بما يبني عليه من أحوال السياسة الحاضرة . والرحلة تطلب من ادارة مجلة المنار بمصر (الإسلام في عصر العلم) كتاب جديد يشغل بتأليفه وطبعه محمد فريد اقدي وجدي . وقد جعله ثلاثة أقسام أحدها في « الإنسان » وثانيها في « المدنية » وثالثها في « ما وراء المادة » ورابعها في « حياة النبي صلى الله عليه وسلم » والغرض من الكتاب تأييد الدين الاسلامي بمباحث العلوم على ما انتهت اليه في هذا العصر الغرض شريف وحاجة المسلمين اليه شديدة فان المفتونين منهم بمدينة أوربا يخطف أبصارهم كل شيء يرونه من آثارها ويحتلب أفئدتهم كل يسمعون من علومها وعقولهم تتبع أفئدتهم وأبصارهم . فترى الكثيرين منهم في شك من دينهم الذي اتموا اليه ولم يعرفوه حق المعرفة لاعتقادهم أن أولئك الذين تلك المدنية مدنيهم وتلك العلوم علومهم لا يعتقدون بصحة الدين . ومنهم الضعيف الواهن الذي يكفي

لايقاعه في الشك أن تخفى عليه حقية مسألة واحدة مما يعزى الى دينه أو يراها مخالفة لما يقول أو تلك الخاطفون لبصره والمختلبون لفقّاده وربما تكون تلك المسألة ليست من الدين بل من التقاليد اللاصقة بأهله أو تكون من الأمور الواردة فيه لا على سبيل القطع أو يكون لها معنى غير ما يفهم أو يكون المخالف للمسألة هو المخطئ ولكن من قن باعتقاد عظيمة إنسان لا يخطر له أنه مخطئ . التقليد يفتك بعقل المقلد حتى يجعله أسيراً لكل من يعتقد عظيمته يسلم له بكل شيء تسليماً

أمثال هؤلاء يجب أن يعرفوا نسبة هذه العلوم وهذه المدنية الى الإسلام وما يؤيده منها ومن علومها . ولن يجدوا حاجتهم هذه على طرف الثمّام الا اذا انصرفت همه الباحثين للتأليف فيها وهذا ما توخاه صديقنا محمد فريد وجدي في كتابه هذا . فنسأل الله تعالى أن يوفقه لأكماله ويسهل له - ييل كماله و يوفق اخوتنا المسلمين لمساعدته على عمله بالاقبال عليه . وتدا اختار هو أن يصدر الكتاب لمن يشترك فيه منجماً تحيماً في كل شهر ٦٤ صفحة من القطع الصغير اللطيف . وقيمة الاشتراك في السنة ٣٠ قرناً صحيحاً تدفع سلفاً أو على ثلاثة نجوم . وهو يطلب من مؤلفه بالسويس

﴿ قاموس الماني عربي ﴾

ان الحاجة التي تسوق الامم الى الاقتراب من الامة الالمانية ودراسة لغتها أصبحت متأكدة وتزداد من يوم الى آخر ذلك بانها من حرب السبعين الى اليوم وصلت في علومها وصنائعها وتجارتها وسائر ضروب المدنية الى درجة أبهت العالم فأخلت الامم لها الغل الاول وصار الكثيرون من المتكلمين يدرسون لغتها ويرحلون اليها في طلب الكمال وقد أخذ عدد من الشرقيين ليس بالقليل في دراسة هذه اللغة يبتغون ان يصيبوا من هذا ما يصيبه غيرهم وينمو هذا العدد من غير شك تبعاً لامتداد العلائق بين البلاد الانسانية وبلادهم وازدياد المستكمنين وطلاب الحقائق في هذه البلاد . هذا قول حق تلفت به القراء منهم الى قاموس الماني عربي ظهر في هذا العهد . ألف هذا الكتاب العالم الفاضل لغوي المؤرخ الدكتور ارلست هرر المحرر باحدى الجريد الشهيرة التي تصدر ببرلين « بختش زند شوه » والقاموس المذكور مشتمل على ثلاث وثمانمائة صفحة جمعت نحو ثمانية عشر ألف كلمة مراعى في جمعها حاجة المتكلم والقارئ في الكتب الادبية سواء كانت جرمانية لاصل أو دخيلة شائعة في اللغة . ان هذا الدكتور — وقد عاشته زمناً طويلاً — بعيد

ان يضع للكلمة الالمانية اخرى عربية بازائها اذا لم يكن المعنى واحداً بل يعتمد اذا لم يصب الكلمة المطلوبة الى التعبير عن المعنى في جملة يصيب بها الغرض قدوماً يمكنه . ساعده على أداء هذه المهمة التي يعمل لها منذ عهد بعيد معرفته باللغة المصرية الدارجة والقصوى وقد وضع فيها أجرومية باللغة الالمانية طبعت سنة ١٨٩٨ بمطبعة « هيدلبرج » وصادفت اقبالا طيباً . قد يضع المؤلف اغرض ما إزاء الكلمة الالمانية اخرى من اللغة الدارجة مع التنيه على ذلك . لم يوجد من قبل قاموس الماني عربي الا واحد لحضرة البروفسور فارمولد المساوي الا انه غير واف بالغرض ومن هذا ان كلماته لا تزيد على الثلث من الفاظ الكتاب الجديد . ان هذه الخدمة الجليلة التي قام بها هذا المؤلف هي في منفعة الناطقين باللغة العربية اكبر منها في صالح قومه ولهذا نشكر له هذا العمل ونسأل له دوام التوفيق للعمل على الصالح العام

ومن أراد ان يكتب حضرة المؤلف في أمر يخص كتابه أو نحو هذا فليفضل بالاستعانة عن طريقة ذلك من حضرة السيد الفاضل صاحب هذه المجلة (أحد القراء) (مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) صدر الجزء الاول من هذا الكتاب لمؤلفه المؤرخ النصف جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص بتراجم الملوك والأمراء والقواد ورجال الإدارة والسياسة ولم يتمكن من مطالعة شيء منه ولكتنا نعلم ان طريقته فيه هي طريقته في الهلال بل هو قبسة من نور الهلال . وصفحاته ٢٦٤ وفيه ٧٢ رسماً ونمته ١٥ قرشاً صحيحاً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(الحال بين العامة) « رسالة دينية أدبية تهذيبية اجتماعية » ألفها عبد العزيز أفندي فتحي الجورجستاني وقل في مقدمتها ان أكبر داع دعاه الى تأليفها هو انه سمع من الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية كلمة قالها للناس بعد صلاة الجمعة في بلده (محلة نصر) وهي : يكاد قلبي يقطر دماً عند ما أرى بدعة أسندها مبتدعها الى الدين : وتلا الاستاذ قوله تعالى « ان الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً ، الآية » أما فصول الرسالة فهي (١) الصدق والامانة وضدهما . و (٢) الاقتصاد وبعض ماورد في مدحه وذم ضده و (٣) الاصلاح والمعاونة . و (٤) حسن المعاملة وطاعة أولى الامر . و (٥) النخبة والعيبة والحسد . و (٦) نشر المعارف وفصل العلم . و (٧) العمل وترك الكسل و (٨) المبتدعون في الدين . و (٩) المفاصد في الموالد و (١٠) الطريق . و حتم الرسالة في انتقاد الوعاط . ولا شك ان مطالعة العامة لهذه الرسالة نافعة لأنها مفر عن المكار وتبحث على المعروف والخير . ولكن اسمها لا يطابق مسماها الا في

كلمات من الفصول الاخيرة لأن سائر الأصول لا تشرح من أحوال العامة ما ينبغي شرحه فحسب أن يوفق المؤلف إلى كتابة ما يعرفه من المنكرات العاشية بين العامة بالتفصيل . ولم يعتن بتصحيح الرسالة كما يجب وذلك لا يمنع من الانتفاع بها (النخبة) ديوان شعر جديد لناظمه رشيد أفندي بن حنا مصوبع اللبناني وقد عرفنا الناظم شاماً متوقداً لكاء ومن أحسن شعره قصيدة يصف بها سوق احسان أقامها سرب من العذارى الاسرائيليات في قندق (كونايتال) بمصر قال فيها

حيي في مصر أربع العادات	ومغاني الحسان والحسنات
أربع قد حوينا كل صنيع	من جميل وأوجه سافرات
يتجاري الفتيان فيه إلى البذ	ل باغراء أعين الفتيات
آسات صبرن من كان في القو	م بخيلا يجود بالمكرمات
يستيه لحظ الحسان فلا يبا	يث أن يبذل اللهى والهبات
كل خود لا سحر في مقاتها	عقد قد خلبن بالسمعات
أخذت للفقير منازكة	قابلتها من حسنها بزكاة
وغدا الزهر عالي السعرا د قد	كان يعطى من تاكم الراحة
يسر الورد حولنا من يديها	فحال الحدود منتثرات
وتعير التسم من صدرها أ	ماس طيب نردّها رفرات

إلى أن قال

سوق حسن للعاشقين وسوق	من جميل للبائسين المعصاة
أشأتها أيدي الكواعب من	ن وياحسن من ماشئت
ما كفتا محاسن العيون حتى	ما كفتا احسان بالهبات
هكذا يجعل الجمال فعل أ	حير لا للجلاب والمنكرات
هكذا تشفق الحسان وتعدو	لأذي رام قربها قاسيات
هكذا يكرم المتسليم بلور	دونكن يحمى عن لوخذت
هكذا يعرض الحمل محلى	بجميل لأفعال واعيت

هذا ما أردنا نشره من هذه القصيدة الرشيقة لتكون أحسن مثل للديوان . طبع الشاعر ديوانه هذا وأهداه لي نقولاً بك توما احماني ناشهد من حب الأدب وأهله (حديث ليلة) قصة مكاهية ترامية تأليف القصصي المرسى الشهير اسكندر دياس الكبير . وقد عمرها الشيخ نجيب الحداد لدي كان أحسن كتاب هذا الوقت

تعبيراً للقصاص وطبعت في مطبعة المعارف التي هي في مقدمة المطابع المصرية لتقانا للطبع وخدمت في هذه القصة محاسن التأليف والتعريب والطبع ولذلك يرجى لها الانتشار بالمطابع (المجلة المدرسية) مجلة علمية أدبية مصورة تصدر في كل شهر شمسي مرة مديرها ومحررها سيد 'قندي محمد ناصر المدرسة التحضيرية الأهلية وقد صدر الجزء الأول منها في أول يناير سنة ١٩٠٣ في ١٦ صفحة وهو مصدر يرسم سمو الخديو المعظم وفيه نبذة من تاريخ سموه ونبذة بعدها في الكلام على الأسد كأن المراد بوضعه بعده مراعاة النظير ، وتشبيه الأسد بالأمر ، في القسم الأدبي منه مقالة في (اللغة) وفي ختامه خصب وجيزة التلامذة المدرسة التحضيرية

نحن نعرف من سيد 'قندي محمد شابا غيوراً على الأمة والملة مجتهداً في تهذيب التلامذة مدرسته وقد أثبت لهم جمعية في المدرسة يترنون فيها على الخطابة والبحث بالقول ثم أثبت لهم هذه المجلة ليتمرنوا بها على البحث بالكتابة والقراءة فترجو له النجاح ونحث التلامذة على مدارس على قراءة مجلاته ومساهمة اخوانهم في مباحثها ولعله لا يعدم من محبي علم وادب في غير مدارس تشيخاً واسعاداً وقيمة الاشتراك في المجلة مدرسية ١٥ قرشاً صحيحاً في سنة

١- اسم المصنعي : مجلة علمية صناعية تاريخية تصدر في كل شهر مرة لمنشئها عبد رحيم 'قندي فوري وحسن فهمي 'قندي احمد المتخرجين في مدرسة الفنون وصنعت 'حديوية ، صدر الجزء الأول منها في هذا الشهر في ١٦ صفحة مطبوعاً صمماً جميلاً بطبعة اشعب على ورق جيد ، وهي مفتحة بمقالة في تاريخ الصناعة وتاريخها (اي اعمرو) ، تتبوه مقالة في سيرة مخترع القلم الامريكانى ، مصدر برسمه وفهم مندثرة في تاريخ صناعية ، وقد كتب على غلاف المجلة أن مراسلاتها تكون من مرسلة شركة صناعية بمصر وسودان بشارع محمد على ، فاذا كان هناك شركة تصدر مجلات ونجاح يرجى هذا المصدر وسودان تلك الشركة وثباتها والافلا بد من تتبع مباحثهم يقتل عنهم صفوف قراء لأن البلاد لترتق الى حيث يكون فيها لكل نوع من نوع صنوف وصور حريضة ومجلة حصة وقيمة الاشتراك في هذه المجلة عشرون قرشاً معسى ، قد لا يروا جاً تحب الصناعة الى أهل هذه البلاد من هم في نية حجة .

(ثبات) حريدة اسبوعية علمية أدبية تهديبية لشكل الحريدة الرسمية تصدر كل ١٥ يوم لأن وقد صدر عدد لأول مرة من يوم وفيه مقالات في (شبان الغرب

وشبان الشرق) ونبذة في محاسن الاخلاق وأخرى في أشهر ملوك العالم • أما صاحبها فقد كتب اسمه عليها هكذا (١ • عبد الحميد) ولكنه أرسل إلينا مع العدد الأول وفيها علمنا منه أن الالف إشارة الى (ابراهيم) فانتقدنا ذلك منه واعله يصرح باسمه في الأعداد الآتية • وأما قيمة الاشتراك فيها فهي ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة • فتمنى له التوفيق ولجريدته الانتشار

﴿ إعجاز أحمدى - أو سخافة جديدة لمسيح الهند ﴾

كل يوم تبدي صروف الليالي خلقاً من أبي سعيد غريباً
وأبو سعيد هذا الزمان هو غلام أحد القادياني المقتون بنفسه ، المألوب على عقله وحسه ، فهو كل يوم يأتينا بحاق غريب ، وخلق من إفكه عجيب ، ففي الشهر الماضي أرسل إلينا قصيدة من المخزيات ، ولكنه نظمها في سلك ما يدعيه من المحجزات ، وجعل لها مقدمة هذيانية . ولكنها باللغة الاوردية ، وأرسل لنا معها منشوراً باللغة الانكليزية ، يقول فيه انه أوتي من البلاغة في العربية ما لم يؤته أحد من العالمين ، وانه يتحدى قصيدته هذه جميع المطلعين ، ومن يعارضها في الهند من شعراء العربية ، يُعطى عشرة آلاف روبية ، ولم يذكر لنا الحاكم الناقد ، الذي تعرض عليه القصد ، ليميز بين سحر البيان . وبين اللغو والهذيان ، وقد أخرجنا الكتابة في هذه السخافة الجديدة لاننا كنا عازمين على قراءتها كلها وإظهار ما فيها من الأعلاط الاعوية والضحوية والصرفية والعروضية والتبسيه على ما فيها من السرقات الشعرية ، التي ساجها من كلام مخلول الرجال ، ومسخرها ولا غرو أن يظهر المسخ على يد المسيح الدجال ، ثم بدا لنا ان هذه الانتقادات ليست بضرورية ، عند العارفين باللغة العربية ، فان عرض القصيدة عليهم يكفي لمعرفة دركها في السخافة • وأما المحدثون به من الأعجميين في الهند فلا يفهمون انتقادنا اذا هو وصل اليهم لذلك نذكر هنا أبياتاً من القصيدة ونترك للقراء الصالح منها ومن غرور المستدل بها على دعوى المسيحية قال

أيا أرض مثّر قد دفن مدبر	وأرداك صليل وأعراك موغر
دعوت كدوه مقصد أصيدي لذي	كحوت غدير أخذه لا يعزّر
وجاءك صحي ناصحين كأخوة	يقولون لا تبعوا هوّى وتصبروا
فطن أسارى كما أسارى تعصب	تريدون من يعوي كذب ويحتر
فجؤا بذنب بعد جهد أذابهم	ولعني نساء الله منه وظهر

فلما أتاهم سرهم من تصلف . وقال افرحوا اني بكمي . مظفر
وقال استروا أمري واتي أرودهم أخاف عليهم أن يفروا ويدبروا
وارضى اللثام اذا دنا من أرضهم على النار مشاهم وقد كان يبطر
ومنها في هجو منكر عليه .

فلما اعتدى وأحس قومي أنه يصّر على تكذيبه لا يقصر
دعوه ايتهان لموت مزور مضل فلم يسكت ولم يحسر
وكذب إعجاز المسيح وآيه وغطاه كذباً وكان يزور

ثم قال هذه الآيات التي كتب بإزائها في الهامش انها وحي من الله تعالى

فقد سرتني في هذه الصور صورة ليدفع ربي كلما كان يحشر
فألفت هذا الظلم أعني قصيدي ليخزي ربي كل من كان يهذر
وهذا على اصراره في سؤاله فكيف بهذا السئل أغضى وأهر
وليس علينا في الجواب جريمة فهدى له كلاً كل ما كان يبذر
فان الكذباً فيأتي بمثلها وان الك من ربي فيغشى ويشير
وهذا قضاء الله بيني وبينهم ليظهر آيته وما كان يخبر
قطعنا بهذا دابر القوم كلهم وغادرهم ربي كغصن تجذر
ارى ارض مذكور اريد تبارها وغادرهم ربي كغصن تجذر
أيا محسن بالحق والجهل والرفا رويدك لا تبطل صنيعك واحذر
اتشم بعد العون والمن والندى اتسى ندى مد وما كنت تنصر
ترى كيف أغبرت السماء بآيها اذا القوم آذوني وعابوا وغتبروا
فلا تخير سبل غي وشقوة ولا تجلن بمدالتوال وفكر

﴿ سخافة أخرى لمسيخ الهند الدجال ﴾

قلنا انه أرسل الينا في الشهر الماضي قصيدته الإعجازية ونقول أيضاً انه أرسل
الينا في هذا الشهر رسالة باللغة الانكليزية كتبها باسم ملك الانكليز لا باسم الله وجعلها
خدمة للدولة الانكليزية في زعمه ووجهه ولكن لم يكتب في الحقيقة ما هو أضر منها
على السياسة الانكليزية . وهذا شأن الصديق الاحق يريد أن يتفجع فيضر
من سياسة هذا المسيخ الدجال انه نسخ حكم الجهاد في الاسلام لكيلا تعارضه
الدولة الانكليزية في دعوته ظناً منها انه يؤلف عصية دينية للخروج عليها في الهند كما

يفعل أمثاله الدجالون الذين يدعي كل خارج منهم أنه المهدي المنتظر . وقد كتب في هذا المعنى كثيراً . وإنما كانت كتابته في هذه الرسالة وأمثالهاضارة ومناقضة للسياسة الانكليزية لأنه يقول فيها ان جميع علماءالمسلمين يقولون بوجوب الجهاد الديني وانهم جهلاء مخطئون في هذه الدعوى . فاذا انتشرت هذه الرسالة وقرأها الناس فربما تحرك نفوسهم الى الأمر الذي تصرح الرسالة بان العلماء يجمعون عليه ولا تلتفت الى تخطيطه خارجي مثل غلام أحمد القادياني لهم .

وأما الرأي الأفين الذي أشار به على الحكومة الانكليزية وهو جمع مؤتمر من العلماء لتنظر في مسألة الجهاد واستقراء أدلتها في الكتاب والسنة ليظهر لهم انه غير واجب فيقرروه — فهو رأي لا يرضى به سياسة حكيمة كالسياسة الانكليزية ولا هي محتاجة اليه . أما عدم رضاها به فلأنه اذا قرر العلماء خلاف مايقول غلام أحمد الدجال فيخشى من وقوع فتنة عظيمة . وأما عدم حاجتها اليه فلأن أهل الهند راضون من حكومتهم ولا يخطر في بالهم الخروج عليها وحسبها هذا منهم . ولو كان هذا الدجال يتجنب هذه الأحوال، لكان أسلم له على كل حال ،

بَابُ الْحَجِّ فِي هَذَا الْعَامِ

﴿ الحج في هذا العام ﴾

أمرت حكومة تونس وحكومة الجزائر الفرنسية بمنع الحج في هذا العام لئلا يحمل الحجاج من بلاد الحجاز جرائم الوباء الموهوم الى بلادهم فتنبأ بهم وأرادت حكومة مصر أن لا يحج في هذا العام الا الأغنياء القادرون على الاحتياطات الصحية اذا نزل البلاء ووقع الوباء واحتيج الى النفقة الواسعة فأمرت بالزام كل من يريد الحج بدفع خمسين أو سبعين جنياً للحكومة تكون أمانة عندها تنفق عليه منها ما تنفقه بقدر الحاجة وترد اليه ما يبقى بعد عودته اذا عاد وبقي من المال بقية

ضمنت الحكومة للحجاج بازاء ذلك القيام بجميع شؤونهم في السفر . وقد استكثر الناس هذا القدر من المال واعتقدوا أكثر أن الغرض منه التوفير عن الحج والتمهيد لئله ولذلك طلب مجلس الشورى من الحكومة أن تنقص منه فلم تقبل

والناس في استياء عظيم من جراء ذلك وقد كتبوا من جهات متعددة يشكون للحكومة بل لمستشاريها ومديريها من الانكيز ثقل ذلك المال المفروض وأكثر الشكوى كانت لمستشار نظارة الداخلية واسكنها لم تكن شيئاً . على ان الوقت لم يفت واللورد كرومر صاحب القرض والابرار في السودان

ولقد كان في هذا العمل فرصة للانكيز يمكنون بها ميل المصريين عامة اليهم لو اغتموها وخففوا من المال المفروض شيئاً . ولعل الذي يمنعهم من تلبية الأهالي وسماع شكواهم هو لفظ أحداث السياسة بالمسألة ونشر تلك الشكاوي في بعض الجرائد المتطرفة على ما فيها من الطعن بالحكومة الاسلامية التي فرضت ذلك المال بالاتفاق . فكأن مستشار الداخلية خجل من أن يطلب من هذه الحكومة الرجوع عن شيء قرره وكان هو راضياً به لأن الامة التجأت اليه وحده دون الأمير ودون نظار حكومته بل مع التعريض بذهمهم والطعن بدينهم .

ولو أراد المصلحة من أشرنا اليه من أحداث السياسة لما نشر في جريدته كلمة من شكاوي الأهالي الجارحة لثلاثة أمور (أحدها) ان نشرها يثبت ان قلوب الاهالي انحرفت عن الحكومة الخديوية الاسلامية ولم يبق لها رجاء تيممه في مصلحة من مصالح دينها ودنياها الا المحتلون (ثانيها) ان نشرها يكون صادداً للمحتلين عن إغاثة الناس لعلمهم بأن ذلك يتضمن إهانة الحكومة على لسان من يفتخر دائماً بالطعن في الحكومة وفي المحتلين بسبب وبدون سبب ويرمي الجميع بسوء القصد . فلا يرضى المحتلون أن يعيشوا الأهالي ليفتخر ذلك الحدث الصغير ، بأنه كان الحامل لهم على ذلك بما لجريدته من قوة التأثير ، (ثالثها) ان نشرها في الجرائد ينهي بإقرار من نشرها وتسجيله كون المحتلين هم الغوث الوحيد للمسلمين والقائمون بمصالحهم الدينية والدنيوية دون حكومة الأمير الاسلامية — هذا لو أشكوا الأهالي وأجابوا طلبهم وعند ذلك لا يبقى للاحداث سبيل الى الطعن فيهم وهو بضاعتهم التي يعيشون منها .

ولذلك تعجب الناس من نشر تلك الشكاوي المفصحة عن تعاق قلوب مسلمي مصر بالانكيز من جريدة الاحداث التي تنجر بذهمهم . قالوا : اذا كانت الجريدة لا ترجو نفع تلك الشكاوي فهي ساعية في هدم سياستها الأولى وهي لا يمكن أن تنجح بغيرها وان كانت لا ترجو نفعها وإنما تنشر صور تلك الشكاوي لعلمها بأن نشرها يغيظ المحتلين ويحملهم مع الحكومة على الاصرار فهي لا تقصد نفع المسلمين ولا تنسى في تسهيل الحرج عليهم . وأصحاب الرأي يعلمون أن تلك الحدة لا سمحاً كذا الاحتجاج

أو قتلوا وإنما سبب الصياح والعويل شيء واحد وهو جذب قلوب الأهالي إلى الجريدة وإيهامهم أنها أشد غيرة عليهم وعلى دينهم من غيرها وهذا مقصد يتلشى أمامه التفكير في نتيجة النشر هل تكون تسجيل مدح الانكليز والاطعن بحكومة الأمير أو تكون الإصرار على تنفيذ ما أمرت به الحكومة . والذي لا ريب فيه أن نشر تلك الشكاوي الجارحة كلها كان ضاراً وما كان يتصور له وجه منفعة قط

أما نحن الذين لا يهمننا إلا تسهيل سبيل الحج لأنه عبادة لله تعالى — ونحن دعاة دين لا دعاة سياسة — فلم ينقطع أملنا من سمو الأمير ومن حكومته لأننا نعلم أنهم لم يأمرُوا بما أمرُوا به ليصدُّوا الناس عن سبيل الله . كيف وحكومة مصر لا تقاس بحكومة إسلامية أخرى بحكومة تونس مثلاً لأن أكبر شرف لها عند المسلمين أنها تسير ركبا مخصوصا للحج وتقدم كسوة الكعبة فهي مساهمة للدولة العلية في خدمة الحرمين الشريفين وهي جارة البلاد المقدسة . فحكومة عزيز مصر لا يسهل عليها أن يחדش هذا الشرف ولا أن ينتقص . ولكنها أمرت بما أمرت به لتمنع الفقراء عن الحج خوفاً عليهم وعلى البلاد في هذا العام فاذا لاحظت الآن أن الأغنياء قلما يحجّون لأنهم مشغولون بتمتعهم وهم أحرص الناس على حياة وإن الخير في جميع الأمم إنما يكون غالباً في الطبقة المتوسطة وأن أهل هذه الطبقة هم أقرب إلى الصحة من الأغنياء لقلة الاسراف وقلة الوهم والوسواس ولكن يتقل على الأكثرين منهم أن يعطي أحدهم الحكومة خمسين جنياً أو سبعين غير ما يأخذه معه وما يتركه لاهله وعياله من النفقة — وإذا لاحظت مع هذا أيضاً أن الأمة كلها مستاءة من ثقل هذه الفريضة وتشكو منها وتطالب تخفيفها وكل الحكومات العادلة والدستورية تحترم الرأي العام — فلا غرو أن يأمر مولانا الأمير أعزه الله باجتماع مجلس النظائر ثم يصدرُونَ أمراً آخر بتخفيف ما فرض أولاً إلى نصفه مثلاً . والنسخ معهود في الشرائع السماوية وفي القوانين الوضعية بالأولى . يجب أن يكون الأمير وحكومته محل الرجاء وغاية ما نرجو من حرية المحتلين أن لا يعارضوا في مثل هذا الأمر الديني وما كانوا معارضين

إذا كان غرض الحكومة أن يكون ركب الحج في هذا العام مؤلفاً من أهل اليسار فما كان أجدر المؤسرين بالانتظام في هذا السلك التدريجي الذي لا خرز بين درره ولآله ونخص بالذكر المترفين الذين يؤخرون الحج لما يكون فيه من الزحام وقلة العناية بالنظافة أصعوبتها مع كثرة السواد من الفقراء . ولو هنأت الأريحية الإسلامية بعض النظائر إلى الحج لكان فيمن يحج منهم هذا العام أسوة حسنة لكثير من الأغنياء

ولكان أجره بذلك عند الله مضاعفاً ومقامه في نفوس المصريين رفيعاً مشرفاً .
وإذا لم يبادر عدد كبير من الاغنياء الى الحج لإحياء شعائره وحفظ شرف مصر
الديني فلا سلام على الاغنياء . ولا زادهم الغنى الانعاسة وشقاء .

﴿ الجامعة الدينية . والجامعة الوطنية ﴾

ينبأ رأينا في الجامعتين مرات كثيرة وأحسن ما كتبناه في ذلك وأوضحه مقالة
مسهبة في المجلد الثاني من المنار عنونها « الجنسية والدين الاسلامي » أثبتنا فيها بالبرهان
المعقول ان تمسك المسلمين بدينهم واعتصامهم بعروة جامعته هو المؤلف الوحيد بين
مصالحهم ومصالح من يساكنهم في بلادهم والحامل لهم على موادة من ليس على دينهم
ففيه معنى الوطنية التي يطلبها بعض عقلاء المسيحيين في الشرق لعلمهم بأن سعادته في
التأليف بين شعوبه المتفرقين في الدين تفرقاً كثيراً . ومن هؤلاء العقلاء بعض أصحاب
الجرائد السورية المسيحية في سوريا ومصر وأمريكا . ومما نعتقد فيه الاخلاص من
هذه الجرائد (المناظر) ويعرف أصدقائنا في مصر اننا كثيراً ما فضاناها على غيرها
من الجرائد العربية ونوهنا بموضوعاتها النافعة

ومن الناس المشتغلين بالصحافة من يلغظ بالوطن والوطنية بغير علم ولا هدى
منهم الذي يلقب في المنار بمحدث السياسة فإنه خاق وطنية لا يعرفها احد سماها
« الوطنية الحقة » ومعناها ان يبغض المصري المسلم كل من ليس مصرياً لأنه ليس
وطنياً وان كان كالمصري في لغته ودينه وجنسيته السياسية وهي (العثمانية) وأن لا يجب
القبلي المصري لأنه ليس مسلماً . فهذه الوطنية الباطلة التي لا يتصور فيها العاقل الا
المضرة هي التي نحمل عليها في المنار حملاتنا المعروفة واننا نرى جميع الكتاب من
المسلمين والمسيحيين يوافقوننا على محاربة هذا الهذيان الضار

وقد اتفق بعض الكاتين السوريين في البرازيل ان كتب في (المناظر) كتابة في
الدعوة الى الوطنية ونبذ التعصبات الدينية ثم اتفق له ان رأى في المنار كلمة في « حدث
السياسة » ووطنيته فظن انه المعنى وطفق يرد علينا ملقبا ايانا بكهل السياسة وعساه
يطالع على هذه البذة فيعلم أنه ليس المعنى بالحدث واننا لسنا من السياسة في شيء واننا ان
كننا ندعو المسلمين الى النهوض باسم الاسلام فانما ندعوهم الى العلم والتعليم والتربية التي
تقضي بها حالة العصر لا الى السياسة وأحزابها وتعصباتها وملوكها وامرائها . نرى
المسلم في تركيا وروسيا والهند والجنوة ومصر وتونس والجزائر وفي سائر الاقطار متأخراً

في العلم والتهذيب والعمل النافع ونرى ان لتقاليدنا تأثيراً في هذا التأخير وهو يتوهم ان ذلك من الدين ونحن نعلم ان الدين ضده فتحسن ندعوه باسم الاسلام الحقيقي الى نبذ الوهم ، وتحصيل العلم ، ليجاري مجاوريه في سبل الحياة . ولا يمكن ان ندعوه هذه الدعوة باسم « الوطنية » لأن مجلتنا ليست سياسية ولا تجارية ولا زراعية لنحث اهل الوطن الواحد على الاتفاق في ترقية هذه الامور باسم الوطن . على اننا لا نقصر في الدعوة الى التأليف بل هو امر عرفنا به ولا نعرف كاتباً عربياً كتب فيه ما كتبنا .

﴿ التعصب الديني والجرائد والمجلات ﴾

التعصب للدين بمعنى الاعتصام به والاستمسك بعروته فضيلة هي أم الفضائل والتعصب بمعنى ايذاء المتدين لمن يخالفه في دينه رذيلة تتولد منها مصائب كثيرة لاسيما اذا أنشئت لهذا التعصب جرائد ومجلات تدعو اليه وتحركه . والتعصب بالمعنى الأولي قوي عند المسلمين لايساويهم فيه أحد حتى في هذا الطور الذي هم فيه الآن طور الضعف والتأخر . والتعصب بالمعنى الثاني لايسلم منه أهل ملة ولكنه عند المسلمين أضعف منه عند غيرهم لاسيما النصارى

أنظر تر المسلمين أكثر من تسعة أعشار أهل القطر المصري ولكنه ليس لهم جريدة دينية ولا مجلة ملية الا المنار وهو حديث العهد فهم . والنصارى لهم فيه عدة جرائد ومجلات دينية على قلة عددهم . واقرأ هذه الجرائد والمجلات تجدوها مملأة بدعوة المسلمين الى النصرانية والطعن بالاسلام ولا ترى في المنار الاسلامي « دعوة للنصارى الى ترك دينهم والدخول في الاسلام وقد مرت عليه ثلاث سنوات من أول نشأته وهو معرض عن الرد على المعارضين والقادحين في الاسلام على كونهم يرسلون اليه كتبهم وجرائدهم لأننا لم نكن نرى المسلمين مبايدين بها فأحينا بقاء ذلك السكون بالسكوت عنهم . ولكتنا لما رأينا سوء تأثير بعض الكتب والمجلات فتحنا في المنار باباً لرد شبهات المسيحيين ، التزمنا فيه الأدب والحجة وما كنا معتدين ،

أليس عجيباً ان تسعة ملايين من المسلمين في مصر ومئات من الملايين في غيرها لا تعرف لهم الا مجلة دينية واحدة ويوجد في كل قطر من أقطارهم جرائد ومجلات كثيرة لأولئك الشراذم الذين يساكنونهم وهم أقل منهم عدداً ومالا وتمسكاً بالدين؟ نعم ان هذا عجيب وأعجب منه ان جرائد الشراذم الصغيرة تعدي على تلك الملايين الكثيرة وتطمع بدينهم وتدعوهم الى تركه واتباع دينها . وان تعجب فهناك ما هو

أعجب من الأمرين وهو أن المسلمين يشتركون بتلك الجرائد ويعضدونها بأقبالهم عليها وهم يعلمون أن النصارى لا يكادون يشتركون بجريدة صاحبها مسلم إن لم تكن دينية إلا لغرض شخصي ونحوه. وأما المجلة الدينية الإسلامية الوحيدة وهي (النار) فليس لها من المشتركين المسيحيين الاثنان من القبط (وكان لهم ثالث اشترك ثلاث سنين ولم يدفع شيئاً من قيمة الاشتراك فرمى اسمه) وخمسة من السوريين، وفي ذلك عبرة للمعتبرين، ومن العبر التي هي إحدى الكبر، ما جاءت به «الجامعة» في الأيام الأخر، وهو أنها تصدت للطعن في الاسلام. وفي ائمة الاعلام، من طريقة خدمة العلم دون الدين، ودعوى ارادة النصيحة للمسلمين، وهي تجدد مع هذا من يشترك فيها منهم بل يزعم صاحبها أنه كان بين انياب الفقر، ومخالب الضنك والعسر، الى أن تحرش بالمسائل الاسلامية، وناطح قرنه اعلام الملة الحنيفة، فأقبل عليه المسلمون، وهم من كل حذب ينسلون، وما زالت تنوالى عليه منهم «الاشتراكات»، حتى زال عنه بمالهم «الضنك والعسر»، والعبرة في هذا على تقدير صدقه ظاهرة. وأما العبرة على تقدير تمويهه وتعظيمه لشأن نفسه وبراعته في الاعلان عن جامعته فهي ان المسلمين في اعتقاد هذا الرجل قد بلغوا من الجهل والحماسة مبلغاً يستزلهم فيه بمثل هذا الكلام الى مكافته على الطعن بدين الاسلام.

وأكبر من هذا وأعجب مما سبقه كله أن من جرائد المسلمين في مصر وسوريا من قرظ كتابه الذي لفته في الطعن بالاسلام وائمه ووجه انظار المسلمين اليه، وحنهم عليه، أليس من الألفاظ والمعاني التي يصعب حلها على الأكثرين ان جريدة بيروتية اسلامية تقرظ كتاباً يطعن في الاسلام ويحرف كلام ائمة ليقنع المسلمين بما يقول ويزعم ان الجمع بين الرياسة الدينية والمدنية في خليفة المسلمين قاض بهدم الاسلام وتأخر أهله عن جميع الأمم ويصرح بأنه يجب على المسلمين ازالة هذا المعنى في الخلافة وجعل السلطان رئيساً مدنياً كملوك أوروبا — الى آخر ما أشرنا اليه في باب الشبهات وسنوضحه بمقالة مخصوصة؟ بلى ان هذا من عجيب (غرارة) المسلمين المشروحة في الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى المنشور في هذا الجزء أو من عجائب تساهلهم

مع هذا كله يقولون اننا متعصبون وانهم متساهلون، كأنه يتعذر علينا ان نرضيهم ونحن مسلمون، «وان رضى عنك...» ولا ننكر ان أصحاب الصحف المعتبرة كالهلال والمقتطف والمقطم والأهرام غير راضين عن خطأ الجامعة وفتحها أبواب التعصب على المسلمين وهم يبعدون عن جعل صحفهم دينية

﴿ الفلسفة القديمة وابن رشد ﴾

فلسفة المتقدمين من اليونان والعرب الذين جروا على آثارهم قد نسخت بالفلسفة الحديثة ولم يبق للبشر حاجة فيها إلا من الجهة التاريخية فلا ينبغي تضييع الوقت بالاشتغال بنظرياتها العقيمة إلا لأفراد يتفرغون لحفظ تاريخ العلوم ليعرفوا نسبة الماضي إلى الحاضر وهؤلاء الأفراد لا يوجدون إلا في الأمم الراقية التي أحاطت بالعلوم والفنون العصرية التي عليها مدار العمران لأن حفظ ساسة الفلسفة والعلم من الأمور التي يسمونها كمالية وأمامها مرتبتا الأمور الضرورية والأمور الحاجية

ولا ينبغي أن أهل هذه البلاد لا يزالون في المرتبة الأولى فلا يجوز أن تشتغل أفكارهم بالمرتبة الكمالية لأن ذلك تضييع للوقت وإفساد للفكر . فالاشتغال بنشر فلسفة ابن رشد وأمثاله بين القارئین وترغيبهم فيها ضارٌّ بهم ولو كان ضرورياً أو حاجياً لطلبوه بسائق المنفعة وقرروه في مدارسهم

نعم إن ابن رشد عالم متكلم إسلامي كما هو فيلسوف فما كتبه في نسبة الفلسفة إلى الدين ينبغي أن يطلع عليه المشتغلون بعلم الكلام في الأزهر وغيره من المدارس الدينية وذلك هو كتابه (فصل المقال) المطبوع بمطبعة المؤيد . ولا بأس للمتوغل في علم الكلام من النظر في كتابه تهافت التهافت بعد النظر في كتاب تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي وكلاهما مطبوع بمصر في كتاب واحد وثمته بنحس

ولا يصح لما قل أن يعتمد في فلسفة ابن رشد — إذا هو أرادها — على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رنان أو من الكتب العربية فإن صاحب الجامعة شاب لم يتعلم إلا مبادئ علوم المدارس في مدرسة كفتين فهو لا يفهم هذه الفلسفة ولا هو حسن القصد في بيان ما يفهمه كما علم من مقالة (الأسباب والسنن) المنشورة في هذا المنار ويعلم مما سنشره في أثبات أن دين الإسلام مبني على العقل كما صرح القرآن الكريم وقد زعم صاحب الجامعة أن الإمام الغزالي وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أي بخلاف ما ينطق به كتاب الله تعالى (حاش لله)

﴿ القوى الأدبية في الشرق ﴾

يقول من يدعي القيام بأحياء الآداب في الشرق بإسان صديق له مجهول إن الشرق في حاجة إلى القوى الأدبية ولم يبين ما هي تلك القوى بالنص ولكنه بينها بالمحوى وهي الكذب وسوء الظن والخوض بالاعراض ومكافأة المحسن بالساءة

والنميمة والبهتان للتفريق بين الصديق وصديقه والرفيف ورفيفه والأستاذ وتلميذه أما الكذب فنه نسبه ما كتبه في هذا الموضوع لغيره مع ان العبارة والأسلوب والمحتوى تشهد كلها بأن ذلك له والافمن هو ذلك الكاتب الذي يسمع عندنا القول من فلان ويسمع نقيضه منه عند ذلك المدعي ؟ ومنه أنه حكى عنا من الطعن في بعض الأصحاب والرفقاء ما نعلم أنه لم يقع ونقيس عليه ما حكاه عنهم فعلم ان كل ما قاله كذب، الخ وأما سوء الظن فنه أنه جزم بأن الذي أفتى سره النبي بسوء قصده وبغزمه على الاستمرار في عمله السيئ هو ذلك الأديب الذي ينوء به ويمدحه ويدافع عنه والحقيقة ان السرا تها ظهر من قطر غير القطر المصري فكان على محي الآداب في الشرق أن لا يجاري ظنه السيئ في صديق له ويحمل عليه تلك الحملة المنكرة وأما الخوض في الاعراض فنه أنه أوهم ان صديقه الذي أساء الظن به كان مستخدماً قبل ما هو فيه الآن من العمل التجاري في موضع لا ينبغي الصريح به وانما يشار اليه بالقط . . . مع ان الرجل لم يكن مستخدماً الا في شركة الاسواق .

وأما مكافأة المحسن بالاساءة فنها وهو أظهرها معاملته المشار اليها آنفاً مع صديقه الذي كان متفانياً في مساعدته . ومنها معاملة غيره من المحسنين بما لا حاجة الى الصريح به ويعرفه من يعرف الرجل وسيرته

وأما النميمة والبهتان فنها زعمه ان فلاناً كان يقول في فلان كذا ويذم عمله وكذلك الآخر ولو كان كل ذلك صحيحاً لوجب كتمانهم فكيف يصرح به محي آداب الشرق وهو أفك صريح وبها ان عظيم وهذه النميمة والبهتان قد عزيت الى أسماء صريحة

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

الدولة العلية في اضطراب من زلازل الفتن في مكدونية والخاص الدول عليها بوجوب الإصلاح ومن مطالبة اكثرتا لها بالأذن لسفها الحريه أن تمر في الدردنيل وابوسفور عند الحاجة كما أذت لبعض السفن الروسية

والدولة المراكشيه في حطر عصيم من خارج يدعي (أبا حمارة) خرج على السلطان يحاول نزع الملك منه . وقد كبرت قنة هذا الخارج وقويت عصيته لأن "الاهلين نفروا" من السلطان عبد العزيز ما يرون من ميله الى الاجانب وتنافسه في زخرف مدينتهم . ولا شك ان السلطان عبد العزيز لم يسلك طريق الحكمة فيما وجه اليه وجهه من تعبير حال بلاده أو اصلاحها كما يقولون . وقد كنا نصحناله ولحكومته

بالاستعانة بالدولة العلية على الاصلاح العسكري والعلمي بطلب رجال من العثمانيين المسلمين يقومون بالاصلاح — والمثار يرسل دائماً الى ناظر خارجيته ولكن هذا التقاطع بين ملوك المسلمين وأمرائهم هو أصل كل بلاء ابتلوا به .

هاتان الدولتان الاسلاميتان مصطرتان وبقية البلاد الاسلامية وادعة ساكنة ليس فيها شيء يؤثر ، ولا حادث يذكر ، اللهم الا الهند ومصر . فأما الهند فقد احتفل فيها من عهد قريب بفتح ملك الانكايز وتسميته أميراً طور الهند وهذا الاحتفال يسمونه (الدربار) ويكون في مدينة (دلهي) عاصمة الهند الأولى . وتلا هذا الاحتفال احتفال آخر بمؤتمر التربية الاسلامية وهو خير ما يعمله المسلمون في هذا العصر لانه اتفق الاشياء لهم . وأما مصر فقد احتفل فيها ثلاثة احتفالات عظيمة في مدة قريبة أحدها الاحتفال بدار الآثار والعاديات المصرية وثانيها الاحتفال بالخزان الذي بني في أصوان وثالثها احتفال المؤتمر الطبي الدولي المصري واننا نتكلم عن الاخيرين بموجز من القول

﴿ المؤتمر الطبي الاول بمصر ﴾

الغرض من هذا المؤتمر دراسة أمراض البلاد الحارة ولاشك ان مصر خير مكان يصاح ان يؤمه أطباء أوروبا لهذا البحث وقد اشتركت فيه الدول العظيمة رسمياً وأرسات مندوبين عنها يحضرونه . وقد افتتح المؤتمر عزيز مصر العباس في المامى الحديوي (الأورا) في ١٩ رمضان (١٩ دسمبر) الماضي فخطب خطبة فرنسية رحب فيها بأعضاء المؤتمر وشكر الحكومات والمجامع العلمية التي لبّت دعوة حكومته وأرسلت مندوبها الى المؤتمر ومما قاله « يجدر بي ان أفتخر بأن بلادى قد اهتمت اهتماماً حقيقياً بالسير في سبيل التقدم وفيما هو صالح ونافع لنوع الانسان ولذلك جعلت مساعيَّ موجهة دائماً الى المحافظة على سيرها في هذا السبيل »

وقد تكلم الناس في أمرين أحدهما كون خطبة الأمير بالفرنسية دون لغة حكومته الرسمية (العربية) وجهل هؤلاء ان هذا الاحتمال لو كان في روسيا لما خطب القيصر فيه الا بالفرنسية التي يفهمها كل الذين يخاطبهم . وثاني الأمرين ان مختار باشا الغازي لم يحضر المؤتمر ولم ترسل الدولة العلية مندوباً آخر من الأطباء . ويقال ان هذا المؤتمر لا يرضي الدولة العلية لأن من شأن مثله ان يكون في البلاد المستقلة وكأنها ترى ان الواجب ان يكون المؤتمر بدعوة الدولة العلية لا بدعوة الحكومة المصرية بنفسها .

﴿ الخزان - أو - سد أسوان ﴾

اقامة السدود على الأنهار لحفظ الماء الذي يحتاج اليه في ري الأرض قديم في البشر وكان العرب من السابقين اليه تصوراً وعملاً فسد مأرب في بلاد سبأ مشهور أمره . وكان في دولة العبيديين في مصر من تصور بناء سد للنيل ولم يبرز ذلك للفعل . ثم أن نابليون الأول تصور هذا العمل وأراد . وتكلم فيه من بعده كثير من المهندسين ولم يتم إلا في زمن هذا الأمير (العباس) وبأيدي الموظفين في حكومته والمقاولين في بنائه من الإنكليز . وقد وضع الحجر الأول من سد أسوان في ١٢ فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ وضعه دوق كنوت اح ملك الإنكليز ووضعت زوجته الحجر الأخير منه في ١٠ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٢ وقد كتب على كل من الحجرين بالإنكليزية اسم واضعه والتاريخ وكون السنة سنة كذا من حكم سمو (الحديو عباس حلمي)

طول السد من الشرق الى الغرب القامت وسمكه من أسفله نحو ثلاثين متراً ومن أعلاه ٧ أمتار ويزيد ارتفاعه عن سطح الماء عند انخفاضه على ٢٠ متراً وفيه ١٨٠ مصباً للماء سعة المصب نحو ٣ أمتار من الأمام وثمان من الورا في الغالب ولها أبواب تفتح وتغلق بحسب الحاجة لحبس الماء وإطلاقه . ويبلغ ما يمسكه السد من الماء ما يارب ٦٥ مليون متر مكعب أو ما يارب ١٤٠ مليون طن . وهي تفتح وتغلق بالآلات الكهربائية . وأما منافع السد المقدره فهي عظيمة جداً منها احياء أرض واسعة تقدر بمئات الألوف من العدا دين ومنها التمك من زرع نحو نصف مليون فدان مرتين في العام وذلك مما لا يزرع الآن الا مرة واحدة ومنها سد العجز الذي يكون من انخفاض النيل في بعض السنين . ومن تمة منفعة هذا السد انه بني في أسبوط قناطر كالقناطر الحيرية عددها ١١١ قنطرة عرض كل قنطرة خمسة أمتار وارتفاعها من قاع النهر الى السطح ١٢ متراً ونصف وسمكها عند القاعدة ٢٦ متراً وقائدها اصلاح الري فيما تحت أسبوط من الوجه القبلي اما الاحتفال بفتح الخزان فقد كان في رمضان الماضي ودعت الحكومة اليه وكلاء الدول وكبار الموظفين والوجهاء وكثيراً من الافرنج وكان الأمير دعا دوق كنوت وزوجه . واستدأ الاحتفال باطر الاشغال العمومية حين نخري باشا بحطبة فرنسية ذكر فيها وجه الحاجة الى السد . لاجال والعناية في بائه فأجابه الأمر بحطبة فرنسية وجيزة اعترف فيها بعظمة العمل وأنى على الناظر واعوانه الموظفين الذين شكر لهم همهم في مساعدته وقال : وانه ليسرني كثيراً أن أرى حكومتي تتبع اعز رغائى وأحرص ميلى فتبذل كل الجهد في جاب الخير والسعادة للبلاد .

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يدكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادى الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم الجمعة ذى القعدة سنة ١٣٢٠ — ٣٠ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣)

القسم الدينى

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده معقى الديار المصرية فى الازهر)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ
الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ
فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ
حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ أَمَلَكُمْ تُشْكِرُونَ . وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ
الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

في هذه الآيات ضرب من ضروب التذكير غير ما سبقه ومن البلاغة والحكمة أن يجيء تالياً له وتأخراً عنه . . . هذا أولاً للتذكير تمهيداً يسترعي السمع ويوجه الفكر ويستميل القلب وهو الابتداء بذكر النعمة بمجملها والتفضيل على العالمين ولا يرنح الإنسان لحديث كحديث منقّب قومه ومنافخهم — ثم طفق يفصل النعمة ويشرحها فبدأ بذكر فرد من أفرادها لا يقترن به ذكر سيئة من سيئاتهم وهو تخييرهم من ظلم آل فرعون ولكن ذكر أكبر ضروب ذلك الظلم معه وهو قتل الأبناء بخفض من عتو تلك النفوس المعجبة المتكبرة التي تعتقد أن الله لا يسود عليها شعباً آخر وهو مع هذا لا ينفر بها عن الأصغاء والتدبر لأنه لم يفاجئها بشيء فيه نسبة التقصير وعمل السوء إليها . ثم ثنى بذكر نعمة خاصة خاصة تسكن النفس إلى ذكرها إذ لا يشوب الفخر بها تنقيص من تذكر غضاضة تتصل بواقعها وهي فرق البحر بهم وإنجاؤهم وإغراق عدوهم . لا جرم أن نفوس الأسرائيليين كانت تهتز وتأخذها الأريحية عندما تلا عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية لما فيها من الشهادة بعناية الله تعالى بهم لاسيما إذا قارنوا بين هذا التذكير وبين تذكير مشركي الرب بتلك القوارع الشديدة لم يتركها بعد هذه الهزة تجمع في عجبها ونفخها ، وتتمادى في إيائها وزهوها ، بل عقب فذكر بعد هذه النعمة سيئة لهم كبرى ظلموا بها أنفسهم وكفروا نعمة ربهم وهي اتخاذ العجل إلهاً وقدم على ذكرها خبر مواعدة موسى وهي من النعم وختها بذكر العفو ثم فتي بذكر نعمة إيتائهم الكتاب والفرقان وهذا ما يجعل النفس السامعين الواعين قلقة يتنازعها شعور اعتراف المذكر الواعظ لها بالشرف ، وشعور رميه إيها بالظلم والسرف ،

بعد هذا كله استعدت تلك النفوس لأن تسمع آيات مبدوءة بذكر سيئاتها من غير تمهيد ولا توطئة فانتقل الكلام الى هذا الضرب من التذكير وذلك قوله تعالى «واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم» الآية . ثم قوله عز وجل «واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك» الآية . ومثلها ما بعدهما تكلم الاستاذ الإمام في التوبة وقال انها محو أثر الرغبة في الذنب من لوح القلب والباعث عليها هو شعور التائب بعظمة من عصاه وماله من السلطان عليه في الحال ، وكون مصيره اليه في المال ، لا جرم ان الشعور بهذا السلطان الإلهي بعد مقارفة الذنب يبعث في قلب المؤمن الهيبة والخشية ويحدث في روحه انفعالا مما فعل وندما على صدورهم عنه ويزيد هذا الحال في النفس تذكر الوعيد على ذلك الذنب وما رتبته الله عليه من العقوبة في الدنيا والآخرة . هذا أثر التوبة في النفس وهذا الاثر يزعج التائب الى القيام بأعمال تضاد ذلك الذنب الذي تاب منه وتمحو أثره السيئ « ان الحسنات يذهبن السيئات » فمن علامة التوبة النصوح الإتيان بأعمال تشق على النفس وما كانت لتأتيها لولا ذلك الشعور الذي يحدثه الذنب . وهذه العلامة لا تختلف عن التوبة سواء كان الذنب مع الله تعالى أو مع الناس . الا ترى ان أهون ما يكون من إنسان يذنب مع آخر يبالي به أن يجيء معترفاً بالذنب معتذراً عنه وهذا ذل يشق على النفس لا محالة وقد أمر بنو إسرائيل بأشق الأعمال في تحقيق التوبة من أكبر الذنوب وهو الرغبة عن عبادة من خلقهم وبرأهم الى عبادة ما عملوا بأيديهم . وقد قال «فتوبوا الى بارئكم» لينبهم الى ان الإله الحقيقي هو الخالق الباري ليتضمن الامر الاحتجاج عليهم والبرهان على جهلهم

ذلك العمل الذي أمرهم به موسى هو قتل أنفسهم والقصة في التوراة التي بين أيديهم الى اليوم . دعا موسى اليه من يرجع الى الرب فأجابته بنو لاوي فأمرهم بأن يأخذوا السيوف ويقتل بعضهم بعضاً ففعلوا وقتل في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف ، وقال مفسرنا (الجلال) كثيره ان الذين قتلوا سبعون ألفاً والقرآن لم يمين العدد والعبرة المقصودة من القصة لا تتوقف على تعيينه فتمسك عنه . كذا قال الاستاذ الامام وهذا مذهب في جميع مبهمات القرآن يقف عند النص القطعي لا يتعمده ، ويثبت ان الفائدة لا تتوقف على سواء ، أما سؤال بني اسرائيل رؤية الله تعالى فقد قال الاستاذ الامام انها واقعة مستقلة لا تتصل بمسألة عبادة العجل وهي معروفة عند بني اسرائيل ومنصوصة في كتابهم . وذلك ان طائفة منهم قالوا لماذا اختص موسى وهرون بكلام الله تعالى من دوننا . وأنتشر هذا القول في بني اسرائيل وتجرأ جماعة منهم بعد موت هرون وهاجوا على موسى وبني هرون وقالوا لهم ان نعمة الله على شعب اسرائيل هي لأجل ابراهيم واسحاق فتشمل جميع الشعب . وقالوا لموسى لست أفضل منا فلا يحق لك أن ترفع وتسود علينا بلا مزية وإنما لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . فأخذهم الى خيمة العهد فأنشقت الارض وابتلعت طائفة منهم وجاءت نار من الجانب الآخر فأخذت الباقيين وهذه النار هي المبر عنها بالصاعقة . وقد أخذ هذا المذاب تلك الطائفة والآخرون ينظرون . وهكذا كان بنو اسرائيل يترددون ويعاندون موسى عليه السلام وكان سوط عذاب الله يصب عليهم فرموا بالامراض والابوثة وسلطت عليهم الهوام وغيرها حتى أماتت منهم خلقاً كثيراً فبجاحتهم ومعاندتهم للنبي صلى الله تعالى

وآله وسلم لم تكن بدعا من أعمالهم

قال تعالى « ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » ذهب الأستاذ الامام الى ان المراد بالبعث هو كثرة النسل أي انه بعد ما وقع فيهم الموت بالصاعقة وغيرها وظن أن سينقرضون بارك الله في نسلهم ليعمد الشعب بالبلاء السابق للقيام بحق الشكر على النعم التي تمتع بها الآباء الذين حل بهم العذاب

والعبرة الاجتماعية في الآيات ان الخطاب في كل ما تقدم كان موجها الى الذين كانوا في عصر التنزيل وان الكلام عن الأبناء والآباء واحد لم يختلف فيه الضمائر . حتى كأن الذين قتلوا أنفسهم بالتوبة والذين صعبوا بعد ذلك هم المطالبون بالاعتبار والشكر . وما جاء الخطاب بهذا الاسلوب الا لبيان معنى وحدة الامة واعتبار أن كل ما يبلوها الله به من الحسنات والسيئات وما يجازيها به من النعم والنقم إنما يكون لمعنى موجود فيها يصحح ان يخاطب اللاحق منها بما كان للسابق كانه وقع به ليعلم الناس ان سنة الله تعالى في الاجتماع الانساني ان تكون الامم متكافلة يعتبر كل فرد منها سعادته بسعادة سائر الافراد وشقاءه بشقائهم ويتوقع نزول العقوبة به اذا فشت الذنوب في الامة وان لم يواقعها هو « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » وهذا التكافل في الامم هو المعراج الاعظم لرقبها لأنه يحمل الامة التي تعرفه على التعاون على الخير والمقاومة للشر فتكون من المفلحين

بعد هذا ذكر الله تعالى نعمة أخرى بل نعمتين من النعم التي من بها على بني اسرائيل فكفروا بها ولكنه لم يذكروا ان به الكفر ان بل طواه

وأشار إليه بما ختم به الآية من أنهم لم يظلموا الله تعالى بذلك الذنب المطوي وإنما ظلموا أنفسهم . وهذا أسلوب آخر من أساليب البيان في التذكير وضرب مذبذب ضرب الإيجاز ، التي هي أقوى دعائم الإعجاز ؛ أما النعمة الأولى فقوله تعالى « وظللنا عليكم الغمام » . قال الاستاذ الامام هذه نعمة مستقلة متصلة بما قبلها في سياق الذكرى منفصلة عنها في الوقوع فان التظليل استمر الى دخولهم أرض الميعاد . ولولا ان ساق الله اليهم الغمام يظلمهم في التيه لسفعتهم الشمس ولفحت وجوههم . وقال لا معنى لوصف الغمام بالرقيق كما قال المفسر (الجلال) . وغيره بل السياق يقتضي كثافته اذ لا يحصل الظل الظليل ؛ الذي يفيد حرف التظليل ، الا بسحاب كثيف يمنع حر الشمس ووهجها . وكذلك لا تتم النعمة التي بها المنة الا بالكثيف وهو المنقول المعروف عند الاسرائيليين أنفسهم وأما النعمة الثانية في قوله تعالى « وأنزلنا عليكم المن والسلوى » مامنح من الله تعالى يسمى إيجاده إنزالا ومنه « وأنزلنا الحديد » على ان المن ينزل كالندى وهو مادة لزجة حلوة تشبه العسل تقع على الحجر وورق الشجر مائة ثم تجمد وتجف فيجمعها الناس ومنها الترنجيبين وبه فسر المن مفسرنا وغيره . وأما السلوى فتدفسروها بالسّماني وهو الطائر المعروف فعنى النزول يصح فيه على حقيقته أيضاً . وظاهر أن قوله تعالى « كلوا من طيبات ما رزقناكم » مقدّر فيه القول . وفي (سفر الخروج) أن بني اسرائيل أكلوا المن أربعين سنة وان طعمه كالرقاق بالعسل وكان لهم بدلا من الخبز وليس المراد أنه لم يكن لهم أكل سواه الا السلوى فقد كان معهم المواشي ولكنهم كانوا محرومين من النبات والبقول كما يعلم مما يأتي .

وفي قوله تعالى « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » تقرير لقاعدة مهمة وهي أن كل ما يطلبه الدين من العبد فهو لمنفعته وكل ما ينهيه عنه فأنما يقصد به دفع الضرر عنه ولن يبلغ أحد شئ الله فينفعه ولن يبلغ أحد ضرره فيضره فكل عمل بن آدم له أو عليه « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »

باب العقائد ورد الشبهات

(الاسلام دين العقل)

كنا ولا نزال نصرح بأن دين الاسلام هو دين العقل وحجتنا الكتاب والسنة وكلام الائمة ولكننا ابتلينا بمن يشكك المسلمين في دينهم وفي الدعاة اليه بإيهاهم ان ما نقول ليس من الدين وأنه ضار به لان الاسلام يجب ان يكون كسائر الاديان التقليدية عدواً للعقل وان بناء على العقل مؤذن بهدمه كغيره وانه لو كان معقولاً لكان علماً ولم يكن ديناً الى غير ذلك من التشكيك وإنما نأخذ ديننا عن الادلة العقلية والنقلية من كتاب ربنا لا عن المخالفين المشككين

بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ان في السموات والارض لايات للؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . وأختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون . ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كان لم يسمعها فبشره بعذاب أليم .

فهذا كتاب الله يقيم الأدلة والبراهين مطالباً بها أهل العقل باليقين في الإيمان ؛ واليقين لا يكون إلا بالبرهان ، ومعرفة الشيء يرهانه هو أعلى العلم وأقواه . ولذلك قال تعالى بعد آيات ذكر فيها أهل الكتاب : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » . وقال بعد آية « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » والبصائر جمع بصيرة وهي الحجة توصل إلى اليقين . ثم قال في الجاحدين تقليداً « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » فنفى عنهم العلم وبين أن الظن لا ينفع في الدين ، لأن المطلوب فيه علم اليقين ، كما قال في سورة أخرى « وما لهم بذلك من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً »

تلك آيات من سورة قصيرة تدل على أن الإسلام دين العقل وأنه علم وأنه يطلب فيه اليقين ولا يكتفى بالظن في الإيمان بأصوله كوحداية الله تعالى وعلمه وقدرته وبعثة الأنبياء ورسالة خاتمهم عليه وعليهم السلام . وقد جاء في القرآن كلمة « يعقلون » بالياء والتاء نحو خمسين مرة وفيه ذكر العقل والعقلاء في الخطاب وإقامة الآيات على الإيمان بغير هذا الحرف كأنهمى واللب فلفظ الألباب جاء في بضع عشرة آية . لهذا كان العلم بالكون طريق الإيمان والإسلام . قال عز وجل « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » فديننا والله الحمد علم وكل علمنا دين لأنه يزيدنا إيماناً ومعرفة بالله سبحانه

وقد ورد في الحديث « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم »
وأما قول المشككين ان العلم محصور في المحسوسات فكل مالا تحس به
فلا يقال في عرف الفلاسفة انك عالم به فهو من المغالطة أو الجهل فإنه لا علم
يعتصم باليقين كعلم الرياضيات وبراهينها معقولة غير محسوسة .

(تعارض الدليل العقلي مع الدليل السمعي)

ذكرنا في المنار غير مرة ان الذي عليه المسلمون من أهل السنة
وغيرهم من الفرق المعتد بإسلامها ان الدليل العقلي القطعي اذا جاء في ظاهر
الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل العقلي متعين ولما في النقل التأويل أو
التأويل وهذه المسألة مذكورة في كتب العقائد التي تدرس في الأزهر
وغيره من المدارس الإسلامية في كل الاقطار كقول الجوهرة

وكل نصٍّ أو هم النشيبها أوله أو فوض ورم تنزيها

قال الامام الرازي في تفسير قوله تعالى « لا يكاف الله نفساً الاوسعها »
عند ذكر التأويل : « انه قد ثبت أنه متى وقع التعارض من القاطع العقلي والظاهر
السمعي فإما ان يصدقهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين وإما أن يكذبهما
وهو محال لأنه ابطال للنقيضين وإما ان يكذب القاطع العقلي ويرجح الظاهر
السمعي وذلك يوجب تطرق الطعن في الدلائل العقلية ومتى كان كذلك
بطل التوحيد والنبوة والقرآن . وترجيح الدليل السمعي يوجب القدح في
الدليل العقلي والدليل السمعي معاً فلم يبق الا أن يقطع بصحة الدلائل
العقلية ويحمل الظاهر السمعي على التأويل » اهـ ثم انه أقام الدليل بهذا
الوجه على المعتزلة في مسألة التكليف لانهم ينفقون مع أهل السنة فيه

هذه المسألة مشهورة عند علماء المسلمين لا تحتاج الى تأييدها بنقول

ولكن فشت بينا في هذه العصر مطبوعات المشككين في الدين فاذا نقل المسلم عبارة من أصول دينه يقولون ان هذا من عنده ولا يبعد أن يوجد من الجاهلين من يعتز بأقوالهم . وقد تقدم في مقالات و الاسلام والنصرانية أن الاصل الثاني للاسلام تقديم العقل على النقل عند التعارض وهذا دليله من القرآن ومن كلام بعض الأئمة ولو أردنا سرد القول من المواقف والمقاصد وسائر كتب الكلام والتفسير ومن كتب المتأخرين كحواشي الباجوري والرسالة الحميدية لأطلنا الكلام في معنى واحد

الشكوك في المسألة

فان قيل ان الامام الغزالي بعد أن أظهر تهافت الفلاسفة في أدلتهم النظرية في علم الله تعالى قال: « فإذن ليس ينفك فريق منهم عن خزي في مذهبه وهكذا يفعل الله بمن ضل عن سبيله . وطمأن الأمور الإلهية يستولي على كنهها بظروم ونجيه » فهل يدل هذا القول على ان الدين غير معقول أم لا فالجواب انه ليس من مقتضى الدين ولا من مقتضى الفلسفة الوقوف على كنه الخالق وحقيقته وكنه صفات الباري وحقيقتها . واذا عجز الحكماء والعلماء عن معرفة كنه الاجسام المشاهدة فكيف يطمع الطامعون بمعرفة كنه خالق الاجسام بأدلة نظرية وتخيلات شعرية ؟ هذا شيء لم يكلفنا به الدين فيكون قول الغزالي بانكاره على الفلاسفة دليلا على أن الاسلام يكلف الناس بغير المعقول كما يزعم المشكك

ومثل هذا قوله في هذا البحث (بحث العلم الإلهي) مخاطبا للفلاسفة بعد إظهار عجزهم وتهافتهم : « المقصود لعجزكم عن دعواكم معرفة حقائق الأمور بالبراهين القطعية وتشكيكم في دعاويكم واذا ظهر عجزكم في

الناس من يذهب الى ان حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظر العقل بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله عليه « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » اهـ

فهذه الجملة من الامام الغزالي كالجملة السابقة خاصة ببيان عجز البشر عن ادراك حقيقة الباري وحقائق صفاته وقد مرت القرون والاجيال وستمر قرون وأجيال أخرى الى ينقضي عمر البشر ولا يصلون الى معرفة حقيقة الله وحقيقة علمه وسائر صفاته . وهكذا قال صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) قال (ص ٥٤٤ من المنار): « لا بد ان ينتهي أمر العالم الى تأخي العلم والدين ، على سنة القرآن والذكر الحكيم ، وبأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح معناه ، « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » وعند ذلك يكون الله قد أتم دينه ولو كره الكافرون ، وتبهم الجامدون القانطون ، ، فكلام الامام الغزالي وكلام هذا الامام واحد لا فرق بينهما . ولو كان الاسلام كافئاً بأن نعرف كنه ذات الله تعالى وكنه صفاته لكان مكلفاً لنا بما لا يعقل ولا يستطاع ولكن الله يقول « لا يكلف الله نفساً الا وسعها »

هذا وان الامام الغزالي لم يقصد بكتاب تهافت الفلاسفة الذي نقلنا منه تينك الجملتين بيان القواعد الإسلامية وإنما قصد بيان فساد نظريات الفلاسفة في الأمور الإلهية وقد يدفع القاسد بالقاسد ولذلك قال قبل الجملة الثانية بأسطر (ص ٤٥٥) : « نحن لم نخض في هذا الكتاب خوض الممهدين ، بل خوض المهادمين المعترضين ، ولذلك سمينا الكتاب (تهافت الفلاسفة) لا (تمهيد الحق) » فلا يصح أن يؤخذ من هذا الكتاب

مذهبه في العقائد ولا في غيرها كما نبهنا على ذلك في مقالة الاسباب والمسببات في الجزء التاسع عشر والعشرين . وإنما يؤخذ مذهب من كتبه في العقائد والاصول وهو فيها موافق لسائر أئمة السنة من أن العقل أصل الاسلام وان براهينه القطعية لا ترد فان جاء في الشرع ما يخالفها في الظاهر فالحكم فيه ماتقدم فان قيل : قد علمنا ان أئمة المسلمين في العقائد والاصول لم يختلفوا في أن دين الاسلام هو دين العقل فهل تعلم أن الفلاسفة الاسلاميين خرجوا عن هذا الأصل وفصلوا بين العقل والدين ؟ فالجواب كلا ان الفلاسفة أحرص على التوفيق بين العقل والشرع من غيرهم وقد ألف فيلسوف الاسلام في الغرب أبو الوليد بن رشد رحمه الله تعالى كتابا في هذه المسألة أثبت فيها ما أثبتته أهل السنة من قبله . ذلك الكتاب هو (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) ففي هذا الكتاب أثبت ان الشرع الاسلامي أوجب النظر بالعقل وجعله أساساً للعقائد ثم قال (في ص ٨) مانصه : « واذا كانت هذا الشرائع حقا وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة

الحق فإننا معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له . واذا كان هذا هكذا فان أدعى النظر البرهاني الى نحو ما من المعرفة بوجود ما فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد سكت عنه في الشرع أو عرف به . فان كان مما سكت عنه فلا تعارض هناك وهو بمنزلة ما سكت عنه من الأحكام فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعي . وان كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق ان يكون موافقا لما ادى اليه البرهان فيه او مخالفا . فان كان موافقا فلا قول هناك . وان كان مخالفا طلب هناك تأويله . ومعنى التأويل هو

إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشيئه او سبيه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عهدت في تعريف أصناف الكلام المجازي . واذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الاحكام الشرعية فكم بالحري ان يفعل ذلك صاحب العلم بالبرهان فان الفقيه انما عنده قياس ظني والعارف عنده قياس يقيني

« ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي . وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن . وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بل نقول انه ما من منطوق به في الشرع يخالف بظاهره لما أدى إليه البرهان الا اذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر أجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل ، اه المراد منه بحروفه

نقول: الله اكبر ، لمع الحق وبهر ، وظهر ان علماء المسلمين متكلميهم وفلاسفتهم ومفسريهم وفقهائهم لم يختلفوا في ان الاسلام دين العقل على العقل بني شرعه والعقل هو المخاطب به (لا القلب وحده) وظهر ان ما قاله ذلك الامام في مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) في تعارض الادلة العقلية والنقلية ، هو المجمع عليه في الملة الحنيفية ، وهذا ما يدعو اليه المنار جهاراً ، وكبر على اعداء الاسلام فمكروا مكراً كباراً ، ولن

يجدوا لهم من دون الله أنصاراً،

فان قيل : ان لأبن رشد كلاماً آخر في « تهافت التهافت » يشبه ان يكون مخالفاً لقوله هنا كقوله « الفلسفة تفحص عن كل ما جاء في الشرع فان أدركته استوى الإدراك كان وكان ذلك أتم في المعرفة وان لم تدركه أعلمت بقصور العقل الانساني وان يدركه الشرع فقط » وكقوله : « أما الكلام في المعجزات فليس فيه للقديماء من الفلاسفة قول لأن هذه كانت عندهم من الاشياء التي لا يجب ان يتعرض للفحص عنها وتبطل مسائل فانها مبادي الشرائع والقاحص عنها او المشكك فيها يحتاج الى عتوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادي الشرائع العامة مثل هل الله تعالى موجود وهل السعادة موجودة وهل الفضائل موجودة . وإنه لا يشك في وجودها وان كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الانسانية . والعلة في ذلك أن هذه هي مبادي الاعمال التي يكون بها الانسان فاضلاً ولا سبيل الى حصول العلم الا بعد حصول الفضيلة . فوجب ان لا يتعرض للفحص عن المبادئ التي توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة . واذا كانت الصنائع العملية لا تتم الا بأوضاع ومصادرات يسلمها المتعلم أولاً فأحرى ان يكون ذلك في الامور العلمية » اهـ بحروفه

فالجواب ان هذا الكلام لا ينافي ذاك ولا يخالفه بل هو مؤيد لقوله الأول ولقول جميع أئمة المسلمين من السابقين عنه واللاحقين به الى صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية) ولو فرضنا ان بين القولين مخالفة لكأن الواجب اعتبار الأول لانه مبين لمذهبه واعتقاده هو وسائر المسلمين على سبيل القطع . وأما قوله هنا فهو حكاية

عن الفلاسفة الاولين ولا يضرنا مخالفتهم لنا مادامنا واثقين بأننا على الحق المؤيد بالبرهان . على ان ابن رشد يقول هنا ان الفلاسفة الاولين لا يعارضوننا في هذه المسائل أي ان مقتضى مذهبهم ذلك والا قد صرح بأن ليس لهم كلام في هذه المسائل التي ذكرها فاختلاف بينه وبين الغزالي في هذا المقام محصور في نقل إنكار الفلاسفة على المليون مسألة المعجزات ومبادي الفضائل فالغزالي يسنده اليهم على الاطلاق وابن رشد يقول انه لم يبحث ذلك الا ابن سينا والخطب سهل

أما الوفاق فإنك تراه بدياً يتكلم عن رأي الفلاسفة في الأديان ومبادئها لا في الاسلام الذي هو أرقاها وهو مع ذلك يعترف بأمر لا تجمل الدين (المطلق) فوق العقل بمعنى أن فيه ما يحيله العقل ويقطع بعدم صحته (منها) أن ما لا تدركه الفلسفة بنظرياتها فهو دليل على ان العقل الإنساني قاصر عن الوصول اليه بنفسه فهو محتاج فيه الى إرشاد الشرع . ولا شك ان العقل الإنساني قاصر حتى اليوم عن إدراك كل ما بين يديه فهو يستخدم الكهرباء وينتفع بها ولا يعرف حقيقتها فكيف يعرف أمور الآخرة والنشأة الثانية ؟ وليس معنى قولنا ان دين الاسلام معقول ان كل مسأله يمكن أن تعرف بالعقل استقلالاً بل معناه انه ليس فيه شيء يحكم العقل باستحالته ككون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً . وكون الإله يتحد بالبشر ولولا ان هذا هو المراد لكأن العقل يستقل بوضع الدين ولا يحتاج فيه الى الوحي

(ومنها) قوله ان مبادئ الدين كالمعجزات أمور موجودة لا يشك في وجودها . والموجود لا يكون محالاً لأن المحال لا يقبل الوجود . وقوله

عهم : ان كيفية وجودها أمر إلهي تعجز عن إدراكه العقول الإنسانية : لا يستلزم أن الدين غير معقول أو ان فيه شيئاً محالاً في نظر العقل لأن هذه الموجودات التي نحس بها ولا نشك فيها قد عجزت عقولنا عن معرفة كيفية إيجادها فعجزها عن معرفة كيفية وجود المعجزات أولى . ويسهل على كل عاقل أن يميز بين ما هو مستحيل لا يتصور العقل وجوده وبين ما لا يشك في وجوده لكنه لم يصل الى معرفة كيفية حدوث هذا الوجود و (منها) ان هذه المبادئ الدينية الموجودة الثابتة يجب أن تؤخذ بالتسليم والتقليد للشرع (لا لآراء الناس) من غير أن نسلط النظريات الفلسفية على البحث في إمكانها وفي كيفية وجودها لأن هذا البحث سفه وضار . وأي سفه وضرراً أكبر من التشكيك في شيء موجود نافع للناس لصدّهم عن الانتفاع به بنظريات لا قيمة لها . اي سفه أكبر من سفه من كان يماري بالموجود الثابت بالمشاهدة أو التواتر (كالمعجزات) او يلزم الانسان بأن لا يسلك طريق الفضيلة حتى يبحث بالدلائل النظرية الفكرية في إمكانها وفي كيفية حصولها وهو يرى ويشاهد أنها تحصل بالفعل وأن طريق حصولها هو العمل لا النظريات الفكرية ؟؟

وما احسن ما اوردته الفيلسوف في هذا المقام أيضاً وهو :

« واما ما نسبته (أي ما نسبته الغزالي الى الفلاسفة) من الاعتراض

على معجزة إبراهيم عليه السلام فشيء لم يقله الا الزنادقة من اهل الا-لام فان الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادئ الشرائع وفاعل ذلك عندهم محتاج الى الأدب الشديد . وذلك انه لما كانت كل صناعة لها مبادي وواجب على الناظر في تلك الصناعة ان يسلم

مبادئها ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال كانت الصناعة العملية الشرعية هي أخرى بذلك لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضروري عندم ليس في وجود الانسان بما هو انسان بل وبما هو انسان عالم. ولذلك يجب على كل إنسان ان يسلم مبادي الشريعة وان يقلد فيها ولا بد من هذا الوضع لها فان جحدتها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الانسان ولذلك وجب قتل الزنادقة . فالذي يجب ان يقال فيها ان مبادئها هي أمور الهية تفوق العقول الانسانية فلا بد ان يعترف بهامع جهل اسبابها ولذلك لا تجد احدا من القدماء تكلم من المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم لانها مبادي تثبت الشرائع والشرائع مبادي الفضائل . ولا فيما يقال فيها بعد الموت . فاذا نشأ الانسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا باطلاق فان تمادى به الزمان والسعادة الى ان يكون من العلماء الراسخين في العلم فعرض له تأويل في مبداء من المبادي فيجب عليه ان لا يصرح بذلك التأويل وأن يقول فيه كما قال الله تعالى « والراسخون في العلم يقولون آمنا به » هذه حدود الشرائع وحدود العلماء « اه بحروفه من (ص ١٢٩)

حقا أقول ان هذا ما يصح ان يسند الى الحكماء العقلاء واننا نوضحه بمثال آخر طالما ذكرناه في مباحثنا مع الاخوان وهو ان الطب علم قد ثبت فائدته للناس بالتجربة والمشاهدة فمن الحماقة وسفه الرأي أن يقال للمريض عليك ان لا تقبل من الطبيب علاجا حتى تبحث أولاً عن مبادي الطب وتثبت بالادلة النظرية انه نافع ومفيد ثم تعرف الدواء الذي يصفه لك الطبيب ما هو وما نسبة بعض أجزائه الى بعض وكيف يؤثر في مقاومة المرض وما الدليل العقلي على تأثيره وما أشبه ذلك

كذلك يكون أفين الرأي من يقول للناس عليكم ان تبحثوا قبل
الايمان عن أسباب المعجزة الثابتة التي رأيتوها أو نقلت اليكم بالتواتر حتى
كانكم كنتم حاضريها كيف أوجدها الله تعالى ثم تبحثوا أيضاً عن كل ما جاء
في الشرع لتعلموا بالدليل النظري لم كان كذلك وكيف كان وبعد ذلك
كله آمنوا اذا عرفتم كل المسائل بالدليل النظري ولا تؤمنوا اذا لم تعرفوها
يفتك المرض بمريض الجسد حتى يكون حرصاً أو يكون من الهالكين
ولا يقدر ان يقف على دقائق الطب بالنظر والاستدلال وهو كسي كله وضعه
أمثاله من الناس بالنظر والتجربة . وكذلك تفتك الرذائل والعقائد الباطلة
بمريض النفس فتجعله مصيبة على نفسه وعلى الناس ولا يصل بالنظر الى هذه
الكيفيات فيبقى ان الصواب ما قرره الاسلام وهو أن النظر واجب في الاصول
التي تثبت بها معرفة الله تعالى وصحة النبوة ومتى اعتقدنا بقدره الله وإرادته
وعلمه وكونه أوحى الى بعض عبيده وألهمهم إرشاد الناس الى ما يسعدهم في
حياتهم الاخرى فانه يسهل علينا أن نسلم بكل ما يقول الموحى اليهم (الانبياء
عليهم السلام) تسليماً . فان وجدنا فيه شيئاً يخالف ظاهره الدليل العقلي
القطعي نرده اليه بالنأويل أو نفوض الامر فيه الى الله مع الاخذ بالدليل
العقلي . هذا ما أجمع عليه أئمة المسلمين كما تقدم وهو كاف في كون الاسلام
دين العقل لان المسلم لا يترك الدليل العقلي الماطع بحال من الاحوال .
وقد أحسن ابن رشد في رأيه أن لا تنشر التاويلات التي تظهر
لاراسخين في العلم بل تبقى خاصة بأهلها اثلاً تكون سبباً لفتح باب الجدل
على العامة فيما لا تصل اليه أفهامهم من حقائق العلوم . والجدل مدعاة
الشكوك ولذلك يجب تأديب المشككين والاعراض عن المجادين

ارتقاء الأديان ، وختمها بالاسلام

(جاء في « رسالة التوحيد » للاستاذ الامام مانصه)

جاءت أديان والناس في فهم مصالحهم العامة بل والخاصة في طور أشبه بطور الطفولية للناسي الحديث العهد بالوجود لا يألف منه الا ما وقع تحت حسه ، ويصعب عليه ان يضع الميزان بين يومه وأمسه ، وان يتناول من المعاني مالا يقرب من لمسه ، ولم ينقث في روعه من الوجدان الباطن ما يعطفه على غيره من عشيره أو ابن جنسه ، فهو من الحرص على ما يقيم بناء شخصه في هم شاغل عما يلقي اليه فيما يصله بغيره اللهم الا يداً تصل الى فمه بطعام ؛ أو تسنده في قعود أو قيام ، فلم يكن من حكمة تلك الأديان ، ان تخاطب الناس بما يطف في الوجدان ؛ أو يرقى اليه بسلم البرهان ، بل كان من عظيم الرحمة أن تسير بالاقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده في سذاجة السن لا يأتيه الا من قبل ما يحسه بسمعه أو ببصره . فأخذتهم بالاوامر الصاعدة ، والزواجر الرادعة ، وطالبتهم بالطاعة ، وحملتهم فيها على مبلغ الاستطاعة ، كلفتهم بمعقول المعنى جلي الغاية وان لم يفهموا معناه ، ولم تصل مداركهم الى مرماه ، وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم ؛ وتنفعل به مشاعرهم ، وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه^(١)

(١) المعروف الى الآن من هذه الأديان دين اليهود ومن قرأ كتبه المقدسة التي يسمون مجموعها (التوراة) ينجلي له انطاق الوصف بما يسمونها أن الرب كان يلقب شعب اسرائيل بالشعب « العليط الرقية » أي انعريض القفا والمراد البليد الجاني وكان يريه الآيات والمحاول فيخضع ثم يعود الى تمرد . وكان يعال له الاحكام بالوقائع الخاصة كأنجائه من المصريين . وكان يعاقبه على ترك أي حكم باشد العقوبة ومنها ان من يعمل يوم السبت عملاً يقتل قتلاً

ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها الأقوام وسقطت ، وارتفعت ،
وجربت وكسبت ، وتخالفت واتفقت ، وذابت من الأيام آلاما ، وتقلبت
في السعادة والشفاء أياما وأياما ؛ ووجدت النفس بنفث الحوادث ؛ ولقن
الكوارث ، شعورا أدق من الحس وأدخل من الوجدان ؛ لا يرتفع في
الجملة عما تشعر به قلوب النساء أو تذهب معه نزعات الغلمان ؛ فجاء دين
يتخاطب العواطف ، ويناجي المراحل ؛ ويستعطف الأهواء ؛ ويحاذي
خطرات القلوب ، فترع للناس من شرائع الزهادة ما يصرفهم عن الدنيا
بجملة ما وبوجه وجوههم نحو الملكوت الأعلى ، ويقتضي من صاحب الحق
أن لا يطالب به ولو بحق ، ويغلق أبواب السماء في وجوه الأغنياء ؛ وما ينحو
نحو هذا مما هو معروف . وسن للناس سننا في عبادة الله تتفق مع ما كانوا
عليه ، وما دعاهم إليه ؛ فلا في من نعلق الناس بدعوتهم ما أصاح من فاسدها ،
ثم لم يمس عليه بضعة أجيال حتى ضعفت العزائم البشرية عن احتمالها ،
وضاقت الذرائع عن الوقوف عند حدوده ولا أخذ بأقواله ، ووقر في الظنون
أن أتباع وصاياه ضرب من المحال ، فهب القائلون عليه أنفسهم لمنافسة الملوك
في السلطان ، ومزاحمة أهل الترف في جمع الأموال ، وانحرف الجمهور
الأعظم منهم عن جادته بالتأويل ، وأضافوا إليه ما شاء الهوى من الأباطيل ،
هذا كان شأنهم في السجيا - نسوا طهارته ، وباعوا نزاهته ؛ أما في العقائد
فتفرقوا شيعا ، وأحدثوا بدعا ، ولم يستمسكوا من أصوله إلا بما ظنوه من
أشد أركانها ، وتوهموه من أقوى دعائها ؛ وهو حرمان العقول من النظر
فيه وفي غيره من دقائق الأكوان ، والحظر على الأفكار أن تنفذ إلى
شيء من سرائر الخلقة ، فصرحوا بأن لا وفاق بين الدين والعقل ، وإن

الدين من أشد أعداء العلم ؛ ولم يكف الذهاب الى ذلك أن يأخذ به نفسه بل جث في حمل الناس على مذهبه بكل ما يملك من حول وقوة . وأفضى الغلو في ذلك بالأنفس الى نزعة كانت أشأم النزعات على العالم الإنساني وهي نزعة الحرب بين أهل الدين للإلزام ببعض قضايا الدين . فتقوض الأصل ؛ وتخرمت العلائق بين الأهل ، وحلت القطيعة محل التراحم ، والتخاصم مكان التعاون ، والحرب محل السلام ؛ وكان الناس على ذلك الى أن جاء دين الاسلام ؛ (*)

كان سن الاجتماع البشري قد بلغ بالإنسان أشده ؛ وأعدته الحوادث الماضية الى رشده ، فجاء الاسلام بمخاطب العقل ، ويستصرخ القهم واللب ، ويشركه مع المواطنين والاحساس ؛ في إرشاد الإنسان الى سعادته الدنيوية والاخروية . وبين للناس ما اختلفوا فيه ، وكشف لهم عن وجه ما اختصموا عليه ، وبرهن على أن دين الله في جميع الأجيال واحد ، ومشيته في اصلاح شؤونهم وتطهير قلوبهم واحدة ، وأن رسم العبادة على الأشباح ، إنما هو لسجد الذكري في الارواح ، وان الله لا ينظر الى الصور ولكن ينظر الى القلوب ؛ وطالب المكلف برعاية جسده كما طالبه بإصلاح سره ، ففرض نظافة الظاهر كما أوجب طهارة الباطن ، وعدت كلا الأمرين طهراً مطلوباً ؛ وجعل روح العبادة الإخلاص ، وأن ما فرض من الأعمال إنما

(*) يرى الماطران الاستاذ الإمام باصق جميع ما ابتدع في الصرانية وكان شؤماً على الإنسانية ، والرؤساء الدين حرجوا من زهادة المسيح ويدعون اهم نوابه الى مزاحمة الملوك والاستعلاء عليهم . فلا يتوهم أحد أن مساماً يعتقد أن في دين المسيح نفسه شيئاً كان ضاراً بذاته فيمن خوطبوا به

هو لما أوجب من التطبع بطاهر الملكات : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » « ان الإنسان خلق هَلُوعًا اذا مسه الشرُّ جزوعًا واذا مسه الخير منوعًا الا المصلين » ورفع الغني الشاكر الى مرتبة الفقير الصابر بل ربما فضله عليه ، وعامل الإنسان في مواعظه معاملة الناصح الهادي للرجل الرشيد ، فدعاه الى استكمال جميع قواه الظاهرة والباطنة ، وصرح بمالا يقبل التأويل ان في ذلك رضا الله وشكر نعمته وان الدنيا من ردة الآخرة ولا وصول الى خير العقبى ، الا بالسعي في اصلاح الدنيا ،

.....

(ثم قال) « كشف الاسلام عن العقل غُمَّة من الوهم فيما يعرض من حوادث الكون الكبير « العالم » والكون الصغير « الانسان » فقرر ان آيات الله الكبرى صنع العالم انما يجري أمرها على السنن الإلهية التي قدرها الله في علمه الأزلي لا يغيرها شيء من الطوارئ الجزئية ، غير أنه لا يجوز أن يُنقل شأن الله فيها ، بل ينبغي أن يحى ذكره عند رؤيتها ، فتدجاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » ^(١) وفيه التصريح بان جميع آيات الكون تجري على نظام واحد لا يقضي فيه الا العناية الازلية على السنن التي اقامته عليها » ثم أماط الاثام عن حال الانسان في النعم التي يتمتع بها الاشخاص أو الأُمم والمصائب التي يرزؤن بها ففصل بين الأمرين فصلا محكما — ثم بعد ان ذكر حال الافراد وأن ما يصيبهم قد يكون بكسبهم وقد يكون بغير ذلك قال :

(١) كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فظن بعض

الناس انها كسفت لموته فقاله رواء البخاري وغيره

«أما شأن الأمم فليس على ذلك فإن الروح الذي أودعه الله جميع شرائعه الإلهية من تصحيح الفكر وتسديد النظر، وتأديب الأهواء، وتحديد مطامح الشهوات، والدخول إلى كل أمر من باب، وطلب كل رغبة من أسبابها، وحفظ الأمانة، واستشعار الأخوة، والتعاون على البر، والتناصح في الخير والشر، وغير ذلك من أصول الفضائل - ذلك الروح هو مصدر حياة الأمم ومشرق سمادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة» من يرد ثواب الدنيا نؤته منها» ولن يسلب الله نعمته مادام هذا الروح فيها. يزيد الله النعم بقوته وينقصها بضعفه، حتى إذا فارقتها ذهبت السمادة على أثره، وتبعها الراحة إلى مقره، واستبدل الله عزرة القوم بالذل، وكثرهم بالقل، ونعيمهم بالشقاء، وراحتهم بالعناء، وسلط الله عليهم الظالمين أو العادلين فأخذهم بهم وهم في غفلة ساهون، «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا» أمرناهم بالحق ففسقوا عنه إلى الباطل، ثم لا ينفعهم إلا نين ولا يجديهم البكاء، ولا يفيدهم مابقي من صور الأعمال ولا يستجاب منهم الدعاء، ولا كاشف لما نزل بهم إلا أن يلجؤا إلى ذلك الروح الأكرم فيستنزله من سماء الرحمة يرسل الفكر والذكر والصبر والشكر «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» - «سنة الله في الذين خلوا من قبل وإن تجد لسنة الله تبديلا» . وما أجل ما قاله العباس بن عبد المطلب في استسقاؤه «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يرفع إلا بتوبة» على هذا السنن جرى سلف الأمة فيينا كان المسلم يرفع روحه بهذه العقائد السامية ويأخذ نفسه بما يتبعها من الأعمال الجليلة، كان غيره يظن أنه يزلزل الأرض

بدعائه ؛ ويشق الفلك ببكائه ، وهو ولع بأهوائه ، ماض في غلوائه ، وما كان يقني عنه ظنه من الحق شيئاً ، اه المراد هنا من رسالة التوحيد

تشبيه التعليم الديني بتعليم المدارس

هذا مقاله الاستاذ الامام في رسالة التوحيد التي طبعت سنة ١٣١٥

وقرر مجلس ادارة الازهر تدريسها رسميا في الجامع الازهر . ومعلوم ان رئيس هذا المجلس هو شيخ الجامع فهو مع سائر العلماء أعضاء المجلس بل وسائر علماء الازهر منفقون على مافي هذه الرسالة . ومما تقدم عنها يعلم معنى كون دين الاسلام هو دين العقل والقرآن يشهد بهذا في عشرات ومئات من الآيات . ويعلم أيضا ان المسلمين يعتقدون بحقيقة الديانة المسيحية وكونها جاءت اصلاحا للناس ولكن الى أجل محدود قد انتهى واستغنى عنه بالدين لاخير

تقدم ان دين الله واحد « لا تفرق بين أحد من رسله » وأن خطاب الوحي كان يختلف باختلاف استعداد الناس . فالشريعة الموسوية وماشا كلاهما كان قبلها ودرس كالمدرسة الابتدائية . والديانة المسيحية كالمدرسة التجهيزية . والديانة الاسلامية كالمدرسة العالية التي هي التعليم الأخير . وهذا لا يتضمن انتقاص اليهودية والمسيحية كما أن وجود المدارس العالية لا يقتضي انتقاص المدرسة الأولى أو الثانية لأن كلا منهما لا بد منه والغرض من الجميع واحد . ولا تنس ان التشبيه بالنسبة الى مجموع البشر في الجملة فلا يقال ينبغي أن يكون كل فرد من الناس يهوديا ثم نصرانيا ثم مسلما . وهذا الذي قلناه مؤيد بما ارشد اليه العلم الصحيح من سنة الارتقاء البشري وقد جرى الناس على ذلك بحكم تلك السنة فدخل الملا من اليهود والنصارى

في الاسلام أفواجا وكانوا في ذلك كمن انتقل من مدرسة الى مدرسة أعلى منها. ولولا الرؤساء الذين جعلوا الدين تقليديا وجعلوا عليه سياجا من القوة الحسية والوهمية ولولا الطواري التي طرأت على سير الاسلام بواسطة الرؤساء من الملوكة والامراء، وفتنتهم للعلماء والفقهاء، لما بقي للأديان الأولى من الاتباع ما يكونون به أمما كبيرة.

القسم العمومي

الاجتماع التاسع لجمعية أم القرى ويتبعه الاجتماع ١٠ و ١١

«في مكة المكرمة يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦»
في صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية وقرأ كاتبها السيد المراقي ضبط مفاوضات اليوم السابق حسب الأصول المرعية .

قال (الاستاذ الرئيس) اسأنا نقرأ اليوم قانون الجمعية وقد علم الاخوان من مطالعة السانحة التي وضعها اللجنة ان هذا القانون هو الآن في حكم قانون موقت الى أن تشكل اللجنة الدائمة ان شاء الله وتراول وطأها فهي تعيد النظر فيه وتعتني بتطبيقه على الموجبات والتجربات ثم تعرضه على الجمعية العامة التي سيأتي ذكرها فيه فاذا أمضته صار حينئذ قانوناً واسعاً .

فلنقرأ الآن قضايا القانون فقرة فقرة حتى اذا كان لأحد الاخوان ملاحظة على بعض الفقرات منه فلييدها عند قرائتها وبعد المناقشة اما أن تقبل أو ترد أو تعدل بالأكثرية . وعلى كل حال تضبط المناقشة في سجل مخصوص يكون كشرح للقضايا يرجع اليه عند اللزوم

ثم أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة سانحة القانون فقرئت وجرت على بعض القضايا وبعض الفقرات منها مناقشات وتولى المدقق التركي رئيس اللجنة إعطاء الإيصاحات اللازمة عن المقاصد التي لاحظتها اللجنة فيه فقبل أكثر قضاياها وعدل بعضها وضبطت المناقشات على حدة

وقد استغرقت مباحث القانون جلسة ذلك اليوم وكذلك جلسة الاجتماع العاشر

المتعقد يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر وجلسة الاجتماع الحادي عشر
المتعقد مساء الأحد أي ليلة الاثنين

❦ الاجتماع الثاني عشر ❦

« في مكة المكرمة يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ »
في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية حسب معتادها
أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة القانون الذي تقرر في الاجتماعات الثلاث السابقة متناً
مجرداً فقرياً وهذه صورته .

❦ قانون جمعية تعليم الموحدين ❦

❦ المقدمة ❦

قد تقرر في الجمعية المتعقدة في مكة المكرمة في ذي القعدة سنة ست عشرة وثلاثمائة
والف المسماة « جمعية أم القرى » النتائج الآتية
« ١ » المسامون في حالة فتور مستحكم عام « ٢ » يجب تدارك هذا الفتور سريعاً
والافتحاح عصيتهم كلياً « ٣ » سبب الفتور تهاون الحكماء ثم العلماء ثم الأمراء
« ٤ » جرثومة الداء الجهل المطاق « ٥ » أضر فروع الجهل الجهل في الدين « ٦ » الدواء
هو إثارة الأفكار بالتعليم أولاً وإيجاد شوق للترقى في رؤس الناشئين ثانياً « ٧ » وسيلة
الرداوة عقد اجتماعات تعليمية قانونية « ٨ » المكلفون بالتدبير هم حكماء ونجباء الأمة
من السراة والعلماء « ٩ » الكفاءة لإزالة الفتور بالتدريج . وجودة في العرب خاصة
« ١٠ » يزم تشكيل جمعية ذات مكانة ونفوذ في دائرة القانون الآتي البيان باسم « جمعية
تعليم الموحدين »

❦ الفصل الاول ❦

[في تشكيل الجمعية]

« قضية ١ » تشكل الجمعية من مائة عضو منهم عشرة عاملون وعشرة مستشارون
وثمانون خريجون ويرتبط بالجمعية أعضاء محتسبون لا يتعين عددهم .
« قضية ٢ » يجب أن يكون الأعضاء كلهم متصفين بست صفات عامة وهي « ١ » سلامة
الحواس وكون لسن بين اثلاثين وستين ابتداء « ٢ » الاسلام من أي مذهب كان
من مذاهب أهل القبلة . « ٣ » العدالة بحيث يكون غير متحارب بمعية شرعية إجماعية

ولا متلبس أو معروف بخلة منافية للمروءة . « ٤ » المزينة بعلم أو جلاء أو ثروة (*) « ٥ » الكتابة باتقان في لغة ما ولو عامية « ٦ » النشاط بأن يكون ذا همة ونجدة وحمية .

(قضية ٣) يشترط في الاعضاء العاملين والمستشارين زيادة اربع صفات على ما سبق وهي (١) القدرة على التكلم والكتابة بالعربية . (٢) إمكان الإقامة ثمانية اشهر في مركز الجمعية وهي ما عدا ذا الحجة ومحرم وصفر وأربعاً الأول . (٣) تفرغ العاملين للحضور في نادي الجمعية أربع ساعات في كل يوم ما عدا الجمعة وأيام الأعياد . (٤) تفرغ المستشارين لحضور جلسة يوم واحد في كل أسبوع .

(قضية ٤) يشترط في الاعضاء الفخريين زيادة ثلاث صفات وهي (١) القدرة على الكتابة في إحدى اللغات الأربع وهي العربية والتركية والفارسية والأوردية . (٢) الاستعداد لمراسلة الجمعية بأحدى هذه اللغات في كل شهر مرة بمقالة أو رسالة أو فصل من تأليف يقترح موضوعه من قبل الجمعية أو هو يتخير به والجمعية تستصوبه وتقرره . (٣) الاذعان لانتقادات وتنقيحات الجمعية وتصحيحها (١)

[قضية ٥] تشكل جمعية عامة في كل سنة مرة في أوائل ذي القعدة يدعى إليها جميع الأعضاء حتى المحتسبون فيحضرها الأعضاء العاملون مطلقاً ومن شاء من الباقين .

(قضية ٦) الجمعية العامة بالذاكرة والانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة تميز المترشحين للهيئة العامة ثم المترشحين للهيئة المستشارة .

(قضية ٧) الهيئتان العامة والمستشارة تجتمعان وبالذاكرة واكثرية الثلثين تميزان المترشحين منهم للرياسة وانيابة الرياسة والكتابة الاولى والكتابة الثانية ولامانة المال ثم تنتخبان من المترشحين رئيساً لاجل سنة ونائب رئيس لاجل سنتين وكاتباً أول لاجل ثلاث سنين وكاتباً ثانياً وأمين مال لاجل أربع سنين

(قضية ٨) الهيئتان العامة والمستشارة يدققون في صفات الذين يراد ان يكونوا من الاعضاء الفخريين أو المحتسبين ثم بالانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة يقبلون أو يردون (قضية ٩) للهيئتين العامة والمستشارة أن يرفعوا صفة العضوية عن من يعلم وقوع

« * » ليس المقصود من الزوة ذاتها بل إعانتها صاحبها على بعض الاخلاق الشريفة « ١ » (قضية موقفة) يتبدى تشكيل الجمعية حسبما يتسهل للمؤسس وهو يرأسها مؤقتاً وله أن ينوب عنه من شاء وعند ما يبلغ عدد الاعضاء المكتتين قدرأ كافياً يجمعهم لينتخبوا الهيئة العامة والهيئة المستشارة .



حالة منه تستوجب ذلك وتحقق حقياً وتصدق بأكثرية الثلثين .
 (قضية ١٠) الجمعية العامة تقوم بأربع وظائف وهي : (١) تدقيق اجمالي في جميع الاعمال التي أجرتها الجمعية في السنة الماضية . (٢) التدقيق في حساباتها الماضية . (٣) تقرير ما يلزم التثبت به من الاعمال الكبيرة في السنة المستقبلية (٤) تقرير نفقات السنة القادمة .
 (قضية ١١) المركز الرسمي للجمعية مكة المكرمة ولها شعبات في القسطنطينية ومصر وعدن وحائل والشام وتغليس وطهران وخيوه وحكايل وكلكتة ودهلي وسنغابور وتونس ومراكش وغيرها من المواقع المناسبة
 (قضية ١٢) يكون تشكيل الشعبات على نمط تشكيل الجمعية المركزية مصغراً وتكون مرتبطة تماماً بالجمعية فيما عدا مالياتها وجزئيات أمورها فان لها الخيار ان تكون مستقلة المالية والادارة

(قضية ١٣) تتشكل الشعبات على التراخي ويعطى للبعض المناسب الموقع منها هيئة تصلح . مما لان تتخذ عند ميسر الحاجة هي المركز الاصلي (١)

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في مباني الجمعية)

(قضية ١٤) الجمعية لا تدخل في الشؤون السياسية مطلقاً فيما عدا ارشادات وتنبيهات بمسائل أصول التعليم وتعميمه .
 (قضية ١٥) ليس من شأن الجمعية ان تكون تابعة أو مرتبطة بحكومة مخصوصة على انها تقبل المعاونة أو المعاونة من قبل السلاطين العظام والامراء الفخام المستقلين والتابعين بصفة حماة فخرين .
 (قضية ١٦) لا تنتسب الجمعية الى مذهب أو شيعة مخصوصة من مذاهب وشيع الاسلام مطلقاً .
 (قضية ١٧) توفق الجمعية مسلكها الديني على المشرب السلفي المعتدل . وعلى نبذ كل زيادة وبدعة في الدين . وعلى عدم الجدل فيه الا بالتي هي أحسن .

(١)  قضية موقفة  مركز الجمعية يكون في السنين الاولى في بور سعيد أو الكويت ثم ينتقل الى مكة بعد الرسوخ أو عند اقامة مراكش وأفغان وإيران وغيرها وكالات سياسية لها في مكة وعلى كل حال يكون للجمعية يد قوية في مكة ولو خفية .

(قضية ١٨) يكون شعار الجمعية القولي [لا نعبد الا الله] . وشعارها الفعلي التزام (المصافحة) على وجه السنة ووجهتها (القبرة على الدين قبل الشفقة على المسلمين) وأهم أعمالها (تعليم الاحداث وتهذيبهم) « تراجع قضية ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ : »

(قضية ١٩) أعضاء الجمعية لا يتكفون التناصر والتعاون فيما هو ليس من مقاصد الجمعية أي التعاون بالمال أو الجاه فيما بينهم الا لمن يصاب ويتضرر بسبب الجمعية .

(قضية ٢٠) تتكفل الجمعية بكفاية عدد مخصوص من أصحاب المزايا العامة الخاصة أو العزائم الحارقة العادة بشرط ان يكونوا مجردين لاعيال لهم أو شبين بالمجردين

الفصل الثالث

« في مال الجمعية »

(قضية ٢١) نفقات الجمعية تبنى على غاية البساطة والاقتصاد وهي تسعة أنواع

« ١ » ا كمال كفاية الهيئة العاملة بما لا يزيد على ستين ذهاباً انكليزياً لكل واحد في السنة . « ٢ » رواتب الكتاب والمترجمين والخدم . « ٣ » أجره محلات المركز والشعبات غير المستقلة مالية . « ٤ » نفقات البعثات المتجولة . « ٥ » نفقات المطبوعات . « ٦ » نفقات التحرير والتأليف . « ٧ » نفقات البريد والرسائل « ٨ » كفاية المذكورين في « القضية ٢٠ » « ٩ » النفقات المتفرقة .

(قضية ٢٢) تعتمد الجمعية في الحصول على نفقاتها على جهتين فقط النصف من ربح مطبوعات الجمعية أي طبع المؤلفات الآتي ذكرها في الفصل التالي من نحو طبع المصحف الشريف بصورة متقنة للغاية تستوجب الاحتصاص بطبعه والنصف الآخر من امانات أصحاب الحمية والنجدة من أمراء وأغنياء الامة وبعض الاعضاء المحتسين .

(قضية ٢٣) أمين المال يكون من أغنياء التجار المشهورين المقيمين في مركز الجمعية ويكون من جملة الاعضاء المستشارين ويقوم بهذه الخدمة حسبة لربه ودينه ويكون المال في يده بوجه مضمون .

(قضية ٢٤) أمين المال يعطى وصولات بمقبوضاته تكون مطبوعة مرقوما عليها عدد متسلسل في جانب منها مجموع الوارد ومجموع المصروف في تلك السنة باعتبار غاية الشهر العربي المنصرم .

(ملاحظة موقته) يكفي للجمعية في السنين الاولى مقدار خمسة آلاف ذهب (جنيه)

انكليزي فقط وحصول ذلك ليس بذي بال

(قضية ٢٥) أمين المال لا يصرف شيئاً الا بورقة صرف مطبوعة عليه اعدد متسلسل وموقع عليها من القابض وكاتب الجمعية ورئيسها .

الفصل الرابع

« في وظائف الجمعية »

(قضية ٢٦) الهيئتان العامة والمستشارة بالاتفاق أو اكثرية الثلثين تعيدان المظر في قانون الجمعية مرة ابتداءً من كل ثلاث سنين مرة وتنظمان القوانين التي تلزم ويجب مطلقاً ان يكون ترتيب القوانين تابعاً لقواعد التروى والتدقيق والتأمين وترتبط كل قضية بشرح مفصل مسجل يرجع اليه . ولا يصير القانون دستوراً للعمل الا بعد قرأته في الجمعية العامة السنوية وقبوله . ويجوز للهيأتين عند الضرورة تقرير العمل ببعض من أحكام تلك القوانين مؤقتاً ثم تعرض على الجمعية العامة الاسباب المجبرة على التعجيل . (قضية ٢٧) إيقاظ فكر علماء الدين الى الامور الحمسة الآتية وتنشيطهم للسعي في حصولها ومساعدتهم براءة أسهل الوسائل وأقربها اليها وهي .

١ « تعميم القراءة والكتابة مع تسهيل تعليمهما . ٢ « الترغيب في العلوم والفنون النافعة التي هي من قبيل الهندسة مع تسهيل تعليمهما وتلقيهما . ٣ « تخصيص كل من المدارس والمدرسين لنوع واحد أو نوعين من العلوم والفنون ليوجد في الامة أفراد تابعون متخصصون . ٤ « إصلاح أصول تعليم اللغة العربية والعلوم الدينية وتسهيل تحصيلها بحيث يبقى في عمر الطالب بقية يصرفها في تحصيل الفنون النافعة . ٥ « الجذب وراء توحيد أصول التعليم وكتب التدريس

(قضية ٢٨) السعي في تأليف متون مختصرة بسيطة واضحة على ثلاث مراتب . ١ « لتعليم المبتدئين أو المكتفين بالبدائي . ٢ « لتعليم المنتهين الطالبين الإلهان . ٣ « لتعليم التابغين الراعين في الاختصاص .

(قضية ٢٩) الاهتمام في جعل المتعلمين والمعلمين على أربع مراتب . ١ « العامة ومعلموهم أئمة المساجد والجوامع الصغيرة . ٢ « المهذبون ومعلموهم مدرسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة . ٣ « العلماء ومعلموهم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية . ٤ « التابغون ومعلموهم الافاضل المتخصصون .

(قضية ٣٠) السعي لدى أمراء الامة بمعاملة كافة طبقات العلماء بمعاملة الأطباء أي باخبر رسماً على من يتصدر للتدريس والإلقاء والوعظ والإرشاد ما لم يكن مجازاً

من قبل هيئة امتحانية رسمية موثوق بها تقام في العواصم .
(قضية ٣١) التوسل لدى الأمراء أن يعطوا لاحد العلماء الغيورين في كل بلدة صفة محتسب ديني على جماعة المسلمين في تلك البلدة ويحملوا له مستشارين منتخبين من عقلاء الأهالي وتكليف هذه الجمعية الاحتسابية بأن تقوم بالنصيحة للمسلمين بدون عنف وبأسهل تعميم المعارف والمحافظة على الاخلاق الدينية .

(قضية ٣٢) التوسل لنبيل العلماء ما يستحقون من رزق وحرمة ومنعهم عن كل ما يخل بصفتهم وشرفهم . (١)

(قضية ٣٣) التوسل لحمل أهل الطرائق على الرجوع الى الأصول الملائمة للشرع والحكمة في الارشاد وتربية المرشدين . وتكليف كل فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يخدمون بها الامة الاسلامية من نحو اختصاص فرقة كالقادرية مثلاً بعول وتعليم الأيتام وأخرى بمواساة المساكين وأبناء السبيل وجماعة بتمريض الفقراء والبائسين وقفة بالتشويق الى الصلاة وغيرها بالتنفير عن المسكرات ونحو ذلك من المقاصد الخيرية الشرعية فيكون عمائم هذا عوضاً عن العطل والتعطيل .

(قضية ٣٤) حمل العلماء والمرشدين وجميعيات الاحتساب على السعي لإرشاد أفراد الامة خصوصاً أحداثها الى قواعد معاشية وأخلاقية متحدة الاصول تلائم الاسلام والحرية الدينية وتفيد ترويض الاجسام وتقوية المدارك وتمر الدشاش لاسي والعمل وتولد الحمية والاخلاق الشريفة

(قضية ٣٥) تعني الجمعية بصورة مخصوصة بوضع مؤلفات أخلاقية ملائمة للدين وللزمان ونكون على مراتب من بسطة ومتوسطة وعالية بحيث تقوم هذه المؤلفات مقام مطولات الصوفية . وتقوم بوضع مؤلفات لغة وسطى عربية لامصرية ولا عامية وجعلها لغة لبعض الجرائد ونوفاات الاخلاق ونحوها مما يهيم نشره بين العوام فقط (١)
(قضية ٣٦) تعني الجمعية في حمل العلماء وجميعيات الاحتساب على تعليم الامة

(١) كالقعود في محلات القهوة والتجول في المجتمعات وركوب الحمير ونحو

ذلك مما لا يقدم عليه أمثالهم في المال الأخرى

« ٢ » كالاكتفاء بالسين عن اثنا، وبالزاي عن الدال والاقصار على التثنية بالياء والجمع بالواو والنون والفصر بالألف وكقول الوضع العامي المشهور . هـ من هاشم الأصل [المنار] : هذا خطأ لا حاجة اليه اذ يمكن الوصول الى انقصود باللغة الصحيحة الالهة

ما يجب عليها شرعا من المجاملة في المعاملة مع غير المسلمين وما تقتضيه الانسانية والمزايا الاسلامية من حسن معاشرتهم ومقابلة معروفهم بخير منه ورعاية الذمة والتأمين والمساواة في الحقوق وتجنب التعصب الديني أو الجنسي بغير حق .

• (قضية ٣٧) تنشر الجمعية رسالة دينية عربية في كل شهر يكون حجمها نحو مائة صفحة بحيث يتألف منها كتاب في كل عام وتكون مباحثها ثمانية أنواع ينحصر لكل بحث قسم منها وهي •

(١) مقررات الجمعية وأعمالها وخلاصة المهم من مراسلاتها مع شعباتها • (٢)

مباحث دينية في موضوع ساحة الدين ومزاياه السامية ودفع ما يرمى به من منافاته للحكمة والمدنية • (٣) قواعد أخلاقية ونصائح معاشية • (٤) فصول في العلوم والفنون النافعة والترغيب فيها وارااة طرائق تلقيها وتلقيها • (٥) المقالات المفيدة التي يحررها الاعضاء الفخريون وغيرهم من فضلاء الامة • (٦) الاخبار والاعلانات الخاصة بالنهضة العلمية الاسلامية، (٧) الاسئلة والاجوبة المهمة • (٨) مباحث وفوائد شتى •

(قضية ٣٨) تكون الابحاث والمقالات الدينية في الرسالة الشهرية ملاحظاً فيها

إجماع السلف أو الموافقة لمذهبين فأكثر من المذاهب المدونة المتبعة • ويتعين في المسائل المهمة الخلافية بأن يقرها بعض المشهورين عن علماء الهداية من المذاهب المختلفة (قضية ٣٩) تكون قيمة الرسالة معتدلة قريبة من نفقات تحريرها وطبعها فقط

وترسل الى المدارس والعلماء المشهورين بدون عوض على حساب الامراء والمحتسين •

(قضية ٤٠) تعني الجمعية غاية الاعتناء في إيصال الرسالة الى المرسلة اليهم بصورة

منتظمة وفي ادخالها البلاد المأهولة بالمسلمين رغماً عن كل مانع فتُرسل ولو براً مع رواد على نجائب نخرق آسيا و افريقيا الى اقاصيها ولا تعدم الجمعية وسائل كثيرة للايصال

(قضية ٢١) تخصص الجمعية لمنشوراتها وإعلاناتها أربع جرائد من أشهر الجرائد

الاسلامية السياسية • ١ عربية في مصر • ٢ تركية في القسطنطينية • ٣ فارسية في طهران

٤ أو ردية في كلكتة

(قضية ٤٢) تسعى الجمعية في تأسيس مدرسة جغرافية تاريخية دينية في مركز

الجمعية لاجل تثقيف تلامذتها وتأهيلهم للسياحة والبعوث

(قضية ٤٣) ترسل الجمعية بعوثاً جغرافية وعلمية تتجول في البلاد الاسلامية

الثريرة والبعيدة الاطلاع على أحوال البلاد وأهلها من حيث الدين والمعارف ولارشادهم

الى مايلزم إرشادهم اليه في ذلك حسباً تقتضيه الاخوة الدينية بدون تعرض للاحوال السياسية قطعياً

(قضية ٤٤) تسعى الجمعية بعد مضي ثلاث سنين من انعقادها في اقناع ملوك المسلمين وأمرائهم بعقد مؤتمر رسمي في مكة المكرمة يحضره وفود من قبلهم ويترأسه مندوب أصغر أولئك الامراء ويكون موضوع المذاكرات في المؤتمر السياسي الدينية * (قضية ٤٥) اذا صادفت الجمعية معارضة في بعض أعمالها من حكومة بعض البلاد ولا سيما البلاد التي هي تحت استيلاء الاجانب فالجمعية تتذرع أولاً بالوسائل اللازمة لمراجعة تلك الحكومة وإقناعها بحسن نية الجمعية فاذا وفقت لرفع التعتب فيها وإلا فتلجأ الجمعية الى الله القادر الذي لا يعجزه شيء .

﴿ خاتمة ﴾

(قضية ٤٦) « سياسة الجمعية » جاب قلوب من تخير جلبهم ببذل المعروف محابة فتتحري مواساة الإنسان عند مصابه وتنقب عن أهم حاجاته أوغاياته فتعينه عليها (قضية ٤٧) « مظهر الجمعية » العجز والمسكنة فلا تقاوم ولا تقابل الا بأساليب النصيحة والموعظة الحسنة وتلاطف وتجاامل جهدها من يعادي مقاصدها ولا تاجأ الى الإلجاء الا في الضروريات .

(قضية ٤٨) « قوة الجمعية » الإخلاص في النية . وعمدتها الثبات على العمل . ومسلكها تذليل العقبات واحدة فواحدة وحصنها الدين الخفيف . وسلاحها العلم والتعالم . وجيشها الاحداث والضعفاء . وقوادها حكام العلماء والامراء . ورايتها القدوة الحسنة . وغنيمتها بث الحياة في الموحدين . وغايتها خدمة المدينة والانسانية . وثمره أعضائها وانصارها لذة الفكر والفخر ونيل الاجر من الله . (تم القانون)

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

(المؤتمر الاسلامي في الهند)

أشرنا في الجزء الماضي الى انعقاد مؤتمر التربية الاسلامية في الهند ونذكر الآن مجملًا من خبره

انتخب المسلمون في هذه السنة رئيساً لمؤتمرهم (السير آغا خان) وهو شاب من

الكبراء الذين يقرن باسمهم لقب « السمو » وقد اشتهر بالذكاء والنبل، والعلم والفضل، ولهذه المزايا اختارته طائفة الاسماعيليه رئيساً لها وهي الطائفة الباطنية المعروفة بالتروى في اختيار الرؤساء ولذلك كان أمرها منتظماً في كل البلاد الى اليوم. ولا توجد طائفة تنتمي الى الإسلام في هذا العصر أشد من هذه الطائفة تعاوناً وتحاملاً والتسام ونظاماً. والفائدة الكبرى التي استفدتها من خبر مؤتمر هذه السنة هي انتخاب هذا الأمير رئيساً للمؤتمر الذي معظم رجاله من أهل السنة بل هذا هو الدليل القاطع عندي على ان إخواننا مسلمي الهند قد ارتقوا عنا وعن سائر المسلمين الذين نعرف أخبارهم. ذلك ان أدواء أدواء المسلمين التفرق في الطوائف وعدم معرفة قيمة التابعين لا سيما اذا حالفوا الجماهير في بعض تقاليدهم — وهذه الحلة لازمة للتابعين لا تفارقهم — ذلك بأن مبدأ النهوض في كل أمة منحطة هو ظهور افراد فيها كبار العقول أقوياء القلوب يوجهون عزائمهم الى الخدمة القومية. فاذا ظهرُوا في أمة مستعدة للنهوض تشعر الأمة بفضلهم وتقدرهم حق قدرهم وتعطيهم مكانة الهامة من الجسد فيدبرونها ويعرجون بها الى ما هي مستعدة له من الارتقاء. واذا ظهرُوا قبل استعداد الأمة للاستفادة من مواهبهم ترى الجماهير من خواص قومهم بمقتونهم ويفرون العامة منهم ويتوكلون على ما لا يحلو نابغ عنه من المحاملة للجماهير في تقاليدهم وعاداتهم. وأعني بالخواص الرؤساء والأعياء الذين يعبر عنهم القرآن بالترفين وهم الذين كانوا أعداء الأنبياء وأمرساين. وكانوا ولا يزالون أعداء الإصلاح والمصالحين

أما قولنا ان التابعين الذين يتوجهون الى إصلاح الأمم لا بد ان يخالفوا قومهم في بعض عاداتهم واعتقاداتهم فليس معناه انهم يحرون المحاملة طلباً للشهرة او الامتياز وانما ذلك أمر طبيعي لازم. وبيان ان الفساد انما يضرب بجراحه في الأمة ويفتك بها لفساد يطرأ على العقول فتأخذ بالاعتقادات الباطلة، وفساد يلم بالهوس فتستبدل الأخلاق الذميمة بالأخلاق الفاضلة. وتولد من الفساد بن العادات الضارة ويفتك كل ذلك بالأمة فتكافئ نابغ الذي يتصدى للإصلاح يعرف بما يره الله تعالى به من نفوذ البصيرة. تنشأ الفساد في الأعمال. ويسفر بما حصته به من كرامة النفس وزكاتها عن كل ما يعتقد قسداً ويرى اثره ضاراً. فهو بهذا وذاك يكون مخالفاً للأمة في بعض عاداتها وعاداتها حتى بغير تكلف ولا تصنع ان يوحده من محبي الإصلاح من مكافئ خفاء المحاملة ويظهر الموافقة في بعض الأمور لأجل ان يقبل منه غيرها

ليس هذا موضع الإطالة في أخلاق انصالحين مع أقوامهم ولكني أقول ان أكثر الحجب بين المصالح وبين قومه هو أن ينز بأنه مخالف لهم في بعض الأمور الدينية أو مقصّر فيها فإذا وصلت الطبقة المتوسطة في قوم الى أن يعرفوا درجة المستعد للإصلاح وان لا يصدّهم عن الانتفاع به كونه مخالفاً لهم في بعض المسائل الدينية أو غيرها لأنهم يعرفون كيف يتفعون وبم يتفعون وهم واثقون بأنفسهم لا يخافون من شذوذ رئيسهم في بعض المسائل ان يتعدى اليهم ومنهم الى الأمة بأسرها فاولئك هم القوم الذين أذن الله بترقيتهم ونجاحهم

خطب رئيس المؤتمر وذكر أمراض المسلمين التي هبطت بهم الى الدرك الذي هم فيه بين الأمم فذكر ان جرائم هذه الأمراض أربع «١» عقيدة الجبر التي حلت العزائم وألصق تبعها بالامام أبي الحسن الأشعري [رحمه الله تعالى] و«٢» اعتقاد ان ترك الشؤون العامة والاشتغال عنها بالامزلة والعبادة من مهمات الدين وزعم ان منشأ ذلك اعتزال بعض الصحابة «عليهم الرضوان» الحرب بين علي ومعاوية وقولهم ان هذا أسلم للدين. و«٣» اهمال تعليم النساء وتربيتهن لمآحط دون ذلك من التشدد في الحجاب والخروج به عما جاء به الشرع واثبت ان هذه المعضلة الاجتماعية قد سرت عدواها من مترقي المرس الى بني العباس وبسببهم رسخت في الأمة الإسلامية وكان من أثرها حبس نصف المسلمين في السجون الابدي والقضاء عليه بالجهل والحمول. ويرى القارئ في كل مسألة من هذه الثلاث نزعة يصح ان تكون تولدت في دماغه من التمسك في مذهبه الذي أصابه الغلو في التشيع الى ادعاء الحلول في بعض آله آلايت ورمى عطاء المسلمين من الصحابة من بعدهم بالإضرار بالدين ولو عن غير عمد. لو قام مثل هذا الخطيب الذي يفتخر به مساهم الهند اليوم وخطب خطبته هذه في مصر اشتدوه، أو في الشام اضربوه. أو في تونس انفوه وأبعدوه. أو في الجزائر أو مراکش لقتلوه. فلنا ان نقول انه لم يرتق في البلاد الإسلامية الا مسلمو الهند الذين أنشوا على هذا الخطيب ووقروه. لأن له مزايا يتمتع بها في العمل الملي الذي تيممونه، فاذا اعتقد أهل السنة منهم انه أخطأ في تعليل جعل اعتزال الاعمال العامة من الدين بانه الاقتداء بفصحاء الصحابة وأخطأ باسناد عقيدة الجبر الى الامام الأشعري فهم يعذرونه بانه قال ما يعتقد باحلاص ولا يمكن ان تظهر الحقائق في قوم لا حرية عندهم للعالم بأرضه اعتقاده. ومن العريب ان ترى البلاد التي يدعي أهلها اتباع السنة قد

اعتصم علماؤها بحُجُوة التَّقِيَّة التي يعيرون بها إخوانهم الشيعة ويحتجون عليهم بأن من يقول بالتقية لا يوثق بعلمه ولا بدينه اذ يجوز ان يكون كل ما يظهره مخالفا لما يعتقد عملا بالتقية . ومن تراهم يتقون ؟ يتقون العوام الجاهلين المقلدين لهم . أليس من أعجب العجائب ان العالم يتبع الجاهل فيأول له تقاليد وخرافات ليكون راضيا عنه ويبقى معظما ومكرما له ؟؟

قد علم ان المرض الاول من الامراض التي ذكرها رئيس المؤتمر يتعلق بالاعتقاد والمرض الثاني يتعلق بالأخلاق والأعمال والمرض الثالث يتعلق بالعادات والأعمال [ولذلك رتبناها هذا الترتيب المخالف لترتيب الخطيب] أما المرض الرابع فهو خاص بالسياسة وهو احتكار الخلافة والإمارة في بيت مخصوص يتوارثها أفرادهم . وقد صب إثم هذه الجريمة على بني العباس الذين مزقوا شمل الأمويين ثم العلويين ، وكادوا يفتنونهم اجمعين ، والقارى يرى في هذا من الظن ما يرى فيما سبقه . ولكن مجموع الخطبة يبرئ الخطيب من سوء القصد في كلامه كله فقد اتى على عمرو بن العاص الذي كان عضد معاوية وساعده ويده التي تناول بها الخلافة وساد على العلويين من أول الأمر — نعم انه لم يثن عليه بهذا العمل ولكنه أثنى عليه بالسياسة الحكيمة التي لا يغمص حقه فيها بصير وان كان مثلي من صميم العلويين . بَلَّهَ ثناءه على الخليفة الثاني وعلى الصحابة كلهم في الجملة . وحاصل القول أن الخطيب أحسن في كلامه وأبان به عن عقل وبصيرة واستعداد لرياسة المؤتمر وان كان في بعض القول مجال ، لمن لاشغل لهم الا القيل والقال ، وهم بمعزل عن الأعمال .

أما نتيجة المؤتمر التي وجه عنايته اليها فهي إنشاء مدرسة كلية جامعة كمدرسة اكسفورد الانكليزية أو جعل مدرسة عليكمه كذلك . وقد قدر الرئيس في خطبته تفقة إيجاد هذه المدرسة بعشر ملايين روبية (٦٦٦ و ٦٦٦ جنيه انكليزي وكسور) وما أجل قول الخطيب : ألا تشترون يا قوم مجد الإسلام بعشر ملايين روبية ؟ أهذا الثمن كثير ؟؟ ومن بعد فكره وصائب رأيه أنه ذكر في هذا المقام صلة مسلمي الهند بالعثمانيين والبرانيين والأفغانيين ، وأشار بوجوب جعل المدرسة الكلية كعبة العلم لجميع المسلمين ، كأنه لم يخطر في باله نزغات شيطان «الوطنية» الحققة ، التي يدعو إليها بعض الأحداث في مصر وهي قطع صلات الأمة الاسلامية وبجافة بعض شعوبها لبعض حتى الذين تجمعهم لغة واحدة ويتسبون الى دولة واحدة !!!

هذا الرأي الحميد رأي توقيف نجاح الأمة على المدارس الكلية الجامعة قد نوهنا به من قبل وطالبناه عقلاء المصريين وأصحاب التأثير فيهم قولاً وكتابةً. وإذا يسر الله تعالى ووفق المسلمين إلى إنشاء كليتين واحدة في الهند وأخرى في مصر فذلك منتهى السعي الحميد في إحياء المسلمين وإعادة مجدهم ولا توجد بلاد إسلامية غنية والتعليم الأهلي فيها حرّاً إلا البلاد الهندية والبلاد المصرية. ولا يتم هذا العمل في مصر إلا بسعي مثل السعي الذي في الهند وهو أن يتألف مؤتمر ويكون جميع أفراد دعاء إلى هذا العمل وساعين في جميع المال له من كل مكان. نعم يظهر أن أهل مسلمي مصر أقل استعداداً من مسلمي الهند بالنسبة إلى المجموع ولكن في مصر رجالاً ربما لا يوجد خبر منهم في بلاد إسلامية أخرى ولهم أن يجعلوا كليتهم في أول الأمر صغيرة ثم يوسعون دائرتها بالتدريج. وقد سمعت أكبر مرجعٍ فيهم لمثل هذا السعي يقول أنه يمكن الإقدام على العمل إذا تيسر جمع مئة ألف جنيه فقط. ولو اعتبر أغنياء مصر بالسركاسل الانكليزي الذي بذل من ماله أربعين ألف جنيه لأجل دراسة مرض الرمد في مصر ليتيسر لهم بذل ما ينشئ مدرسة كلية تكون حياة قومهم وأمتهم، ومنشأ عزهم وسعادتهم،

﴿ تونس — أو حادثة صفاقس ﴾

بينما مسلمو الهند يصفقون لرئيس مجتمهم وخطيب مؤتمرهم الإسماعيلي المذهب رجوعاً إلى تساهل الإسلام في الصدر الأول أيام كان الحافظ البخاري يتلقى الحديث عن عمران بن حطان الخارجي وإذا بمسلمي البلاد التونسية يهيجون ويحتمون على مدرس من أهل مذهبهم في الأصول والفروع لأنه أنكر عليهم بعض البدع التي ألفوها وألصقوها بالدين وتكلفوا لهذا الإلصاق ضرباً من التأويل تصادمها نصوص الكتاب والسنة. تلك البدعة أو البدع هي التي أقام «المنار» بها القيامة على أهلها وكتب فيها أكثر من سبعين مرة وهي ما يفعله الجهلاء عند قبور الأولياء، من التضرع والدعاء، والاستغاثة والاستجداء، والطواف والاعتكاف، والتذلل والاستعطاف، والقيام والقعود، والركوع والسجود. وما رخص الدين في زيارة القبور بمد التهي عنها ليدعى أربابها مردون الله، ويقول المأول «هؤلاء شفعاؤنا عند الله» ولا لينسخ بهم قوله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» وقوله «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» الخ. الواقعة هي أن عالماً مدرساً في مسجد صفاقس اسمه (الشيخ محمد شاكر) كان

يقرأ عقيدة التوحيد فلما انتهى الى وحدانية الأفعال التي يكاد يكون الكلام عليها في بعض كتب العقائد جبراً محضاً نهى عن بدع القبور، والاستعانة بأهلها والتقرب اليهم بتقديم الذور، فكبر ذلك على الذين يأكلون تلك الذور فوشوا ومحلوا، وحرفوا وتمحلوا، ورفع الأمر الى المحكمة الشرعية ثم الى العامل المدني في صفاقس ثم الى الوزارة في الحاضرة (تونس) فحكم بعزله من التدريس في جامع صفاقس وانتطوىع في جامع الزيتونة. وقد ذكرت الواقعة بعض الجرائد المصرية نقلاً عن جرائد فرسية وذكرت ان قاضي تونس ومفتيها اللذان طلبا من الوزارة عزله وما لظن ذلك صحيحاً. واذا كان القاضي والمفتي وشيخ الجامع الاعظم لم يسعوا بعزل هذا المدرس الذي قرر التوحيد ونهى الناس ان يستعينوا بغير الله على أمور دنياهم أفما كان يجب عليهم ان ينصروه ويعزروه؟ بلى ومن هنا نعرف الفرق بين تونس والهند بل بينها وبين مصر فأتنا قررنا هذه المسألة وشددنا فيها التكير في المسجد الحسيني وكان يحضر درسنا كثير من العلماء والفضلاء فما انتصر أحد ممن حضر وعمن لم يحضر لبعض جهلة العوام الذين كبر عليهم ما قررناه ولا سمعنا كلمة نخطئة من شيخ الازهر ولا من مفتي الديار المصرية ولا من غيرها من كبار العلماء.

ولا بد ان يكون تشديد الوزير في ذلك مبنياً على سبب مدني كأن يكون درس ذلك المدرس أحدث شغباً وهيجاناً في العامة والسياسة مبنية على مراعاة أمر العامة بالحق وبالباطل. ولكن الذي نعجب منه هو رضاء الحكومة الحامية (الفرنسية) باضطهاد رجل مصاح كهذا المدرس يحاول هدم مناشي الخرافات التي نشأت منها تعصبات أهل الطريق الذين يهددون الحكومات في افريقيا وهم خطر دائم عايتها وعلى قومهم ولا علاج لهم الا الارشاد الديني الصحيح الذي يهدم تلك الساطة أو يرشد أهلها الى الحق الذي يعرفون به أنفسهم فلا يكلفونها من العمل ما ليست أهلاً له. وقد جاءتنا جريدة فرنسية تونسية تشرح مسألة صفاقس وتبين خطأ الحكومة فيها وسنشر تعريبها في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى.

﴿ثورة مراکش ونبأ عظيم﴾

لا تزال الثورة مشتتة في بلاد مراکش وفرنسا على الحدود جيش جرار وقد أرسلت بعثة عسكرية الى سلطان مراکش فقوي بذلك نفوذها عنده على نفوذ انكرا. أما النبأ العظيم الذي حدث أخيراً فهو أن البرقيات أفادتنا اليوم ان حكومة المغرب الاقصى

قد اقترضت من مصرف (بنك) فرنسا والبلاد الواطئة (هولندا) سبعة آلاف ألف وخمسة آلاف فرنك (٧ ملايين ونصف) بفائدة ستة في المئة ، قال (روتر) : ولما كان السلطان هو الكافل لهذا القرض فالتبادر انه حيلة سياسية يقصد بها زيادة نفوذ فرنسا عنده : هذا وان من عرف حال الاوربيين في الاستعمار يعلم أن الاقتراض ، مبدأ الانقراض ، أي ان الحكومة الشرقية التي تقترض من دولة أوربية ينقرض حكمها باليد التي تعطى المال . وكأن هذه الحكومات الجاهلة لا بد أن تهدم سلطانها بأيديها . وكأن بلادها لا تحي إلا اذا ماتت موتتين ، وكأن الله قضى أن لا تكون حياتها ، إلا على أيدي من تسميهم عداتها ، لا على أيدي كبرائها وساداتها ، ولا يشترط أن تكون أمانة الاجنبي لنا مقصوداً بها الإحياء ، فيقال اننا أحسن الظن بالاعداء ،

﴿ المنار في السودان ﴾

كان المنار يرسل الى بلاد السودان فلا يلقى معارضة ولا منعا وفي أثناء هذه السنة (الخامسة) صار يشكو الينا بعض قرائه من احتجاب بعض أجزائه ووصول بعض . ثم كتب الينا بعض من طلب الاشتراك وأرسل القيمة انه لم يصل اليه شيء من الأجزاء . فقايلنا صاحب السعادة حاكم السودان العام السردار السرونجت باشا وشكونا اليه ذلك شفاهايا وقدمنا مع ذلك عريضة الى وكيل حكومه السودان بالشكوى الرسمية فصدر الأمر في أول رجب من هذه السنة بالإذن للمنار في دخول السودان وعدم معارضته وكنا أمسكنا عن إرساله فعدنا اليه . وكنا نظن أنه يصل في أوقاته ولكن لم نلبث ان علمنا من بعض من طلب الاشتراك في تلك البلاد وارسلنا اليه المنار أنه لم يصل اليه فكتبنا ثانية الى وكيل حكومه السودان نعلمه بذلك لانه ظهر لنا أن الحكومة السودانية لم تأمر مكاتب البريد بعدم المعارضة فورد الينا الجواب الآتي بنصه :

نمرة ٢١٨٤ إدارة وكيل حكومه السودان

في ٢٦ - ١ - ٩٠٣

٨

حضرة العلامة الفاضل منشى جريدة المنار الغراء

« علم ما أوضحتكم به بجوابكم المؤرخ في ٢٢ يناير الجاري ونفيد حضرتكم بأنه »
« قد صدرت الإشعارات اللازمة لعموم الجهات بعدم منع جريدتكم (المنار الغراء) »
« من الدخول الى السودان فاقضى رقبه للإحاطة » (الامضاء)

﴿ هبة الانكليزي الجواد ﴾

نوهنا في النبذة التي كتبناها عن مؤتمر التربية الاسلامي في الهند بان السر كاسل الانكليزي تبرع بأربعين الف جنيه لتفق على دراسة مرض الرمد في مصر . ونقول الآن ان هذا السخي الجواد قد نحى بهته هذه أغنياء المصريين إذ قال انه تبرع بذلك ليفتح لهم باب البذل في هذا المشروع الذي يقيد هذه البلاد التي يكثر هذا المرض فيها . ولكن أغنياء المصريين مشغولون بالبذل في سبيل السرف والمخيلة ، عن البذل في المشروعات النافعة الجليلة ، فهم يقدون الاروبيين في شر ماعليه سفهاؤهم ، ولا ينظرون الى ما يفعله كرماءهم ، ويتوهمون أن مدنية القوم بالفجور ، ومعاقرة الحمور ، وحب الذات ولو فيها يضر الجمهور ، وأنى لهم أن يعقلوا ان الاوربيين ماسادوا على العالمين ، الا بسحاء أولئك المتبرعين ، الذين في أموالهم حقوق لتأييد العلم ، ونشر ألوية السيادة والحكم ، ولعل التقليد يفضي ببعض أغنيائنا الى فهم هذه القضية ، والتأسي بهذه الارمحية ، فنحتسي من كأس التقليد رحيقاً ممزوجاً بتسنيم ، بعد ما تجرعنا منه شراب الحميم ،

﴿ المسلمون في سوريا ﴾

ننوه بحال المسلمين في جميع أقطار الارض وقلما نذكر شيئاً عن مسلمي بلادنا السورية . وماذا عسانا نذكر عنهم غير البؤس والحرمان من الترقى في العلم والعمل . وقد كتب بعض كتاتهم الفصلاء جملة في تقریط كتاب (الاسلام والتصرانية مع العلم والمدنية) بلغ بها شاؤا بعيداً في فن الاحتراس عند ما أتى على الكتاب وكتبه وناشره وطابعه . فدلنا ذلك على الفرق البعيد بين مسلمي مصر ومسلمي سوريا

﴿ مآثرة حميدية ﴾

أمرنا مولانا السلطان الاعظم (أيده الله تعالى) بمنع المسلمين من الجلوس في الخانات والمجاهرة بشرب الخمر وأوجب معاقبة المخالف . فحسب ان يعتني الحكام والشرطه بتنفيذ هذا الامر بالدقة والإحكام

﴿ حج سلطان زنجبار ﴾

توجه في هذه اسنة سلطان زنجبار الجديد الى الحجاز لاداء فريضة الحج فدعوا لله تعالى أن يوفق سائر السلاطين والأمراء لمثل ما وفق اليه ، وان يكتب له سلامه في هذا السفر الشريف الذي امتاز به على أقرانه

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المجلد الخامس

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيستمعوا أحسنه وأولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم السبت ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٠ — ١٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣)

﴿ باب ردّ الشبهات عن الاسلام ﴾

(السلطان الدينية والمدنية)

نحن المسلمين نعتقد ان دين الله تعالى واحد في جوهره وان البيان
والهدى فيه انما اختلف باختلاف الأزمنة وان الناس كانوا في كل زمان
يأخذون من هداية الدين بقدر استعدادهم . وأن حالة الاجتماع في الأمم
السابقة كانت قاضية بإضاعة كتب الدين كلها أو بعضها اذا طال الأمد على
من جاء بها وأن أقرب الملل ظهوراً من الاسلام لم تسلم من هذه الاضاعة
وان الاسلام هو الدين الوحيد الذي حفظ كتابه كله وظهر في وقت
ارتقت فيه حالة الاجتماع حتى يمكننا ان نحكم بأنه لم تتلاش ثمرة من ثمار
العقول بعد الاسلام ولن تتلاشى فهو مبدأ تاريخ جديد في البشر

قلنا ان أقرب الملل زمننا من الاسلام لم تسلم من الضياع وظاهرنا
نعني اليهودية والنصرانية فكل من الفريقين قد فقد السند المتصل لكتبه

المقدسة فهو غير موجود قولا ولا كتابة . وهذا هو المراد بقوله تعالى
 فيهم « أوتوا نصيباً من الكتاب » وقوله عز وجل في كل منهما « فانسوا
 حظاً مما ذكرّوا به » والحظ بمعنى النصيب أي أنهم حفظوا بعض ما
 أوتوه ونسوا بعضه . ومتى ذهب بعض الدين صار الباقي غير موثوق به
 وإن سلم من التحريف فيه والإضافة اليه فكيف إذا لم يسلم . وقد أنزل
 الله تعالى القرآن « مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه » والمراد
 بالكتاب الجنس والمهيمن المراقب الذي عنده نبأ ما يراقبه فما صدقه
 القرآن من تلك الكتب فهو من النصيب الذي أوتوه ، وما أخبر به وليس
 موجوداً فهو من الحظ الذي نسوه ، وما كذبه فهو مما زادوه وأضافوه
 فهو الحكم العدل ، وإنه لقول فصل وما هو بالهزل ،

وكان الواجب أن يحكموه فيما شجر ، وينتهوا عما نهى ويأثمروا بما
 أمر ، وكذلك فعل الموفقون ، وصدّ عنه الآخرون ، والسبب في الصدود
 هو السلطة الدينية التي جعل ذروها لدين لمصلحتهم تقليدياً محضاً عقود عقائده
 بأيدي الرساء مل الأخبار والأشاقة يقلدون بها الناس ويحمونهم سواها
 وينشئون الأحداث ، من الدكران والإثنا ، على اعتقاد وجوب التسليم
 لهم ، والرجوع في كل أمر الدين اليهم ، ولا يزال أثر هذه التنشئة ظاهراً
 فيمن يتربى في مدارس القسيسين فتراه يناظر ك في المسألة فإذا قامت عليه
 حجتك قال ان هذا الذي تقول ، ظاهر في نفسه ومعقول ، ولكنه من
 أمر الدين والقسيس يقول بخلافه ولا قول في الدين الا ما يقول القسيس ولا
 يشترط ان يكون قوله معقولا ولا مفهوما !!

فاذا قال النصراني ان السلطة الدينية مثار التعصب الدميم ، ومبعث

العداوة والبغضاء بين الجيران والأقربين، والحجاب دون المساواة بين أهل الوطن الواحد في الحقوق، والتقيّد الذي تقيد به الإرادة والعزيمة، والغل الذي يغلّ به العقل والفكر، = فالمسلم يصدقه ولا ينازعه يصدقه حامداً لله تعالى أن ليس في دينه طائفة جعل لها الاسلام حق السيطرة على العقول والأرواح تودع فيها ما تشاء وتحرمها مما تشاء وتتصرف في المسلمين باسم الدين كما تشاء. ثم يلتفت فيرى ان المسلمين الذين قلّدوا الرؤساء الروحانيين عند النصارى لم يبلغوا أن صار لهم سلطة حقيقية منتظمة يحاسبون بها الأفكار على خواطرها والعقول على معارفها بل هؤلاء هم الذين كانوا يتسامحون مع الفكر والخيال مالا يتسامح غيرهم ويعدون كل معرفة تقرب من الله تعالى لأنهم يقولون : إن الله طرائق ، بعدد أنفاس الخلائق ، ثم يلتفت من جانب آخر فيرى ان هؤلاء المقلدين في السلطان الروحاني لا تعظم سلطتهم الا حيث يصغر العلم بالدين ، ولا يقوى نفوذهم الا حيث يضعف نفوذ الحكم الاسلامي ، وما عزّ لهم سلطان في مكان ، الا وكان وبالاً على المسلمين والاسلام ، فان كنت نسيت حوادث مهدي السودان ، فأمامك حادثة خارجي مراکش الآن ،

للعلماء والعقلاء والكتاب والخطباء أن يقولوا في السلطة الدينية النصرانية ما شاؤوا ، ولهم أن يسموا في فصلها وإبعادها عن السلطة المدنية ما استطاعوا ، فإنها سلطة كانت ولا تزال ضارة حيث وجدت وتوجد وكان معظم ضررها أيام كانت مقرونة بالسلطة المدنية . لهم ان يسموها سلطة فان لها في كل مملكة رئيساً عاماً يولي سائر الرؤساء في المملكة وهؤلاء الرؤساء الذين هم أركان سلطته منبثون في كل مدينة وفي كل قرية

ولا يوجد حكام مدنيون في جميع القرى والمزارع كما يوجد هؤلاء الحكام الروحانيون . ولهم أن يقاروا هذه الحكومة ويقاوموها، ولهم أن يخضدوا من شوكتها، ويضعفوا من صولتها، ولهم أن يقولوا انه لولا فصلها عن السلطة المدنية، لما تنسنا نسيم الحرية؛ ولهم أن يعذروا الأمة الفرنسية؛ اذا حاولت اضطلام هذه السلطة بالكلية؛ المسلم يعذرهم في كل هذا لأنه من الإصلاح الذي جاء به الاسلام كما المعنا في صدر هذا المقال فمن لم يأخذه من الاسلام مباشرة فله أن يأخذه من نظام القطرة اذا هداه العلم اليه وما الاسلام الا دين القطرة الهادي الى نظامها وسنن الله فيها

ومن الظلم البين ان يرمى الاسلام نفسه بتقرير السلطة الدينية المعروفة عند النصارى . والاسلام هو الذي أبطل كل سلطة يكون بها فريق مسيطرا على روح فريق وحاكما على حريته في غير ما يحرمه الشرع على كل رئيس ومروءس او يطالب به كل رئيس ومروءس . ان الدين اتبعوا سنن من قبلهم وقلدوهم في مثل هذا الامر لم يتقنوا التقليد وكان روح الاسلام مانعا أن يبلغوا منه كل ما أرادوا . ولكن الاسلام لم يسلم من أعداء يلصقون به كل عيوبهم ويقولون عليه الكذب وهم يعلمون، نعم انهم يعلمون أنهم يخلقون عليه إفكاً لانهم اطلعوا على ما كتبوا وكتب بعض الاثمة في بيان نفي هذه السلطة ثم يفتأون يعيبون الاسلام بها ولهم غرض يرمون اليه وراء تشكيك المسلمين في دينهم وتغييرهم منه وقد اشرنا اليه في مقال مضى ووعدنا بيان الحق فيه كما يتناه في غير ذلك من شكوكهم وشبهاتهم

(شهد في الموضوع من منار السنة الاولى)

صدرنا العدد ٢٢ من منار السنة الأولى بمقاله في (سلطة مشيخة

الطريق الروحية) قلنا في أولها : « لقد أتى على الانسان في طور اجتماعه أدوار ؛ ومرت عليه أجيال وأعصار، وهو مغلول الاِرادة ومقيد الجوارح بسلطتين عظيمتين قويتين للقائمين عليهما النفوذ السام في أفرادهم ، والتصرف المطلق في آحادهم ، وهما سلطة الدين وسلطة السياسة - او كما يقول أهل العصر - السلطة الروحية والسلطة الزمنية »

ثم قلنا بعد كلام في حال هاتين السلطتين وتأثيرهما وحال الأمة التي تحكم بهما مانصه :

« وبالجمله ان أمة هذا شأنها تكون دائما متقلقة كقدح الراكب لا تثبت على حال ولا تستقر على شأن . وجميع ما انتاب الأمم من رفعة وضعة وعلم وجهل وسعادة وشقاء فقد كان مرجعه الى تصرف الأمراء والحاكمين ، والرؤساء الروحيين ، ولقد كان الشر أغلب على الأمم من الخير والشقاء أشمل لها من السعادة لأن الرئيس الفاضل الحكيم لا يأمن من العثار واذا عثر عثرت معه الأمة وهوت وقد يهدم الرئيس الجاهل الغوي في مدة قليلة ، مابنته الحكماء في الأجيال الطويلة ،

ولهذا كانت سعادة البشر موقوفة في نيلها أو كمالها على تحديد القوانين والشرائع الروحية والزمنية (المدنية) وجعل الناس فيها شرعا (أي سواء) لا مزية لرئيس على مرؤس الا بما يمتاز به المرؤسون بعضهم على بعض وبما لا تقوم الرئاسة بدونه كوجوب الطاعة للسلطان ولا طاعة لأحد على أحد فيما وراء الشريعة والقانون . ولكن لم تأت شريعة سماوية ولم يوضع قانون بشري لهذا التحديد والمساواة حتى جاءت الديانة الاسلاميه فحددت الشريعتين (المدنية والروحية) معاً وجعلت الناس فيهما سواء لا فضل لأحد

على أحد الا بالعلم والعمل ، واقتلعت جذور الطاعة العمياء وبينت ان الدعوة الى الحق لا تكون الا بالحجة والبرهان بمثل قوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) فسر العلماء البصيرة بالحجة الواضحة . وقوله تعالى « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

« وبناء على هذا كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم الرأي فائين : هل هذا شيء قلته من عندك يا رسول الله أو نزل به وحي ؟ فان قال هو من عندي جاؤا بما عندهم من رأيي وربما رجع النبي الى رأيهم كما جرى في بعض النزوات (منها بدر وأحد) . وأوقف أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الامام علياً مع رجل من آحاد يهود للمحاكمة وعاتبه على بعد المحاكمة بأنه لم يساو بينه وبين خصمه لأنه كآه وسعى خصمه وفي التكنية تعظيم وتعظيم أحد الحصين ولو بمثل هذا منافٍ للعدالة والمساواة . وراجعت امرأة عمر وهو على المنبر في مسألة تحديد المهر محتجة عليه بآية « وآتيتن إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر : « وأبلغ من هذا ان النبي عليه الصلاة والسلام طعن سواد بن غزيرة بقدرح (سهم لانصل له ولا ريش) في بطنه وهو مكشوف ليستوي في الصف يوم بدر فقال : قد أوجعتني فأقذني : فكشف له عن بطنه ليقتص منه فطقق يتمسح به وكان ذلك منه توسلاً للتوصل الى هذا الشرف العظيم . وأذن الناس قبل موته بأن من له حق عنده فليطلبه واذا كان نحو ضرب فليقتص منه وأذن لرجل أن يضربه حين ادعى انه ضربه يوماً فقال الرجل . اني كنت عاري الكف أو الطهر . (شك من الراوي) فألقى له الرداء عن عاتقه الشريف وكان شأنه في ذلك شأن سواد بن غزيرة .

« والنتيجة ان الاسلام قرر العبودية لله وحده والحرية في ضمن دائرة الشريعة والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات وإطلاق الارادة والفكر من سلطة كل زعيم وسيطرة كل رئيس روحي ومقتضى ذلك أن يكون المسلم عبدا كاملا لله حراً كاملاً بالنسبة لمساواه »

هذا بعض ما قلناه في المسألة من نحو خمس سنين وبعده كلام في سلطة مشيخة الطريق كيف ظهرت وماذا أعقبت

(يحمل الدلائل على نبي السلطة الدينية في الاسلام)

(١) أقوى الدلائل على أنه لاسلطة دينية في الاسلام كما في البصراية تحديد وظيفة الرسول في القرآن بأنه مبلغ لا مسيطر ولا وكيل ولا جبار على الناس قال تعالى « إن عليك إلا البلاغ » وقال عز وجل « ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء » . قال تبارك شأنه « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وقال عز اسمه « وما أنت عليهم بجبار » وقال تعالى جده « قد ذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال جل جلاله « وما أنت عليهم بوكيل » فأين هذا كله من ملة يدعي رؤساؤها أنهم وكلاء الله في الارض . هل يقاس النقيض على النقيض ؟

(٢) سيرة النبي عليه السلام فقد سمعت أنفا أنه كان يقيد من نفسه ويرجع عن رأيه الى رأي أصحابه . وأعجب من هذا أنه رجح الرأي الموافق لرأيه في مسألة أسرى بدر وكان الرأي الآخر هو الاصلح فعاتبه الله عتاباً شديداً حتى بكى عليه الصلاة والسلام

(٣) سيرة العلماء الراشدين كما سمعت أنفا عن عمر ويؤثر مثله عن سائرهم ولم تكن سيرتهم في المساواة وفي تحكيم الأمة بأنفسهم من مزاياهم

الشخصية وإنما هو شيء أخذوه من القرآن ومن السيرة النبوية كما علمت وإنما زعم أنهم فهموا الإسلام كله وكانوا أشد من غيرهم غيرة عليه وعملا به .

(٤) لو كان الإسلام شرع هذه السلطة المعروفة في الممل السابفة عليه من البوذيين والبراهمة والاسرائيليين والنصارى أو أجازها لوجد لها في المسلمين نظام ورؤساء كما وجد عند غيرهم ولكن شيئاً من ذلك لم يوجد وإنما وجدت طاقة تصدت للتربية والإرشاد ثم انقسمت الى طوائف وجماعات ولم يكن لهم سلطة على أحد وإنما يتبعهم من شاء باختياره ولم يسلبوا مع ذلك من رعي الفقهاء لهم بالانحراف عن الدين ومن تفريق الأحكام شملهم ولذلك لم يكن لهم ظهور إلا حيث يضعف علم الدين وحكمه كما قلنا آنفاً . وأما لقب « شيخ الإسلام » فهو من اختراع الملوك والأمراء الذين بعدوا عن المظهر الديني فاستعانوا بمن له هذا المظهر لأجل التأثير في نفوس العامة المقلدين

نعم ان السلطة الدينية وجدت على حقيقتها في طائفة الباطنية ثم وجدت لهذه الطائفة حكومة مدنية في العبيدين (الفاطميين) ولكن مذهب الباطنية ليس من الإسلام في شيء ولذلك لم يستطع العبيديون أن يؤيدوه بسلطتهم تأييداً ظاهراً فيقال ان السلطة الدينية قد اجتمعت مع السلطة المدنية في طائفة تنتمي الى الإسلام في الجملة . فلم مما تقدم أنه ليس في الإسلام سلطة دينية فما هذا الذي يعيب الإسلام به بعض كتاب النصارى وما هذه النصائح التي توجهها تلك الاقلام الى الأمة الإسلامية لتقنعها بوجوب الفصل بين السلطين الدينية والمدنية ؟ الجواب ان المراد بذلك ان يترك المسلمون شريعتهم كما يعلم من الفصل الآتي

﴿ الشريعة والدين في الإسلام ﴾

جرى عرف الكتاب الأوربيين ومن تبهم من الشرقيين لاسيما كتاب النصارى بأن يطلّوا اسم الدين على ما يتعلق بالاعتقاد بالله وبالوحي وما يعده به من أمور الغيب وما يفرضه من العبادة ويخصوا كلمة الشريعة بما يتعلق بالمعاملات والاحكام القضائية والمدنية والسياسية . وكل باحث في التاريخ من هؤلاء الكتاب يلم أن الاسلام جاء بدين وشريعة ومن ذلك قول بعضهم : إن محمداً (عليه الصلاة والسلام) كوّن في عشرين سنة أمة وجاءها بدين وشريعة ولم يتفق لغيره في العالم الجمع بين هذه الامور الثلاثة : فهؤلاء يعلمون أن الشريعة قسيمة الدين في الإسلام وإن ما يدين به المسلم ربه وما يعامل به الناس كله مقتبس من نور واحد وهو نور الوحي الذي أوحاه الله الى محمد عليه الصلاة والسلام .

لا فرق في الاسلام بين القسم الديني البحت والقسم الشرعي الا في شيء واحد وهو ان الاعنفاد والعبادة لما كانا لا يختلفان باختلاف الزمان والمكان وأحوال الأئمة وجب الاعتماد فيهما على الوحي في الجملة والتفصيل والكليات والجزئيات . وأما المعاملات الدنيوية فلا تختلفان باختلاف ما ذكر قد وضع الاسلام لها قواعد كلية وأصولاً عامة وفوض استنباط الجزئيات الي تحدث الى أولى الامر العارفين بمقاصد الاسلام وبأصوله العامة وقواعده الكلية فهم يبينون الاحكام بالشورى في كل ما يحدث للناس من المصالح استنباطاً من تلك الاصول والقواعد . قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فذكر أولى الامر بصيغة الجمع . وقال «ولو ردّوه الى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه

الذين يستنبطوه منهم ، ذكر أولي الأمر بصيغة الجمع أيضا وأناط بهم استنباط الحكم الذي يحتاج اليه او يذاع فيه

ثم ان الاحكام الشرعية المنصوصة او المستنبطة تحتاج الى منفذين ولا بد ان يكون لهؤلاء رئيس ثلاث تكون الامور فوضى وقد سمي الرئيس الاول في الاسلام بعد وفاة النبي صلى عليه وسلم خليفة له وسمي من بعده أمير المؤمنين واستمر هذا للقب . ووظيفة هذا الرئيس حماية الدين وأهله وتنفيذ أحكام شريعته فليس هو سيطرا على الناس في دينهم ولا مستقلا بوضع الاحكام الشرعية لهم وإنما هو حافظ للنظام ؛ ومنفذ للأحكام ؛ وسلطته هذه كما ترى مدنية شورية ، لا مطلقة ولا استبدادية ؛ ولكن الاسلام أوجب عليه أن يعمل بالشرع وحرّم عليه أن يكون شارعا بنفسه وأوجب طاعته بالمعروف ، كما أوجب على الأمة إزالة سلطانه ان حملها على غير المشروع ؛ فصيح بهذا الاعتبار أن يقال ان السلطة المدنية في الاسلام مستندة الى الدين أو انها سلطة دينية . ولكن لا يصح أن تشبه بالسلطة الدينية عند غير المسلمين ولا أن يجعل صاحبها جامعا بين سلطتين إحداهما على الأرواح والعقول والثانية على الأجسام والأعمال

هذا هو ديننا وهذه هي سلطته فبماذا يطالبنا ذلك الكاتب النصراني وبماذا ينصح لنا ؟ هو يطالبنا بأن نجعل رئيسنا المدني شارعا ومنفذا لما شرعه لنا من الأحكام وينصح لنا بأن تترك شريعتنا القائمة على أصول ديننا ، ونزعم أن بناء التريعة على قواعد الدين وجعل الأحكام حماة للدين ومنفذ له هو الذي أزل لدولة العباسية ، وفرق شمل الأمة الإسلامية ، ومن زبّه ن المسلمين لا ينجحون ولا تقوم لهم قائمة مادام سلطانهم مكلفا

بالعمل بشريتهم الدينية وتنفيذها!!!!

لوجعت كل ما ورد من الكلم في جميع اللغات ليدل على معنى التعجب وأضفت اليه كل أمارات التعجب ودلائله في الحركات والاشارات العضوية والقلمية وقدرت على تصوير جميع أنفعالات المتعجبين وتأثراتهم النفسية وألصقت ذلك كله بهذه النصيحة النصرانية الأمة الإسلامية لما وفيت حق البيان في كونها عجيبة غريبة مدهشة للمتعجبين !!!

(شبهات المشكك)

(١) يقول هذا الناصح الأمين، أو المشكك في الدين: إن غرض الدين في الأرض مناقض لغرض الحكومة في الأرض فكيف يجمع الإسلام بين النقيضين؟ ونحن نقول له إن الإسلام جاء للإصلاح في الأرض وكل ما يناقض الإصلاح فهو إفساد يجب إزالته فالواجب أن يكون غرض الحكومة الإسلامية موافقا لغرض الدين الإسلامي . ومما لا خلاف فيه بين فقهاء الإسلام أن أحكامه الشرعية كلها مبنية على قاعدة « درء المفسد وجلب المصالح » فأأي حاكم من حكامنا يقدر أن يأتينا بشرع أصليح من هذا الشرع إذا نحن تركناه عملا بنصيحتك وجمالنا الحاكم هو الشارع؟؟

(٢) يقول الناصح الأمين؛ أو المشكك في الدين:، إن من المناقض بين وظيفة الدين ووظيفة الحكومة أن الدين وضع قواعد وتقاليده للعقل وطرقا لسير الفكر فتقيد بذلك حرية العلمية . والحكومة لا تكلف الإنسان بأن يسير في فكره على طريق مخصوص وإنما هي حامية لحرية النفس وما يتبعها من المال والدم والشرف : ونحن نقول إذا كان دينك كذلك فدين الإسلام مناقض له غير مناقض لوظيفة الحكومة التي ذكرتها . وذلك أنه

تقرر فيه حرية العقل فلا يخرج المسلم عن حكمه في عقائده (كما ينشأ ذلك في الجزء الماضي) وتقرر أن أحكامه ترجع الى خمس قواعد يسمونها الكليات الخمس وقد جمعها صاحب عقيدة الجوهرة بقوله:

وحفظ دين ثم نفس مال نسب ومثابا عقل وعرض قد وجب
(٣) يقول الناصح الأمين، أو المشكك في الدين، : يجب أن تكون الحكومة مساوية بين من تحكمهم وان اختلفت أديانهم وأن تكون حامية لهم على السواء أيضاً والدين مناقض لها في ذلك : ونحن نقول : اذا كان دينك كذلك فديننا مناقض له لا لما يجب ان تكون عليه الحكومة . وذلك ان المساواة من أصوله وقد أشرنا في الفصل السابق من هذا المقال الى مساواة عمر بين الإمام عليّ ورجل من آحاد اليهود ومطالبة عليّ له بالمساواة في اللقب أيضاً وهذه مساواة لم تصل اليها حكومة ولن تصل اليها حكومة الا ان تكون مقيمة للاسلام على حقه . وأما الحماية فمن الاصول الماثورة في ديننا هذه الكلمة الجليلة « وان نحميهم مما نحمي منه أنفسنا » وهذه الكلمة الفضلى « لهم مالنا وعليهم ما علينا »

(٤) يقول الناصح الأمين، أو المشكك في الدين، : إنه ليس من شأن السلطة الدينية، الدخول في لأموال الدنيوية؛ لان الأديان شرعت لتدبير الآخرة لا لتدبير الدنيا . ونحن نقول : اذا كان دينك كذلك فديننا ليس كذلك فانه تشرع ابيات مصالح الدارين، والارشاد الى طرق السعدتين، فكيف تحكم على الأديان كافة بما تعتقده في دينك، وهل كنت أنت نوضع الأديان كماها فتقول إنني وضعت دين الاسلام هكذا أيضاً وذهب قد زود فيه فانا الآن أطالبهم بالرجوع الى الاصل، ان المسلمين

لا يقبلون منك ذلك لان اثمتهم عرفوا الدين بأنه وضع الهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم الى ما فيه صلاحهم فى الحال ؛ وفلاحهم فى المآل ؛ (٥) يقول الناصح الامين ، او المشكك فى الدين ، : ان الجميع بين السلطتين يضعف الامة ضعفا مستمرا لانه يقتضى اضطهاد العقل والذكاء ويعرض الحكومة لثورة الامة باغراء عدو يثيرها عليها ويكون سبب الشقاق الدينى بين الطوائف التى تتألف منها الشعوب ويعرض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها . ونحن نقول ان كل هذا قد وقع فى دينه فلانكره وإنما نكر قياس ديتنا عليه وهو مبين له . وحسبنا ان الذى وقع عندنا هو نقيض ما وقع عندهم فان الحكومة الاسلامية التى يسميها جمعا بين السلطتين (وقد فهمت معناها) قد أعطت الامة قوة لم يقاوها فيها أحد فى زمنها وما ضعفت الامة الاسلامية الا بضعف الشرع وعدم إقامته وهذا أمر لا خلاف فيه . وكذلك لم يضطهد العقل والذكاء فى الاسلام فى عصر اقامة شريعة لاسلام وانما وقع شبه اضطهاد بعد ضعف الشرع والتهاون فى تنفيذه . اما اثورات التى يخافها الناصح على الحكومات الاسلامية اذا بقيت على شريعتها فهي أجدر بالوقوع اذا خرجت الحكومات عن الشريعة لأن الخروج على السلطان لا يجوز فى الاسلام الا اذا خرج السلطان من الاسلام بترك الشريعة واذا أخطأ فالواجب ان ترجعه الامة عن خطائه بالمعروف : قال صاحب عقيدة الجوهرة :

وواجب نصب إمام عدل	بالشرع فاعلم لا بحكم العقل
فليس ركنا يعتقده فى الدين	فلا تحد عن حكمه المبين
الا تكفر فانبدن عهده	فالله بكفيننا أذاه وحده

وأما الشقاق الديني بين الطوائف والملل فلم يعهد في بلاد الإسلام أيام إقامة الشريعة والعمل بها بل كانت الطوائف في هدون وسلام لأن الدين يوجب ذلك وكان معمولاً به . والذي يوجب الشقاق هو جعل الدين مصلحة لرؤساء مخصوصين يناهض كل رئيس بطائفته سائر الطوائف فهو الصق بالفصل بين السلطين وجعل كل واحدة مستقلة لها رؤساء يديرونها منه بالجمع بينهما خصوصاً جمع الإسلام بالمعنى المتقدم . وقد ذقت الأمة النصرانية بأس هذه الرياسة وكانت هي التي ابتدعت الحرب بين طائفتين من أهل دين واحد للخلاف في الدين ولو لم يكن لكل طائفة رؤساء مخصوصون لما وقع شيء من ذلك . وقد سرت عدوى النصرانية إلى غيرها وأصاب المسلمين شررتك النيران فحدث بن أصحاب المذاهب شيء من الشقاق لتعصب كل طائفة لإمام مخصوص وعلماء مخصوصين . وقد علمت أن رجال الدين لم تنتظم لهم في المسلمين رياسة لأن طبيعة الإسلام تأبى ذلك ولهذا لم يعظم النفور والشقاق بين أصحاب المذاهب الإسلامية كما عظم بين أرباب المذاهب النصرانية . على أن المذاهب المتعددة في الدين هي مخالفة لوضع الدين لأنها تفرق فيه والله يقول « أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه » ويقول « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » ولكن جاءنا من كذب النصارى في هذا العصر من يقول أن التفرق إلى شيع من طبيعة دين ولا علاج لهذا التفرق لا ترك حكمانا لشريعتنا !!!

وأما تعريض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها إذا كانت الشريعة مستمدة من الدين فهو نفيض انعقول وخلاف الواقع فإن السياسة كما قال « كذب » بنية على الرباء والخائنة ولا علاج للرباء إلا الدين وقد شدد فيه

الإسلام حتى سماه « الشرك الأصغر » ، فإذا بُنيت السياسة على قاعدة الدين سلمت وسلم معها الدين وإذا انفصلت من الدين فسدت وأفسدت الدين ولذلك استعاذ منها الإمام كاتب مقالات (الاسلام والنصرانية) بما استعاذ ووصفها بما وصف • وقد قلب الحقيقة الناصح أو المشكك فجعل انفصال الحكومة من الدين هو سبب السلامة !!!

الوحدة الدينية • والوطنية

يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين ، ان الوحدة الدينية التي يطلبها الاسلام مستحيلة الوقوع ومحاولتها كان اكبر أسباب الفتن التي حدثت في الاسلام والمسيحية • ويزعم ان البشر قد ارتقوا عن طلب الوحدة الدينية التي كانت عامة فيهم الى الوحدة الوطنية وتدحرج في البيان الى ذكر فرنسا التي ارتقت فيها هذه الوحدة الجديدة التي حصر فيها سعادة البشر حتى حكمت بإبطال مدارس الرهبانات وحتى حرمت على رؤسها ذكر اسم الله تعالى أو ذكر العناية الالهية في خطبه • وههنا شعر بأن هذا التدحرج قد أنهار به في هوة الباطل فعاد يعترض على هذه « الطريقة الجديدة » ويذكر من مفايدها • وهكذا شأن من يهرف بما لا يعرف • وقد استدلل على استحالة الوحدة الدينية بما كان في أوروبا من المفاسد وافتن بسببها وبعدم نجاح البابا فيها وبسعادة أوروبا بعد إقامة السد بينه وبين الأحكام • ثم جرى على عادته في تشبيه الاسلام بالنصرانية فزعم ان الذي أسقط دولة بين العباس هو عجزهم عن حفظ الملكية بالوحدة الدينية وعدم اهتدائهم الى الوحدة الوطنية !!! سبحان الله ما أعلم هذا الكاتب بالناريخ وما أقدره على استخراج طبائع الملل منه !!!

خبرونا أيها المؤرخون والمطلعون على كتب التاريخ أي مؤرخ قال ان سبب سقوط بني العباس هو حكمهم بالشريعة الاسلامية أو قال ان أصحاب الملل المختلفة في بلادهم كانوا ساخطين على الحكم بالشريعة وطالبن أن تستبدل بها قوانين غيرها يضعها الحكام أو المحكومون وأنهم لذلك ثاروا على الدولة حتى أسقطوها بالحروب الأهلية التي مشارها التعصبات الدينية ؟ لم يقل بذلك عالم ولا جاهل وإنما هو زعم افتحده وافتجروا اخترعه وابتدعه ناصح المسلمين الامين أو مشككهم في الدين

لسقوط دولة العباسيين أسباب أهمها أمران ذكرهما مؤرخ الدولة العثمانية الأكبر جودت باشا ناظر العديلة (رحمه الله تعالى) قال بعدما ذكر فضل المأمون في ترويح العلوم وتوسيع نطاق المدينة ما تعريبه « الا أنه أخطأ خطأ بينا في أمر يتعلق بتدبير المملكة وهوانه أعطى ولاية خراسان لرجل يسمى طاهرا مكافأة له على قتل أخيه الأمين فاتخذ نيسابور عاصمة لها وجعلها وروثة له ولأعقابه من بعده فكان ذلك باعثا على إزاله رهبة الخلافة من صدور العمال ، وسيباً في الخروج عن الطاعة والنزوع الى الاستقلال ، ثم جاء بعده الخليفة المعتصم فجمع بعض الاحداث من الترك وجعلهم عسكرياً خاصاً به ولما اشتد ساعدهم خرجوا عن طاعته وأحدثوا ثورات هائلة كما وقع قديماً في عسكر قياصرة رومية »

وظاهر أن ماعمله المأمون مخالف للشريعة الاسلامية ومناف للوحدة لدينية . وإن مدعاه المعتصم كان لا يخلاله بأصول الاحكام الاسلامية من لتورى وكفاله الامة للامام والتحري في تخاذ البطانة فقد قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانه من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم »

الآية . وللمفسرين وجهان في قوله « من دونكم » قيل هم المنافقون وقيل الكافرون . وكان أولئك الاحداث أحد الفريقين فإنهم اتخذوا بطانة ولما يدخل الايمان في قلوبهم كما علم من مقالات (الاسلام والنصرانية) وقد تحقق فيهم قوله تعالى « لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم » ولكن ناصحنا الامين حرف قول الإمام في هذا المقام الى فتنة سياسية فزعم أن مراده الحكم بأن الترك والفرس لا يعتد باسلامهم وان الدين خاص بالعرب أي أنه لا يعتد باسلام مثل البخاري ومسلم وأبي حنيفة والغزالي الخ !!!
نمود بالله نموذ بالله

يا حصرة على أعداء الشريعة الاسلامية التمسوا لها عيافها فأعيامهم وأعوزهم،
فالتسوه في المقيمين لها (كابي بكر وعمر) فأعيامهم وأعجزهم؛ فنقبوا عنه فيمن
انحرفوا عن صراطها فنكبوا فأصابوه وألصقوه بها وقالوا إنها شريعة ضارة
يجب تركها واختراع شريعة بدلها !!!

كانت رابطة الوحدة في الاجتماع البشري محصورة في البيوت (العائلات)
ثم اتسعت فصارت في القبائل ثم اتسعت بناموس الترقى فكانت الشعوب
والامم الكبيرة التي وحدتها الجنسية باللغة او الدين او البلاد (الوطن)
وكان الدين خاصا لا يتعدى الشعب الذي وجد فيه الى أن ظهر الاسلام
فان في الانجيل المعتمدة عند النصارى الى اليوم ان المسيح عليه الصلاة
والسلام قال : « لم أرسل الا الى خراف اسرائيل الضالة » وقال « ماجئت
لأنقض الناموس وانما جئت لاتيتم » والناموس هو شرع الاسرائيليين
الخاص بهم وتتميمه بيان الحق فيما اختلفوا فيه منه وفي بيان اسراره والتوسع
في القسم الروحاني منه . وأما ما ينقلونه عنه من انه قال « اكرزوا بالانجيل

في الخليفة كلها » فهو مخالف لما تقدم في الظاهر ويمكن أن يتفق معه بجعل
(أ ل) في الخليفة للمهد أي الخليفة المعروفة وهي الأمة الاسرائيلية حيث
كانت وأين وجدت

بعد هذا استعداد البشر بناموس الارتقاء الى وحدة أوسع من كل
ما تقدم - الى وحدة يمكن أن تدخل فيها جميع الشعوب والقبائل والأمم
والاجناس المختلفين في البلاد واللغات والاديان - الى وحدة لها رابطتان
(إحداهما) جثمانية اجتماعية عمرانية دنيوية وهي أن يُحكّموا بشريعة عادلة
تساوي بينهم في الحقوق لا يمتاز فيها كبير على صغير ولا غني على فقير ولا
عربي على عجمي ولا متدين بدين على متدين بغيره (وثانيتهما) روحانية أخوية
أخروية تختص بمن يجمعهم الاعتقاد الصحيح ، المبني على البرهان الصريح ،
وهذه الوحدة هي الوحدة التي جاء بها الدين الاسلامي وعمل بها المسلمون في
الصدر الاول فكان المخالمون لهم في لدين يفضلون حكمهم على حكم المتحدين
معهم في الدين واللغة والوطن . ولم توجد المساواة ولا العدالة الصحيحة الى
اليوم الا في الاسلام فهذه الدول الاوربية الراقية بالوطنية لا تساوي بين
ابنائها وأهل مستعمراتها في الاحكام بل ألزمت الحكومات الضعيفة في غير
بلادها بالخروج عن العدل والمساواة وتميز أجناسها على رعايا كل
حكومة من تلك الحكومات فالمصري يقتل في مصر اذا قتل أجنبيا ولكن
الاجني لا يقتل بالمصري . وقد كنا أوضحنا هذا المبحث في مقالة عنوانها
(الجنسية والدين الاسلامي) فلتراجع في المجلد الثاني من المنار . وفي
سائر مجلدات المنار مباحث كثيرة تؤيد هذه المسائل المتفرقة وتعضد
القضايا المتعددة في هذا الامال

فتبين بمجموع ما تقدم ان الوحدة التي جاء بها الاسلام هي أعلى ما يترقبه البشر وأفضل ما يتوجهون اليه ولكن الرياسة الروحية في الديانة النصرانية التي جعلت الدين مصلحة من المصالح ينتفع بها الرؤساء وخروج الحكم المنتسبين الاسلام عن قواعدها هما السدن المانعان من انتفاع البشر بها وستدك الحرية السدين، ويجمع البشر بالاسلام بين السعادتين،

القسم العمومي

﴿ تمة الاجتماع الثاني عشر لجمعية أم القرى ﴾

قال (الاستاذ الرئيس) هانحن أولاء قد استوفينا قراءة القانون للمرة الثانية أيضاً ولم يستدرك عليه أحد من الاخوان شيئاً فهل أنتم مقرون . فاجاب جميع الاعضاء نعم نقره .
قال (العلامة المصري) اني مالياة عن هيئة لجمعية أشكر حاضرة الاستاذ المكي الرئيس راعته في حسن ادارة الجمعية كما انني أقدر للمدقق التركي ورفقائه واضعي ساحة القانون قدر فصاهم وحسن احاطتهم .

واني لأرى في هذا القانون أشعه نور بن القصايا والسطور ، نور يشرق على المارات فيدر الأهلة ويهر السور ، نور معقود اللواء لشاة جديدة . وحياة جديدة . وعاقبة سعيدة ، نور يبرق ديجور الفتور ، ويحيي ميب الشعور ، وما ذلك على الله بعزيز .
قال (المحقق المدني) بمناسبة أبي جار النبي صلى الله عليه وسلم أرى كأن رسول الله مسرور بكم أيها الإحوار الكرام يتصرع الى ركم أن يوفقكم في مشرعه عكم خدعة لديه وأتمه خدمة بتحققكم بالمجاهدين الصديقين الاولين .

قال (الاستاذ الرئيس) اذا تقرر أن يكون تأسيس الجمعية الدائمة ابتداء في نور سعيد او الكويت بصورة غير عالية في الاول فأرى أن نهوض اتحاد أسباب هذه المهمة للعلامة المصري واسيد امرتي فهما بعد ستة أشهر يجتمعان في مصر وبعد تهيشة الاسباب وترتيب ما يلزم تربيته يسعين أولاً بطبع هذه المداكرات مع القانون ثم ههنا ترحمة دلات الى بقية أمهات المعات الاسلامية التركية والمارسية والاوردية فيطبعانها ويسراها ذكرى وبسرى للمؤمنين .

ثم بعد استطلاعهما ما يلزم استطلاعهما من آراء وأفكار ذوي الهمم السامية ،
 يباشران أسباب تشكيل الجمعية مع التروي والتأني اللازمين حكمةً وربما لا يساعدهما
 الزمان فيحتاجان لتزجّب الفرصة ولو تأخر الأمر إلى اجتماعنا الثاني • وأخونا السيد
 الفراتي بعدنا بأنه لا يقطع عنا رسالته وإعلامنا بسير المسألة والأمل بعنايته تعالى أن
 نجد في اجتماعنا الثاني بعد ثلاث سنين الجمعية الدائمة متشكلة على أحسن نظام •
 ثم قال (الاستاذ الرئيس) واني على أمل أن الجمعية الدائمة ستلحقنا بأعضائها
 الفخريين فتخدم مقاصدها الجارية المتعلقة بإعزاز ديننا وأخواننا وأنفسنا فتعال بذلك
 أجر المجاهدين وشرفاً عظيماً نفتخر به نحن وأحقابنا من بعدنا إلى يوم الدين •
 ثم قال وإن جمعيتنا هذه قد اختارت أن تجعل مركزها الموقت في مصر ومصر دار العلم
 والحرية وكانت أخذت في العمران بسرعة ولولاها ون سعي و تطاول اسماعيل وسقوط نفوذ
 الفرنسيين بحرب السبعين وانفراد الانكليز وبأسهم من قبول المريض التمريض وتهاجر
 قوات الدول بتوازنها بقيت تلك الحركة العمرانية مستمرة ولما رجع الشيخ إلى دور الانحلال ،
 ولا يقع الابن في دور الانحلال ،

ثم خاطب (السيد الفراتي) هيئة الجمعية فقال : أيها السادة لاغروا أن أكون
 أكثر الإخوان سروراً بانتاج سعي وسياحي هذه الخطوة الكبيرة في هذا السيل
 واني مستبشر من تسهيل المولى تعالى البداية أن يسهل السير إلى النهاية ولا يعز على الله
 شيء والعزائم لا شك تدلل العظام •

وإني أيها السادة سأراسلكم إن شاء الله بمهمات ما يحصل ويتم ولا استغني أن
 تردوني بأرائكم ولو عن بعد ونسعفوني بأدعيتكم بالتوفيق • وليس هذا اليوم آخر
 عهد جمعيتنا بل يلزم أن نجتمع أيضاً في هذا المحفل رابع أيام التشريق فتكون تلك
 جمعية الوداع • وفيها يكشفكم حضرة الاستاذ الرئيس ببعض تدابير وبشار يجب
 اسرارها فتوقروا في الصدور لا تسجل ولا تذاع وفي ذاك اليوم يتم بتسهيل الله طبع
 سجل مذاكرات جمعيتنا إلى هذه الساعة (بمطبعة الجلالتين) فيوزع عليكم نسخ منها
 كما يعطى لكم نسخ من ضبط المناقشات على القانون ونسخ جديدة من مفتاح الكتابة
 الرمزية تبديلاً للمفتاح المختصر الأول مذيلاً بتراجم الإخوان بصورة أكثر تفصيلاً
 من الأولى وعلى الله التيسير •

ثم قال (السيد الفراتي) أخبركم أيها السادة باني أخذت بالأمر رسالة من اخينا
 لاديب بيروت الذي لم يمكنه القدر من موافاة الجمعية كما بينت ذلك قبلاً فهو

يقرئكم السلام ويدعو للجمعية بالتوفيق ويطلب أن أتلو عليكم قصيدة له يخاطب بها المسلمين

فقال (الاستاذ الرئيس) وعليه السلام وأمر بقراءة القصيدة فقرئت وأثبت منها بإشارة الاستاذ الرئيس بعض أبيات وهي •

غيرتمو يا حيارى ما بأنفسكم فغبر الله عنكم سابغ النعم
الله لا يهلك القرى اذا كفرت وأهلها مصلحون في شؤونهم
ترك التأمر بالمعروف وأورثكم ما حاق من نذر يازلة القدم

يا قومنا صححوا توحيد بارئكم بدون إشراك أحياء ولا رم
وتقحوا الشرع من حشو ومخترع رُجعى الى دين أسلاف ذوي ذم
خذوا بمحكم آيات منزلة وسنة بينت في الفعل والكلم
دعوا البدائع في الدين وأن حسنت ولا يغرثكم تأويل محتكم
سباحة الدين في فكر وفي عمل خير من الإصر والأغلال والسقم
سباحة الدين من الله خالقكم بها عايكم دعوا الكفران بالنعم
وحافظوا ملة بيضاء ساطعة وسمحة قد حبتكم كل مغتم
راقت فضائلاها في كل فاسفة قوامها حكمة تقضي الى شمم

هذي وسياتكم لا غيرها أبدا فاسموا انهضتكم يا خيرة الأئم
في غير جامعة التوحيد لن تجدوا من جامع لكم ولستم ذوي رحم
سياسة الدين أولى ما ناس به شتى الخلائق من عرب ومن عجم
فيها الحياة وفيها حفظ رايتكم خضر سوداء حول الركن والحرم

— ذيل —

قررت الجمعية في اجتماع الوداع المنعقد في رابع أيام العيد بعض أمور مهمة ينبغي أن تسر ولا تذاع غير أنها رأت أن يلحق منها بهذا السجل ما يأتي فقط •

﴿ قرار عدد ٦ ﴾

ان الجمعية بعد البحث الدقيق ، والنظر العميق ، في أحوال وخصال جميع الاقوام المسلمين الموجودين وخصائص مواقعهم والظروف الخيطة بهم واستعدادهم وجدت

أن الجزيرة العرب ولأهلها، نظر إلى السياسة الدينية مجموعة خصائص وخصال لم تتوفر في غيرهم . فرأت الجمعية أن حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم لا يقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقاً وإن انتظار ذلك من غيرهم عبث محض . على أن لبقية الاقوام أيضاً خصائص ومزايا تجعل لكل منهم مقاماً مهماً في بعض وظائف الجماعة الاسلامية . مثل ان معاملة حفظ الحياة السياسية ولا سيما الخارجية متعينة على الترك العثمانيين (١) ومراقبة حفظ الحياة الدينية التنظيمية يلحق أن تباطئ بالمصريين والمقام مهم الحياة الجندية يناسب أن يتكفل بها الأفغان وتركستان والحزر والقوقاس يميناً ومراكش وإمارات أفريقيا شمالاً . وتدير حفظ الحياة العلمية والاقتصادية خير من تتولاها أهل ايران وأواسط آسيا والهند وما يابها .

ولما كانت الجمعية لا يعنىها غير أمر النهضة الدينية رأت من الضروري أن تربط آمالها بالجزيرة وما يليها وأهلها ومن يجاريهم وأن تبسط لأنظار الأمة ما هي خصائص الجزيرة وأهلها والعرب عموماً وذلك لأجل رفع التعصب السياسي أو الجندى ولأجل إيضاح أسباب ميل الجمعية للعرب فتقول

١ (الجزيرة) . هي مسرق النور الاسلامي

٢ « الجزيرة » . فيها الكعبة المعظمة

٣ « الجزيرة » . فيها المسجد النبوي وفيه الروضة المطهرة

٤ « الجزيرة » . أنسب المواقع لأن تكون مركزاً للسياسة لدينية لتوسطها بين أقصى آسيا شرقاً وأقصى أفريقيا غرباً .

٥ « الجزيرة » . أسلم الاقاليم من الأخلاط جسمية وادباً ومذاهب .

٦ « الجزيرة » . أبعد الاقاليم عن مجاورة الاجانب

٧ « الجزيرة » . افضل الأراضي لان تكون ديار أحرار لبعدها عن الطامعين والمزاحمين نظراً لبقورها الطبيعي .

٨ (عرب الجزيرة) . هم مؤسسو الجامعة الاسلامية اطهور الدين فيهم . (٢)

٩ « عرب الجزيرة » . مستحكم فيهم السخط بالدين لانه مناسب لطبائعهم الاهلية أكثر من مناسبتهم لغيرهم .

(١) لانه متفقون في (ليدلوماتيك) أي المراوغة في المقال والتلون في الاحوال .

(٢) كدلت من يبيعهم من المشايخ القاطنة بين العرب ودجلة والناحيتين الى افريقيا

- ١٠ «عرب الجزيرة» • اعلم المسلمين بقواعد الدين لأنهم أعرقهم فيه ومشهود لهم في أحاديث كثيرة بالتمانة في الإيمان
- ١١ «عرب الجزيرة» • أكثر المسلمين حرصاً على حفظ الدين وتأييده والتمسك به والعصية النبوية لم تزل قائمة بين أظهرهم في الحجاز واليمن وعمان وحضرموت والعراق وأفريقيا
- ١٢ «عرب الجزيرة» • لم يزل الدين عندهم خيفاً سلبياً بعيداً عن التشديد والتشويش.
- ١٣ «عرب الجزيرة» • أقوى المسلمين عصبية وأشدهم أنفة لما فيهم من خصائص البدوية • (١)
- ١٤ «عرب الجزيرة» • أمراؤهم جامعون بين شرف الآباء والامهات والزوجات فلم تختل عزتهم •
- ١٥ «عرب الجزيرة» • أقدم الأمم مدنية مهذبة بدليل سهقاتهم وسمو حكمتهم وأدبياتهم
- ١٦ «عرب الجزيرة» • أقدر المسلمين على تحمل قسوة المعيشة في سبيل مقاصدهم وأشطهم على التغرب والسيارات وذلك لبعدهم عن الترف المدلل أهله •
- ١٧ «عرب الجزيرة» • أحفظ الاقوام لحسيتهم وعاداتهم فهم يحالطون ولا يختلطون •
- ١٨ «عرب الجزيرة» • أحرص الأمم الإسلامية على الحرية والاستقلال وإيلاء الضيم • (٢)
- ١٩ «العرب على الإطلاق» • اغنى لغات المسلمين في المعارف ومصونة بالقرآن الكريم من أن تموت
- ٢٠ «العرب» • لغتهم هي اللغة العمومية بين المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠ مليون.
- ٢١ «العرب» • لغتهم هي اللغة الخصوصية لمائة مليون من المسلمين وغير المسلمين •
- ٢٢ «العرب» • أقدم الأمم اتباعاً لأصول تساوى الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية •
- ٢٣ «العرب» • أعرق الأمم في أصول الشورى في الشؤون العمومية • (٣)

(١) وبقوه ذلك لا يرالون يأخذون خراجاً ممن يأخذون باسم هدية (٢) هذا هو سبب عدم انقياد أهل اليمن ومن يليهم للعثمانيين (٣) يشهد لهم بذلك القرآن في قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام إذ قالت مخاطبة الملأ أي المستشارين الأشراف «يا أيها الملأ أقتوني في أمرى ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون» قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ولأمرائك ونعزري ما ذا تأمرين • قال إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها

- ٢٤ « العرب » • أهدي الأمم لآسول المعيشة الاشتراكية •
- ٢٤ « العرب » • من أحرص الأمم على احترام العهود حزمة واحترام الذمة انسانية واحترام الجوار شهامة وبذل المعروف مروءة • (١)
- ٢٦ « العرب » • أنسب الاقوام لان يكونوا مرجعاً في الدين وقوة للمسلمين فان بقية الاقوام قد اتبعوا هديهم ابتداءً فلا يأفون من اتباعهم أخيراً •
- فهذه هي الاسباب التي جمعت جمعية أم القرى تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة لدينية بل الكلمة الشرقية • والجمعية تسأل الله تعالى أن يوفق ملوك المسلمين وأمراءهم لاتصلب في الدين ولا يحزم والعزم عساهم يحفظون عزهم وساطاتهم الى أن يرث الله الارض ومن عليها وأن يحميهم من التعصب السيئ للسياسات والجنسيات ومن الكبر والانفة ومن اتخذذ والافتخام ومن الاقياد الى وساوس الاجانب الاضداد امثلا ياتابهم الخطر القريب المحقق بهم وتخاطفهم النصور المحلقة في سبائهم والله الموفق واليه ترجع الامور •
- وهكذا تمت الاجتماعات وحتمت المذاكرات وأرفض الجمع على وعد التلاقي •

باب التبرير والتعليل

السورة الثانية عشرة (*)

(لايسلم وجه الشمس من كلف)

قصية لا محيص من اسليها فاسا في طور الانتقاد الذي لا ينهات من تحاييله

وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون • (١) يكني رهاناً على ذلك مجاملة أهل الجزيرة اسياح الافرنج — ما عدا تلك العملة التي اندفع اليها ابن صباح ونال عليها بعد عامين رتبة باشا — وترجيح اليهود الهجرة للبلاد العربية • وعدم اشتراك البلاد العربية العثمانية في حوادث الارمن الاخيرة كالموصل وماردين وسمرقند وبعينين والمدن مرية من ولاية حلب وأما حوادث لبنان والشام وحلب في القرن السابق فما كانت تولد من تعصب ديني أو جنسي محض بل من غرور جماعة من الدروز بالانكباب وحمة من مسيحيين شامايون اثاث • اه

(٢) معرب من كتاب أميل اقرن اسع عشر في التربية

وتفتشه شيء فقد تناول الأديان وآداب اللغات والتاريخ والأوضاع القومية فلا نجد عبادة من العبادات إلا وقد وجه إليها العلم ضرورياً من البحث لأقبل لها بمقاومتها وأصبح ما كان يخذه الناس من اللغات والتقوس البربائية والحروف معميات لاسيما إلى الاهتداء إلى معانيها وقد نبذت متاليفها وألقت بين يدي العلم مقاليدها وأسلمت إليه أسرارها ولم يغن عن الأغاليط التي شيها من الدهور أنها قبت رؤسها في ظلماتها وسترت نواجمها في خنادقها فانه لم يبق في كبتها أن تفاج في التفرير بالعقل بما لها من القدم فقد عرف سبب حدوثها وكشف الستار عما كانت ترتعده فرائص الأقدمين من المجردات الخيالية فعرف الإنسان نفسه وكله دهش واستغراب لحوفه وفزعه لانه قد عرّف اليوم كيف نشأت الآلهة (١) ورأى مذاهب كان لها مالبديهييات من القوة والرسوخ تضاكت وتلاشت أمام العلم بالتوأميس الكونية التي كان يتوهم أن هذه المذاهب فوقها وأبصر أسراراً مستعلقة كانت تعاصت على العقل أذغت إليه الآن فمضى بحكم فيها بكشف أصابها وبيان ما شابهها

من الظلم والإجحاف عدم اعتبار هذه الحركة العلمية في تربية الناشئين فكيف يصح أن لا يدخل المدارس ما وصل إليه العلم من نتائج بحثه إلا بعد قرن من ظهوره لو دخلها (انتقاد آداب اللغتين اليونانية واللاتينية)

أنا لا أريد الآن أن اشتغل من وجوه الانتقاد إلا بما يتعلق بآداب اللغتين اليونانية واللاتينية وأقول قد اعتاد المعلمون أن يفردوا هذه الآداب بالدرس دون بقية آثار الأقدمين كما لو كانت آداب كل لغة فرعاً مستقلاً عن تلك الآثار ولا أراهم يستندون في ذلك إلا إلى وهم عُصيت من قبل بدحضه ولهذا تراني ذكرت «لاميل» أسماء آلهة عمير وما ورد من صفاتهم في أساطير الهنود وقصصت عليه أشهر وقائعهم وسيكونون من معارفه القدماء ولم يبق عليه إلا أن يعرف كيف أنهم كانوا يواصلون

(١) يشبه كلام المؤلف هاهنا أن يكون تقريراً لمذهب الماديين ويدل بفحواه على أنه لا يعتقد بالله ولا بملائكته ولا بصحة المذاهب الدينية في هذين المعنيين وينسب إلى التوأميس الكونية كل ما كان وما يكون ويرغم أن العلم قد هداه إلى أصل معنى الألوهية وهذا كله من غرور العقل نفوذ بالله منه ومن الغلو في النظر وما يؤدي إليه من الإشر والبطر. كيف يصل العقل إلى كنه الآله وهو لم يصل إلى كنه نفسه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. والعذر له ولأمثاله أنهم شأوا على دين مناقض للعقل

الاسفار ومحبوبون الاقطار وكيف ان الواحد منهم كان يظهر في صور مختلفة ويبدو في
حيات متباينة وهو أمر لما يحجى وقته .

ذكرت من شعراء الاقدمين عمير وهذه المناسبة أود لو أدري ما الذي يعود
على التلامذة من تفهيم المعلمين اياهم ان ديوانيه الموسوم أحدهما بالعلياد (الليازه) والثاني
بالعديسي هما من ابتكار رجل من الغابرين اذا كان جميع الناس اليوم يعلمون كيف
تولدت القصص الشعرية الحماسية في الامم القديمة والحديثة

لاريب ان في هذه القصص محاسن كبرى وعبرا جليلة غير اني سأتحامى كل
التحامي ان أجعل سيرة أشيل (١) مثلا نموذجاً « لأميل » يحتذيه في سيرته فان
هذا البطل الذي عبث ولها عن « مصلحة أمته وقعد عن منازلة أعدائها في حومة الوغى
ان أبى عليه قومه جارية رقيقة كانت محلا لاطماعه وكان بهذا سببا في طول مدة
رزايا الحرب وشدائدها لم يكن حقيقا برضاء الآلهة عنه وميلهم اليه فهم باشتغالهم به
واعانتهم اياه على خصمه لشجاعته غير مراعين إغفاله لواحيه قد جعلوا عاقبة الحرب
عبرة سيئة وهي ظفروه بهكتور (٢) أي ظفر الطيش الحربي بالوطنية الصحيحة

لم يقتصر الاقدمون فيها جهلو من الامور على نكرهم بعض الاصول التي هي
الآن أساس وجدان الانسان بل اتهم تركوا لنا ميراثا من الاباطيل والمذاهب الفاسدة
التي تدعو دراسة كتبهم الى بقائها ان لم يقارنها الاحتراس والحذر فان سحر ما يحفظ الناس
من آثارهم قد حمى كثيراً من المظالم القومية قرونا عديدة من وثبات العقل ولا يزال
يدودها عنها وان المغرم منا بالمطالعة المفرط في المعيشة بين كتبه المفرط فيها بين ابناء
وقته يرى في أكثر أوقاته قليل التأثير جداً بما شاع في الناس من العادات السيئة
الكثيرة التي يرجع أصلها الى أخلاق الاقدمين وعوائدهم

ان الحضارة اليونانية كان لها من وجوه الحسن ما يشير الإعجاب بها ولو ان
« أميل » كلف بدراستها كلفا صادقا لما كنت الا في غاية الرضى عن ذلك ولكني
لأحب ان يكون خدعة التشدد في ميله اليها لما فيها من وجوه القبح أيضا فاشد
ما احتقر فيها الرقيق ونحست قيمته ونسيت حقوق البؤساء والمغلوبين فلم يحض عاينها

(١) أشيل في أساطير اليونان هو بطل يوناني أبواه تيتيس وبيلي قتله باريس في
حصار طروادة (٢) هكتور في هذه الاساطير هو ابن بريام وعقبة وزوج اندروماك ووالد
إسنا كس قتله أشيل أخذا بشار ياتروقل

أحد اللهم الا صيحتين أو ثلاثاً أنبعت من أعماق وجدان الانسان ووصلت إلينا بعد اختراق حجب مامر من الازمان ولكم هلك في سيل تلك الحضارة من احيال وباد من إنسان ولم يكن فيها أحد يعنى بتخفيف مفضل البؤس الذي كانت تقاسيه الدهاء ولم يكن العمل يستوجب للعامل أدنى حق من الحقوق لانه لم يكن يصلح الا لأيدي الطعام نعم ان ظاهرها ومنظرها كان موقفاً فان ما ازدانت به من الفنون والشعر والدين السمع والالهة الباسمين في وجوه الابطال كان يكسر تلك الامة المغتبطة برودا جمعت كل ماله الكمال المنشود من ضروب العظم والبهاء ولكن العبرة بالخبر لا بالمنظر .

التاريخ الروماني هو دون التاريخ اليوناني بكثير لا لان رومة لم تنتج رجالاً كباراً بل لانها كانت تفرط في عبادة القوة وقد لاقت جزاء هذا الافراط فانها بعد ان استعبدت غيرها من الامم آل أمرها الى استعباد نفسها فلتقل لي هذه الامة الفاتحة وقد أظهرت للعالم مالففتح من النتائج اللازمة ماهي الامم التي علمتها والشعوب التي أصلحت شؤونها ؟ أرى الناس تقيمهم أخبار غزواتها وتهزهم أحاديث نصراتها ولا أرى أحدا منهم يستقصي أسباب مصائبها ليشفي من جنون الحرب ويبرأ من هوس القتال اني اذا أقرأت « أميل » اليونانية واللاتينية وفجرت له بذلك ينبوع الآداب القديمة والتاريخ كان قصدي منه ولا شك توسيع عقله وتنمية إدراكه بيد اني ارمي الى غاية أخرى أمكن في نفسي من هذا وهي ان أنثى في نفسه الاستعداد للسلوك في هذا الكون . ذلك لان ماتضمنه تلك الآداب من أسى الإقدام النفسي والاخلاص في العمل وحب الوطن أشد في قلب اليافع تأثيراً وأبلغ في نفسه موعظة من جميع ما يقوله الخطباء ويوصي به الحكماء بل ان في نفس التحمس الذي يبدو منه في استحسانها بذلاً لنفسه لانه يخرجها من معقل امتاعها ويخلعها عن عرش صلفها ليسويها بمن استحق الحياة استحقاقاً صحيحاً واني لأقنط من فلاح الطفل الذي لا يروقه شيء وأما من آانس من نفسه التأثير بما لغيره من بهاء العظمة وروعتها فذلك الذي أوتيت نفسه سرّاً من أسرار الله . ان فضائل الغابرين أبلغ من فضائل الحاضرين في خلب الخيال بما عاينها من مسحة القوة والبسالة وأعمال اليونان والرومان لبعدها عنا بحسب ترتيب الازمان يحليها البعد والغربة ببعض السمات التي قد تغالى بها فتجعل لها من القيمة فوق ما تستحقه ولكن ذلك لا يزيدنا الا لاجاجة في دعوة الناشئين الى اجلالها واعظام قدرها واذ علمت ذلك رأيتني غير مخطئ في التعويل على تأثير الاقدمين

في ترقية أفكار ولدي وتهذيب خلقه

على أنني أعلم حق العلم أن جميع ما خلفوه لنا لا يدعو الى الاعجاب على السواء فما سيديون (١) الذي جندل انيبال (٢) ودمر قرطاجة (٣) مثلاً بالبطل الذي ساسترعى الى سيرته ذهن «أميل» كلا بل اني سأوجه كل همتي الى تفهيمه أن ما يلاقي من الهزائم اجلالاً لوجدان الحق أعلى منزلة وأعظم خطراً من الانتصار ببيض الصفاح وسمر الرماح وأن المجد الصحيح انما هو في علو النفس وشرفها وسأقول له أرايت اليوم الذي انتصرت فيه رومة على قرطاجة فذلك هو اليوم الذي وفي فيه ريجولوس (٤) بعهدده فانطلق الى أفريقيا وحده لا يتيه عنه لجاجة زوجته وأولاده ولا دعاء اخوانه وأصدقائه مع علمه بأنه ملاق حتفه وساع الى هلاكه . في ذلك اليوم ظهر أن رومة قد برزت على قرطاجة في صدقها ووقائها ولم يكن تبرزها عليها في غير هاتين الفضيلتين الا أمراً مرتباً بوقته اذ كان لابد لقرطاجة من الغلب والقهر

لا مرأى في ان الجمهورية الرومانية أيام مجدها وعلوها كانت تسفر عن أخلاق شريفة وطباع كريمة وليس كذلك حالها في عصر تدليها واضمحلالها ولو أنني أردت تبصير «أميل» علة هذا التدلي له لحصرتها في إعواز الفضائل الجمهورية إعوازا كان سبباً لنجاح الحكم المطلق في رومة وطول مدته فلست أخشى على الحرية ما قد يتأبها من الاخطار المادية ولا أرهب على رومة ان يقف بابوابها التركيبيون (٥) او بورشينا (٦) يبتغون الاستيلاء عليها مادام فيها امثال موشوس سيفولا (٧) وانما الذي

- (١) سيديون واسمه ايمليان الملقب بالافريقي الثاني كان رابع اولاد بولس أميل ولد في سنة ١٨٥ ومات في سنة ١٢٩ ق . م تبناه عمه الذي هو ابن الافريقي الاول من أسرة سيديون وكان على يده انتهاء الحرب الثالثة بين رومة وقرطاجة فكانت هي خاتمة هذه الحروب فانه أخذ قرطاجة في سنة ١٤٦ ق . م «٢» انيبال هو قائد قرطاجة تولى قيادة الجيش في الحرب الثانية التي حصلت بين قرطاجة ورومة وبعد انتصاره في مواقع كبيرة هزم سيديون فانحدر باسم تخاصاً من انتقام الرومانيين «٣» قرطاجة مدينة أفريقية قديمة «٤» ريجولوس قائد روماني قتله القرطاجيون لانه أرسل من قباهم الى رومة للمفاوضة في المبادلة بالاسرى فتكلم في مجلس الشيوخ بمنايا في هذا الطلب وعاد الى قرطاجة فمات صبراً (٥) التركيبيون هم بعض ملوك رومة الاولين (٦) بورشينا هو ملك اتروريا حاول اعادة التركيبيين الى ملك رومة فهدده موشوس

أخافه على أمة من الأمم هو خسة الضمائر ولؤم السرائر

نفوسنا هي مواطن الظلم ومكان البغي فالذي علينا هو ان نحارب فيها ونجلبه
عنها قبل محاربة الملوك الظالمين واجلاء الحيازة الغاشمين ومن أجل هذا لم يك ينفع
بروقس [١] وأنصاره ان يقرروا بطن القيصر فان قلب رومة كان مقروحاً بالداء القيصري
كان اولى بذلك الرجل وقد أراد ان ينزع تاج الملك ممن كان مستعداً له ان
يرجع اولا الى قلبه فينزع منه كبر الاشراف وانفة السراة ثم ينزع ان استطاع من
نفوس قرنائه ما علق بها من الرذائل والقائص التي تقتضي وازعاً يرد من جاحها
ويكف من نزعاتها ولولا تقصيره في ذلك لاستحق ما اتاه من الأعمال الدالة على
الشهامة والبسالة ان تبيض به صحف التاريخ بل ان هذه الاعمال كان من شأنها ان
تؤخر استقرار حكم الاستبداد ولكنها لا تستطيع ان تقوم بالامة من وهدة انحطاطها
أحدثت في أخريات أيام الجمهورية الرومانية أحداث كثيرة شوهت محاسنها كالنظام
العسكري الوحشي وإهدار الدماء وضروب التعذيب والاطماع الخبيثة وبيع
الضمائر وتناوب ارسال الضعفاء والاولاد والتعلق بمجلة الظافر على انه كان لا يزال
يظهر في جهات مختلفة من قرارة الدهاء المنهوكين المنحطين بعض الاخلاق الفاضلة
ظهور الصخور التي تشرف على ماحولها من المياه المنخفضة ولاقطوط من ارتفاع شأن
الحرية ما بقي في الناس أباة للضميم موقنون بظفرهم في الذود عنها فان هؤلاء يشهدون
الجهاد في سبيلها وقد يلاقون الهزيمة فيه ولكنهم لا يشهدون اندثارها اندثاراً لا قيام
منه وانما تزهر روح الامل من حياتها متى انحازت العقول بعد كلالها وهي صامته
الى حكومة مطلقة لكنها ساكنة مطمئنة تلين للمحكومين كلما شعرت بازدياد أمنها
وزوال مخاوفها فأضر نظام سياسي على أمة من الأمم انما هو الحكم الاستبدادي
المجرد من الصرامة والقسوة وكذلك كان حكم أغسطس للرومان

كان عجب الامة في ذلك الحكم لا يزال يتغذى ببعض ضروب من الغرور غريبة
ككونها لا تزال خير أمة بل أميرة الأمم وكون أعلامها وألويتها لا تزال مبعجة في
في الخارج وكونها تنتصر على المتوحشين من حين الى حين وكونها صاحبة الآلهة

سيفولا فولى مذعوراً (١) موشوس سيفولا هو رجل روماني أراد ان يقتل بورشنا
ملك اتروريا فأخطأه وقتل كاتم أسرارهِ وأراد يظهر لهذا الملك ثبات الرومانيين
فوضع يده البني في جذوة نار مستعرة

وصحف الكاهنات والفنون الجميلة والآثار الفخيمة التي تروى الاجانب وكونها جددت بناء رومة وهي المدينة الابدية من قواعدا الى سقوفها — كل هذا صحيح ولكن واحسرتاه فليست تعبئة الحيوش ولا إنشاء القلاع والحصون ولا بناء المعابد مما يغني عن الامة من سقوطها شيئاً فقد بقي معبد المشتري المسمى بالقابلتول في رومة بعد قناء الرومان ليس لي الا كلمة اقولها في شعراء عصر أغسطس وهي ان احسن هؤلاء الشعراء قطعاً في نظر المعامير فرجيل وهوراس فهما اللذان احب ان يجعل كتبهما في أيدي الناشئين اكثر من غيرها وان كان كلاهما قد تجرد في معظم ما كتب من شرف النفس وكرامتها. ألم يلاحظ من قرأ غنيته (١) فرجيل ان نفس مغزاها ملكي وهو مغزى ما كان يرد — على ما أرى — في ذهن شاعر زاهر الخيال في أيام الجمهورية الجميلة فقد وصف فرجيل بمدوحه المسمى عني بالانسان الذي تجلت فيه العناية الالهية وتوحدت في شخصه الامة وبانه المنجي لامته المؤسس لحيله. ومثل هذه المعاني يرى عليها انها موسومة بميسم الملك الذي برزت في عهده ومطبوعه بطابع القرن الذي ظهرت فيه وسواء كانت حسنة او قبيحة من حيث الفهم فهي تشف عن حالة العقول في ذلك العصر وتسفر عن الخطاة التي رسمتها لنفسها الحكومة الذاتية حتى في نفوس الخيار من الامة ان أجود الاشعار وأحسنها ليس في استطاعته ان يحجب دناءة النفس ولا ان يستر خسة الطبع ولقد كان شعراء اللاتين قدوة سيئة لحلفهم بما كان يصدر عنهم من ضروب التمليق الخبيثة وانواع المدايح التي كانوا يطرون بها أغسطس تحقيقاً لأغراضهم ونيلاً لآمانهم فأسسوا به في الدنيا من حيث لا يشعرون وظيفه الكتاب والشعراء المترلفين على أن فرجيل وهوراس كانا أميرى هذه الصناعة ولم يكن غيرها فيها الا من أتباعهما

أخص لك ما تقدم فأقول : ان دراسة آثار الاقدمين تختلف ثمراتها باختلاف الطريقة التي تباشر بها فاجلال هؤلاء بلا قيد ولا تمييز ولا نقد يؤدي الى ما تؤدي اليه جميع ضروب الوثنية وهو صغار النفس وضعفها ذلك بان ما يؤثر عنهم من المحفوظات والخرافات والكتب والاشعار الحسنة له من الظلم والتحكم في النفوس مالا تقل الخشية منه على الناشئين عن خشية ظلم الحكام الغاشمين وتحكم الطغاة المستبدين

(١) غنيته فرجيل قصيدة قالها في مدح أعني وهو أمير طروادي ابن انشيز

لزهراء وصفه فيها بأنه مؤسس النسل الروماني

وبهذا يبطل العجب من أنه يوجد اليوم من تلامذة اليونان والرومان من يلتمسون في علوم البيان وسائل للذود عن مصالح الغابرين ومغالطاتهم ومنهم من يرومون منها دروعاً حصينة للحرية تكف عنها عوادي الباغين

نحن على ما فينا من النقائص كلها احسن من الاقدمين حالاً وأرفع شأنًا وإن جاز غلبنا التدلي والانحطاط كما جاز عليهم ذلك لان فينا قوة الهوض والارتفاع الى ما انحططنا منه وإن لنا عليهم لفضلاً كبيراً بسمو وجداننا فكاننا بتأخرنا عنهم في الوجود قد أخذنا على أنفسنا ان نكون خيراً منهم لان وجدان الواجب كوجدان الحق ينمو ويرتقي بمرور الزمان ولعمري انه لا ينكر ما للتمدن المصري من ضروب التأثير في النفوس والعقول الا مكابر خيث الطوية ولست أريد بما قلته اننا أصبحنا بهذا التمدن اكثر من الاقدمين أخلاقاً فاضلة وطباعاً باسلة ومعارف واسعة ونحمساً في الميل الى الحسن كلاً ثم كلاً بل أريد ان معاني العدل واحترام حق الغير قد شاعت فينا ورسخت في نفوسنا فصرنا اكثر منهم اهتماماً بان يخالفوننا في العناصر والاحوال القومية والاقاليم والوان الجلود فتحن الآن من حيث كوننا من بني الانسان أقل من اليونان والرومان بعداً عن كل ماله مساس بالانسانية . اهـ

﴿ مسألة الشيخ محمد شاكر ﴾

جاء في العدد ٥٥٤٥ من جريدة الديش تونيزيين تحت هذا العنوان مانصه
نشرت جريدة الديش تونيزيين الصادرة بتاريخ ٣٠ نوفمبر الأخير فصلاً ضافياً ببيان
حادثة الشيخ محمد شاكر أحد أساتذة جامع صفاقس الذي استحضرت الحكومة التونسية
الى الحاضرة بناء على شكوى قدمها اليها قاضي تلك المدينة ومفتيها وهدده بالاعزل
من وظيفة التدريس

وقد أوردنا في ذلك الفصل موضوع هذه الشكوى إذ قلنا إن الشيخ كان في خلال
دروسه بالمسجد يطعن في التقاليد وينكر المعتقدات الباطلة والظواهر الخارجية المقتبسة
من خرافات العجائز ونخر صائهن وأوردنا مثلاً عليها زيارة قبور الأولياء المصحوبة
بتقديم التذوق على اعتقاد الحظوة بوساطة هؤلاء الأولياء في تحصيل المنافع ووقاية الذات
من طواريء الحداث وقلنا إنه نسب هذه الأضاليل الى ما نزل في دين الاسلام الصافي
المهمل من بقايا عقائد الوثنيين وقال إن كثيراً من التقاليد التي تسير عليها بعض الطرق
الاسلامية كالعيسوية مثلاً مناقضة كل المناقضة للقواعد التي بنى عليها الدين الاسلامي

ولا يخفى ما ينجم عن تلك العادات والمعتقدات من إعاقة الأمم عن النهوض من كبوة التأخر ومنعها عن بلوغ الشأو البعيد من التقدم والارتقاء واسدالها ظلمات الجهل الذي يزيد تلك الأمم وأمثالها مصابا علي مصابها

فمن الواجب والحالة هذه إنقاذ طبقات الناس من ظلمات التقاليد ولبدع والمعتقدات الفاسدة التي لا غرض لأصحابها غير اتذرع بها لتحصيل سعادة الدنيا بحمل البسطاء والسذج على الاعتقاد بآنها من الدين وما هي من الدين في شيء بل الدين منها براء وقد حتمنا ذلك الفصل يومئذ بقولنا «فاذا كان ما ذكرناه قد وقع فعلا قلنا الأمل الوطيد في أن تقلع الحكومة التونسية عن متابعة أهواء القائمين بأمر الشرع في صفاقس من قاض ومفت وأن تطلب منهما بعدا في النظر وسعة في الصدر»

وكنا نظن أنه يكفيننا مجرد سرد وقائع تلك الحادثة كي تكفل الوقاية من الاضطهاد لرجل فاضل لا عيب له سوى أنه فاق علي أشباهه فوقا عظيما ببعد النظر وحرية للسان وصدق القول وكان ينبغي أن يجازى على هذه المزايا بالتشجيع والتعزيد نأسف للأسف المر لكون الحكومة التونسية لم تفقه معنى مادعوناها اليه حتى انقادت في تصرفاتها الى قرارات المفررين مما لا ترى معه مندوحة عن البحث في عواقبه ونتائجه فإها لم تكتف بفصل الأستاذ عن وظيفته بمقتضى قرار من الوزير الاول بل سلبت منه لقب «مطوع» الذي يفيد أنه حازر علي إجازة لتبوع في العلوم والفنون في الجامع الاعظم ولذا رأينا أن لا نجر ذيل التغافل والسكوت عن هذا الحادث الذي يوجب الكدر والأسف لم يكن الشيخ محمد شاكر الذي فصل من وظيفته من الطاعنين في العمر كما قلناه خطأ وإنما هو شاب في مستقبل العمر ونضرة الشباب لا يتجاوز السابعة والعشرين ومع كونه كيف البصر كان في مقدمة طلبة الجامع الاعظم نباهة وذكاء ونال اجازة العالمية التي استردت منه ظلما وعدوانا وكان ذلك الشيخ الشاب يتلقى غير الدروس المعتادة في الجامع الاعظم علوم المدرسة الخلدونية (١) ونجاها هنا بأعلى صوتنا بأن الفضل الاول لهذه المدرسة التي اقتبس منها تلك الافكار العالية التي انقضت عليه بسببها صواعق غضب الطبقة العتيقة من المسلمين

ويضاف لي ما تقدم أن ذلك الشاب ملئم بما يحدث الآن في القطر المصري من

(١) المدرسة الخلدونية في تونس تشبه مدرسة دار العلوم في مصر يتعلم فيها بعض طلبة

التقدم العلمي وهو في مقدمة المعجيين بالشيخ محمد عبده قاضي القضاة في مصر (٢) الذي هو من أكابر المسلمين ذوي الأفكار البيرة التي توافق المدنية ومن ثقاتهم وله مؤلفات وفصول في الجرائد تشهد بسعة اطلاعه يقصد بها إعادة الاسلام الى ما كان عليه من الرونق وتطهيره من التقاليد والبدع التي من شأنها أن تغرس في القلوب التعصب الديني وعدم الاحتمال والتسامح وتجمل بين العالم الاسلامي والمدنية سدا منيعا

هذه الحطة تسير عايتها جريدة مصرية تدعى «المنار» يكتب فيها الشيخ محمد عبده بدون أن يذيل كتاباته بامضائه وهي حريصة على ملازمة خطها هذه حرصاً يزداد كل يوم إن النشء الاسلامي في هذا العهد — ومنه الناشئون في تونس — قد أيقنوا ان لا تكون نهضة للسلالة العربية الا ببيت مثل تلك الافكار ولهذا تلقت كتابات الشيخ محمد عبده ومقالاته بالمصدر الرحيب ومن واجبات الحكومة التونسية في هذا الوقت الذي تنبه التعصب فيه من سبانه بالبلاد المراكشية وزعزع عرش سلطان متهم بشدة الميل الى الحديث أن تساعد بما في وسعها من الجهد الافكار التي من شأنها بث مبادئ الاحتمال والتسامح بين طبقات العالم الاسلامي ولكنها بدلا عن ذلك عاملت الرجل الذي لم يخش بأساً بالمجاهرة بأفكاره معاملة الساعي في غرس بذور الفتنة بل معاملة أحقر الناس وأدناهم اذ طردته طرد الاشقياء فأصبح على قارعة الطرقات لا مال في يده ولا أمل في قلبه

ولو أن هذا الرجل حاول ان يقلب معالم الدين الاسلامي أو لو أنه أبدى من الافكار والخواطر ما يخاف مبادئ وقواعد هذا الدين لقلنا أن الحكومة التونسية رامت المحافظة على الامن العام والسلام بين الناس فأتخذت قبله وسيلة من وسائل الشدة والجبروت لتكون العبرة الزاجرة ولكنها اضطهدته اضطهاداً ديني الصبغة في حين أن حماية فرنسا على تونس تفيد تصدي دولة متقدمة لإفاضة أنوار العلوم على جموع من الناس في حاجة الى التعلم والترقي وأي جناح على رجل لجأ الى الاحاديث النبوية الشريفة مستشهداً بها على فساد ما تذهب اليه العامة من ضرورة ارسال الهدايا الى أضرحة الاولياء لكي تنال المنافع بحسن تأثيرهم في أحوال المعيشة اليومية قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث له « لا تتخذوا قبوري وثناً »

وحقيقة الأمر أن ذنب الشيخ محمد شاكر الذي لا يغتفر ولا يعفى عنه بسببه

(٢) المراد بقاضي القضاة المفتي الأكبر لانه يفتي للقضاة وقد وضع له هذا اللقب ابتداء

هو تجرؤه على المس بعبادات يتخذها مشايخ الزوايا والمستفيدون منها مصدر آمن مصادر الكسب ويرون ان سيؤل أمرها الى النضوب اذا سادت الافكار التي يسعى الشيخ في بثها بين طبقات العامة

قلنا ان الشيخ محمد شاكر كان استاذاً في صفاقس وان الزاوية التي كان يقوم فيها بوظيفته تسمى زاوية سيدي (كراي) التي يرى العامة في الولي المدفون بها انه الحامي لتلك البلدة وقد استفادت سلاته بشهرته فعكفوا الى الآن فيها يستأثرون بالذور التي تقدم اليه وهم يعيشون بواسطتها في نعيم ورخاء فلما اطلعوا على ما كان يلقيه الشيخ محمد شاكر للطلبة من الافكار المغايرة لمصلحتهم ثارت عليه ثورتهم فبدأوا أولاً برفع الشكوى الى كل من القاضي والمفتي اللذين استدعيا اليهما الاستاذ وأنبوه على الحطة التي انتهجها في التدريس فاراد الشيخ أن يقيم لهم الدليل على انه لم يمس الدين بشيء مستشهداً بالكتب مؤيداً حجته باقوال الساف الصالح ولكنه عبثاً جاهد في هذا السبيل لان المناقشة بينه وبين القاضي انتهت بقول هذا الاخيره : ان الضوء لا يأتي من اعمى ، فأجاب الشيخ محمد شاكر : وأنا ادعو ان يخلص الناس من عمايتهم ، فاعتبر القاضي أن هذه الاجابة سببة فاضحة له استلزم استدعاءه الى الوزارة حيث حاول التبرؤ من الذنب الذي عزي اليه ولكنه لم يكن امامه اسعد حظاً منه امام القاضي ولكن من الاسف ان الحكم عليه كان صادراً من قبل لان للقاضي والمفتي الصفاقسين اركاناً في الحكومة يستندان اليهم فطلبوا الاقرار على العزل بالرغم عن المساعي العديدة التي بذلت لديهم في صالح المعزول وقد أمضى الوزير الاول هذا القرار بدون ان يكون مقتعاً بصحة السبب الذي افضى اليه

هذا تفصيل شرح حادثة الشيخ محمد شاكر أستاذ مسجد سيدي كراي . قضى على هذا الرجل لانه نجاسر على القول بأن الاباطيل والبدع والتقاليد صواعق الامة وأن أرباب الطرائق الدينية يعيشون من سذاجة الافراد وسرعة اعتقادهم وبهذه المثابة يبشون التعصب في نفوسهم

ولا ننسى ان حوادث مرغريت ومشاكل مراکش الحديثة ليست في الحقيقة سوى نتيجة من نتائج التعصب الذي مادام كامناً في أفئدة المسلمين فلا بد لنا أن نتوقع حدوث أمثال تلك الحوادث . فلا غرابة اذا زاد عجبنا بعد ذلك من اضطهاد رجل لا ذنب له لا نوعظ لافقاد أبناء دينه من ربيعة الجهل الذي قوس ظهورهم منذ اجاب ، ومنعهم من المشاركة في التقدم الذي يدفع بالانسانية الى الامام اه

باب الأخبار والآراء

﴿عربي كريم وولي حميم﴾

في أوائل هذا الشهر جاء نائباً برقي من بومبي (الهند) يقول فيه رسالة ان صديقكم (محمد عبد الوهاب باشا شيخ دارين) قد سافر اليوم الى الحجاز في باخرة (الامبراطور) وسيعرج على السويس . وقد علمت ان باخرة الامبراطور تصل الى السويس مساء الاربعاء (١١ فبراير) فيمت السويس في ذلك اليوم للقاء صديق مخلص احبني واحيته على البعد — احبني في الله بحبه للمنار ورضاه عن خدمته واعجابه به وعمله بما يرشد اليه ويفتي به في امر الدين . واحيته في الله لما تنسمته في كتبه الي من الغيرة الدينية والاخلاص في كل ما يقول

لقيته فلقيت منه الفضائل العربية ، والاخلاق الاسلامية ، الاناة والوقار والشهامة وكرم النفس واليد . ومن كرمه انك ترى منه أبا القري : يقصد ام القرى ، فهو يسير اليها بركب يبلغ ثلاثين رجلاً أكثرهم من جماعته وحاشيته العرب الكرام وبعضهم من مسلمي الهند . ومن كرمه انه يمد لكل غداء وعشاء الخوان . وينصب الجفان ، وفيها ما شئت من الالوان ، ومن كل فاكهة زوجان . ومن كرمه انه رأي في السويس كثيراً من الفقراء الغرباء يبغون الحج ويلتمسون المساعدة عليه بأن يحملوا بغير أجر في سفينة الخاصة الخديوية فارتاح الى حملهم على نفقته وأرسل يطلب من محافظ السويس بيان عددهم وأسماءهم وان كبروا . ومن كرمه انه لم يمض عليه في السويس يوم أو يومان ، حتي عرف منزله فقراء البلد فاتحوه من كل مكان ، فألقوه لا يرد سائلاً ، ولا ينجب آلاماً . حتي اننا عذنا على بسط يده لهم ، عند ما كاد يتعذر علينا أن ننفذ معه من بينهم . وامري ان هذا الجواد قد أرانا خير نموذج من كرم خلفاء العرب وأمرائهم الاولين الذين حفظ التاريخ مناقبهم وخلد مآثرهم

وقد اختار أن يسافر بجماعته في باخرة الخاصة الخديوية (البحيرة) اذ رأى معنا ما فيها من النظافة وتيسير العبادة وأخبرناه ان سمو عزيز مصر قد انشأ هذه الباخرة لتسهيل سبيل الحج على المسلمين وانه يسره ان تكون العبادة متيسرة فيها

للمسافرين ولذلك جعل مستخدميه من المسلمين فسر صاحبنا بذلك ورفع الى سمو
العزيز رسالة برقية يشكر لسموه عنايته بإنشاء هذه الباخرة لتسهيل الحج بها على
الفقراء ويشكر حفاوة حكومته به لاسيا محافظ السويس ووكيل المحافظة ويعتذر بضيق
الوقت عن عدم التشرف بزيارة سموه وتقديم الشكر الشفاهي فأجابه سموه بالبرق
جوابا لطيفا هذا نصه

سراي عابدين

حضرة الامير الجليل محمد بن عبد الوهاب امير دارين تحت لواء نجد بالسويس
نشكر حضرتكم خالص الشكر على التلغراف الذي ارسلتموه الينا ونتمنى لكم حجا
مبرورا وصحة وسلامة في السفر والاقامة
(عباس حلمي)

موكب الحج المصري وضعف الدين في مصر

احتفل في هذه السنة بموكب الحج المصري أو الحمل المصري كما كان يحتفل في غيرها
من السنين وما الحمل وموكبه الا تعظيم وإشهار لموكب الحج ومن امار العظم
والخزي القبيح على مصر وهي المملكة الاسلامية الثانية التي للحاج فيها موكب رسمي
أن يكون الحجاج منها أقل من حجاج قرية من قرى سائر البلاد الاسلامية أو أقل من
الركب الذي جاء به صديقنا الفاضل الهمام محمد عبد الوهاب باشا من بلدة الصغيرة (دارين)
يتشدد الذين دين السنهم وأقلامهم قوي متين ، ودين عقولهم وقلوبهم ضعيف
مهين ، ويقولون لا لوم ولا عار على الأمة المصرية ان لم يخرج الي الحج منها في هذه
السنة الا ٢٧ رجلا فان الاغنياء الذين يستطيعون دفع مافرضته الحكومة والخروج
الي الحج إنما تركوه « احتجاجا على الحكومة » قال عار محصور في الحكومة !! وهذه
الحجة أضعف من حجة من جاء المسجد فوجد الباب مغلقا فترك الصلاة معتذرا بان
المسجد لم يقبله ! وانما كان عذر القاعدين عن الحج من الاغنياء أضعف لان باب
الحرم أو باب الطريق غير مغلق في وجوههم واذا فرضنا أن المتشدد بما ذكر
غيدار (الغيدار هو الرجل يسي الظن فيصيب) وكانت الحكومة تحب أن تصد
الناس عن الحج في باطنها أو بالجلء المحتلين لها على ذلك فهل تقضي قوة الدين بان
تضعف الأمة أمامها . وتجعل دينها هدفا لهامها ، أم الواجب عليها بذل النفس
والنفيس في مقاومتها وحفظ شعار الدين . واقامة هذا الركن الركين ، الامر ظاهر

ولكن ممن يطعن بالحكومة من هو أشد الناس تنفيرا وتثيطا عن إقامة ركن الاسلام الذي يدعي الدفاع عنه فحسبنا الله ونعم الوكيل

سكة حديد الحجاز — وضريبة لها جديدة

تعلقت ارادة مولانا السلطان بأن يؤخذ قرش صحيح عن كل ورقة تقدم للحكومة في العداية وغيرها من الدوائر سواء كانت الورقة مستقلة أو تابعة لاوراق أخرى كالأوراق التي يحتج بها الخصماء في الدعاوى (المستندات) والمال الذي يجمع من هذه الضريبة مخصوص بسكة حديد الحجاز لان نفقاتها تزيد كل يوم باتساع العمل وفي هذا المقام ننوه بغيرة اخواننا مسلمي الهند واهتمامهم بهذا المشروع الاسلامي الكبير ونخص بالذكر الاستاذ الهمام الملا عبد القيوم فان الجرائد الهندية توافقنا دائماً بذكر نجواله في البلاد وخطبه المؤثرة في الحث على جمع مال الاعانة للسكة ولم نسمع بأن عالماً مصرياً او تونسياً نبس بكلمة خير في هذا الموضوع ، نعم ان الحرية الممنوحة للمصريين لم تقدر ان تنقذ قلوبهم من الاستعباد للحكومة فلو أن حكومتهم أرادت جمع امانة لأرادوا او لو ظنوا انها تريد ذلك لبادروا اليها كما امتنعوا عن الحج لانهم ظنوا ان حكومتهم لا تريد ان يحجوا في هذا العام «هذا وما فكيف لو»

(اصلاح لبنان — لائحة للمتصرف الجديد)

أهدتنا جريدة المناظر الغراء التي تصدر في البرازيل رسالة مطبوعة أو «لائحة» من جماعة اللبنانيين المهاجرين الى صاحب الدولة مظفر باشا متصرف لبنان وهي رسالة جلية صادرة عن فكر حي تقطع منها ما يأتي

«مولاي: الأمة اللبنانية مستقلة في شؤونها الداخلية فهل استقلت على سبيل الاستعداد؟ ينبئنا التاريخ وتدلنا الحالة الحاضرة على أن الأمة لا تتحرك فيها عاطفة الاستقلال الا متى أنفت من الرضوخ لسلطة الاجنبية وأنها لا تأنف من هذا الرضوخ الا متى شعرت بطاقتها على ان تحكم نفسها . فالأمة اللبنانية لم تستقل على سبيل الاستعداد

«قد تقدم الاستقلال الداخلي اللبناني شيء مما يتقدم الاستقلال غالباً . تقدمته دماء ولكن ليست كالدماء التي جرت في أميركا سنة ١٧٧٥ وما يليها الى سنة ١٧٨٣ . تقدمته معارك ولكنها ليست كالمعارك التي حدثت في بولونيا سنة ١٨٣٠ . تقدمه جهاد ولكن ليس كالجهاد الذي حدث في جنوبي افريقية في السنوات الثلاث الاخيرة إنما الدماء

التي تقدمت استقلالنا كلها دماء لبنانية لم تخرج بها نقطة من دماء جيوش الدولة المتساقطة ولا دار في خلد اللبناني في السنوات التي تقدمت استقلاله أن يخرج على الدولة التي كان ولا يزال يرفع رايتها والمعارك التي حدثت قيل الاستقلال كلها أهلية نازل فيها اللبناني أخاه اللبناني . والجهد الذي حدث لم يخاطبه من الروح الوطني ولا نسمة . دماء تعصب ومعارك صابية وجهاد طائفي . تلك مقدمة الاستقلال اللبناني أو مقدمة المؤتمر الدولي الذي التأم في بيروت في حزيران سنة ١٨٦١ وقرر للبنان حالة السياسية الحاضرة « فانظر يا مولاي ما هي مقدمات الاستقلال اللبناني الداخلي تعلم سر اختلال اللبناني في حكومة نفسه . سر اختلال اللبناني في حكومته لنفسه أو سر الاختلال السياسي في لبنان هو الفساد الاجتماعي الذي كان مصدر المقدمات الاستقلال . فالاصلاح في لبنان يجب ان يكون اثنين — اصلاحاً اجتماعياً ينتهي بالاصلاح السياسي الاختياري واصلاحاً سياسياً يستمر حتى تستقر نتيجة الإصلاح الاول . ما استقلت (يا مولاي) الامة اللبنانية وهي قادرة على سيادة نفسها ولكنها استقلت فيجب ان نجعلها اهلاً لهذه السيادة »



ثم قل الكاتب بعد ان ذكر ان المصاحبة العامة لم تربط اللبنانيين ولم تربطهم وحدة اللغة بل قال انه ليس لهم حتى الآن مصاحبة عمومية وانهم ماداموا كذلك فهم في حكم العدم وبعد ان اوجب البحث في سبب ذلك وجزم بأنه أهم ما يقال في الفساد الاجتماعي قال: مولاي ؟ الارض التي يسكنها الدرزي اللبناني يسكنها المسيحي اللبناني . الهواء الذي يتنشق الواحد يتنشق الآخر . اللغة التي يتكلم بها هذا يتكلم بها ذاك . اذا راجت سوف الحاصلات اللبنانية في الخارج استفاد كلاهما معاً واذا كسدت تضررا معاً فلماذا وعلام اقتنلا ؟

مولاي : ما هو الفرق بين الارثوذكسي والماروني وبين كل منهما والملكي وبين كل منهم والمسلم وبين كل من هؤلاء والشيعي في كل ما هو لبناني دنيوي على إطلاق ؟ لا تستطيع باصاحب لدولة ان تجد من فرق فما هو سبب استقلال كل واحدة من طوائف لبنان عن الأخريات فيما هو دنيوي

لا يوجد في لبنان الا أربع مدارس دينية . والمدارس الدينية مسروعة الاستقلال . فهي فقير لا استقلال عايتها ؟ كلا باصاحب الدولة ان الاستقلال الطائفي تناول كل مدارس حبل الاستمددة والعالية ، فما هي مسروعة هذا الاستقلال الطائفي في

مدارس تقول ان تعاليمها دنيوية .

الاحسان لا ينكره دين ما فما سوانية افراد أبناء هذه الطائفة عن أبناء تلك في المشروعات الخيرية والآداب والعلوم مشتركة فما معنى اصطباغ الجمعيات الأدبية والعلمية باصبغات الطائفية

اذا ألحمت الحضرة العلية السامانية على ابن هذه الطائفة بوسام أورتبة عالين سر أبناء الطائفة نفسها واستاء أبناء الطوائف الأخرى المؤام يشفع اسم في صدر كتابه بنسبته الطائفية ومؤلفه عند مفيد عند طائفته غير مفيد عند الطوائف الأخرى

الطيب الدرزي طيب الدروز . والحامي الماروني محام للمارونية . والعالم الأرثوذكسي موضوع ثقة الأرثوذكس فقط . والكاتب الماكي معبر عند المالكين فقط

فما هو سبب هذا التدافع . هذه المواردية . هذا التناقض . هذا الاستقلال في قوم تجمعهم المصاحبة الطبيعية واللغة ؟ هو التعصب لديني يا صاحب الدولة — التعصب الذميمة الذي يزين لكل طائفة في لبنان انها مستقلة بمصاحبتها عن الطوائف الأخرى . ولا مصاحبة لها في الحقيقة يصح ان تسمى مصاحبة طائفية عمومية ولا فائدة من استقلالها في مثل ما قدمنا من الامثلة الا فائدة رؤسائها الزمنية — فائدة استخدام هذا الاستقلال فيما يفيد الرئيس وانسابه واصدقائه باسم الطائفة — فائدة استخدام الدين في المدفع الذاتية . التعصب الديني هو سبب الاستقلال الطائفي . وهذا الاستقلال هو سبب انتفاء المصاحبة العمومية . فكيف نلأشي هذا الاستقلال لتستب لنا تلك المصاحبة ، ثم بئن بعد ذلك في اللائحة كيفية الملاشاة وسند كرها في الجزء الآتي نشاء الله تعالى

المنار في البلاد الإسلامية

جاءنا من طهران كتاب يقول فيه مرسله ان للمنار ذكراً سائراً في مجالس العلماء والمجتهدين وان الإمام العالم ، ملاذ الانام ، السيد محمد الخطاطبائي المجتهد المشهور قد بالغ في مجاسه العاص بالعلماء في تقرير مجتكم وانشاء عليكم . . وان الفاضل القمقام . علامة عالم ، الاسلام . الحجة الشيخ زين الدين ، الملقب بملك الواعظين ، لانه أول واعظ ومتكلم على المنبر في هذه الاقصار كان يعط في شهر رمضان في احد جوامع طهران الموسوم بالجامع الروزي وهو جامع كبير معروف وفيه مدرسة كبيرة لائمة وسائر العلوم وقد اتنى عليكم وقرض مجلة المنار علي

منبر الجامع أثناء الوعظ والمسجد مملوء بمجاهير الناس من الخاص والعام .
والمنار يفتخر بصداقة هذين العالمين في الامة المحمدية ، ولا غرو فالبلاد الفارسية
جديرة بهذه الأريحية ، فانها كانت ينبوع العلم والاجتهاد وستقى كذلك الى يوم التناد ،
وجاءنا من تونس ان الجزء الواحد من المنار يدار على عشرات من الناس
وجاءنا من بلاد أخرى عربية ان أهلها لا يرجحون على فتوى المنار فتوى وان
بعض القضاة الشرعيين يعتمد على المنار في حجاج بعض الاحكام ويحتج به وهذا دليل على
حياة العلم هناك لاننا لا نقول في الدين شيئاً الا بالدليل فهم يأخذون به لا بقولنا
وجاءنا من بعض المدرسين في بلاد روسيا أنه سمع كثيراً صدى المنار وخدمة
للإسلام وأحب ان يطلع عليه ولكنه لم يعرف اسم صاحبه فاكتفى بأن يكتب
باسم « المنار في مصر » طالباً ارسال المنار اليه . فشكر لهؤلاء الفضلاء الاعلام
تنشيطنا على هذه الخدمة المالية ومساعدتنا عليها بالدعوة اليها والتتويه بها

﴿ انتقاد المقتطف الاغر ﴾

قرظ المقتطف الاغر كتاب الاسلام والنصرانية وانتقد عينا ما أوردناه في
مقدمته من تمثيل الاسلام بنبوع تفجر في أرض ثم فاض في أرض أخرى فأنشأ به
أهلها حدائق ذات بهجة الخ وتلطف كاتب الانتقاد الفاضل فأورد النقد بصفة
سؤل سنجيب عنه في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه لقراء المنار ﴾

قد اصدرنا الجزء التاسع عشر الذي موعده غرة شوال مع الجزء العشرين في
نصف شوال فجعلناها جزءاً واحداً مؤلفاً من عشر كراسات فلم ننقص المشتركين
من حقهم شيئاً . وقد غفل عن كبر الجزء وعما كتب عليه من العدد (١٩ و ٢٠)
بعضهم فكتبوا يطلبون منا الجزء التاسع عشر

﴿ إزالة وهم ﴾

يتوهم بعض الناس أن مما ينشر في المنار غير معزو الى أحد ما هو بقلم الاستاذ الامام
أوباعازه وقد تذكرنا هذا عند نشر تعريب (مسألة الشيخ محمد شاكر) وبهذه المناسبة
نذكر ان كل ما ينشر في المنار غير معزو أصلاً فهو لصاحب المنار فكر او عبارة . وهذا لا ينافي اننا
اقتبسنا كثيراً من المسائل العامة التي نشرها من معارف الشيخ في الدروس والمذاكرات
ويمكن ان يبينه أن منشئ المنار مستقل في عمله استقلالاً تاماً لا دخل لأحد فيه

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد آتاه خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أول الألباب

المسألة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم السبت غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٠ - ٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣)

مسألة النساء

(مزار تربية النساء الاستقلالية في الافرنج)

(تمهيد) للامم طريقان تسير عليهما في حياتها الاجتماعية طريق الهداية الدينية مع النظر والتجربة وطريق النظر والتجربة بدون استعانة بهداية الدين . ولا يعرف التاريخ أمة من الامم ارتقت في الحياة الاجتماعية بدون دين ولكن كثيراً من قادة الافرنج في السياسة والعلم قد مرقوا من النصرانية واستدبروا تعاليمها الاعتقادية والادبية والعملية في طريق مدنيهم . هم مقررین أنه لا يعتمد في شؤون الحياة الاعلى النظر والتجربة معاً دون ماعداها فاشتهر في العالم أن الافرنج مرقوا من الدين في الواقع وانما ينصرونه ويتعصبون له لأجل السياسة الخارجية وأنهم لم يرتقوا الى قنة حضارتهم هذه الا بهذا المروق والاستدبار . وهذه شبهة أو حجة على بطلان النصرانية اذا كان الدين كما يقول المسلمون سائقاً الى صلاح

الدارين، وسعادة الحياتين ، ولكتا رأينا من كتاب النصارى من يقول ان الدين خاص بطالب الدار الآخرة ومراعاة تعاليمه في أمور الدنيا مفسد لها. وقد خدع بمثل هذه الأقوال والأحوال بعض المسلمين الجغرافيين الذين لا يعرفون من الاسلام الا بعض ما يرون ممن عاشوا معهم فحسبوا ان المسلمين لا يرتقون الا بمثل ما ارتقى به الأفرنج من استدبار الدين والاعتماد على النظر والتجربة اللذين هما طريق تمحيص العلم . يقيسون ديناً على دين يخالفه في حقيقة معناه وفي تعاليمه الاعتقادية والأدبية والعملية وفي آثاره الاجتماعية والمدنية ولا حجة لهم الا أن الأفرنج باستدبار الدين ناجحون ، والمسلمين في الواقع ونفس الامر خاسرون ، ولو أبصروا رأوا ان هذا الخسار ، إنما تولد من المروق والاستدبار . وان قياسهم انما هو قياس الضد على الضد ، والله الأمر من قبل ومن بعد ،

لقد سبح القلم الى ما ليس من موضوعنا في هذا التمهيد والذي نريد ان نقوله هو أن الإنسان على كونه أرقى الاحياء في هذه الارض لم يستغن ولن يستغني بنظره وتجاربه عن هداية الدين وإرشاده ولدين وثي خير له من ترك التدين بالمرّة . وأن كل أصول الارتقاء التي بني عليها عمل مستدبري النصرانية في أوروبا مستفادة من الدين إما من بقايا دينهم تقليداً وإماماً وصل اليهم من الاسلام اجتهاداً . وأنه يجب على المسلمين الذين وجهوا وجوههم للحضارة الأفرنجية بالتربية والتعليم ان يترؤوا في نظام هذه التربية وقوانينها فلا يجعلوها تقليدية خالصة . وأنه يجب ان يكون أول هذا التروي تقوية الرابطة المالية التي كانوا بها أمة لئلا تكون التربية مفرقة لاجتماعهم ممزقة لشملهم فيكونوا كالباحث عن حتمه بظلمه . وأنه

يجب اقامة مآقره الدين على سبيل القطع والتروى والاجتهاد فيما وكله الى الناس والاعتماد فيه على النظر والتجربة والاعتبار بسير الامم ونتائجها . وان أكبر العبر ما وقع فيه الافرنج من الامراض الاجتماعية بشذوذهم عن هداية الدين في كثير من المسائل وان انتفعوا نفعا عظيما في أمور أخرى اذا خالفت النصرانية فانها توافق الاسلام بل هي لا بد ترجع الى أصل من أصول هدايته كما تقدمت الاشارة اليه آنفا

مسألة النساء : وبعد هذا التمهيد نقول ان لدينا الآن مسألة كبيرة وهي مسألة النساء كيف يُعلِّمَن وكيف ير ين ليكن عوناً للرجال على الارتقاء ومجارة الامم الحية .

ان طلاب تغيير سير الامة بالتربية والتعليم قد وضعوا نصب أعينهم أوروبا وارتقاءها فمنهم من يطلب محاكاتها أو مجاراتها وهم الحكماء وبعض العقلاء ومنهم من يستحب تقليدها نظراً أو ترفاً وهم الذين أخذوا قشورا من العلوم العصرية في مدارس أوروبا أو مدارس بلادهم التي أنشئت لهذه العلوم وفتنوا بزخرف المدينة الأوروبية وبهرجها . كانت فرنسا هي القبلة الأولى للاستانة ومصر في طلب هذا التحول لأنها أم هذه المدينة الجديدة في الغرب والشرق . ثم إن مصر وجهت وجهها في هذه السنين الى انكلترا بحكم طبيعة الاحتلال الانكليزي ومثلها الهند في هذا التوجه . ويرى هؤلاء ان الانكليز أقوم تربية من الفرنسيين ولذلك نورد لهم ما استفدناه بالذاكرة والمناظرة مع بعض أهل العلم والخبرة التامة من الانكليز في مسألة النساء ليعلموا ان التروى الذي قلنا بوجوبه في التمهيد لا بد منه . ثم ينتقل الى الحكم بضرورة اتباع الهداية الاسلامية في مسألة النساء والتربية

القويمة التي تنطبق عليها ليتبين لهم أن طريقة النظر والتجربة في هذا القرن لم تكن عن الهداية التي جاءت على لسان نبيٍّ أميٍّ منذ ثلاثة عشر قرناً ونيفاً الغرض من التربية والتعليم سعادة الأمة بهناء المعيشة وشرف المنزلة وإنما يطلب الهناء والشرف للحَيِّ النامي فإذا كانت طريقة التربية والتعليم تؤدي إلى قلة النسل وعدم نموه فتلك هي الطريقة السيئة وسلوكها هو الجنابة الكبرى على البشر . وتربية الإناث تربية استقلالية كما يترتب الذكور سواء مغلٍّ بوظيفة النساء القبطية ومؤد إلى تلك النتيجة المخيفة - قلة النسل المؤذنة بهلاك البشر

انجبت هذه التربية في انكسار النتائج الآتية (١) اعتماد النساء على أنفسهن في المعيشة والكسب (٢) توجههن إلى الأعمال الخارجية أي التي تكون خارج البيوت وتنافي تدير المنزل (٣) رغبة الكثير منهن عن الزواج بالمرّة وقال بعض أطباء الإنكليز إنه عرف بالاختبار أن نحو أربعين في المئة من النساء كذلك . وقال بعض أطباء فرنسا إن إناث البشر كانوا سائر الحيوانات الأصل فيهن الرغبة عن مباشرة الرجال إلا في وقت مخصوص وهو وقت الاستعداد لقبول التلقيح وإن ما عدا هذا فهو عارض على البشر وبين أسبابه وذكر أن هذا العارض يكون في بعض الأفراد مرضاً من نوع (المستيريا) وليس هذا محل شرح أقواله .

(٤) أن أكثر النساء المتعلّقات بالتربيات يكرهن الأمومة إما لما في الحبل والولادة، من المشقة والتعب وإما لاضطرارهن إلى ملازمة البيوت في معظم مدة الحبل والرضاعة إذا هن أرضعن أولادهن والبيوت صامتة في نظرهن كالسجون لتعودهن على كثرة الخروج . وإما لاحتياجهن في ذلك إلى

نفقات كثيرة تعوزهن أو يفضلن التوسع بها في الترف . ومنهن يذهب في ذم الأمومة مذهب الخيال الذي يلتبس عليهن بنظريات الفلسفة أو تقاليد الدين المسيحي في جعل الانسان ملكوتيا فيقلن ان الحمل والولادة من صفات الحيوانات فينبغي الترفع عنه . وهذه جهالة بمعنى الانسان وما هو الا حيوان أرقى من سائر الانواع في جنسه . وليس في استطاعة الخيال أن يخرج به عن كونه حيوانا وان استند الى الفلسفة او الدين

(٥) انه قد فشا في النساء تناول الادوية لمنع العلوق وللإسقاط بعد تحققه
(٦) ان البنت قلما تتزوج في أول طور الاستعداد للأمومة وهذا التأخير من اسباب عسر الولادة لأن الاعضاء في طور الخدانة تكون مرنة تتمدد بسهولة فاذا كبر السن قلت هذه المرونة المسهلة للولادة . ويزيد العسر عسراً ضعف الاجسام بالإفراط في الترف والنعيم فصار من الضروري ان لا تلد المرأة الا وهي مخدرة بالكافورم وبمساعدة الاطباء

(٧) ان الولادة قلما تنتهي بسلامة من مرض خطر فهذه سبع نتائج بعضها سبب لآخر ونضيف اليها نتيجتين عامتين في النصارى وهما
(٨) ان المرأة ملزمة في عرف النصارى بان تدفع لمن ترغب في الزواج به مهراً وكثيراً ما يعسر عليها ذلك فتضطر الى التبتل أو البغاء

(٩) ان الرهبانية مشروعة للنساء كالرجال ومعدودة في الفضائل الدينية عند اكثر النصارى . فهذه تسع أسباب من اسباب قلة النسل ومقدمات انقراض الامم . وما عدا الاخيرين منها فهو من آثار التربية الاوربية . ولما كانت فرنسا هي السابقة في هذه التربية النسائية ظهر فيها قلة النسل واطباؤها وساستها في حيرة من أمره . وستبعا انكثرا في ذلك

بعد سنين ، وإن خفي ذلك على المعجيين بتربيتها من الشرقيين
 وإذا التفتنا الى جانب الرجال نراهم في انكثرا يأخذون إخذ الذين
 سبقوهم بهذه المدنية الفاسقة في فرنسا فاكثر الشبان يرغبون عن الزواج
 بالمسافة والمخادنة ولا يكاد أحدهم يتزوج حتى يناهز الأربعين سنة أو
 يجاوزها ثم هو لا يود أن يكون له ولد كثير وإنما يبتغي ولياً يرث ماله
 ويحفظ اسم بيته إن كان من اصحاب البيوتات ولا يكره ان يكون له ثان
 يخلف الاول اذا هو درج فإن عزربثت احتمله وكره كرها شديدا ان
 يزيد ولده عن عدد الاقاييم الثلاثة » ويتفق مع زوجه على الاجهاض اذا
 كانت ودوداً ولوداً

ولا تحسبن هذا الصياح والعيول من ساسة فرنسا وبعض كتابها في
 الشكوى من قلة النسل عامة في الامة بل الاكثرون يرون ذلك شرطا في
 سعادة الامم كما يرونه شرطا في سعادة البيوت فان الامة التي يتضاعف
 سكانها في مدة قريبة لا تلبث أن تضيق بها بلادها وتضطر الى المهاجرة الى
 بلاد دونها لتعمرها وتغالبا اهلها عليها وفي ذلك من الشقاء استبدال الدار
 الخربة بالدار العاصرة . ويقولون إن الدولة لا تشكو من قلة النسل حبا في
 الامة ولكن طمعا في مباراة الدول المستعمرة فالسبب في ذلك طمع الملك
 الذي لا يكتفون ببذل رفاهة الامة في سبيله وإنما يبذلون ايضا أموالها
 ودماءها . لهذا يعسر على مثل فرنسا ان تعالج هذا الداء الاجتماعي
 القاتل مادامت على هذه الطريقة في التربية والتعليم وفساد العقيدة
 وحرية الفسق والفجور

بقي علينا ان نلتفت لفتة ثالثة الى البيوت لننظر كيف يعيش الزوجان

الاذان نظراتها منفردين او وصفنا من حالهما منفصلين . يتوهم المفتونون بمدينة أوروبا ان السعادة المنزلية ، ونعيم المعيشة الزوجية ، يوجدان في الغرب حيث توجد العلوم العالية والتربية المشتركة بين الصنفين . ويتوهم أكثر الذين قرأوا ذلك الوصف البليغ المؤثر للحياة الزوجية السعيدة في كتاب (تحرير المرأة) أنه وصف منتزع من البيوت الأوروبية فمنهم من يمتنى مثله بتربية مثل تلك التربية وتعليم مثل ذلك التعليم ولا مانع لنا منه كما يقول الكتاب . ومنهم من يرى ان المسلمين محجوبون عن تلك السعادة بحجاب النساء وانه لا سبيل اليها فما لنا الا أن نسأل الله ان يعوضنا عنها في الآخرة ما هو خير منها

الحق الذي لا مصرية فيه ان هناء المعيشة الزوجية لا يتحقق الا بتحقيق أمور (احدها) اذعان المرأة بأن الرجل هو سيد المنزل ورئيسه وانها هي تابعة ومروسة له . ولا تدعن في نفسها هذا الإذعان الا اذا تربت عليه واعتقدته ديناً (ثانيها) ثقة الزوجين بالاختصاص بأن يعتقد الرجل انه لا يشاركه أحد في زوجه وتعتقد المرأة ان زوجها لا يختلف الى غيرها من خدن أو بني . وهذان الامران متحققان في الشرق بالدين أكثر من تحققهما في الغرب . ولا استثنى من الشرق مصر التي هي أفسق بلاد الشرق وأكثرها فساداً في البيوت (العائلات) . (ثالثها) المشاكلة في الطباع والمقاربة في السجايا والافكار . وهذا الامر ظاهر في الغربيين وهو في الشرقيين كذلك في الغالب . ومن غير الغالب بعض المتعلمين من المصريين فانهم لا يجدون في النساء من يقاربهم في أفكارهم . وهم الذين يشكون من حال النساء ويطلبون تغييرها بتربية وتعليم جديدين وان لرغبتهم تأثيراً كبيراً في

الامة لانها موافقة لرغبة الحكومة وسعيها . والعمل على هذا وان أنكره
بالقول الا كثرون

نعم يجب ان يكون النساء على مقربة من الرجال في الافكار والاخلاق
والمقاصد والرغبات فالبلاد التي انتشر فيها تعليم البنين ينبغي ان ينتشر فيها
تعليم البنات حتى لا تتسع مسافة الخلف بين الصنفين ولما في التربية والتعليم
من القوائد الكثيرة ولكن يجب علينا ان لا نتبع خطوات الاروبيين
قدما بقدم وأن لا نحتذي شاكلهم حذو القذة للقذة بل علينا ان نتوقى من
أول السير كل ما رأيناه سيئ العاقبة فيهم وذلك يرجع الى أصول أهمها
تربية الاثني تربية استقلالية تامة وتعليمها كل ما يتعلمه الذكور فهذان
الامر ان يناقيا ناذعنا لسيادة الرجل باطنا وظاهراً ويغضان اليها ملازمة
البيوت وهي وظيفتها الطبيعية الشرعية التي ليس لها تركها الا لسبب
مقتض كما أنهما يعرضانها لتدنيس عرضها وإهانة شرفها الذي لا تسمو
عند الرجل ولا تملك قلبه الا به .

وحسبي ان أقول في التربية النافعة للنساء يجب ان تكون إسلامية وأن
أقول في تعليمهن الاول انه كتعليم الرجال أي ينبغي ان يعرفن مبادي
العلوم المدرسية كلها وأما ما رواء هذا فيجب ان لا يتوسعن الا فيما يلزم
للبیوت من تدبير ونظام وتربية أطفال . ومن ذلك صنائع اليد والحياطة
فعلم مما تقدم انه يجب علينا التروى في تربية البنات وتعليمهن وان لا تقلد
فيهما الغربيين تقليداً أعمى لاسيما فيما يحظره علينا ديننا فقد تبين بسير العلم
والتجربة في أوروبا عدة قرون ان كل ما خالفوا فيه الاسلام كان ضاراً فقد
رجعوا الى الطلاق الذي كانوا يعدونه من اضر الامور في الاجتماع البشري

فصاروا يعدونه مثلنا من ضروراته وتبدأوا يشعرون بأن تعدد الزوجات من ضرورات الاجتماع أيضا ووجد من نسائهم داعيات إليه لاسيما في بلاد الانكليز حيث يزيد عدد النساء على الرجال ضعفين فيكثر الزنا ويكثر عدد النساء اللواتي لا عائل لهن كما بيناه في مقالة مستقلة بالنقول والشواهد عن جرائد انكلترا (راجع ٤٨١ م ٤) ولنا ان نعتبر أن تأييد سير العمران وحوادث الزمان لاحكام الاجتماع في الاسلام من جملة الدلائل والبراهين على صحة أصله وكونه وحيا من الله تعالى لا وضعا من حكماء البشر كما يتوهم الملحدون. وقد طال بنا الكلام والمسألة تحتاج زيادة في البسط نرجئه الى فرصة أخرى

بَابُ رَدِّ الشُّبُهَاتِ عَنِ الْإِسْلَامِ

(أحياء الإسلام لمدينة اليونان والرومان والمصريين)

ذكرنا في آخر الجزء الماضي ان المقنطف الاغر قرظ كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) وانتقد في تقريره التمثيل الذي أوردناه في مقدمة الكتاب موردا انتقاده في صورة سؤال يستحب أن يسمع جوابه ان كان عندنا جواب، وهانحن أولاء نوافيه بما يجب بعد ايراد السؤال أو الانتقاد. قال الكاتب الفاضل بعد ذكر اسم الكتاب ونسبته الي من نسب اليه: «وهو مقالات نشرت في مجلة المنار الإسلامي ثم جمعت على حدة في كتاب. قال حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في تمهيد وضعه لها ما نصه:

« ينبوع تفجر في أرض وقاض ماؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد

موتها ولكن القائمين على حراسته وتماهده وضعوا فوقه أنقاضاً من خرائب
جيرانهم فقيض الماء وما بقي منه صار مستنقعات تجتوى . ولم يلبث بعد
ما غاض أن فاض منه شيء في مواضع أخرى فانتفع أهلها به وحافظوا عليه
والكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما أن أكثر أهل ينبوع
المنتسبين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر من تلك المواضع
فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم وأنهم لو أزالوا عنه
تلك الانقاض لفاض ورجع إليهم به خصبهم ونماؤهم كأحسن ما كان لأنهم
تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للأحياء . ذلك مثل المسلمين اليوم مع
الأمم الغربية الحية الراقية . أخذ الزبوت من الإسلام كل أصول
الإصلاح لذي هم فيه »

(ثم قال الكاتب بعدما نقل هذه الجملة مائنه :) « ويا حبذا لو يتن
لنا حضرة الأستاذ الفاضل من أين أتى الماء الذي أحيى مدينة اليونان والرومان
فأنشأوا به الحدائق والجنات والماء لذي أحيى مدينة المصريين الأقدمين
فبقيت آثارهم الصناعية إلى الآن لم يقو ملوك العرب على محوها مع ما بذلوه
في ذلك من العناء وآثارهم الأدبية مرسومة في صفائح الصخور تعلم اسمى
الفضائل وأفضل الآداب »

﴿ جواب المنار ﴾

كنا بالأوس أو بالأوموس نرد شبهات بعض المتطفلين على موارد
العلم ، والمتهجمين على الطعن في الإسلام بغير فهم ، ونحن اليوم إنما نذكر
علما غزير المادة واسع الاطلاع ونناظر أدبياً ذكي القواد ؛ دقيق الانتقاد ،
إلا أن قلمه عثر في هذا الميدان وقد يكبو الجواد ؛

من حسنات المقتطف أنه ينتقد الكذب التي يقرظها ولا يتبع سنن الجرائد في مدح كل ما يهدى إليه من كل وجه وإن كان مذمومًا من وجوه كثيرة . وانتقاد الكذب التي تشرين الناس أمر نافع ولكنه وعمر المسلك لأن وقت كتاب المجلات والجرائد قصير يضيق عن قراءة كل ما يهدى إليهم من المطبوعات لانتقاده ولأن أصحاب تلك المطبوعات من المؤلفين أو الناشرين يألمون من الانتقاد وإن كاذب حقًا ومقنمًا . وبعض الانتقاد يؤلم الجماهير من الناس إذا كانوا على خلاف رأي المنتقد . فالنصدي للانتقاد مع هذه الوعورة في طريقة يعد فضيلة توجب الثناء والشكر على من يعرف فوائد الانتقاد في تجلي الحقائق وتحرير الصواب وتنقيح العلوم والفنون . ولقد قلت من قبل فولا في ذلك كشفت به عما في نفسي وهو : سواء عندي من مدح قولي ومن انتقده لأنني في حاجة إلى معرفة ما يستحسن منه وما يستقبح على سواء بل ربما كنت أحوج إلى معرفة موضع النقد ، مني إلى معرفة موضع الحمد ، لأن هذا أبث على إصلاح العمل ، وأهدى إلى توقي الزلل ،

أما أثر المقتطف فهي ظاهرة لأول وهلة في تحويل التمثيل عن موضعه فإنه صريح في كون الكلام في « المسلمين اليوم مع الأمم الغربية الحية الراقية » لامع المصريين الأولين ، ولا مع اليونانيين والرومانيين ، وصريح في كون الأمم الحية أخذت من ينبوع الإسلام كل أصول الإصلاح الذي هم فيه . وهذه المسألة الجملة في مقدمة الكتاب مفصلة بعض التفصيل في الكتاب نفسه ولذلك لم يطلب المنتقد بيانها لأنه طلب تحصيل الحاصل أما مدينة مصر بين اليونان والرومان فالناقد يعلم أنها قد ماتت قبل

ظهور الاسلام وإن بقي لها آثار تدل عليها ويعلم ان الاسلام أحياءها بعد موتها فأنشأ أهلها - لا أهلها - بها حدائق العلم والعمل في بغداد ومصر وقرطبة أو في الشرق والغرب والوسط ومن هذه البلاد انتقل العلم والمدينة الى الامم الغربية الحية بلا نزاع

ولم يكن الكلام في ذلك التمثيل في المدينة الصناعية وإنما كان في الاصلاح البشري اي الاصلاح الذي ارتقت به عقول البشر وتهذبت نفوسهم وتوثقت روابطهم الاجتماعية وعرف بعضهم لبعض حق الانسانية فاذا كانت تلك الامم التي سبقت الاسلام بالمدينة الصناعية وبنى أهلها أهراماً لم يبن مثلاً المسامون فالاسلام قد أفاد البشر ما لم تفده تلك الصناعة أفادهم ارتقاء في العقول علمهم أن تلك الأهرام وما يشابهها قد بنيت باستعباد البشر وأسر أرواحهم واشباحهم وتسخير الملايين منهم لخدمة شهوة ملك من الملوك الظالمين أو لخدمة وساوسه الدينية

علمهم أن تلك المدينة كانت تسحر بملها المحصور في طبقة مخصوصة أبصار الأمة وتخيل للناس ما ليس له حقيقة فتستبره بهم وتحملهم على الخضوع الاعمى لأولئك الرؤساء الضالين المضلين ، الغارين المغرورين علمهم كيف يحكمون على اليونانيين بفساد الفكر في الخضوع لآلهة لا وجود لها الا في الخيال وتحكم تلك الأوهام في مدنيهم وحربهم وصناعاتهم فيكل جوبيتر الذي يدهس الناظرين ببديع صناعته هو آية على ان تلك المدينة الصناعية كانت مقترنه بضلال العقل وفساد الفكر في المسائل التي يمتاز بها البشر على النحل والنمل الأبيض والعنكبوت وهي حشرات أتقت أعمالاً من الصناعة كانت فيها من أساتذة الإنسان كما يقول بعض العلماء

علمهم كيف يحكمون على شرائع تلك الامم وقوانينها بالظلم وهضم حقوق الانسان بما يفضلون شعوبهم على سائر الشعوب في الحقوق فإنه لم توجد شريعة وضعية ولا سماوية معروفة قبل الاسلام تساوي بين أهلها وبين جميع من يقبل حكمها من المخالين وان كانوا قوما معادين «ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» وهذه الآية من سورة المائدة التي هي آخر القرآن نزولا ومعناها لا تحملنكم معاداة قوم على ترك معاملتهم بالعدل فان العدل واجب مع الولي والعدو لانه من تقوى الله الخير بالأعمال والمجازي عليها. والمصريون كانوا يستحلون ظلم غير المصري بل يعبدونه تعبيدا للملكهم كما فعلوا بالاسرائيليين. وكذلك اليونان والرومان وهذا تاريخ اليهود شاهد بأن الرومان قد ظلموا الاسرائيليين ظلما يضاهاى ظلم المصريين لهم. فأين هؤلاء وأولئك من معاملة الاسلام لليهود. تقدمت الذكرى في الجزء الماضي بمساواة عمر بن علي بن أبي طالب (وما أدراك من هو) ورجل آحاد اليهود. وعندنا ما هو أعظم من ذلك وأشرف

روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم عن زيد بن سَعْنَةَ وكان من أحبار اليهود أنه ابتاع من النبي صلى الله عليه وسلم تمرا الى أجل وأعطاه الثمن فلما كان قبل الأجل بيومين أو ثلاثة أتاه يطالبه بالتمر (قال) : فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حتى فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مُطْلَبُونَ فقال عمر : أي عدو الله أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى

عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر -- أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به فافضه وزده عشرين صاعا مكان مارئعته ، ففعل ثم أسلم هذا الخبر الجليل وقال بعد ذلك إنه فعل ما فعل ليختبر أخلاق النبوة وعلاماتها فلما رآها كملت فيه عليه السلام آمين به

وجملة القول إن الإسلام علم البشر أصول السعادة الحقيقية التي لم تكن معروفة عند المصريين ولا اليونان ولا الرومان وأهمها (١) صقل العقول بصقال التوحيد الخالص وتطهيرها من صدأ الخرافات والأوهام ليكون الفكر مستقلا فيما يعتد يرفض التقليد ويعتمد على البرهان . و(٢) بيان ان للكون سننا ونواميس ثابتة ينبغي ان يتهدي بها الانسان في سيره العلمي والعمل . و(٣) توسيع دائرة الجنسية بجعل شريعته تساوي بين جميع الامم والملل اذا قبلوا حكمها وقد كانت جنسية المصريين مصر واليونانيين أثينا والرومانين رومية و(٤) القصد في المعيشة فقد اسرف القوم في الشهوات اسرافا صاروا بها شرا من البهائم

ولو شئت أن اسرد محاسن الاسلام وأعدد مساوي تلك المدينيات القديمة لخرجت من جواب سؤال الى تأليف اسفار كبيرة وقد نشرنا في الجزء الماضي نبذة معربة من كتاب أميل القرن التاسع عشر في انتقاد آداب اليونان والرومان وفيها عبرة لمن اعنبر

فإن قيل ان النصرانية قد سبقت الاسلام الى إخراج اليونان والرومان من ظلمة الوثنية أقول أولا إن النصرانية لم تنتشر في تلك الامتين لا بعد ما دخلت اهي الوثنية ولا كنها قربتهم من التوحيد لانها نقلتهم من عبادة مخلوقات

كثيرة الى عبادة مخلوق واحد على أن فيه معنى من الألوهية مركب من ثلاثة أقانيم . وثانياً ان النصرانية لم تجتمع مع مدنية الأمتين وانما أجهزت عليها حتي تحت تلك العلوم قبل أن تبلغ كمالها ، وطعست تلك الاعمال الصناعية وشوهت جمالها ، وما زالت في تدل وانحلال ، حتى جاء الاسلام فانتاشها من برائن الاضمحلال ، ذكر المؤرخون أن المسيحية تكنت في أثينا أثناء القرن الخامس وفي أول القرن السادس قطع يوستنيانوس أجره المعلمين العموميين في أثينا ومنع تعليم الفلسفة لأن المدارس كانت مصرقة بالنصرانية ومن ذلك الوقت أخذت أثينا بالانحطاط

ونختم القول بانث من التاريخ في مساوي وخرافات اليونان والرومان الذين يباري المقنطف بهم الاسلام . قال في برهان البيان : « بينما كان الرومانيون محتفلين بعمل موسم تشريف لروح قيصر إذ ظهرت نجمة ذات ذنب طويل ومكثت سبعة أيام فظنت الأمة الرومانية أن روح قيصر صعدت الى السماء وتصورت بهذه الصورة ونظمت في سلك العالم العلوي » !!
فلولا وجد من الرومانيين من يقول كما قال النبي الامي (عليه الصلاة والسلام) لقومه عند ما كسفت الشمس يوم مات ولده ابراهيم وظنوا أنها كسفت لموته : « ان الشمس والقمر آياتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته »

وجاء في ذلك التاريخ أيضاً : كان من ثوابت عادات اليونان وأهل آسيا بناء هياكل للملوك بل وللكبار الحكام ليكون ذلك قوياً في الدلالة على الانقياد والعبودية . وأما لرومانيون فكانوا يعبدون سلافهم في معابدهم الخاصة فقط : ثم ذكر انه من عهد رومولوس الى عهد قيصرم ينتظم أحد

في سلك الآلهة التي لها هياكل ومعابد عامة

ومن ظلمهم ان طياريوس اتخذ القانون القاضي بعقوبة كل من يسيء
إلى الأمة الرومانية آلة للانتقام كما يشتهي . وكانت الأمة استعدت لذلك
من زمن اغسطوس الذي سلب الأمة حق التشريع والحكم في الجنايات فتفاقم
الشر واستشرى الفساد في عهد طياريوس الذي سلب الأمة حق الانتخاب
أيضاً لأنه كان يعاقب كل من يتهم بقول أو عمل أو إشارة تعد انتقاداً على الأمة
وكل الأمة كانت عيوباً ولا بد للناس من التبرم من الشر الواقع بالقول والفعل
أو الإشارة بل كانوا يحاسبون الناس على خواطرم ويعاقبونهم ولم يكن
القضاة يتوقفون في الحكم على المتهم بأدنى الشبه . وكانوا يعاقبون على أمور
لا تخطر في بال أحد من أهل الممالك المستبدة التي فيها ما يشبه تلك المظالم إلى
اليوم . من ذلك ان طياريوس أخذ رجلاً باع بيته وكان فيه صورة الامبراطور ١١
وان دو ميثانوس حكم بالقتل على امرأة علم أنها نزع ثيابها امام صورته ١١
فهل كانت تلك المدنية محتاجة في إصلاحها إلى ينبوع العدالة الإسلامية التي
يستوي فيها الخليفة مع أدنى السوقة من غير المسلمين في الحقوق ؟ نعم إنها
كانت في أشد الحاجة إليه ولذلك انتشر نور الاسلام بسرعة البرق

وقال صاحب برهان البيان : ولما كان الرومانيون متعودين على
التلاعب بالطبيعة البشرية في أولادهم وأرقائهم كما يعلم ذلك بالوقوف على
قوانين الرومانيين المتعلقة بحكم الآباء والامهات على أولادهم كان لا يمكنهم
غالباً معرفة ما نسميه إنسانية وهي فضيلة الرفق وإذا كانت عادة الملة
الجبر والقسوة في الحالة الداخلية الملكية فكيف ينتظر منها الرفق والعدالة
الطبيعية . وكثيراً ما يطلع القارئ في تاريخ القياصرة على قتل أناس كثيرين

لقصد مجرد ضبط أموالهم للدولة: — ثم قال — : ومن نظر في مرآة تاريخ الرومانيين رأى فيها صور الأشياء البشرية فيجد في هذا التاريخ كثيراً من الحروب الواقعة والدماء المسفوكة واللام المدمرة و لوقائع الجسيمة، والنصرات العظيمة، والتدابير الجمة، والحكمة البالغة، والاحتباس والثبات والشجاعة. * ويجد فيه أيضاً تصميم النية على التغلب على كل شيء وأنه حصل كما ينبغي واستمر وانتهى كذلك وأنه لم يترتب عليه إلا إسعاد خمسة رجال أوسنة من الأشرار: نقول: فهل كانت مثل هذه المدنية محتاجة إلى ينبوع العدالة الإسلامية لإصلاحها وإحياء النفوس التي أمتاها الظلم والجبروت؟ نعم كانت في أشد الحاجة إلى هذا الإصلاح ولذلك قبلت الأسلام بسهولة. ونسكت الآن عن الكلام في فساد أخلاق الرومانيين وتهتكهم في الخلعة والفسق وانغماسهم في الترف والملاذوفساد أخلاقهم الشخصية فقد أوغلوا في ذلك إغلالاً مدهشاً يثبت أن أرواحهم ماتت وكانت محتاجة للإحياء. وهنا يخطر في بال القارئ أن النصرانية هي التي سبقت لإصلاح نفوسهم وإحياء مدنييتهم التي أمتاها الظلم والفسق ونقول إن النصرانية مهدت بعض التمهد للإسلام ولكنها لم تكن محيية بل كانت مجهزة على تلك المدنية كما أشرنا إلى ذلك في مسألة مدينة اليونان

(تأثير النصرانية . في المدنية الرومانية)

جاء في تاريخ القرون المتوسطة أن النصرانية لم تكد تنتشر وتقوى في بلاد اليونان والرومان ومنها بلاد مصر حتى رأى رؤساؤها وجوب هدم الهياكل وكسر التماثيل ومحو الصور اليونانية والرومانية لأنها آثار الوثنية فقاموا بهذا الواجب حتى محوا آثار صناعة البناء والفنون الجميلة أو كادوا ولولا

أن بعضهم رأى تحويل بعض الهياكل الى كنائس لما بقي لتلك الامم أثر في الوجود . وقد أصدر تاودسيوس أمراً رسمياً بهدم الهياكل وتكسير الصور سنة ٣٩٠ للميلاد . ثم رأوا أن في علوم تلك الامم خطراً على النصرانية فطفقوا يحرقونها في كل مكان فقد أحرقت مكتبة الاسكندرية بأمر تاودسيوس سنة ٣٩٠ للميلاد وأحرقت مكتبة اوكتوغونه في القسطنطينية سنة ٤٧٦ للميلاد وحملت الحمية الدينية لاون اللوزرياني على تحريق ما بقي من الكتب سنة ٧٣٠ . وكان في هيكل ابولون بلاطين بمدينة روميه مكتبة فيها أنفس كتب الآداب من عهد أغسطس فكانت غيرة البابا اغرغوار وثقواه عاملتين على إحراقها وحرمان الناس من تلك الوديعة التي جعلها العالم وارون في حماية إله الشعر وكنفه . (على اعتقادهم)

والامر الذي لا خلاف فيه هو ان انحطاط الامة الرومانية كان مقارناً لانتشار النصرانية فيها . فالوثنيون الرومانيون كانوا يقولون إنها هي السبب في ذلك الانحطاط والنصارى يقولون ان ذلك كان لأسباب سابقة ولكن لماذا أجهزوا على تلك المدينة ولم يصلحوها وينقوها من أضرارها بدلا من محوها وطمس معالمها؟ وماذا أتى النصارى للعرب؟ ما بقوا لهم إلا نذر آمن الكتب أحيوها به أما تمهيد النصرانية للإسلام الذي أشرنا اليه فهو إضعاف تلك الوثنية وإضعاف تلك الحمية الجاهلية وذلك السرف في الترف بالغلو في الزهادة والانتقطاع الى العبادة ثم إضعاف الامة بالخلاف في الدين والتنازع بين دولة القياصرة ودولة الرهبان والاساقفة وانتصار هؤلاء وتحكمهم بخرافاتهم في الامة . فالذي مكن المسلمين من الاغارة على صقلية والاستيلاء على سيرا قوسة هو إزام القيسيين القيصر باسيله الأول المقدوني بأن يشغل الجيش ببناء كنيسة

القديس ميخائيل وكذلك ألزمو اختلفه القيصر ليون بأن يشغل عسكر الاسطول بمثل ذلك فتيسر بذلك للمسلمين الاستيلاء على جزيرة لنوس وأما خلافتهم في عبادة الصور وما نشأ عنه من التنازع والفشل فحدث عنه ولا حرج. فثبت بذلك ان النصرانية قد زادت اليونان والرومان جهلا ووهنا فكانوا بذلك في أشد الحاجة الى ذلك الينبوع الذي قاض في أرض العرب وتفجر ماؤه على غير هافأحيا البلاد والعباد — كما هو شأن الانهار والينابيع تفيض من مكان وتحيي ما تسير اليه — وصح تمثيلنا حتى على الوجه الذي صرفه اليه الدكتور الفاضل محرر المة تطف الاغر. وهذا جواب سؤاله بالاختصار

لاحقة سجل جمعية ام القرى

يقول (السيد الفراتي) انه بعد تفرق الجمعية بنحو شهرين ورد الي من صاحب الهندي كتاب يذكر فيه انه بعد مفارقه مكة المكرمة اجتمع بأمر جليل فاضل من أعظم نبلاء الامة ورجال السياسة . فاستطلع رأي الامير في شأن النهضة الاسلامية وبعد ان دار بينهما حديث طويل تحقق من خلاله سمو فكر الامير والتهاب غيرته ذكر له اطلاعه على سجل جمعية أم القرى واشياء من مذاكرتها ومقرراتها ف أظهر الأمير سروره من الخبر وشديد شوقه للاطلاع على السجل الذي ذكره له فعندئذ وعده بإعارته نسخة من السجل ثم ارسلها اليه وبعد ايام تلاقي اقدارت بينهما المحاورة الآتية قال الأمير: أشكر لك أيها صاحب هذه الهدية العزيزة وبالأذلة ليلة أحيتها في مطالعة تلك المذاكرات النفيسة التي لم أتمالك ان اتركها تلك الليلة حتى آتيت على آخرها ثم في الايام التالية أعدت النظر فيها بالتدقيق .

قال صاحب : يظهر من عبارة مولاي الأمير استحسانه كيفية تشكل الجمعية وامتنانه من مجرى مذاكراتها .

قال الأمير : كيف لا أعجب بذلك واطلما كنت أتمنى انعقاد جمعية يتضافر أعضاؤها على مثل هذا المقصد وتكون فيهم المزية التي ظهرت على رجال هذه الجمعية

الذين حلوا المشكلة حلاً سياسياً ودينياً معاً وكنت استبعد وجود أكفاء كهؤلاء .
وأعظم إعجابي هو في هذا الرجل الملقب بالسيد الفراتي كيف اهتدى في رحلة قصيرة
مع اقامته اياماً قلائل في مكة لانتخاب هؤلاء الاعضاء الاجلاء .

قال صاحب : لا بد ان يكون هذا الرجل مخلصاً في قصده فأعانه الله عليه كما
ورد في الخبر : اذا اراد الله أمراً حياً أسبابه : قلل في الاقدار شيئاً أن أوانه
قال الأمير : نعم للاقدار دلائل ولعم البشار .

قال صاحب : اود ان استفيد من مولاي الامير وجوه إعجابه بهذه الجمعية
ومذاكراتها لأصح رأي في بعض انتقادات تحتاج في فكري القاصر فان أذن لي
أعرضها عليه مسألة مسألة

قال الامير : قل ولعلي اقف على ما لم انتبه اليه .

قال صاحب : يظهر أن أعضاء الجمعية ليس بينهم بعض من السياسيين المحنكين
فلو وجد ربما كانت تأتي المقررات أشد احكاماً

قال الأمير : لا أظن أن في الامراء والوزراء المسلمين المعاصرين من هم أعلى
كعباً في السياسة من بعض هؤلاء الاعضاء الذين تشف آراؤهم عن سعة اطلاع
وسمو فكر وبعد نظر مع ملاحظات السياسة الدينية والحالة العلمية والتدقيقات الاخلاقية
قال صاحب : أرى ان الجمعية اعطت لمباحث السياسة الدينية الموقع الاول وقد
أصاب على ان السياسة الادارية أيضاً جدرة بالاهتمام فتركت بدون تدبير كاف

قال الامير : لاشك ان السياسة الادارية مهمة أيضاً وقد ابتدأت الجمعية بها ولكن
رأت أفضل وسيلة لحصول المطلوب هي رفع علة الفتور إذ انتجت مباحثاتها ان علة
الفتور هي الخلل الديني فحلت اهتمامها لجهة العلة حتى اذا زالت العلة زال المعلول
ومع ذلك لم يترك السيد الفراتي في فصل الأسباب الادارية شيئاً من أمهات أصول
الادارة الا وأشار اليه بما يعني عن تفصيله

قال صاحب : أليس بعض الأعضاء كالعالم التجدي والمجاهد التبريزي قد اسهب كثيراً
بما كان بعضه يكفي عن باقيه

قال الامير : ان مسألتى التوحيد والاستهداء ركنان مهمان في الدين وقد تطرق
اليهما الخلل منذ قرون كثيرة فصار إصلاحهما وردهما الى أصلهما من أصعب
الأمر وفي مثل ذلك لا بد من الاسهاب في البحث والتعميق فيه أولاً يرى والله المثل

الاعلى كيف جاء القرآن الكريم بألف أسلوب في تأييد التنزيه والتوحيد والحث على اتباع الكتاب والنبي دون التقليد .

قال صاحب: إني أرى أيضاً بعض مكررات في المذاكرات خلافاً لما قاله السيد الفراتي ولذلك أرى أنه لو اهتم ذو غيرة في اختصارها يكون حسناً

قال الامير: اني لا أوافقك على هذا أيضاً لأنك إذا دقت النظر لا تجد مكررات وإنما هي آراء فلا بد أن يعاد فيها بعض ما سبق وعلى كل حال هذا سجل قد ضبط فيه ما وقع فلا يجوز اختصاره والتصرف فيه واني أرى من أكبر محاسن هذه المذاكرات أن جاءت مباحثها متسلسلة مترقية فكل موضوع فيها يتلوه ما هو أهم منه فلا يمل منها سامع ولا مطالع .

قال صاحب: ما هو رأي مولانا الأمير في القانون الموضوع لأجل تشكيل جمعية تعليم الموحدين هل هو قانون محكم الترتيب وهل هو قابل الاجراء والتطبيق على الاحوال الحاضرة والمتنطرة

قال الامير: القانون هو أهم ما اثمرته الجمعية وقابل الاجراء مع الصعوبة قال صاحب: لا أدري هل أصابت الجمعية أم اخطأت في تعليق أكبر أملها في اعزاز الدين بالعرب دون دولة آل عثمان وملوكها العظام

قال الامير: لا يفوتك ان مطمح نظر الجمعية منحصر في النهضة الدينية فقط وتوهم ان يأتي الانتظام السياسي تبعاً للدين ولا شك انه لا يقوم بالهدي الديني وينار على الدين أمة مثل العرب

قال صاحب: أليس دولة راسخة الملك إدارة وعسكرية وسياسة وافرة القوى مالا وعدة ورجالا تكون أقدر على تمحيص الدين وإعزازة من العرب الضعفاء من كل وجه . واذ قد ألفت الامة سماع لقب خدمة الحرمين قديماً ولقب الخلافة أخيراً في حضرة السلطان العثماني فلا تستكف عن الاذعان الديني له بسهولة .

قال الامير: إن حضرة السلطان المعظم يصلح ان يكون عضداً عظيماً في الأمر أما اذا أراد ان يكون هو القائم به فلا يتم قطعاً لأن الدين شيء والملك شيء آخر والسلطان غير الدولة

قال صاحب: ما فهمت المراد من أن الدين غير الملك وان السلطان غير الدولة فهل يفضل مولاي الأمير بإيضاح ذلك

قال الأمير : أريد أن أحترم الشعائر الدينية في أكثر ملوك آل عثمان هي ظواهر محضة وليس من غرضهم بل ولا من شأنهم أن يقدموا الاهتمام بالدين على مصلحة الملك وهذا مرادي بأن الدين غير الملك وعلى فرض إرادتهم تقديم الدين على الملك لا يقدرّون على ذلك ولا تساعدهم الظروف المحيطة بهم لأن دولتهم مؤلفة من لفيف أهل أديان ونحل مختلفة كما أن الهيئة التي تتشكل منها الدولة أعني الوزراء هم كذلك لفيف مختلفة الأديان والجنسيات وهذا مرادي بأن السلطان غير الدولة ، فخدمة الحرمين ولقب الخلافة ورسوخ الملك ووفرة القوى كلها لا تنكفي للمرجع في الدين نعم إذا بذل آل عثمان العظام قوتهم في تمضيده وتأييده من يقوم بذلك يأتون بفضل عظيم قال صاحب : قد وجد في هذا البيت الكريم بعض أعظم خدموا إعزاز الدين خدماً كبيرة كالسلطان محمد الفاتح والسلطان ياوز سليم والسلطان سليمان والسلطان محمود والسلطان الحالى المعظم فهم أولى وأجدر بالخلافة من غيرهم

قال الأمير : أرجو أن لا تنظر للمسألة بنظر العوام بل بنظر حكيم سياسي فأبعد النظر ماضياً ومستقبلاً وقلب صفحات التاريخ بدقة نجد أن إدارة الدين وإدارة الملك لم تتحدا في الإسلام تماماً إلا في عهد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز فقط رضى الله عنهم واتحدتا نوعاً ما في الأمويين والعباسيين ثم افرقت الخلافة عن الملك وأما سلاطين آل عثمان الفخام فأتى ذكر لك أنموذجاً من أعمال لهم أتوها رعاية للملك وإن كانت مصادمة للدين . فأقول هذا السلطان محمد الفاتح وهو أفضل آل عثمان قد قدم الملك على الدين فاتفق سرّاً مع (فرديناند) ملك (الاراغون) الاسبانيولى ثم مع زوجته (ايزابيلا) على تمكينهما من إزالة ملك بني الأحمر آخر الدول العربية في الاندلس ورضي بالقتل العام والاكرام على التنصر بالاحراق وضياع خمسة عشر مليوناً من المسلمين بعائتهما باشغاله أساطيل أفريقية عن نجدة المسلمين وقد فعل ذلك في مقابلة ما قامت له به رومية من خذلان الامبراطورية الشرقية عند مهاجمته مكيدونيا ثم القسطنطينية . وهذا السلطان سليم غدر بالعباس واستأصلهم حتى أنه قتل الامهات لأجل الأجنة وبينما كان هو يقتل العرب في الشرق كان الاسبانيول يحرقون بقيتهم في الاندلس . وهذا السلطان سليمان ضايق ايران حتى ألجأهم الى اعلان الرضى . ثم لم يقبل العثمانيون تكليف نادرشاه لرفع التفرقة بمجرد تصديق مذهب الامام جعفر كما لم يقبلوا من أشرف خان الافغانى

اقتسام فارس كي لا يجاورهم ملك سني • وقد سعوا في اقراض خمس عشرة دولة وحكومة إسلامية ومنها اتهم أغروا وأعانوا الروس على التآمر المسلمين وهولانده على الجاوة والهنديين • وتعاقبوا على تدويخ اليمن فاهلكوا الى الآن عشرات ملايين من المسلمين يقتل بعضهم بعضاً لا يحترمون فيما بينهم ديناً ولا اخوة ولا مروءة ولا انسانية حتى ان العسكر العثماني باغت المسلمين مرة في صنعاء وزبيدوهم في صلاة العيد وهذا السلطان محمود اقتبس عن الاقرنج كسوتهم وألزم رجال دولته وحاشيته بلبسها حتى عمت أو كادت ولم يشأ الا تراك ان يغيروا منها الا كمام رعاية للدين لانها مانعة من الوضوء أو معصرة له • وهذا السلطان عبد المجيد رأى من مؤيدات إدارة ملكه اباحة الربا والخمر وابطال الحدود • ورأى مصلحة في قهر الاشراف وإذلال السادات بالغاء نفوذ النقابات ففعل •

وفي هذا المقدار كفاية لإيضاح قاعدة ان مؤيدات الملك عند السلاطين مقدم على المحافظة على الدين • أما صفة خدمة الحرمين وألفة مسامع العثمانيين للقب الخلافة فهذا كذلك لا يفيد الدين وأهله شيئاً وليس له مايتوهم البعض من الاجلال عند الأجانب (١)

ولو ان السلطان المعظم أخذ على نفسه تأييد الدين بما أمده الله به من القوة المادية بدون استناد الى صيغة معنوية لتمكن من ان يخدم دينه وملكه حقاً خدماً مقبولة عند الله مشكورة عند المؤمنين كافة ولرفعت له راية الحمد في شرق الارض وغربها واحترمه الابيض والاحمر وعظمه المسلم والكافر • وأظن أنه قد قرب اليوم الذي يتبه فيه فيتروى في الأمر فيعدل عن الاعتماد على غير الماديات ويضرب على فم بعض الفشاشين المتملقين الخائنين الذين ينسبون حضرته الى ما لم ينتسب هو اليه ويشيعون عنه دعوى ما ادعاهها قط أحد من أجداده العظام بوجه رسمي

وهؤلاء الفشاشون يغرون حضرة السلطان بهذه الدعوى بما يهرفون به عليه وبما يؤلفونه هم وأعوانهم من الكتب والرسائل التي يمزون بعضها لأنفسهم وبعضها لغيرهم من المفاقين أو لأسماء يسمونها أو كتب يخلقونها فيجعلون تارة آل عثمان العظام يتصلون نسباً بثمان بن عفان رضي الله عنه وأخرى يرفعون نسبهم الى أعالي

(١) الاجانب لا يتفوهون بأن السلطان خليفة الاعند ما يريدون إقامة الحجج على

المسلمين المحكومين لهم ببعض أعماله في ملكه

قريش ويعطونها حق الخلافة مرة بالتنازل والإدلاء من العباسيين وأخرى بالاستحقاق والوراثة وآونة بالعهد وأخرى بالبيعة العامة وحين بخدمة الحرميين الشريفين ووقتاً بحفظ الخلفات النبوية . وكان هؤلاء الغشاشين يريدون بهذه الدسائس أن يجعلوا حضرة السلطان نظيرهم دعي نسب كاذب كدعواهم لأنفسهم السيادة ومتسم مقام موهوم كدعواهم الولاية والقطبانية في أنفسهم وآبائهم وأجدادهم فيحشون في تلك المؤلفات أسباباً اتخذوها لأنفسهم مقرونة بنسب السلطان ويستطردون لحكايات كرامات لأجدادهم ملفقة مخترعة لا يعترف بها لهم أحد من المسلمين يدسونها بين حكايات وقائع الخلفاء والسلاطين

ومن المعلوم عند أهل الوقوف أن التلقب بالخلافة أو الامامة الكبرى أو إمارة المؤمنين في آل عثمان العظام حدث في عهد المرحوم السلطان محمود إذ صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك أحياناً تفتناً في الاجلال وغلوّاً في التعظيم . ثم توسع استعمال هذه الألقاب في عهد ابنه وحفيده الى أن بلغ ما بلغه اليوم بسعي أولئك الغشاشين الذين يدفعون ويقودون السلطان الحاضر للتنازل عن حقوق راسخة سلطانية لأجل عنوان خلافة وهمية مقيدة في وضعها بشرائط ثقيلة لا تلائم أحوال الملك ومعرضة بطبيعتها للقلقة والانتزاع والخطر العظيم ولذلك لا يزال السلاطين أنفسهم الى الآن يابون التلقب بالخلافة رسمياً في مشوراتهم ومسكوكاتهم وإنما تمضغها أفواه البعض فيسلوكها التزكّي تعظيماً لقومه والعربي ثقافاً لسلطانه والمصري اتباعاً للمرائين والهندي اعتزازاً بالوهم والاجنبي هزواً ومكراً بخلاف سلطان مراکش وأمير عمان وإمام اليمن المتنازعين في هذا المقام رسماً للتقاطعين لأجله على أنهم قد شعروا أو كادوا يشعرون بضررهم السياسي في ذلك ولا نعلم متى يخلق الله من يسمي في إقناعهم جميعاً بترك هذه الدعوى الداعية للانفراد والتخاذل ويرتب بينهم قواعد محافظة الاستقلال السياسي ومراسم التشريفات والمحاطبات وروابط التعاون والاتحاد بصفه سلاطين وأمراء كما آل اليه الأمر على عهد الخلفاء العباسيين مع السلاطين الحارزمية والديلم والايوبيين وغيرهم

ثم قال الأمير وقد حملتني إشارات السيد العراقي في كلامه على الجامعة الدينية تحت لواء الخلافة أن أفكر في القواعد الأساسية التي ينبغي أن يبنى عليها ذلك فلاح لي ما قيدته في هذه المكرة وأخرج من جيبه ورقة قرأها وعند ختام مجلسنا استنسختها منه وهذه صورتها .

- (١) اقامة خليفة عربي قرشي مستجمع للشرائط في مكة
- (٢) يكون حكم الخليفة سياسة مقصوراً على الحطة الحجازية ومربوطاً بشورى خاصة حجازية
- (٣) الخليفة ينوب عنه من يرأس هيئة شوري عامة إسلامية
- (٤) تتشكل هيئة الشورى العامة من نحو مائة عضو متحيين مندوبين من قبل جميع السلطات والإمارات الإسلامية وتكون وظائفها منحصرة في شئون السياسة العامة الدينية فقط
- (٥) تجتمع الشورى العامة مدة شهر في كل سنة قيل موسم الحج
- (٦) مركز الشورى العامة يكون مكة عندما يصادف الحج موسم الشتاء والطائف في موسم الصيف
- (٧) تقرر الشورى يوم افتتاح كل اجتماع على انتخاب نائب الرئيس ويعينه الخليفة
- (٨) تتعين وظائف الشورى العامة بقانون مخصوص تضعه هي ويصدق عليه من قبل السلطات والامارات
- (٩) ترتبط ببيعة الخليفة بشرائط مخصوصة ملائمة للسرعة بناءً على أنه اذا تعدى شرطاً منها ترتفع بيعته وفي كل ثلاث سنين يعاد تجديد البيعة
- (١٠) انتخاب الخليفة يكون منوطاً بهيئة الشورى العامة
- (١١) الخليفة يباغ قرارات الشورى ويراقب تنفيذها
- (١٢) الخليفة لا يتدخل في شئ من الشؤون السياسية والإدارية في السلطات والامارات مطلقاً
- (١٣) الخليفة يصدق على تولية السلاطين والأمراء التي تجري احتراماً للشرع على حسب أصولهم القديمة في وراثتهم للولاية
- (١٤) الخليفة لا يكون تحت أمره قوة عسكرية مطلقاً ويذكر اسمه في الخطبة قبل أسماء السلاطين ولا يذكر في المسكوكات
- (١٥) يناف حفظ الأمن في الحطة الحجازية بقوة عسكرية تتألف من ألفين الى ثلاثة آلاف من جنود مختاطة ترسل من قبل جميع السلطات والامارات
- (١٦) تكون القيادة العامة للجنود الحجازية منوطة بقائد من قبل أحد الامارات الصغيرة
- (١٧) يكون القائد تحت أمر هيئة الشورى مدة انعقادها
- (١٨) هيئة الشورى تكون تحت حماية الجنود المختاطة

أما وظائف الشورى العامة فيقتضي أن لا تخرج عن تمحيص أمهات المسائل الدينية التي لها تعلق مهم في سياسة الأمة وتأثير قوي في أخلاقها ونشاطها . وذلك مثل فتح باب النظر والاجتهاد تمحيصاً للشريعة وتيسيراً للدين وسد أبواب الحروب والغارات والاسترقاق اتباعاً لمقتضيات الحكمة الزمانية . وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من إرشاداتها وإن كانت غير مسلمة وسد أبواب الاتقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . وكفتح باب أخذ العلوم والفنون النافعة ولو عن المجوس وسد باب إضاعة الاوقات بالعبث ونحو ذلك من أمهات المنجيات والمهلكات

ثم قال الأمير وبمثل هذا الترتيب تتحل مشكلة الخلافة ويتسهل عقد اتحاد اسلامي تضامني تعاوني يقتبس تربيته من قواعد اتحاد الألمانين والامريكيانيين مع الملاحظات الخاصة . وبذلك تأمن الحكومات الاسلامية الموجودة على حياتها السياسية من الغوائل الداخية والخارجية فتتفرغ للتزقي في المعارف والعمران والازوة والقوة بما لا بد منه للنجاة من الممات . وما أجدر امارات الجزيرة بالسبق الى مثل هذا الاتحاد

قال صاحب : يستشف من ظاهر فكر مولاي الأمير انه لا يجوز الاتكال على الملوك العثمانيين العظام في أمر الخلافة علاوة على السلطنة

قال الأمير : اني أحب العثمانيين للطف شئائهم وتعظيمهم الشعائر الدينية ولكن النصيحة للدين تستلزم قول الحق وعندي أن آل عثمان العظام أنفسهم اذا تدبروا لا يجدون وسيلة لتجديد حياتهم السياسية أفضل من اجتماعهم مع غيرهم على خليفة قرشي قال صاحب : أخبرني أيها الأمير أحد أعضاء الجمعية انه لما رأى السيد الفراتي يميل للتقيب عن سياسة العثمانيين واستمالة الجمعية عابهم لا لهم ذكر له مرة ذلك متلوماً وقال له : ألا ينبغي ستر أحوالهم والمدافعة عنهم لاتهم أعظم دولة اسلامية موجودة؟ فأجابه بأن ذلك كذلك لولا أن فيه تغرير المسلمين وتركهم متكئين على دولة ما توقفت لتفع الإسلامية بشئ في عنفوان شبابها بل أضرتها بمحو الخلافة العباسية المجمع عليها وتخريب ما بناه العرب وإقناء الامة بفتوحاتها شرقي أوربا ومدافعاتها عنه وانه لا يقصد بكشف الحقيقة وإظهارها غير إزالة الغرور والاتكال المستولين على جماهير المسلمين بسبب عدم التأمل . ثم قال له :

أليس الترك قد تركوا وفود المتنجنين يعودون خائنين ، وتركوا المستنصرين بهم

عرضه للمتقين ، وتركوا ثلثي ملكهم طعمة للمتغلبين ؟ أمّا أن لهم أن يستيقظوا ويصبحوا من النادمين على ما فرطوا في القرون الخالية فتركوا الخلافة لأهلها والدين لحماة ويحتفظون هم على بقية ساطنتهم ويكتفون بشرف خدمة نفس الحرمين وبذلك يتقون الله في الاسلام والمسلمين ؟

وقال أيضاً انه غير متعصب للعرب وانما يرى ما لا بد أن يراه كل حر مدقق يتفحص الأمر من أن الغيرة على الدين وأهله والاستعداد لتجديد عزّ الاسلام منهصران في أهل المعيشة البدوية من العرب اذ يرى أن المشيئة الالهية قد حفظتهم من تلك الامراض الأخلاقية التي لا دواء لها كفالج الحرية في الحواضر باعتقاد أهلها انهم خلقوا أنعاماً للامراء، وكجذام التربية في المدن بوضعهم النساء في مقام ربائط للاستمتاع، وكطاعون الحياة في بعض الأقسام بألفهم اللواط الميت الأخلاق الشريفة دفعة الذي جزى الله أهله بخسف الارض بهم تطهيراً لها منهم ، وكوباء النشاط في أهل الاراضي الحصبية حيث يسهل ان يغتوا فيطروا فتفسد أخلاقهم فيخسروا الدنيا والآخرة .

قال الامير : نعم الرأي ونعم التدقيق

قال صاحب : ان ما ذكر مولاي من حصر صفة الخلافة في خليفة قرشي في مكة ترتبط به جميع الساططات والامارات الاسلامية ارتباطاً دينياً وما وصف من تشكيل الشورى العامة المؤيدة لهذا الارتباط الديني لأمر عظيم جداً . والغالب أن الدول المسيحية التي لها رعايا من المسلمين أو المجاورة للمسلمين تحذر من أن يجر جمع الكلمة الدينية الى رابطة سياسية تولد حروباً دينية فتعتمد هذه الدول الى عمل الدسائس والوسائل لمنع حصول هذا الارتباط بالمرّة فما هو التدبير الذي يقتضي اتخاذه أمام تحذر الدول من ذلك

قال الامير : لا يفكر هذا الفكر غير الفاتكان وأحزابه الجزويت وأمثالهم أما رجال السياسة في انكلترا وروسيا وفرنسا وهي الدول العظام التي يهملها التفكير في هذا الشأن فقد علمتهم التجارب النتائج الآتية وهي :

(١) ان المسلمين لا يتصرون أبداً لاسيما في زمان يتعديه التصاري عن نصرانياتهم

(٢) ان المسلمين المستعبرين أفراداً وجموعاً أبعد عن الفتن من الجاهلين

(٣) إن العرب من المسلمين أقرب من غيرهم للألفة وحسن المعاملة والثبات

على العهد . فاذا أرشد أولئك السياسيون لان يضموا الى معرقتهم هذه علمهم أيضاً

بالحكام الاسلامية في مسألة الجهاد التي يهيئونها علما يستخرجونه مما عندهم من تراجم القرآن الكريم لامن مؤلفات متعصي الفريقين حيث يجدون نحواً من خمسين آية بأساليب شتى كلها تنهى عن الإلحاح في الهداية الى الدين فضلاً عن التشديد والالزام بالقتال كقوله تعالى «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» «وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ» ويجدون آيتين في التشديد احدهما (فاصدع بما تؤمر) والاخرى (وجاهدوا في الله حق جهاده) وبمراجعة أسباب نزول هاتين الآيتين يعلمون انهما نزلتا في حق المشركين والكتائبين من العرب ولا يوجد في القرآن ملزم لا اعتبار عمومية حكمهما . واذا دققوا البحث يجدون أن ليس في علماء الاسلام مطلقاً من يمحصر معنى الجهاد في سبيل الله في مجرد محاربة غير المسلمين بل كل عمل شاق نافع للدين والدنيا حتى الكسب لأجل العيال يسمى جهاداً . وبذلك يعلمون أن قصر معنى الجهاد على الحروب كان مبنياً على إرادة الفتوحات والتوسل للتشجيع حين كان مجال للفتوحات كما أعطي اسم الجهاد مقابلة لاسم الحروب الصليبية التي أشعل نارها المسيحيون ثم بعطف نظرهم الى التاريخ يجدون أن العرب منذ سبعة قرون لم يأتوا حرباً باسم الجهاد وما كانت تعديات اساطيل إمارات الغرب الا من قیل القرصان الذي كان مألوفاً عند جميع امارات الارخبيلين الصقلي واليونان وكلهم نصارى . اما غارات التاتار على شمالي اوربا وغارات الترك على شرقها فكذلك ليست من نوع الجهاد ولا من الحروب الدينية وانما هي من ملحقات غارات البرابرة الشماليين على أوربا . ويجدون انهم كما أغاروا على اوربا أغاروا على البلاد الاسلامية ثم أسلم التاتار وحسنت اخلاقهم اما الترك فاذا دقق الاوروبيون في سياستهم يجدونهم لا يقصدون بالاستناد للدين غير التلاعب السياسي وقيادة الناس الى سياستهم بسهولة وإرهاب أوربا باسم الخلافة واسم الرأي العام . وعدم اشتراك البلاد العربية في المذابج الارمنية الأخيرة برهان كاف على أن الاسلامية بمنزل عن المجافاة لأن العرب يفهمون معنى القرآن فيدينون به . وقد يندهش الاوروبيون اذا علموا أن السياسة التركية لم يوافقها أن تترجم القرآن الى اللغة التركية الى الآن .

ولدى رجال السياسة دليل مهم آخر على ان اصل الاسلاميه لا يستلزم الوحشه بين المسلمين وغيرهم بل يستلزم الالفة وذلك أن العرب اينما حلوا من البلاد جذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم ولغتهم كما انهم لم ينفروا من الامم التي حلت بلادهم

وحكمتهم فلم يهاجروا منها كعدن وتونس ومصر بخلاف الأتراك بل يعتبرون دخولهم تحت سلطة غيرهم من حكم الله لأنهم يدعون لكلمة ربهم تعالى شأنه « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (كذا) فإذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابعها لا يحذرون من الخلافة العربية بل يرون من صوالحهم الخصوصية وصوالح التصرائية وصوالح الانسانية أن يؤيدوا قيام الخلافة العربية بصورة محددة السطوة مربوطة بالشورى على النسق الذي قرأته عليك.

ثم على فرض أن الدول ولو المسلمة أرادت عرقلة هذا الأمر فهي لا تقوى عليه لأن أفكار الأمم لا تقاوم ولا تصادم على أنني لاظن بمثل فرنسا أن تتخذه لرأي أنصار الجزويت لاسيما بعد أن تعلمت من الانكليز كيف تسوس المسلمين فأبقت لتونس أميرها فاستراحت مما عانته قبلا في الجزائر بسبب السياسة التعصبيه الخرقاء قال صاحب : أستشف من كلام مولاي الأمير أن أمه ضعيف في تشكيل جمعية تعليم الموحدين مع أنه معجب باتقان التدبير.

قال الأمير : إن دون تشكيل الجمعية عوائق مالية شتى وأرجو الله تعالى أن يزيهاها. قال صاحب : أتني جاهد في الوقوف على خبر السيد الفراتي ولعلي أظفر بمعرفته فاجتمع به أو أكتبه فهل لمولاي الأمير رأي أو أمر أبلغه إياه إذا ظفرت به .

قال الأمير : نعم إذا ظفرت بمعرفته فاقربه مني السلام وبلغه عني هذه الجمل وهي أنني أتني على صدق عزيمته . وعلى حسن انتخابه رفقاء وأوصيه بالثبات والإقدام ولو طال المطال . وأن يحرص على إبقاء علاقته مع أعضاء جمعية أم القرى باستمراره على مكاتبهم . وإن لا يهتبط من مساعدة القسطنطينية أو مصر أو مراکش أو طهران أو كابل أو حائل أو عمان لاسيما بعد انعقاد جمعية تعليم الموحدين ورسوخها .

قال صاحب : إذا ظفرت به إن شاء الله أبشره بخبر مولاي الأمير وأبلغه كل ما أمر به.

﴿ انتهت المحاوره ﴾

يقول (السيد الفراتي) قد ألحقت هذه المحاوره بسجل المذاكرات وكتبت بها الى باقي الاخوان تنويهاً بشأن حضرة الأمير المشار اليه وشكراً على غيرته وتبصيراته واقتضاراً بحسن ظنه ونظره في هذا العاجز وتبشيراً لجناحه وللمسلمين بأن جمعية أم القرى قد أحكم تصورها وتأسيسها فهي بعناية الحي القيوم الابدی حية قائمة أبداً

﴿ تذكرة ﴾

ربما يتأخر تشكيل جمعية تعليم الموحدين مدة فالأموال من الجمعيات الإسلامية الموجودة في الهند وقازان والقرم ومصر وغيرها أن لاتألف من تنوير أفكارها بمباحث هذا السجل فنقتبس منه مايناسبها وتخذالقانون والوظائف مثالا وذكرى

﴿ رجاء ﴾

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعنده شبهة حية ومروءة فلا يجسس عن جمعية أم القرى وأعضائها بقصد إيصال سوءالها وليعلم أن يده وإن طاولت الافلاك أقصر عن الإضرار بها لان الجمعية في أمان الاخلاص ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

﴿ تهوين ﴾

ليعلم أسراء التقليد وورثة الأوهام ومعظمو العظام ومؤهلو الطغام ان تألمهم من صدمة بعض هذه المباحث لما ألفوه عمرهم هو تألم مبالغت لايلبث أن يزول متى خلوا بعقولهم وحكموا بالحكمة والإنصاف ونأملواحق الايمان وناطق القرآن وحينئذ ينجلي لهم الحق ويندمون كما ندم قبلهم الاولون فيتوبون ويتوب الله عليهم والله يهدي من يشاء

(اعلان)

من أحب أن ينجد مقاصد جمعية أم القرى برأي فائق أو عمل مهم أو رغب في تعضيدها بجاه أو مال وأراد مراسلة الجمعية أمكنه أن يرسل وكالة الجمعية بدون اسم بل بارسال كتاب معنون الى مدينة الى صندوق البوستة عدد وإذا أراد التخفي يمكنه أن يكتبها أولا باسم له محتاق ثم بعد أخذه الجواب الاول يستعمل الكتابة الجفرية الموضحة في الجدول المذيل به هذا السجل

والذين يرجى منهم تعضيد مهم كحضرات الامراء العظام والاغنياء الكرام فلهم أن يطلبوا رسولا من قبل الجمعية ليوضح لهم ما يستوضحون (انتهى)

(المنار) قد انتهى كتاب سجل جمعية أم القرى وما ألحق به . وقد كنا اتفقنا مع جامعه السيد الفراتي (نعمة الله برحمته) على نشره في المنار بتصرف يختص بتصحيح عبارته وحذف مساوي الدولة العلية (ايدها الله تعالى) منه . ثم استحسن فضلاء القراء عدم حذف شيء منه فاللمطالعين على ما نشرناه من أول سنة المنار الى الآن ان يتقوا بأنهم اطعموا على هذا السجل كله بعبارة أصح الاجملة واحدة ذكر فيها خديو مصر بأنه مرجو لمساعدة الجمعية والاجدول المخاطبة الرمزية

باب الاسئلة والاجوبة

(س ١) أحوال الآخرة : على اقنـدي مهيب بتفتيش التلغرافات بمصر : جاء في كتاب الاحياء للامام الغزالي في باب العقائد من الجزء الاول أنه لا يقبل إيمان العبد حتى يؤمن بالأمور الآتية وهي (١) سؤال منكر ونكير (٢) عذاب القبر (٣) وزن الاعمال يوم الحساب : يزان ذى كفتين وصنـج (٤) صراط ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف (٥) حوض مورود لمحمد صلى الله عليه وسلم (٦) شفاعـة الانبياء والعلماء والشهداء (٧) فضيلة النبي عليه الصلاة والسلام على جميع الناس ومن بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . فهل كل ذلك صحيح ثابت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم كما يقول صاحب الاحياء أفيدونا أثابكم الله ونفعنا بعلمكم (ج) إنما ذكر الغزالي ما ذكره في أصول الاعتقاد على الوجه الذي عليه الأشاعرة وأشار إلى الرد على مخالفهم من المعتزلة والشيعة وبعض أهل السنة الذين أولوا ما ورد في بعض ذلك . والغزالي لا يقول بكفر أولئك المخالفين للأشاعرة بل صرح في مواضع من كتبه (لا سيما كتاب إلبام العوام عن علم الكلام) بأن المؤمن إذا عاش ومات ولم يعلم بتلك المسائل التي اختلف فيها المتكلمون من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم لا يخل ذلك بإيمانه . ومن تلك المسائل الخلاف في صفات الله تعالى هل هي عين الذات أو غير الذات والخلاف المعروف في كلام الله تعالى الحـكـيف يكفر أهل القبلة بعدم الإيمان بالمسائل التي ليست من أصول الدين وعقائده كالفاضل بين الصحابة . فقوله : انه لا يتقبل إيمان أحد حتى يؤمن بما أخبر به (النبي) بعد الموت : صحيح فان أركان الإيمان ثلاثة الإيمان بالله وصفاته والإيمان بالنبوة والإيمان بالآخرة وأحوال الآخرة تعرف بالسمع فكل ما صح بالتواتر وجب الإيمان به قطعاً وكان انكاره كفر بشرطه ويؤخذ على ظاهره المفهوم من أسلوب اللغة اذا لم يكن محالاً عقلياً فان كان ظاهره محالاً فاعتقاد المحال غير مكافئ به في الاسلام فلك ان تأول ولك ان تقوض . وان كان ما ورد غير متواتر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكفر منكره . ومن ثبت عنده الحديث وجب عليه الإيمان بمضمونه وله أن يأوله اذا كان ظاهره غير مقبول حتى ينطبق على وجهه . معقول

وأما ما فصله الغزالي بعد تلك الكلمة الصحيحة في اجمالها فلا يريد به أن هذا التفصيل شرط في قبل الإيمان وإنما يريد ان هذا هو الراجح عند أهل مذهبه

ولذلك أشار الى توحيه والرد علي مخالفه في ركن السمعات من الفصل الثالث في لوامع الأدلة ولم يذكر هناك الحوض وفيه أحاديث صحيحة وأما وصف الصراط بما ذكر فقد رواه مسلم عن أبي سعيد موقوفا عليه فإنه قال بلغني ولم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ولكن رفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أنس وضعفه. والمأولون يقولون ان الصراط هو صراط الدين أي طريقه وردعابهم بقوله تعالى « فاهدوهم الى صراط الجحيم » ولكن الآية لا تدل على ان المراد بالصراط ما كان بذلك الوصف

وأما الميزان فلم يرد في وصفه بما وصفوه به من الكفتين واللسان والصنج أحاديث صحيحة . وفي القرآن ذكر الوزن والموازن قال بعض المفسرين انها جمع موزون . والاكثرون على أن هناك وزنا حقيقيا وذهب بعض الى أنه تمثيل المراد به العدل قال تعالى « ونضع الموازين القسط يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا » روى الطبري من طريق أبي نجيح عن مجاهد أنه قال : « إنما هو مثل كما يحجر الوزن كذلك يحجر الحق » ومن طريق ليث بن أبي سليم عنه أنه قال « الموازين العدل » وقد نقل هذا القول عن غيره من السلف كالضحاك والاعمش . ولما أخذ المعتزلة بهذا القول عرف بهم وصار ينسب من يقول به الى الاعتزال حتى قال ابوداود عن أبي سلمة عثمان بن مقسم البري المحدث الثقة الصدوق : أنه قدري معتزلي : وما كان معتزليا الا أنه أنكر الميزان . والمقصود من هذه النقول أنهم لا يقولون بكفر من خاف الجمهور في هذه المسائل فتبين بهذا أن ما ذكره الجمهور في وصف أحوال يوم القيامة بالتفاصيل المعروفة ليس شرطاً في صحة الايمان بحيث يكفر من لا يعتقد ما ورد فيها ليس كله قطعي الثبوت والدلالة والأسلم في الأمور الغيبية أن لا يبحث الانسان في كيفية بل يسلم بما ثبت في النصوص القطعية ويفوض الأمر في الكيفيات الى عالم الغيب والشهادة ولا يعتقد محالاً عقلياً

﴿ الجهر والاسرار بالصلاة وخطبة الجمعة والعيد ﴾

(س ٢) و. ز. في -وريا : لماذا شرع الجهر بالقراءة في الفجر والركعتين الاوليين من المغرب والعشاء؟ ولماذا كانت خطبة الجمعة قبل صلاتها وخطبة العيد بالعكس؟ أفيدونا
لازئم ما جاء الاسلام

(ج) إنما الجهر في الصلاة الليلية التي تصلى في وقت الظلام غالباً فقد جاءت السنة الصحيحة بأنهم كانوا ينصرفون من صلاة الصبح ولا يكاد يرى بعضهم بعضاً . ومن

المعهود أن الانسان في وقت الظلام لا يخلو من أحد حالين النعاس او الخواطر الكثيرة ورفع الصوت يعين على طرد النعاس ودفع الخواطر والوسواس كما ورد في الأثر عن سيدنا عمر رضي الله عنه . قال اقرب عندي أن هذه هي حكمة الجهر في هذه الصلوات وفي معناها اهتداء داخل المسجد ليلا الى معرفة المصلي ليأتم به . وللصوفية وغيرهم في ذلك أقوال غير جلية . وأما تقديم خطبة الجمعة فالاهتمام بها لانها هي المقصود الأول في ذلك الاجتماع ولذلك قصرت صلاة الظهر لأجلها . وأما خطبة العيد فهي مقصود ثان حتى ان صحة الصلاة لا تتوقف عليها بخلاف الجمعة كما أنها اذا قدمت على الصلاة تجزي عند بعض الأئمة وقد فعل ذلك مروان فانكر عليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وقال له خالفت السنة ولكنه لم يقل بأن الصلاة لم تصح ولا طالبه بإعادة الخطبة . والأثر في البخاري وغيره وفيه أن سبب تقديم مروان الخطبة أنه رأى الناس ينصرف كثير منهم بعد الصلاة كما يفعلون الآن ولا ينتظرون سماع الخطبة فلعل هذه البدعة أقدم البدع في ترك السنة .

(س ٣) الحشيش والأفيون — الشيخ محمد البهي بفاقوس : ثبت عن الفقهاء ان الحشيش ومثله الأفيون يجوز تعاطي القليل منه مع أن القاعدة الأصولية أن ما أسكر كثيره فقليله وكثيره حرام والحشيش يسكر كثيره فكيف العمل بهذه القاعدة منع تجويز العلماء لما قل منه أرجوكم ان تفضلوا بالجواب الشافي عن ذلك جزئتم عن الدين أحسن الجزاء (ج) لا اذكر أن أحداً من الفقهاء الذين يعتد بأقوالهم أجاز قائل الحشيش على أن قول العالم اذا خالف أصول الشريعة وقواعدها الثابتة لا يلتفت اليه مالم يذكر دليلاً يثبت به أن قوله لا ينافي تلك الأصول . وتحريم ما أسكر القليل منه ثابت بالأحاديث الصحيحة . وقد استحسنت ان اقل هنا عبارة أوردها ابن حجر الهيثمي في كتابه الزواجر لابتلاء الناس في هذه البلاد بالحشيش وهي :

« واعلم أن الحشيشة المعروفة حرام كالخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج افساداً عجيماً حتى يصير في متعاطيها تخنث قبيح وديانة عجيبة وغير ذلك من المفسد فلا يصير له من المروءة شيء البتة ويشاهد من أحواله خثوثة الطبع وفساده وانقلابه الى أشر من طبع النساء ومن الديانة على زوجته وأهله فضلاً عن الأجانب ما يقضي العاقل منه بالعجب العجيب . وكذا متعاطي نحو البنج والأفيون وغيرها مما مر قبيل البيع . والخمر أخبت من جهة أنها تفضي الى الصيال على الغير وإلى المحاصمة والمقاتلة

والبطش . وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة
 « ورأى آخرون من العلماء تمزير آكلها كالبنج . ومما يقوي القول بأنه يحذر
 أن آكلها يتشي ويشتهي كالتمر وأكثر حتى لا يصبر عنها وتصد عنه ذكر الله
 وعن الصلاة مع ما فيها من تلك القبايح . وسبب اختلاف العلماء في الحد فيها وفي
 نجاستها كونها جامدة مطعومة ليست شرباً فقليل هي نجسة كالتمر وهو الصحيح عند
 الشافعية وقيل المائنة نجسة والجامدة طاهرة (قال) وهي على كل حال داخلة فيما
 حرم الله ورسوله من التمر المسكر لفظاً ومعنى

« قال أبو موسى رضي الله عنه يا رسول الله أفتنا في شرايين كنا نصنعهما باليمن
 البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد
 قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطي جوامع الكلم بخواتمه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام » رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما أسكر
 كثيره فقله حرام » ولم يفرق صلى الله عليه وسلم بين نوع ونوع ككونه ما كولا
 أو مشروباً . على أن التمر قد يتأقم بها بالخبز والحشيش قد تذاب فكل منهما يؤكل
 ويشرب . وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضين وإنما حدثت
 في مجيء التار إلى بلاد الإسلام . وما أحسن ما قيل :

فآكلها وزاعمها حلالاً فلك على الشقي مصيبتان

فوالله ما فرح ابليس بمثل فرحه بالحشيشة . لأنه زينها للانفس الخسيسة » اهـ

﴿ باب التقريظ ﴾

(الجواهر الكلامية . في العقيدة الإسلامية)

الشيخ طاهر الجزائري هو أشهر العلماء ودعاة الإصلاح في بلاد الشام وقد كان
 ألف عقيدة مختصرة لتلامذة المدارس أيام كان مفتش معارف ولاية سوريا تخرى فيها
 السهولة وجعلها أمانة وأجوبة فكانت أمثل المختصرات لتلامذة المبتدئين وفيها مالا
 يوجد في غيرها من العقائد كيان اعتقاد المسلمين في التوراة والإنجيل والزبور
 الموجودة الآن وما هي من المذكورة في القرآن . وفي العقيدة بعض المسائل الخلافية
 التي كنت أود لو لم توجد وهي قليلة وما ذكره فيها هو المشهور عن الجمهور

(الجوهرة الوسطى) ثم انه لما رأى في هذه السنة اقبال المدارس على عقيدته نقحها وألف رسالة أخرى سماها الجوهرة الوسطى سلك فيها مسلكاً لطيفاً في التبصرة والاستدلال ينبغي أن يختص بتلامذة المدارس الثانية أو العالية وقد طبعت الرسالتان معاً بحرف دقيق في شكل صغير فكانتا ١٢٠ صفحة فتصح لمدارس مصر الأهلية بأن تقرأ هذه العقيدة في مدارسها وتتمها قرشان صحيحان

(كتاب لسان الصدق جواباً للكتاب المسمى ميزان الحق في الرد على انصارى) تأليف الشيخ على البحراني أحد علماء الإمامية الأعلام في الهند وهو كتاب جليل في بابه محكم الوضع قوي الحجج حسن الترتيب فيه مقدمة في اثبات الصانع وصفاته واثبات الرسالة أشار فيها إلى ضعف مذهب الأشعرية وغيرهم في بعض المسائل ويتلو المقدمة ثلاث مقالات في كل مقالة مقدمة وعدة مناطق يرد بها على القسيس مؤلف كتاب (ميزان الحق) ومن مباحث المقالة الأولى اثبات النسخ في الشرائع والتحريف في التوراة والإنجيل وبيان كون القرآن يغني عنهما، ومن مباحث المقالة الثانية تفنيد دعواهم اتفاق اليهود والنصارى في ما عدا الاعتقاد بالمسيح وبيان تناقض الأنجيل وإبطال ألوهية المسيح. ومن مباحث الثالثة تفنيد مطاعنهم في القرآن وفي النبي عليه الصلاة والسلام. وبيان بشارات كتبهم به. والكلام في الأحاديث النبوية. وبالجملة انه لم يترك مطعناً من مطاعنهم الا وقده وأزال شبهتهم فيه. ثم ختم الكتاب بخاتمة في اثبات مذهب الإمامية وجعل في آخرها قصيدة أشار فيها إلى مطالب الكتاب ومباحثه. وذلك ان فرقة الشيعة أشد غناية من سائر المسلمين بالدعوة إلى مذهبهم

وقد كان الكتاب طبع في الهند طبعاً سقيماً كسائر المطبوعات الهندية. فانتدب الكتيبي الغيور الشيخ محمد المايجي وأعاد طبعه بمطبعة الموسوعات في مصر فكان طبعاً متقناً نظيفاً وبلغت صفحاته ٤٧٥ من القطع المتوسط وهو يطالب من مكتبته بقرب الأزهروغيرها فتحت أهل العلم والفضل على مطالعته

(وقاية الشبان . من المرض الافرنجي والسيلان) كتاب جديد ألفه الدكتور سعيد أبو جرة مؤلف كتاب (حياتنا التناسلية) أما حاجة أهل هذه البلاد التي فشا فيها الفسق إليه فظاهرة وأما كون الكتاب وافياً بهذه الحاجة فلنا أن نحكم به أو نستأنس له بتوجيه همه المؤلف وغايته إلى هذه المباحث حتى انه ألف فيها كتابين . وطبع هذا الكتاب كسابقه في مطبعة الهلال وصفحاته زهاء مئتين وثمته ١٢ قرشاً واجرة

البريد قرشان ويطلب من مكتبة الهلال بمصر
(الراوي) جريدة يومية سياسية تجارية أنشأها في العاصمة يوسف بك طلعت
وأنشأ لها مطبعة خاصة واختار لها عدة محررين من كتاب السوريين المشهورين
بالاشتغال بالصحافة فتود لو تصادف رواجاً ونجاحاً ولكن رجاءنا في ذلك ضعيف إلا
أن تسلك الجريدة مسلكاً ممتاز به ولا يجده القراء في سائر الجرائد الأخبارية وما
ذاك الآن تتبرأ من الميل إلى إحدى القوتين الموجودتين في البلاد وتصدرزنا طويلاً
على قول الحق الخالص من غير نظر إلى مرضاة الناس وغضبهم وأعني بهذا أن
تكون تاريخية لا سياسية • وبعد ذلك تكون موضع ثقة جميع العقلاء والفضلاء

بَابُ الْحَبْلِ الْأَلْوَنِ

﴿ العربي الجواد • وهل سلم من سعاية وانتقاد ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي خبر تخرج صديقنا محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين
(واشهر تجار الأؤلؤ في خليج العجم) على السويس في طريقه إلى الحج وكيف بسط
يديه بالنوال حتي صار كل من لقى خبره يذكر كرم أمراء العرب الأولين ، وعطايا
الحلفاء والسلطين ، ونقول الآن انه بعد ان وزع الصدقات على الفقراء ، وأهدى
الهدايا للأغنياء ، وبعد ان بذل المساعدة للمدارس الإسلامية والقبطية والأجنبية وبعد
أن أخذ على نفقته نحو مئة وعشرين حاجاً من الفقراء وبعد ان ظهر امتعاضه لأن
سائر قاصدي الحج رجموا خائنين لان سفينة (البحيرة) لم تسعهم وأوصى من كان قائماً بشؤنه
(وهو السيد النسيب مصطفى هاشم وكان الباشا في السويس بصفة ضيف وتزيل في هذا
البيت الكريم) بأن يجمع من بقي من الفقراء وهم يعدون بالمئين ويرسلهم على
نفقته في أول وابور يحمل حجاجاً من السويس • وبعد ان جاء في بعض الجرائد
ان السيد المذكور وفي بما عهد اليه فاستأجر سفينة مخصوصة من بواخر شركة ليمتد
(بواخر البوسطة الخديوية) فحمل عليها الحجاج الباقين = بعد هذا بعضه أو كله كافاً
بعض الناس في مصر هذا المحسن الجواد ، بالسعاية والانتقاد

بيننا كنا نسمع بعض الوجهاء في السويس يقول انه لم يبق بيت في هذه المدينة لم يصبه نوال هذا الأمير العربي اذا ببعضهم يقول ان أكثر هذه العطايا في غير موضعها ولو كان بنى هذه الأموال جامعا مثالا لكان أفضل وأبقى لذكره !! فأجابه كاتب هذه السطور: ان الكرم علي قسمين كرم العقل وكرم النفس فالأول يجري فيه الحساب والتقدير واختيار الطريق الذي يوصل الى نباهة الذكر أو زيادة النفع وهذا الكرم يكون في الغالب مكتسبا بالتربية والتعليم • وأما الثاني فهو سجية في النفس يكون لصاحبها أريحية وهزة تبعثه على البذل متى وجد له طريقا ما ولا يأتي فيها الحساب والتقدير ، ولا توخي نباهة الذكر ولا حسن المصير ، وكرم صاحبنا من هذا النوع ومنه كرم سائر الأجواد المعروفين كخاتم الطائي وكعب بن مامة ومعن بن زائدة .

ثم رأينا جريدة مصباح الشرق تسأل سؤال قضاة التحقيق عن تاريخه واسببه وحدود بلاده وعددرعيته ومقادير العطايا التي جاد بها وعن الحجاج الذين حملهم هل دفع عنهم التأمين الذي فرضته الحكومة على الحجاج المصريين وعن منابع ثروته واستتجت من ذلك توهين خبر الجرائد ، ونحن نحيب بأن رواة الجرائد كتبوا اليها ما وأوه بأعينهم وسمعوه بأذانهم فلم يكن لهم حاجة في تصديق الخبر بامساك هذا الرجل عن عمل البر وإشغاله بأملاء تاريخه وتاريخ بلاده عليهم لأنه يوجد في مصر جريدة ساء ظنها بالناس حتى انها تكتفي في مقام الذم بأضعف الشبهات ، ولانكتفي في مقام المدح بالمشاهدة حتى يؤيدها جميع ما يخطر بالبال من النظريات ،

قلنا ان الرجل أمير أي انه أمير في نفسه وقومه لانه سلطان ذو مملكة ورعيته وقلنا انه شيخ دارين أي انه رئيس تلك الجهة وان شئت قلت انه أميرها ولكن العرب هناك يفضلون كلمة (شيخ) على كلمة (أمير) فيقولون شيخ الكويت وشيخ البحرين • وأما دارين فهي ميناء نجد على خليج العجم من زمن الجاهلية وفيها قال الشاعر العربي ما يعرف في شواهد كتب النحو وهو:

يمرون بالدهنا خفافاً عياهم ويرجعن من (دارين) بجر الحقائق
وقد كانت عفت فأحيا معالمها محمد عبد الوهاب هذا • وأما ينبوع ثروته التي استكثرها صاحب المصباح فهو تجارة اللؤلؤ على أنه كان غنياً قبلها • ومن لطائف الاتفاق ان جريدة ثمرات الفنون الغراء كانت في أثناء وجود هذا الرجل مبحراً من السويس تعرب نبذة في صيد اللؤلؤ وقد جاء فيها ما نصه :

« واليك بيان كمية اللؤلؤ الذي صيد في هذا العام : جهزت سواحل الخليج ٤٢٠ سفينة فيها ٧٥٦٠ غائصاً فاصطادوا ما قيمته ٨٤٠٠٠٠ وروبية (الروبية فرنك واحد و٦٨ سنتياً) فاشترى هذا الصيد كله تاجر واحد من جزيرة داريان (الصواب من دارين) وجهاز من البحرين سبعمائة سفينة فيها اثني عشر ألف رجل فعادوا بما قيمته ٢٠٠٠٠٠ وروبية • هذا ما كان من المغائص المشهورة وأما ما أخرج في غيرها من المغائص فلم تزل قيمته مجهولة » اهـ

ونحن قد علمنا من صاحبنا أنه يجهز السفن وأنه يعطي الغواصين الدراهم في أثناء السنة ويحاسبهم عليها عند اخراج اللؤلؤ . فتفنيدهم صباح الشرق قول بعض الجرائد أنه جهز ثلاث مئة حاج بقوله ان ذلك يقتضي أن يكون قد دفع عنهم تأميناً للحكومة قدره خمسة عشر ألف جنيه على الأقل وقوله عنه اذا كان • قد بذل من خرائنه مثل هذا القدر العظيم من المال الذي يكاد يكون أبلغ ثروة تدخرين ساكني نجد وتهامة من أول الزمن الى هذا العهد فهو بلا شك حاتم هذا الزمان وقارون هذه الايام !! كلاهما غير سديد وقد ذهل صاحب المصباح عند كتابة الكلمة الاولى عن كون التأمين الذي تطلبه الحكومة المصرية عن كل حاج في هذا العام هو خاص بالمصريين الذين لا يباح لهم السفر الى الحج بعد سفر الحمل وقد سافر هذا الأمير بفقراء الحجاج بعد سفر الحمل بأيام • هذا وجه خطأ عبارته الاولى وأما استكبار ثروة الرجل وقوله فيها فقد علم أيضاً أنه في غير محله . ونؤكده القول بأن ثروته أكبر مما استكبره على أهل نجد وتهامة من أول الزمن الى هذا العهد .

وبقي أن نشير الى معنى كلمة « السعاية » التي أشرنا في العنوان الى أن هذا المحسن لم يسلم من إساءة أهلها . وذلك أننا علمنا أن عقارب بعض السعاة المحالين الذين يسمون هنا « جواسيس الاستانة » قد دبت الى مرجعها ودبرت حيلة لا يذاء هذا الرجل المحسن في بيت الله وحرمة الآمن بواسطة من هم أهل لذلك في الاستانة وكادوا له كيداً فتنسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم « قاله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين »

﴿ اصلاح لبنان ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي نبذة من اللائحة التي قدمت الى متصرف جبل لبنان على أنها من جماعة المهاجرين اللبنانيين وعلم من تلك النبذة أن الغرض منها إثبات ان سبب تأخر لبنان وانحطاطه هو التعصب الديني في طوائفه أو « الاستقلال الطائفي » الذي

ينافي الاستقلال الوطني الذي تعمربه البلاد وبقي علينا أن نشير الى رأي اللائحة في ملاشاة الاستقلال الطائفي الذي هو شرط الاستقلال الوطني المطلوب بدأ كاتب اللائحة رأيه بتخطة القانون اللبناني في جعل وظائف الحكومة مقسمة بحسب المذاهب الدينية وقال ان هذا يزيد التعصب ثم اتبعها بنبرة افتتاحها بكلمة واشنتون محرراً ميركا في أول خطاب أرسله الى الندوة بعد استقلال الولايات المتحدة وهي « يجب أن نؤخذ مبدأ الشعب الأميركي المستقبل بالمدرسة » ثم قال بعد تمهيد: « يجب أن نجعل الشعب لبنانياً ولا سبيل لنا الى هذه الأمنية الا بإعداد رجال المستقبل فكيف نعدهم ؟ بالمدرسة جعل واشنتون العظيم الشعب الأميركي بمبدأ واحد • وبالمدرسة جعله هكذا عظيماً • وبالمدرسة الحرة جعله هكذا حراً • بالمدرسة يقول بسمرك انه استطاع أن يتغلب على فرنسا • بالمدرسة استطاعت اليابان أن تخرج من الظلمة الاسيوية الحالكة المدهمة • ان الأفكار القديمة لا تجد لها ما تعادون عقول الصغار الا بالمدرسة • فبالمدرسة فقط يستطيع الشعب اللبناني أن يصير وطنياً وان يتحد على مصلحته الطبيعية •

« مولاي قد قال الشارع الفرنسي في نظام التعليم الإلزامي: من حق الحكومة حامية المنافع العمومية أن تحتاط بكلي وسيلة لتلا يكون في الشعب أفراد يجهلون حقوقهم وواجباتهم فاتكن المدرسة من حق الحكومة التي ترأسونها ومن واجباتها ايضاً • ان المدرسة التي نرجو ان تكون حاجزاً بين صغارنا وافكارنا القديمة ليست المدرسة الفرنسية ولا الانكليزية ولا الأميركية ولا الألمانية ولا الإيطالية • لأننا لا نريد أن يكون صغارنا مثلنا اوروبيين واميركيين في لبنان وليست المدرسة الجزويتية لأننا لا نريد ان يكون صغارنا مثلنا متواكلين ضعفاء خبيثاء • ولا المدرسة الطائفية لأننا لا نريد ان يكون صغارنا مثلنا موارنة ودروزا وارثوذكسا وملكيين ومتاوله واسلاماً • ولا المدرسة الدينية لأننا لا نريد ان يكون صغارنا مثلنا لاهوتيين يتجادلون على ما لا يعلمون • إن هذه المدارس موفورة لنا وحالتنا الاجتماعية لا تزداد الا فسادا وتقهقرا • فالمدرسة التي نرجو ان تكون ابناً الى الحياة الجديدة هي المدرسة الوطنية الحرة • هي المدرسة التي تتولاها حكومة منفصلة عن الكنيسة كالحكومة اللبنانية • باختصار قليل • ثم بين طريق إيجاد المدارس الحرة وانفاقه عليها وبحث عن عيوب الحكومة وبين سبيل اصلاح

ونحن نقول ان هذه هي « الوطنية الحققة » لا التي يلغظ بها بعض أحداث المصريين

في مصر بغير فهم ولا شعور ولذلك كان هذا الانعطاف منه سخريّة عند جميع الطوائف في مصر . واننا نعرف بصحة رأي اللائحة ونحزم بأن بلادها فيها للكنيسة سلطان على الحكومة والأمة لا يمكن أن تنجح ولا أن يتفق أهلها على ترقّيها

وليعلم رصيفنا الفاضل صاحب جريدة المناظر أن ما قاله في المقالة التي رد فيها على مقالة السيد البكري (المستقبل الاسلام) من أن في مصر فريقين أحدهما يدعو إلى الوحدة الوطنية والآخر يدعو للوحدة الإسلامية وأن قوة الأول حملت السيد البكري على الانتصار للثاني كل ذلك غير واقع وإنما الوطنية التي نردها ونسفه دائماً أحلاماً أحداها هي وطنية خاطئة كاذبة اتخذت في وقت ما وسيلة للحطام وبقي الكلام فيها أجبانا بناموس الاستمرار . وصاحب هذه الوطنية يمتك طاقة من سكان بلاده الذين هم أعرق منه بالوطنية ويمت من هاجروا إلى هذه البلاد واتخذوها وطناً وصارت سعادتهم بسعادتها ومصالحهم بمصلحتها وان كانت لغته لغتهم وحكومته حكومتهم ودولته دولتهم . وان كان دينه دينهم . فهل تستطيع أيها الوطني الصادق أن تجيز لنا هذه الوطنية الكاذبة ؟

﴿ ملجأ الأيتام واللقطاء ﴾

يسرنا أن جميعه المكارم في الاسكندرية قد شرعت في عمل نافع عظيم وهو إنشاء ملجأ الأيتام واللقطاء وهم الآن يسعون في جمع المال بطريقة الاكتتاب المألوفة وقد افتتح التبرع سمو الأمير بمئة جنيه ثم ان صاحبه الدولة والدة سموه تبرعت بخمسين جنيهاً . وتبرع كثيرون من الأغنياء والوجهاء بما دون ذلك . ولا شك أن سير الاكتاب بهذا البطء والشح لا يبشر بنجاح يذكر وكأني بكثير من الاغنياء لا يجودون بما يليق بثروتهم من السعة احتجاجاً بأن الأدب يقضي بأن لا يدفع أحد مثل ما دفع الأمير فمن كان أقل بذلاً كان أكثر أدباً مع سموه وما هذه الاحجة البخلاء فلو صح ان الأدب في التقصير عما بذل الأمير لكنت زيادة الادب على حسب نسبة النقص والتقصير فمن دفع قرشاً واحداً كان أكمل أدباً ممن يدفع جنيهاً !!! الأمير يقصد بما يعطيه إظهار رضاه عن المشروع فلنا أن نقول ان من كان أكثر عطاءً كان أقرب إلى ما يرضيه وأكمل فضلاً وآداباً في نظره . على أن الواجب في هذا المقام طلب مرضاة الله تعالى وملاحظة المنفعة لعيال الله تعالى ولكن البخل يتحل نفسه أضعف الاعذار في الامساك والشح فمن كان جازماً بأن من الأدب مع الأمير ان لا يباغ مبلغه في البذل فايكتف من الأدب بنقص جنيه واحد عنه . ولو ان كل غني في مصر يشعر بالحاجة إلى هذا العمل يلاحظ هذا ولا يبعد في النسبة لنجاح العمل والله الموفق

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المكتبة

يؤتي الحكمة من يشاء
والحكمة فقد أوتي جبراً كبيراً وما
يذكر إلا أول الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم الاحد ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ — ١٥ مارث (آدار) سنة ٩٠٣)

﴿ رأى في اصروح المسلمين او رأياه ﴾

كتب الينا وكيل للمنار في بعض الأقطار رأيه في طريقة إصلاح
المسلمين في خاتمة جواب يتعلق بأمر الاشتراك والمشاركة فاحبنا أن
يطلع عليه القراء لما فيه من دقة النظر وبعد الغور قال حياه الله :

« رأيك بالناية في إصلاح النفوس والعقول والأفكار والأخلاق
لا أظن أنه يوجد من يخالفك فيه على شرط أن تجمع من أيدي الناس
كتب التصوف النظري وكتب العقائد التي ألفت على طريقة ارسطو
(لا كتب ارسطو نفسها) والتفاسير التي البسها أصحابها لباس الفلاسفة اليونانية
وكذا الكتب الفقهية التي كتبها الاعاجم ومن احتذى حذوهم لا الكتب
التي كتبت بطريق الرواية كالموطأ وغيره وطرح القواعد التي دونها
الأصوليون وجعلوها من أصول تعاليم الدين وتحويل تكاليف الطرق الى مدارس
تعلم فيها العلوم الكونية بأسرها على شرط أن تكون إدارتها بيد أناسي من

علماء أم أوربية صغيرة كسويسرة والبلجيك ويعزل الشبان المتعلمون عن الأمة حتى يمتنع سريان عدوي الأخلاق التي أرزأت أم الاسلام من الاسلاف الى الأخلاف. وبعد أن تدرس هذه الرمم التي صارت مع طول الزمن ركام أقدار مفسد للتمدن يتسنى للمصلحين ان يشيدوا على أنقاضها معاقل إصلاح « وهيئات هيئات ان يفوز المصلحون بتلك المطالب العسيرة التي أعيت ههما ، وبيضت لما ، وأشفت أمما ، ظهر كنفشيوس قبل عصرنا هذا بإحدى وعشرين قرنا لمعانة إصلاح مذهب سكياموني وتجديد ما تداعى من بنيانه العتيق الذي كرت عليه الدهور الدهارير وبالرغم مساعبه الكبيرة وهمة القعساء وعزمه الصارم بقيت آراء سكياموني كما هي محتكرة في اليا كل لكهنة الشعب ولم يزدها ذلك المصلح بقارعة العظمى الاثباتا وتمكيننا . وهذا المسيح قام ليعدل سلطة الكيروس اليهود وليجدد ما اخولق من مذهب التورا فلم يقبل له رأيا الا من خذله في اداء الشهادة وقت المحاكمة وما عسى ان اقول ونينا الكريم عليه السلام قد ارسله الله مهيمن على الكتب ومجددا لأشرائع الكون التي اقتضت سنة العمر ان تجديدها بتجدد المقتضيات فلم يقبل دعواه من أرباب تلك الاديان الا من نكب عن فئته ، وانحاز لغير بثته ، وهكذا شأن كل مصلح يفلت من أسر العادة وينسلت من قيود المصطلحات وتؤثر في نفسه الحقائق وتشعل بصيرته المشاهدات الصحيحة يستكر ما يستحسنه الناس ويستحسن ما استنكروه فيسفه أحلامهم ، ويبين أوهامهم ، الى أن يثوبوا الى رجعة الهدى ، او يكون نشأ جديدا ، ودون ذلك خرط القتاد على فرض مسالة الظروف المحيطة

على أن هناك مهيعا آخر اقرب الى السلامة ، وضمن للنتيجة ، وهو

سيل رجالات أوروبا الكبار ، ودهاقنها العظام ، وبيان ان يشتغل المصلح بعد ترقية نفسه ، وترتيب منزله ، وتنظيم معيشته ، وتدير ما كله ، بتسوية ثروته بالطرق القانونية ويختار له منها الطريق الأضمن على شرط أن يحتذي مذهب الصدق ويتقبل نمط الامانة ولا يعتمد الا على نفسه فلا يمر عليه غير زمن قليل حتى يكون من أكبر المثرين في العالم مثل مرجان وسيسل رود وغيرها فلا يصعب عليه بعد تكوين الثروة تأسيس المشروعات وعقد الشركات وإنشاء المدارس وفتح المعامل وارسال الفلك تمخر عباب اليم تجمع له كنوز المخلوقات

« وأما طريقة إصلاح الأمم والنفس بإلقاء الخطب وكتابة المقالات فلا تفيد المسلمين في شيء اللهم الا من كان له هوس منهم فيهما لأن العالم والصانع والزارع والصراف والتاجر في البلاد المربلة ^(١) لا يصيخون الأسماع للخطب ولا يعيرون الأبصار للمقالات الا في أوقات الفراغ من الاعمال فهي عندهم بمثابة المسليات والمنبهات . والذي يصيخ وينظر في بلادنا القاحلة هو المكسال المتقاعس عن خير نفسه ونفع جنسه واذا تنبه له واستنارت بصيرته فلا يكون منه غير التأوه على الاسلام والبكاء على المسلمين ولهذا اتفقت كلمة العمرانيين على ان ترقى الامم لا يفيد الا اذا كان مادياً بحتاً مطهراً على أثافي الصناعة والزراعة والتجارة وطهاته الإقدام والحزم والعزم والنشاط والثبات . وحققوا أنه لا يتوقف على دين ولا يحتاج الى بعثة رسول وإنما تدعو اليه الحاجة ويبعث اليه اختلاط العناصر المختلفة ببعضها

(١) يقال ربل الناس اذا كثروا ونموا ولا أعرف له رباعياً واربلت الارض

أنبت الربل وهو شجر م ولا معنى لهذا هنا

«يدن سكان الجابون بدين وثني أخذ نفوس اهله آلاف السنين وأبقاهم خاملين تحت سجن طقوسه الواهنة حتى ذاق أفراد منهم عسيلة الإثراء فأنبرت نفوسهم ساعية وراء التأسيسات النافعة وما فتؤايفكرون حتى تنبه لهم الأقران فتلاحقوا بهم نبي وما كادت تنبه لهم الحكومة حتى اضطرها تفاقم المساعي الى التنازل عن كثير من حقوقها المسكلة بطيلسان الكهنوتية المقدس وأتاحت لهم بغير عناد حكومة مقيدة باحتساب الأمة عليها وقد صارت الآن تضارع أعظم الأمم شوكة واقتداراً . وما دين المسيحية بأصنى منها من المنبع البوذي وهذا مبتدع وذاك مخترع والمنزع القديم في الغالب مقتبس ومتبع (كذا) ومع ما هو عليه من التشويش والتشويه والتلبس بتلك الحجب التي حاكها يد الجامع المقدسة لم يزل ديناً للأمم الراقية ذات الطول والحول والمنعة والعزة رغماعن النهضة العلمية والاخلاقية لأحاول الجدال ولا أريد الحوار وإنما غايتي أن أطلعك على فكري الخاص في اصلاح الامة الاسلامية بالوسائل الصحيحة التي لا تستلزم زمناً طويلاً ولا تكلف تعباً كبيراً وهي ان تترك القادري يعمه في قدرته والرفاعي يعشو في رفاعيته كما تركنا النصراني يتخبط في ظلام نصرانيته والوشي يهرف في وثنيته ونسعى مع الجميع متكاتفين لنحصل فرنكا واحداً عن كل شخص من المسلمين ذاك لروح شيخه وهذا باسم وليه وذا في سبيل النهضة وهذا باسم الوطنية الى ان تتمكن من جمع مال كثير فؤسس به مشروعاً يكون جزيل الفائدة ، كبير العائدة ، وما علينا والصراخ في الهواء ، والنداء في الأجواء ، والاحتراس من السياسة ، والتوقي من الرئاسة ، فذاك في مذهبي شي لا يجدي والسلام»

﴿ رأي المنار في الموضوع ﴾

لقد أحسن الكاتب النبل القصد في قوله ولكن فيه إجمالاً يحتاج الى بيان ونظراً في بعض الجزئيات . وما كان الاجمال منه الا لأنه كتبه لمن يغنيه الإجمال عن التفصيل وفرق بين ما كتب ليطوى وما كتب لينشر . واقد سرنا توارد الخواطر وتلاقى الأفكار بيننا وبين الكاتب النبل ، والوكيل الاصيل ، في وجوب عزل المعلمين عن الامة لأن قوام التربية بالقودة والمحاكاة المتولدتين من المعاشرة والمخالطة وقد بدأ الله تعالى تربية نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعزله عن الناس فخب اليه الوحدة ، وألهمه الانزواء والعزلة ، ثم علمه بالوحي ماشاء ان يعلمه ، ولقد قال أدبني ربي فأحسن تأديبي « فعلمنا ان نستفيد من هذه الحكمة ، مع من منحه الله العصمة ، وموافقة أخرى في الرأي وهي الاستعانة على تعليم الفنون والعلوم الكونية ، بأساتذة من أصغر الشعوب الاوربية ، لأن هؤلاء أبعد عن السياسة التي تفسد كل صلاح ، وتحول دون كل نجاح ،

الذي لاح لي من كلام الكاتب في إخفاق رجال الإصلاح المعنوي هو أن غرضه منه تحويل وجوه المعلمين عنه ليتولوا شطر الإصلاح المادي الذي يراه والا فان كل واحد من المصلحين الذين ذكرهم قد كان له تأثير كبير في أنواع الانقلاب الذي حدث في العالم المرة بعد المرة وليس من شرط النجاح في المشروع ان يأخذ به كل أحد ولا ان يكمل فيه كل من أخذ به . فاذا كان الإصلاح المعنوي لم يعم أفراد الامم التي ظهر فيها فكذلك الإصلاح المادي والسبب في هذا وذاك أن الاستعداد في البشر متفاوت تفاوتاً كبيراً وكل يعمل بحسب استعداده ففي أوروبا من يملك ألوف

الآلاف وفيها من يموت جوعاً وكأين من عالم يطلب الثروة، وتعوزه الكسرة والحسوة، وليس هذا مقام بيان تأثير أولئك المصلحين العظام في الأمم والكاتب يعرفه ولكن غرضه ما ذكرنا

والقول في تأثير الخطب والمقالات يتصل بالقول في تأثير رجال الإصلاح المعنوي لأن الخطباء والكتاب الداعين إلى الإصلاح هم ورثة الأنبياء والشارعين وهم أركان الإصلاح الاجتماعي والسياسي ومن ينكر أن للوثر وأشياعه وميرابو وأضرابه تأثيراً عظيماً في تحويل أوربا عما كانت عليه، ونقلها إلى ما انتهت إليه؛ ومن ينكر تأثير تلك المقالات والرسائل التي كانت تنشر في فرنسا قبل الثورة الكبرى وأن ذلك التأثير هو الذي ثل عرش الملك وسلط الصعاليك على الأمراء والنبلاء؛ فالإصلاح في جميع الأمم إنما جرى على أيدي الفقراء والمتوسطين بباعث معنوي ولم يوجد إصلاح في الأرض بدأ به الأغنياء بتأسيس المشروعات المادية النافعة وإن شئت فقل أنه لم يوجد إصلاح مادي بحث ولكن كل إصلاح يرقى البشر ينتج العمران والعمران مادي وإنما يكون في النهاية لا في البداية

كل هذا يعرفه الكاتب الفاضل ولكن الرأي الذي أبداه إنما هو في اختيار أقرب الطرق ولعمري إنه لطريق أتم لولا أن فيه من العقبات الكؤود ما يتعذر معها سلوكه على الضعفاء المحتاجين إلى الإصلاح كالمسلمين فيا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

يقول إن الواجب على مريدي إصلاح المسلمين أن يسلكوا سبيل مسهل رودس بعد إصلاح شؤون منازلهم وتنظيم طرق معيشتهم . من هم هؤلاء المريدون للإصلاح وما هي طبيعة بلادهم التي يعيشون فيها؟ هم نفر

من وسط الناس سلمت فطرتهم، وصفت فكرتهم، وحسنت في الجملة وبالمصادفة تربيتهم، وامتازوا بالليل الى البحث في الأمور العامة والاهتمام بأمر الأمة والملة . ولم يكن لهم شيء من هذه الخصائص بواسطة تعليم وتربية أو دعا في نفوسهم اذ لا يوجد للمسلمين مدرسة في قطر من الاقطار تذكر فيها مصلحة الأمة أو توجه نفوس تلامذتها في تعليم كل علم وفن الى أن المراد به الإصلاح وإيقاظ الأمة مما هي فيه . وإنما هو الاستعداد القطري مع مساعدة التوفيق الذي يعبرون عنه بالظروف والمصادفات . ولو أن هؤلاء اشتغلوا بغير البحث في الأمور العامة وطرق الإصلاح لضعف استعدادهم فيه لأنهم لم يتربوا عليه ولم يتعلموا طريقه تعلمًا فيكون همهم بعد المدرسة السعي في اتخاذ الوسائل لما وجههم اليه المربون والمعلمون وأما طبيعة بلادهم فهي كما يعلم الكاتب ليس فيها موارد قريبة للثروة الواسعة من الطرق القانونية كالثروة التي جمعها سسلرود . والاعمال الكبيرة التي يتوقف عليها إيجاد الموارد لا تكون الا من قوم تعلموا طرقها وفنونها وتربوا تربية صاروا بها محلاً للثقة في إناطة الاعمال بهم وأنى لبلاد المسلمين بهؤلاء العاملين العالمين !! وجملة القول ان الذين يفكرون في الإصلاح من المسلمين ليس عندهم استعداد لجمع الثروة الكبيرة وان بلادهم ليس فيها الآن منابع لهذه الثروة مفجرة يسهل عليهم ورودها وان الأمة التي يعيشون فيها ليس لها استعداد لتفجير ينابيع الثروة الطبيعية التي خص الله بلادهم بها لجهلهم وفساد تربيتهم . ونسكت عن حال حكوماتها وما ينتظران يلاقيه منهم مرید الإصلاح اذا حاول سلوك الطرق المشروعة الشريفة لجمع المال

إن العمران المادي كان نتيجة للاصلاح المعنوي وكذلك يكون .
 أما اليابون (اليابان) فلم يكن السائق لهم الى الاصلاح طلب الثروة
 ولم يكن تقدمهم مادياً بحتاً لا شائبة فيه للدين بل كان السائق اليه هو صاحب
 السلطة الدينية المقدسة والسلطة المدنية القائمة على أساس الدين وهو عاهلهم
 ومليكهم (الميكادو) فهذا العاهل العظيم هو الذي قيد سلطة نفسه بعد ان كانت
 حكومته استبدادية مقدسة وهو الذي دعّ أُمته الى العلوم والفنون دعا ولا
 نقول انه دعاها دعاء . ولقد كانت التقاليد الدينية مساعدة للسلطة الدينية في
 عمران اليابان الحاضر كما يعلم من المقالات التي نشرت في المقتطف الأغر
 معربة عن أصل انكليزي لبعض كبار الكتاب السياسيين . ويذكر
 العارفون بالتاريخ ان أول عاهل (امبراطور) اشتغل بالاصلاح في أوربا
 وهو (شارلمان) كان مندفعاً بدافع معنوي مشوب بالاعتقاد الديني ولولا
 الاصلاح الديني الذي قام به زعماء البروسنت لحبط عمله وكان هباءً منثوراً
 والقول الفصل في الإصلاح الاسلامي هو أن الواجب على العقلاء
 الذين يتألمون من ضعف الأمة وهو انها أن يسعوا في إصلاح العقول
 والنفوس بتعليم الصغار وتربيتهم بالمدرسة ووعظ الكبار وتنبيههم بالخطابة
 والكتابة ليكثر بذلك حزبهم ولا بد لهم في سلوك هذه السبيل من
 مسالة القوة سواء كانت اهلية أو أجنبية

فلم من هذا ان أول واجب على من يشعر بالحاجة الى الإصلاح في
 بلد من البلاد الإسلامية ان يشتغل بالدعوة الى ما يعتقد في ذلك ليكون
 له حزب والدعوة خطابة وكتابة فاذا صار له حزب فالواجب عليه وعليهم السعي
 في التربية المالية والتعليم الذي يعد الناشئين لأعمال العمران والاستعانة

على ذلك بالاساتذة المهرة الذين ليس يتنا وبينهم مطامع سياسية . وهذا يختلف باختلاف البلاد الإسلامية وأتمها استعداداً الآن بلاد الهند وبلاد مصر وقد بدأ مسلمو الهند يسعون في التعليم الأهلي وشعروا بأنه لا يكون تاماً نافعاً الا بإنشاء المدارس الكلية فاقترح مؤتمر التربية الاسلامي في هذا العام جمع الف الف روبية لإنشاء مدرسة كلية والمرجو ان يتم لهم ذلك في وقت قريب وأن تكون التربية في هذه المدرسة ملية اسلامية كما وافق على ذلك كبراء الانكليز هناك . ولا بد لمسلمي مصر ان يتلوا تلو مسلمي الهند في ذلك عن قريب ان شاء الله تعالى وسيكون للخطب والمقالات تأثير عظيم في جمع المال اللازم لذلك فان الجرائد كالحداة ولا حذاء الا ان يكون مسير كما قلنا في العدد الثاني من منار السنة الأولى ولا يرجي من الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، وربطوا قلوبهم بقبور الاموات وقيدوا عقولهم بخرافات الاحياء ، أن يساعدوا على إنشاء مدارس للعلوم الكونية ، وهم يشعرون بأنها القاضية على تقاليدهم الوهمية

هذه هي الطريقة المثلى للإصلاح ولا يجحد المصلحون من الامة غيرها . أما الملوك والأمرء فان لهم اذا أرادوا الإصلاح عملاً آخر وهو أن يبدأوا بالقوة العسكرية فيعززوها ما استطاعوا لتكون الدولة آمنة من اعتداء الأعداء الذين يشغلونها عن الإصلاح الداخلي متى آنسوا منها الضعف ثم يوجهون الامة الى تعمير التربية والتعليم وتنمية الثروة بالزراعة والتجارة والصناعة ويسيرون حكومة الشورى ويجهدون في توثيق الصلات بينهم وبين أمثالهم من الأمرء والسلاطين . ولكل حكومة إسلامية ضرب من السير في الإصلاح يختص بها ولا تبلغ الغاية بدونه . وقد أخطأ

سلطان مراکش ما يليق بحاله من السير في طريق الاصلاح فزلت قدمه وكان الواجب عليه قبل كل شيء إصلاح الجندية كما سبق لنا القول في غير هذا الجزء ليأمن المدوان الداخلي والخارجي ثم يشرع في تعليم الأئمة وتربيتها مستعينا في أول الأمر بالمسلمين كالمصريين المواقين لأهل بلاده في اللغة ثم بالأجانب الذين لا طمع لهم في بلاده عندما تستعد بلاده لذلك فلا تأنف منه .

على أن أملنا في جميع حكام المسلمين ضعيف بل نحن أقرب الى اليأس منهم منا الى الرجاء فيهم . وهكذا شأن الملوك الذين القوا الاستبداد وما كان عمل عاهل اليابان؛ الاقلية من فترات الزمان ، والظاهر لنا أن كل ما هو مخبوء في الغيب من الخير لهذه الأمة قائما يكون بسعي بعض العقلاء من أفرادها دون الملوك والأمراء والله في غيبه شؤون ، والله يعلم وأتم لا تعلمون

﴿ مدنية العرب ﴾

النبة السادسة تابعة لما نشر في الجزء ٢٣ من المجلد الثالث

ينبغي للإنسان ان يجتنب الوعد ما استطاع وأن يجتنب تحديد الوعد بزمان أو مكان اذا هو وعد الا اذا اضطر الى ذلك اضطرارا وقلما يأتي الاضطرار في الأمور العامة . ككنا شرعنا في السنة الثالثة للمنازل بكتابة مقالات في مدنية العرب أو مدنية الاسلام في عهد الدول العربية فكتبنا خمس نبذة في منشآت تلك المدنية وكونها قامت على أساس الدين وتولدت من تعاليمه ثم في اشتغال العرب بالعلوم الكونية وما اكتشفوه واخترعوه في علم الفلك وسائر العلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة ووعدنا بأن تتم هذا المبحث في السنة الرابعة فمرت السنة الرابعة ولم يتح لنا فيها الوفاء بالوعد

ولكننا استأنفنا وعداً آخر في آخرها بأننا تم ذلك في هذه السنة وقد صرت السنة حتى لم يبق منها الا هذا الجزء ولم تتمكن من إنجاز الوعد لأن المقالات المتسلسلة زادت في هذه السنة عما قبلها بنشر مقالات جمعية أم القرى ومقالات « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » التي كان فيها شيء إجمالي من موضوع مدنية العرب . وقد رأينا أن نختم هذا الجزء بنبذة سادسة وفاء بالوعد بقدر الامكان فنقول :

(الجغرافيه الرياضية وتقويم البلدان)

اشهر كتب الجغرافيه اليونانية كتاب بطليموس وأزياجه وقد كانت آراء بطليموس تؤخذ على علاقتها لان العلم صار تقليديا حتى تناوله اجتهاد العرب فطفقوا من عهد المأمون يصححون أغلاط اليونان في الفلك وسائر الرياضيات كما تقدم ومن ذلك انهم صححوا أرصاد المجسطى بالزيج الجديد وأعادوا تحديد أطوال الارض فكان أتمها تصحيحا تحديد بلاد العرب والخليج الفارسي والجزيرة وبلاد فارس والبحر المتوسط . ولما اشتغل الاوربيون بهذا العلم ظلوا زمنا طويلا مغرورين بكتاب بطليموس حتى ظفروا بكتب العرب وتصحيحهم لاغلاط بطليموس . بدأ العرب بتصحيح أزياج بطليموس في أول القرن الثالث على عهد المأمون ولكن ذلك التصحيح لم يكن تاما فان البيروني في أول القرن السابع هو الذي صحح الغلط في حساب أطوال بلاد الروم وما وراء النهر والسند وألف قانونا جغرافيا كان قدوة للمشتغلين بالقسموغرافية من بعده

وضبط عمر الخيام حساب جداول التقويم السنوية (الروزنامه) في سنة ٤٦٩ و ٤٧٠ وحدد مدة السنة الفلكية أصبح تحديد . وصنع الشريف

الادريسي في اوائل القرن السادس خريطة جغرافية من الفضة لملك صقلية حفر فيها باللغة العربية صور جميع الممالك المعروفة في ذلك العهد وألف كتابا في الجغرافية بين فيه أول نقطة التماس بين جغرافية اللاتينيين وجغرافية المدارس الاسلامية وقد عكف رسامو الخرائط الجغرافية في أوروبا على مؤلفه ثلاثة قرون ونصف يتقلدونه كما هو لا يزيدون فيه ولا ينقصون منه . وكان من علماء هذا الفن في المغرب ابو الحسن علي المراكشي في أول المئة السابعة للهجرة الشريفة وقد قال سيديو ان كتابه كان أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافية . وكان لعلم الجغرافية خرائط بحرية أيضا عثر الاوربيون على بعضها في أول المئة التاسعة للهجرة . ووجدوا خريطة بحرية أخرى من رسم عمر العربي سنة ١٦٤٨م أي سنة ١٠٥٨ هـ

اما الجغرافية الوصفية أو التخطيطية فقد عرفها العرب قبل الجغرافية الرياضية واتسعت معرفتهم بها باتساع فتوحاتهم وتجارتهم . قال سيديو: انهم حين امتدت مملكتهم من المحيط الاطلسي الى تخوم مملكة الصين انشاؤا بالتدريج اربع طرق طرق عظيمة تجارية توصل بين مدينتي قادس وطنجة الى أقصى آسيا . (إحداها) تخرق أسبانيا وأوروبا وبلاد سلاوونة الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجرجز (والثانية) تخرق بلاد المغرب ووادي النيل ودمشق والكوفة وبغداد والبصرة والاهواز وكرمان والسند والهند (والثالثة والرابعة) تبحران البحر الابيض المتوسط وتجه إحداها من الشام والخليج الفارسي والاخرى من الاسكندرية والبحر الاحمر للتوصل الى بحر الهند . فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى اقصى البلاد ما عند العرب من الافكار والتقدم واستفاضت الاخبار الجلية الفوائد

فنورت أذهان الملاحين وعرفتهم الأخطار التي يخشى عليهم الوقوع فيها اذا سافروا في ولايات غير مكتشفة تمام الا اكتشاف واشتملت الأزياج التي حررها البتاني بالرقه سنة تسعمائة (٨٢٨٧) وابن يونس في القاهرة سنة ألف (٨٣٩٠) على كتاب رسم الارض بلا تعبير كبير . وأما ابن حوقل والاصطخري والمسعودي المشهورون في نصف القرن العاشر من الميلاد فوصفوا في كتبهم صورة الا اكتشاف الجديد . وحسب العلامة الكوي سنة ١٠٦٧ الاطوال من ابتداء الطرف الشرقي من الارض القارة

« وزعم بعض الفرنج ان العرب كانوا متبعين في أول عصر بني العباس الروايات الهندية مع أن كتاب مبادي الفلك المسمى بسند هند ان صح نقله الى المنصورة سنة ٧٧٥ (١٥٨) لم يكن له عظيم اعتبار عند العرب فانهم ظفروا عما قليل برسالات يونانية وتركوه لا يتفوهون باسمه الا ليينوا ما فيه من الغلط . ولم يعولوا في شيء من الجغرافية على كتب الهندوالمشاهد فيها أن شبه جزيرة هندستان في مركز العالم وان خط نصف النهار الذي يبين نقطة وسطها يمتدق مدينة أوجين وجزيرة سيلان . وبحث العرب في كتبهم عن خط نصف نهار القبة الأرضية وهي قبة عرين للتخصيص على الاطوال فظن بعض الفرنج ان المراد من (عرين) مدينة أوجين وهو خطأ فان القبة المنسوبة الى عرين هي نقطة تقاطع الدرجة التسعينية من حساب بطليموس مع خط الاعتدال على بعد متساو من الجهات الاربع الأصلية وليست هي قبة أوجين فان العرب كانوا يعرفون حق المعرفة محل أوجين الجغرافي وأما « عرين » فكلمة اصطلاحية ارادوا بها جزيرة موهومة بين هندستان وبلاد الحبشة سماها المؤرخ

ديودور الصقلي جزيرة اورانوس . وبدل العرب خط نصف نهار عرين
 اوقبة الأرض بخط نصف النهار المار بالجزائر الخالدات فاتبع ذلك من
 ابتداء القرن الحادي عشر الى الثالث عشر هـ
 وقد ألف العرب كتباً مخصوصة في مسالك البلدان حتى صار علماً مستقلاً
 وفي اسماء البلاد والاماكن ككتاب مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة
 والبقاع ومعجم ياقوت والمشارك وتقويم البلدان للملك المؤيد صاحب حماء
 وتقويم البلدان للبلخي وكتاب اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك
 (وهذا الف في عهد الدولة العثمانية واهداه مؤلفه محمد ابن علي الشهير
 بسباهي الى السلطان مراد الثالث ٩٨٠ ثم اختصره بالتركية)

﴿ العلوم الطبيعية ﴾

الكيمياء والصيدلة : قد ارتقت العلوم الطبيعية عند العرب واتسعت
 مذاهبها وكثر الاكتشاف والاختراع فيها على أن حظها كان دون حظ
 العلوم الرياضية لأن العمدة في العلم الرياضي العقل والعمل مؤيد له والعمدة
 في العلم الطبيعي العمل والعقل مساعد له وما يتوقف الارتقاء فيه على العمل
 لا يرتقي الا بالزمن الطويل . كانت العلوم الطبيعية من عهد استاذها الاول
 أرسطاطاليس ضئيلة ضاوية ثم ماتت بضعفها ولما أحيها العرب باحياء الاسلام
 لهم تنكبوا طريق النظر المحض فيها واعتمدوا على التجربة فحولوا الكيمياء
 الوهمية الى كيمياء حقيقية واشتقوا منها فن الصيدلة (تركيب الادوية)
 وانتقلوا الى التاريخ الطبيعي فاكشفوا بذلك خواص نبات بلادهم وصموغها
 البلسمية وأفادوا بها الطب والصناعة فوائد جليلة . قال سيديو : إن البحث
 عن الجواهر الطبية الذي مدحه ديوسقوريدس لاهل مدرسة الاسكندرية

كان من مخترعات العرب فانهم هم المنشئون للصيدليات (الأجزخانات) الكيماوية والموروث عنهم مايسمى الآن بقواعد تحضير الأدوية الذي انتشر بعد من مدرسة سالرنة في الممالك التي في جنوب أوروبا :

ومن مخترعات العرب في الكيمياء الكحول او القول الذي صار قوام الاعمال الكيماوية والصيدلية وتركيب حمض الكبريت والماء الملكي والماء المعشر والجلاب وغير ذلك من الادوية والمعاجين والمريبات والهلامات. قال في دائرة المعارف : « وهم أول من اخترع السواغات لإذابة الاصول الفعالة للأدوية سواء كانت معدنية او نباتية او حيوانية واخترعوا الانبيق والتقطير والتسامي ووضعوا في أيام الخلفاء قانونا اقربا ذينيا كانت جميع التراكيب الاقربا ذينية المذكورة فيه مثبتة من طرف الحكومة لا يجهز خلافها : » أي انهم هم الذين جعلوا عمل الصيدلة رسميا بمعرفة الحكومة

واشهر العلماء المخترعين في الكيمياء والاقربا ذين (الصيدلة) ابوبكر الرازي صاحب كتاب (الترتيب) فيها والكتب الكثيرة في الطب والفلسفة (توفي سنة ٣١١ هـ) وهو المخترع للمسجلات اللطيفة ولاستعمال كثير من النبات في الطب والرئيس ابو علي بن سينا فيلسوف الشرق واكبر اطباءه وابن رشد فيلسوف الغرب واكبر اطباءه وقد ترجم الاوربيون اكثر كتب هذين الفيلسوفين وانتفعوا بها كما انتفعوا بكتب الشيخ ابي بكر الرازي ويشهدون للجميع بالتبريز في العلوم

الطب : لا يعرف التاريخ أمة أقدم عهدا في صناعة الطب من المصريين فهم أساتذة اليونانيين وانتمهم ولكن طبهم كان ممزوجا بالأوهام والتقاليد الخرافية كاعتقادهم أن الصرع يكون بدخول عفريت من الجن في جسم

الإنسان وكانوا يعالجونه بالرقى والعزائم وإنما برعوا في فرع واحد من فروع الطب وهو التحنيط وكانت التشريح مذموماً عندهم والأطباء من غير الكهنة محتقرين يعاقبون إذا مات من يعالجون . ثم لما دالت دولة العلم إلى اليونان بعد انحلال المصريين عنوا بالطب فكان علماء محترماً ثم قضى الرومانيون على علم اليونان كما قضوا على دولتهم وكانت عنايتهم في المعالجة مقصورة على الرقى والطلاسم ومجربات العامة التي يتناقلونها . ثم أحوجتهم الحضارة إليه فأجلوا الأطباء بعد احتقارهم ولكن الرومان أنفسهم لم ينبغوا في الطب وفنونه بل احتقروه في أول دولتهم واحترموه في عنفوانها ثم عفاوا ونحل بانحلال دولتهم حتى إذا نهض الإسلام بالعرب لم تكن لهذه العلوم سوق نافقة في الأرض فأحيوها بعد موتها

دائرة المعارف : ولما كانت فتوحات العرب وضربوا في طول البلاد وعرضها كان الطب كسائر العلوم في أسفل درك الهوان والخنول فهضوا به نهضة جديدة والتقطوا شتاته من كتب اليونان وغيرهم وأودعوه كتبهم مع زيادة مما توسعوا فيه بالبحث والتحري وأجادوا بتعريفه ووصفه وتقسيمه : (ثم قال) : ولم يكد يفرغ الخلقاء ومن وليهم من بنى أمية من بسط جناح الإسلام حتى أخذ الخلقاء يلجون باب العلم كما ولجوا باب الفتوحات فكان للطب سهم وافر واستعانوا بعلماء اليهود والنصارى عملاً بالحديث القائل « استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها » فكانت للامويين من ذلك بعض الآثار . ولكن الآثار المشيدة والمساعي الحميدة إنما كانت للعباسيين في بغداد ومن ثم للأندلسيين فاتخذ السفاح العباسي أطباء ماهرين أقام بختيشوع النسطوري رئيساً عليهم وطيباً خاصاً له كما كان جويه اليهودي

عند عمر بن عبد العزيز الأموي :

— ثم ذكر بعض كبار اطباء العرب ومؤلفاتهم واكتشافاتهم وقال — :
« وعلى هذا كانت دولة العرب عروة الوصل بين طب المتقدمين وطب
المتأخرين ولولاهم لانتثر ذلك العقد وعفا الكثير من معالم العلم والعرفان
فان معظم ما تناوله الافرنج من علم الاقدمين قبل فتح القسطنطينية إنما
كان عن العرب وظل اشتغال العرب مدة مديدة منحصرآ في النقل والتقليد
لا يأخذون الا بما ينقلون ويذهبون مذهب الاقدمين فينا تراهم عالمين
بالأمزجة والأغذية وبأحسين في الداء والدواء واذا بهم يقولون بالتجيم
والعزائم ، والرقى والطلاسم ؛ وكان هذا شأنهم الى أن نبغ منهم علماء حكماء
فاستجلوا كثيراً من الحقائق العلمية وأبقوا للخلف من مبتكراتهم وتوسعاتهم
مباحث واكتشافات . فهم أول من دقق البحث في الحيات النفاطية
كالجدري والحصبة والحمى القرمزية وحسبنا من ذلك رسالة الرازي . وهم
الذين لطفوا المسهلات وأشاروا باستعمال المن والسنا والتمر هندي والراوند
والكافور وغير ذلك . وان كانوا عرفوا منافع أكثر تلك المواد بما ترب
لهم من العلائق التجارية مع الصين والهند فليس في ذلك ما يخفض من
قدرهم ويقلل من فضلهم . وهم الذين حسنوا صناعة التقطير والتخير
وتشكيل الأواني الكيموية بأشكال يسهل بها تناول واستخرجوا كثيراً
من الأملاح المعدنية وكانت لهم اليد الطولى في فن الصيدلة فوضعوا
أسسه ووطدوا أركانه فأفادوا العالم فائدة خلدها لهم التاريخ :

ثم قال الكاتب : وفوق اشتغالهم بطب البشر عنىوا بعض العناية (كذا)
بالبيطرة وهي طب الخيل والزرذقة وهي طب الطيور وسائر العلوم التي

لها علاقة صريحة أو غير صريحة بالطب كالبردرة وهي صناعة الفرس والطبيعات : (الى أن قال) ولهذا قبضوا على ناصية الطب كما استقلوا بأزمة العلم من فلك وهندسة ونبات وكيمياء ومنطق وطبيعات وما وراء الطبيعات . ولبشوا أربعة قرون متوالية مستودع المعرفة وملجأ الحكمة أي منذ تولى الرشيد في بغداد أو قيل تولى الى موت ابن رشد . ولا عبرة بالفترة التي حصلت بعد وفاة ابن سينا فان العلم لم يمت في خلالها . (قال) والعجب كل العجب أنه قامت بعد ذلك للمسلمين دول شتى ذات قوة وشأن عظيم فكان منها العرب والعجم والترك والتتر ولم تغلح دولة منها هذا الفلاح وان لذلك بلا ريب أسبابا نضرب عنها صفحا لخروجها عن دائرة بحثنا : اه

نقول ان المدة التي ذكرها هي التي كان فيها العلم العربي في عنفوان شبابه وقد ولد قبلها ومات بعدها بزمن . وابن رشد مات في ٥٩٥ هـ ولم يكن بعد ذلك للعرب دولة قوية بروح الدين وحياة الخلافة الإسلامية وان كان لدولة الترك من القوة الحربية ما لم تصل اليه دولة سواها ولم تكن حياة العلم في دول العرب بالقوة الحربية وانما كانت بالقوة الأدبية التي جاءتهم من الاسلام، ولم يُقم الاسلام غيرهم كما يجب أن يقام . وقد ظهرت الدولة العلية بعد موت ابن رشد بنحو مئة سنة فان انقراض الدولة السلجوقية كان سنة ٦٩٩ وعلى أنقاضها بنى السلطان عثمان الأول بناء سلطته خلدها الله تعالى بتوفيق القائمين على سيرها للعدل والإصلاح آمين (للمقالات بقية)

﴿ الكرامات والحوارق ﴾

(المقالة السابعة تابعة كما في العدد ٤١ من المجلد الثاني)

نشرنا في منار السنة الثانية مقالات في كرامات الاولياء ذكرنا في

مقدمة المقالة الاولى منها (٢:٢٦) أن النظر في هذه المسألة من وجوه — حقيقتها والحكمة فيها . حجج القائلين بمجوازها ووقوعها . حجج المنكرين لها . ادعاء جميع الامم لها . منفعة الاعتقاد بها ومضرته . تمحيص الحقيقة فيما نقل من الكرامات . وقد بينا هذه الوجوه والمباحث الا مبحث منفعة الاعتقاد بالحوارق ومضرته فقد كنا عازمين على أن نرجئه الى أن ننقل طائفة من الحوارق التي تؤثر عن كهنة الوثنيين والكتابين ايضا لما جاء في عرض القول من ان جميع الامم تدعي لرؤساء دينها الحوارق والكرامات . ولما كان هذا يتوقف على مراجعة كتب الدين لتلك الملل وذلك لا يتيسر الا في وقت الفراغ ظللنا نتربص هذا الوقت فمرت السنة الثالثة ولم نصبه فيما بعدها فوعدنا في آخرها بأن سنتم في الرابعة بمبحث الحوارق ومبحث مدينة العرب ومرت الرابعة مختومة بوعد آخر لم نربدا من الوفاء به مع الإيجاز كما بدأنا الوفاء بمبحث مدينة العرب ونسأل الله تعالى ان يتوب علينا من الوعود المحدودة ؛ وان كانت آجالها ممدودة ،

اضطررنا الى الوفاء بهذا الوعد (إكمال مبحث الكرامات) الذي ضاق عنه حولان كاملان في أضيق الأوقات علينا وأكثرها شواغل — في جزء آخر سنة تقدمه عيد لاعمل فيه وانحراف في المزاج من النزلة الوافدة (الانفلونزا) وزاحمه مع الاعمال الإدارية والحسابية الاشتغال بالانتقال من المنزل الذي نحن فيه الى منزل آخر مجاور له والاشتغال بتأسيس مطبعة للمنار . وهذه عاقبة من عواقب التسويف السيئة ذكرناها تأديبا لنفسنا وعبرة لغيرنا ولنكون عذرا لنا في الاختصار والإيجاز في موضوع كنا نود التطويل فيه لأن للاعتقاد بالحوارق تأثيرا في الأخلاق والآداب

والعادات وشؤون المعيشة والكسب. وإن شئت فقل إن لها التأثير العظيم في سير الأمم فرسوخ هذا الاعتقاد في قوم وزلاؤه أو زواله من نفوس قوم هو من علل ما عليه الأقوام من التقدم والتأخر في السيادة والثروة وضدها (الحوارق عند الوثنيين)

كانت الأديان الوثنية كلها قائمة بـحوارق العادات وكان لقدماء المصريين منها النصيب الأوفر ولا يزال وثنيو الهند إلى اليوم يأتون بـحوارق مدهشة ومن أغرب حوارق البراهمة الجلوس في الهواء ولكن الأوربيين تمكنوا بصناعتهم من محاكاة هذه الخارقة. ومن حوارقهم أنهم يضعون النار في أفواههم فلا تضرهم على أنهم يلقظونها غير مطلقاً. ومنها أنهم يظهرون أشياء من العدم. ومنها أنهم يستنبتون الشجرة من البزرة في مدة قليلة خارقة للعادة. ومنها أنهم يذبحون الإنسان ثم يحيونه. ومنها أنهم يخبرون عن المغيبات فيصيبون. ومن أحقرها ملاعبة الأفاعي والثعابين والتعرض للسعها. وقد نشرت جريدة الاهرام من مده قريبة بعض العجائب والحوارق التي تظهر على أيدي هؤلاء الهنود. والهنود معروفون بهذه الحوارق من قديم الزمان وقد اعترف لهم بعض المتصوفة بشيء مما وصل إليهم وعللوا ذلك بأنه أثر الرياضات الشديدة التي تكون منهم (راجع كتاب الجواهر والدرر للشعراني وغيره) ومن هذا التعليل يعلم أن أصحاب تلك الحوارق لم يكونوا كلهم من الأشرار أو الذين يتعرضون لايداء الناس فتأتي التفرقة التي يفرق بها بعض المتكلمين بين المعجزة والسحر بل الكثيرون منهم عباد زهاد نساك مستمسكون بدينهم أتم الاستمساك، أما التفرقة الحقيقية بين آيات الانبياء فقد تقدمت في بحث الآيات من الامالي الدينية

﴿الحوارق عند النصارى﴾

كل مذكور الذين ألفوا الكتب منا في مناقب الصالحين وكل ما يتناقله الناس فيما بينهم من كرامات أولئك الصالحين أحياء وأمواتا فيوجد مثله في كتب النصارى وفي روايتهم اللسانية التي يدعون انها عن مشاهدة أو ترتقي الى المشاهدة . ومن ذلك ظهور المسيح ووالدته عليهما السلام للعباد في اليقظة والنام وظهور غيرها من القديسين . ومنه استجابة الدعاء والإخبار بالمغيبات الذي يسميه المسلمون كشفاً ويسمونه نبوة . ومنه طي الأرض وتقريب المسافات البعيدة . ومنه إشراف الوجوه بالأنوار وقت العبادة . ومنه نزول المصائب والرزايا بمن يؤذي القديس . ومنه قضاء الحاجات والفوز بالخيرات لمن يتوسل بأحد القديسين والرهبان المتوحدن ويتخذ شفعاً عند الله . ومنه شفاء المرضى والمجانين ببركات القديس الحي اذا لمس المريض أو صلى له (أي دعا) والقديس الميت اذا زار المصاب قبره . ومنه جبل النساء العواقر بالبركة والزيارة ومنه اخراج الشياطين من المصروعين . ومنه ظهور الملائكة للقديسين ومصاحبتهم ومساعدتهم ايامهم في بعض الشؤون . ومنه الصبر عن الأكل والشرب زمناً طويلاً ولكن الذي ينقل عن الهنود من هذه الخارقة لم ينقل مثله عن غيرهم فان احدهم يدفن في الارض نحو شهر أو أكثر ثم يخرج منها حياً . وينقلون من كرامات القديسين ما هو أعظم مما ذكر ويدعون في بعضها التواتر فقد جاء في كتاب « العيشة الهنيئة » في الحياة النسكية « أن من عجائب القديس اغناطيوس التي تزيد على مئة عجيبة ما هو ثابت بشهادة سبعة وسبعين رجلاً

هذا تواتر حقيقي والتواتر حجة عقلية باتفاق علماء المسلمين وغيرهم والذين يدعون هذه الدعوى للقديس اغناطيوس يسهل عليهم أن يسردوا أسماء أولئك الشاهدين ومن نقل عنهم فلا يبقى المنكر عليهم الا أن يلجأ الى تأويل تلك الحوارق وإثبات أنها خوارق وهمية لا حقيقية . وهنا يحكم العقل السليم من شوائب التحيز والتعصب الذي ينظر الى الأسم نظراً واحداً لا يريد منه الا استجلاء الحقائق بأن التأويل اذا جاز فيما ينقل عن قديسي النصارى وكهنة البراهمة جاز فيما ينقل عن شيوخ المسلمين . فاذا كانت طرق النقل عند جميع الأمم واحدة فإما أن نصدق الجميع وإما أن نكذب الجميع وإما أن نأول الجميع ولا رابع لهذه الوجوه . ومن قال من هذه الفرق اني أثق بنقل قومي دون غيرهم لاني عالم بحسن سيرتهم يقال له وغيرك

كذلك فليس لك أن تحتج بأن ما ينقل عن صالحى ملثك دليل على صحتها لأن هذا الدليل هو الذي يسميه علماء النظر مشترك الإلزام

واذ ذكرنا القديس أغناطيوس — وهولويولا مؤسس طغمة الجزويت التي يستقيث من طمعها سائر فرق النصرانية — فأتنا نشير الى بعض عجائبه أو خوارقه على سبيل النموذج . قال القس أفرام في ترجمته عند ذكر رياضته الأولى بعد تركه الجندية ودخوله فى الكلاكية : « وقد اتفق له مرة أنه نهض لممارسة رياضته هذه الاعتيادية فتقدم الى أيقونة والدة الله « تعالى الله عن الوالدة والولد » وجنا أمامها بأقوى ما يكون من العبادة وقدم نفسه لاسيد المسيح بواسطة وخصص حياته لخدمة الابن ووالدته المحيطة واعدأ ايها بكل نشاط نفسه أنه يخدمهما خدمة دائمة . وفي انتهاء صلاته هذه سمع صوتاً عظيماً وتزلزل المكان الذي كان فيه وانكسر كل زجاج التوافد حتى ان حائط المكان انشق أيضاً وأظهر الله تعالى بذلك سروره بتقديمه عبده نفسه لخدمته عز وجل » له

وكأني باخواني المسلمين وقد ضحكوا من هذه الاعجوبة ونظموها في سبط الحوارق التي سماها المتكلمون خذلاتا وتلوا قوله عز وجل « نكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً » ولكني أذكر لهم مالا يمكن أن يعدوه خذلاتا . قال القس أفرام : « وقد شاء ابن الرجل الذي كان أغناطيوس مقياً بمنزله أن يعرف كيف يقضي الليل فرآه مرة ساجداً متأملاً بوجه متهب مبتل بالدموع ومرة أخرى أبصره مرتفعاً من على وجه الأرض ولامعاً بالنور كالشمس مشهداً وقائلاً مراراً كثيرة : يا الهي يا حبيب قلبي وسرور نفسي ليت الجميع يعرفونك حتى لا يجسر أحد منهم أن يغيظك . فيما أعظم جودك ورحمتك لا تلك تحتل خاطئاً مثلي » وكأني بهم يقولون : ان هذه رواية آحاداً وولدان لا يعتد بها في هذا المقام وان صحت : وأتي أَرْضِي هذا القول بشرط أن لا يقبل قائله مثل هذه الروايات الآحادية عن صالحى قومه لأن ما جاء على خلاف سنن الكون لا يقبل الا بالدليل القاطع الذي لا يقبل القرض كعجرات الانبياء عليهم السلام ومن قيل هذه الاعجوبة قول القس المذكور عنه انه حينما كان يوماً يتلو صلوات الكنيسة لاكرام مريم العذراء الجليلة رأى نغمة صورة تربه الثالوت الأقدس وهذه الرؤيا نوره وعزته جداً حتى انه لم يقدر في ذلك النهار كله ان يكف عن ذرف

دموع ولم يتكلم الا عن الثالث الاقدس بنوع جلي سام بحيث كان يذهل بخطابه قول أجل علماء اللاهوت مع انه كان لا يعرف حينئذ الا القراءة والكتابة . ومرة اخرى رأى في القداس حقيقة وجود جسد المسيح ودمه في القربان المقدس اهـ : ولهم ن يقولوا في الكلام اللاهوتي الذي قاله من غير تعلم انه ليس من الحوارق لأن لاذكاء اذا توجهوا الى شيء واعتوا به فلا يبعد أن يقولوا فيه قولاً غير متخطر ممن يدرجتهم العلمية وليس في درجتهم العقلية . ثم اننا لا نعرف ما هو ذلك القول نحكم أنه محل للعجاب في الجملة فكيف نحكم بأنه علم لدني الهي جاء بغير تعلم وربما كان في الواقع خطأ . نعم أن أهل العلم والعقل من المسلمين يقولون هذا ولكن فينا كثيراً من المدعين للولاية ليس لهم كرامة الا الأقوال التي يسمونها علوماً لدنية وما هي الا من اللغو والجهالة ومنهم دجال الزقازيق الذي يدعي أنه يفسر القرآن بالإلهام ويعتقد صدقه الجمل الغفير فيقصده من كل جانب بالهدايا والتدوير ومثله كثير . وأما رؤية جسد المسيح ودمه في القربان ، فهي دعوى بغير برهان . ومثل ذلك دعوى ظهور الشيطان له بزى ملك النور وحثه على الرياضات والعبادة ليصرفه عن العلم عندما قال العبادة واشتغل بالعلم (قالوا) ولكنه صرفه ولم يتحدع . ولكن عندنا مثل هذه أيضاً فقد ذكروا أن الشيطان ظهر للشيخ عبدالقادر الحلي بصورة نورانية وقال له انه رفع عنه التكليف فعرفه عبدالقادر وقال : اخساً يامعون : فعند ذلك تحول الى طلمه وقال له نجوت مني بعامك يا عبدالقادر واني قد فنت بهذه الحيلة كذا من العباد وذكر عدداً كثيراً

ومن عجائب اغناطيوس وحوارقه التي دونوها انه عند ما رجع من القدس الى أوروبا طلب من ربان سفينة « الربان رئيس الملاحين » أن يحمله الى ايطاليا حياً في الله فأبى وحمله ربان آخر فنكسرت سفينة الذي أبى ونجت سفينة الذي حمله . ومثل هذه انه رأى مرة جماعة يلعبون « فصاب منهم الصدقة » فنصر اليه واحد من الجمهور وهتف قائلاً : لا تحو القديس : ليحرقني الله حياً ن كان هذا الرجل لا يستحق أن يحرق حياً : وفي ذلك انهار عنه حصر فرجة دنيوية مهينة وكان واقفاً على برميل ممتلئ باروداً واذا بشرارة ملتهبة وقمت على ذلك البرميل فاشتعل البارود حالاً وأحرق الرجل حياً ، وسخية أخرى من هذا القيل وهي انما جمع [ينسى] بأمره الرهبان في مكان يقرأ عليهم قوائمه التي وضعها لهم وذلك بعد الخروج من المساندة واجتمعوا انهم

الرواق الذي كانوا يتذاكرون فيه بعد الأكل ولولا هذا الاجتماع لآهتد بهم عليهم الرواق . وههنا يقول القاري أن هذه الوقائع هي التي نقلها الكثيرون وعدوها عجيبه متواترة وما هي بعجيبه وانما هي وقائع حدثت بأسبابها وكان حدوثها بعد ما ذكر من باب المصادقة والاتفاق لا أن سر القديس كان سبباً في حدوثها . ومثل ذلك يتفق لكل أحد ولكن الناس لا يلتفتون الى هذه المصادقات الا اذا كان هناك من يعتقدون صلاحه . وهذا القول صحيح وهو يصدق فيما ينقله قومنا من مثل ذلك عن معتقديهم من الأحياء والأموات .

ألم يقل كثير من الناس ان الشيخ محمداً عبده اتهم في المسألة العرابية وحبس وهو بري لأن الشيخ عليشاً كان غاضباً عليه فكان ذلك كرامة للشيخ عليش . ولم يلتفتوا الى أن الشيخ عليشاً قبض عليه وحبس أيضاً ولم يقولوا إن ذلك كرامة للشيخ محمد عبده لأن الشيخ عليشاً سمع فيه وشاية وحاول إيداعه . وذلك ان الشيخ محمداً عبده كان متهماً بالعقل والحكمة لأنه أول من قرأ في الأزهر كتاب العقائد النسفية وبعض كتب المنطق والحكمة التي لم تكن تقرأ لذلك العهد ثم صارت تقرأ بعد ذلك بلا نكير . ألم يقل بعض الناس ان ابن الشيخ الضواهري أخذ شهادة التدريس لأن والده يخدم ضريح السيد البدوي فذلك كرامة للسيد ؟ وقد أخذ مثل هذه الشهادة كثيرون ولم يعد ذلك كرامة لأحد . بل قال بعض الحمقى في هذه الايام ان الشيخ عالياً اليللاوي صار شيخاً للأزهر بسر سيدنا الحسين (عليه الرضى والسلام) لأنه كان خادماً للمسجد الذي فيه الضريح المنسوب له ! وقد خدم هذا المسجد غيره ولم يكافئهم سيدنا الحسين بهذه المكافأة ونال مشيخة الأزهر كثيرون لم يخدموا المسجد الحسيني فلم يعد ذلك من الكرامات وخوارق العادات !!!

ذكرنا هذه الشواهد المتعلقة برجال معروفين من أهل الطبقة العليا في المسلمين ويعرف كل واحد من الناس مالا يحصى من أمثال هذه الشواهد التي يلهمج بها الناس في كل مكان . وهي عندهم أقوى من كل برهان ، بل أقوى من الحس والعيان ، والإحساس والوجدان ، بل هي ركن الاسلام والإيمان ، ويخشى بعض الخواص من تشكيكهم فيها ان يمرقوا من الدين . ويتفاتوا من جماعة المساميين ، وقد نقانا هذا الرأي فيما سبق عن بعض كبار الشيوخ وهو أنه يجب التأني في بيان الحق في مسألة الاعتقاد بالأولياء والتماس المنافع ودفع المضار من أصحاب القبور وجعل ذلك تدريجياً

فلا قصد اعتقاد الذين لا يعرفون من دلائل الدين غير ذلك ، ولقد تقدم في
 المقالة الحث في آيات الكرامة وتذكر في الجزء الآتي الحق المصريح الذي يقين
 تنطقه قلوب الناس في المسألة ، وبين ما ضاع هذا الاعتقاد ومعارضة وجوده تأويل ما ينقل
 عن جميع الأمم من الخوارق فلا يصحني التصاريح المرمية بهذه المسائل بالحكم حتى
 يقرأ المقالة الآتية مقدمة تمهيدا

باب الاستئذان والاجابة

للإسكان ومساكن عبد الله بن سلام (مس ١) ١ د . ع بالسويس : سأل عبد
 الله بن سلام النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه وكان اسمه أشياويل ألفاً
 وأربعمائة مثله وأربع مسائل من عوامس التوراة ذكرها سائر الأسماء « أخبرني
 أين مقعد للفلكين من السموات قلهما وما يوحسها وما منادها » فقال صلى الله عليه
 وسلم مقعدا بين كنفه وقمعه لانه ودواتهما رقبته ويوحسها فؤاده يكتمان
 أعماله الى رباه : فقال صدق يا محمد ، الخ . وقرأت حشمتي بحجة مكارم الأخلاق
 الإسلامية أني به لسؤال ضوارة [النساء والتقدير] وهذا معناه : كل يوم يزل على المبد
 مكان مع كل منهما محيقتان إحداها يمساه والأخرى مكتوب فيها أعمال السد من
 حسنات وسيئات فيكتبان في الصحيحين البصائر مائة ملول يومه حتى اذا انتهى
 النهار طالع الإسكان الصحيحين القتين كشفا على الآخرين فيصد انهما مثل بصمهما
 حرفاً بحرف ، الخ فهذان الحديثان ينافيان أحدهما الآخر في الأول إن لوحهما
 فؤاد العبد وفي الثاني أنه محيقتان بل إن بهما ظاهراً الاقامة حديثهم الهدي .

(ج) كل من الجديين غير صحيح ولا يجوز لكم أن تأخذوا بحديث تروونه
 في كتاب أو حجة أو حريدة الا اذا كان موصولا بذكر من خرج به من أمته الحديث
 حتى سهل مراجعته ومعرفة محته من عدمها أن لم يذكر من خرج به فذلك ولم يكن في
 الصحيحين . وهذه القصة المؤلفة في مسائل عدادة بن سلام المذكورة في خريطة
 المسالك - حصة الكذب - قصة موضوعة والذي في صحيح البخاري أن عبد الله
 ابن سلام سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثلاث من أول الساعة وعن أول
 طعام أهل الجنة وعن الوديع إلى أبيه وأمه . والرواية هكذا في غير البخاري
 من كتب الحديث وفي كتب السير ، قالوا وكان اسم ابن سلام الحسين فلما أسلم سماه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبدالله

﴿ مارؤي في الاسراء . مستقر الارواح . عذاب القبر ﴾

(س ٢) منصور أقندي رفعت بمصر : ما ذا رأى نبينا محمد في ليلة الاسراء ؟

(ج) « لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

(س ٣) ومنه : أين تستقر ارواحنا بعد الممات ؟

(ج) لم يرد في هذا نص صريح قطعي والعلماء مختلفون فيه والراجع عندنا اتباع طريقة السلف في تفويض الأمر الى الله تعالى في الأمور الغيبية وعدم البحث فيها وحسبنا ان ما ورد جائز عقلاً وقد أخبر به المعصوم

(س ٤) ومنه : ماهو عذاب القبر المنصوص عليه وهل هو عذاب مستمر أو وقتي وهل يقع على الروح فقط أو الجسم فقط أو كليهما ؟

(ج) الإحساس بالألم أو اللذة من شأن الأحياء والجسد لاهية له الا بالروح فاذا كانت الروح في الجسد ووصل اليها الألم بواسطة يصح أن يقال ان هذا الألم ألّه بالروح والجسد وان كان الشعور للروح وحدها . واذا كان الروح خلقاً مستقلاً مدركاً كما نعتقد فلا شك أنه يجوز أن يدركه الألم في حال تجرده كما كان يدركه في حال تقيده بالجسد فلم يهنا أن قول العلماء : إن عذاب القبر — أي الألم الذي ينزل بالإنسان بعد الموت وان لم يقبر — يكون على الروح والجسد : يتضمن القول بأنه يبقى للروح بعد الموت علاقة واتصال بمادة الجسد الذي كانت فيه وان تفرقت هذه المادة وانحلّت الى أجسام كثيفة وغازات لطيفة . ويستلزم هذا القول أحد أمرين إما عدم فناء مادة الجسم وإما انقطاع العذاب بفنائها . والمشهور عن المتكلمين الاشاعرة ان الجسم ينعدم على الراجح كما قال اللقاني

وقل يُعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق

والقول بالتفريق أي بعدم تلاشي مادة الجسم هو الراجح عند متكلمي المعتزلة وبعض الاشاعرة وهو الموافق لرأي الفلاسفة القائلين باستحالة العدم . والراجع عندنا ما قناه في جواب السؤال السابق من تفويض أمر عالم الغيب الى عالم الغيب سبحانه وتعالى

تأثير العين (س ٥) أحمد أقندي كمال الكاتب بمحكمة شين الكوم : جاء في القرآن وغيره من كتب الشرائع والديانات وكذا الامثال قديمة وحديثة ما أثبت وبرهن على وجود العين الحاسدة وتأثيرها في المحسود فارجو بيان حقيقة تلك المؤثرات التي تخرج

من المؤمنين أو القليل وكيفية تأثيرها على المصود من حلال وملك وإنسان بطرق مشروعة (ج) ليس في القرآن الكريم ما يثبت السنين ولكن ذكر المفسرون مسألة الدين وجهان تفسير قوله تعالى «وان يكاد الذين كفروا ليزلزلونك بأبصارهم لما سمعوا الذِّكْرَ وخولوناهم لمجون» . ولعلنى للتأثير أنهم كانوا ينظرون إليه بنظر التيقظ والحق وفي آية أخرى في المتأخرين «ينظرون إليك نظر للنشيء عليه من الموت» ثم قد ورد في حديث الشيخين وصيرها «الدين حق» أي أمر ثابت عند الناس وواقع فيهم ولم يرد في بيان كيفية تأثير الدين شيء في الشرح وإنما ورد ما يدل على أنها تؤثر ولا حجة في فهم هذا التأثير إلى ما أكثر من المعروف المشهور فإن لبعض الناس استعداداً غيائرياً في التأثر ولبعضهم منه في التأثر ومن ذلك صناعة التوهم المضطرب المروعة عند الغربيين - وانتقال مطلق التأثير من نفس إلى نفس مسود في جميع الناس أو أكثرهم قلل من ينظر صاحب تأمر شديد محزن أو خوف الا ويحدث في نفسه رأياً من ذلك

المسألة الثامنة (ب ٦) شيخ العرب ابراهيم جلي بالسنتين : رجو من يبادتكم أن تصدقوا من المسألة الثامنة التي سألت الخليفة للأموال يعني ابن أكرم هنا حين ولاء القضاء ما هي وما جوابها

(ج) المسألة الثامنة مسألة في الفرائض وهي أبواب وايتان لم تقسم الزكاة حتى مات أحدى التتبعين وترك من في المسألة - وقد سألت للأموال عما يعني عند ما وصفت له وأراد تولية القضاء فقال : يا أمير المؤمنين المت الأول رجل أمه امرأة؟ فبم للأموال من هذا السؤال أنه قد فهم المسألة لأن الاشكال مما كان من إيهام الميت الأول الذي مات عن أبوين وميتين . وبين الحواب أن الميت الأول إذا كان رجلاً تصح للماتك من أروسة وميتين وإن كان امرأة لم يرث الجسد في الثانية فتصح المسائل من نهاية عشر

﴿وصية بطرس الأكبر قيصر روسيا﴾

(نشر هذه الوصية عميداً لثقال سكنت في قننة مكتوباً وحالة دولة البيرة وروسيا وأوروبا)
المادة الأولى - من اللازم أن عاد السباكر دائماً إلى الحرب وبني لامة الروسية أن تكون متضادة على حالة الكفاح لتكون البعة الوغى . وترك وقت لراحة السباكر أو لأجل اصلاح اللأية وتوثيرها وإن كان ضرورياً يلزم معان يكون تنظيم المسك ان

متعاقباً وتكون مراقبة الوقت الموافق للهجوم متصلة . وعلى هذه الصورة ينبغي لروسيا أن تتخذ زمن الصلح والاماز وسيلة قوية للحرب وهكذا زمن الحرب للصلح وذلك لاجل زيادة قوتها وتوسيع دائرة منافعها

المادة الثانية — في وقت الحرب ينبغي اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستجلاب ضباط الجنود من بين الملل والاقوام الذين هم أكثر علماً منافي أوروبا وكذلك في زمن الصلح يتعين استجلاب أرباب العلم والمعارف منهم ايضاً ويلزم الاعتناء بما يجعل الامة الروسية تستفيد من منافع سائر الممالك ومحسناتها بحيث لا تضيع فرصة للسي في تحصيل المحسنات المخصوصة بمملكاتها

المادة الثالثة — عند سنوح الفرصة ينبغي وضع اليد والمداخلة في جميع الأمور والمصالح الجارية في أوروبا وفي اختلاقاتها ومنازعاتها وعلى الخصوص في شؤون ممالك ألمانيا الممكن الاستفادة منها بلا واسطة بسبب شدة قربها

المادة الرابعة — ينبغي استعمال ضروب من الرشوة لاجل إلقاء الفساد والبغضاء والحسد دائماً في داخلية ممالك (له) وتفريق كلمهم واستمالة أعيان الامة ببذل المال واكتساب النفوذ في مجلس الحكومة حتى يتمكن من المداخلة في انتخاب الملك وبعد الحصول على انتخاب من هو من حزب روسيا من تلك الامة ينبغي حينئذ دخول عساكر روسيا في البلاد لاجل حمايتهم والتعصب لهم باحتلال العساكر المذكورة مدة مديدة هناك الى أن تحصل الفرصة لاتخاذ وسيلة تمكثنا من الاقامة وعند ما تظهر مخالفة في ذلك من طرف الدول المجاورة فلاجل اخمد نار الفتنة موقتاً ينبغي أن تقاسم المخالفين في ممالك (له) ثم تترقب الفرص لاسترجاع الحصص التي تكون قد أعطيت لهم .

المادة الخامسة — ينبغي الاستيلاء على بعض الجهات من ممالك أسوج بقدر الامكان ثم نسي في اغتنام وسيلة لاستكمال الباقي منها ولا نتوصل الى ذلك الا بوجه تضطرب فيه تلك الدولة الى أن تعان الحرب على دولة روسيا وتهاجمها . والذي يلزم اولا هو أن نصرف المساعي والهمة لإلقاء الفساد والنفرة دائماً بين اسوج والدانمرك بحيث يكون الاختلاف والمراقبة بينهم دائمين باقين

المادة السادسة — يجب على الاسرة الامبراطورية الروسية أن يتزوجوا دائماً من بنات العائلة الملوكية الألمانية وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم ومشاركتهم في

المنافع اذ بهذه الصورة يمكن اجراء نفوذهم في داخل المانيا ويربطون أيضاً الممالك المذكورة لجهة منافعنا ومصالحتنا.

المادة السابعة — ان دولة انكلترة هي الدولة الاكثر احتياجاً اليها في امورها البحرية ولهذا الدولة فائدة عظيمة جداً أيضاً في أمر زيادة قوتنا البحرية فلذلك كان من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة على سائر الدول وبيع حاصلات ممالكنا كالأخشاب وسائر الأشياء الى انكلترة وجلب الذهب من عندهم الى ممالكنا واستكمال أسباب الروابط والصلات الدائمة بين تجار وملاحى الطرفين فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا

المادة الثامنة — على الروسين أن ينتشروا يوماً فيوماً شمالاً في سواحل بحر البلطيق وجنوباً في سواحل البحر الاسود

المادة التاسعة — ينبغي التقرب بقدر الامكان من استانبول والهند وإن من القضايا المسلمة أن من يحكم على استانبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها فلذلك كان من اللازم احداث المحاربات المتتابعة تارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الايرانية وينبغي الاستيلاء على البحر الاسود شيئاً فشيئاً وذلك لاجل انشاء دور صناعات بحرية فيه والاستيلاء على بحر البلطيق أيضاً لانه خير موقع لحصول المقصود والتعجيل بإضعاف بل بمحودولة ايران لتتمكن من الوصول الى خليج البصرة وربما تتمكن من اعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة الى بلاد الشام والوصول منها الى بلاد الهند التي هي بمثابة مخزن للدنيا وبهذه الوسيلة نستغني عن ذهب انكلترة

المادة العاشرة — ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاق والاتحاد مع دولة اوستريا والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بترويج افكار الدولة المشار اليها من جهة ما ينبغي اجراءه من النفوذ في المستقبل في بلاد المانيا واما الباطن فينبغي لنا فيه أن نسي في تحريك عروق حسد وعداوة سائر حكام المانيا لها وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاستمداد من دولة روسيا ومن اللازم اجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لنا فيها الحكم على تلك الدول في المستقبل

المادة الحادية عشرة — ينبغي تحريض العائلة المالكة في اوستريا على طرد الاتراك وتبعيدهم من قطعة الرومي وحينما نستولي على استانبول يجب علينا أن نساط دول اوروبا القديمة على دولة اوستريا لتأخذها حرباً أو نتمكن حسدها ومراقبتها لتأبأ عنها حصتها صغيرة من

الاماكن التي تكون قد أخذناها من قبل وبعد ذلك نسي بترع هذه الحصنة من يدها
المادة الثانية عشرة — ينبغي ان نستميل الينا جميع المسيحيين الذين هم من
مذهب الروم المنكرين رياسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية
وفي جنوبي ممالك (له) وتلجهم الى ان يتخذوا دولة روسيا مرجعاً ومعيناً لهم ومن
اللازم قبل كل شيء احدث رياسة مذهبية حتى تتمكن من ايجاد نوع من الحكومة
الرهبانية عليهم فتسعي بهذه الواسطة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوي غيرة نستعين بهم
في كل ولاية من ولايات أعدائنا

المادة الثالثة عشرة — حينما يصبح الاسوحيون مشتتين والايروانيون مغلوبين
واللاهيون محكومين والممالك العثمانية مضبوطة لنا أيضاً نجتمع معسكراتنا في محل
واحد مع المحافظة على البحر الاسود وبحر البلطيق بقوتنا لبحرية وعند ذلك لظهر
أولاً لدولة فرانساً كيفية مقاسمة حكومات الدنيا بأسرها بيننا ثم لدولة اوستريا ويعرض
ذلك على كل من الدولتين المشار اليهما كل منهما على حدة بصورة خفية جداً لقبول
ذلك واذا كان لابد من ان احدهما قبل هذه الصورة فعند ذلك ينبغي مداواة
واحترام كل منهما ونجعل من كانت منهما قابلة بما عرضناه عليهما واسطة لتسكيل
الآخرى. واذا تكون دولة روسيا حينئذ قد استولت على جميع الممالك الشرقية ويكون
مثل ذلك أعظم قطع اوروبا حديثة الدخول في يد تصرفها فعنده يسهل عليها أن تقهر
وتشكل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين

المادة الرابعة عشرة — على فرض الحال ان كلا من الدولتين المشار اليهما لم تقبل
بما عرضته عليهما روسيا فينبغي حينئذ لروسيا ان تصرف الأفكار لمراقبة ما يحدث
من النزاع والخلاف بينهما فاذا وقع ذلك فلا بد أن أحد الفريقين يشتبك مع الآخر
ويضعف كل منهما وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق
حالا معسكراتها المجتمعة أولاً بأول على ألمانيا فهجم على تلك الجهات ثم تخرج قسمين
كبيرين من السفن أحدهما من بحر أزق المملوء بالصاكر الوافرة المجتمعة من أقوام
الاناضول المتنوعة والثاني من ليمان ارخانكل في البحر المتجمد الشمالي فتسير
هذه السفن وتمر في البحر الابيض والبحر المحيط الشمالي مع الاسطول المقيم في
البحر الاسود وبحر البلطيق وتهجم كالسيل على سواحل فرانساً وأما ألمانيا فانهاتكون
اذاً مشغولة بمحاربتها. وبما ذكرناه تصبح المملكتان الواسعتان المذكورتان مغلوبتين

على هذه الصورة فالقطعة التي تبقى من أوروبا تدخل بالطبع تحت الاتقياد بسهولة وبدون محاربة وتصير جميع قطعة أوروبا قابلة للفتح والتسخير .

أشار على البرية

باب التقريظ

(أحسن الكلام . فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام)

سمعنا بأن أحد أعضاء المحكمة الشرعية العليا بمصر ألف كتاباً أو رسالة وإنها توزع على جميع المحاكم الشرعية وعلى جميع مأذوني الشرع باليمن فتشوفت نفوسنا للاطلاع عليها ظانين أنها في إصلاح هذه المحاكم التي يشكو الناس من سوء سيرها وقد استحضرنّا نسخة منها فإذا هي كراسة للشيخ محمد بن حيت المشهور في مسائل اختلاف الناس فيها هل هي بدعة ينبغي تركها أم لا وقد مهد المؤلف لها بكلام في السنة والبدعة . أما المسائل المقصودة بها فهي الترقية التي اعتادها المسلمون في المساجد يوم الجمعة وكذلك قراءة سورة الكهف في المسجد الجامع عند اجتماع الناس للصلاة الجمعة والاجتماع لقراءة قصة المعراج والمولد وفضايا ليلة النصف من شعبان ورفع أصوات المشيعين للجنّازة بنحو ذكر وغير ذلك . وقد كان شيخ الجامع الأزهر السابق الشيخ سليم البشري سئل عن الترقية وما في معناها فأفتى بأنها بدعة تجنب ولكن ديوان الأوقاف صاحب السلطة على المساجد لم يعمل بهذه الفتوى لأن السلطة الإدارية لا تنفذ كل ما يفتي به رجال الدين وإن كانت رياستهم رسمية من قبل رئيسها . وفي الكراسة على صفحها فوائد كثيرة منها ما يسلم ومنها ما هو منتقد ولما كان المؤلف من كبار علماء الأزهر الذي يعتنى بكلامهم وجب علينا الاعتناء بكلامه والبحث فيه فنقول

ذكر المصنف بعد سرد الاسئلة التي كتب رسالته جواباً عنها أن الأصل في الأحكام الشرعية الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح وأن كل ما استند الى أصل من هذه الأصول فهو حكم الله وشرعه وأن كل ما لم يكن مأخوذاً من واحد منها فهو بدعة وضلالة واحداث ما ليس من الدين فيه . قال : وليس كل ما لم يفعل في عهده صلى الله عليه وسلم بدعة شرعية مذمومة بل اذا حدث فعله بعد زمنه عليه الصلاة

والسلام كان بدعة لغوية وحينئذ تعترها الاحكام الخمسة :
 وقول ان ما ذكره هو المعروف عن العلماء وذكره ابن حجر في فتاواه الحديثية
 وسبقه الحافظ في الفتح وفيه اجمال يحتاج الى بيان وهو ان ما حدث بعد زمن التشريع
 ان كان داخلاً فيما لا قياس ولا اجتهاد فيه كالأموار الاعتقادية والتعبدية فهو بدعة
 وضلالة قطعاً لا سيما اذا اتخذ شعاراً دينياً والا لجاز لنا أن نزيد في الدين عبادات وشعائر
 كثيرة يعرف بها المسلمون وهي مما لم يعرف عن الله ورسوله وانما نخترع لها أقيسة
 نسميها بدعاً مستحسنة . فليحفظ القارئ هذا

وكما انتقدنا الإجمال في هذا الموضع نتقد فيه التمثيل فقد مثل للبدعة الشرعية
 المخالفة للأدلة القطعية بالقول بفرضية المسح على الرجلين دون غسلهما وعلاه بالمخالفة
 « نص الكتاب » . وما جاء في الكتاب ليس نصاً فيما قال لا يحتمل سواء بل ان قوله
 تعالى « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » على قراءة الجر (وهي قراءة
 ابن كثير وحمزة وإبي عمرو وعاصم أي أكثر السبعة) ظاهرة في وجوب المسح
 ولذلك أوله العلماء القائلون بعدم الاكتفاء بالمسح بأن الجر في الرجلين للمجاورة
 وقد رده القائلون بالمسح بأنه قد عدلنا لأنه لم يرد الا شاذاً في الشعر الذي يغتفر فيه
 مالا يغتفر في غيره لمكان الوزن وبأنه على شذوذه لم يرد بالمعطف كما في الآية وبأنه
 يشترط فيه الأمن من الالتباس ولا أمن هنا . وكلام الله المعجز ببلاغته ينزه عن الشذوذ
 والالتباس . وتأويل قراءة النصب بالمعطف على المحل أقرب من هذا التأويل . نعم
 ان الفصل مسح وزيادة وإنه ثبت في السنة الصحيحة وعليه الجماهير الا الشيعة وإنه
 أحوط ولكن هذا كله لا يصح تعليل المؤلف بأن القول بفرضية المسح بدعة
 لمخالفة نص الكتاب .

ثم ذكر البدعة المكروهة وعدّها منها زخرفة المساجد بغير الذهب والفضة وقال
 كما قال ابن حجر « وإلا كانت من القسم الأول » أي المحرم . ثم ذكر البدعة الواجبة
 فقال « وتارة يكون بدعة واجبة كنصب الأدلة للرد على أهل الفرق الضالة وتعليم
 العلوم التي يتوقف عليها فهم الكتاب والسنة » ولا أدري كيف ساغ لهم عدّ نصب
 الأدلة للرد على الفرق الضالة من البدع والقرآن الكريم طافح بهذه الأدلة نعم ان
 المتكلمين سلكوا فيها غير مسلك القرآن بعنايتهم في الأدلة النظرية المحضة وأكثر
 أدلة القرآن مستندة الى المحسوسات ولكن الاثبات بأدلة جديدة لا يقتضي أن يكون .

أصل نصب الأدلة بدعة فان البدع والبدعة في اللغة ما كان على غير مثال سبق . ثم طفق يستدل على أن البدعة تنقسم الى الاقسام المذكورة فذكر أموراً متقدمة أولها إخراج الصحابة اليهود والنصارى من جزيرة العرب وثانيها قتالهم غير العرب من الكفار . والثاني منصوص في الكتاب والأول جاءت به السنة . أخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عمر « ان عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها الا مسلماً » وأخرج الترمذي والحاكم من حديثه أيضاً « ان عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب » وأخرج أحمد وأبو يعلى في مسنده والحاكم في الكنى وغيرهم عن أبي عبيدة قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب وأعلموا ان شر الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . وأخرج أحمد من حديث عائشة « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » وبقيت أحاديث بمعنى ما ذكر

وقد احسن المؤلف في قوله : « نعم ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود مقتضى لفعلة كان تركه سنة وفعلة بدعة مذمومة ولذلك كره أصحابه عليه الصلاة والسلام استلام الركبة الشاميين والصلاة عقب السعي بين الصفا والمروة لترك النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مع أنه كان يعلم المناهك للناس » نقول وكذلك يقال في جميع التعبدات والشعائر الدينية لأنها مبنية على الاتباع المحض ولا مجال لاجتهاد الناس فيها لأنها ليست مما يختلف باختلاف الزمان والمكان وتقدم ايضاح هذه المسألة في غير هذا الجزء من المنار هذا ما نقوله في تمهيد هذه الرسالة ولما قول آخر في المسائل المقصودة منها بالذات ترجئه للجزء الآتي

الاسلام في عصر العلم — صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو مؤلف من أربع كراسات [كل كراسة ١٦ صفحة صغيرة] الأولى في الفصل الاول من الباب الاول من مبحث الإنسان وهو في معرفة الانسان نفسه . والثانية في تمهيد للبحث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . والثالثة في البحث عما وراء المادة وعظيم شأنه عند علماء أوروبا المشتغلين بمسألة استحضار الارواح . والرابعة في ملحق الكتاب الموضوع للبحث في داء الأمة ودوائها . وقد اختار المؤلف ان يصدر في كل جزء كراسة من كل باب من أبواب الكتاب لئلا يطول على القراء الكلام في المقدمات فيملؤوا

وهاهنا نذكر رأياً رآه غير واحد وهو ان المؤلف الذي عني أشد العناية بتبج
أقوال الباحثين في استحضار الأرواح ويرى أنها الذريعة الوحيدة لإثبات الدين
ينبغي له ان لا يكتفي بالاطلاع على أقوال المثبتين لهذه المسألة وتعريبها بل الذي ينبغي
له هو أن يشتغل بالمسألة عملاً ويثبتها بتجربة والاختبار طريق العلم في هذا العصر
وعسى أن تهض به الهمة الى السفر الى أوربا والاجتهاد بتحقيق هذه الامنية .
وههنا نعيد التريغيب في الاقبال على كتابه مساعدة له على هذه الخدمة

مذهب تولستوي — كتاب باللغة الروسية عربية سليم افندي قبعين وهو • يحتوي على
مختصر ترجمة الفيلسوف تولستوي وآدابه وفلسفته وآرائه الدينية وحرمة المجمع المقدس له
واعترضه واحتجاج زوجته على مضمون الحرم ثم ردود رجال الدين الروسي على آرائه
الدينية [مزينا برسمه] • وقد طبع الكتاب على نفقة ابراهيم افندي فارس صاحب
المكتبة الشرقية بمصر واهدانا نسخة منه ولما تمكن من مطالعته . ويعلم القراء ان
للفيلسوف تولستوي يدأ في الحركة العلمية في بلاد روسيا ولذلك كان هذا الكتاب
جديراً بأن يقرأ وهو يطلب من المكتبة الشرقية

بَابُ الْخَبَرِ الْكَلْبِ

(فكاهة بدوية . في أخبار البلاد العربية)

فكاهة القراء بنص كتاب أرسله بدوي نجدي الى مثله من التجدين الذين يختلفون
الى هذه الديار للتجارة وانصه:

«ورد علينا جواب من بمبائي ويذكر فيه بأن ابن سعود كان على ابن سبهان
وابن جراد على النبي ومعهم سبعة أسلاف من شمر وحروب وقحاطين وصليلات
وقطعمهم قطع ومعهم جميع ذخرة ابن رشيد وجيشه والذي سلم منهم زبن بريدة وابن
رشيد نازل على الحفر ويوم جاء الخبر شد وشمل . ويذكر صالح الحسن وأهل
القصيم معهم قية ٢٠٠ ذلول نازل البطان وجابر ابن صباح وقومهم على الصيحة .
هذا الذي ورد علينا والكون في ٢٨ شوال »

(تفسير الغريب) ابن سبهان وابن جراد قائدان من قواد ابن رشيد والتقى واد في أرض القصيم . والاسلاف الطلائع الذين يتقدمون الجيش وله أصل في الفصيح قال في الاساس : وسلف القوم تقدموا سلوكاً وهم سلف لمن ورائهم وهم سلاف العسكر : وحروب يريد به طوائف من بني حرب وعلى هذا النحو جمع فحطان وصليلة . والذخيرة مؤنث الذخر بمعنى الذخيرة . وقوله « زين بريدة » اي لجأ اليها وهي قرية من قرى القصيم الكبيرة . والزين في اللغة الدفع ومنه سمي الشرطة واعوان النار زبانية لأنهم يدفعون الناس ويدعونهم وجاء في كلامهم « نحتة جمل يزبن المطي بمنكيه » أي يسبقها . كأن البدوي هنا يريد أنهم لجأوا الى بريدة مدفوعين بقوة اعدائهم . والحفر بين البصرة وبلاد نجد كما يقولون . وشمل سار الى جهة الشمال . وفي الفصيح : شَمَلَ به : أخذ ذات الشمال . والبطان — وقال لنا من ارسل اليه الكتاب : الصواب البطانيات — مياه ينزلون عليها في جهة الدهناء . والذلول الناقه المذلة صربية فصيحة . والصيحة بالقرب من الكويت وهي منسوبة الى ابن صباح . وجابر هذا هو ابن مبارك الصباح شيخ الكويت . والكون ، يريد به الغزو الذي ذكره

﴿ مشيخة الجامع الأزهر وثقافة الاشراف ﴾

قضت إرادة الأمير بعزل الشيخ سليم البشري من مشيخة الأزهر وقد استشاروا نظارة هذه المرة فيمن يولي بدلا منه فكان لهم في كل واحد من كبار الشيوخ المرشحين من سنو لهذا المنصب على تحويل دون توليته إياه حتى إذا رشح السيد الشيخ علي البيللاوي نقيب الأشراف اتفقوا عليه فأصدر العزيز أمره بتوليته فنهته بهذه الثقة ونسأل الله تعالى أن يجعل أيامه أيام اصلاح يتقدم فيها الأزهر تقدماً مبنياً . وان لنا مع هذا الدعاء رجاء فاننا نعهد بالسيد الرفق وهو عنوان الخير والله يحب الرفق في الأمر كله كما في حديث عائشة عند أحمد والشيخين والنسائي وابن ماجه . وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ما كان الرفق في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه » رواه عبد بن حميد والضياء عن أنس . وأما الحرق ضد الرفق ، فان صاحبه يشغله الغرور عن الاحساس بالحاجة الى اصلاح . وان لنا لعودة الى الكلام في الأزهر ان شاء الله تعالى ثم قضت ارادة الأمير بأن يعيد منصب نقابة الاشراف الى انصابه الأول وهو بيت البكري الشهير فأمر باعادة النقابة الى صاحب السباحة السيد محمد توفيق أفندي البكري شيخ مشايخ الطرق وكانت تحولت عنه من بضع سنين . وعهد الى ديوان الأوقاف

العمومية بالنظر في أوقاف الاشراف وإدارتها وكان النقيب هو الذي يديرها

﴿ مدرسة ماهر ﴾

كنا استبشرنا عند ما علمنا بأن المرجوم عثمان باشا ماهر أوقف أرضاً واسعة على إنشاء مدرسة إسلامية ونوهنا بذلك تنوهاً حسناً . ولكن قد خاب أملنا في هذه المدرسة منذ علمنا أنه عين في الوقفية لكل معلم يعلم فيها راتب لا يزيد على أربع مئة قرش في الشهر وما كان لأحد يحسن التعليم أن يرضى بهذا الراتب في مصر وإنما قائدة المدرسة بالمعلمين . ولقد كان الذي أشار بهذا التعيين هو الذي أحبط عمل الواقف بما جملة صورة بغير معنى . وإن هذا لمن البراهين المثبتة لرأينا بأن نجاح الأمة لا يعوزه المال وإنما يعوزه الرجال قالمال كثير والرجال قليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

﴿ إصلاح حروف المطابع العربية ﴾

للحروف العربية شكل في الافراد وشكل في تركيب الكلمات بل أشكال قائدها الاختصار فان الكلام اذا كتب بالحروف المفردة يشغل من مساحة الورق أكثر مما يشغله اذا كتب بهذا التركيب المعروف وبهذا يفضل خطنا خطوط اللغات الاجنبية ولكن له سيئة في الطباعة وهي كثرة أشكال الحروف التي تتألف منها الكلم وقد زاد هذه السيئة سوءاً واضعوا أشكال حروف الطبع فأنهم جعلوا أشكالها بضع مئين لأنهم جعلوا للحرف الواحد أشكالا مفردة وأشكالا مركبة مثنى وثلاث ورباع فبانت أشكال الحروف في مطبعة بولاق الاميرية تسعمائة شكل وهي في غيرها من مطابع أوروبا والاسنانة والشام أقل من ذلك ويزعمون أن كثرة الاشكال لحفظ جمال الخط العربي ولكننا نرى ان أكثر هذه المطابع أشكالا أقلها جمالا

وقد ارتقت الطباعة العربية في الاسنانة والشام وقلت أشكال الحروف الاستانبولية ووجدت هذه الحروف في مصر فحسنت بها الطباعة وصار طبع المطبعة الاميرية — وهي أشهر المطابع العربية في الدنيا — أقبح الطبع وان كانت لا تزال بمتازة بالتصحيح لذلك توجهت عناية نظارة المالية الى اصلاح هذه المطبعة فألفت لجنة للبحث في طرق الاصلاح رئيسها ابراهيم باشا نقيب وكيل الداخلية وأعضاؤها الشيخ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية في نظارة المعارف وشيلوبك ناظر المطبعة الاهلية والجراند الرسمية وأمين سامي بك ناظر مدرسة الناصرية وأحمد زكي بك الكاتب الثاني لاسرار محاسن النظر وكان عمل هذا النظر في اختصار صندوق الطباعة وتسهيل

جمع الحروف فاختبر حل المطابع العربية في الاستانة وأوروبا فوجد أن أقل المطابع حروفاً مطبوعة أكثروها بنظرنا فأشكل حروفها ٢٨٢ شكلاً وبمدادها وتوقيعها اعتدى إلى حين عند الحروف ١١٢ يضاف إليها من الحروف الالهية الخمسة في اقلعت الشرق التركية والفارسية والهندية والجاوية والسليزية وبعض المركبات والارقام والعلامات التي لا بد منها فتكون ١٧٨ وقلة أن يصير علامات العلوم الرئيسية أيضاً وذكر أن حوائده الطريقة تحليل أدوات الطابعة والاقتصاد في المال والوقت والمسائل والناسق، يقتضي في السطور، وقد كتب مذكرة في رأيه قلبها اللجنة وصححت نظارة المالية بخاتمة آلاف جنيه وبسبب لتعديد الاصلاح

وأهل الصناعة يتأزعون في بعض الفوائد ولكنهم لا يكرهونها من أصلها وقد أشرنا إلى دعمهم أن هذا الاختصار يذهب ببعض جمال الخط الذي يحفظ الطبع سورة بسبب حذف بعض الاشكال واستبدال المفصول بالافصل ولو اتحدت النظمه الأربعة سندوقاً أو أكثر من الاشكال التي تضي محدثها وخسبها بكتابة القناوين ورواق الزبارة والمجموعة ونحو ذلك لأحدث عملاً. الاقتصاد في الوقت يظهر بادي الرأي وله لايم تجربة لأن العامل يمد يده إلى الصندوق الذي كل حروفه معرفة عدد حروف الكلمة وإلى ما فيه حروف مركبة أقل من ذلك. ومن الجلي أنه لا اقتصاد في نسخ الحروف لأن قلة الاشكال لا تعني قلة عدد الحروف. ولكن قلة الحروف تسهّل تعليم جمع الحروف وسرعة التمرن بل هي تسهّل تعليم القراءة والكتابة أيضاً

فيه المشتركين

يرى القراء من الخاتمة الآتية أننا سزدد الآثار اتحاداً ولكننا لم زد عنه الا قليلاً بالنسبة إلى خارج البلاد المصرية فكل من قبل العدد الأول من السنة السادسة في النظر المصري هو مشترك كالي نهاية السنة ويكرم يدفع حسين قرشاً مهيحاً. وقبعة الاستراك في خرج النظر ١٨ فرنكاً وفي الهند ٩ روبيا وفي روسيا ٧ ريات (روبل)

خاتمة السنة الخامسة قننار

قد تمت بهذا الجزء سنة للتسعة الخامسة وكان انتشارها مما فوق ما كنا نرجو وتوقع فقد زاد عدد المشتركين مما كنا نقدر تخميناً على السنين السابقة زاده سالحة تجاوزت عدد جميع المشتركين في السنة الأولى والثانية. ثم ان نموّه لم يمتد قد زاد أيضاً وتصلح حزب الشيطان للمطرس ولا أو المجلد تحليلاً وتبه النسلون إلى

أن لهم مجلة دينية تخدم ماتهم بحق كما ان لساثر الأمم مجلات وجراند دينية تخدم ملاهم ونحلهم المتفرقة . نعم صار المنار موضع ثقة العلماء والفضلاء والعامة في بلاد العرب والعجم وقد سبق القول بأنه صار يخطب به على المنابر . ويحتج به في المحاكم ، ويعتمد عليه في ردّ شبهات المعارضين على الدين ، وإقامة حججه للمسترشدين .

اشرنا فيما سبق الى شهادات بعض أعلام المسلمين العارفين بالمصالح العامة كوزير مصر الاكبر رياض باشا وكمحسن الملك بهادر سيد مهدي على خان ناظم مدرسة العلوم في عليكده (الهند) وبعض المجتهدين والعلماء في ايران وغيرها . ونقول الآن ان المنار ظفر رضاء كبار شيوخ الطريقة أصحاب النفوذ الروحي . ونذكر كلمة لأشهرهم في بلاد مصر والسودان وهو الشيخ علي الميرغني رئيس الطائفة المرغنية الكبيرة فقد كتب الينا في ٢٩ ذي القعدة الماضي كتاباً يقول فيه : « ويسرنا أن نبليكم مزبد سرورنا وارتياحنا لهذه المجلة القائمة بالخدمات الصادقة الجليلة للإسلام والمسلمين ونسأل الباري أن يكلل عملكم المفيد بالنجاح والفلاح : »

ولا شك عندنا في أن هذا أثر الإخلاص وحسن النية في العمل فهذه هي بضاعتنا التي لا ربح لنا في سواها والتي نرجو أن تكون مكفرة لجميع سيئات ضعفنا في العلم والتحرير ، وما يلزم عنهما من الخطأ والتقصير ، فالتنا تبرأ من حولنا وقوتنا الى حول الله وقوته وهو نعم المولى ونعم النصير .

كما نذكر تقريظاً للفضلاء عملنا تحمداً بنعم الله وشكراً له ولعباده الأخيار الذين ينوّهون بالمنار ويرغبون الأمة فيه نذكر انتقاد أهل الفضل مع التناء والشكر أيضاً لأن حاجتنا الى الأمرين واحدة إذ الفائدة واحدة وهي زيادة البصيرة في العمل . فاذا كان رياض باشا يثني على المنار في غيتنا على مسمع الملا ويقول في محفله الحافل : ينبغي لكل ذي احساس ديني أن يقرأ المنار ويساعده : فهو يذكر لنا اذا خلونا به كل ما يراه متقدماً وقد انتقد مما نشر في هذه السنة أمران أحدهما الكلام في محمد علي باشا الكبير والثاني لاحقة سجل جمعية أم القرى التي فيها ما فيها من مساوي الدولة العلية (أيدها الله) وقال ان ذلك ليس من موضوع المنار ولا ينبغي له

واذا كان الشيخ محمد محمود الشنقيطي ينوّه بالمنار كثيراً وسبق له تقريظه بقصيدة فهو يذكر لنا ما يراه أحياناً متقدماً وقد كنا ذكرنا انتقاده كلمة (الاستلفات) وتعدية التعزية بالباء داخلة على المعزى عنه . ونذكر الآن أنه انتقد ماورد في تفسير قوله

تعالى « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » من حكاية قول العلماء في ان الملائكة الموكلين بالعوالم الحية هم من قبيل القوى أو أرواح يكون بها نظام حياة تلك الأحياء ومن ذلك خواطر الحيز في الانسان كما ان خواطر الشر من أرواح خبيثة تسمى الشياطين . قلنا هذا القول من تفسير الاستاذ الامام وذكرنا في الهامش كلمة في المسألة للامام الغزالي في كتاب شرح عجائب القلب وقد سمي الاستاذ الامام هذا لرأي في هذا النوع من الملائكة تأويلاً بل ذكر ما يقتضي انه من باب الإشارة إذ قال « فيه إيماء الى الخاصة » الخ ولم يجعله العمدة في تفسير الملائكة . وقد اشتبه هذا القول على كثيرين وتعلقوا به وغفلوا عن تصريح الاستاذ الامام بان الواجب اعتقاده أن الملائكة خلق غيبي مستقل وانهم فرق كمدل عليه قوله تعالى « وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون » وأول سور الصافات والمرسلات والازعات . ونرى ان سبب انتقاد الشنقيطي نقل ذلك القول وان كان من الإشارة الى الخواص « وهو منهم » هو أنه مثار لأوهام العوام وهو مصيب في ذلك .

وانتقد مما نشر في هذه السنة أيضاً تشبيه النساء المهدبات بالملائكة الذي ورد في نصيحة للنساء (ج ١٥ - ٥) وقد سرى هذا التشبيه إلينا من كتاب العصر الذين يكثرون منه وهو تشبيه قديم كما يدل قوله تعالى « ما هذا بشراً ان هذا الا ملك كريم » وانما ينكره الاستاذ في الكوافر

وانتقد منه أيضاً افتتاح مقالة في الرد على كاتب نصراني بقوله تعالى « يحرفون الكلام عن مواضعه » الخ والآية نزلت في اليهود باتفاق وإنما قصدنا بها الاقتباس لا التفسير وقد قلنا أن نذكر من قبل انتقاده ما جاء في بعض مقالات المحاورة بين المصلح والمقلد التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع من ترجيح أحد المتناظرين حل المنة وقد رغب إلينا الاستاذ بأن ننشر احتجاج القاضي يحيى بن أكثم على المأمون عندما أباحها ورجوع المأمون عن ذلك وسنعمل ان شاء الله تعالى . وعسى أن يحفنا الاستاذ دائماً بما يراه منتقداً في المنار ونعده بأننا نتقبل ذلك بقبول حسن ونشكره أفضل الشكر وههنا تنبه جميع العلماء الى القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي كاد يضع الدين باهما لها ولا ترجى حياته الا بالقيام بها وندعو من يطلع على المنار منهم الى تنبيهنا على يرويه خطأ بالقول أو الكتابة ومن أحب منهم أن ينشر انتقاده معزواً اليه فانا ننشره له مقروناً برأينا فيه مع الأدب والشكر وليس من شأن أهل

يشكر الانسان عمل أخيه في غيته ويكتمه عنه، والله لا يسمع عن بعض الناس
ويطرون النار أماناً كلاماً لا يرخي وهذه شذوثة المفاقيين وشر الناس يوم القيامة
يقذفوا السابن الذي يأتيهم لاء بوجه وهو لاء بوجه كما في حديث أحمد والشيخين
من الناس من يعتذر عن نفسه في ترك الأمر المعروف والنهي عن المنكر بأن
لا يقبلون أو أنهم يؤذون من يأمرهم وينهاهم بالقول أو الفعل . وهانحن أولاء
نحكي رؤس الاشهاد إن أم الناس علينا وأحقهم بالشكر من يدلي على ما يراه
خطأ في النار من يدعي أن في النار خطأ في المسائل الدينية أو غيرها ولم يذكرها
قولاً أو كتابة فهو فاسق تركه فريضة الهي عن المنكر من غير عذر وعلى الناس
أن يستدلوا من قوله على أنه فاسق أو مافق ومن كان كذلك لا يقبل له قول في العلم
والدين . روى ابن عدي والحاكم عن أس وعيرهما عن غيره أن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال : « ان هذا العلم دين فاطروا عمن تأخذون دينكم » وقال تعالى « يا أيها
الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »
لا يلح هذا اللحاح في حمل الناس على انتقاد المار أعماً به وتوهم أنها يعلو عن
الانتقاد ولكي حرصاً على بيان الحق الذي نطلبه واستعانة عليه بالنصارى ، والرايين
في انتقادهم ، ونقول هنا ما قال الاستاد الامام : انه مامس أحد بأصغر من أن يعين
ولا ما كبر من أن يهان :

وبعد القراء بأن سنزيد النار اتقاناً في السنة السادسة فجعل ورقه أجود من هذا
الورق وتحرى المباحث التي نراها أكبر فائدة وأكثر فحماً . وفي النية اللود الى التاسع
في باب العقائد وباب [آثار السلف عبرة للحام] وفي مباحث آداب الامة مع
الاستمرار على نشر التفسير المقتبس من معني الديار المصرية والعود الى باب [البدع
والخرافات والتعاليد والمعادات] وربما نعمل البحث في شؤون النساء وما يتعلق بهن
من أمر الرقيق والحيوت ما يطرأ في أكثر الاجراء . وان أجل تحفة نتخذهم بها في
السنة الجديدة تلك المقالة أو المقالات التي وعد بها ذلك الامام الحكيم صاحب مقالات
(الاسلام والمصرية مع العلم والمدنية) التي يبين فيها كيف يكون البدع الي
رجعت بالنساء من الفقهري هي السب في حياتهم المالية المستقبلية . ونختم المجلد الخامس
بحمد الله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله ، وآله وصحبه ورواه .

421

